

الجامعة الإسلامية - غزة  
كلية أصول الدين - مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية



# أبحاث مؤتمر القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة



18 ذو الحجة الموافق 2008/12/16م



مركز القرآن الكريم  
والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة  
الإسلامية



---

---

كتاب المؤتمر الدولي الأول

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

بعنوان

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

---

---

ديسمبر 2008

# مؤتمر القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

رئيس المؤتمر

د . نسيم شحدة ياسين

عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية

## اللجنة العلمية

رئيس اللجنة: د . عبد الرحمن يوسف الجمل

- |                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| أ . د . إسماعيل سعيد مرضوان | أ . د . محمد عبد الفتاح عسقول |
| د محمد حسن بخت              | أ . د . نعمان شعبان علوان     |
| د . عبد الكريم حدي الدهشان  | د . سعيد عبد الله عاشور       |
| د . نركر يا إبراهيم الزميلي | د . عصام العبد مرهد           |
| د . نعيم أسعد الصفدي        | د . عبد السلام حمدي اللوح     |

## اللجنة التحضيرية

رئيس اللجنة: د . عبد الكريم حمدي الدهشان

- |                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| أ . د . عادل محمد عوض الله  | د . عبد الرحمن يوسف الجمل |
| د . نركر يا صبحي نرين الدين | أ . د . نعمان شعبان علوان |
| د . محمود هاشم عنبر         | د . علي عبد الله شاهين    |
| أ . مرجاء يونس أبو مزهد     | أ . ضيائي نعمان السوسي    |

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد :

فإن حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، وذلك بما حمله من دلائل واشتمل عليه من براهين واضحة على أن رسالة محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات السماوية، وأن الإسلام هو الدين الكامل الشامل الذي يقبله الله من عباده ولن يقبل غيره، قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...) وهو مقترن بخاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله سبحانه رحمة للعالمين، فكان الأمر المنزل له : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ..)، ثم كان الإخبار القرآني عن هذه الحقيقة يتمثل في قوله تعالى : (...أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...). ولذلك كان من البديهي أن يشتمل القرآن الكريم على كل ما يحتاجه البشر من أمور دينية، وحقائق دنيوية إلى جانب أنه معجزة الرسول ﷺ الخالدة، وأن الله تعالى قد تكفل بحفظه إلى يوم القيامة لقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، ولذلك فإن القرآن قد حفظه كثير من المسلمين، وهو موجود في كل بيت من بيوت المؤمنين، والمعنى الذي يجب أن يفهم من ذلك هو الإقبال عليه تلاوة ودرسا وتطبيقاً، لا أن يقتصر على تلاوته في مواسم ومناسبات معينة، فالواجب على جميع المؤمنين أن يشعروا بثقل التبعة، وأن يهبوا للعمل الفاعل اللائق بمنزلة القرآن الكريم، وإيماناً منّا بمكانة القرآن الكريم ودوره في علاج كثير من الإشكالات التي ظهرت حديثاً في بلاد المسلمين نتيجة تداعي الأمم على هذه الأمة، وضعفها وتشرذمها وضعف الوازع الديني عند كثير من أبنائها، كان لزاماً علينا أن نعيد الدفة إلى مكانها، بعودة المسلمين إلى أصولهم وجذورهم وإلى منهجهم السليم القويم لينهلوا منه الدواء الشافي بإذن الله، فإن في القرآن شفاء لأعراض المسلمين المزمنة وحل لمشاكلهم المستعصية، فأردنا فتح الباب على مصراعيه للعلماء والرواد والباحثين والدعاة والنخبة لينهلوا من هذا المعين الصافي، ويتلمسوا الدواء لمشاكل المسلمين وقضاياهم من القرآن العظيم في أبحاث علمية تضع لمساة قرآنية عصرية لعل هذه الأمة تستيقظ وتضع يدها على مصدر الداء وتتعرف على الدواء لتقوم من كبوتها وتنفض غبار الرقود وتعيد تاريخها وعزها ومجدها التليد، فكان هذا المؤتمر (القرآن الكريم ودوره في معالجة



قضايا الأمة) الذي أقامه مركز القرآن الكريم والدعوة في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، والذي عودنا دائماً على الإبداع والتجديد فيما يخص القرآن الكريم والدعوة الإسلامية، وها نحن نقدم للقارئ الكريم كتاب المؤتمر الذي يشتمل على الأبحاث العلمية التي قدمها الباحثون والعلماء لهذا المؤتمر وهي عبارة عن اثنين وعشرين بحثاً محكماً، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفع به المسلمين وأن يبارك في هذه الأمة، ويعيدها إلى مصدر عزتها وكرامتها، وأن يلمّ شملها، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس المؤتمر - عميد كلية أصول الدين  
الدكتور / نسيم شحادة ياسين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله ربه داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.

قال تعالى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

أنزل الله تعالى القرآن الكريم كتاب هداية، ليكون مرشداً إلى سبيل هو أقوم سبيل وأنجح، يهذب النفوس ويزكيها، ويقوم الأخلاق ويعليها، يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين قال تعالى {.. فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}. وقد تربي الصحابة الكرام رضي الله عنهم على مائدة القرآن الكريم، وتمسكوا بهديه حتى أصبحوا سادة العالم، وتتبعته القرون من بعدهم يفتقون أثرهم، فتخرج في مدرسة القرآن الكريم أجيال أقاموا حضارة إسلامية لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، ولم ينطفئ سراجها إلا عندما هجر المسلمون كتاب ربهم. والأمة اليوم أحوج ما تكون لهداية القرآن الكريم، لتعالج قضاياها المعاصرة، لتعود لها الصدارة. ولنساهم نحن في مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في إعادة الصدارة لهذه الأمة، ومعالجة أدوائها التي كانت سبباً في تأخرها عن الريادة والسيادة كان هذا المؤتمر لبنة طيبة وجهد يضاف إلى جهود الخيرين من هذه الأمة، هذا المؤتمر الذي يبين دور القرآن الكبير في علاج مشاكل المسلمين اليوم، ليعلم الناس أن القرآن الكريم هو الذي يقدم الدواء الشافي، والعلاج الناجع، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}.

هذا المؤتمر العلمي الدولي الأول " القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة " الذي شارك فيه عدد من الباحثين من جامعات وبلدان مختلفة، وقد قامت اللجنة العلمية بمتابعة الجانب العلمي في هذا المؤتمر، فراسلنا الباحثين، وتابعنا بحوثهم التي وصلت إلينا وعددها اثنان وعشرون بحثاً فحكمتها حكماً علمياً حسب الأصول البحثية، قبل بدء المؤتمر لنشرها في هذا الكتاب الذي يشتمل على البحوث التي تم قبولها، لتكون في متناول الباحثين والدارسين لفيديو منها.

وأخيراً نتقدم بالشكر لله أولاً وأخيراً الذي بنعمته تتم الصالحات أن وفقنا لإنجاز مهمتنا على أتم وجه وأكملته، والشكر موصول للإخوة الكرام أعضاء اللجنة العلمية ولكل من أسهم بجهد مادي أو معنوي لإنجاح هذا المؤتمر .  
أسأل الله تعالى لمركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية مزيداً من التقدم والرفعة وللإخوة في كلية أصول الدين والجامعة الإسلامية هذه المؤسسة العلمية الرائدة، والمنارة العلمية الشامخة، وأن يرعى مسيرتها وأن يحفظها شامة لتحقيق أهدافها في نهضة الأمة ورفع شأنها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر

د. عبد الرحمن يوسف الجمل

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة، أنزله جل علاه دليلاً على كمال الغاية الإلهية بشؤون الخلق والبرية، والصلاة والسلام على معلم البشرية ومرشد العلماء ومؤدب السفهاء ومعالج الصعاب والمنقذ من الضلالات والمعضلات وبعد:

فإني أشكر مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة على إيداعه في الخوض في غمار العلم والعلماء وعلى حسن ارتقائه بتلقي أهل البحث والتأليف وعلى مقاصده في خدمة القرآن العظيم وحملته وأنصاره.. حيث زاحم أرفع الكليات والتخصصات فعقد الأنشطة العلمية والدعوية التي تتميز في الجوهر والأثر وكان الاختيار النوعي هذه المرة هو عقد المؤتمر العلمي القرآن الدولي المحكم بعنوان "القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة" حرصاً على إبراز حقائق القرآن واكتشاف وجوه عجزه والتي لا حصر لها، لأنه كلام الله العلي الحكيم، وإيماناً منا بوجود التماس الحلول للمشكلات المعاصرة في هذا الزمان وفي كافة المجالات والمادين، فيدرك كل راشد حكمة القرآن ودوره في إثبات كمالات الأوصاف الحسنة والمقاصد العلمية للبرهنة على عظمة هذه الأمة الوسط وأن لا بد عنها لتبقى هي الأمة الشاهدة والأمة المغيرة والمصلحة لأحوال المجتمع الشرعي بنور هذا القرآن العظيم في هذا العصر الحديث وفي كل العصور قال تعالى " ... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا... " وقال عز من قائل " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا " .

ولعل الأجيال القادمة بما فيها من علماء ومصلحين ومجددين ينهلون من أفكار وإنتاج هذا المؤتمر العلمي الدولي المحكم حتى يسوسوا العباد والبلاد إلى هدي الوحي القرآني والنبوة لتحقيق شعار الإسلام هو الحل وأن لا يبدل عن هذا الدين الرباني " وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " وأخيراً أسأل الله تعالى أن يسدد الخطي وأن يرشد الأعمال والنوايا وأن يفيد الناس من نتائج هذا المؤتمر القرآني وأن يكرم أهله وعبيده.

والله ولي التوفيق

د. عبد الكريم حمدي الدهشان

رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

ورئيس مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

## شكر وتقدير

تتقدم كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة

بالشكر والتقدير للأخوة الأفاضل

في

الهيئة الإسلامية العالمية بالكويت

لمساهمتهم ودعمهم الكريم لمؤتمر

(القرآن الكريم ودوره في قضايا الأمة) .

والشكر موصول للإخوة في مجلس إدارة جمعية الفلاح الخيرية

الذين نسقوا لهذا الدعم ، نسأل الله أن يجزيهم جميعاً خير

الجزاء ، ويجعله في ميزان حسناتهم .

عميد كلية أصول الدين ورئيس المؤتمر

الدكتور نسيم شحادة ياسين

## فهرس الصفحات

| الصفحة | إسم البحث   | الرقم |
|--------|---|-------|
| 1      | جمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين، ودورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات العشر المتواترة | .1    |
| 16     | الأخطاء الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم وسبل علاجها  | .2    |
| 47     | الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: دراسة تحليلية.                            | .3    |
| 68     | الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين ودورها في تنمية التفكير.                    | .4    |
| 98     | دور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني.   | .5    |
| 121    | عظمة الفكر والتفكر بين شواهد العلم ودلائل القرآن .  | .6    |
| 151    | دور القرآن الكريم في تشكيل وعي الأمة.   | .7    |
| 177    | دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة.  | .8    |
| 208    | دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن .   | .9    |
| 237    | منحى النظم في القرآن الكريم.  | .10   |
| 268    | منهج القرآن والتوراة والإنجيل في توحيد الله   | .11   |
| 307    | القصاص وأثره على التنشئة الاجتماعية دراسة قرآنية.   | .12   |
| 335    | منهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري .   | .13   |
| 359    | الأحاديث الواردة في تأثر المشركين بالقرآن. (دراسة تحليلية)  | .14   |
| 395    | الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.                              | .15   |
| 438    | الضغوط النفسية وطرق التعامل معها في القرآن الكريم.  | .16   |
| 465    | إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية.   | .17   |

|     |   |     |
|-----|---|-----|
| 513 | التميز التربوي من منظور إسلامي.                                       | .18 |
| 555 | الآثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم وسبل علاجها . | .19 |
| 591 | هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية.                       | .20 |
| 634 | مقومات نهضة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم                      | .21 |
| 661 | جغرافيا النص القرآني لدى المتلقي                                      | .22 |



جمعية دامر القرآن الكريم والسنة بفلسطين، ودورها في

تعليم أحكام التلاوة والتجويد

برواية حفص والقراءات العشر المتواترة .

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

مقدما للبحث

د . عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل      وهيفاء عبد الرؤوف إبراهيم رضوان

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

### ملخص البحث

يتناول هذا البحث الحديث عن دور جمعية دار القرآن الكريم والسنة - بفلسطين في تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات العشر المتواترة من خلال عرض الفعاليات التي تقوم بها الجمعية في هذا المجال بالتحديد دون إسهاب. وقد اشتمل هذا البحث على تعريف بجمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين، مع إبراز دورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد، من خلال دورات التلاوة والتجويد المختلفة التي تعقدها الجمعية وبيان نظام الاختبارات والتقييم وشروط الإجازة. كما تناول البحث الحديث عن مشروع الألف مجاز، وأكاديمية القرآن، وكذلك البرامج والدورات التي تعقدها الجمعية للارتقاء بالكادر الوظيفي، من مدرسين ومدرسات، ومشرفين ومشرفات، وعن طموحات المؤسسة ومشاريعها المستقبلية. وذلك لنضع تجربة هذه الجمعية الرائدة في هذا المجال بين يدي كل من يرغب في السير في مجال تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات الأخرى، ليستفيد منها.

### Abstract

This research focuses on the role of Dar AlQur'an Al Kariim wa Suna Society in teaching the rules of recitation quoting Hafsa and the ten respective reciting types, through presenting the activities of this society in this field specially. The research includes introduction of this society and indicates its prominent role in teaching rules of recitation through deferent courses held. It also introduces the rules of written and oral tests and the authoritative conditions, also represents the thousand authorized project, Quran's Academy, the programs and courses held for upgrading the staff; either teachers or supervisors, and the society's ambitions and their prospective projects.

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله. أما بعد.

فإن تعليم أحكام التلاوة والتجويد من فروض الكفاية التي إن تخلفت الأمة عن القيام بها أثمرت جميعها، وقد مرّ على قطاع غزّة حقبة من الدهر، عُيِبَ فيه هذا العلم، فكان إنشاء الجمعيات المختلفة التي تسعى لنشره، ومن بين هذه الجمعيات جمعية دار القرآن الكريم والسنة والتي أنشئت كجمعية متخصصة في هذا المجال، فشقت طريقها بخطى واسعة حتى أضحت رائدة في هذا المجال في قطاعنا الحبيب، بل في العالمين العربي والإسلامي.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز دور جمعية دار القرآن الكريم والسنة - بفلسطين في تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات العشر المتواترة، لتكون نموذجاً يحتذى به في هذا المجال.

وقد قسمنا هذا البحث إلى تمهيد وخمسة مباحث على النحو التالي:

تمهيد: تعريف بجمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين.

المبحث الأول: جهود جمعية دار القرآن الكريم والسنة في تعليم أحكام التلاوة والتجويد. ويشتمل على ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: دورات التلاوة التمهيدية، والتأهيلية برواية حفص.

المطلب الثاني: دورات التلاوة العليا برواية حفص.

المطلب الثالث: دورات التلاوة العليا بروايات أخرى لأئمة القراء العشر.

المطلب الرابع: دورات الإجازة بالسند، ومشروع الألف مجاز.

المطلب الخامس: الدورات التطويرية في المدارس النظامية.

المطلب السادس: أكاديمية القرآن.

المبحث الثاني: نظام الاختبارات والتقييم.

المبحث الثالث: البرامج والدورات التي تعقدتها الجمعية للارتقاء بالكادر الوظيفي

المبحث الرابع: طموحات المؤسسة ومشاريعها المستقبلية.

المبحث الخامس: نظرة في بعض نتائج الجمعية في عملها لتعليم أحكام التلاوة والتجويد.

نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس: فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

والله هو موفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباحثان: د. عبد الرحمن يوسف الجمل

هيفاء عبد الرؤوف رضوان

## التمهيد

تعريف بجمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين.

تأسست دار القرآن الكريم والسنة سنة 1412هـ ، 1992م ، وبذلت جهوداً طيبة في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أحكامه بالطرق المنهجية عبر مراكز التحفيظ التي نشرتها الدار في ربوع محافظات قطاع غزة ، وفي عام 1415هـ - 1995م انطلقت دار القرآن الكريم والسنة انطلاقاً جديدة بعد أن حصلت على ترخيص من وزارة الداخلية الفلسطينية كجمعية خيرية مستقلة تحت رقم 4006<sup>1</sup>.

وبتضافر الجهود غدت دار القرآن الكريم والسنة مؤسسة رائدة ومتخصصة في تحفيظ كتاب الله وتعليم أحكام التلاوة والتجويد بروايات متعددة، وتدریس السنة النبوية وتحفيظها، وعقد المسابقات الرمضانية والسبوية وإقامة الاحتفالات لتكريم الحفظة والطلبة المتفوقين.

\*أهداف دار القرآن الكريم والسنة<sup>2</sup>:

1. إرجاع الناس إلى مصدر عزتهم وفلاحهم وهو القرآن والسنة النبوية المطهرة.
2. ربط المسلمين بكتاب الله تعالى وتثوير بصائرهم به وتعظيمه في نفوسهم، وتعريفهم بالسنة الصحيحة وعلومها.
3. معالجة ضعف المسلمين في قراءة القرآن الكريم، وذلك عبر إقامة دورات أحكام التلاوة والتجويد بالروايات والقراءات المختلفة.
4. الحث على التمسك بالتربية الإيمانية.
5. تمكين طلاب العلم من حفظ كتاب الله تعالى كاملاً، وسنة نبيه المصطفى في فترة زمنية محددة وفق برامج متكاملة.
6. إقامة المدارس الشرعية ورياض الأطفال الإسلامية التي تربي النشء على كتاب الله تعالى وسنة نبيه.

\* من أهم أقسام دار القرآن الكريم والسنة<sup>3</sup> :

■ قسم التحفيظ.

---

1 انظر: وثيقة داخلية: التصديق على إقامة جمعية عثمانية باسم دار القرآن الكريم والسنة الخيرية بقطاع غزة - صادرة عن وزارة الداخلية بالسلطة الوطنية الفلسطينية بتاريخ 1995/6/4م.

2 انظر: دار القرآن الكريم والسنة - إنجازات وطموحات - 1420هـ، 2000م، ص5.

3 انظر: دار القرآن الكريم والسنة حقائق وأرقام، إنجازات وطموحات - 1416هـ، 1996م ص11، دار القرآن الكريم والسنة - إنجازات وطموحات - 1420هـ، 2000م، ص7

## جمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين، ودورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد

وهو أول الأقسام التي افتتحتها دار القرآن الكريم والسنة ويهدف إلى تخريج كوكتبة من الحفظة لكتاب الله تعالى، وفقاً لجدول زمني معدّ.

■ قسم القراءات: ويعنى هذا القسم بتعليم وتلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة برواية حفص والروايات الأخرى المتواترة.

■ قسم السنة النبوية المطهرة : ويهدف هذا القسم إلى نشر السنة الصحيحة، والتحذير من الأحاديث الضعيفة، ووضع البرامج المنهجية لتحفيظ السنة النبوية على مراحل، وتعليم علوم السنة، وتأهيل الخطباء والدعاة في هذا الجانب.

## المبحث الأول

### جهود جمعية دار القرآن الكريم والسنة في تعليم أحكام التلاوة والتجويد

تقوم جمعية دار القرآن الكريم والسنة بتعليم أحكام التلاوة والتجويد من خلال عقد الدورات التمهيدية والتأهيلية والعليا برواية حفص، والدورات العليا بروايات أخرى لأئمة القراء، والدورات التطويرية في التلاوة والتجويد في المدارس النظامية، وكذلك رعايتها لمشروع الألف مجاز، وأكاديمية القرآن<sup>1</sup>.

#### المطلب الأول: دورات التلاوة التمهيدية، والتأهيلية برواية حفص<sup>2</sup>.

ويلتحق بهذه الدورات الطلبة والطالبات المبتدئين وتدرّس فيها أحكام التلاوة بشكل مبسط، ويراعى فيها التطبيق العملي بشكل أساس، ويتم التركيز في التدريب العملي على تلاوة النصف الأخير من القرآن الكريم - من سورة الكهف إلى نهاية المصحف-، ويبدأ التدريب العملي للطلبة من جزء عمّ، حيث يتم اتباع أسلوب التلقين والعرض في التلاوة، حيث يقرأ المدرس المقطع، ويردد خلفه الطلبة ثم يقرأ كل طالب منفرداً نفس المقطع حتى نهاية الجزء، ويتم اتباع هذا الأسلوب أيضاً في تلاوة جزء تبارك، ثم يكمل المدرس التطبيق العملي للطلبة حتى سورة الكهف، بالاستماع إلى تلاوة الطلاب وتصحيحها. ويتم فرز الطلبة بحسب مستوى التلاوة إلى دورة تمهيدية، يتم فيها اختبار الطلاب عملياً في جزء عمّ وتبارك فقط، ودورة تأهيلية، يتم فيها اختبار الطلاب عملياً في النصف الأخير من القرآن الكريم. ومدة الدورة التمهيدية أو التأهيلية أربعة أشهر بواقع ثلاث محاضرات أسبوعياً، أو شهران بواقع محاضرة يومية، كما في الدورات التمهيدية والتأهيلية الصيفية المكثفة:

وقد تمّ إعداد كتاب خاص لتدريس المادة النظرية في هذه الدورات وهو كتاب التيسير في علم التجويد، تصنيف الدكتور عبد الرحمن الجمل، وقد لاقى هذا الكتاب انتشاراً واسعاً، حيث تمّ اعتماده في العديد من المؤسسات القرآنية في تدريس الدورات التأهيلية، بالإضافة إلى مؤسسة دار القرآن الكريم والسنة.

#### المطلب الثاني: دورات التلاوة العليا برواية حفص<sup>1</sup>.

1 انظر: مطوية لقسم القراءات بدار القرآن الكريم والسنة بمناسبة إتمام الألفية الأولى لدورات التلاوة التأهيلية - قسم الطالبات - 1230هـ، 2008م.

2 انظر: وثيقة داخلية: نظام الدورات التأهيلية صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.

ويلتحق بها الطلبة الحاصلين على إجازة في دورة تأهيلية بتقدير جيد فما فوق، ويُدرّس فيها أحكام التلاوة بشكل تفصيلي ومركز نظرياً وعملياً، ويتم فيها تلاوة القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية مع التدريب على بعض طرق قصر المنفصل. ومدة الدورة العليا ستة أشهر بواقع ثلاث محاضرات في الأسبوع، أو ثلاثة أشهر بواقع محاضرة يومياً، كما في الدورات العليا الصيفية المكثفة.

وقد تمّ بفضل الله وعونه إعداد كتاب خاص لتدريس الدورات العليا، وهو كتاب المغني في علم التجويد، تأليف الدكتور عبد الرحمن الجمل، وقد طبعت منه عدة طبعات، وهو كتاب معتمد في تدريس مادة التلاوة والتجويد في الجامعة الإسلامية.

### المطلب الثالث: دورات التلاوة العليا بروايات أخرى لأئمة القراء العشر<sup>2</sup>.

ويلتحق بهذه الدورات الطلبة الذين أنهوا دورة عليا برواية حفص عن عاصم بتقدير جيد على الأقل، حيث يتم دراسة الرواية المقررة أصولاً وفرشاً، مع توجيه القراءة في كل من الرواية موضع الدراسة ورواية حفص، وفي الجانب التطبيقي يتم تلاوة القرآن الكريم كاملاً بالرواية المقررة في الدورة، كما يلتزم المدرس بإقراء كل طالب المواضيع التي تخالف فيها الرواية المقررة رواية حفص. وقد عقدت الدار دورات مختلفة في القراءات العشر المتواترة بفضل الله تعالى. وساهمت بذلك مساهمة فاعلة في نشر هذه القراءات في أوساط المهتمين، وأزالت الأمية التي كانت تسود في القطاع في موضوع القراءات.

كما عنيت الدار بإصدار الكتب الخاصة بدورات القراءات، حيث تمّ إعداد كتاب المغني في علم التجويد برواية شعبة عن عاصم، ورواية قالون عن نافع، ورواية ورش عن نافع، والمسيرة متواصلة لإصدار كتب خاصة بالقراء العشرة ورواتهم بإذن الله تعالى.

### المطلب الرابع: دورات الإجازة بالسند، و مشروع الألف مجاز<sup>3</sup>.

وينتخب لدورات الإجازة بالسند المتفوقين من الطلبة و الطالبات حيث يقرأ الطالب القرآن كاملاً على الشيخ المجيز برواية الإمام حفص عن عاصم بتوسط المنفصل

---

1 انظر: وثيقة داخلية: نظام الدورات العليا برواية حفص عن عاصم - صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.

2 انظر: وثيقة داخلية: نظام الدورات العليا بالقراءات المختلفة - صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.

3 انظر: وثيقة داخلية: مشروع الألف مجاز صادرة عن إدارة قسم القراءات.



من طريق الشاطبية، وبقصر المنفصل من طريقي الفيل وذرعان من طريق روضة الحفاظ، وفي نهاية الدورة يحصل الطالب على إجازة بالسند المتصل من شيوخه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ويلزم الطالب بحفظ متن الجزرية وتحفة الأطفال.

وقد أطلقت الدار حملة مشروع الألف مجاز، وتتلخص فكرة هذا المشروع في اختيار مجموعة متميزة من جميع مناطق القطاع لتلقي القراءة بالسند المتصل عن النبي ﷺ، ثم تكليف كل فرد في هذه المجموعة بالإقراء في منطقته، ويخضع الطالب المتقدم لدورات الإجازة بالسند إلى مقابلة شخصية، يتم فيها الاستماع إلى تلاوة الطالب، والتعرف على مدى تمكنه من أحكام التلاوة عملياً ونظرياً، ويباشر الطلبة المتقنون دورة الإجازة بعد المقابلة، أما الطلبة الذين لا يجتازون المقابلة فيلتحقون بدورات لتحسين التلاوة حتى يصلوا إلى درجة اتقان عالية تمكنهم من المباشرة في دورة الإجازة. وبعد انتهاء الطالب من القراءة على الشيخ المجيز يخضع لاختبار شفوي دقيق. ويلزم الطالب المجاز بإقراء خمسة من الطلاب الجدد لتبقى المسيرة متواصلة في دورات الإجازة بالسند، لإتمام هذا المشروع.

#### المطلب الخامس: الدورات التطويرية في المدارس النظامية<sup>1</sup>:

من الأنشطة المتميزة التي قامت بها دار القرآن الكريم والسنة الدورات التطويرية في المدارس النظامية، سواء الحكومية أو الخاصة أو التابعة لوكالة الغوث الدولية، وتشمل هذه الدورات ما يلي:

1. الدورات التطويرية للطلبة: حيث تمّ عقد عدة دورات في موضوعات التجويد المقررة في الفصول الدراسية لطلبة المدارس بالتعاون مع لجنة التربية الدينية في تلك المدارس، وينتخب لهذه الدورات عدد محدد من الطلبة من كل فصل، حيث يتم شرح الموضوعات المقررة في منهاج التربية الإسلامية في موضوع التلاوة والتجويد، مع تطبيق عملي لسور مختارة من منهاج التربية الإسلامية أيضاً، ويتم اختبار الطلبة في نهاية الدورات والتي لا تتجاوز مدتها شهرين بواقع ساعة أسبوعياً. وقد انتهج قسم القراءات في هذا المجال تعليم أحكام التلاوة والتجويد لطلبة المدارس بطريقة ترفيهية شملت إعداد مسرحيات يقوم الطلبة بتمثيلها تتحدث عن أحكام التلاوة والتجويد، وأناشيد تتناول الأحكام بشكل مبسط وممتع خاصة لطلبة المدارس الابتدائية.

1 انظر: وثيقة داخلية: نشرة خاصة للمشرفات حول الدورات التطويرية في المدارس النظامية صادرة عن إدارة قسم الطالبات.

جمعية دار القرآن الكريم والسنة بفلسطين، ودورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد

2. الدورات التطويرية للمدرسين: حيث تمّ عقد عدة دورات في موضوعات التجويد المقررة لمدرسي التربية الدينية واللغة العربية، بهدف رفع كفاءة الكادر التعليمي، وقد لاقت هذه الدورات تفاعلاً جيداً من قبل المدرسين.

**المطلب السادس: أكاديمية القرآن الكريم<sup>1</sup>.**

بفضل الله تعالى قامت دار القرآن الكريم والسنة عام 2001م بافتتاح أكاديمية القرآن الكريم والتي تمنح درجة الدبلوم في القراءات القرآنية، وقد تم قبول خمسة وخمسين طالب وطالبة ممن يحملون شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها وممن يحفظون سبعة أجزاء فأكثر، حيث أتموا دراسة سبعين ساعة دراسية موزعة على أربعة فصول دراسية، وقد أوقف التسجيل لطلاب جدد وذلك بسبب العجز المالي الذي تعاني منه المؤسسة في ظل الحصار الجائر على قطاع غزة.

---

1 انظر: وثيقة داخلية: أكاديمية القرآن - صادرة عن إدارة دار القرآن الكريم والسنة.

## المبحث الثاني

### نظام الاختبارات والتقييم

يخضع الطالب بعد انتهاء الدورات المختلفة إلى اختبار شفوي وتحريري، ويشترط للحصول على الإجازة بأي دورة اجتياز الاختبارات التحريرية والشفوية بنجاح.

**أولاً: الاختبار التحريري:**

ويشمل أسئلة متنوعة في جميع المادة النظرية المقررة في الدورة، ويخصص لهذا الاختبار ثلاثون درجة. ويتم إعداد الاختبارات التحريرية بعناية مع مراعاة الدقة والشمول وحسن الصياغة.

**ثانياً: الاختبار الشفوي<sup>1</sup>:**

1. يختبر الطالب في ثلاثة مواضع.
2. يتم اختبار الطالب في كل موضع بقراءة صفحة كاملة من مصحف التجويد (مع مراعاة اختيار الصفحات من أماكن مختلفة من جميع المصحف).
3. يحتسب للاختبار الشفوي 70 درجة تقسم كالتالي 30 درجة للضبط - 30 درجة للاتقان - 10 درجات للأسئلة النظرية. وبيان ذلك كما يلي:

**الضبط:** يحتسب لكل سؤال 10 درجات (المجموع 30 درجة) ويتم خصم الدرجات

كالتالي :

1. اللحن الجلي: ينبه الطالب فإن صوب الخطأ من تلقاء نفسه يخضم درجة واحدة وإن لم يصوب يخضم درجتان.
2. اللحن الخفي بسيط الخفاء: ينبه الطالب فإن صوب الخطأ من تلقاء نفسه يخضم نصف درجة وإن لم يصوب يخضم درجة واحدة فقط.
- الاتقان: ويحتسب له 30 درجة ويقم إتقان الطالب من حيث :

1. السلاسة والاسترسال في القراءة.
2. مراعاة الوقف والابتداء.
3. تجنب اللحن الخفي شديد الخفاء ويتم التركيز على (مخارج الحروف وصفاتها - إتقان الإخفاء الحقيقي - تحقيق الحركات).

**ثالثاً: الأسئلة النظرية:**

ويحتسب لها 10 درجات يتم سؤالها للطالب في كل صفحة ويراعى تنوع الأسئلة وشمولها.

---

1 انظر: وثيقة داخلية: نظام الاختبارات الشفوية صادرة عن إدارة قسم القراءات.

### المبحث الثالث

#### البرامج والدورات التي تعقدتها الجمعية للارتقاء بالكادر الوظيفي

تعنى جمعية دار القرآن الكريم والسنة بالارتقاء بالكادر الوظيفي من مدرسين ومدرسات، ومشرفين ومشرفات، وقد عقدت الدار أيام دراسية متنوعة، ومحاضرات متفرقة، ودورات مختلفة في هذا المجال، نذكر منها:

1. عقد محاضرات متفرقة، وذلك في موضوعات خاصة في التلاوة والتجويد بهدف رفع كفاءة المدرسين في هذه الموضوعات، ومن أمثلة هذه المحاضرات: محاضرة في معنى الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات<sup>1</sup>.
2. عقد أيام دراسية مختلفة، حول قضايا معينة، ومن أمثلة هذه الأيام الدراسية، يوم دراسي بعنوان: الإشراف وكيفية تفعيله<sup>2</sup>.
3. عقد دورات مختلفة، وتشمل هذه الدورات دورات في كيفية التدريس والإشراف، كدورات تأهيل مدرسي ومدرسات دورات التلاوة<sup>3</sup>، ودورات في موضوعات علمية محددة كالدورات التي عقدت بعنوان: مخارج الحروف بين القدماء والمحدثين، والرسم العثماني، وغيرها.

---

1 انظر: وثيقة داخلية: تقرير حول المحاضرة التعليمية الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات لمشرفة القراءات في قسم الطالبات بمنطقة غزة، 2007م.

2 انظر: وثيقة داخلية: تقرير حول يوم دراسي بعنوان: الإشراف وكيفية تفعيله صادر عن إدارة قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة، 2007م.

3 انظر: وثيقة داخلية: تقرير حول دورة بعنوان: مهارات تدريس الدورات التأهيلية صادر عن إدارة لقسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة، 2006م.

#### المبحث الرابع

#### طومحات المؤسسة ومشاريعها المستقبلية<sup>1</sup>

تطمح الدار في تنفيذ العديد من المشاريع التي ترتقي بالجمعية في مجال تعليم أحكام التلاوة والتجويد وذلك وفق ما يلي:

- 1- استكمال مشروع بناء المقر الرئيس للدار.
- 2- كفالة مدرسي دورات التلاوة والتجويد.
- 3- كفالة مشروع الألف مجاز في محافظات غزة.
- 4- كفالة مشاريع بناء مدارس القرآن الكريم.
- 5- إعادة افتتاح أكاديمية القرآن الكريم بالتخصصات المختلفة.
- 6- كفالة الدورات التطويرية في المدارس النظامية.
- 7- تخريج القراء المتقنين والحافظين للقرآن الكريم.
- 8- إصدار مصاحف صوتية لقراء متقنين من فلسطين.

---

1 انظر: دار القرآن الكريم والسنة - إنجازات وطموحات - 1424هـ، 2003م، دار القرآن الكريم والسنة - إنجازات وطموحات - 1427هـ، 2006م.

### المبحث الخامس

#### نظرة في بعض نتائج الجمعية في عملها لتعليم أحكام التلاوة والتجويد

هناك العديد من المظاهر التي تدل على نجاح جمعية دار القرآن الكريم والسنة نجاحاً ملحوظاً في مجال تعليم أحكام التلاوة والتجويد والقراءات القرآنية المختلفة نذكر منها:

1. الإقبال الكبير على تعلم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات المختلفة.
  2. الإقبال الكبير على مشروع الإجازة بالسند.
  3. انتشار دورات التلاوة والتجويد في أرجاء القطاع.
  4. تخرج أعداد كبيرة من الطلاب والطالبات من الدورات المختلفة.
- وهذه الإحصائية بأعداد الدورات التي عقدت في دار القرآن الكريم والسنة حتى نهاية العام 2007م<sup>1</sup>.

| نوع الدورة                  | عدد الدورات | عدد المجازين والمجازات |
|-----------------------------|-------------|------------------------|
| تأهيلية برواية حفص عن عاصم  | 2026        | 11091                  |
| عليا برواية حفص عن عاصم     | 481         | 4701                   |
| عليا بروايات أخرى           | 136         | 1035                   |
| دورات الإجازة بالسند المتصل | 200         | 200                    |
| الإجمالي:                   | 2843        | 17027                  |

5. توفر كادر متخصص في التلاوة والتجويد والقراءات المختلفة في المؤسسة.
6. إصدار الكتب المختلفة في مجال التلاوة والتجويد برواية حفص بمستويات مختلفة، وكذلك الكتب المتنوعة في القراءات الأخرى، وسعة انتشار هذه الكتب، واعتمادها من مؤسسات مختلفة.
7. وليس أدل على نجاح جمعية دار القرآن الكريم والسنة في مجال تدريس أحكام التلاوة والتجويد من أن كثير من خريجي جمعية دار القرآن الكريم والسنة يعملون في مؤسسات قرآنية مختلفة، وقد ساهموا مساهمة فاعلة في نجاح هذه المؤسسات وذلك مثل: مركز القرآن

---

1 انظر: وثيقة داخلية: إحصائيات دورات التلاوة - قسم الطلاب 2007م، صادرة عن إدارة دار القرآن الكريم والسنة قسم الطلاب، وثيقة داخلية: إحصائيات دورات التلاوة قسم الطالبات 2007م، صادرة عن المشرفة العامة لقسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.

جمعية دامر القرآن الكريم والسنة بفلسطين، ودورها في تعليم أحكام التلاوة والتجويد

والدعوة الإسلامية في الجامعة الإسلامية، ومركز القرآن في جمعية الشبابات المسلمات،  
ودائرة العمل النسائي في المجمع الإسلامي، وغيرها.



## النتائج والتوصيات

### أولاً: النتائج:

1. لدار القرآن الكريم والسنة دور فاعل في تعليم أحكام التلاوة والتجويد برواية حفص والقراءات الأخرى المتواترة.
2. تقوم جمعية دار القرآن الكريم والسنة بتعليم أحكام التلاوة والتجويد من خلال عقد الدورات التمهيدية والتأهيلية والعليا برواية حفص، وكذلك الدورات العليا بروايات أخرى لأئمة القراء، والدورات التطويرية في التلاوة والتجويد في المدارس النظامية، وكذلك رعايتها لمشروع الألف مجاز، وأكاديمية القرآن.
3. تعنى جمعية دار القرآن الكريم والسنة بالارتقاء بالكادر الوظيفي من مدرسين ومدرسات، ومشرفين ومشرفات، وقد عقدت الدار أيام دراسية متنوعة، ومحاضرات متفرقة، ودورات مختلفة في هذا المجال.
4. تعليم القرآن والقراءات خطى في قطاع غزة خطوات واسعة والمسيرة ما تزال مستمرة رغم المعوقات.
5. نجحت دار القرآن الكريم والسنة نجاحاً ملحوظاً في إعداد كتب تتلائم مع مستوى الطلاب في الدورات التأهيلية والعليا، وليس أدل على ذلك من انتشار كتاب التيسير في علم التجويد انتشاراً واسعاً واعتماده في العديد من المؤسسات داخل وخارج القطاع في تدريس الدورات التأهيلية.
6. الجهود ما زالت متواصلة في إعداد كتب مختصة بالقراءات القرآنية المختلفة، وقد كان لأعضاء دار القرآن الكريم والسنة الجانب الأكبر في تأليف هذه الكتب ونشرها.
7. تدريس القرآن الكريم وأحكام التلاوة والتجويد على شكل دورات محددة الوقت، والمنهاج يساهم مساهمة فاعلة في نشر هذا العلم بين شريحة كبيرة من المجتمع باختلاف المستويات.

ثانياً: التوصيات :

1. يوصي الباحثان المؤسسات القرآنية المختلفة الناشئة أن تحذو حذو جمعية دار القرآن الكريم السنة في تجربتها الرائدة في تعليم أحكام التلاوة والتجويد والقراءات المختلفة.
2. على المؤسسات القرآنية أن تتعاون فيما بينها وذلك بهدف تبادل الخبرات، والارتقاء بالأساليب المتبعة في تعليم القرآن برواية حفص والقراءات المختلفة.
3. على الجهات المختصة دعم الجمعيات الخيرية المختصة في تعليم أحكام التلاوة والتجويد، والقراءات المختلفة؛ لتواصل هذه الجمعيات تقديم خدماتها للجمهور.
4. دورات التلاوة والتجويد الصيفية تعتبر فرصة طيبة أمام طلاب المدارس والجامعات، وغيرهم ممن لا يتمكنون من الالتحاق بهذه الدورات خلال العام الدراسي، لذا يتوجب على الجمعيات القرآنية المختلفة أن تولي هذه الدورات عناية خاصة. كما يتوجب على الجهات الداعمة رصد ميزانية خاصة لهذه الدورات.

## المراجع

القرآن الكريم.

1. دار القرآن الكريم والسنة حقائق وأرقام، إنجازات وطموحات - 1417هـ، 1996م.
2. دار القرآن الكريم والسنة- إنجازات وطموحات - 1421هـ، 2000م
3. دار القرآن الكريم والسنة- إنجازات وطموحات - 1424هـ، 2003م
4. دار القرآن الكريم والسنة- إنجازات وطموحات - 1427هـ، 2006م
5. مطوية لقسم القراءات بدار القرآن الكريم والسنة بمناسبة إتمام الألفية الأولى لدورات التلاوة التأهيلية - قسم الطالبات - 1230هـ، 2008م.
6. وثيقة داخلية: إحصائيات دورات التلاوة - قسم الطلاب 2007م، صادرة عن إدارة دار القرآن الكريم والسنة قسم الطلاب.
7. وثيقة داخلية: إحصائيات دورات التلاوة قسم الطالبات 2007م، صادرة عن المشرفة العامة لقسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.
8. وثيقة داخلية: أكاديمية القرآن - صادرة عن إدارة دار القرآن الكريم والسنة.
9. وثيقة داخلية: التصديق على إقامة جمعية عثمانية باسم دار القرآن الكريم والسنة الخيرية بقطاع غزة - صادرة عن وزارة الداخلية بالسلطة الوطنية الفلسطينية بتاريخ 1995/6/4م.
10. وثيقة داخلية: تقرير حول دورة بعنوان: مهارات تدريس الدورات التأهيلية صادر عن إدارة لقسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة، 2006م.
11. وثيقة داخلية: تقرير حول المحاضرة التعليمية الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات لمشرفة القراءات في قسم الطالبات بمنطقة غزة، 2007م.
12. وثيقة داخلية: تقرير حول يوم دراسي بعنوان: الإشراف وكيفية تفعيله صادر عن إدارة قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة، 2007م.
13. وثيقة داخلية: مشروع الألف مجاز - صادرة عن إدارة قسم القراءات.
14. وثيقة داخلية: نشرة خاصة للمشرفات حول الدورات التطويرية في المدارس النظامية صادرة عن إدارة قسم الطالبات.
15. وثيقة داخلية: نظام الاختبارات الشفوية صادرة عن إدارة قسم القراءات.
16. وثيقة داخلية: نظام الدورات التأهيلية صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.
17. وثيقة داخلية: نظام الدورات العليا برواية حفص عن عاصم - صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.
18. وثيقة داخلية: نظام الدورات العليا بالقراءات المختلفة - صادرة عن قسم الطالبات بدار القرآن الكريم والسنة.

# الأخطاء الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم

## وسبل علاجها

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

مقدما البحث

د . عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل أ . هيفاء عبد الرؤوف إبراهيم رضوان

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص البحث

امتلأت الساحة بالتسجيلات الصوتية للقرآن الكريم، وتعددت أسماء القراء تعدداً يصعب حصره، وأصبحت الساحة مفتوحة لكل من أراد إصدار تسجيل صوتي للقرآن الكريم ولكل من أراد نشر هذه التسجيلات المختلفة، دون رقيب أو حسيب. وقد لوحظ اشتغال العديد من هذه التسجيلات على أخطاء مختلفة في اللفظ والأداء، أو أخطاء فنية تتعلق بجودة التسجيل. ولا شك أنّ التسجيلات الصوتية التي تحوي على أخطاء في اللفظ والأداء، بسعة انتشارها وكثرة المستمعين لها تساهم في نشر هذه اللحن، خاصة إذا اشتهر القارئ وأصبح ممن تبتث له العديد من الإذاعات المسموعة والمرئية، مما يوحي بشرعية هذا التسجيل وصحته.

وهذا البحث عبارة عن دراسة لعينة عشوائية من التسجيلات الصوتية المنتشرة في هذا العصر، حيث تمّ التنبيه إلى بعض اللحن والأخطاء الفنية الموجودة فيها، مع بيان حكم نشر مثل هذه التسجيلات. كما تمّ وضع مقترح للضوابط الواجب توافرها في التسجيل الصوتي للقرآن الكريم، ليكون صالحاً للنشر، والضوابط التي تحكم نشر التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم، وذلك بهدف الارتقاء بهذه التسجيلات، وصون القرآن الكريم من أن يتطرق إليه اللحن.

## ABSTRACT

Recordings of the Qur'an have spread far and wide, resulting in the emergence of a large number of people reciting it, This led to voluminous sound recordings, some of which were reproduced without due and careful control. Many of these recordings were noticed to have included different pronunciation, recitation or technical errors related to the quality of recoding and have contributed to the spread of such pronunciation and recitation errors, particularly when the persons reciting the Qur'an have acquired popularity on the audio-visual broadcasting, this has made the recordings seem appropriate and legitimate.

This research aims at surveying a random specimen of the recordings being practiced at present focusing on the tonings involved and how appropriate they are. A recommendation is being mentioned herein to observe the recognized controls when recording and reproducing the Qura'an so that the recitation of the holy qur'an can be promoted free from strange tuning.

### مقدمة البحث

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

لقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر 9)، وقد شمل هذا الحفظ القرآن الكريم لفظاً وخطاً، فحافظ المسلمون منذ مئات السنين على رسم مصحفهم تبعاً لما كتبه الصحابة الكرام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحفظوا حروفه وألفاظه، ومواقع الوقف والابتداء فيه، حتى وصل إلينا غصاً كما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة عز وجل.

ولقد وضع المسلمون ضوابط صارمة على نشر المصاحف المطبوعة برواية حفص والروايات الأخرى، حيث يتم تدقيقها ومراجعتها من قبل لجان مختصة، ويتم سحب أي إصدار يثبت أنه يحوي على أي خطأ ولو كان يسيراً، ولكن هذه المتابعة الصارمة للإصدارات المقروءة للقرآن الكريم لم يواكبها متابعة صارمة للإصدارات المسموعة للقرآن الكريم، حيث امتلأت الساحة بالتسجيلات الصوتية، وتعددت أسماء القراء تعدداً يصعب حصره، وأصبحت الساحة مفتوحة لكل من أراد أن يسجل القرآن الكريم، ولكل من ينشر هذه التسجيلات المختلفة، دون رقيب أو حسيب، ولمعت أسماء قراء جذبوا انتباه العامة، وبثت الإذاعات المسموعة والمرئية تسجيلاتهم، وما أدمى الفؤاد اشتمال هذه التسجيلات على اللحن الجلي والخفي، وتقليد كثير من العامة هؤلاء القراء بالقراءة بهذه اللحن.

والعاقل يدرك أن التسجيلات الصوتية التي تحتوي على أخطاء في اللفظ والأداء، لا تقل خطراً عن المصاحف المطبوعة التي تحتوي في كتابتها على أخطاء، ولو كانت يسيرة، بل التسجيلات الصوتية - بسعة انتشارها وكثرة المستمعين لها - تزيد خطراً خاصة إذا اشتهر القارئ وأصبح ممن تبت له العديد من الإذاعات المسموعة والمرئية مما يوحى بشرعية هذا التسجيل وصحته.

وهذا البحث عبارة عن دراسة لبعض التسجيلات الصوتية المنتشرة في هذا العصر والتنبيه إلى بعض اللحن الموجودة فيها، لبيان مدى شرعية نشر مثل هذه التسجيلات. مع وضع مقترح للضوابط الواجب توافرها في التسجيل الصوتي للقرآن

الكريم، ليكون صالحاً للنشر، والضوابط التي تحكم نشر التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم، وذلك بهدف الارتقاء بهذه التسجيلات، وصون القرآن الكريم من أن يتطرق إليه اللحن.

#### خطة البحث:

المقدمة : وتشمل طبيعة البحث وأهدافه، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف التجويد وبيان أقسامه وحكم كل قسم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف التجويد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أقسام التجويد وحكم كل قسم.

المبحث الأول: اللحن في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف اللحن وبيان أقسامه وحكم كل قسم.

المطلب الثاني: نماذج للحن الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأخطاء الفنية في التسجيلات القرآنية.

ويشتمل على مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف الخطأ الفني.

المطلب الثاني: نماذج لأخطاء فنية في التسجيلات القرآنية.

المبحث الثالث: حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن أو أخطاء فنية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن جلية.

المطلب الثاني: حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن خفية.

المطلب الثالث: حكم نشر التسجيلات المشتملة على أخطاء فنية.

المبحث الخامس: مقترح للضوابط الواجب توافرها في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: الضوابط الواجب توافرها في صاحب التسجيل.

المطلب الثاني: الضوابط الواجب توافرها في التسجيل.

المطلب الثالث: ضوابط نشر التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

الباحثان



## التمهيد

### تعريف التجويد وبيان أقسامه وحكم كل قسم

لا بد قبل الشروع في الحديث عن اللحن من التعرف على التجويد وبيان أقسامه وحكم كل قسم، للتعرف على الصفة التي يجب أن تكون عليها تلاوة القرآن الكريم.

**المطلب الأول: تعريف التجويد:**

**أولاً: تعريف التجويد:**

التجويد لغةً: مصدر جَوَّدت الشيء، ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه، يقال جَوَّد فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة.<sup>1</sup> جاء في لسان العرب: " (جود) الجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جُوداً وجودة أي صار جيداً، وأجدت الشيء فجاد، والتجويد مثله، وقد جَاد جودة وأجاد: أتى بالجيد من القول أو الفعل".<sup>2</sup>

أمّا اصطلاحاً: فهو علم يبحث في ألفاظ القرآن الكريم من حيث إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطائه حقه ومستحقه مخرجاً وصفة ووقفاً وابتداءً من غير تكلف ولا تعسف، طبقاً لما تلقاه المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>3</sup>

وحق الحرف: هي الصفات اللازمة له التي لا تنفك عنه أبداً، كالجهر والشدة والإطباق والقلقلة والغنة.<sup>4</sup>

ومستحق الحرف: هي الصفات العارضة التي يتصف بها الحرف أحياناً وتفارقه أحياناً أخرى، كالتخيم والترقيق، والمد والقصر، والغنة والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.<sup>5</sup>

قال أبو عمرو الداني:<sup>6</sup> " فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله وإحاقه بنظيره وشكله،

1 انظر: التحديد في الإتيان والتجويد ص70، النشر ج1ص210، التمهيد ص59.

2 لسان العرب ج1ص720 - باختصار، وانظر: القاموس المحيط ص350.

3 انظر: التحديد في الإتيان والتجويد ص70، النشر ج1ص210، التمهيد ص59، الإتيان في علوم القرآن ج1ص132 العميد ص8، هداية القارئ ص37، بغية عباد الرحمن ص21، غاية المرید ص40.

4 انظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ص15، الحواشي الأزهريّة ص37.

5 انظر: هداية القاري ص37، 38، بغية عباد الرحمن ص21، المغني في علم التجويد ص43.

6 هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني القرطبي أحد الأئمة في علم القرآن، ورواياته، وتفسيره، ومعانيه، وطرقه، وإعرابه، ألف في ذلك تواليف قيمة منها الإقناع في رسم المصحف، توفي سنة 444هـ. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج1ص503)

وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبر بفكه.<sup>1</sup> قال ابن الجزري<sup>2</sup>:

وهو إعطاء الحروف حَقَّها من كل صفةٍ ومستحقَّها  
وردُّ كلِّ واحدٍ لأصله واللفظُ في نظيره كمثلِه  
مكَمَّلاً من غيرِ ما تكلف باللفظِ في النطقِ بلا تعسف  
وليس بينه وبين تركه إلا رياضةً امرئ بفكه<sup>3</sup>

**المطلب الثاني: أقسام التجويد وحكم كل قسم :**

ينقسم التجويد إلى قسمين: تجويد علمي (نظري)، وتجويد عملي (تطبيقي)<sup>4</sup>.

**القسم الأول: التجويد العلمي:** وهو المعرفة النظرية لقواعد وأحكام التجويد<sup>5</sup>.

**حكمه:** التجويدُ العلميُّ فرضٌ كفايةٌ على المسلمين، إذا حفظه بعضهم بما يكفي سقط الإثمُ عن الباقيين، وإن لم يحفظه أحدٌ وأوشك أن يندثرَ أثمُ المسلمون جميعاً، لأنه أحدُ العلومِ الشرعيةِ التي لا بد للمسلمين من حفظها، ويتأكد ذلك في حقِ خاصةِ المسلمين من طلبةِ العلومِ الشرعيةِ وغيرهم من المهتمين بكتاب الله تعالى. ولا بد أن يتصدَّرَ في كل بلد من بلاد المسلمين طائفةٌ يتعلمونه ويعلمونه للناس ليستمر التواصلُ وليبقى هذا العلمُ حياً بين الناس<sup>6</sup>.

ودليل ذلك عمومُ قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة: 122).

**القسم الثاني: التجويد العملي:** وهو تطبيق أحكام التجويد العلمية على تلاوة القرآن الكريم، وقراءة القرآن الكريم مجوداً كما نزل على النبي ﷺ<sup>7</sup>.

1 النشر ج1 ص213، وانظر: التمهيد ص59.

2 هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، يكنى أبا الخير، ألف في التفسير، والحديث والفقه، والعربية، ونظم كثيراً من العلوم، من ذلك: طبية النشر في القراءات العشر، والجوهرة في النحو، توفي سنة 833هـ. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج2 ص247)

3 منظومة المقدمة فيم يجب على قارئ القرآن أن يعلمه ص3، 4.

4 انظر: غاية المرید ص35.

5 انظر: غاية المرید ص39، المغني في علم التجويد ص44.

6 انظر: أحكام قراءة القرآن الكريم ص27، المغني في علم التجويد ص44.

7 انظر: غاية المرید ص35.

**حكمه:** التجويد العملي واجب وجوباً عينياً على كل من قرأ شيئاً من القرآن الكريم، في الصلاة وغيرها.<sup>1</sup>

"ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتفافة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها"<sup>2</sup>.

**ودليل ذلك:**

**أولاً: من القرآن:** قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ (المزمل 4).

قال أبو عمرو الداني: "أي: تلبث في قراءته، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض واشتقاقه من الرتل. قال صاحب العين<sup>3</sup>: رتلت الكلام تمهلت فيه وثر رتل حسن التنضيد<sup>4</sup>،... ولم يقتصر سبحانه وتعالى على الأمر بالفعل حتى أكده بمصدره تعظيماً لشأنه وترغيباً في ثوابه، وقال تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ (الفرقان 32) أي أنزلناه على الترتيل وهو التمكن وضد العجلة"<sup>5</sup>.

والأمر في الآية للوجوب كما هو الأصل في الأمر ما لم توجد قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره كالندب، ولا قرينة هنا تصرف الأمر عن الوجوب.

ثم إن الله ﷻ أتى على أناس من خلقه وامتدحهم لتلاوتهم كتابه حق تلاوته فقال ﴿الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه، حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ (البقرة 121)، ومن حق تلاوته حسن الأداء وجودة القراءة، ويفهم من الآية ذم الذين لا يتلون كتاب الله حق تلاوته، فالذين يتلون القرآن على غير الصفة التي نزل بها وهم قادرين مستطيعون يدخلون فيمن لا يتلوه حق تلاوته.

1 انظر: النشر ج1ص212.

2 النشر ج1ص210.

3 هو الخليل بن أحمد، أبو عبد الله الفراهيدي، ويقال الفرهودي، الأزدي البصري، النحوي، الإمام المشهور، صاحب العروض، وكتاب العين وغير ذلك، روى الحروف عن عاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير، توفي سنة 170هـ. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج1ص275).

4 قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الرتل: تنسيق الشيء، وثر رتل: حسن المتنضد، ومرتل: مفلج، ورتلت الكلام ترتيلاً: إذا أمهلت فيه وأحسنه تأليفه، وهو يترتل في كلامه ويترسل: إذا فصل بعضه من بعض." (العين ج8ص113).

5 التحديد في الإتيان والتجويد ص71، 72.

وقد نقل أبو شامة المقدسي<sup>1</sup> عن الغزالي<sup>2</sup> قوله: "وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والانتمار، اللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ"<sup>3</sup>.

ثانياً: من السنة:

1. ما أخرجه السيوطي<sup>4</sup> في الدر المنثور قال: "... كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ رجلاً، فقراً الرجل **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾** (التوبة 60) مرسله (أي: بدون مد في لفظ **﴿للفقراء﴾**)، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما هكذا أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: وكيف أقرأها؟ قال أقرأها **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾** فمدها"<sup>5</sup>.  
فابن مسعود أنكروا على الرجل أن يقرأ لفظ **﴿للفقراء﴾** بغير مد، مع أن المد وعدمه لا يؤثر على بنية الكلمة ومعناها، ولكن لما كانت القراءة سنة متبعة يتلقاها الآخر عن الأول، أنكروا ابن مسعود رضي الله عنه على الرجل أن يقرأ خلاف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم التي علمها لأصحابه الكرام رضي الله عنهم.  
فدل ذلك على أن قراءة القرآن الكريم بالكيفية التي شرعها الله ليتلى عليها كتابه، والتي تلقاها النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أمر واجب.

---

1 هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة، الشيخ الإمام الحجة والحافظ ذو الفنون، صنف الكثير في أنواع من العلوم توفي سنة 665هـ. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج1 ص365).

2 هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف مولده ووفاته في الطابران، من كتبه إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة وغيرها، توفي سنة 505هـ. (انظر: الأعلام ج7 ص22).

3 المرشد الوجيز ص211.

4 هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الحضري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب، له نحو 600 مصنف في فنون متنوعة، توفي سنة 911هـ. (معجم المفسرين لعادل نويهض ج1 ص264).

5 الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج4 ص221، وانظر الحديث في المعجم الكبير للطبراني ج9 ص137 حديث رقم 8677، والحديث ذكره ابن الجزري في النشر - باب المد والقصر - بسنده إلى ابن مسعود بلفظ مقارب، "وقال: هذا حديث جليل حجة في هذا الباب، رجال إسنادهم ثقات رواه الطبراني في معجمه الكبير" النشر ج1 ص316.

2. ما أخرجه البخاري: "سئل أنس - رضي الله عنه - كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ قال: كانت مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد ﴿الرَّحْمَنِ﴾، ويمد ﴿الرَّحِيمِ﴾"<sup>1</sup>.

قال أبو عمرو: " وهذا حديث مخرج من الصحيح، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ، وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من تلخيص<sup>2</sup> وتبيين مد وتمكين وإطباق وتفتشٍ وصفير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلق من غير زيادة ولا نقصان"<sup>3</sup>.

---

1 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل القرآن. انظر: فتح الباري ج9 ص91.

2 التلخيص في اللغة: التبيين والشرح، يقال لخصت الشيء ولحصته (بالحاء والهاء) إذا استقصيت في بيانه وشرحه وتحبيره، يقال: لخص لي خبرك أي بينه لي شيئاً بعد شيء. (لسان العرب ج5 ص4017).

3 التحديد في الإتيان والتجويد ص80، 81.

## المبحث الأول

### اللحن في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف اللحن وبيان أقسامه وحكم كل قسم :

#### تعريف اللحن لغة:

اللحن في اللغة يقع على عدة معان: فاللحن الضرب من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان، ولحون. ولحن في قراءته إذا غرّد وطربّ فيها بألحان، وفلان ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناءً. واللحن: اللغة، تقول: لحن الرجل يلحن لحنًا: أي تكلم بلغته. ولحن له: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره. ولحن إليه: مال. ولحن: فطن لحجته وانتبه، و﴿في لحن القول﴾ (محمد 30)، في فحواه ومعناه. واللحن واللحن واللحانة واللحانية: ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك، تقول: لحن يلحن لحنًا ولحونًا<sup>1</sup>. وهذا المعنى الأخير هو ما قصد الحديث عنه.

قال ابن الجزري رحمه الله: " واللحن الخطأ ومخالفة الصواب وبه سمي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحنًا، وسمي فعله اللحن، لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب، والعاقل عن قصد الاستقامة."<sup>2</sup>

تعريف اللحن في الاصطلاح: هو خلل يطرأ على الألفاظ القرآنية<sup>3</sup>.

واللحن قسمان: لحن جلي ولحن خفي<sup>4</sup>.

#### أولاً: اللحن الجلي :

الجلي لغةً : الواضح الظاهر، تقول: جلا الأمر وجلاه وجلى عنه أي كشفه وأظهره، وقد انجلي وتجلي. وأمر جلي: واضح، واجل لي هذا الأمر أي أوضحه، والجلي نقيض الخفي<sup>5</sup>.

#### اللحن الجلي في الاصطلاح:

1 انظر: القاموس المحيط ص1587، لسان العرب ج5ص4013.

2 التمهيد في علم التجويد ص76.

3 انظر: النشر ج1ص211.

4 انظر: التحديد والإثقان ص118، جمال القراءة وكمال الإقراء ص529، النشر ج1ص211.

5 انظر: لسان العرب ج1ص669، 670.

هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم<sup>1</sup>.

وقد ذكر علماء التجويد تعريفات للحن الجلي نذكر منها:

1. هو لحن الإعراب<sup>2</sup> أو هو تغيير الإعراب<sup>3</sup>.
  - قال ابن مجاهد<sup>4</sup>: "الحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"<sup>5</sup>.
  2. هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل<sup>6</sup>.
  - قال ابن الجزري رحمه الله: "فأما اللحن الجلي فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف وخلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والمخل بالمعنى والعرف هو تغيير بعض الحركات عما ينبغي، نحو أن تضم التاء في قوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة 7)، أو تكسرها، أو تفتح التاء في قوله: ﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ﴾ (المائدة 77). والقسم الثاني من الجلي المخل بالعرف دون المعنى نحو رفع الهاء ونصبها من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الفاتحة 2)"<sup>7</sup>.
  3. هو خطأ يطرأ على اللفظ فيخل بمبنى الكلمة، وعرف القراءة، سواء أخل بالمعنى أم لم يخل<sup>8</sup>.
  5. هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والمبنى، ويخل بموازين القراءة وقوانين اللغة<sup>9</sup>.
- وجامع التعريفات السابقة ما ذكرناه أولاً، فاللحن الجلي حده أنه خطأ ظاهر يشترك في معرفته عامة الناس مع علماء التجويد، ولهذا السبب سمي جلياً.
- ويكون اللحن الجلي في الحروف والكلمات والحركات والسكنات:**
- أما في الحروف فصوره ثلاثة :**

1 انظر: النشر ج1ص211.

2 التحديد في الإتيان والتجويد ص118.

3 جمال القراءة وكمال الإقراء ج2ص529.

4 هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ، الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبغ السبعة، مؤلف كتاب السبعة في القراءات، روى القراءة سماعاً عن أبي جعفر الطبري توفي سنة 324هـ. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج1 ص129).

5 التحديد في الإتيان والتجويد ص118.

6 انظر: التمهيد ص77، نهاية القول المفيد ص40، هداية القاري ص47، حق التلاوة ص53.

7 التمهيد ص77.

8 انظر: غاية المرید ص41، بغية عباد الرحمن ص25، المغني في علم التجويد ص49.

9 المرشد في علم التجويد ص30.

الأولى: إبدال حرف بحرف آخر :

• كإبدال الحاء هاءً لتقارب مخرجهما نحو قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة 2)، ويتأكد اللحن عند تجاورهما نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (ق 40).

الثانية: زيادة حرف في الكلمة :

• كزيادة الفاء قبل التاء في نحو قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الفيل 4).

الثالثة: إنقاص حرف من الكلمة :

• كإنقاص الباء من ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ في نحو قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعْتَنِي عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة 150) ونحو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (النصر 3).

ومن الحذف عدم تشديد الحرف المشدد، فالحرف المشدّد عبارة عن حرفين في الوزن واللفظ، الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فيجب على القارئ أن يبين المشدّد حيث وقع ويعطيه حقه ويميزه مما ليس مشدّداً لأنه إن فرط في تشديده حذف حرفاً من تلاوته، نحو ﴿إِيَّاكَ﴾ و﴿الرَّحْمَنَ﴾.

أما في الكلمات فصوره ثلاثة أيضاً :

الأولى: إبدال كلمة بكلمة أخرى :

• كإبدال كلمة (حليم) بكلمة (رحيم) في نحو قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة 225).

الثانية: زيادة كلمة في الآية:

• كزيادة كلمة (مقتاً) بعد كلمة (فاحشة) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء 32).

الثالثة: إنقاص كلمة من الآية:

• كإنقاص ﴿مَا فِي﴾ من قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الصف 1).

أما في الحركات والسكنات، فكإبدال حركة بحركة أخرى أو سكون، أو إبدال سكون بحركة.

• كإبدال فتحة التاء كسرة أو ضمة في نحو قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة 7).

• وتحريك الميم الساكنة بالفتح في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام 148).

\* رفع لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر 28).



**حكمه :**

- للحن الجلي حرام بالإجماع إذا تعمد القارئ أو تساهل فيه<sup>1</sup>، ويستثنى من ذلك ثلاثة فيعفى عنهم، ولكن لا تصح لهم الإمامة إلا بأمثالهم<sup>2</sup>، وهم:-
- 1- من كان في لسانه عوج خلقي لا يمكن معه النطق السليم.
  - 2- من كان في لسانه عجمة لا تمكنه من النطق ببعض الأحرف.
  - 3- العجوز الذي تخشب لسانه على نطق بعض الأحرف، ولا يتمكن من تعديل نطقه.
- قال ابن الجزري رحمه الله: "والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم، أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح، استغناء بنفسه، واستبداداً برأيه وحدسه واتكلاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك، وأثم بلا ريب، وغاش بلا مريية... أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها."<sup>3</sup>

---

1 جاء في مغني المحتاج في حديثه عن صفة قراءة الفاتحة في الصلاة: "ويجب رعاية تشديداتها، فلو خفف منها تشديدة بطلت قراءة تلك الكلمة لتغييره النظم، بل قال في الحاوي والبحر: لو ترك الشدة من قوله ﴿إياك﴾ متعمداً وعرف معناه أنه يكفر، لأن الأيا ضوء الشمس فكأنه قال نعبد ضوء الشمس، وإن كان ناسياً أو جاهلاً سجد للسهو، ولو شدد المخفف أساء وأجزأه، ولو أبدل ضاداً منها: أي أتى بدلها بظاء لم تصح قراءته لتلك الكلمة في الأصح لتغييره النظم واختلاف المعنى، فإن الضاد من الضلال والظاء من قولهم: ظل يفعل كذا ظلواً إذا فعله نهراً، وقياساً على باقي الحروف، والثاني تصح لعسر التمييز بين الحرفين على كثير من الناس، والخلاف مخصوص بقادر لم يتعمد أو عاجز أمكنه التعلم فلم يتعلم، أما العاجز عن التعلم فتجزئه قطعاً وهو أمي، والقادر المتعمد لا تجزئه قطعاً، ولو أبدل الضاد بغير الظاء لم تصح قراءته قطعاً." (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ج1ص157، 157).

2 انظر: النشر ج1ص211، المغني في علم التجويد ص56.

3 النشر ج1ص210، 211.

وإذا حصل لحن جلي في سورة الفاتحة فأخل بالمعنى كضم التاء أو كسرها في ﴿أنعمت﴾ فتبطل به الصلاة، أما إذا لم يخل بالمعنى فالفتوى على أنه لا تبطل به الصلاة، وفاعله يأثم، أما في غير الفاتحة فلا تبطل به الصلاة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل، وفاعله آثم<sup>1</sup>.

قال الشافعي رحمه الله: "قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ (المزمل 4)، وأقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة، وكلما زاد على أقل الإبانة في القراءة، كان أحب إليّ ما لم يبلغ أن تكون الزيادة فيها تمطيلاً، وأحب ما وصفت لكل قارئ في صلاة وغيرها، وأن له في المصليّ أشد استحباباً منه للقارئ في غير صلاة، فإذا أيقن المصلي أن لم يبق من القراءة شيء إلا نطق به، أجزأته قراءته،... وأكره أن يكون الإمام لحناً، لأن اللحن قد يحيل معاني القرآن، فإن لم يلحن لحناً يحيل معنى القرآن، أجزأته صلاته، وإن لحن في أم القرآن لحناً يحيل معنى شيء منها، لم أر صلاته مجزئة عنه، ولا عمّن خلفه، وإن لحن في غيرها كرهته، ولم أر عليه إعادة، لأنه لو ترك قراءة غير أم القرآن، وأتى بأم القرآن رجوت أن تجزئه صلاته؛ وإذا أجزأته، أجزأت من خلفه -إن شاء الله-، وإن كان لحنه في أم القرآن وغيرها لا يحيل المعنى، أجزأت صلاته، وأكره أن يكون إماماً بحال<sup>2</sup>.

ثانياً: اللحن الخفي:

الخفي في اللغة:

خَفِيَ الشيء بَخْفَى خَفَاءً فهو خَافٍ وَخَفِيٌّ: لم يظهر، وخفاه هو وأخفاه: ستره وكتمه<sup>3</sup>.

فاللحن الخفي في اللغة هو الخطأ المستتر غير الواضح.

اللحن الخفي في الاصطلاح: هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل إخلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة<sup>4</sup>.

وسمي خفياً: لخفائه على الناس، واختصاص القراء ومن كانت له معرفة بأحكام التجويد بمعرفته دون غيرهم.

وقد وردت عدة تعريفات للحن الخفي نذكر منها:

1. هو ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه<sup>5</sup>.

1 انظر: المغني لابن قدامة ج1ص482، 483، الأم ج2ص251، الفقه الإسلامي وأدلته ج1ص650.

2 الأم ج2ص250,251.

3 انظر: معجم مقاييس اللغة ج2ص202، القاموس المحيط ص1652.

4 انظر: النشر ج1ص211.

5 التحديد في الإتيان و التجويد ص118.

2. هو أن لا يوفي القارئ الحرف حقه بأن يقصّر في صفته التي هي له، أو يزيد على ذلك كالإفراط في التمطيط، والتعسف في التقكيك، والإسراف في إشباع الحركات وفي التشديد<sup>1</sup>.

3. هو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة دون المعنى<sup>2</sup>. قال ابن الجزري رحمه الله: "وأما اللحن الخفي فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى... واللحن الخفي هو مثل تكرير الرءاءات وتظنين الغنات<sup>3</sup>، وتغليظ اللامات، وإسمانها وتشريبها الغنة، وإظهار المخفي، وتشديد الملين، وتليين المشدد، والوقف بالحركات كوامل... وذلك غير محل بالمعنى ولا مقصر باللفظ، وإنما الخلل الداخل على اللفظ فساد رونقه وحسنه وطلاوته"<sup>4</sup>.

5. هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة دون إخلال بمبنى الكلمة<sup>5</sup>.  
6. خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة ولا يخل بالمبنى سواء أخل بالمعنى أم لم يخل<sup>6</sup>.  
7. هو خطأ يعرض للألفاظ فيخل بقواعد التجويد، ولكن لا يخل بالمعنى، ولا بالإعراب<sup>7</sup>.  
وجامع التعريفات السابقة ما ذكرناه أولاً، فاللحن الخفي حده أنه يخفى على العامة، ويختص القراء بمعرفته.

#### واللحن الخفي نوعان :

الأول: لحن خفي بسيط الخفاء يعرفه عامة القراء مثل قصر المد اللازم، أو ترك الغنة في مكانها، وترك الإظهار في مكانه والإدغام والإخفاء، أو ترك غير ذلك من أحكام التلاوة الظاهرة<sup>8</sup>.  
الثاني: لحن خفي شديد الخفاء لا يعرفه إلا خاصة القراء ومهترهم، وهو عدم إحكام التلاوة، وترك الإتيان بها في أدق صورها وأروع مظاهرها، وذلك بأن يزيد القارئ مقدار

1 جمال القراء وكمال الإقراء ج2ص529.

2 انظر: التمهيد ص77، نهاية القول المفيد ص41، هداية القاري ص48.

3 تظنين الغنات: هو شدة إصاق اللسان بمخرج النون بمبالغة وتطويل لزمان الغنة، وأما تظنين الغنات في الميم فهو أيضاً بإصاق اللسان أثناء انطباق القم، والصحيح أن يبقى معلقاً. (علم التجويد للغوثاني ص14)

4 التمهيد ص77، 78.

5 انظر: غاية المرید ص41، والمغني في علم التجويد ص57.

6 بغية عباد الرحمن ص27، 28.

7 الواضح في أحكام التجويد ص14.

8 انظر: المنح الفكرية على متن الجزرية ص19، هداية القاري ص48.

المد أو الغنة عن مقداره زيادة يسيرة، أو بأن يباليغ في تفخيم الحروف المفخمة فيزيد عن الحد المطلوب، أو يباليغ في ترقيق الحروف المرققة فيظن أنها ممالة، أو يباليغ في تحقيق الهمز المسبوق بحرف مد فيظن السامع أنه مشدد، أو بأن ينطق الحرف المضموم دون أن يضم شفثيه، وبالمفتوح دون أن يفتح شفثيه، وبالمكسور دون أن يخفض فكه السفلي، وغير ذلك من الأمور التي لا تخل بالقراءة الصحيحة، ولا تقدر في ضبط التلاوة، إنما تُخلُّ بكمال الضبط ونهاية الحسن والبلوغ بالقراءة إلى أسمى مراتب الإحسان والإتقان<sup>1</sup>.

### حكم اللحن الخفي:

#### 1. اللحن الخفي بسيط الخفاء :

بأنتم فاعله إذا قصر أو تساهل فيه لما سبق ذكره من فرضية العمل بالتجويد، حيث إن تطبيق أحكام التجويد واجب شرعي، يثاب على فعله ويعاقب على تركه. وقد نقل ابن الجزري عن الشيخ نصر الشيرازي<sup>2</sup> قوله: "فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتعبير إليه سبيلاً"<sup>3</sup>

وقال المحقق ابن الجزري: "ولاشك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتأقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها والعدول عنها إلى غيرها"<sup>4</sup>.

وقد سئل العلامة ناصر الدين الطبرلاوي<sup>5</sup>: هل يجب إدغام النون الساكنة والتنوين عند حروف الإدغام وإظهارهما عند حروف الإظهار، وإخفاؤهما عند حروف الإخفاء، وقلبهما عند حرف الإقلاب، أم لا؟

1 انظر: المنح الفكرية على متن الجزرية ص20،

2 هو نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي، أبو عبد الله، ابن أبي مريم، خطيب شيراز وعالمها وأديبها في عصره، له تفسير القرآن، والموضح في القراءات الثمان وغيرها، ت بعد 565هـ. انظر: (الأعلام ج8 ص26، 27).

3 النشر ج1 ص211.

4 النشر ج1 ص220.

5 هو العلامة محمد بن سالم الطبرلاوي، ناصر الدين، من علماء الشافعية بمصر، عاش نحو مائة سنة، وانفرد بإقراء العلوم الشرعية وآلاتها حفظاً، ولم يكن في مصر أحفظ لهذه العلوم منه، له شرحان على

وإذا كان واجباً فهل يجب على مؤدب الأطفال تعليمهم ذلك؟ وهل المدّ اللازم والمتصل كذلك؟ وإذا قلتم بالوجوب في جميع ذلك فهل هو شرعي يثاب فاعله، ويأثم تاركه، ويكون تركه لحناً، أو صناعي فلا ثواب لفاعله، ولا إثم على تاركه، ولا يكون لحناً؟ وماذا يترتب على تارك ذلك؟، وإذا أنكر شخص وجوبه، فهل هو مصيب أو مخطئ؟ وماذا يترتب عليه في إنكار ذلك؟  
أفتونا أثابكم الله.

فأجاب بقوله: الحمد لله الهادي للصواب نقول بالوجوب في جميع ذلك من أحكام النون والتنوين والمد اللازم والمتصل ولم يرد عن أحد من الأئمة أنه خالف فيه، وإنما تفاوتت مراتبهم في المد المتصل مع اتفاقهم على أنه لا يجوز قصره كقصر المنفصل في وجه من الوجوه، وقد أجمعت الفقهاء والأصوليون على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ<sup>1</sup> مع وروده في الجملة، فما بالك بقراءة ما لم يرد أصلاً.

وقد نصت الفقهاء على أنه إذا ترك شدة من الفاتحة كشدة ﴿الرحمن﴾ منها بأن جزم اللام وأتى بها ظاهرة فلا تصح صلاته، ويلزم من عدم الصحة التحريم<sup>2</sup>.

---

(البهجة الوردية)، وبداية القاري في ختم البخاري، نسبته إلى طبلية من قرى المنوفية ت 966هـ—  
(انظر: الأعلام ج6ص134).

1 القرآن الذي تجوز به الصلاة باتفاق هو المضبوط في مصاحف الأئمة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، والذي أجمع عليه الأئمة العشرة، وهذا هو المتواتر جملة وتفصيلاً، والشاذ ما وراء العشرة. (انظر: حاشية رد المحتار لابن عابدين ج1ص486). وقال أبو عمرو بن الحاجب شيخ المالكية: "لا يجوز القراءة بالشاذ في صلاة ولا غيرها عالماً كان بالعربية أو جاهلاً، وإذا قرأ بها قارئ فإن كان جاهلاً بالتحريم عرف به وأمر بتركها وإن كان عالماً أدب بشرطه وإن أصر على ذلك أدب على إصراره وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك، وأما تبديل آتنا بأعطنا وسولت بزيت ونحوه فليس هذا من الشواذ وهو أشد تحريماً والتأديب عليه أبلغ والمنع منه أوجب." (منجد المقرئين ص18).

2 قال ابن قدامة في حديثه عما يلزم المصلي في الصلاة: "يلزمه أن يأتي بقراءة الفاتحة مرتبة مشددة غير ملحون فيها لحناً يحيل المعنى، فإن ترك ترتيبها أو شدة منها أو لحن لحناً يحيل المعنى مثل أن يكسر كاف ﴿إياك﴾ أو يضم تاء ﴿أنعمت﴾ أو يفتح ألف الوصل في ﴿اهدنا﴾ لم يعتد بقراءته، إلا أن يكون عاجزاً عن غير هذا،... وهذا هو مذهب الشافعي، وقال القاضي في الجامع لا تبطل بترك شدة لأنها غير ثابتة في خط المصحف، وهي صفة للحرف، ويسمى تاركها قارئاً، والصحيح الأول، لأن الحرف المشدد أقيم مقام حرفين بدليل أن شدة ﴿الرحمن﴾ أقيمت مقام اللام، وشدة ذال ﴿الذين﴾ أقيمت مقام اللام أيضاً، فإذا أخل بها أخل بالحرف وما يقوم مقامه وغير المعنى." (المغني لابن قدامة ج1ص482، 483).

... فيجب على كل عاقل له ديانة أن يتلقاها بالقبول عن الأئمة المعترين، ويرجع إليهم في كيفية أدائه، لأن كل فن إنما يؤخذ عن أهله فاعتن به ولا تأخذ بالظن، ولا تنقله عن غير أهله. ويجب على المعلم للقرآن أن يعلم تلك الأحكام وغيرها مما اجتمعت القراءة على تلقيه بالقبول لأن كل ما اجتمعت عليه القراءة حرمت مخالفته، ومن أنكر ذلك أي مما تقدم كله، فهو مخطئ آثم يجب عليه الرجوع عن هذا الاعتقاد<sup>1</sup>.

وجاء في نهاية القول المفيد: "قال البركوي<sup>2</sup> في شرحه على الدر اليتيم: تحرم هذه التغييرات جميعها لأنها وإن كانت لا تخل بالمعنى لكنها تخل باللفظ لفساد رونقه وذهاب حسنه وطلاوته"<sup>3</sup>.

#### ب. اللحن الخفي شديد الخفاء.

اللحن الخفي شديد الخفاء قبيح مستكره في التلاوة، ويجب على قارئ القرآن أن يجتهد في تعلم القرآن وتطبيق أحكامه بالشكل الصحيح، حسب استطاعته، كما لا تقبل التلاوة المشتملة على هذا النوع من اللحن إذا كانت على سبيل الرواية.

روى سليم<sup>4</sup> عن حمزة<sup>5</sup>، قال: "إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً، أو قال: ما يخطئ حرفاً وما هو من القراءة في شيء"<sup>6</sup>. قال أبو عمرو: "يريد أنه لا يقيم قراءته على حدها ولا يؤدي ألفاظه على حقها ولا يوفي الحروف صيغتها، ولا ينزلها منازلها من التلخيص والتبيين والإشباع والتمكين، ولا يميز ما بين سين وصاد

---

1 نهاية القول المفيد ص42، 43 باختصار، وتصرف يسير، وانظر: أحكام قراءة القرآن الكريم ص39-41.

2 هو محمد بن بدير علي بن اسكندر البركلي الرومي، محي الدين، عالم بالعربية نحواً و صرفاً، له اشتغال بالفرائض ومعرفة بالتجويد، تركي الأصل والمنشأ. من أهل قسبة (بالي كسرى)، كان مدرساً في قسبة (بركي) فنسب إمعان النظر وهو شرح المقصود في الصرف، والدرة اليتيمة في التجويد وغيرها، توفي سنة 981هـ. (انظر: الأعلام ج2ص49، ج6ص61).

3 نهاية القول المفيد ص42.

4 هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب، أبو عيسى، مولاهم الكوفي المقرئ صاحب حمزة الزيات، وأخص تلاميذه، ولد سنة ثلاثين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة من الهجرة. (انظر: معرفة القراء الكبار ج1ص138، 139)

5 هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي الزيات، ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فلعله رأى بعضهم، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله، حافظاً للحديث، تصدر للإقراء بالكوفة، وتوفي سنة ست وخمسين ومائة. (انظر: غاية النهاية ج1ص261-263).

6 التحديد في الاتقان والتجويد ص84.

## الأخطاء الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم وسبل علاجها

وظاء، ولا ضاد ولا يفرق بين مشدد ومخفف، ومدغم ومظهر، ومفخم ومرقق، ومفتوح وممال، وممدود ومقصور، ومهموز وغير مهموز، وغير ذلك من غامض القراءة وخفاء التلاوة الذي لا يعلمه إلا المهرة من المقرئين، ولا يميزه إلا الحذاق من المتصدرين الذين تلقوا ذلك أداءً، وأخذوه مشافهةً، وضبطوه وقيدوه، وميزوا جليته، وأدركوا خفيه، وهم قليل من الناس"<sup>1</sup>.

---

1 التحديد في الاتقان والتجويد ص 84، 85.

المطلب الثاني: نماذج للحن الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم<sup>1</sup>.

أولاً: نماذج للحن جلية:

| القارئ- نوع العينة          | الحن                | موضع اللحن  | الصواب                             |
|-----------------------------|---------------------|---|------------------------------------|
| أحمد العجمي-<br>أشرطة كاسيت | حذف حرف             | ﴿ثم سئلوا الفتنة<br>لأتوها﴾ (الأحزاب<br>14) بحذف الألف<br>التي بعد الهمزة | ﴿ثم سئلوا الفتنة<br>لأتوها﴾        |
|                             | تحريك الحرف الساكن  | ﴿عذراً أو نذراً﴾<br>(المرسلات 6) بضم<br>الذال                             | ﴿عُذراً أو نُذراً﴾<br>بإسكان الذال |
|                             | إسكان الحرف المتحرك | ﴿وهي تقور﴾<br>(الملك 7) بإسكان<br>الهاء.                                  | ﴿وهي تقور﴾ بكسر<br>الهاء           |

ويلاحظ أنّ جميع اللحن الجلية التي وجدت، هي لحن جلية غير مخلة

بالمعنى وإن أخلت بعرف القراءة ومبنى الكلمة.

ثانياً: نماذج للحن خفية:

أ. لحن خفي بسيط الخفاء

| القارئ       | نوع العينة                        | الحن                 | موضع اللحن   |
|--------------|-----------------------------------|----------------------|--|
| توفيق الصائغ | قناة المجد الفضائية للقرآن الكريم | تفخيم ما حقه الترقيق | ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ (آل عمران 104) حيث وقف على الكلمة وفخم الراء <sup>2</sup> . |
|              |                                   | قلقلة حرف ليس من     | 1. ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾   |

1 العينات العشوائية التي تمّ الاستماع إليها شملت التسجيلات القرآنية برواية حفص، وروايات أخرى، ولكن لم يتم ذكر سوى العينات برواية حفص عن عاصم لسعة انتشارها وكثرة تداولها، واشتهار أصولها وفرشها، وما يستلزمه ذكر الأخطاء في التسجيلات بالقراءات بالروايات الأخرى من ضرورة شرح الأحكام الخاصة بالقراءات المختلفة التي وقع فيها اللحن وهذا ليس محل هذا البحث المقتضب.

2 حكم الراء هنا الترقيق عند الوقف لأنها ساكنة لأجل الوقف وقبلها ياء ساكنة.



الأخطاء الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم وسبل علاجها

|  |  |             |             |
|--|--|-------------|-------------|
| حرف القلقة                                   | حيث قرأ بقلقة السين<br>2. ﴿إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم﴾ (آل عمران 103) حيث قرأ بقلقة العين              |             |             |
| قصر المنفصل في موضع، ومدّه في المواضع الأخرى | ﴿يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا...﴾ (آل عمران 100) حيث قرأ بقصر المنفصل في هذه الكلمة ومدّه في باقي التلاوة   |             |             |
| ترك الغنة في النون المشددة                   | 1. ﴿إِنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ﴾ (طه 98)<br>2. ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة 33) | أشربة كاسيت | أحمد العجمي |
| ترك القلقة في حروفها                         | 1. ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ﴾ (الذاريات 30)<br>2. ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ (الطور 5)          |             |             |
| ترك الهمس في حروفه                           | ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات 55)  |             |             |
| تخفيف المشدّد وقفاً                          | ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ أَيَّنَ الْفِرِّ﴾ (القيامة 10)  |             |             |

ب - لحن شديد الخفاء

| القارئ                        | نوع العينة                      | اللحن                                       | موضع اللحن                                       |
|-------------------------------|---------------------------------|---|--|
| الشيخ السديس إمام الحرم المكي | كاسيت، اسطوانات ممغنطة          | إطالة زمن حرف المد عن مقداره<br>إطالة بسيطة | الحمد لله رب العالمين.<br>(الفتحة 2)             |
| عبد الله البريمي              | قرآن مرتل - قناة المجد الفضائية |   | ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ (القيامة 40) |
| توفيق الصائغ                  | اسطوانات ممغنطة                 |   | ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ (غافر 7)                 |
| صلاح بو خاطر                  | قرآن مرتل - قناة                | إنقاص زمن حرف المد عن مقداره.               | ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ (آل عمران 97) حيث           |

| المجد<br>الفضائية                                 |  | أنقص المد عن مقداره<br>عند وقفه على هذه<br>الكلمة   |
|---|--|---|
| عبد الله<br>محمد<br>المطروود<br>المجد<br>الفضائية | قرآن<br>مرتل - قناة<br>المجد<br>الفضائية | تفخيم الحرف المرقق تفخيماً بسيطاً<br>بسبب مجاورته لحرف مفخم<br>﴿وينهى عن الفحشاء<br>والمنكر والبغى﴾ (النحل<br>90) حيث فخم الباء<br>تفخيماً بسيطاً |
| علي جابر  | اسطوانات<br>ممغنطة                       | ﴿والذين من قبلهم﴾<br>(آل عمران 10)  |
| سعد<br>الغامدي                                    | اسطوانات<br>ممغنطة                       | ﴿إذا انقلبوا﴾<br>(يوسف 62).<br>﴿على أخيه من قبل﴾<br>(يوسف 64)   |
| خالد<br>القحطاني                                  | اسطوانات<br>ممغنطة                       | ﴿إلى الكهف فقالوا﴾<br>(الكهف 10)  |
| أحمد<br>العجمي                                    | كاسيت                                    | ﴿يرجـ صرصر﴾<br>(الحاقة 6)   |
|   |  | إنقاص زمن الغنة عن مقداره   |
|   |  | ﴿فأتَمَّوا إليهم عهدهم إلى<br>مدتهم﴾ (التوبة 4)   |
|   |  | ﴿غير معجزي الله﴾<br>(التوبة 2)  |
|   |  | ﴿إنَّ هذه تذكرة﴾<br>(الإنسان 29)  |
|   |  | النطق بالكسرة بين الكسرة والفتحة  |

## المبحث الثاني

### الأخطاء الفنية في التسجيلات القرآنية

#### المطلب الأول: تعريف الخطأ الفني:

التعريف اللغوي:

الخطأ لغةً: ضد الصواب، وقد أخطأ إخطاءً وخاطئةً، والخطأ ما لم يعتمد.<sup>1</sup>  
والفني: نسبة إلى الفن وهو في اللغة الحال والضرب من الشيء، والمطل، والعناء، والتزيين.<sup>2</sup>

#### التعريف الاصطلاحي:

الأخطاء الفنية هي الأخطاء التي تخل بجودة التسجيل من حيث إخراج وتنسيق المادة المسجلة، ووضوحها.

#### المطلب الثاني: نماذج لأخطاء فنية في التسجيل.

| القارئ                 | نوع العينة                           | الخطأ الفني                                 | موضع الخطأ  |
|------------------------|--------------------------------------|---|---|
| أبو بكر<br>الشاطر<br>ي | كاسيت                                | قطع في الصوت في<br>وسط كلمة نهاية<br>الشريط | نهاية الشريط الثاني من<br>المصحف المرتل: قطع في<br>نهاية آخر آية من سورة آل<br>عمران في وسط كلمة<br>﴿لعلكم﴾ (آل عمران 200)<br>هكذا: ﴿واتقوا الله لعل...﴾. |
| صلاح<br>بو<br>خاطر     | قرآن مرتل-<br>قناة المجد<br>الفضائية | قطع في الصوت<br>أذهب بعض الحروف             | ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾<br>(آل عمران 93) حيث ذهب<br>جزء من التاء.  |
| أحمد<br>العجمي         | كاسيت                                | كلام خارج عن<br>التلاوة في وسط<br>الشريط.   | 1. تسجيل أسماء السور.<br>مثال: ما تم إضافته للتلاوة:<br>"سورة القمر" قبل البسملة<br>لسورة القمر، وكذلك في سورة<br>الطور.                                  |

1 انظر: القاموس المحيط ص49.

2 انظر: لسان العرب ج5ص3465، القاموس المحيط ص1577.

الأخطاء الواردة في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم وسبل علاجها

|   |   |  |  |
|---|---|--|--|
| <p>2. تسجيل الاستعاذة في وسط التلاوة. مثال: تسجيل الاستعاذة بعد نهاية الطور وقبل سورة النجم في وسط التلاوة.</p>         |   |  |  |
| <p>تُرك تسجيل البسملة بين السور من سورة الفيل إلى نهاية المصحف. رغم تسجيلها في بداية معظم السور التي تبدأ بالبسملة.</p> | <p>تسجيل البسملة قبل بعض السور وتركها في البعض الآخر.</p> |  |  |

#### المبحث الرابع

حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن أو أخطاء فنية.

**المطلب الأول: حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن جلية.**

من خلال الأدلة الواردة على فرضية التجويد وتحريم اللحن الجلي في قراءة القرآن، فإنه يتبين تحريم نشر التسجيلات المشتملة على لحن جلية لما في ذلك من إشاعة التحريف واللحن في تلاوة القرآن<sup>1</sup>، كما أنّ نشر هذه التسجيلات وتداولها، وإذاعتها في وسائل الإعلان، يضيفي شرعية على هذه التسجيلات ويعزز ثقة الجمهور بها، ويشجع على سماعها، والقراءة بالكيفية الموجودة فيها، مما يساهم في إشاعة التحريف في القرآن على نطاق واسع. ولا يقتصر الإثم على صاحب التسجيل، وإنما يشترك فيه الجهة الناشرة والموزعة لهذه الأشرطة، ويتعدى الإثم إلى ولاية الأمر إن علموا بوجود اللحن في هذه التسجيلات ولم يبادروا بسحبها من الأسواق، وتنبهه العامة إلى ما فيها من لحن. والله تعالى أعلم

**المطلب الثاني: حكم نشر التسجيلات المشتملة على لحن خفية.**

**أولاً: التسجيلات المشتملة على لحن خفية بسيطة الخفاء.**

بناءً على ما ذكر من تحريم اللحن الخفي بسيط الخفاء في تلاوة القرآن فإنه يحرم أيضاً نشر التسجيلات المشتملة على هذا النوع من اللحن. والله تعالى أعلم.

**ثانياً: التسجيلات المشتملة على لحن خفية شديدة الخفاء:**

يكره نشر هذه التسجيلات وتداولها لما فيها من نشر لأمثال هذه اللحن، واقتداء الناس بها. والله تعالى أعلم.

**المطلب الثالث: حكم نشر التسجيلات المشتملة على أخطاء فنية.**

يُحدد حكم نشر التسجيلات المشتملة على خطأ فني، بتأثير هذا الخلل الفني على التلاوة فإن أدى هذا الخطأ الفني إلى إخلال ببنية الكلمة القرآنية من حيث الزيادة أو النقصان، أو أخل بحركات الكلمة أو سكناتها، فإنه يأخذ حكم اللحن الجلي في التسجيلات القرآنية. أمّا إذا لم يؤثر في مبنى الكلمة أو حركاتها أو سكناتها، وإنما تعلق بوضوح التسجيل وصفائه، فإنّ الأولى عدم النشر، لأنّ القرآن الكريم حريّ أن يعتنى بنشره مسموعاً، وأن تستبعد التسجيلات رديئة التسجيل من الأسواق.

1 انظر حكم اللحن بأنواعه في المبحث الأول من الدراسة.

## المبحث الخامس

مقترح للضوابط الواجب توافرها في التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

**المطلب الأول:** الضوابط الواجب توافرها في صاحب التسجيل.

يجب أن تتوفر في صاحب التسجيل عدة أمور نذكر منها:

1. أن يكون صاحب سيرة طيبة، معروفاً بالصلاح والتقوى.
2. أن يكون حاصلًا على إجازة معتمدة في الرواية التي يسجل بها قراءته على الأقل.
3. أن يكون متقناً ضابطاً.
4. أن يكون حسن الصوت والأداء.

**المطلب الثاني:** الضوابط الواجب توافرها في التسجيل.

1. أن يكون التسجيل خالياً من اللحن الجلية والخفية.
2. أن يكون على درجة عالية من النقاوة والوضوح.
3. أن يخلو من أي حذف للآيات، أو الكلمات أو الحروف، وخاصة في أوائل الأشرطة أو أواخرها عند إعادة طباعة التسجيل.
4. أن يخلو من أي خلل في ترتيب السور والآيات.
5. أن يخلو من أي إضافات في أوسط السور كتكبيرة الإحرام، أو التكبيرات لسجدة التلاوة، أو البسملة في غير أوائل السور و بداية التسجيل، أو الاستعاذة في غير بداية التسجيل.

**المطلب الثالث:** ضوابط نشر التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم.

1. أن تحصل الجهة التي تتولى التسجيل والنشر على ترخيص من اللجنة المختصة بمراقبة ومراجعة التسجيلات الصوتية، وذلك لمباشرة التسجيل.
2. بعد مباشرة التسجيل يجب عرضه على اللجنة قبل نشره للحصول على ترخيص للنشر. كما يجب الحصول على ترخيص آخر عند إعادة الطباعة.
3. أي تسجيل يثبت أنه يحتوي على خلل فني في التسجيل أو الطباعة يجب سحبه مباشرة من الأسواق.
4. التسجيلات المنتشرة حالياً في الأسواق وغير معتمدة من جهات رسمية كلجنة مراقبة المصاحف في الأزهر في جمهورية مصر العربية، ومجمع الملك فهد في المملكة العربية السعودية، يجب عرضها على لجنة مختصة تقوم بمراجعتها عن طريق السماع ورفع تقرير للجهات المختصة مع بيان هل تصلح هذه التسجيلات للنشر والمداولة أم لا.

5. على المؤسسات التي تتولى طباعة ونشر الأشرطة القرآنية أو الاسطوانات الممغنطة أو أية وسائل أخرى للتسجيل الصوتي للقرآن الكريم أن تلتزم بالضوابط المطلوبة لنشر التسجيلات القرآنية، وعلى الجهات المختصة مساءلة هذه المؤسسات وسحب منتجاتها من الأسواق إذا ثبت مخالفتها لهذه الضوابط.

### النتائج

1. التسجيلات القرآنية لم تلق العناية الكافية من الأمة في تنقيحها وضبط نشرها.
  2. هناك تسجيلات قرآنية يكثر بثها في الإذاعات المسموعة والمرئية، وتباع بشكل واسع في المكتبات، وهي مشتملة على لحن خفية بشكل كبير، وبعضها يشتمل على لحن جلية بالإضافة إلى اللحن الخفية.
  3. اللحن الجلية التي تم اكتشافها في العينة المنتقاة من التسجيلات القرآنية جميعها غير مخلة بالمعنى.
  4. يحرم نشر التسجيلات المشتملة على لحن جلية.
  5. يكره نشر وتداول التسجيلات المشتملة على لحن شديدة الخفاء لما فيها من نشر لأمثال هذه اللحن، واقتداء الناس بها.
  6. يُحدد حكم نشر التسجيلات المشتملة على خطأ فني، بتأثير هذا الخلل الفني على التلاوة فإن أدى هذا الخطأ الفني إلى إخلال ببنية الكلمة القرآنية من حيث الزيادة أو النقصان، أو أخل بحركات الكلمة أو سكناتها، فإنه يأخذ حكم اللحن الجلي في التسجيلات القرآنية.
- أمّا إذا لم يؤثر في مبنى الكلمة أو حركاتها أو سكناتها، وإنما تعلق بوضوح التسجيل وصفائه، فإنّ الأولى عدم النشر، لأنّ القرآن الكريم حريّ أن يعتنى بنشره مسموعاً، وأن تستبعد التسجيلات رديئة التسجيل من الأسواق.

## التوصيات

1. يوصي الباحثان الجهات المختصة مثل وزارة الأوقاف والشئون الدينية بتشكيل لجنة مراقبة للتسجيلات الصوتية للقرآن الكريم، تتابع التسجيلات الصوتية، وتصدر من خلالها تصاريح للنشر حسب الضوابط المقترحة في هذا البحث.
2. يوصي الباحثان الجهات المختصة مثل وزارة الأوقاف والشئون الدينية ورابطة علماء فلسطين، والجمعيات القرآنية المختلفة وعلى رأسها جمعية دار القرآن الكريم والسنة، ومركز القرآن في الجامعة الإسلامية بتشكيل لجان عمل مشتركة لجرد ومتابعة التسجيلات القرآنية المتداولة، وبيان مدى صلاحيتها للنشر والتوزيع، ونشر تقرير للعامة لبيان الغث من السمين، وعلى الجهات القانونية المختلفة متابعة سحب التسجيلات المخالفة للضوابط.
3. على الجهات القانونية المختصة إصدار قوانين تضبط نشر وتوزيع التسجيلات القرآنية، ليسهل ملاحقة من يخالف ضوابط نشر التسجيلات القرآنية.
4. على الجهات الإعلامية المختلفة عدم بث التسجيلات القرآنية الغير مستوفية لشروط النشر، لما في ذلك من تشجيع للعامة على اقتناء هذه التسجيلات والاستماع إليها.



## المراجع

### القرآن الكريم

1. الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده - مصر - ط4-1398هـ، 1978م.
2. أحكام قراءة القرآن الكريم - شيخ المقارئ المصرية محمود خليل الحصري (ت1401هـ) - ضبط وتعليق: محمد طلحة بلال منيار - المكتبة المكية - جدة - السعودية - ط1-1416هـ، 1995م.
3. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط8-1989م.
4. الأم - محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) - تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب - دار الوفاء - ط1-1442هـ، 2001م.
5. التحديد في الإتيان والتجويد - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي - دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد - ط1-1406هـ، 1988م.
6. التمهيد في علم التجويد - شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري (ت832هـ) - تحقيق: غانم قدوري حمد - مؤسسة الرسالة - ط1-1407هـ، 1986م.
7. حاشية رد المحتار - محمد أمين الشهير بابن عابدين - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط2-1386هـ، 1966م.
8. حق التلاوة - الشيخ حسني شيخ عثمان - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة - ط10-1415هـ - 1994م.
9. الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية - الشيخ خالد الأزهرى (ت905هـ) - مؤسسة قرطبة - ط1-2003م.
10. جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين سخاوي علي بن محمد (ت643هـ) - تحقيق: علي حسين البواب - مكتبة التراث - مكة المكرمة - ط1-1408هـ، 1987م.
11. الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن الكمال جمال الدين السيوطي (ت911هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط1419هـ، 1993م.

12. الدقائق المحكمة في شرح المقدمة - الشيخ زكريا الأنصاري - الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية - 1404هـ، 1983م.
13. علم التجويد، أحكام نظرية، وملاحظات عملية تطبيقية - يحيى عبد الرزاق غوثاني
14. العميد في علم التجويد - الشيخ محمود علي بسة - شرح وتعليق وضبط محمد الصادق قمحاوي - المكتبة المحمودية التجارية - القاهرة - ط2.
15. غاية النهاية في طبقات القراء - شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت833هـ) - عني بنشره: ج برجستراسر - مكتبة المنتبى - القاهرة.
16. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ) - رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه: محب الدين الخطيب - دار المعرفة للطباعة النشر - بيروت - لبنان.
17. الفقه الإسلامي وأدلته - وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط2 - 1405هـ، 1985م.
18. القاموس المحيط - العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط2 - 1407هـ، 1987م.
19. لسان العرب - محمد بن عبيد الله بن منظور (ت750هـ) - تحقيق: عبد الله على الكبير، وآخرين - دار المعارف - طبعة جديدة.
20. المرشد في علم التجويد - زيدان محمود سلامة العقرباوي - دار الفرقان - الأردن - ط1 - 1412هـ، 1992م.
21. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ت665هـ، 1267م - تحقيق: طيار ألتي قولاج - دار صادر - بيروت - 1395هـ، 1975م.
22. المعجم الكبير - الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ) - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
23. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - عادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت - ط1 - 1403هـ، 1983م.



### مصادر التسجيلات الصوتية:

- اسطوانات ممغنطة.
- 1. موسوعة التلاوة بصوت عشرة قراء برواية حفص عن عاصم - أحمد سيدي.
- 2. القرآن الكريم بصوت 13 مقرئ - مكة ميديا.
- أشرطة كاسيت:
- 1. المصحف المرتل - الشيخ أبو بكر الشاطري - وكلاء وموزعون معتمدون: مكتبة الصدقات منطقة القدس، تسجيلات طيبة الإسلامية منطقة رام الله، شركة ذات النطاقين منطقة الخليل، مكتبة دار الأرقم، تسجيلات آفاق الإسلامية غزة.
- 2. المصحف المرتل - الشيخ أحمد بن علي العجمي - شركة هاي كواليتي للإنتاج والتوزيع - جمهورية مصر العربية.
- قناة المجد الفضائية للقرآن الكريم.

الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية: دراسة تحليلية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف:

محمد عبد الحق مصبح

عضو هيئة التدريس - قطاع المكتبات والمعلومات

معهد الإدارة العامة - الرياض

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص

رغم اهتمام معظم الباحثين والمفكرين وطلبة الدراسات العليا خاصة، المتخصصة في القرآن الكريم وعلومه، فإن البحث العلمي المختص بالقرآن الكريم وعلومه هو الثروة الحقيقية، كونه احد العوامل الأساسية في إحداث أي تغييرات في تطوير المجتمع، مما يحتم الاهتمام والعناية به، لكونه يسعى إلى المعرفة بهذا الكتاب العظيم وما جاء فيه من تشريعات، وقد تزايدت الحاجة إلى المتخصصين في علوم القرآن الكريم مع انتشار الدعوة الإسلامية والدعاة في مشارق الأرض ومغاربها.

وتأتي أهمية هذه الدراسة المتعلقة بالضبط الببليوغرافي للرسائل الجامعية في مجال القرآن الكريم وعلومه، رغم قلتها في عاملنا العربي، لمعرفة مدى الاهتمام بالرسائل الجامعية عن القرآن الكريم، وقد خص الباحث دراسته على الرسائل الجامعية التي كتبت عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تم اعتماد منهج القياس الببليوغرافي (الببليومتري) الذي يحول خصائص الإنتاج إلى أرقام تسهل معالجتها إحصائياً للكشف عن التوزيع الزمني، والموضوعي، للرسائل الجامعية المدروسة والتوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة، وكذلك فئات الباحثين الحاصلين على الرسائل الجامعية والفروق الرئيسية بينهم في مدى الإقبال على موضوعات بعينها؟، وملامح الإشراف العلمي على الرسائل الجامعية، ومن هم ابرز المشرفين على تلك الرسائل، وما هو مدى التعاون فيما بينهم بناء على الإشراف المشترك على الرسائل الجامعية

### **Abstract**

In spite of most of researcher , thinker, and high student studied , who qualified in Quranic sciences that research Quranic scientific is considered the really wealth, this because it deals with the change and .development of society

Now we need for qualified people in Quranic studied to spread Islamic Dawa in this world.

The importance of this study comes to explain the way of classification Bibliography for Quranic Thesis university.

The research concentrate in Quranic thesis of Emam Mohammed Pen Saude in Al-Riad.

Research depends on Bibliography (Bibliometry) measurement methodology, By that characteristics production will be change in tow numbers, this is very simple to now contribution and subjective for the thesis message

By this way we can classify the researcher and their subject, and we can now the qualified researcher in this field..

### تمهيد

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على خاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلمته الله الأخيرة على البشرية عامة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)<sup>(1)</sup>. فهو للناس كافة وللعالمين من وقت نزوله إلى ان تقوم الساعة والى ان يرث الله الأرض وما عليها، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي ينفرد بأنه النص الحرفي الدقيق الذي لم يطرأ عليه شيء من التعديل أو التحريف أو التبديل على مر السنين والأعوام، والقرآن الكريم يحوي منهجا كاملا للحياة البشرية، يشمل كل القضايا الرئيسية التي يحتاج إليها البشر في حيا تهم الدنيا ولقد عني القرآن الكريم بالإجابة عن السؤال الذي يخطر دائما بأذهان الناس عن خالق هذا الكون ومدبره وهو الله وحدة لا شريك له ويجب عن أسئلة المتحيرين على أساس خلق البشر ونهايتهم وغاية معيشتهم، ومنهج حياتهم إجابات حاسمة واضحة تزيل كل لبس وإبهام.

ولتميز الإنتاج الفكري في العلوم الشرعية بصفة عامة وفي علوم القرآن الكريم بصفة خاصة بسعته وضخامة إنتاجه، ونشئت مصادره من النواحي النوعية والموضوعية والجغرافية واللغوية وما من شك في أن الرسائل العلمية التي تميزها الجامعات والمعاهد العليا تعتبر من أرفع مستويات الإنتاج الفكري، ومن هنا كانت أهمية الرصد الشامل والدقيق للرسائل العلمية وقياس اتجاهاتها العددية و النوعية مطلب أساسي من متطلبات خدمة البحث العلمي، وبذلك فان هذه الدراسة تهتم بالكشف عن السمات الخاصة بهذا النوع من مصادر المعلومات.

ولاشك أن الأطروحات من أرقى الأعمال العلمية التي يتقدم بها الباحثون الذين ولجوا طريق الدراسات العليا وانخرطوا في دروب البحث العلمي في أي مجتمع من المجتمعات، كما أنها تعد من أكثر الأعمال العلمية التزاما بأصول البحث العلمي وضوابطه.<sup>(2)</sup>

وتستمد الرسائل الجامعية هذا الرقي والالتزام من صرامة تلك الإجراءات التي تتخذها السلطات الجامعية لإجازتها، حيث يشترط أن تكون مبتكرة وان تسهم بإضافة علمية جديدة لرصيد المعرفة في مجال اهتمامها، كما انه عادة ما يقوم بإعدادها الطلاب المتميزون الذين بزوا أقرانهم وأنسوا في أنفسهم القدرة على مواصلة البحث العلمي، هذا

(1) الأنبياء 107.

(2) سيد، هاشم فرحات. الضبط الورقي للرسائل الجامعية في مصر؛ دراسة تحليلية على مستوى الجامعات، ص 36



فضلا عن أنه عادة ما يتم إعداد هذه الرسائل تحت إشراف أساتذة يمثلون قمة التمكن العلمي في تخصصاتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه لكي تجاز هذه الأعمال فإنها عادة ما تمر باختبار على أعلى المستويات العلمية بهدف تقييمها والتحقق من سلامة مناهجها والحكم على ما انتهت إليه من نتائج<sup>(1)</sup>.

#### مشكلة الدراسة:

تعد الرسائل الجامعية والأطروحات الأكاديمية أحد مصادر المعلومات الرئيسة نظرا لما تحمله من موضوعات جديدة مبتكرة معالجة وفق المناهج والأساليب العلمية الدقيقة لخضوعها للتقييم العلمي من قبل الأساتذة المتخصصين في تلك المجالات، كذلك تمثل هذه الأعمال الأصالة والابتكار لما تضيفه من أفكار ومعلومات حديثة للمعرفة. من هذا الاتجاه أخذت الجامعات السعودية في إعداد برامج الدراسات العليا في تخصصاتها المتعددة فأضحت صاحبة الريادة بين دول الخليج العربية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إحداهما.

ورغم اهتمام معظم الباحثين والمفكرين وطلبة الدراسات العليا بالدراسات الخاصة بالقران الكريم وعلومه، فإن البحث العلمي المتخصص بالقران الكريم وعلومه هو الثروة الحقيقية، كونه أحد العوامل الأساسية في إحداث أي تغييرات في تطوير المجتمع، ما يحتم الاهتمام والعناية به، لكونه يسعى إلى المعرفة بهذا الكتاب العظيم وما جاء فيه من تشريعات.

وللضبط الببليوجرافي للرسائل الجامعية في مجال القران الكريم وعلومه أهميته رغم قلة الأعمال الببليوجرافية العربية الخاصة بالرسائل الجامعية حول مختلف جوانبه وموضوعاته وقد وجد الباحث عدم الاهتمام الواضح في الدراسات العلمية وما يتعلق بالرسائل الجامعية من معلومات، وخاصة التي أجازتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال القران الكريم مما حفز الباحث ليساهم في هذا المجال. وللوصول إلى نتيجة حقيقة، عمد الباحث على جمع المعلومات المتوفرة عن الرسائل الجامعية الخاصة بالقران الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نوعيا وكميا.

#### أهداف الدراسة:

---

(1) قاسم، حشمت. مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات، ص 198

إن للضبط الببليوجرافي للرسائل الجامعية أثرا كبيرا في تحقيق القاعدة الحقيقية للتقدم في هذا المجال، ومع قلة ظهور قوائم الإنتاج الفكري عن القرآن الكريم لذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى معرفة مدى الاهتمام بالرسائل الجامعية عن القرآن الكريم من خلال معرفة:

- \_ التوزيع الزمني للرسائل الجامعية المدروسة.
- \_ التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة.
- \_ فئات الباحثين الحاصلين على الرسائل الجامعية والفروق الرئيسية بينهم في مدى الإقبال على موضوعات بعينها.
- \_ ملامح الإشراف العلمي على الرسائل الجامعية، وأبرز المشرفين على تلك الرسائل، وما هو مدى التعاون فيما بينهم بناء على الإشراف المشترك على الرسائل الجامعية.

**نشأة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتطورها:**

كان تعليم العلوم الشرعية و العربية في المملكة العربية السعودية قبيل افتتاح المدارس الحكومية والمعاهد العلمية متوافرا في أغلب مناطق المملكة عامرة بها مساجدها وبعض بيوت علمائها الذين تخرج على أيديهم كثير من القضاة، وكان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمه الله- وإخوانه الدور الفعال في إثراء الحركة العلمية بمدينة الرياض وما جاورها ومع بداية النهضة العلمية الشاملة في عام 1370هـ ونظرا لإقبال الشباب على مناهل العلم و لما له من دور فعال في حمل رسالة تلك النهضة، افتتحت حكومة الملك عبد العزيز- رحمه الله- معهد الرياض العلمي واسند الإشراف عليه لسماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ العالم محمد بن إبراهيم رحمه الله، وكان اللبنة الأولى للمعاهد في مختلف مناطق المملكة ثم افتتحت كلية الشريعة عام 1373هـ وكلية اللغة العربية بالرياض في عام 1374هـ ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية وكانت منضوية تحت مسمى (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية).

وفي 1394/8/23هـ صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/50 المبني على قرار مجلس الوزراء رقم 1100 وتاريخ 1394/08/17هـ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية عالية، وقد شملت المعاهد العليا و الكليات والمعاهد العلمية<sup>(1)</sup>.

ومنذ إنشاء الجامعة وهي في توسع مستمر ويوجد بها الآن تسع كليات في مدينة الرياض ومعهدان في الرياض أحدهما للقضاء والآخر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين

---

(1) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دليل الرسائل الجامعية 1389- 1413 هـ/ إشراف احمد علي تراز، ص (د).

بها وفرع الإحساء وكليتين للمجتمع في كل من مدينتي شقراء والخرج داخل المملكة العربية السعودية وكلية الشريعة واللغة العربية في رأس الخيمة وأربعة معاهد للعلوم الإسلامية والعربية في كل من طوكيو وجيبوتي وإندونيسيا وأمريكا وستون معهدا علميا منتشرة في مختلف مدن المملكة العربية السعودية<sup>(1)</sup>.

تأسيس الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

بدأت الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للقضاء عام 1385هـ، وكان باكورة إنتاج المعهد من الرسائل الجامعية عام 1389هـ— إذ أجاز 22 رسالة ماجستير في ذلك العام وحده.

بدأت الدراسات العليا تؤتي ثمارها بعد ثماني سنوات، فأجازت كلية الشريعة عام 1397هـ رسالتين وفي عام 1398هـ انضمت كلية أصول الدين، وكلية العلوم الاجتماعية ثم توالى الوحدات الجامعية الأخرى في إجازة الرسائل العلمية بصفة منتظمة. أما المعاهد العليا والكليات التي بها أقسام للدراسات العليا فهي:

1. المعهد العالي للقضاء.
2. كلية الدعوة في المدينة المنورة.
3. كلية الشريعة في الرياض.
4. كلية اللغة العربية في الرياض.
5. كلية أصول الدين في الرياض.
6. كلية الدعوة للإعلام في الرياض.
7. كلية العلوم الاجتماعية في الرياض<sup>(2)</sup>.

منهج الدراسة:

منهج البحث في هذه الدراسة يعتمد على (المنهج الببليومتري) الذي يحول خصائص الإنتاج الفكري المدروس إلى أرقام، ويبسر القياس الببليوجرافي تطبيق الطرق الإحصائية في دراسات استخراج مؤشرات كمية محددة عنها<sup>(3)</sup>.

واعتمد الباحث على جمع المعلومات عن الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال أدلة الرسائل الجامعية التي أصدرتها الجامعة.

(1) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. - الرياض: الجامعة، ص 33

(2) الموقع الإلكتروني لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية <http://www.imamu.edu.sa>

(3) الضبيعان، سعد. المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية: مكتبات وزارة المعارف. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - س 16، ع 1 (شعبان 1416 هـ). - ص 8.

### مجتمع الدراسة:

بناء على أهداف الدراسة فقد تحدد مجتمع الدراسة على أنه جميع رسائل الماجستير والدكتوراه في مجال القرآن الكريم المجازة من كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمكتوبة باللغة العربية في الفترة من عام 1390هـ - 1425هـ.

### أسلوب تحليل البيانات واستخراج النتائج:

استخدم الباحث العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة عن طريق برنامج (Excel) وعن طريق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for social Sciences (SPSS) وذلك على النحو التالي:

- إدخال البيانات باستخدام برنامج (EXCEL).
- استنتاج الجداول الأولية باستخدام برنامج (EXCEL).
- حساب التكرارات والنسب المئوية باستخدام برنامج (SPSS).

أولاً: رصد الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من عام 1390 - 1425 هـ :

بلغ عدد الباحثين الذين اعدوا رسالتي ماجستير ودكتوراه عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (92) باحثاً وباحثة. أما عدد الباحثين والباحثات الذين اعدوا رسالة ماجستير أو دكتوراه فقد بلغ (337) باحثاً وباحثة.

بلغ رصد الرسائل العلمية المجازة في مجال القرآن الكريم وفقاً للإحصاء المعتمد على قاعدة البيانات التي أعدها الباحث 429 رسالة علمية ما بين الدكتوراه والماجستير، تمثل رسائل الماجستير فيها 279 رسالة علمية أي ما يوازي ثلثي حجم الرسائل العلمية في مجال القرآن الكريم بنسبة 65% بينما سجلت رسائل الدكتوراه 150 رسالة تمثل نسبة 35% من رصد الرسائل العلمية المجازة في هذا المجال خلال فترة الدراسة. ويرجع هذا الفارق بين درجتي الماجستير والدكتوراه المجازة بالجامعة في هذا المجال إلى عدم إكمال الدراسات العليا لمرحلة الدكتوراه من قبل الطلاب المعنيتين بهذه الدراسات إضافة إلى حداثة بعض برامج الدراسات العليا في كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

**جدول رقم (1)**

رصيد الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

| الدرجة    | العدد | النسبة المئوية |
|-----------|-------|----------------|
| الماجستير | 279   | 65%            |
| الدكتوراه | 150   | 35%            |
| المجموع   | 429   | 100%           |

ثانياً : التوزيع الزمني للرسائل الجامعية:

يوضح الحصر البليوجرافي الذي أعد لغرض هذه الدراسة أن حجم الإنتاج الفكري من الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود بلغ للفترة ما بين عامي (1390\_1425هـ) (429) رسالة علمية.

**جدول رقم (2)**

التوزيع الزمني للرسائل الجامعية المدروسة

| الفترة الزمنية | العدد | النسبة المئوية |
|----------------|-------|----------------|
| 1394_1390هـ    | 1     | 0.2%           |
| 1399_1395هـ    | 6     | 1.4%           |
| 1404_1400هـ    | 49    | 11.4%          |
| 1409_1405هـ    | 87    | 20.3%          |
| 1414_1410هـ    | 53    | 12.4%          |
| 1419_1415هـ    | 82    | 19.1%          |
| 1424_1420هـ    | 98    | 22.8%          |
| 1425هـ-        | 53    | 12.4%          |
| المجموع        | 429   | 100%           |

وينضح من الجدول السابق أن أغلب الرسائل الجامعية تم تقديمها بين عامي (1420\_1424هـ) (98) رسالة جامعية وهو ما نسبته 22.8% من مجموع الرسائل المدروسة، وجاءت الرسائل الجامعية التي قدمت خلال الفترة من (1405\_1409هـ) (87) رسالة في المرتبة الثانية بنسبة 20.3% وجاءت بنسبة متقاربة الرسائل الجامعية في الفترة ما بين (1415\_1419هـ) (82) رسالة جامعية وبنسبة 19.1%، وجاءت

الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: دراسة تحليلية

الفترات الزمنية (1410\_1414هـ)، و(1425هـ) بنفس العدد (53) رسالة جامعية وبنسبة 12.4% أما الفترة (1400\_1404هـ) فقد بلغت الرسائل الجامعية (49) رسالة بنسبة 11.4% وجاء بعدها الرسائل في الفترة مابين (1395\_1399هـ) بـ (6) رسائل جامعية وبنسبة 1.4% والفترة من (1390\_1394هـ) (1) رسالة جامعية وحدة وبنسبة 0.2% حيث تعد هذه ظاهرة ايجابية تكشفها هذه الدراسة وهو الزيادة الواضحة في حجم الرسائل الجامعية بشكل دائم وعاما بعد عام ويعود ذلك إلى زيادة الإقبال على الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه وتكاثر عدد الباحثين في الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم وزيادة الاهتمام من الجامعة بشأن التوسع في كتابة هذه الرسائل.

ثانيا: التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة :

**جدول رقم (3)**

رصيد كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عن القرآن الكريم 1390\_1425هـ

| المجموع     |            | دكتوراه    |            | ماجستير    |            | الكلية/الدرجة          |
|-------------|------------|------------|------------|------------|------------|------------------------|
| النسبة %    | عدد        | النسبة %   | عدد        | النسبة %   | عدد        |                        |
| 80.7%       | 346        | 30.3%      | 130        | 50.1%      | 216        | أصول الدين             |
| 11.9%       | 51         | 2.3%       | 10         | 6.9%       | 41         | اللغة العربية          |
| 4%          | 17         | 2.1%       | 9          | 1.9%       | 8          | الدعوة والأعلام        |
| 1.2%        | 5          | —          | —          | 1.2%       | 5          | الشريعة                |
| 1.2%        | 5          | —          | —          | 1.2%       | 5          | المعهد العالي للدعوة   |
| 0.5%        | 2          | 0.2%       | 1          | 0.2%       | 1          | الدعوة المدينة المنورة |
| 0.5%        | 2          | —          | —          | 0.5%       | 2          | المعهد العالي للقضاء   |
| 0.2%        | 1          | —          | —          | 0.2%       | 1          | العلوم الاجتماعية      |
| <b>100%</b> | <b>429</b> | <b>35%</b> | <b>150</b> | <b>65%</b> | <b>279</b> | <b>المجموع</b>         |

يتضح من الجدول رقم (3) أن الرسائل الجامعية التي أجزت من كلية أصول الدين تحتل المرتبة الأولى حيث تشكل ثلثي الرسائل الجامعية المناقسة في الجامعة بعدد (216) رسالة ماجستير وبنسبة 50.1%، و (130) رسالة دكتوراه بنسبة 30.3% ويرد

ذلك لكون كلية أصول الدين الأقدم من حيث النشأة والأقرب تخصصاً لعلوم القرآن الكريم التي يأخذ فيها الباحثون فرصتهم بالكتابة من خلال الرسائل الجامعية. كما يتضح من الجدول رقم (3) أن كلية اللغة العربية جاءت في المرتبة الثانية بين الكليات التي تمنح الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم بعدد (41) رسالة ماجستير ونسبة 9.6% و (10) رسائل دكتوراه بنسبة 2.3%، وجاءت كلية الدعوة والإعلام في المرتبة الثالثة بعدد (8) رسائل ماجستير بنسبة 1.9%، و (9) رسائل دكتوراه بنسبة 2.1% ويرجع ذلك إلى زيادة الاهتمام بالرسائل الجامعية عن القرآن الكريم من ناحية لغوية وإعلامية ودعوية أكثر من السابق. أما كلية الشريعة والمعهد العالي للدعوة (سابقاً) فقد جاء في المرتبة الرابعة بعدد (5) رسائل ماجستير لكل منهما بنسبة 1.2% ولعامل التخصص دور كبير في كلية الشريعة حيث الاتجاه أكثر نحو الفقه الإسلامي وأصوله والقواعد الفقهية وغيرها يجعل التوجه نحو الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم أقل من غيرها وجاء المعهد العالي للقضاء وكلية الدعوة بالمدينة المنورة في المرتبة الخامسة بنفس النسبة بعدد (2) رسالة ماجستير للمعهد العالي للقضاء ونسبة 0.5% ويرجع ذلك إلى التوجه نحو كتابة الرسائل الجامعية في مجال القضاء أكثر من القرآن الكريم إضافة إلى اهتمام الباحثين بهذا التوجه أضعف من غيره في الكليات الأخرى، وعدد (1) رسالة ماجستير بنسبة 0.2% و (1) رسالة دكتوراه بنسبة 0.2% لكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة قبل انفصالها عن الجامعة. أما كلية العلوم الاجتماعية فقد جاءت في المرتبة الأخيرة وبعدد رسالة ماجستير واحدة فقط بنسبة 0.2%.

ثالثاً: التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة حسب التخصص :

يبين الجدول رقم (4) رصيد التخصصات من الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

#### جدول رقم (4)

التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة حسب التخصص

| التخصص              | العدد | النسبة المئوية |
|---------------------|-------|----------------|
| تفسير القرآن الكريم | 377   | 87,9%          |
| البلاغة والنقد      | 30    | 7%             |
| النحو والصرف        | 20    | 4,7%           |
| الأدب الإسلامي      | 1     | 0,2%           |
| الفقه المقارن       | 1     | 0,2%           |
| المجموع             | 429   | 100%           |

## الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: دراسة تحليلية

يوضح الجدول رقم (4) التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المدروسة حسب التخصص ويظهر أن قسم تفسير القرآن الكريم حاز على ثلاثة أرباع الإنتاج الفكري من الرسائل الجامعية المدروسة حيث بلغ عددها (377) و بنسبة 78% وهذا دليل واضح على استحواد القسم على النصيب الأكبر من الرسائل الجامعية لمناسبته لتخصص القسم وتوافر جميع العوامل اللازمة لظهور الرسائل الجامعية من طلاب دراسات عليا وأساتذة مشرفين وبرامج ودراسات عليا متاحة واهتمام واضح بمنح الدرجات العليا في هذا القسم وقدم التخصص بالنسبة للأقسام الأخرى.

وجاء قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمرتبة الثانية (30) رسالة جامعية بنسبة 7% ويرجع ذلك لسبب اتجاه العديد من طلبة الدراسات العليا إلى كتابة الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم من ناحية الإعجاز البلاغي وخاصة اللغوي ولتشجيع الجامعة و أعضاء هيئة التدريس لذلك أما قسم النحو والصرف فقد جاء في المرتبة الرابعة بـ(20) رسالة ونسبة 4,7% وهذا يدخل ضمن نطاق تخصصات كلية اللغة العربية مما يوضح التغيير نحو دراسة القرآن الكريم من ناحية نحوية وصرفية لشرح وتفسير ما جاء به القرآن الكريم من هذه النواحي أو ما كتبه السلف الصالح أو المحدثون من ظواهر نحوية أو صرفية، وجاء قسماً الأدب الإسلامي والفقهاء المقارن في المرتبة الرابعة برسالة جامعية وحداً لكل منهما أي بنسبة 0,2%.

ثالثاً: فئات الباحثين الحاصلين على الرسائل الجامعية والفروق الرئيسية بينهم في مدى

### الإقبال على موضوعات بعينها

يظهر من خلال التحليل الفكري للرسائل الجامعية المدروسة سيطرت الباحثين الذكور وبشكل مطلق على الإنتاج الفكري للرسائل الجامعية المدروسة، فقد بلغ عدد الباحثين الذكور (329) باحثاً بنسبة 91,4% وعدد الباحثات (37) باحثة بنسبة 8,6% من مجمل عدد الباحثين.

### جدول رقم (5)

رصيد الباحثين من حيث الجنس من الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

| الجنس   | العدد | النسبة المئوية |
|---------|-------|----------------|
| أنثى    | 37    | 8,6%           |
| ذكر     | 392   | 91,4%          |
| المجموع | 429   | 100%           |



يلاحظ من الجدول السابق أن الباحثين الذكور مسيطرا وبشكل مطلق ويرجع ذلك إلى بداية ونشأة الدراسة في الأقسام الخاصة بالباحثين الذكور واتجاه الباحثين الذكور أنفسهم نحو هذه الدراسة إضافة إلى توافر بنية علمية ممتازة من أعضاء هيئة تدريس على سوية علمية عالية.

أما الباحثات الإناث فقد شكلن أقل من 10% ويعود ذلك إلى فتح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الباب للإناث في مجال الدراسات العليا من فترة قريبة جدا مما أدى إلى ضعف الإقبال على هذه التخصصات من قبل الباحثات.

#### جدول رقم (6)

توزيع الباحثين والباحثات أصحاب الرسائل الجامعية المدروسة على الكليات

| الكلية                  | الجنس |        |      |        |         |
|-------------------------|-------|--------|------|--------|---------|
|                         | ذكر   | النسبة | أنثى | النسبة | المجموع |
| أصول الدين              | 322   | 75,1%  | 21   | 4,9%   | 343     |
| اللغة العربية           | 42    | 9,8%   | 9    | 2,1%   | 51      |
| الدعوة والإعلام         | 11    | 2,6%   | 6    | 1,4%   | 17      |
| الشريعة                 | 5     | 1,2%   | —    | —      | 5       |
| المعهد العالي للدعوة    | 5     | 1,2%   | —    | —      | 5       |
| الدعوة بالمدينة المنورة | 2     | 0,5%   | —    | —      | 2       |
| المعهد العالي للقضاء    | 2     | 0,5%   | —    | —      | 2       |
| المجموع                 | 392   | 91,4%  | 37   | 8,6%   | 429     |

يتضح من الجدول رقم (6) سيطرت الباحثين ذكورا وإناثا وبعدد (322) باحثا بنسبة 75% وعدد (26) باحثة وبنسبة 4.9% بمجموع (344) وبنسبة 80% مما يدل على سيطرت الباحثين الذكور في كلية أصول الدين بكتابة الرسائل الجامعية وإقبال واضح من الباحثات الإناث في هذه الكلية.

وجاء في المرتبة الثانية الباحثون في كلية اللغة العربية بـ(42) باحثاً من الذكور و (9) باحثات من الإناث بمجموع (51) باحثاً وباحثة وبنسبة 11.9%. وهذا يدل على تركيز الباحثات في هذه الكلية أيضاً على الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم وسيطرت الباحثين الذكور أيضاً، وجاءت في المرتبة الثالثة كلية الدعوة والإعلام بمجموع (17) باحثاً وباحثة وبنسبة 4% وبعدها (11) باحثاً من الذكور وبنسبة 2.6% و(6) باحثات من الإناث بنسبة 1.4% وهذا يدل على التقارب الواضح بين الذكور والإناث على الاهتمام بالدراسات العليا وكتابة الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم، واتجاه واضح لدراسة القرآن الكريم في مجال يعد حديثاً نسبياً وهو مجال الدعوة والإعلام ويدل على تشجيع واضح من الجامعة وأيضاً هيئة التدريس على الكتابة في هذا التخصص.

وجاءت كلية الشريعة والمعهد العالي للدعوة برتبة واحدة وبعدها (5) باحثين ذكور لكل منهما ونسبة 1,2% وجاءت كلية الدعوة بالمدينة المنورة والمعهد العالي للقضاء برتبة واحدة أيضاً وبعدها (2) باحثين ذكور لكل منهما وبنسبة 0.5%.

ويتضح عدم إقبال الإناث نهائياً على كتابة الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في هذه الكليات والمعاهد ويعود ذلك لعدم وجود دراسات عليا مفتوحة للباحثات مما يؤدي إلى عدم الكتابة في هذه الكليات.

#### ج- أهم الموضوعات التي كتب فيها الباحثون :

من خلال تحليل الإنتاج الفكري للرسائل الجامعية تبين أن أكثر الموضوعات

التي تطرق لها الباحثون هي:

- القرآن \_تفاسير مأثورة.
- القرآن \_تفاسير حديثة.
- القرآن\_مباحث عامة.
- القرآن \_ألفاظ(من الناحية البلاغية).
- القرآن\_ألفاظ(من الناحية اللغوية).
- القرآن\_قراءات.
- القرآن\_أحكام.
- القرآن\_علوم.
- البلاغة العربية.
- الدعوة الإسلامية.
- القرآن وإعجاز.

• القرآن\_إعراب.

• القرآن\_فضائل.

يتضح من القائمة السابقة تركيز الباحثين على علوم القرآن الكريم وما يختص بها من تفسير وإعجاز ولغة ونحو وبلاغة وفضائل وما يتعلق بالقرآن الكريم من ناحية الدعوة الإسلامية والأحكام الفقهية والقراءات.

وهناك عدد من الموضوعات التي تطرق لها الباحثون ولكن بشكل قليل ومنها على

سبيل المثال لا الحصر.

• غريب القرآن.

• قصص القرآن.

• القرآن - فضائل.

• الابتلاء.

• الإتياع.

• الاستشراف والمستشرقون.

• الأمر.

• الأمن.

• الإيمان.

• التقوى.

• التوبة.

• الظلم.

• العهد والميثاق.

• الغزوات.

• الغفلة والنسيان.

• القرآن - دراسة وتعليم.

• القرآن خواصه وأسراره.

رابعا : ملامح الإشراف العلمي على الرسائل الجامعية :

يتضح من الجدول رقم (7) أبرز المشرفين على الرسائل الجامعية عن القرآن

الكريم والسنة إشراف كل منهم وبلغ عدد المشرفين على الرسائل الجامعية 191 مشرفا

تفاوتت عدد مرات إشراف كل منهم وهي على النحو التالي:

**جدول رقم (7)**

أبرز المشرفين على الرسائل الجامعية المدروسة

| م | اسم المشرف   | عدد مرات الإشراف | النسبة |
|---|--|------------------|--------|
| 1 | اسماعيل، عبد العزيز احمد   | 17               | 4%     |
| 2 | الراوي، محمد عبد الرحمن<br>سلمان، فريد مصطفى   | 15               | 3.5%   |
| 3 | مصطفى محمد صالح  | 13               | 3%     |
| 4 | الألمعي، زاهر عوض<br>الشايح، محمد عبد الرحيم<br>الهويمل، ابراهيم سليمان<br>الوهيبي، عبدالله ابراهيم  | 11               | 2.6%   |
| 5 | السيد، عبدالعزيز ناصر  | 8                | 1.9%   |
| 6 | الفلاح، سعيد خمعة<br>التنيان، سعود عبدالله<br>سلقيني، عبدالله محمد   | 7                | 1.6%   |
| 7 | الدوسيري، ابراهيم سعيد محمد<br>العبد القادر، محمد صالح<br>الفريان، عبدالله عبد الرحمن<br>شبكة، محمود محمد<br>شريف، محمد ابراهيم<br>فرحات، أحمد حسن | 6                | 1.4    |
| 8 | الديل، محمد سعيد<br>القطان، مناع خليل<br>اللاحم، سلمان ابراهيم<br>سهل، جمعة  | 5                | 1.2%   |

يتضح من الجدول رقم (7) بأن عضو هيئة تدريس واحد نال أعلى نسبة من الاشراف على الرسائل الجامعية وهو الدكتور عبد العزيز احمد اسماعيل بعدد (17) مرة وبنسبة 4%، وعضوي هيئة تدريس اشرفا (15) مره وبنسبة 3.5% وهو الدكتور محمد عبد الرحمن الراوي، والدكتور فريد مصطفى سلمان، وجاء الدكتور محمد صالح

مصطفى في الترتيب الثالث بعدد (13) مرة وبنسبة 3%، بينما جاء في المرتبة الرابعة خمسة من أعضاء هيئة التدريس لعدد مرات اشراف (11) مرة وبنسبة 2.6%، وجاء الدكتور عبد العزيز ناصر العبيد في المرتبة الخامسة بعدد مرات اشراف (8) وبنسبة 1.9%، وجاء ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس في المرتبة السادسة بعدد (7) مرات إشراف وبنسبة 1.6% أما المرتبة السابعة فقد جاء فيها ستة أعضاء هيئة تدريس — (6) مرات إشراف وبنسبة 1.4 % وجاء في المرتبة الثامنة أربعة من أعضاء هيئة التدريس بعدد (5) مرات اشراف وبنسبة 1.2 % لكل منهم.

أما عدد المشرفين الذين كانت عدد مرات اشرافهم (4) مرات خمسة من أعضاء هيئة التدريس وبنسبة 0.9 %، ومن كانت مرات اشرافهم (3) مرات اثنا عشر عضو هيئة تدريس وبنسبة 0.7%، وعدد الذين كانت مرات اشرافهم مرتين (2) تسعة عشر عضو هيئة تدريس بنسبة 0.5%، أما عدد الذين بلغت مرات اشرافهم (1) مرة واحدة فقط (74) عضو هيئة تدريس وبنسبة 0.2%.

ويدل كل ما سبق على كثرة المشرفين على الرسائل الجامعية لمرة واحدة فقط، وقلة المشرفين لمن هم أكثر من (8) رسائل ويعود ذلك لتوزيع الاشراف بالتساوي بين اعضاء هيئة التدريس و حرص جامعة الامام على جودة الاشراف وتفرغ المشرفين لطلاب الدراسات العليا لتوجيههم وارشادهم بطريقة مثلى فيما يساعد في اخراج رسائل جامعية مميزة، والاستفادة التامة من خبرات أعضاء هيئة التدريس في مجال إشرافهم على طلبة الدراسات العليا.

#### - الإشراف المشترك على الرسائل الجامعية المدروسة :

يتضح من الجدول رقم (8) بأن عدد مرات الاشراف الفردي على الرسائل الجامعية بلغت 424 مرة وبنسبة بلغت 98.8%.

#### الجدول رقم (8) الإشراف المشترك على الرسائل الجامعية المدروسة

| النسبة المئوية | التكرار | الاسم / مرات الاشراف    |
|----------------|---------|-------------------------|
| 98.8%          | 424     | الإشراف الفردي          |
| 0.2%           | 1       | السعيد، عبد العزيز محمد |
| 0.2%           | 1       | السعيد، يوسف محمد       |
| 0.2%           | 1       | العتيبي، تركي السهو     |
| 0.5%           | 2       | كمال، مصطفى حسن         |
| 100%           | 429     | المجموع                 |

بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس الذين اشرفوا على الرسائل الجامعية بشكل مشترك (4) من أعضاء هيئة التدريس كل واحد منهم اشترك مرة واحدة فقط في الإشراف على رسائل جامعية، عدا عضو هيئة تدريس واحد وهو الدكتور مصطفى حسن كمال فقد اشترك في الإشراف مرتين فقط. وهذا يدل على عدم تركيز وتشجيع الجامعة على الإشراف المشترك بين أعضاء هيئة التدريس.

### الخاتمة

في نهاية التحليل يتضح أن إجمالي الإنتاج الفكري من الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على مدار (35) عاما من (1390 - 1425هـ) قد بلغ (429) رسالة جامعية بين الماجستير والدكتوراه. مثلت الماجستير منها 279 رسالة ماجستير بنسبة 65% ورسائل الدكتوراه 150 رسالة بنسبة بلغت 35% وبلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة في فترة من (1420هـ - 1424هـ) 98 رسالة جامعية وهذا يدل على تقدم وإزدهار في الإنتاج الفكري من الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم وتزايد نشره خاصة خلال العقد الحالي ويعود ذلك إلى زيادة الإدراك بأهمية الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم وزيادة الإقبال من المتخصصين على دراسة هذا العلم المقدس وكذلك اتحاد الجامعة بتشجيع الدراسة في هذا التخصص بشكل واسع للذكور والإناث على حد سواء.

ومن ناحية موضوعية توزع الإنتاج الفكري في تخصصات تفسير القرآن الكريم ثم البلاغة والنقد، والنحو الصرف، فالأدب الإسلامي، ثم الفقه المقارن. أما فئات الباحثين فقد سيطر الباحثون الذكور بعدد (392) باحثا بنسبة 91,4% وجاءت الباحثات بعدد (37) وبنسبة 8,6%.

وتركز الباحثون في رسائلهم الجامعية عن القرآن الكريم في كلية أصول الدين بشكل واضح وبنسبة عالية ومن ثم جاءت كل من كلية اللغة العربية، والدعوة والإعلام والشريعة والمعهد العالي، ثم الدعوة بالمدينة المنورة والمعهد العالي للقضاء.

ويمكن إجمالي ما يختص بالتغطية الموضوعية في الرسائل الجامعية لم تتطرق إلى الموضوعات التي تخص القرآن الكريم بشكل كامل بل تركز أكثرها بشكل أكبر على موضوعات تفاسير القرآن المأثورة والحديثة، والمباحث العامة عن القرآن الكريم وألفاظ القرآن من الناحيتين البلاغية واللغوية، وقراءات القرآن.

أما المشرفون على الرسائل الجامعية فقد بلغ عددهم 191 جاء منهم مشرف واحد بعدد مرات إشراف (17) مرة وبنسبة 4% وجاء (74) مشرفا بعدد (1) مرة اشرف واحدة وبنسبة 0.2%.

ولاحظ الباحث وبوضوح قلة الإشراف المشترك بين المشرفين على الرسائل الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

### التوصيات

- بناء على ما تم جمعه من المعلومات في هذه الدراسة وتحليله يمكن استخلاص بعض التوصيات ومنها:
- ضرورة توجيه الجامعات العربية والمعاهد العليا لطلاب الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية إلى الاهتمام بموضوع علوم القرآن وما يتعلق بتأ من موضوعات أخرى.
  - ضرورة الاهتمام من قبل طلاب الدراسات العليا للكتابة في الموضوعات التي لم تنل الاهتمام في الفترات السابقة.
  - إن يكون لدى الجامعات العربية والمعاهد العليا اهتمام واضح بمتابعة الإنتاج الفكري عن الرسائل الجامعية عامة والرسائل الجامعية الخاصة بالقرآن الكريم.
  - نشر الإنتاج الفكري من الرسائل الجامعية أو ملخصات منه على شبكة الانترنت لتعم الفائدة اكبر قدر من الباحثين والمهتمين.
  - تشجيع طلاب الدراسات العليا للكتابة عن القرآن الكريم باللغات الأخرى.
  - فتح الباب للدراسات العليا وتشجيع الإناث من طالبات الدراسات العليا على كتابة الرسائل الجامعية عن القرآن الكريم.
  - تشجيع الجامعات العربية والمعاهد العليا على الإشراف المشترك على طلاب الدراسات العليا بين أعضاء هيئة التدريس في الأقسام المختلفة داخل الجامعة الواحدة، وبين الجامعات المختلفة للفائدة العلمية والإثراء العلمي والفكري.



### المراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- سيد، هاشم فرحات. الضبط الوراقى للرسائل الجامعية في مصر؛ دراسة تحليلية على مستوى الجامعات. - دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، س 1، ع 1، يناير 1996 ص 36.
- 3- قاسم، حشمت. مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات. - ط 3. - القاهرة: مكتبة غريب، 1993 ص 198.
- 4- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دليل الرسائل الجامعية 1389 - 1413 هـ/ إشراف احمد علي تميز. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1414 هـ، ص (د).
- 5- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. - الرياض: الجامعة، 1415، ص ص 33 - 34.
- 6- الموقع الإلكتروني لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [/http://www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)
- 7- الضبيعان، سعد. المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية: مكتبات وزارة المعارف. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - س 16، ع 1 (شعبان 1416 هـ). - ص 8.

آليات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف

السابع في فلسطين

ودورها في تنمية التفكير

بمقتضى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

إعداد

أ. أميرة إسماعيل سرور

د. مريم محمد عودة

مدرسة حاسوب

مديرة مدرسة ووزارة التربية والتعليم

ماجستير مناهج وطرق تدريس

دكتوراه في المناهج وطرق التدريس

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص

يشهد المجتمع الفلسطيني نهضة تعليمية واسعة تهدف إلى بناء الإنسان الفلسطيني لكي يغدو أهلاً لإنجاز ما تتطلبه المرحلة المقبلة ومواجهة تحدياتها، ومن هنا جاءت المناهج الفلسطينية لتحقيق أسمى أهداف التربية وهي إعداد المواطن الصالح حسب مقتضيات عصره ومتطلبات وطنه، فهل تتصف هذه المناهج والمقررات بالحد المطلوب لتنمية قدرات الطلاب التفكيرية؟ وهل تم انتقاء الآيات القرآنية في الصف السابع الأساسي التي تدعم أنماط التفكير التي يحتاجها الطلبة في هذا العصر؟، وحيث إن الكتاب يمثل دعامة المنهاج ويصعب الاستغناء عنه، وحتى يكون لكتب التربية الإسلامية الدور الفعال في تلبية احتياجات الفرد والمجتمع رأت الدراسة الحالية البحث في الآيات القرآنية التي يتضمنها كتاب التربية الإسلامية للصف السابع من حيث دورها في تنمية التفكير لدى طلبة هذا الصف.

ومن هنا ناقشت الدراسة الحالية: دور الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين في تنمية التفكير؟ وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما أنماط التفكير المتوافرة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟
2. ما الأوزان النسبية لأنماط التفكير الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟

واتبعت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي القائم على أسلوب تحليل المحتوى باستخدام أداة تحليل المحتوى لتحقيق أهداف الدراسة وسارت وفق خطوات محددة وتوصلت للنتائج التالية: الآيات القرآنية عينة التحليل تزخر بأنماط التفكير التي تضمنتها أداة التحليل وقد كانت نسب توافرها في الآيات التي تم تحليلها حسب الترتيب التالي: التفكير الأخلاقي وقد كان في المرتبة الأولى ثم التفكير التجريدي وفي المرتبة الثالثة جاء كل من التفكير العلمي والناقد بنسب متساوية يليهما التفكير التأملي وكان أقل أنماط التفكير تمثلاً للتفكير الابتكاري.

**Quranic verses in Islamic Education book for the seventh grade in Palestine and their role in the development of thought.**

Prepared by: Dr. Rahma Ouda and Ms. Amira Srour

**PhD in curricula and teaching methods  
Department of curriculum and methodology**

**ABSTRACT**

The Palestinian community Witnesses broad renaissance of education aims at building a Palestinian human to become eligible for the completion of the requirements of the next stage and face its challenges, hence the Palestinian curriculums came to achieve the highest goals of education which are preparing a good citizen of his time as requirements of his homeland, so the question is; are these curriculums and syllabuses characterized the required limits for the development of the students thinking? And was the selection of Quranic verses in the seventh grade supports basic thinking patterns that students need in this time?

Since the book is a pillar of the curriculum and hard indispensable, and to give the Islamic education book effective role in meeting the needs of the individual and the community, the current study aims at research in the Quranic verses that the Islamic education for the seventh grade book contained in terms of their role in the development of the students thought in this class.

Hence, the current study discussed: the role of Quranic verses in the Islamic education book for the seventh grade in Palestine in the development of thinking? By answering the following questions:

1. What thinking patterns available in the Islamic education book for the primary seventh grade?

2. What relative weights of thinking patterns contained in the Islamic education book for the primary seventh grade?

The current study used descriptive analytical approach based on the content analysis method using content analysis tool to achieve the objectives of the study and it took specific steps according to the findings of the results following: Quranic verses sample analysis is rich with patterns of thinking which were included in the analysis tool and the rates available in the verses that have been analyzed in the following order: Ethical reflection has been ranked first and then abstractionist thinking and in third place came scientific thinking and critic in equal proportions followed by reflective thinking and the less represented was creative thinking.

### مقدمة الدراسة:

حث الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الإنسان على التفكير في الكون، والنظر في الظواهر الكونية المختلفة وتأمل بديع صنعه ومحكم نظامه، كما حثه على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة، وهذه الدعوة إلى الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمي تمثلت في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

وحث القرآن الكريم الناس على التفكير في ملكوت السموات والأرض، وجعل التفكير من السمات المميزة لأصحاب العقول الراجحة، ووصفهم في سورة آل عمران {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران: 191)، ويعد التفكير من أبرز الصفات التي تسمو ببني البشر عن غيرهم من مخلوقات الله، وهو من الحاجات المهمة التي لا تستقيم حياة الإنسان بدونها، ولا يتخلى عنه إلا في حالة غياب الذهن، وحيث أن الإنسان يحتاج إلى التفكير في جميع مراحل عمره لتدبير شئون حياته، فإن المؤسسات التربوية الجادة والملتزمة تهدف إلى تنمية التفكير وتتعهد به بالعناية والرعاية (حسين، 2005).

ولقد كان التأمل والتدبر في آيات الله سبباً في دخول الكثيرين إلى الدين الإسلامي، ومنهم القس الأمريكي مارك د. باري، ويذكر في حديثه عن إسلامه: إن القرآن الكريم لم يترك شيئاً في هذه الحياة، إلا وتحدث فيها عن الحاضر والمستقبل، فقط علينا أن نتأمل لنعي ما فيه بقلب يبصر، وعقل يعي (حامد، 1998: 122).

ومعرفة أسلوب التفكير كما يري ذلك "دي بونو" تؤدي إلي زيادة الرغبة في الإصغاء للآخرين، ونقص التمرکز حول الذات، ونقص الاستخفاف أو التحقير لآراء الآخرين، وزيادة القبول والتسامح إزاء وجهات النظر الأخرى، وتتاقص الابتعاد عن صلب الموضوع، وزيادة الرغبة في التفكير في الموضوعات الجديدة، بدلاً من رفضها علي اعتبار أنها سخيقة، واستخدام التفكير للاستكشاف بدلاً من استخدامه لتدعيم وجهة نظر معينة أو للدفاع عنها واستخدام أشكال من التفكير غير تلك التي تتسم بالنقد المحض، ومعرفة ما ينبغي عمله من انتظار تلك فكرة من الأفكار (دي بونو، 2001: 66).

كما أن من الأهداف الأساسية التي تسعى مناهج التربية الإسلامية إلى تحقيقها بناء الإنسان الصالح، القادر على التوافق مع مجتمعه فهي تهتم ببناء الإنسان في بيئته، كي يبصرها لتخدم أغراضه بما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية، كما أنها تقدم للطلبة فرصاً جيدة لامتلاك مختلف أنماط التفكير التي تساعد على التعامل مع المشكلات، والمجتمع الفلسطيني كغيره من المجتمعات العربية يساور الكثير من أبنائه القلق والرغبة العارمة في مسايرة العالم الحديث مع المحافظة على الجذور الإسلامية والوطنية، ومن هنا تأتي ضرورة العناية بموضوعات التفكير التي تشكل جانب مهم من اهتمامات محتوى مناهج التربية الإسلامية، فالتفكير بأنماطه المختلفة أحد أهم الجوانب التي يعنى بها القرآن الكريم، وتسعى الدراسة الحالية إلى التعرف على مدى اهتمام محتوى كتب التربية الإسلامية بالمرحلة الأساسية العليا في فلسطين بموضوعات تنمية التفكير.

#### مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال البحثي التالي:

ما دور الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين في تنمية التفكير؟

وينبثق عن السؤال السابق الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما أنماط التفكير المتوافرة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟
2. ما الأوزان النسبية لأنماط التفكير الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟

#### أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى التعرف على أنماط التفكير التي تشجع عليها الآيات القرآنية في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع بمرحلة التعليم الأساسي العليا، ومعرفة أوزانها النسبية.

#### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها من أوائل الدراسات التي تسعى لمعرفة أنماط التفكير الواردة في الآيات القرآنية التي يدرسها الطلبة في مرحلة التعليم الأساسي، هذا مما قد يفتح الباب أمام دراسات مماثلة للتعرف على مدى توافق أنماط التفكير التي تنميها الآيات القرآنية مع مراحل النمو العقلي للطفل.

## أدبيات الدراسة

### الدراسات السابقة:

- استهدف دراسة البريثن (2003) التأسيس للتفكير، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الوثائقي، واستعرض مفهوم الفكر والتفكير والتفكير، ثم المنظور النفسي، والمنظور الإسلامي للتفكير، ثم تاريخ دراسة التفكير وتطوره، ثم تناولت أنماط التفكير حسب ارتباطها بالجانب الروحي والإنساني؛ ومن هذه الأنماط: التفكير التحليلي، والتفكير المثالي، والتفكير الواقعي، والتفكير التركيبي، والتفكير النفعي.
- وهدفت دراسة حوامدة (2003) لاستطلاع منهجية القرآن في التعامل مع الفكر الإنساني ودور هذه المنهجية في توجيه الفكر وتنميته لدى الفرد، تحت عنوان: "مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان"، وقد ظهر من هذا الاستطلاع ما يلي:
  - نهي القرآن الكريم عن اتباع المنحني الخطي في التفكير وذمه ووصفه بالتقليد والتعصب الأعمى والمحافظة على موروثات الآباء والأجداد وعدم إعمال الفكر والعقل، مثال ذلك قوله تعالى في وصف الكفار: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} (سورة الزخرف: 22).
  - دعى إلى اتباع المنحني المنظومي في كل مواقف التفكير وجعل لذلك ضوابط وموجهات، أما الضوابط فهي تتعلق بمفهوم العقل، ومفهوم الدعوة، ومفهوم وحدانية الخالق، وحدة المخلوق، ومفهوم التوازن ومفهوم الخيرية، ومفهوم الغرضية أو الغائية، وأما الموجهات فهي تتعلق بالحث على طلب العلم، وجعل الكون والإنسان والحياة هي مجال التفكير والتحذير من اتباع الظن، وإثارة الحماس نتيجة ما جاء في القرآن من صور بلاغية وأساليب مقنعة وجرس موسيقي وعلوم لا تنتهي ينتفع بها كل إنسان في أي زمان ومكان.
- وقد اختار الباحث ثلاثة نصوص من القرآن الكريم واستعرضها واستطلع ما فيها من علاقات وأوضح أن المنهج الذي استخدمه هو الحث على التفكير المنظومي، والذي من خلاله يصل الإنسان إلى العلاقة الخالدة والإيمان بالله واليوم الآخر.
- وتناولت دراسة العمري (2003) أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير "نموذج سورة الشورى"، حيث حاولت التعرف على بعض أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير من خلال نموذج سورة الشورى وخلصت الدراسة إلى أن سورة الشورى قدمت



نموذجاً تفكيرياً، يُمكن تلخيصه بإثارة المشكلة الإيمانية بطريقة تقديم الموقف المُحير أو المشكل، ثم البحث في البدائل واختيار أفضلها للوصول إلى حل المشكلة الإيمانية، ثم التفكير التحليلي المؤدي إلى حل المشكلة الإيمانية عن طريق عرض المفاهيم الإيمانية الإيجابية وتدعيمها، وعرض المفاهيم السلبية، ومناقشتها والرد عليها، ثم حلها تأملياً بمنهجية التفكير الاستدلالي بشقيه الاستقرائي والاستنباطي، وبمنهجية التفكير العملي الإجرائي، والوصول إلى النتائج والقوانين العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية، وأوصى الباحث بفتح المجال أمام الباحثين، لدراسة سور القرآن لاستخراج المواقف المحيرة والمشكلة التي استعملها القرآن الكريم في سوره المتعددة، لإثارة المشكلة الإيمانية.

- وحاول الأغا (2002) في دراسته وضع رؤية أولية لأساليب التفكير في القرآن الكريم، حيث استخدم أسلوب تحليل المضمون للنصوص القرآنية، وقام بتحديد أساليب التفكير التالية: التبصر، والنظرية، والتعقل، والتقدير، والتفكير، والتذكر. وحصر الآيات القرآنية التي تضمنت مصطلحات أساليب التفكير باستخدام المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وباستخدام الكمبيوتر، وتفسير القرآن الكريم. وخلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم يتضمن منهجاً تربوياً، ويقوم على مبادئ تعليمية، تقوم على أساس المعرفة التامة بالنفس البشرية، وبالقدرات العقلية، ويناسب الفطرة. وكذلك مستويات التفكير تتبع ترتيباً تدريجياً فبعض أنواعها أبسط من الأنواع الأخرى؛ وهي متدرجة حسب رأى الباحث من الأيسر كما يلي: التبصر، والتعقل، والتدبير، والتذكر، والنظر، والتفكير.

- سعت دراسة السويدي (1998) إلى مناقشة الفكر والتفكير في ضوء الكتاب والسنة، حيث تناول الباحث مصطلحات دارجة للتفكير، مثل: التذكر، والاعتبار، والنظر، والتدبر، والتأمل، والتفكير، والعقل، والقلب، والفؤاد. وتناولها كما وردت في القرآن الكريم، والسنة الشريفة. وكذلك في كتب اللغة، وأقوال الباحثين القدامى، والجدد. وخلصت الدراسة إلى أن الرسول الكريم، استخدم أنواعاً مختلفة من التفكير؛ مثل: التفكير الابتكاري، والتفكير الناقد، والتفكير الاستدلالي، والتفكير الجماعي، والمستوى التصوري. واقترح بعض الأساليب لتحسين التفكير عند الفرد.

- استهدفت دراسة السامرائي والدغشي (1997) بيان الأساس الفطري في التربية الإسلامية من خلال الدلالة القرآنية والنبوية، واتبعت الدراسة المنهج التأصيلي

التحليلي الاستنباطي الذي يعتمد على المصادر الأصلية، وتوصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم تطرق إلى موضوع الأساس الفطري بصورة مباشرة في آيتين كريمتين هما الآية ﴿30﴾ من سورة الروم، والآية ﴿172﴾ من سورة الأعراف. وأوصت الدراسة بإيلاء موضوع الأساس الفطري في التربية الإسلامية في دلالاته القرآنية والنبوية عن طريق المنهج الموضوعي المعتمد على الاستقراء والتتبع للآيات والأحاديث ذات الصلة بالموضوع.

#### تعليق على الدراسات السابقة:

- جميع الدراسات السابقة حديثة نسبيًا، حيث أجريت بين العام (2003-1997) وأكدت معظمها على ضرورة الاستفادة من منهجية القرآن في التفكير، وأوصت بمزيد من الأبحاث في هذا المجال.
- جميع الدراسات السابقة أجريت في بيئات عربية مختلفة، وتتشابه الدراسة الحالية مع دراسة الأغا (2002) فهي دراسة محلية.
- تناولت جميع الدراسات السابقة أساليب التفكير في القرآن الكريم، ماعدا دراسة السويدي (1998) التي تناولت كذلك التفكير في السنة، أما دراسة السامرائي والدغشي (1997) فقد تناولت الأساس الفطري في التربية الإسلامية.
- حاولت الدراسات السابقة البحث في منهجية التفكير من خلال ألفاظ الفكر والتفكير والعقل والتدبر، وهي كما وردت في القرآن الكريم.
- دعت دراسة الأغا (2002) إلى إيجاد منهجية لدراسة أساليب التفكير في القرآن الكريم.
- حاولت دراسة العمري (2003) استنباط أساليب التفكير التي توجد في سورة الشورى، ويتشابه هذا إلى حد بعيد مع الدراسة الحالية، إذ حاولت استنباط أساليب التفكير التي توجد في آيات قرآنية محددة يدرسها طلبة الصف السابع الأساسي.
- تميزت الدراسة الحالية عن جميع الدراسات السابقة، أنها قامت ببناء أداة لتحليل المحتوى، يتم من خلالها التعرف على أنماط التفكير الواردة في الآيات الواردة ضمن منهج التربية الإسلامية للصف السابع.
- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة، في كيفية تحليل المحتوى القرآني، وتحديد مهارات التفكير، وكتابة الجانب النظري، والتوصيات.

#### الإطار النظري:

يتناول الإطار النظري لمحات سريعة حول القرآن الكريم؛ تعريفه، وأسماءه، وأوصافه. ثم يتدرج إلى التفكير وتعريفه، يلي ذلك التفكير في القرآن الكريم، والسنة الشريفة. ثم يستعرض تعريف سريع لأنماط التفكير التي تبنتها الدراسة الحالية.

أولاً: القرآن الكريم:

تعريفه: هو الكتاب المنزل من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنجماً في ثلاث وعشرين سنة بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام (وزارة التربية والتعليم، 2005)

أسماءه وأوصافه:

وقد ورد في كتاب علوم القرآن للزركشي خمس وخمسون اسماً للقرآن من أشهر الأسماء ما يلي (موقع. islampedia.com):

1- القرآن: إشارة إلى حفظه في الصدور، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ﴾ (الإسراء: 9).

2- الكتاب: إشارة إلى كتابته في السطور، ﴿الْم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: 1-2).

3- الذكر: إشارة إلى إعجازه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9).

4- الفرقان: إشارة إلى أنه يفرق بين الحق والباطل، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1).

ومن أوصافه:

1- هدى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (لقمان: 3).

2- نور: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء: 174).

3- شفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ (الإسراء: 82).

4- حكمة: ﴿حِكْمَةً بَالِغَةً﴾ (القمر: 5).

5- موعظة: ﴿فَإِذَا جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (يونس: 57).

6- وحي: ﴿إِنَّمَا أَنْزَرْنَا بِالْوَحْيِ﴾ (الأنبياء: 45).

ثانياً: التفكير:

تعريف التفكير:

تعددت التعريفات للتفكير؛ حسب الزوايا التي ينظر إليه منها واضعو هذه

التعريفات ومن هذه التعريفات:

**التفكير لغة:** ورد في المعجم الوسيط (فَكَرَ) في الأمر فكرَ: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول، و(التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حله. **والفكرة:** الفكرُ: الصورة الذهنية لأمر ما، و **تفكر في الأمر:** افكر، وفي التنزيل العزيز "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الرعد: 3) (مذكور، 1985: 724).  
ولقد وردت كلمة يتفكرون في القرآن الكريم عشر مرات، منها في السور التالية:  
(الأعراف: 176)، (يونس: 24)، (الرعد: 3)، (النحل: 11-44-69)، (الروم: 21)، (الزمر: 42)، (الجاثية: 13)، (الحشر: 21).  
**التفكير:**

يرى قطامي (1990: 108) أن "أسلوب التفكير هو الطريقة التي يستقبل بها الفرد الخبرة وينظمها ويسجلها ويخزنها وبالتالي يدمجها في مخزونه المعرفي"، ويعرف منصور (1989: 189) التفكير بأنه "عملية عقلية معرفية تعبر عن انعكاس العلاقات والروابط بين الظواهر أو الأشياء أو الأحداث في وعي الإنسان" ويرى الدريني (1985: 311) أن "التفكير نشاط رمزي يستمر دون علاقات مباشرة بالمتغيرات الخارجية"، كما يعرفه أيضاً بأنه "مجموعة من المعاني تثار في الذهن عندما يواجه الإنسان مشكلة ويريد القيام بعمل معين"، ويعرف ديوي Dewey التفكير بأنه: "محاولة الفرد لفحص وتقييم المعلومات المعتمدة على بعض المعايير" (Philips, 1997)، فيما يرى بارتليت Bartlett أن: "التفكير هو عملية ملء الفجوات واستنباط ما وراء المعلومات وإعطاء ترجمة فورية لها"، ويرى دي بونو De Bono أن: "التفكير هو المهارة العملية التي تعتمد على الذكاء وتعمل من خلال التجربة" (Mc Grath, 1997).

يذكر قطامي (1990: 109) أن مجموعة من علماء النفس ترى أن: "التفكير مفهوم إفتراضي يُشير إلى عملية داخلية تُعزى إلى نشاط ذهني معرفي تفاعلي قصدي مُوجه نحو حل مسألة أو اتخاذ قرار معين، أو إشباع رغبة في الفهم، أو إيجاد معنى أو إجابة عن سؤال ما، ويتطور التفكير لدى الفرد تبعاً لظروفه البيئية المحيطة".  
بينما ترى الدراسة الحالية أن: "التفكير عملية عقلية معرفية من أكثر النشاطات الإنسانية تقدماً تشير إلى عمليات داخلية يستخدمها الفرد في معالجة الموضوعات التي تحتاج إلى حل، ويظهر أثرها في سلوك الفرد كموجه نحو حل مشكلة ما أو اتخاذ قرار وأن هذا السلوك له خصائص محددة أهمها وجود هدف والقدرة على الاستبصار والاختيار وإعادة التنظيم".

### تعليم التفكير:

نظراً لتعدد واختلاف مهارات التفكير وأنماطه وظهور الحاجة لجعله هدفاً تربوياً بدأت حركة التعليم من أجل تنمية التفكير تكون اتجاهاً هاماً في الوقت الراهن (كبيف، 1995، 205)، ولهذا يجب أن يسعى المدرسون سعياً جاداً لجعل التعليم ذي فاعلية وفائدة للطلاب وذلك من خلال تزويدهم بالأدوات التي يحتاجونها للتعامل مع المعلومات والمتغيرات التي يأتي بها المستقبل ومن هنا "يكتسب التعليم من أجل التفكير والتعليم التفكير أهمية متزايدة كحاجة لبقاء ونجاح الفرد والمجتمع معاً" (جروان، 1997: 9).

ونظراً لأهمية هذا الموضوع وإدراك التربويين لحاجة المدارس لتنمية مهارات التفكير لدى المتعلمين ظهرت أربعة اتجاهات لتعليم التفكير هي (كرم، 1992):  
**الاتجاه الأول:** يدعي أن مهارات التفكير موجودة في المنهج ولا داعي لتدعيم ذلك.  
**الاتجاه الثاني:** يذكر أن مهارات التفكير يمكن إضافتها إلى المنهج كمقرر مستقل.  
**الاتجاه الثالث:** يركز على ضرورة بناء متكامل ومتسلسل لمهارات التفكير وربطها بالمنهج الدراسي.

**الاتجاه الرابع:** يذكر بأن مهارات التفكير يمكن تدريسها وتضمينها كجزء من المنهج على أساس متطلبات المنهج وحاجات التلاميذ.

وترى الدراسة أن الاتجاه الرابع الذي ينادي بتدريس مهارات التفكير كجزء من المنهج على أساس متطلبات المنهج وحاجات التلاميذ هو أقرب الاتجاهات لتحقيق هدف تنمية مهارات التفكير إلى جانب تعليم المحتوى الدراسي معاً ويرى كرم (1992) أن ذلك يتطلب القيام بثلاث خطوات هي:

**أولاً:** تحليل أهداف المنهج لتقرير أنواع المهارات المطلوبة.

**ثانياً:** تقويم الحاجات المعرفية للمتعلمين مع أهداف المنهج.

**ثالثاً:** بناء إطار لمهارات التفكير المقترحة طبقاً لمتطلبات المنهج وحاجات الطلاب المعرفية.

وإذا أمكن صياغة المحتوى الدراسي المتضمن لمهارات التفكير حسب هذه الخطوات فإن المحتوى سيكون به من الإثارة ما يضمن انجذاب الطلبة إليه وتعلمهم للمفاهيم والمعلومات بشغف محققين إلى جانب ذلك أهداف تعليم التفكير أيضاً، ويرى ماك جريث (Mc Grath, 1997) أن تعليم التفكير ضمن المناهج الدراسية العادية يعطي أساس معرفي يمكن من خلاله ممارسة وتطوير مهارات التفكير، كما أنها تعطي مؤشراً للتفكير الجيد، ويبرز أهمية وقيمة ما يتم تعلمه.

ومن هنا تؤكد الدراسة على أهمية دور الآيات القرآنية في تعليم الطلاب مهارات التفكير بما يؤهلهم لفهم دينهم والتكيف في مجتمعاتهم.

### ثالثاً: التفكير في القرآن الكريم:

حث القرآن الكريم الناس على التفكير في ملكوت السموات والأرض، وجعل التفكير من السمات المميزة لأصحاب العقول الراجحة، ووصفهم بأنهم دائماً يتفكرون، قال تعالى: (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) (آل عمران: 191) وتضمن القرآن الكريم صيغاً كثيرة تدعو إلى التعقل والتفكير والتدبر، وقد أورد سعيد إسماعيل (العمرى، 2003) الإحصائية التالية التي تدل على مدى استخدام القرآن الكريم لمفاهيم التفكير ومتعلقاتها: جاءت مادة الفكر في نحو ثمانين عشرة آية، والفقه بمعنى الفهم في نحو عشرين آية. والعلم مراد به علم الناس. لاعلم الله تعالى في نحو مائة وست آيات كريمة، ومادة الرأي في نحو ثمانين آية، ومادة النظر في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة البصيرة في نحو ثلاث وعشرين آية، ومادة العقل في نحو مائة وثلاثين آية، ومادة النهى بمعنى العقول في آيتين، والفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة آية، ومادة اللب بمعنى العقل في ست عشرة آية، ومادة التدبر في أربع آيات، ومادة الفهم في آية واحدة.

والقرآن الكريم يُوقظ التفكير بالتمثيل تارة، وبالاحتكام إليه تارة، وفي ذلك يذكر الحوفي (1997) أن القرآن الكريم لم يقتصر على تقدير العقل والعلم والفكر والتنويه بأقدار العلماء والسخرية من الجهال، بل اعتمد في كثير من آياته على التمثيل والتصوير للتدليل على وحدانية الله وعلى قدرته، كما عقب على كثير من الأحكام بالحض على التفكير في حكمتها، فكثيراً ما ضرب الأمثلة على أنه الله الواحد الأحد، القادر، وإثبات البعث، وللكشف عن حقائق يجب ألا يشك في صدقها عاقل، قال تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (الزمر: 27).

أما المجال الآخر الذي يُوقظ فيه القرآن الكريم العقول والتفكير حيناً آخر، فهو الأحكام الشرعية. وذلك أن بعض الأحكام الشرعية جاءت مقرونة بالتفكير، لأن القرآن الكريم كثيراً ما عقب على الأوامر والنواهي بالدعوة إلى التفكير في أسرارها وفي آثارها وحكمتها، ليتبين الناس مافيها من خير لهم، وليزدادوا يقيناً بأن الله تعالى فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده، الخبير بما يلائم طباعهم، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم، الغني عن طاعتهم، الذي لا تضره معصيتهم، فالخير لهم في أن يعملوا ما أمرهم به، وأن يجتنبوا مانهاهم عنه عن عقيدة ويقين، وألا يحتكموا إلى أهوائهم، لأنها تصرف عن الحق،

وتُزين الشر، ولأنها تتغايير وتتنافر وتتبدل، ولأنها تشيع في المجتمع البلبلة والاضطراب والفوضى، فيفقد الوحدة والألفة والانسجام، ثم إن إحكام الأهواء مع هذا كله موقوتة لا دوام لها، ضعيفة ليس لها من القوة الذاتية والوازع النفسي ما شرع الله، قال تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: 63).

ومن الأحكام المقرونة بالدعوة إلى التعقل والتفكير أدب اجتماعي عظيم هو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلَهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). (النور: 27-28). في هذه الآيات الكريمة أدب اجتماعي رفيع يأمر الله به عباده، لعلهم يعونه ويتذكرونه ويعقلونه ويعملون به، لأن فيه خيراً كثيراً لهم. فلا يصح أن يقتحم أجنبي داراً غير داره قبل أن يستأذن، ويحيي من فيها، فإن لم يجد بها أحداً فلا يصح له أن يدخل، وإن كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه أن يرجع، لأن هذا أدب اجتماعي لا بد من مراعاته، حتى لا يؤذي أحد بمفاجأة أو اطلاع علي ما لا يصح أن يطلع عليه من شؤون غيره وأسراره ودخائله، وحتى يشعر كل شخص بأنه حر آمن طليق يستريح إذا شاء، ويتصرف كما يشاء، ولا شك أن الاستئذان تمهيد طيب للقاء الزائر والمزور، وإعداد للحال النفسية الملائمة للمجالسة والحديث والمؤانسة.

وعلي هذه الشاكلة احتكم القرآن إلى العقول والعلوم والأفكار ولأنه الدين الذي كرم الإنسان، فأعز العقل، واعتز بالعلم، وقدر الفكر والتفكير، لأنه الدين الخاتم، ولأنه الدين الذي كرم الإنسان، وسما به مكاناً علياً.

#### الحث على التدبر في القرآن:

وقد ورد الحث الشديد في الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة على تدارس القرآن والتدبر في معانيه، والتفكر في مقاصده وأهدافه قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد: 24) وفي هذه الآية الكريمة توبيخ عظيم على عدم إعطاء القرآن حقه من العناية والتدبر، وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، (مجمع الزوائد، نور الهيتمي).

فحلقات التفكير الصحيح تنتهي إلى الخالق العظيم حيث لم يكتفي الإسلام في عناصر التفكير للوصول إلى الحقيقة بالوصول إليها، وإنما دعا إلى التواصل بها، ودعا

إلى الدخول فيها، والتعاون على سياستها، والبعد عن حياة الظلام، ونهج اللصوص والأبالسة والشياطين ولهذا ذكر القرآن أتباعه تلك الحقيقة حين قال ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: 1-3). فبعد الإيمان لا بد من التواصي للاستمسك به، واعتناقه بإخلاص وإصرار والدفاع عنه لحمايته حتى لا تسيطر عناصر الشر على عناصر الخير، ومن هنا كان التواصي بالصبر على الحق لأن القابض على دينيه كالقابض على الجمر، والحريص على مرضاة الله لا بد له من مدافعة هواه، ومع حرص الإسلام على إتاحة الفرصة للإنسان في الوصول إلى النتائج بنفسه أخذاً بيده إلى الطريق الصحيح، مرشداً له إلى وسائل التفكير السليم، فإنه لم يحاول أن يفرض عليه ما هو حق، وإنما ترك له حرية الاختيار إمعاناً في حرية الفكر ورغبة في احترام العقل، وأن يتم الإيمان في جو من الحرية المطلقة، والافتتاح الذاتي النابت عن العقل والفكر أولاً ثم عن الرغبة والاختيار وخاصة في مرحلة الاعتقاد (الشرباصي، 1983: 37)

#### رابعاً: التفكير في السنة الشريفة:

لقد فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن التفكير من أعظم القربات وأجلها إلى الله تعالى، فعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت عبد الله بن عمير: حدثنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: يا عائشة! ذريني أتعبد لربي قالت: قلت: والله إني لأحب قريبي وأحب ما يسرك قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: "إن في خلق السماوات والأرض لآيات لأولي الأبواب \* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض...." (آل عمران 191، 191) (السلسلة الصحيحة، ناصر الدين الألباني، 147/1). وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم حدود التفكير، فجعله في كل شيء بشكل مطلق، فيما عدا التفكير في ذات الله تعالى، فقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم التفكير في ذات الله من وساوس الشيطان فقال: "يأتي الشيطان أحكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" (البخاري ج 6 رقم 3276، 336).



ومن الأساليب المستخدمة لتحسين التفكير عند الفرد، كما تم استنباطها من السنة الشريفة، ما يلي (السويدي، 1998):

- 1- تحسين الظروف المادية والفسولوجية والانفعالية للفرد.
  - 2- تحسين ظروف العمل، من ناحية التهوية والهدوء يُؤدى إلى تحسين التفكير.
  - 3- تنظيم الوقت يُساعد على تحسين التفكير.
  - 4- دراسة الأخطاء الشائعة التي قام بها السابقون.
- خامساً: أنماط التفكير التي تبنتها الدراسة الحالية:

تناولت الدراسة الحالية، بعض أنواع التفكير، وفيما يلي كل منها، وذكر بعض مهاراته، وتم تعريف كل مهارة في بطاقة تحليل المحتوى ملحق رقم (1):

1- التفكير العلمي **Scientific Thinking** : هو ذلك النمط من التفكير الذي يعتمد على الأسلوب العلمي، أو وجهات النظر العلمية مثل: الواقعية، والطبيعية، والتربوية، والتجريبية، والإيجابية، ومن مهاراته: الملاحظة، والتصنيف، والتفسير، البدائل والاحتمالات والخيارات، والتوقع، والتذكر، والتنبؤ، والتحليل (سعادة: 2003).

2- التفكير الابتكاري **Creative Thinking**: يُعرف التفكير الابتكاري بأنه القدرة على إنتاج عدد من الأفكار الأصيلة غير العادية، تخرج عن الإطار المعرفي لدى الفرد المفكر أو البيئة التي يعيش فيها، ويتميز هذا التفكير بقدر كبير من الطلاقة (عزارة الأفكار، والألفاظ، والارتباطات)، والمرونة (ورؤية المشكلة من زوايا وجوانب كثيرة، وقدرته على اتباع أكثر من طريقة لكل ما يحتمل من أفكار وحلول)، والتصميم (قدرة الفرد على إنتاج أفكار وحلول جديدة غير مألوفة للمشكلة). ومن مهاراته: الأصالة، والمرونة، والطلاقة، والحساسية للمشكلات، وإدراك التفاصيل، والتخيل (رزق، 1998).

3- التفكير الناقد **Critical Thinking**: طرح باير Beyer تعريفاً للتفكير الناقد على أنه "ذلك النوع من التفكير القابل للتقييم بطبيعته، والمتضمن للتحليلات الهادفة، والدقيقة، والمتواصلة لأي إدعاء أو معتقد، ومن أي مصدر من أجل الحكم على دقته، وصلاحيته وقيمه الحقيقية، ومن مهاراته: الاستنتاج، وتحديد العلاقة بين السبب والنتيجة، والمقارنة أو التباين أو التناقض، وتحديد الأولويات، والتعرف إلى وجهات نظر الآخرين (سعادة، 2003)

- 4- التفكير التجريدي (المجرد) **Abstract Thinking**: هو التفكير في الأشياء غير المحسوسة التي لا نستطيع أن نراها أو نسمعها أو نزنها، وهو يدور حول مفاهيم مجردة، وهو التفكير الذي يستطيع الإنسان من خلاله تفسير الظواهر من خلال التخيل، ويُطلق عليه كذلك التفكير الشكلي، ومن مهاراته: التفكير بطريقة التعبير المجازي (الاستعارة)، والاستدلال الاستقرائي، والاستدلال الاستنباطي (الخذندار، 2006: 315).
- 5- التفكير التأملي **Reflective Thinking**: هو ذلك النمط من التفكير بالوعي الذاتي، والمعرفة الذاتية أو التأمل الذاتي، والذي يعتمد على التمعن ومراقبة النفس، والنظر بعمق إلى الأمور، ومن مهاراته: الرؤية البصرية، الكشف عن المغالطات، الوصول إلى استنتاجات، وإعطاء تفسيرات مُقنعة (سعادة، 2003).
- 6- التفكير الأخلاقي **Moral Thinking**: وهو القدرة على فهم الصواب والخطأ بمعنى القدرة على إدراك الألم لدى الآخرين وردع النفس عن القيام ببعض النوايا القاسية والسيطرة على الدوافع، ومن مهاراته: التمثل العاطفي، والضمير، و الرقابة الذاتية، و الاحترام، و العطف، والتسامح، والعدل (حسين، 2003: 335).

#### الطريقة والإجراءات:

**منهج الدراسة:** استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال أسلوب تحليل المحتوى لملاءمته لطبيعة الدراسة الحالية حيث قامت بتحليل كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي، والمنهج الوصفي التحليلي هو "طريقة في البحث عن الحاضر وتهدف إلى تجهيز بيانات لإثبات فروض معينة تمهيداً للإجابة عن تساؤلات محددة سلفاً تتعلق بالظواهر الحالية والأحداث الراهنة التي يمكن جمع المعلومات عنها في زمان إجراء البحث وذلك باستخدام أدوات معينة" (الأغا والأستاذ، 1999: 73).

ويستخدم أسلوب تحليل المحتوى لتقويم المناهج من أجل تطويرها وهو يعتمد على تحديد أهداف التحليل ووحدة التحليل للتوصل إلى مدى شيوع ظاهرة أو أحد المفاهيم أو فكرة وتكون نتائج هذا التحليل أحد مؤشرات التطوير فيما بعد (القاني والجمل، 1999: 60).

## الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

**مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع الدراسة من جميع كتب التربية الإسلامية في مرحلة التعليم الأساسي العليا من الصف الخامس الأساسي إلى الصف العاشر في المنهاج الفلسطيني والتي تدرس في العام الدراسي 2007/2008م.

**عينة الدراسة:** تتكون عينة الدراسة من كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي وعددها كتابان وقد اختيرت عينة الدراسة بطريقة قصديه وهي الكتب التي تدرس في مرحلة تعليمية متوسطة في مرحلة التعليم الأساسي العليا.

**حدود الدراسة:** تقتصر الدراسة الحالية على تطبيق أداة التحليل التي أعدت لأغراض الدراسة على كتب التربية الإسلامية المقررة ضمن المناهج الفلسطينية والتي أقرتها وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية للتدريس لطلبة الصف السابع الأساسي في المدارس الفلسطينية في العام 2007/2008، وقد تضمنت أداة التحليل الأنماط التالية من التفكير: العلمي، الابتكاري، الناقد، التجريدي، التأملي، الأخلاقي.

### جدول (1)

الآيات القرآنية التي تضمنتها كتب التربية الإسلامية للصف السابع المرحلة الأساسية العليا بفلسطين

| الصف   | الفصل الدراسي | الآيات القرآنية   |
|--------|---------------|---|
| السابع | الفصل الأول   | سورة يس الآيات (1 - 73).  |
|        | الفصل الثاني  | سورة يس الآيات (74-83)، سورة الفرقان الآيات (63-77)، سورة هود الآيات (25-49). |

### أداة الدراسة:

**أداة تحليل المحتوى:** قامت الدراسة باستخدام أداة تحليل محتوى كتابي التربية الإسلامية عينة الدراسة وذلك للكشف عن مدى توافر أنماط التفكير في الآيات التي تدرس للطلبة، وقد قامت الباحثتان ببناء الأداة متبعة الخطوات التالية:

1- **وضع الصورة الأولية للأداة:** وقد تضمن ذلك تحديد كل من: هدف التحليل، عينة التحليل، وحدة التحليل، فئة التحليل، وحدة التسجيل، ضوابط عملية التحليل، التعريفات الإجرائية لأنماط التفكير المختلفة، واستمارة لرصد تكرار هذه الأنماط.

2- **صدق أداة التحليل وثباتها:**

أ- صدق أداة التحليل: ويقصد بالصدق "مدى تحقيق الأداة للغرض الذي أعدت من أجله فيقيس ما وضعت لقياسه (الأغا، 1997: 118)

وللتحقق من ذلك قامت الباحثتان بعرض أداة التحليل على لجنة من المحكمين وذلك لإبداء رأيهم حول التعريفات الإجرائية لكل نمط من أنماط التفكير، ومدى شمولية فئات التحليل وعينته ووحدته، ووحدة التسجيل ودقة ضوابط عملية التحليل، وقد تم إجراء التعديلات اللازمة حسب اقتراحات المحكمين، وبذلك أمكن الحكم على صدق محتوى أداة التحليل.

ب- ثبات أداة التحليل: ويقصد بالثبات "الحصول على نفس النتائج عند تكرار القياس باستخدام الأداة في نفس الظروف" (الأغا، 1997: 120).

وللتحقق من ذلك قامت الباحثتان بتحليل مضمون آيات سورة يس في الوقت نفسه، وحسب معامل ثبات التحليل بمعادلة هولستي (طعيمة، 2004: 178) R

$$R = \frac{2M}{N1 + N2}$$

والجدول التالي يوضح الاتفاق بين التحليلين ومعامل الثبات وذلك بالنسبة لأنماط

التفكير، ولكل سورة من سور عينة التحليل:

الجدول رقم (2)

يبين مدى الاتفاق والاختلاف بين التحليلين ومعاملات الثبات

| أنماط التفكير     | المحلل الأول | المحلل الثاني | الاتفاق | الاختلاف | الثبات |
|-------------------|--------------|---------------|---------|----------|--------|
| التفكير العلمي    | 8            | 7             | 7       | 1        | 0.875  |
| التفكير الابتكاري | 6            | 5             | 5       | 1        | 0.83   |
| التفكير الناقد    | 9            | 8             | 8       | 1        | 0.89   |
| التفكير التجريدي  | 5            | 7             | 5       | 2        | 0.71   |
| التفكير التأملي   | 4            | 6             | 4       | 2        | 0.67   |
| التفكير الأخلاقي  | 7            | 5             | 5       | 2        | 0.71   |
| التفكير ككل       | 38           | 38            | 34      | 9        | 0.79   |

من خلال الجدول السابق يتضح أن معاملات ثبات التحليل مناسبة ومرتفعة في

معظم أنماط التفكير وقد بلغ معامل الثبات لأداة التحليل ككل 0.79، وهو معامل ثبات مقبول يؤكد صلاحية استخدام الأداة في الدراسة.

### نتائج الدراسة:

بعد أن قامت الباحثتان بتحليل الكتابين عينة الدراسة وفق الخطوات التي اعتمدتها الدراسة جمعت البيانات وعرضت في جداول توضح متوسطات تكرارات كل معيار، وفيما يلي تحاول الدراسة الإجابة عن كل سؤال من أسئلة الدراسة وقد جاءت النتائج كما يلي:

إجابة السؤال الأول: وينص السؤال الأول على مايلي:

ما أنماط التفكير المتوافرة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟

وللإجابة عن هذا السؤال راجعت الدراسة الأدب التربوي واطلعت على خصائص نمو الطفل في مرحلة التعليم الأساسي العليا ووضعت قائمة بأنماط التفكير التي يمكن تمييزها لدى طفل هذه المرحلة وصيغت ضمن قائمة التحليل التي تم تحكيما والتأكد من صدقها وقد تضمنت بطاقة التحليل ست أنماط من التفكير و34 مهارة فرعية موزعة كما يلي:

### الجدول رقم (3)

يبين أنماط التفكير التي تضمنتها بطاقة التحليل والمهارات الفرعية لكل منها

| نمط التفكير    | المهارات الفرعية           | نمط التفكير       | المهارات الفرعية     |
|----------------|----------------------------|-------------------|----------------------|
| التفكير العلمي | 1. الملاحظة                | التفكير الابتكاري | 1. الأصالة           |
|                | 2. التصنيف                 |                   | 2. المرونة           |
|                | 3. التفسير                 |                   | 3. الطلاقة           |
|                | 4. البدائل والاحتمالات     |                   | 4. الحساسية للمشكلات |
|                | 5. التوقع                  |                   | 5. إدراك التفاصيل    |
|                | 6. التذكر                  |                   | 6. التخيل            |
| التفكير الناقد | 7. التنبؤ                  | التفكير الأخلاقي  | 1. التمثل العاطفي    |
|                | 8. التحليل                 |                   | 2. الضمير            |
| التفكير الناقد | 1. الاستنتاج               | التفكير الناقد    | 3. الرقابة الذاتية   |
|                | 2. تحديد العلاقة بين السبب |                   | 4. الاحترام          |
|                | 3. المقارنة أو التباين أو  |                   | 5. العطف             |

الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

|                         |                    |                           |
|-------------------------|--------------------|---------------------------|
| 6. التسامح              |                    | 4. تحديد الأولويات        |
| 7. العدل                |                    | 5. التعرف إلى وجهات       |
| 1. الرؤية البصرية       | التفكير<br>التأملي | 1. التفكير بطريقة التعبير |
| 2. الكشف عن المغالطات   |                    | 2. الاستدلال الاستقرائي   |
| 3. الوصول إلى استنتاجات |                    | 3. الاستدلال الاستنباطي   |
| 4. إعطاء تفسيرات        |                    |                           |
| 5. وضع حلول مقترحة      |                    |                           |

الإجابة عن السؤال الثاني: وينص السؤال على:

ما الأوزان النسبية لأنماط التفكير الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي؟

وللإجابة عن السؤال قامت الدراسة بتحليل محتوى الآيات القرآنية المقررة على

طلبة الصف السابع الأساسي وكانت نتائج التحليل كما يبينها الجدول التالي:

الجدول رقم (4)

نتائج تحليل الآيات القرآنية التي تضمنتها كتب التربية الإسلامية للصف السابع

| النسبة<br>المئوية | التكرار | سورة هود<br>الآيات (25-<br>49) | سورة الفرقان<br>الآيات (63-<br>77) | سورة يس<br>الآيات (1-<br>83) | أنماط التفكير                            |
|-------------------|---------|--------------------------------|------------------------------------|------------------------------|--|
| 18.18             | 14      | 5                              | 1                                  | 8                            | التفكير العلمي<br>ككل                    |
| 3.9               | 3       | 32                             | -                                  | 36،77                        | 1- الملاحظة.                             |
| 0                 | -       | -                              | -                                  | -                            | 2- التصنيف.                              |
| 2.6               | 2       | -                              | -                                  | 53-54،<br>70-73              | 3- التفسير.                              |
| 1.3               | 1       | -                              | -                                  | 49-50،                       | 4- البـدائل<br>والاحتمالات<br>والخيارات. |
| 2.6               | 2       | 33، 38                         | -                                  | -                            | 5- التوقع.                               |

آيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

|       |    |         |                  |                          |   |
|-------|----|---------|------------------|--------------------------|---|
| 1.3   | 1  | -       | -                | 44-41،                   | 6- التذکر .                                 |
| 3.9   | 3  | 39، 34، | 66-65،           | -                        | 7- التنبؤ .                                 |
| 2.6   | 2  | -       | -                | 27،80-20<br>83           | 8- التحليل                                  |
| 9.09  | 7  | 1       | 1                | 5                        | التفكير الإبتکاری<br>ككل                    |
| 0     | -  | -       | -                | -                        | 1- الأصالة .                                |
| 1.3   | 1  | 28      | -                | -                        | 2- المرونة .                                |
| 0     | -  | -       | -                | -                        | 3- الطلاقة .                                |
| 2.6   | 2  | -       | -                | 64-59، 1،                | 4- الحساسية<br>للمشكلات .                   |
| 5.2   | 4  | -       | 64،              | 28-10، 6-<br>69 .32      | 5- إدراك<br>التفاصيل .                      |
| 0     | -  | -       | -                | -                        | 6- التخيل .                                 |
| 18.18 | 14 | 2       | 4                | 8                        | التفكير الناقد ككل                          |
| 2.6   | 2  | 30،     | -                | 83                       | 1- الاستنتاج .                              |
| 5.2   | 4  | -       | 69-68،<br>77 -73 | 65، 5-2،                 | 2- تحديد العلاقة<br>بين السبب<br>والنتيجة . |
| 6.5   | 5  | -       | 67               | 40-37، 10،<br>68-67، 46، | 3- المقارنة أو<br>التباین أو<br>التناقض .   |
| 1.3   | 1  | -       | 72               | -                        | 4- تحديد<br>الأولويات .                     |
| 2.6   | 2  | 35      | -                | 48-47                    | 5- التعرف إلى<br>وجهات نظر<br>الأخرين .     |

الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

| النسبة<br>المئوية | التكرار | سورة هود<br>الآيات (25-<br>49)      | سورة الفرقان<br>الآيات (63-<br>77) | سورة يس<br>الآيات (1-<br>83)  | أنماط التفكير                           |
|-------------------|---------|-------------------------------------|------------------------------------|-------------------------------|---|
| 19.48             | 15      | 6                                   | 2                                  | 7                             | التفكير التجريدي<br>ككل                 |
| 9.1               | 7       | 27-26،<br>31                        | 71-70                              | 9،<br>19-13،<br>33،<br>99-78  | 1- التفكير<br>بطريقة التعبير<br>المجازي |
| 9.1               | 7       | 27-25،<br>31-30،<br>37-36،<br>49-48 | 70-69،                             | 45،<br>82-80                  | 2- الاستدلال<br>الإستقرائي.             |
| 1.3               | 1       | -                                   | -                                  | 27-20                         | 3- الاستدلال<br>الإستنباطي.             |
| 14.29             | 11      | 4                                   | 0                                  | 7                             | التفكير التأملي<br>ككل                  |
| 2.6               | 2       | 44،                                 | -                                  | 73-71،                        | 1- الرؤية<br>البصرية.                   |
| 6.5               | 5       | 43،                                 | -                                  | 12،<br>31،<br>52-51،<br>74-30 | 2- الكشف عن<br>المغالطات.               |
| 0                 | -       | -                                   | -                                  | -                             | 3- الوصول إلى                           |



الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

|       |    |             |       |                 |                          |
|-------|----|-------------|-------|-----------------|--------------------------|
|       |    |             |       |                 | استنتاجات .              |
| 2.6   | 2  | 46،         | -     | 11              | 4- إعطاء تفسيرات مُقنعة. |
| 2.6   | 2  | 36-49،      | -     | 49-36           | 5- وضع حلول مُقترحة.     |
| 20.78 | 16 | 6           | 3     | 7               | التفكير الأخلاقي ككل     |
| 502   | 4  | 29، 34، 45، | -     | 76              | 1- التمثيل العاطفي.      |
| 2.6   | 2  | 31، 47      | -     | -               | 2- الضمير.               |
| 1.3   | 1  | -           | 68    | -               | 3- الرقابة الذاتية.      |
| 1.3   | 1  | -           | -     | 73              | 4- الاحترام.             |
| 2.6   | 2  | 40-42،      | -     | 35-34           | 5- العطف.                |
| 3.9   | 3  | -           | 77،   | 15-17،<br>66-76 | 6- التسامح.              |
| 3.9   | 3  | -           | 67    | 42-44،<br>55-58 | 7- العدل.                |
| 100   | 77 | 24          | 11    | 42              | مجموع أنماط التفكير      |
|       |    | 31.17       | 14.29 | 54.54           | النسبة المئوية           |

يتضح من الجدول (4) السابق أن الآيات القرآنية المتضمنة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي تسهم في تنمية جميع أنماط التفكير التي تضمنتها بطاقة التحليل ولكن بدرجات متفاوتة حيث آيات المقدمة للطلبة ضمن كتاب التربية الإسلامية تراوحت بين 20.5% للتفكير الأخلاقي و 9.1% للتفكير الابتكاري بينما جاء التفكير

التجريدي متمثلاً في الآيات التي تم تحليلها بنسبة 19.5% وتساوى التفكير الناقد والتفكير العلمي في نسبة وكانت نسبة كل منهما 18.2% بينما كانت نسبة التفكير التأملي 14.3%. كما يتضح من الجدول (4) السابق أيضاً أن أقل القدرات تمثلاً في الآيات قدرة التصنيف (التفكير العلمي) وقدرتي الأصالة والطلاقة والتخيل (التفكير الابتكاري) وقدرة الوصول إلى استنتاجات (التفكير التأملي) حيث دلت نتائج التحليل على عدم وجود أي منها ضمن الآيات عينة التحليل بينما كانت أكثر القدرات تمثلاً في الآيات عينة التحليل قدرتي التفكير المجازي والاستدلال الاستقرائي (التفكير التجريدي) بنسبة 9.1% بينما تساوت قدرة الكشف عن المغالطات (التفكير التأملي) وقدرة المقارنة (التفكير الناقد) حيث كانت نسبة تمثلهما 6.5% وجاءت قدرة تحديد العلاقة بين السبب والنتيجة (التفكير الناقد) وقدرة إدراك التفاصيل (التفكير الابتكاري) وكانت نسبة تمثلهما في الآيات عينة التحليل 5.2%.

أما فيما يتعلق بنسب وجود أنماط التفكير مجتمعة في فقد كانت النسبة في سورة يس 54.54% ونسبة وجود أنماط التفكير في سورة هود 31.17% وأخيراً كانت نسبة وجود أنماط التفكير في سورة الفرقان 14.29%.

من هنا ترى الدراسة أن القرآن الكريم يزخر بالأمثلة القرآنية التي تسهم في تنمية التفكير لدى الطلبة في الصف السابع الأساسي والمطلوب من واضعي المناهج أن يحسنوا اختيار الآيات التي تنمي الأنماط المطلوبة والتي تتوافق مع مراحل النمو وخصائص المرحلة التي يمر بها الطلاب، فمن الملاحظ أن الآيات القرآنية المختارة التي يدرسها طلبة الصف السابع تركز على التفكير الأخلاقي وهو نمط التفكير الذي يحتاج إليه المجتمع الإسلامي الفلسطيني ليستطيع المحافظة على أصالته في ظل التجاذبات المختلفة للعولمة والتحديات المتعددة للغزو الفكري من شتى أركان الحضارة التي تحارب القيم السامية والأخلاق الإسلامية، وتعالج في ذات الوقت مشكلة تدني مستوى القيم الأخلاقية لدى طلبة المدارس بشكل عام.

بينما جاء التفكير التجريدي في المرتبة الثانية حيث يركز هذا النمط على التفكير بطريقة التعبير المجازي أي الاستعارة وهذا النمط الذي يقوي إدراك الطالب في فترة يطلب منه فيها الانتقال من المحسوس إلى المجرد، وبذلك تكون الآيات القرآنية تدعم الانتقال الطبيعي والنمو المتدرج للطفل فيما يتعلق بقدرات عقلية تسمح لها مرحلة النمو التي يمر فيها الطالب بالظهور.

وقد جاء التفكير العلمي والتفكير الناقد في المرتبة الثالثة ولا أحد يستطيع أن ينكر حاجة الطلبة لهذين النمطين من التفكير وذلك لضمان استمرار النجاح والتحصيل الأكاديمي بل من أجل القدرة على الاستمرار في الحياة اليومية.

كما يتضح من نتائج التحليل أن التفكير الابتكاري قد جاء في المرتبة الأخيرة بينما تؤكد الدراسات التربوية أنه من المناسب أن يتم تنمية التفكير الابتكاري في هذه المرحلة العمرية، ومن هنا كان من الضروري على واضعي المناهج إعادة النظر لانتقاء آيات قرآنية تدعم نمو هذا النمط من التفكير.

وقد أثبتت نتائج التحليل أن سورة يس تنمي التفكير التجريدي، على الرغم من أهمية هذا النمط من التفكير إلا أنه من الصعب التركيز على هذا النمط بهذا الكم وقد يرجع السبب في التركيز على هذا النمط أن سورة يس يدرسها الطالب متكاملة في الفصل الأول ويكمل باقي الآيات في الفصل الدراسي الثاني.

كما دلت نتائج التحليل على أن الآيات الواردة في كتاب الصف السابع من سورة الفرقان تدعم التفكير الأخلاقي، وهي مناسبة جدا في هذه المرحلة العمرية، وفي هذه الظروف الاجتماعية وخاصة أن السلم القيمي للطلاب لم يتشكل بصورته النهائية، فجاءت هذه الآيات لتدعيم الجانب الأخلاقي عند الطالب.

#### توصيات البحث:

##### في ضوء النتائج فإن الدراسة توصي بما يلي:

- وضع منهجية واضحة، لدراسة أساليب التفكير المتضمنة في القرآن الكريم، وتضمين الآيات التي تنمي التفكير في منهاج التربية الإسلامية، حسب خصائص نمو الطلبة في كل مرحلة.
- تفسير القرآن الكريم في ضوء منهجية التفكير المقترحة.
- الإكثار من الآيات القرآنية التي تدعم البناء الخلقى عند الطالب.

#### مقترحات الدراسة :

##### تقترح الدراسة الحالية القيام بالدراسات التالية:

- إجراء دراسات مشابهة لدراسة دور الآيات القرآنية لتنمية أنماط التفكير في الصفوف الدراسية المختلفة.
- إجراء دراسات مشابهة لدراسة دور الآيات القرآنية لتنمية أنماط التفكير أخرى من التفكير في الصف السابع وكذلك في الصفوف الدراسية المختلفة.

## الآيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

- إجراء دراسات تهدف لاستطلاع آراء المعلمين حول دور موضوعات التربية الإسلامية المختلفة في تنمية أنماط التفكير لدى الطلبة.
- إجراء دراسات لتقويم مدى استفادة الطلبة من الآيات القرآنية التي تنمي أنماط التفكير لديهم.
- تطوير برامج إعداد معلمي مناهج التربية الإسلامية في فلسطين بحيث تتضمن مساقات تدعم استثمار المعلم للآيات القرآنية بما يسهم في تنمية التفكير لدى الطلبة.

### المراجع

1. الأغا، إحسان والأستاذ، محمود. (1999). "تصميم البحث التربوي" غزة : مطبعة الرنتيسي.
2. الأغا، إحسان (2002). أساليب التفكير في القرآن " رؤية أولية"، المجلة الثقافية - فلسطين، العدد 1، ص ص 78-80.
3. الأغا، إحسان (1997). " البحث التربوي عناصره مناهجه أدواته". غزة: مطبعة المقداد.
4. البريثن، خالد بن عبد الله (2003). تأصيل التفكير، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر العلمي الخامس عشر " مناهج التعليم والإعداد للحياة المعاصرة"، دار الضيافة - عين شمس 21- 22 يوليو، ص ص 237 - 267.
5. بونو، ادوارد دي (2001). تعليم التفكير، ترجمة: عادل ياسين وآخرون، الطبعة الأولى، دمشق: دار الرضا للنشر.
6. جروان، فتحي (1997- ب). " تعليم الإبداع والتفكير طرق مقترحة للتعليم والتعلم الإبداعيين" الجزء الثاني . عمان : وكالة الغوث الدولية
7. حامد، أحمد (1998). لماذا أسلم هؤلاء؟ النفس الأمريكي يدعو إلى التأمل والتفكير في تفسير المعجزات الإسلامية، منبر الإسلام، العدد 111 ص 122
8. حسين، نائر غازي (2005). تجربة مركز دبيونو لتعليم التفكير، المؤتمر العلمي الرابع لرعاية الموهوبين والمتفوقين "معاً لدعم الموهوبين والمبدعين... فسي عالم سريع التغير" 16-18 تموز، يُنظمه المجلس العربي للموهوبين والمتفوقين ومؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين، عمان، الأردن، ص ص 181 - 201.
9. حسين، محمد عبد الهادي (2003). " تربويات المخ البشري" عمان: دار الفكر

10. حوامدة، مصطفى محمود (2003). مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنطومي لدى الإنسان، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد الثاني.
11. الحوفى، أحمد (1997). "القرآن الكريم يوقظ التفكير بالتمثيل تارة وبالاحتكام إليه تارة أخرى، الوعي الإسلامي"، العدد 189، ص ص 15-16.
12. الخزندار، نائلة نجيب وآخرون (2006): تنمية التفكير، الطبعة الأولى، آفاق للنشر والتوزيع.
13. الدريني، حسين (1985-ب). " المدخل إلى علم النفس ". ط: 2. القاهرة دار الفكر العربي.
14. رزق، فاطمة مصطفى محمد (1998): فعالية استخدام أسلوب حل المشكلات في تدريس العلوم على تنمية التفكير الإبتكارى لدى تلاميذ الصف الخامس الإبتدائى، مجلة التربية المعاصرة، العدد التاسع والأربعون.
15. السامرائى، فاروق والدغشى، السيد أحمد (1997). الأساس الفطري في التربية الإسلامية، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 24، العدد 2.
16. سعادة، جودت أحمد (2003): تدريس مهارات التفكير (مع مئات الأمثلة التطبيقية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1
17. السويدي، حصة عبد العزيز (1998). الفكر والتفكير في ضوء الكتاب والسنة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 36، ص ص 175-206.
18. الشرباصى، السعيد (1983): حلقات التفكير تنتهي إلى الخالق العظيم، الدعوة، العدد 906. ص 37
19. طعيمة، رشدي أحمد (2004): تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه، أسسه، استخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة.

20. العمري، شوكت محمد(2003). أساليب القرآن الكريم في تنمية التفكير" نموذج سورة الشورى"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد52، ص ص 133 - 180.

21. قطامي، يوسف (1990). " تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه ". عمان : الأهلية للنشر والتوزيع.

22. كرم، إبراهيم(1992). "مشكلات تدريس وتنمية مهارات التفكير في التعليم العام". مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس. 197-223.

23. كييف، جيمس (1995). " التأمل في حركة التفكير"، في جيمس كييف وهيربرت ويلبرج. " التدريس من أجل تنمية التفكير " ترجمة عبد العزيز بن عبد الوهاب البابطين، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج.

24. اللقاني، أحمد حسين و الجمل، علي(1999). "معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس". القاهرة: عالم الكتب.

25. مدكور، إبراهيم(1985): المُعجم الوسيط، القاهرة: منشورات مُجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة

26. منصور، أحمد (1989). "تكنولوجيا التعليم وتنمية التفكير الابتكاري". ط : 2 المنصورة : دار الوفاء للطباعة.

27. وزارة التربية والتعليم الفلسطينية (2005). التربية الإسلامية للصف السابع الأساسي "الجزء الأول والجزء الثاني"، رام الله: مركز المناهج الفلسطينية.

28. Phillips ,John.(1997).”Teaching Thinking Skills In Malaysian Schools: The Infusion Approach ”. 7<sup>th</sup> *International Conference On Thinking ,Jne , 1-6 ,1997, Singapore think @ nievax.nie.ac.sg.*

29. Mc Grath , Chirs.(1997). “ Better Thinking Better Learning – Using Mind Questions”. 7<sup>th</sup> *International Conference*

آيات القرآنية الواردة في كتاب التربية الإسلامية للصف السابع في فلسطين

**On Thinking ,Jnne , 1-6 ,1997, Singapore think @  
nievax.nie.ac.sg**

: .a

<http://www.islampedia.com/mie2/ooloom/koran1.ht>

تاريخ ml 2008/3/31



# دور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

أعداد

أ. د. محمد شعبان علوان  
أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

### ملخص بحث

#### "دور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني"

يتناول البحث بالدراسة إبراز دور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني وذلك بالكشف عن أسرار البلاغية ومعانيه الفريدة من خلال كتبهم ومصنفاتهم التي ألفوها، ومن جهة أخرى من خلال تناولهم بالدراسة والتحليل لبعض الظواهر والمسائل، كالترادف والتشابه في ألفاظ القرآن الكريم وإبراز المفارقات التي اكتسبتها كل لفظة من خلال السياق الذي وقعت في القرآن.

وكذلك من خلال الكشف عن الوجهة البلاغية من اختلاف القراءات القرآنية ليعلم الناس سرّ إعجاز القرآن وبلاغته التي أعجزت أرباب الفصاحة وأصحاب البيان.

### ABSTRACT

#### The Role of Rhetonicians in Interpreting the Quranic Texts

This study tacks the role of Rhetoricions in interpreting the Quranic texts and highlights its unique rhetorical secrets. Additionally it focuses on how these scholars study and analyze some Quranic utterances such as synonyms and antonyms, high lighting the various and unique interpretations of each utterance conlettually and showing the rhetorical purposes according to the different Quranic readings (Qera'aat) so that people can learn the secrets behind the Quranic miraculous rhetoric which rhetoricians admire.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد :  
لقد حدد رسولنا الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وضع البيان بين فنون القول لمعرفة  
ممكن جمالها كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة فيما نقل عن العباس رضي الله عنه  
حينما سأل رسول الله ﷺ فيم الجمال يا رسول الله ؟ قال : في اللسان يريد البيان. وكما  
يقول العلماء : أن تعلم "البيان" من أمور الدين، ومنزلة العلم به بعد منزلة العلم بتوحيد  
الله تعالى : إذ المعرفة بصحة النبوة تأتي بعد المعرفة بالله جل وعلا.

وانطلاقاً من هذا الفهم حرص علماء العربية أول ما نزل القرآن الكريم على  
فهمه والبحث في معانيه، والكشف عن دوره، ومعرفة السر الذي يكمن فيه إعجاز  
القرآن الكريم حتى توصلوا إلى أن القرآن الكريم معجز ببلاغته وبيانه ونظمه.  
لذا فإنهم قاموا بالبحث في فهم معانيه، وتفسير آياته، والوقوف عند الأسرار  
البلاغية المعجزة حتى أيقنوا أن علوم البلاغة معانيها وبيانها وبديعها إذا عاها المسلم  
سار في طريق الإيمان حيث تبرز له عناصر الإعجاز القرآني من جهة ما خص الله به  
القرآن الكريم من حسن التأليف، وبراعة التركيب.

وإتماماً للفكرة، وإبرازاً لدور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني من خلال قراءتنا  
لما كتبه وما صنّفه كانت فكرة هذا البحث لكي يبقى جهد اللاحق متصل بجهد السابق لا ينفك  
عنه ولا يفصل، فكان تناول ما أبرزه بعض علماء البلاغة من صور بلاغية من خلال تناولهم  
للآيات القرآنية، وما أظهروه من سر إعجاز في تناول ظاهرة الترادف والتشابه حتى أثبتوا أنه لا  
ترادف في القرآن لوجود مفارقات في المعنى، ولا تشابه لاختلاف المعنى رغم تشابه الألفاظ حتى  
في المصدر والاشتقاق وإظهار اختلاف الصور البلاغية باختلاف القراءات  
القرآنية كل هذا للكشف عن سر إعجازه البلاغي والبياني.

فإن كنا قد وفقنا فبتوفيق من الله، وإن كان خلاف ذلك فهذا هو جهد المقل نسأل الله  
الصواب في القول والعمل اللهم آمين.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د. محمد شعيبان علوان

أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني

## دور علماء البلاغة من خلال كتبهم

### 1- الفراء المتوفى سنة 207هـ وكتابه "معاني القرآن" :

كتابه "معاني القرآن" الذي وضع فيه ومن خلاله ما يشكل في القرآن الكريم على فهم القارئ، ويحتاج إلى جهد وعناء في فهم معانيه، فألف هذا الكتاب وقصده أن يكشف عن جوانب الإعجاز والبلاغة في آيات القرآن الكريم.

ولعل معرفتنا للدافع وراء تأليفه لهذا الكتاب يكشف لنا عن مدى حرص علماء اللغة على إظهار جوانب البلاغة في آيات القرآن الكريم، يقول ابن خلكان: "قيل في سبب تأليفه : أن أحد أصحابه - وهو عمر بن بكير - كان يصحب الحسن ابن سهل، فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت - فلما قرأ الفراء الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملئ عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج عليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء، فقال له : اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب، ففسرها، حتى مر في القرآن كله على ذلك فقرأ الرجل والفراء يفسره" (1).

وكتاب معاني القرآن للفراء يعالج ذات المشاكل التي عالجها أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن، وسنظهر بعضاً من هذه المسائل البلاغية التي كشف من خلالها عن جماليات هذه الصور والأساليب.

#### \* التشبيه :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ (2).

يقول الفراء : "أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي، ولم يقل كالغنم، والمعنى - والله أعلم - مثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها : أرعي واشربي، لم تدر ما يقول لها.

(1) ابن خلكان 226/5.

(2) البقرة : 17.

فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول : فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى - والله أعلم - في المرعى. وهو ظاهر في كلام العرب أو يقولوا : فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى كخوفه الأسد، لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف" (1).

\* المشاكلة :

كما ورد في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (2) يوضح المشاكلة دونما أن يسميها باسمها فيقول : "فالعُدوان على المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلماً وإن كان لفظه واحدة ومثله قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (3) وليست من الله على مثل معناها من المسيء لأنها جزاء" (4).

والفراء بهذا كان السباق في إظهار هذا المحسن البديعي من خلال آيات القرآن وبيّن كيف ذكرت الكلمة وهي تحمل معنى غير المعنى الحقيقي لها رغم أنها كانت مشاكلة لذات الكلمة التي جاورتها. وهذا ما عرفه البلاغيون فيما بعد بذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً. فالأول : المشاكلة الحقيقية، والثاني : المشاكلة التقديرية كما وضحاها الفراء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (5).

2- أبو عبيدة بن المثنى المتوفى سنة 210هـ وكتابه "مجاز القرآن" :

من أوسع أهل البصرة علماً باللغة والأدب والنحو وأخبارها وأيامها، ومن أكثر المؤلفين في صدر الدولة العباسية.

استقدمه الفضل بن الربيع وزير الرشيد من البصرة، وجلس في مجلسه في بغداد، فحضر إلى المجلس إبراهيم بن إسماعيل الكاتب فسأل إبراهيم أبا عبيدة عن قوله تعالى : ﴿ طَلَّعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (6)، وإنما يقع الوعد والوعيد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة :

ومسنونة زرق كأياب أحوال

أيقنتني والمشرقي مضاجعي

(1) معاني القرآن 99/1.

(2) البقرة : 194.

(3) الشورى : 40.

(4) معاني القرآن 116/1، 117.

(5) البقرة : 128، وانظر : معاني الفراء 82/1، 83.

(6) الصافات : 65.

وهم لم يروا الغول قط، لكنه لما كان أمر الغول يخيفهم ويهولهم هددوا به وخوفوا وأوعدوا به، واستحسن الفضل والسائل ذلك، ومن هذا التاريخ قرر أبو عبيدة أن يؤلف كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه<sup>(1)</sup>.

والواضح من خلال كلام أبي عبيدة أن الدافع وراء تأليفه لكتاب "مجاز القرآن" مسألة بلاغية تتعلق بالتنشيبه وكون المشبه به أمراً خيالياً غير معلوم، هذا الأمر جعل من يتعلمون اللغة العربية على أيدي النحاة يدرسون أساليب البيان في النص القرآني محاولين فهمه إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.

وهذا ما حدا بأبي عبيدة أن يضع نصب عينيه توضيح ذلك إذ يقول : "وفي القرآن مثل ما في كلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب، والمعاني"<sup>(2)</sup>.

لقد ذكر أبو عبيدة إشارات بلاغية في كتابه كانت بمثابة المصابيح للعلماء الذين جاءوا من بعده إذ إنهم تلقفوها ووضعوا لها القوانين والضوابط، ثم صاغوها في كتب اعتبرت أول كتب صنفت في البلاغة مثل دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني.

اعتمد أبو عبيدة على القرآن الكريم كمصدر أساس لدراسته، معتمداً على علمه وتمكنه في اللغة العربية وأساليبها واستعمالاتها والكشف عن خصائص التعبير القرآني إذ إنه عدَّ بهذا الاتجاه من أصحاب التفسير بالرأي، وهو بهذا سبقه ابن عباس رضي الله عنه الذي أسس مدرسة في التفسير عرفت باسمه إذ يقول : "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"<sup>(3)</sup>.

وللتأكيد على ما ذكرت سابقاً سنذكر بعضاً من الشواهد والمسائل البلاغية التي تناولها أبو عبيدة ليكشف عن سر إعجاز القرآن الكريم إذ أن القرآن معجز ببلاغته وبيانه. ومما أود ذكره أولاً أن أبا عبيدة جمع كل ما وضعه تحت مسمى المجاز، لكنه أثناء شرحه وتوضيحه يكشف عن معانٍ بلاغية وأسرار بيانية :

\* الإيجاز :

تناوله أبو عبيدة، وبين أنه من مذاهب العرب في كلامها، ووضح السرّ من هذا الإيجاز وهو التخفيف مع اشتراطه أن يكون السامع على علم به كقوله تعالى :

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان 324/4، تحقيق محي الدين، دار النهضة المصرية.

(2) مجاز القرآن، أبو عبيدة 7/1.

(3) الإيقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 1 / 119، طبعة صبيح.

دور علماء البلاغة في خدمة النص القرآني

﴿يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (1). إذ يقول : "العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه، فكأنه في تمام القول : ويقولون، ربنا ما خلقت هذا باطلا، وفي القرآن : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ (2) مجازها : أهل القرية وقال الأسيدي :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها  
بنو شباب قرناها تصر وتحلب  
اضمر التي شباب قرناها" (3).

\* الإطناب :

ذكره أبو عبيدة دونما أن يسميه كاشفاً عن غرضه البلاغي وسره الإعجازي إذ يقول : "ومن مجاز المكرر للتوكيد قوله تعالى : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (4) أعاد الرؤية، وقال تعالى : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (5) أعاد اللفظ" (6). يُظهر أبو عبيدة الغرض البلاغي من هذا التكرار في الآيتين لإفادة التوكيد، وهو ما وضحه بعده البلاغيون.

\* الاستفهام :

تناوله أبو عبيدة وهو من الأساليب الإنشائية التي وقف عندها مظهرها الغرض البلاغي الذي يخرج إليه الاستفهام كما ورد في قوله تعالى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي...﴾ (7) يقول : هذا باب تفهيم، وليس استفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الاستفهام، وإنما يراد به النهي عن ذلك، ويتهدد به، وقد علم قائله، أكان ذلك أم لم يكن، ويقول الرجل لعبده : أفعلت كذا ؟ وهو يعلم أنه لم يفعله ولكن يحذره، وقال جرير لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا  
وأندى العالمين بطون راح

ولم يستفهم، ولو كان استفهاماً ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها" (8).

(1) آل عمران : 9.

(2) يوسف : 82.

(3) مجاز القرآن 47/1.

(4) يوسف : 4.

(5) السجدة : 7.

(6) مجاز القرآن 12/1.

(7) المائدة : 116.

(8) مجاز القرآن 183/1، 184.

وأبو عبيدة في هذا يوضح لنا أن الاستفهام إذا وقع من الله فلم يكن حقيقياً لأن الله سبحانه وتعالى وسع كل شيء علماً وإنما أراد أن يبين لنا أنه خرج لإفادة معنى النهي الذي يحمل في طياته كذلك معنى التهديد.

\* المجاز العقلي :

ذكره أبو عبيدة ولم يسمه وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ (1) إذ يقول : "مجاز ما كان العمل والفعل فيه لغيره أن يبصر فيه، ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار، والنهار لا يُبصر، كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل، فإذا قيم فيه قالوا : ليله نائم، ونهاره صائم.

قال جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناثم

ويقول في القرآن الكريم : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (2)، وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها" (3).

فأبو عبيدة يوضح من خلال شرحه المعنى المجازي وهو خلاف المعنى الحقيقي وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي والذي ضبطه من بعده شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني بمجاز الإسناد أو المجاز العقلي.

هذا غيض من فيض إذ أن أبا عبيدة كان عمله هذا ضرورة، وذلك بسبب اعتراض بعض الدارسين مشاكل عدة يتصل بعضها بالأسلوب البياني وأحياناً بمعاني بعض الألفاظ والتراكيب وطوراً آخر بالوجوه الإعرابية، وأطلق أبو عبيدة كلمة مجاز على كل عمل قام به سواء كان يتصل بالأسلوب البياني أو بالمعنى أو بالإعراب من أجل ذلك اختلف الباحثون في تفسير كلمة مجاز عند أبي عبيدة (4).

3- ابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ وكتابه "تأويل مشكل القرآن" :

اسمه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي، ألف كتابه المعروف بتأويل مشكل القرآن كاشفاً من خلاله عن وجه الإعجاز القرآني، فقال : بأنه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب، ويضيف قائلاً : "قطع منه بمعجز التأليف أطماع

(1) النمل : 86.

(2) القارعة : 7.

(3) مجاز القرآن : 279.

(4) تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، د. عبد العزيز عرفة، ص 45، ط1، عام 1978م.



الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلمين وجعله مثلواً لا يُمل على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الأذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد وعجيباً لا تنقضي عجائبه" (1).

لقد استطاع ابن قتيبة أن يظهر جماليات النص القرآني ويكشف عن عناصر الجمال في نظمه المعجز من خلال عناصر ثلاث ذكرها في العبارة السابقة وهي :

#### الأول : الجمال التوقيعي الفريد والنسق الصوتي البديع :

وهذا ينشأ من تقسيم الحركة والسكون فيه، وتوزيع حروف المدّ، والغنة، فيتمكّن القارئ له من ترجيح صوته والترنم به، حتى يصل إلى نهاية الفاصلة، فيجد عندها راحته واستقراره، فلا يمل من قراءته ولا يسأم من تلاوته (2).

#### الثاني: المعاني الخالدة التي حواها القرآن، والعلوم الخارجة عن متناول البشر :

وهو قول ابن قتيبة : "لا يخلق على كثرة الردّ، وعجيباً لا تنقضي عجائبه ومفيداً لا تنقضي فوائده". ولعل هذا ما يدل على أن القرآن الكريم هو الرسالة المعجزة الخالدة إلى يوم الدين مع صلاحيته لكل زمان ومكان.

#### الثالث : المعاني البلاغية التي تعتمد على قوة التعبير ودقة التصوير :

وقد وضح هذا ابن قتيبة بصورة جلية من خلال تناوله لآيات القرآن الكريم مثل :

\* الإيجاز :

كما ورد في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(3) يوضح ابن قتيبة كيف أن هذه الكلمات القليلة حملت في طياتها معاني كثيرة فيقول : "كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم ؛ لأن في "أخذ العفو" صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين... وفي "الأمر بالمعروف" : تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات... وفي "الإعراض عن الجاهلين" : الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن ممارسة السفية، ومنازعة اللجوج" (4).

وإذا تدبرنا ما قاله ابن قتيبة أدركنا أنه يحصر عناصر الجمال في الكلام في أمور ثلاث : الألفاظ، والمعاني الأصلية لها، والمعاني البلاغية التي تتولد من ضم هذه الألفاظ والكلمات إلى بعضها البعض.

(1) تأويل مشكل القرآن، ص 3.

(2) تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية، ص 103.

(3) الأعراف : 199.

(4) تأويل مشكل القرآن، ص 4، 5.

\* المجاز :

أطلق ابن قتيبة المجاز على جميع فنون الكلام وذلك من باب التوسع فيقول :  
 "وللعرب "المجازات" في الكلام، ومعناها : طرق القول ومآخذه. ففيها : الاستعارة،  
 والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار،  
 والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع... مع  
 أبواب كثيرة سترها في "أبواب المجاز" إن شاء الله تعالى" (1).

ثم يبين ابن قتيبة ما قاله من خلال آيات القرآن الكريم : ذهب قوم في قول الله  
 تعالى وكلامه : إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني،  
 وصرفه في كثير من القرآن إلى "المجاز" ... قال بعضهم في قوله للملائكة "اسجدوا لآدم"  
 : هو "إلهام" منه للملائكة، كقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ (2) أي ألهمها، وكقوله : ﴿  
 وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا  
 فَيُوحِي بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (3) وذهبوا في  
 الوحي ههنا إلى الإلهام (4).

ثم ينكر ابن قتيبة على الطاعنين على القرآن "بالمجاز" بأنهم زعموا أنه الكذب ؛  
 لأن المجاز لا يريد، والقرية لا تُسأل... فيقول : "ولو كان المجاز كذباً، وكلُّ فعل يُنسب  
 إلى غير الحيوان باطلاً - كان أكثر كلامنا فاسداً ؛ لأننا نقول : نبت البقل، وطالت  
 الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر... والله تعالى يقول : ﴿  
 فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ (5) وإنما يُعزم عليه. ويقول تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ (6)  
 وإنما يربح فيها. ويقول : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (7) وإنما كذب به" (8).

(1) تأويل مشكل القرآن، ص 20، 21.

(2) النحل : 68.

(3) الشورى : 51.

(4) تأويل مشكل القرآن، ص 106.

(5) محمد : 21.

(6) البقرة : 16.

(7) يوسف : 18.

(8) تأويل مشكل القرآن، ص 132.

وهو بهذا يوضح ما استقر عليه عند الإمام عبد القاهر الجرجاني فيما بعد بالمجاز العقلي الذي يسند فيه الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

\* الاستعارة :

يضبط ابن قتيبة الاستعارة في مستهل حديثه فيقول : "والعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً، فيقولون للنبات : نوءٌ لأنه يكون عن النوءِ عندهم... ويقولون للمطر : سماءٌ ؛ لأنه من السماء ينزل" (1).

ثم يطبق هذا المفهوم التصويري على آيات القرآن فيقول : "فمن الاستعارة في كتاب الله قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (2) أي عن شدة من الأمر كذلك قال "قتادة". وقال "إبراهيم" : عن أمر عظيم. وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه - شَمَّرَ عن ساقه، فاستعيرت "الساق" في موضع الشدة" (3).

4- الرُّماني المتوفى سنة 384هـ وكتابه "النكت في إعجاز القرآن" :

هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المتوفى سنة 384هـ من أعلام الاعتزال ومن كتاب الإعجاز كان محباً للعلم واسع الاطلاع وله مصنفات كثيرة أهمها : النكت في إعجاز القرآن.

أجاب الرماني في هذه الرسالة التي تحدث فيها عن وجوه الإعجاز القرآني التي حصرها في سبعة أوجه إذ يقول : "إن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة" (4).

ثم يبدأ الرماني حديثه عن الوجه المعجز وهو البلاغة بعد أن ترك الوجوه الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة ليتحدث عنها باختصار في نهاية رسالته فيقول : "وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" وهو بهذا يفيدنا أن البلاغة هي الربط والجمع بين اللفظ والمعنى معاً دون ترجيح أحدهما على الآخر.

(1) المرجع السابق، ص 135.

(2) القلم : 42.

(3) تأويل مشكل القرآن، ص 137.

(4) النكت في إعجاز القرآن، ص 6، تحقيق د. خلف الله وسلام، دار المعارف.

ويحصر الرماني البلاغة في عشرة أقسام وهي : الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلازم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان (1).

وسنذكر بعضاً من هذه الأقسام لضيق المقام :

\* الإيجاز : وهو عنده على ضربين (2) : حذف، وقصر، وإيجاز الحذف : يكون بإسقاط كلمة أو أكثر. ويسوق له الأمثلة منها قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (3). يقول : كأنه قيل، حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير .

ثم يبين الرماني السر البلاغي للحذف وفائدته إذ يقول : وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر ؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب. ولعل الرماني يكون بهذا التحليل يكون أول من ذكر القيمة البلاغية التي يفيدها الإيجاز.

وأما عن إيجاز القصر فهو عنده أكثر غموضاً من إيجاز الحذف، وإن كان في الحذف غموض، فالغموض هو الذي يحرك النفس ويجعلها تذهب كل مذهب في تقدير المحذوف، فبانكشافه تجد النفس قبولاً، وتهتز له وترتاح.

وفي إيجاز القصر، نجد الرماني يعقد مقارنة بين الآية القرآنية : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وقول العرب في أمثالها التي كانت تعدها من أبلغ ما قالت وهو قولهم : "القتل أنفى للقتل" ويبين أن التفاوت بين بلاغة القرآن وبلاغة الناس يظهر من أربعة أوجه.

ويتحدث الرماني عن مسائل بلاغية منها التشبيه، والاستعارة وغيرها كاشفاً عن أوجه البلاغة في الآيات القرآنية لا يتسع المقام لذكرها.

#### 5- الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى 471هـ في كتابه

"دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" :

وقد ألف الإمام عبد القاهر الجرجاني كتابين : الأول : دلائل الإعجاز، والثاني : أسرار البلاغة، وبين في كتابه الأول أن القرآن الكريم معجز في نفسه، وأن إعجازه في نظمه وتأليفه وهذا ما توصل إليه من خلال دراسة دقيقة وواعية في آيات القرآن الكريم، وهو ما لا يستطيع أحد أن يجاري هذا الكلام لأنه كلام الله المعجز إذ يقول بأن الوصف

(1) المرجع السابق، 69-70.

(2) المرجع نفسه، 70-74.

(3) الزمر : 73.

الذي أعجزهم أنه "ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن، وأمرأ لم يوجد في غيره، ولم يعرف قبل نزوله " (1).

ولقد وضع الإمام عبد القاهر نظريته المعروفة بـ "نظرية النظم" والتي يضبطها بقوله: "توخي معاني النحو فيما بين الكلم" والتي يقول فيها: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها" (2).  
لقد استطاع الإمام عبد القاهر أن يطبق مفهوم نظريته على آيات الذكر الحكيم ويكشف السرّ البلاغي الذي يكمن في معاني الآيات ومن خلال توفر الدعائم التي تؤثر في ذهن السامع كما حددها وهي: حسن اختيار اللفظة، ومن ثم حسن اختيار الأسلوب، وحسن الترتيب بحيث تنتج العنصر الرابع وهو قوة التأثير في السامع، وبهذا يكون قد بلغ الكلام غايته.

يطبق الإمام نظرية النظم أثناء شرحه لمعنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (3) فالهمزة كما يقول هي للتقرير وليست للاستفهام، إذ لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم: "أنت فعلت هذا"، وقال هو عليه السلام في الجواب: "بل فعله كبيرهم هذا"، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، والهمزة تقرير بفعل قد كان، وأفكار له لم كان، وتوبيخ لفاعل عليه.

وتحدث في موطن آخر حول تقديم غير بعد الاستفهام الذي لم يحققه تأخيرها كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ (4) وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً، وأن يرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك، وأن يكون جهل أجهل وعمي أعمى من ذلك، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل: أأخذ غير الله ولياً وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ولا يزيد عن ذلك (5).

(1) دلائل الإعجاز، ص 246.

(2) المرجع السابق، ص 38-39.

(3) الأنبياء: 62.

(4) الأنعام: 14.

(5) دلائل الإعجاز، ص 81-82.

\* دور علماء البلاغة في إظهار بلاغة الترادف والتشابه في النظم القرآني :

تفاوتت آراء العلماء حول ظاهرة الترادف والتشابه في مفردات وألفاظ القرآن الكريم بين مؤيد ومعارض حتى إن فريقاً منهم أقر بأنه لا ترادف ونفوا ذلك عن القرآن كاشفين عن المعاني الفارقة بين الألفاظ المترادفة لفظاً لا معنىً، وبين الألفاظ المتشابهة موضحين لجانب الإعجاز البلاغي فيها.

ولإثبات ذلك سأقتصر بذكر بعض الشواهد مع أبرز جانب الاختلاف في المعاني التي يظهر لنا من خلال بلاغة النظم القرآني والذي لا يقاربه كلام.

1- قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (1).

ذكرت كلمتا الضيق والحرص معاً في الآية القرآنية، رغم أن دلالة اللفظتين في أصل اللغة يفيد اختلاف معنهما، وعدم ترادفهما في كتاب الله، فلفظ الضيق يفيد في الاستعمال العربي الصفة في المكان، يقولون : مكان ضيق، وثوب ضيق، وضافت الدار بمن فيها، وضاق الوادي على من فيه، يريدون ضيق المساحة وامتلاء الفراغ. والضيق في اللغة أيضاً تقيض السعة، ويقال : مكان ضيق وضيق وضائق...، ويقال : في صدر فلان ضيق علينا وضيق... ويقال : الضيق ما ضاق عنه صدرك، والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب(2).

وقد ذكرت مادة (ضيق) ومشتقاتها ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم، وهي في أغلبها تصب في معنى وصف المكان، وضيق الصدر، وهذه المواضع هي :  
- قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ (هود: 77).

- قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ (العنكبوت: 33).

- قوله تعالى : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَكُنْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: 5).

- قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ﴾ (التوبة: 118).

(1) الأنعام : 125.

(2) لسان العرب : مادة "ضيق".

- قوله تعالى : ﴿ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ (التوبة: 118).
- قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَعَلُمْ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر: 97).
- قوله تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴾ (الشعراء: 13).
- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ... ﴾ (الطلاق: 6).
- قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (النحل: 127).
- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (النمل: 70).
- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان: 13).
- قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (هود: 12).
- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام: 125).
- لفظ (الخرج) يفيد الصفة في مداخل المكان ومنافذه وفي لسان العرب أن الحرج أضيق الضيق... والخرج فيما فسّر ابن عباس هو الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعية. قال : وكذلك صدر الكافر لا يصل إليه الحكمة<sup>(1)</sup>.
- يفهم من كلام ابن عباس أن الحرج أفاد الصفة في مداخل المكان ومنافذه، سواء إلى قلب الكافر، أو الطريق المؤدية إلى موضع الرعي الذي ضاق بسبب التقاف أعضائها وتشابك فروعها.
- والمتتبع لعدد المرات التي ورد فيها مادة (خرج) ومشتقاتها في كتاب الله عز وجل يتبين أنها ذكرت خمس عشرة مرة، جاءت على النحو التالي :
- عشر مرات بمعنى الإثم، وهي في الآيات :
- التوبة 91 : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾.
- النور 61 : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.
- الأحزاب 37 : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾.
- الأحزاب 38 : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾.

(1) لسان العرب : مادة "خرج".

- الأحزاب 50 : ﴿ لِكَيْلَا يُكَونَ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .
- الفتح 17 : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ .
- النساء : 65 : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .
- ومرتين بمعنى الشك، وبمعنى الضيق جاء اللفظ (الخرج) في كتاب الله ثلاث مرات :
- المائدة 6 : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرْجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ .
- الحج 78 : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴾ .
- الأنعام 125 : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقاً حَرْجاً كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ .
- وفيها يتضح أن معنى الحرج هو الضيق في الطرق المؤدية إلى المكان، فالآية الأولى : أن الله لا يريد التضييق عليكم في الدين، بل رخص لكم في تيمم الصعيد عند فقد الماء .
- وفي الثانية : أن الله اختاركم لتحمل تكليفاته، ولم يرد أن يجعل في الدين من تضييق، بل هي حنيفة سمحة ليس فيها تشديد بني إسرائيل، بل شرع فيها التوبة والكفارات والرخص .
- وفي الثالثة : الضيق والحرج كناية عن ضد الشرح، واستعارة لعدم قبول الإيمان والحرج الضيق الشديد .

وقد انتصب "ضيقاً حرجاً" على الحال باحتمال أن يكون "يجعل" بمعنى "يخلق" (1) .

وفي ضوء ما تقدم يظهر لنا الفرق بين معنى اللفظين (الضيق والحرج) اللذين وردا معاً في الآية الكريمة، فالضيق يفيد الصفة في المكان، أي أن الله جعل صدر الكافر ضيقاً لا يتسع للهداية والإيمان، والحرج يفيد الصفة في مداخل المكان، أي أن الله جعل صدره حرجاً لا يوجد منفذ لدخول الهداية إليه، وبهذا يتحقق تمام الضلال والكفر ؛ لأن قلب الكافر فقد الهداية من داخله ومن خارجه، وهذا يؤكد عدم وجود ترادف بين اللفظتين (ضيقاً وحرجاً) للفرق التي تم ذكرها .

وقد يأتي الترادف بعطف المترادفات إضافة لما ذكرنا سابقاً في تأكيد المترادفات، وقد أجاز ذلك علماء اللغة - أمثال الخليل بن أحمد، وابن مالك، وثلعب والفراء - في القرآن الكريم .

وقد أفرد الإمام الزركشي باباً في كتابه "البرهان في علوم القرآن" أسماء : عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد،

---

(1) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط1، 2001م، 453/3، 361/6، 219/4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .



ويرى الزركشي أن "هذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ، وإنما يحسن بالواو، ويكون في الجمل كقوله تعالى : ﴿ تُمْ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾<sup>(1)</sup>، ويكثر في المفردات، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ﴾<sup>(4)</sup>.

ومما تقدم يتضح لنا أن الإمام الزركشي لم يطنن إلى آراء العلماء الذين يقولون بالترادف في هذا الباب، ويعلق عليها بقوله : "مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ"<sup>(5)</sup>، وقد أيد أبو هلال العسكري الزركشي فيما ذهب إليه<sup>(6)</sup>.

ومما يؤيد أن العطف هنا يقتضي المغايرة، لأنه لا يجوز أني يعطف الشيء على نفسه ولو عن طريق الترادف، فلا يصح أن نقول : جاعني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله.

\* أما فيما يتعلق بالكشف عن إظهار المعاني البلاغية من خلال الكلمات المتشابهة في الألف، فهذا ما كشف عنه علماء البلاغة، والتي سأوضح هذا الجانب من خلال شاهدين : الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتُ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا... ﴾<sup>(7)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا... ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) القيامة : 34-35.

(2) آل عمران : 146.

(3) طه : 162.

(4) طه : 77.

(5) البرهان في علوم القرآن 477/2.

(6) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 33.

(7) الزمر : 71.

(8) الزمر : 73.

فالمتمأمل لهاتين الكلمتين "سيق" و"سيق" يرى أنهما مكررتان، والفعل مبني للمجهول، لكن كل لفظة منهما يحمل معنى يخالف المعنى الأول، وذلك أن الأول دلّ على الهوان والذل والعقاب، بينما دلّ في الحال الثانية على الإكرام وحسن الاستقبال والحفاوة. ومما يدل على أن "سيق" في الحال الأولى اختص بسوق الذين كفروا إلى جهنم بالعنف والدفع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾<sup>(1)</sup>، أي يدفعون دفعاً، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وفي سوق الذين كفروا إلى جهنم ربما يدل على مظاهر الهوان والذل لأولئك الذين كفروا الاستفهام الموجه إليهم "ألم يأتيكم رسل منكم" فهو استفهام تقريرى يستعمل في الزجر والتوبيخ، وجوابهم بالحرف "بلى" إقرار منهم بإبطال المنفي في الاستفهام التقريرى، وهو يحمل معاني الذل والهوان.

أما "سيق" في الحال الثانية، فهو على طريقة المشاكلة لـ "سيق" الأولى، والمشاكلة من المحسنات، وهي "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً" وهي عند التحقيق من قبيل الاستعارة التي لا علاقة لها إلا المشابهة الجمالية التي تحمل عليها مجانسة اللفظ<sup>(3)</sup>.

وفي الحال الثانية جعل الله سبحانه وتعالى الذين اتقوا ربهم زمراً بحسب مراتب التقوى، وفي هذه الآية ذكر سبحانه وتعالى الواو، في جملة "وفتحت أبوابها" وهي واو الحال، فعندما جاءوها وجدوا أبوابها مفتوحة، وقد قال عز وجل في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾<sup>(4)</sup> على عكس ما ورد في الآية السابقة التي حملت معاني المفاجأة والذل للذين كفروا.

وقد فرق الإمام الزمخشري في كشفه بين السوقين بقوله: "فإن قلت: كيف عبر عن الذهب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها

(1) الطور: 13.

(2) الأنفال: 6.

(3) تفسير التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، 71/24، الطاهر بن عاشور.

(4) ص: 50.

إسراعاً لهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقيين" (1).

فانظر كيف بين الإمام الزمخشري في كلام موجز واضح بلاغة تشابه اللفظتين حينما أدت كل واحدة منها معنى مغايراً للآخر رغم أن مصدرهما واحد، وهذا ما تميزت به ألفاظ القرآن الكريم.

ومثله في القرآن الكريم كثير أذكر مثلاً هو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (2).

فورود فعل "اتخذوا" و"اتخذت" مرتان رغم أن مصدرهما واحد وهو الاتخاذ إلا أنهما يتغايران في المعنى، فالأول: معنوي، والثاني: حسي.

### \* دور علماء البلاغة في إبراز الوجهة البلاغية للقراءات القرآنية :

لقد تبين لي أثناء القراءة في تفسير بعض الآيات اختلافاً في القراءات، وظهر من خلال اختلاف القراءة اختلافاً في الوجهة البلاغية مع كل قراءة مما دعاني للوقوف عند آراء علماء البيان والإعجاز للإفادة من ذلك متبعاً منهجاً خطه العلماء الأوائل من قبلي ارتكز على ركائز أهمها :

الأولى : الابتعاد عن مبدأ الترجيح بين القراءات خاصة المتواترة منها، إذ إنه لا يقبل في القراءة الصحيحة مفاضلة ولا ترجيح لشيء على شيء صيغة أو إعراباً أو غيرهما، فكل من عند الله، وكل جيد حسن، بل بالغ من ذلك الغاية التي لا يستطيعها البشر، فالأصل واحد والتفريق والتمييز لا أساس لهما (3).

إن تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءته يصدق بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد

(1) تفسير الكشاف، الزمخشري 142/4.

(2) العنكبوت : 41.

(3) انظر : اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءة المنقولة في تفسير أبي حيان، البحر المحيط، د. محمد أحمد خاطر، ص 16، مطبعة الأمانة، ط1، عام 1990م.

القراءات والحروف" (1).

**الثانية** : الابتعاد عن التكلف في إبراز المعنى للمفردة محافظين على منطوق اللغة وطاقاتها التعبيرية وحدودها، مستعنيين بمعاجم اللغة في شرح وتوضيح المعنى في كل قراءة.

**الثالثة** : الاعتماد على القراءات المتواترة والمعقولة وفق أركانها الثلاثة كما حددها الإمام السيوطي في كتابه : الإتفاق (2) إذ يقول :

**الأول** : التواتر .

**الثاني** : موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

**الثالث** : موافقة وجه من أوجه اللغة العربية .

وسنذكر مثالين نوضح من خلالهما الوجه المعجز لكل قراءة في الآية الواحدة

مع إظهار دور العلماء في إظهار هذه الوجهة .

**الآية الأولى** : قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (3)، وفي الآية قراءتان في قوله تعالى : "فأزلهما" :

1- قراءة جمهور القراء (4) بتشديد اللام في قوله تعالى : "فأزلهما" وعليه

يكون المعنى : أنه جعلهما يزلان ويقعان في الخطيئة والزلل وهو عثور القدم،

والهمزة فيه للتعددية كما يقول أبو حيان في البحر المحيط (5) .

2- قراءة حمزة، وهو أحد القراء السبعة فقرأ : "فأزلهما" بألف، وعليه يكون أزال من

الزوال وأصله التحية، والهمزة فيه أيضاً للتعددية (6) .

وإذا تأملنا في القراءتين، فإننا نجد صوراً بلاغية تعددت بتعدد القراءات، وهذا

يدل لنا أن كل قراءة تعطي فائدة جديدة تضاف على معنى القراءة الأولى، وهذا هو سر

إعجازه البلاغي .

---

(1) القراءات - أحكامها ومصدرها، د. شعبان محمد إسماعيل، ص 49، 50، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة الثانية، 1402هـ، العدد 19.

(2) انظر : الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 99/1، وما بعدها، مطبعة البابي الحلبي بمصر ط4، عام 1978م.

(3) البقرة : 36.

(4) انظر : النشر في القراءات العشر 211/1.

(5) انظر : البحر المحيط، أبو حيان 159/1، دار الفكر، بيروت، ط2، عام 1983م.

(6) المرجع السابق 159/1.

فالصورة الأولى : المجاز اللغوي في قوله تعالى : "فأزلهما" مأخوذ من الزل، وهو في الآية مجاز ؛ لأنه في الرأي والنظر، وإنما حقيقته الزل في القدم<sup>(1)</sup>.

وخرج أبو علي الفارسي القراءة في الآية على تأويلين : أحدهما : كسبهما الزلة، والآخر : أن يكون أزل من زل الذي يراه به عثر<sup>(2)</sup>، والضمير عنها يعود إلى الشجرة. وعليه فإننا نجد أن اللفظة القرآنية "أزلهما" على قراءة الجمهور لم تحمل المعنى الحقيقي الذي وضعت له أصلاً، وإنما تجاوزته وتعدته لإفادة معنى آخر وهو وقوع الزل في الرأي والنظر.

والصورة الثانية : المجاز المرسل، وهو ما عرفه البلاغيون بقولهم : "ما كانت علاقته بين ما وضع له وما استعمل فيه غير المشابهة"، وعلاقته هنا المسببية وهي الصلة التي تربط بين المعنى الأصلي والمعنى الذي استعملت فيه التي لا تقوم على التشبيه. فقراءة حمزة : "فأزلهما" مأخوذ من الزوال، كأنه المزيل لما كان إغواؤه مؤدياً إلى الزوال، وأصله التنحية، أي إثبات ما ترتب من وقوع الخطأ، وهو الإزالة من الجنة على الزل المعنوي<sup>(3)</sup>. وعليه يكون أزلهما عن مكانهما من الجنة<sup>(4)</sup>، وعليه تكون الإزالة والتنحية من مكان إلى مكان آخر داخل الجنة. ولهذا فإن الضمير في عنهما يعود إلى الجنة، وعليه تكون الإزالة مسببة عن الخطأ وهو السبب، وهذا هو المجاز المرسل علاقته السببية.

وهناك فائدة بلاغية ثالثة أظهرتها القراءة الثانية "فأزلهما" حينما جاءت بعدها كلمة "فأخرجهما" لأن الخروج يختلف عن الإزالة، وهذا من باب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وهو صورة من صور الإطناب الممدوح يؤدي فائدة جديدة، ويكون لغرض آخر كتأكيد لمضمون الجملة الأولى، وتفخيم القصة وتعظيمها بألفاظ مختلفة كما هو حاصل في الآية. وهذا ما ذهب إليه الشوكاني في تفسيره حينما قال لا تكرر كما قال الطبري في قراءة "فأزلهما" إذ يقول : وقوله "فأخرجهما" تأكيد لمضمون الجملة الأولى : أي أزلهما إن كان معناه زال عن المكان، وإن لم يكن معناه كذلك فهو تأسيس، لأن الإخراج فيه زيادة على مجرد الصرف والإبعاد ونحوهما ؛ لأن الصرف عن الشجرة والإبعاد

(1) المحرر الوجيز، ابن عطية 254/1، ومعاني القراءات 147/1، وفتح القدير 68/1.

(2) انظر : الحجة، أبو علي الفارسي 13/2.

(3) انظر : المحرر الوجيز 254/1، ومعاني القراءات 147/1، وفتح القدير 68/1.

(4) إعراب القراءات السبع وعللها 82/1.

عنها قد يكون مع البقاء في الجنة بخلاف الإخراج لهما عما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة" (1).

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً... ﴾ (2)، ففي قوله تعالى : "فواحدة" قراءتان :

الأولى : قراءة بقية القراء العشرة بالنصب "فواحدة" (3)، وهي على هذه القراءة مفعول به لفعل محذوف، أي : فالزموا واحدة، و"أو" في قوله تعالى : "أو ما ملكت أيما نكم" حرف عطف، وهي للتخيير، أي من الإماء اللواتي في حوزتكم (4) وقد يكون النصب بتقدير : فانكحوا واحدة (5).

الثانية : جاءت بالرفع "فواحدة" وهي قراءة أبي جعفر (6)، وعبد الرحمن بن هرمز والحسن، ورويت أيضاً عن أبي عمرو (7)، ويكون الوجه البلاغي في قراءة النصب يحمل معنى الأمر الحقيقي وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وهذا يفهم بوجوب الاقتصار على واحدة إذا خشى الإنسان عدم العدل بين نسائه، والمعنى : فالترزموا أو فاختراروا واحدة وذروا الجمع رأساً، فإن العدل كله يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فعليكم به (8).

وهذا ما قاله الفراء في توجيه قراءة النصب : فإن خفتم ألا تعدلوا على الأربع في الحب والجماع فانكحوا واحدة أو ما ملكت أيما نكم لا وقت عليكم فيه (9). وأما قراءة الرفع "فواحدة" على أنه مبتدأ والخبر محذوف. قال الكسائي : أي فواحدة مقنع، ومثل : التقدير فيها كفاية، ويجوز أن تكون واحدة على قراءة الرفع خبر مبتدأ محذوف : أي فالمقنع واحدة (10).

(1) فتح القدير 68/1.

(2) النساء : 3.

(3) النشر في القراءات العشر 247/2.

(4) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين درويش 153/2.

(5) انظر : المحرر الوجيز 492/3، وفتح القدير 420.

(6) النشر في القراءات العشر 247/2.

(7) انظر : المحرر الوجيز 492/3.

(8) تفسير آيات الأحكام، الصابوني 425/1، منشورات مكتبة الغزالي، دمشق.

(9) معاني القرآن، الفراء 255/1، عالم الكتب، بيروت، ط2، عام 1980م.

(10) انظر : فتح القدير 420/1، ومعاني القرآن 255/1.

وإذا دققنا النظر، والمعنى الحاصل عند قراءة الرفع اتضح لنا أن الأمر هنا لا يحمل معنى الإلزام أو الوجوب كما مر في قراءة النصب، وعليه فإنه لا يحمل معنى طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وإنما حمل معنى الإباحة "ويكون هناك تخيير ولا بأس إن تزوج في حال عدم الاستطاعة"<sup>(1)</sup>.

#### نخلص مما تقدم إلى النتائج والتوصيات التالية :

أولاً : لقد ظهر دور علماء الأمة الإسلامية في بداية مرحلة التأليف كيف أخذوا على عاتقهم الدفاع عن القرآن وإبراز معانيه وبلاغته.

ثانياً : تنوعت خدماتهم للنص القرآني فتارة كشفوا عن بلاغة الترادف فيه، وثانية كشفوا عن بلاغة القراءات القرآنية وثالثة عن إعجازه، وهذا يدعونا نحن اليوم أن نواصل الخطى للتصدي للهجمة الشرسة من أعداء الله على القرآن ودين الله.

ثالثاً : نوصي أبناء المسلمين بأن تكون دراستهم لكتاب الله دراسة تدبر وليست دراسة لا تتجاوز به حلوهم حتى يفهموا معانيه ويصلوا إلى مراميه.

رابعاً : نوصي بطباعة ونشر كل ما يصدر من مطبوعات جاءت لخدمة النص القرآني وتطبيق توصيات المؤتمرين حتى لا تذهب هباء الرياح ولا تتجاوز المكان الذي قيلت فيه.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا هذا الجهد، إنه نعم المولى

ونعم النصير .

أ.د. محمد شعبان علوان

أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني

الجامعة الإسلامية - غزة

---

(1) المحرر الوجيز 492/3.

عظمة الفكر والتفكير بين شواهد العلم ودلائل القرآن  
**The Magnificence of Thinking and Meditation  
between Science and Signs of Qur'an**

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة  
تأليف:

د . وائل مصطفى فايز أبو الحسن،

قسم العلوم الصحية،

كلية العلوم الطبية،

الجامعة العربية الأمريكية .

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008



## المخلص

تتمثل أزمنا نحن العرب والمسلمين اليوم في أننا أصبحنا عالية على غيرنا من الشعوب والأمم؛ وذلك بعد أن هجرنا وتخلينا عن قرأنا الكريم وما جاء فيه من حكمة رب العالمين. فمن أعظم وأخطر ما ترتب على ذلك الهجران والتخلي، الحرمان من نعمة الفكر والتفكر وما هو مرتبط بهما من نعم وآلاء تكاد لا تعد ولا تحصى. في مجملها ذات قيمة عقديّة وفكريّة وسلوكيّة؛ حتما ما تعود على الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع بالخير والرفاه؛ التربوي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني والصحي. من هنا جاءت هذه المراجعة العلمية حول موضوع الفكر والتفكر وعظمته كدعوة قرآنية خالدة؛ وذلك استنادا إلى ما تضمنه النص القرآني المعجز، وما أكد عليه وأثبتته البحث العلمي المعاصر بكل ما تمخض عنه من نتائج واستنتاجات علمية؛ لا مجال لنقضها أو دحضها.

## Abstract

**Our crisis as Arabs and Muslims today that we become dependant on other people and nations; mainly after we had abandoned and left our noble Qur'an and what it holds of great wisdom of the Al'aalameen's Lord. As a consequence, the most danger outcome of that abandoned is deprivation of thinking and meditation and all what is associated with them of unlimited benefits and goods. As a whole it is of great faithful, thoughtful and behavioral significance; inevitably reflected with good and welfare on the individual, family, group and society; educationally, politically, economically, socially, security and health. For that, this scientific review on thinking and meditation and its greatness as a Qur'anic immortal call was prepared; based on miracle contents of the Qur'anic text, and all that was emphasized and proved through current scientific research with referring to its scientific outcomes and conclusions; no way to refute or overcome.**

أزمتنا نحن العرب والمسلمين اليوم أننا أصبحنا في أمور دنيانا عالية على الشعوب والأمم، هذا بعد أن كنا سادة وساسة العالم في كل المجالات والميادين، في الفلسفة وفي الطب وفي علم النفس وفي الرياضيات وفي الهندسة والفلك وفي علم البحار وفي الأدب والسياسة والاجتماع والعمارة والفن وغيرها من سائر ضروب العلم والمعرفة.

أصبحنا وكأننا لا صلة لنا بماضيها التليد؛ وان كان من سبب وراء كل هذا فهو أننا تركنا الفكر والتفكير، وابتعدنا عما يحيينا كأمة من علم وشرع ودين، وصرنا غثاء كغثاء السيل، هذا وان كنا كثر وبالملايين.

أصبحنا مجرد حفنة متلقين، مستهلكين وفقا لما يخطط ويصمم ويصدر لنا من نهج وفتات علم ونظم وقيم وقوانين. عجيب قد أضحي حالنا عندما تنكرنا لقراننا. فيعد أن كنا من يسير ويحدّد المسار والمسير في البر والبحر وفي الأفاق، وقد شهد لنا بذلك القاضي والداني في الشرق والغرب، إلا أنه ومن شدة ما أصابنا من تقهقر ونكوص قد تراجعنا وانتكسنا، وأصبحنا وكأننا في سبات عميق، بل أمواتا لا حياء ولا حياة فينا ولا نبض ولا وميض!!

نعم هذا هو حالنا الذي سرنا وصرنا إليه بأيدينا وأيدي أعادينا. وسنبقى عليه ما لم نعود من جديد إلى الله خالقنا وبارئنا، وقراننا الذي يتلى كل يوم بين أيدينا.

نعم القرآن؛ ذلك الكتاب القيم، المنزل على سيد الخلق والأنام؛ ليكون مصدر تلقى ونظر والهام، ومصدر تحد وإعجاز إلى يوم الدين. كيف لا، وهو كتاب أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير؟ كيف لا، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزّل من حكيم خبير، عليم بصير، جاء ليكون موعظة للمتقين، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للخلق أجمعين؟ انه كتاب لمن يتفكر ويتأمل في آياته لحق معجز. نزل بالحق، ونطق بالصدق، وكان بأن شرع الله تبارك وتعالى فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم في واقع الأنفس والأسر والمجتمعات والحياة ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

والقران كما جاء القول فيه لسلفنا الصالح، وما زال يقال فيه لنا: [...] فيه نيا من قبلكم. وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرانا عجا. يهدي إلى الرشد، من علم به علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم<sup>(1)</sup>.

(1) علي محمد حسن العماري، القران والطبائع النفسية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الثاني، 1386هـ - 1966م، ص: 12.

حقاً إنه لكتاب معجز خالد. لقد بلغ فيبلغ الغاية في البيان. وأوجز وأطنب وجاء بالإعجاز وكان بان تحدى في ذلك الإنس والجان. وناجى وسمع. ووعد وتوعد. وبشر ونفر. وعد المؤمنين بالجنان والحدود العين، وتوعد المجرمين والكافرين بالويل والثبور. وكان منه بان أيقظ عقولا، وأحمد أهواء وأواما، وأثار للناس القلوب والدروب، وأحياهم وأخرج من أراد منهم من الظلمات إلى النور.

كما انه كتاب في تلاوته حلاوة واذوية وطراوة وراحة للنفس، وفي مدارسته، أبدا الرضا والبهجة والأنس والسرور. من فكر وتفكر في آياته وتأمل في ألفاظه ومعانيه ومدلولاته، وأصغى إلى إرشاداته وتوجيهاته الربانية وصل، وكان في نهاية المطاف بحق وحقيقة ممن سكن واطمأن قلبه، وكان من زمرة المخلصين الموحدين [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ألا يذكر الله تطمئن القلوب] (1).

#### الفكر والتفكير دعوة قرآنية خالدة

إن المكانة العالية الفذة الرفيعة التي أعطاها القرآن الكريم لعبادة الفكر والتفكير هي التي جعلت رواد وعلماء وزهاد أمثال الحسن البصري يقولون: " تفكر ساعة خير من قيام ليلة (2) . وهي التي جعلت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: " تفكر ساعة خير من عبادة سنة (3) . وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو الآخر أنه قال: " الكلام بذكر الله حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة (4) وهذا هو سفيان الثوري يقول في عبارة موزونة، طوبى لمن يقرأها ويخطها بماء الذهب:

"إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة (5)

لقد دعا القرآن الكريم ومنذ زمن بعيد قريب، قريب بعيد، إلى التفكير والتأمل، وكان بان كرر الدعوة إلى ذلك، وأكد وشدد عليها في مواطن عدة؛ وذلك لما في الأمر من خيرية تنفع البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالآيات التي تناولت هذا الموضوع أكثر من أن نسورها في دراسة عابرة ضيقة كالتالي نحن بصدد خط سطورها، وصف وترتيب كلماتها وعباراتها.

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (6).

ويقول: [ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير. أيود أهدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (7)

(1) الرعد: 28.

(2) الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مجلد 1، بيروت: دار المعرفة، 1969م، ص، 438.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

(5) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، الرياض: رئاسة الإفتاء، ص، 180.

(6) البقرة: 219.

(7) البقرة: 266.

ويقول: [وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون. قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أنني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون] (1)

ويقول: [واتل عليهم نبأ الذي آتته آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون] (2)

ويقول: [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون] (3)

ويقول: [أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين] (4) ويقول: [أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم الكافرون] (5)

ويقول: [الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون] (6)

كما أن الطلب والتوجيه الإلهي حول موضوع الفكر والتفكير قد جاء بصيغ أخرى ذات تباين واختلاف غير التي ذكرنا. فقد أثنى الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين الذين يعملون عقولهم ويذكرون ويتفكرون ويشكرون ويتوسلون رحمته، حيث قال لهم دالا ومرشدا، وقال فيهم ذاكرا وممجدا: [إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار....] (7)

كما انه تبارك وتعالى قد نعى وأغلظ وعنف وأنكر كثيرا على أولئك الجامدين الجاحدين المكذبين، حيث قال لهم وبأسلوب بياني استنكاري جاء على لسان رسوله نوح عليه السلام: [ما لكم لا ترجون لله وقارا. وقد خلقكم أطوارا. ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا] (8)

وقال لأمثالهم في موطن آخر: [أولم ير الذين كفروا إن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون] (9)

(1) الأنعام: 48، 49، 50.

(2) الأعراف: 176.

(3) يونس: 24.

(4) الأعراف: 184.

(5) الروم: 8.

(6) الجاثية: 12، 13.

(7) آل عمران: 190، 191.

(8) نوح: 13-16.

(9) الأنبياء: 30.

وقال: [أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق واجل مسمى] (1).

وقال: [أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب] (2) وأكثر ما ترى الدعوة إلى التفكير والتأمل في الأرض وفي الأنفس حثيثة صريحة في قوله تعالى: [وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون] (3) فما أعظمها من دعوة ربانية، وما أعجب ما استعرفه العقول والأفهام عند التفكير في مكونات وموجودات الأرض والأنفس البشرية، حيث مصادر الحياة والبقاء، والطاقة والبناء، وكنوز الحل والعقد والعطاء، وتوفر عناصر الخير والشر، والداء والدواء. ولولا أن يطول بنا المقال لفصلنا حول هذا الأمر بقدر ما أعطانا الله تبارك وتعالى من إمكانيات وقدرات قد لا نعرف لها حدودا. فما أكثر الآيات الكريمة في الموضوع، وما ترتبط به ويرتبط بها من معالم وأبعاد لا يعرف لها بداية من نهاية الا الله تبارك وتعالى، ومن ذكر الله، وتفكر وتدبر في معاني ومدلولات قوله الحق تبارك وتعالى، وكان من أصحاب القلوب الحية الفائرة الذاكرة، المؤمنة المتأملة.

وكفى بالله الحكيم العليم بيانا وتبيانا، القائل في محكم التنزيل وعدا وصدقا لمن أدبر وتولى عن أمر ربه، عن سابق إصرار وترصد: [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] (4)

#### قيمة ومكانة الفكر والتفكير :

فعلوة على ما في الأمر من قيم مادية ومعنوية وروحانية، تكمن في نهج الفكر والتفكير المعجز أصول صناعة وصياغة الأسس المعرفية والعقلية والنفسية للإنسان، نجد فيه مكن ما يصوغ دوافع الإنسان وميوله وعاداته وتقاليده وما فيه توجيه سلوكه وعلاج مختلف قضايا وغنى حياته الفكرية والعاطفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وما إلى غير ذلك من سائر القضايا والأمور. وما ذلك الخير الوفير الذي توصلت إليه أبحاث ودراسات علوم العصر الحديث، سواء تلك التي جاءت بها العلوم السلوكية أو علوم الطب والفيزياء والكيمياء أو غيرها من حقول العلم والمعرفة الا غيض من فيض عالم الفكر والتفكير المجدي النافع المفيد، الذي دعا إليه القرآن العظيم منذ مئات العقود وعشرات القرون.

فما أن يبدأ الإنسان تفكره وتأمله بالنظر إلى ما أبدعت يدي الله الكريمتين، والنظر فيما أرادته المشيئة والعناية والرعاية الإلهية من أمر وإشارة وتوجيه وإرشاد، ومن ثم الأخذ بذكر الله تعالى من بعد شكره، والأخذ بطرح الأسئلة على الذات، وتركيز الذهن وحصره بغية الحصول على ما قد تهتدي إليه العقول والقلوب من إجابيات واستجابيات، ومن ثم تقليبها يمنا ويسرة بقدر ما تسمح به الخيارات الا والخير بكل صورته وأشكاله وألوانه ومذاقاته ينهال على جمهور المتفكرين والمتأملين من كل حذب وصوب. فهذا وما فيه من منابع الإيمان والإحسان واليقين، وما فيه من مصادر الطمأنينة والسكينة، وأسرار الرضا والسعادة ما لا يمكن أن تحصيه يد نبيه أو فطين.

(1)الروم: 8.

(2)سبا: 9.

(3)الذاريات: 21.

(4)فصلت: 53.

## عظمة الفكر والتفكير بين شواهد العلم ودلائل القرآن

فقد جاء في "مدارج السالكين" على لسان سيد الفكر والمتفكرين في زمانه، ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن التذكر والتفكير منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكيره على تذكره ويتذكره على تفكيره حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتح العليم" (1).

وقال الحسن البصري "إن أهل العلم لم يزالوا يعودون بالتذكر على الفكر والفكر على الذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة" (2).

ولنتأمل سوياً قول حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى حيث قال في الفكر والتفكير: "إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح. فالعمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكرة ذكر وزيادة" (3). والنتائج في ذلك تبعاً لما هو متفكر به، وتبعاً لما هو مكتسب ومتعلم من خبرات جديدة.

ولنعلم بما أنعم الله علينا من مصادر الحس والإدراك، أنه بقدر ما يتفكر المرء في الآفاق وفي الأنفس وفيما خلق الله تبارك وتعالى من مخلوقات وموجودات وسنن كونية بقدر ما تحصل له عظام الحكمة والمعرفة، وبقدر ما تتجلى له الأسرار وتفتح أبواب ونوافذ المغاليق ويعرف من المنافع الكثير الكثير مما لم يكن له به علم أو إحاطة من ذي قبل.

من هنا يبدأ الفكر الإنساني السوي السليم بالكون والتشكل والتمحور، وتبعاً لذلك تكون مجريات السلوك، إن كان ما يحويه العقل والقلب خيراً فالأثر على الباطن والظاهر سوف يكون خيراً، وإن كانت الأمور على العكس من ذلك فتبعاً لما هو مستقر في الأعماق ينعكس على الجوارح والأركان على هيئة وصورة سلوك وبيان من جنس ما هو مستقر ومركز.

إن الفكر والتفكير - ولا شك - مصدر بناء العقل، والعقل مصدر التأثير في الدماغ، والدماغ بدوره مصدر تأثير في سائر الأجهزة والأعضاء في واقع جسم الإنسان، وكل ما يصدر عن ذلك الجسم من وظائف بيولوجية وفيزيولوجية ذات قيمة عضوية وحيوية. وعليه يمكننا القول بأن العقل وما يحويه من سلبيات وإيجابيات هو مصدر شتى مظاهر صحة ومرض الإنسان معنوياً وفزيولوجياً وفيزيائياً. وقد سبق وأن اثبت عالم الطب والأعصاب إيسليز - Eccles؛ وهو الخبير في مجال عمل الجهاز العصبي، والحائز على جائزة نوبل لرفعة أبحاثه ودراساته، فرضية تحكم العقل بالدماغ، وتحكم الدماغ بالجسد، وما يعني (ويلي) ذلك من ترتب تبعات (4).

وعليه لمن فكر وتفكر فالعلاقة ما بين العقل والدماغ، وما دونهما من الأجهزة الحيوية والأعضاء علاقة سببية - خطية، ذات طبيعة تفاعلية تبادلية.

وكما يقرر علم النفس المعرفي - Cognitive Psychology، فإن ما يفكر ويتفكر به الإنسان لهو الذي يؤثر بالتالي على منظومة إدراكه وتصوره ومعتقداته وسائر نظمه السلوكية على اختلاف أنماطها. فإذا كان تفكيره في جميل وعظيم صنع الله تعالى ونعمه وآلاءه، كان ذلك سبباً في اضطراب إيمانه وتطور وارتقاء أقواله وأفعاله. أما إذا كان تفكيره فيما هو قائم على الملذات والشهوات؛ المادية الحسية منها والمعنوية، يكون عندئذ الجزء من

(1) غادة الدالبيح، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك، ط1، عمان: دار أسامة، 2004م، ص، 55.

(2) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص: 180.

(3) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، بيروت: دار القلم، ص، 389.

(4) Eccles, J. C., Facing reality, New York: Roche Co., 1976.

جنس العمل؛ أي من جنس التفكير الداخلي لذلك الإنسان، حيث الأناثية والنرجسية وكثافة الطبع والتراجع والانحطاط والارتكاس.

وان كان أمر التفكير والتفكير في المخاوف والهواجس ومواطن الضعف والفشل والإحباط وقلة الفأل الحسن مما لا ريب فيه كانت النتيجة الحتمية امتعاضا وغما وهما واكتئابا وأمراضا وأعراضا نفسانية ما انزل الله بها من سلطان!!

لقد أضحت مراكز وعيادات علم النفس المعرفي اليوم تعالين وتعالج الكثير من مشاكل الإنسان انطلاقا من هذا التصور الذي تعود جذوره وأصوله الأولى إلى القرآن الكريم منذ مئات العقود وعشرات القرون. كيف لا والقران يقرر ويقول: [وان ليس للإنسان الا ما سعى، وان سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى]<sup>(1)</sup>. كيف لا والقران يقول: [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]<sup>(2)</sup>.

إن أي مظهر سلوكي أي كان في واقع الوجود الإنساني؛ سلبيا أو إيجابيا، لا بد وان يسبقه عادة نشاط فكري معين سواء كنا ندرك ذلك أم لا. وما اصل الفكر التراكمي الا بفعل ما سبق وان أشرنا إليه من جملة التفكير والتفكير في الأمور والأشياء من حولنا. والعقل الإنساني بحكم الفطرة والقابلية والاستعداد لا يكف أبدا في أي لحظة من لحظات الحياة عن التفكير والتفكير، سواء كان صاحبه يقف في مواقف السر أو العلن، في الليل أو النهار، أثناء النوم أو في حالات الشعور واليقظان.

وبقدر ما تزداد قوة النشاط العقلي الداخلي (سواء كان يتعلق الأمر بادراك حسي أو بتصور وتخيل على هيئة وصورة عبرة أو خطرة أو حالة شعورية أو انفعالية) بقدر ما تتولد الدوافع والمحركات السلوكية في حياة صاحب ذلك النشاط. وبقدر ما نكرر تلك السلوكيات التي تحركها الدوافع الداخلية النابعة من عالم الفكر والتفكير والتفكير بقدر ما تصير وتصبح تلك السلوكيات أنماطا متأصلة في واقع حياتنا على صورة وهيئة خير أو شر. فأى سلوك وهذا المنطق يمكن لنا من أن نكتسبه ويمكن لنا من أن نعدله أو نغيره من خلال التأثير المباشر أو غير المباشر في عالم الإدراك والوعي واللاوعي. وهذا هو محور ومرتكز قول الحق تبارك وتعالى: [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]<sup>(3)</sup>.

وعليه فان كل ما يمكن للإنسان من أن يفكر ويتفكر به ويشعر وينفعل له سواء على المستوى الشعوري السطحي أو اللاشعوري هو الذي يشكل تصوراتيه ويصوغ معتقداته وقيمه، بل هو ما يوجه أقواله وأفعاله الظاهرية منها والباطنية، السوية وغير السوية.

كما أن التفكير وما يصاحبه عادة من ذكر وتذكر، وتصور وتخيل إيجابي سواء كان الأمر مرتبنا بقضايا النفس الإنسانية أو بأي قضية أخرى من تلك القضايا التي تحيط بنا، سيبقى هو المصدر الكفيل بتغيير مظاهر السلوك والعادات السيئة؛ فبدون التغيير الداخلي أولا لا يمكن أن يحصل التغيير الظاهري رأسا، وان حدث تغيير ما، فما هو الا تغيير عابر لن يدوم طويلا، وسرعان ما يضمحل ويتلاشى ويزول.

فالفكر والتفكير كما جاء في بعض أدبيات تراثنا الإسلامي الحنيف سيبقى "هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها...."<sup>(4)</sup>. وسيبقى ".... من أفضل أعمال القلب وانفعها له"<sup>(5)</sup>.

(1)النجم: 39، 40، 41.

(2) الرعد: 11.

(3) الرعد: 11.

(4) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص 183.

(5) المرجع السابق.

### كيف يكون التفكير، وفيه يكون؟

من منظور نفساني إسلامي، واستنادا لما جاء في بعض آي الذكر الحكيم ونصوص السنة النبوية المطهرة، يمكن لنا القول بان على الإنسان المؤمن بالله أن يتناول موضوعا ما من تلك الموضوعات التي أرشدنا إلى التعامل معها، وتداولها فكريا وتفكيريا، ذكرا وتسبيحا، كالتعامل مع أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، ولربما التفكير والتفكير بأي مما هو شاهد ومشهود من بديع مصنوعات ومخلوقاته سبحانه تبارك اسمه وجل شأنه، سواء كان الأمر يتعلق بمدرك حسي مما نسمعه، أو نراه، أو نلمسه، أو مما نذوقه ونشمه، أو كان مما هو مدركا عقلا وتصورا وخيالاً، ومن ثم العمل على تقليب وتدارس الأمر بقدر ما هو ممكن وما هو مستطاع. وقد يمارس هذا الفعل الذهني الباطني أثناء قراءة القرآن الكريم، وقد يكون عند السجود في كل ركعة صلاة، ولربما بعيد كل صلاة، من تلك الصلوات المفروضة أو من تلك النوافل والسنن المستحبة. كما أنه من الممكن القيام بذلك ونحن في حالة "مخ العبادة"؛ أي عند الدعاء، من خلال التفكير والتأمل المباشر في عبارات الصراحة والشكر والتوسل والرجاء، في الشدة والرخاء، عند السراء والضراء.

لقد أشار جهاذة الفكر الإسلامي إلى أن التفكير يمكن أن يكون في حياة الإنسان المسلم من خلال الذكر، ومواطن الخلوة والوحدة في أماكن الهدوء البعيدة عن كل تشتت<sup>(1)</sup>. وقد اهتدى إلى هذه الكيفية في عصرنا الحديث العديد من دعاة ورواد ومشاهير الفكر والتفكير أو ما اصطلح عليه بـ "التأمل الارتقائي - Transcendental Meditation"<sup>(2)</sup>. فهذا هو الأمريكي بينسون - Benson في كتابه "ما وراء استجابة الاسترخاء" تجده يقولها صراحة: "... ويمكن للمسلم أن يختار لتأمله ترديد كلمة الله... الله... أو كلمة أحد... احد..."<sup>(3)</sup>. ذلك بعد أن يهيئ الإنسان المتفكر والمتأمل الجو المناسب لموضوع تفكره، ويأخذ بأسباب وسبل الهدوء والاسترخاء.

كما أن العلم الهندي المعاصر والمعروف بـ "الماهاراشي موهيش يوجي - Maharashi Mohesh Yogi"<sup>34</sup> قد توصل هو الآخر إلى عظيم ما قد يحدثه الفكر والتفكير من عظيم العوائد والفوائد في واقع حياة الإنسان. وكان منه بأن أضحي من أكبر مرجعيات القرن العشرين علما وتعلما للتفكير والتأمل، إلى درجة أن عدد من صاروا يمارسون هذه الرياضة النفسية في حياتهم اليومية قد تجاوز العشرة ملايين في كل من أوروبا وأمريكا (6 مليون في أمريكا وحدها)<sup>(4)</sup>. هذا عدا عن عشرات الملايين في كل من الهند والصين. بل أسست

(1) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم العلي العزي، دولة الإمارات العربية، وزارة الأوقاف، ص: 31، 32.

(2) التأمل الارتقائي: أسلوب تعود جذوره إلى الحضارة الصينية والهندية القديمة، ويقوم على فكرة الاسترخاء أولاً، ثم العمل على حصر الذهن في موضوع ما للتفكير والتفكير فيه دون سواه من الموضوعات.

(3) Benson, H., Beyond the relaxation response, New York: Berkeley Books, 1985, 109.

(4) يعرف بالمعلم ماهاراشي ماهيش يوجي، وهو مؤسس وناشر فكرة التأمل الارتقائي في العالم، أصله هندي، وكان بأن وطأت قدماء مدينة سان فرانسيسكو في 1959 / 1/29 في الولايات المتحدة؛ بهدف تقديم برنامج إلى الناس. ومن هناك انتقل إلى كل من مدينة لوس أنجلوس، ثم نيويورك، ومنها إلى إنجلترا، فألمانيا، فاليونان، وغيرها من مدن ودول العلم في الشرق والغرب. هنالك قناة فضائية تحمل اسم هذا المعلم ومن خلالها ينظر ويحاضر حول برنامجه، إضافة إلى وجود العديد من المؤسسات والمراكز العلمية والتدريبية التي تحمل اسمه وتنتظر لفلسفته في التأمل.



## عظمة الفكر والتفكير بين شواهد المعلم وللاهل القرآن

وأنشأت العديد من المدارس والكليات والمراكز والمعاهد والجامعات التي تنطلق في تدريس برامجها التربوية والتعليمية على اختلافها من أسس تقوم على فلسفة التفكير والتأمل الارتقائي. (1)

هذا وان كان المعلم "المهاراشي" ومن هم على نهجه وخطه في الفلسفة العلمية والتعليمية يستندون إلى تعاليم بوذا وكريشنا – Budha and Chrishna في شبه القارة الهندية إلا أن ما جاءوا به مما هو سوي ومطابق للفطرة، ومما تستقيم به العقول والقلوب، والأرواح والأبدان الأدمية، قد سبق وأن دلّ عليه القرآن العظيم بأجمل صورته البيانية، وبأجمل كلمة وحكمة وتكوين.

والتفكير والتأمل كما يصفه بعض المهتمين من جمهور الباحثين والدارسين: هو شكل من أشكال الاسترخاء العميق، يحاول الشخص من خلاله أن يتخيل بعض المشاهد المشرقة... وهو غالبا ما يرتبط بالطريقة الصحيحة للتنفس، حيث يعكس التنفس صورة النظام العصبي ويؤثر على حالة ذلك النظام؛ وذلك من خلال التركيز على النقطة الواقعة بين الحاجبين أو ما يعرف بالعين الثالثة في الطب الصيني، ونقطة السجود لدى المسلمين، وهو ما يزيد من إفراز اللعاب بسبب إفراز هرمونات خاصة قد شحنت بواسطة تأثير الغدة النخامية، وهذا بدوره ما سوف يؤدي إلى شحن كل أنظمة الجسم ويساعد على سمو الروح (2).

### التفكير: مجاله، مداه، وحدوده :

إن التفكير في خلق السماوات والأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما من موجودات وهيئات وأحوال وأوصاف ومجريات أحداث لأمر ممكن متاح مباح مفتوح، لا يعرف قيودا ولا تعرف له حدود، لا زمانية ولا مكانية. فالإنسان في هذا حر طليق بقدر ما تسمح له قدراته وإمكاناته الحسية والإدراكية والقدرة على التخيل والتصوير وإعمال الفكر والعقل. الإنسان في ذلك كالسائح الحر الذي سخرت له جميع المصادر والوسائل للوصول إلى ما هو في المقدر الوصول إليه من عوالم النعمة والبهجة والسرور.

يقول تعالى في الإيجاب: [قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق. ثم الله ينشئ النشأة الآخرة، إن الله على كل شيء قدير] (3).

ويقول في الإنكار: [أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة] (4).

Program. (2005). How and where to learn? Transcendental Meditation The (1)  
[Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/index.html>

(2) حول أهم هذه المدارس والكليات والمراكز والمعاهد والجامعات بالإمكان التعرف على كل من جامعة المهاراشي للعلوم الإدارية - Maharishi University of Management، وجامعة المهاراشي المفتوحة - Maharishi Open University، وجامعة المهاراشي لعلوم الفيدا - Maharishi Vedic University، وما يطرح في كل منها من برامج تعليمية وتعليمية مختلفة.

(3) غادة الدلابيح، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك، مرجع سابق، ص، 56، بتصرف قليل.

(4) العنكبوت: 20.

وكما أن الدعوة الربانية في النظر والتدبير حيّة شاخصة لتشمّل ما كان عليه الماضي السحيق من أحداث ومجريات أحداث أيضا نجدها دعوة صريحة إلى التفكير في آيات الله تعالى في حاضر الإنسان وفي واقع الحياة العلمية والعملية اليومية، وفيما هو مستقبل وآت.

يقول الحق تبارك وتعالى: [إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون] (1).

ويقول: [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون. في الدنيا والآخرة....] (2).

فالذين استجابوا لهذا النداء الرباني سواء كانوا مؤمنين أم غير ذلك، وكان منهم بان تفكروا ونظروا وتأملوا وتدبروا في معاني ومدلولات هذه الآيات الكريمة، كان منهم بان توصلوا إلى ما توصلوا إليه من إنجازات وابتكارات واختراعات حضارية مشهودة، وهو ما لم يكن بوسعهم أن يبلغوه لولا إرادة ومشيئته الله تعالى وفضله ومنه وعطاءه. كيف لا، والحق تبارك وتعالى هو القائل فيمن علم ويعلم من عباده: [ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء] (3).

إن كون التفكير عبادة وممارسة حرة طليقة لا يعني أبدا أن لا مدى ولا حدود لها. فعند التفكير في ذات الله تبارك وتعالى تتحطم وتتوقف وتنتهي تلك الحرية. كيف لا، والله جل شأنه وكما قال في حق نفسه: [لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير] (4). كيف لا، والله في كل الامور وكما أخبرنا وقال: [ليس كمثله شيء] (5). فأى موضوع للتفكير كما نعلم هو مقيد بحدود الزمان والمكان، وقد يكون في مجاله يشتمل على شيء من الماضي والحاضر أو المستقبل، والله سبحانه وتعالى هو خالق كل ذلك، بل تجاوز بجلال قدره وعظيم قدرته كل ما خلق، إذ كيف لا يكون له ذلك وهو الخالق الجبار المالك المتعال. فمهما بلغ على بال وخاطر أهل الفكر من المتفكرين والمتأملين من سمات وصفات وخصائص وأحوال تتعلق بذات الله العليّة، فلن يقدره جل شأنه حق قدره، ولن يبلغوا ويصلوا في هذا الأمر عظيم ما يستحقه. ولهذا فانك تجد رسولنا الكريم، الرؤوف بنا الرحيم، المرشد الهادي عليه أفضل الصلوات والتسليم يقولها صراحة لابن عباس، ولمن هم من خلفه وبعده من الناس: {تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره} (6).

(1) الروم: 9.

(2) البقرة: 219، 220.

(3) البقرة: 219، 220.

(4) البقرة: 255.

(5) الأنعام: 103.

(6) الشورى: 11.

وعليه، فالتفكير من وجهة نظر إسلامية لا تحده حدود، ولا تقيده قيود فيما عدا التفكير في ذات الله تبارك وتعالى.

### أهم الفوائد المترتبة على الفكر والتفكير كما أثبتتها العلم الحديث :

وبعد كل هذا البيان والتبيان، كيف لا يكون هنالك فوائد جراء التفكير والتأمل والحق تبارك وتعالى يدعوننا في كتابه العظيم صراحة إلى هذه الممارسة؟ كيف لا والله يقول في محكم التنزيل: [وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للعالمين ولا يزيد الظالمين الا خسارا](1).

لقد جاءت الأبحاث والدراسات المعاصرة تترا لتبرهن لنا على أهمية وعظمة ما قد يترتب على التفكير والتأمل من عوائد وفوائد، لا تقل في قيمتها وجدوى مدلولاتها عما جاءت به العلوم الطبية والنفسية والاجتماعية وغيرها من ثمار العلم والمعرفة. الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع قد تجاوزت المئات في عددها؛ وذلك فقط على مدار العقود الأربعة الماضية، هذا إن لم تكن - بحكم ما لا نعلمه - بالآلاف، حيث تؤكد لنا بعض المواقع الإلكترونية على الشبكة العالمية للإنترنت بان هنالك حوالي 600 دراسة علمية مثبتة في موضوع التفكير والتأمل، موزعة على أكثر من 200 مؤسسة علمية بصورة مستقلة، منتشرة في أكثر من 35 بلدا(2).

وجاء في نتائج تلك الأبحاث والدراسات بان ما يتمتع به سلوك التفكير والتأمل من جدوى فيزيولوجية وسيكولوجية واجتماعية وغيره يفوق ما قد يتصوره العقل أو الخيال(3). ولكي لا يطول بنا الحديث، نرصد بعضا من أهم تلك الأبحاث والدراسات، وأهم ما تناولته من قضايا وموضوعات، وما تمخض عنها من نتائج واستنتاجات، من عظيم العوائد والفوائد(4) :

أولا: الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالجوانب الصحية، ومنها:

أ) التراجع في زيارة العيادات الخارجية:

حيث تبين وكما يوضح الشكل (1-1) بأن المشاركون في برامج رياضة التأمل، والممارسون للتأمل الارتقائي، مقارنة بمعدل جميع من هم مؤمنون صحيا، اظهروا انخفاضا ملحوظا ذا مغزى في زيارتهم لأطباء العيادات الخارجية، حتى أن الأمر كان أكثر ما هو ملحوظا في وسط من هم كبار في السن؛ وهو ما أشارت إليه تحاليل بيانات خمس سنوات من التأمين الطبي(5).

(1) أورده أبو نعيم في الحلة عن ابن عباس رضي الله عنهما. أنظر: الجامع الصغير للإمام السيوطي، ج1، بيروت: دار الفكر، 1981، ص، 514.

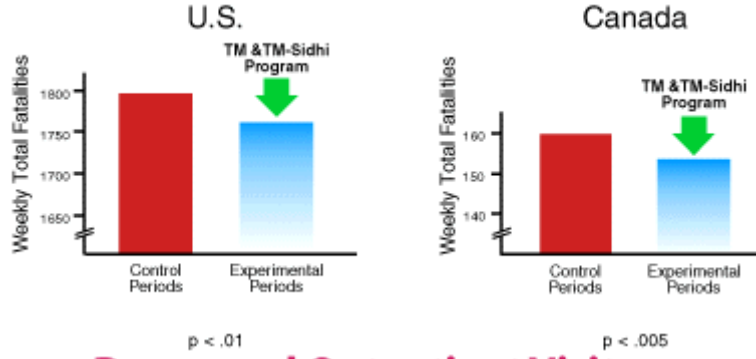
(2) الإسراء: 82.

3The Transcendental Meditation Program. (2005).What Research Says? [Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/index.html>.

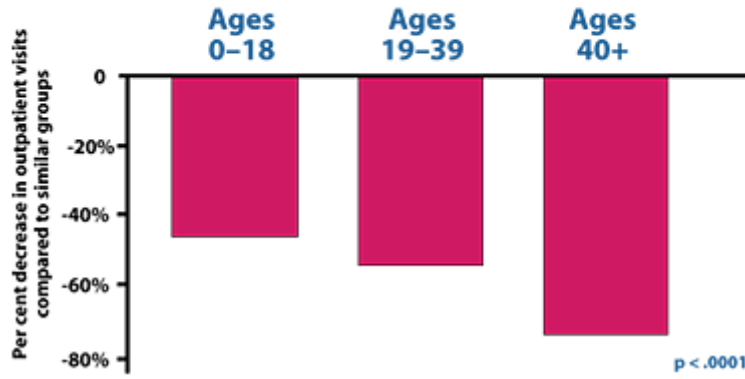
4 The Transcendental Meditation Program. (2005). Summary of Benefits [Online]. Available: <http://www.tm.org/discover/research/summary.html>

5 The Transcendental Meditation Program. (2005). View Research Charts [Online]. Available:



## Decreased Outpatient Visits Indicating Healthier Ageing

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (1 - 1): حيث يبين ويوضح نسبة تراجع زيارات العيادات الخارجية لعينة تمارس رياضة التفكير والتأمل.

(ب) تراجع أعراض المرض والنفقات الطبية:

ففي دراسة حول مصاريف وقضايا الانتفاع الطبي وجد بان الذين شاركوا في برامج صحية تقوم على الوعي الصحي، وممارسة رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، أظهروا انخفاضاً ملحوظاً في عدد أيام إقامتهم في المستشفيات، إضافة إلى تسجيل انخفاض ملحوظ في زياراتهم للعيادات الخارجية. وفي المحصلة، وكما يبين الشكل (1 - 2) كان هنالك انخفاض ملحوظ وذا دلالة في النفقات والمصاريف الطبية في وسط من يمارسون التفكير والتأمل الارتقائي مقارنة بالمجموعات المعيارية<sup>(1)</sup>.

1 . Orme-Johnson, D.W. Medical care utilization and the Transcendental Meditation program. *Psychosomatic Medicine* 49: 493-507, 1987.

عظمة الفكر والتفكير بين شواهد المعلم ودلائل القرآن

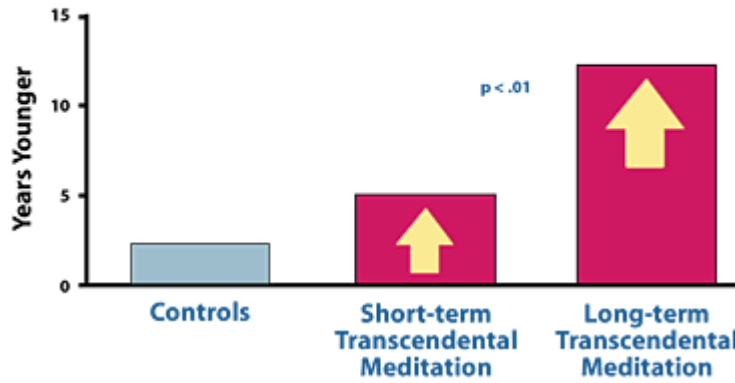
الشكل (1- 2): حيث يبين ويوضح نسبة تراجع أعراض المرض في وسط من يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، والمتمثلة في تراجع أيام الإقامة في المستشفيات، وتراجع زيارات العيادات الخارجية والمصاريف الطبية.

(ج) تحسن العمر البيولوجي:

ففي إحدى الدراسات النادرة كان بأن أظهر الذين اعتادوا على ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي، وبصورة منتظمة، عمرا بيولوجيا أكثر شبابية ممن لا يمارسون مثل هذه الرياضة النفسية أو غيرها من الرياضات. كما أظهرت نتائج الدراسة انه بقدر ما يكون العمر البيولوجي للمفحوصين أكثر انخفاضا، بقدر ما يكون هنالك استمرارية وديمومة وتشبث في البرنامج المشار إليه<sup>(1)</sup>. وهذا ما يبينه الشكل (1- 3).

## Younger Biological Age

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (1) -

(3): حيث يبين ويوضح بالسنوات انخفاض العمر البيولوجي لعينة ممن يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن لا يمارسون مثل تلك الرياضة.

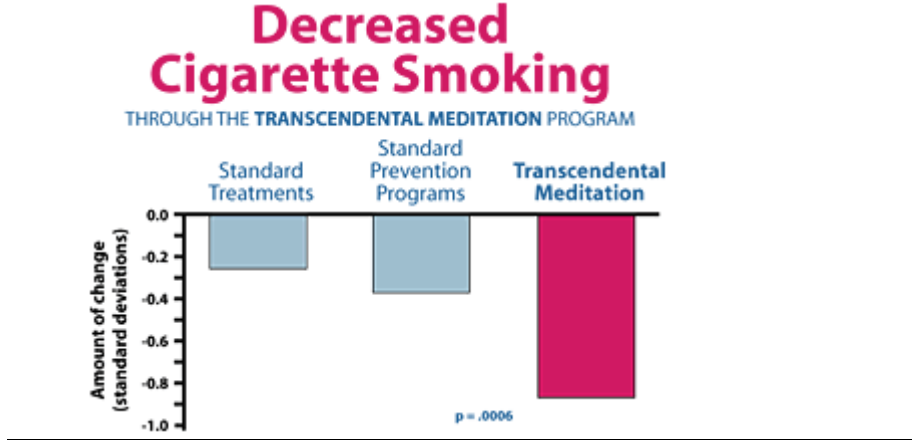
(د) تراجع سلوك تعاطي السجائر:

فكما يبين الشكل (1- 4) أظهر تحليل- ميتا الإحصائي لجميع الدراسات البحثية المجراة على برامج التفكير والتأمل الارتقائي ذات الصلة بسلوك تعاطي السجائر، مقارنة مع تحليل- ميتا لبرامج الوقاية والعلاج المعيارية الخاصة بالتدخين والمدخنين، أن هنالك انخفاضا ذا دلالة إحصائية في وسط من يتعاطون السجائر ممن تعلموا ممارسة التفكير

1 Orme-Johnson, D.W. and Herron, R.E. An innovative approach to reducing medical care utilization and expenditures. *The American Journal of Managed Care* 3: 135-144, 1997

عظمة الفكر والتفكير بين شواهد المعلم ودلائل القرآن

والتأمل الارتقائي؛ هذا على الرغم من كون البرامج التأملية المشار إليها هنا، لا تتضمن أي إرشادات تتعلق بتغيير أسلوب حياة أو عادات المدخنين<sup>(1)</sup>.



الشكل (1 - 4): حيث يبين ويوضح حجم التغير الحاصل في وسط من يتعاطون سلوك التدخين ممن يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن هم في المجموعات المعيارية الأخرى في البرامج العلاجية والوقائية.

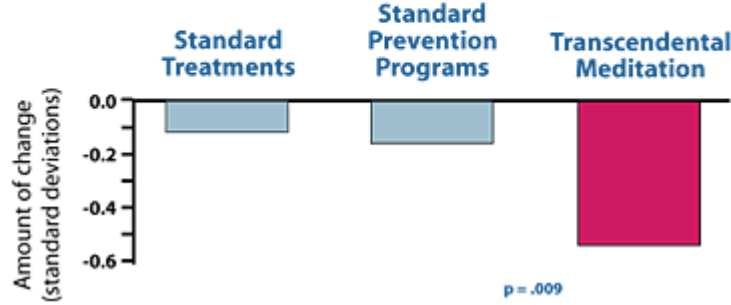
هـ) تراجع سلوك تعاطي الكحول:

وفي نفس الدراسة السابقة أيضا، وكما يبين الشكل (1 - 5)، أظهر تحليل- ميتا الإحصائي لجميع الدراسات البحثية المجراة على برامج التفكير والتأمل الارتقائي ذات الصلة بسلوك تعاطي الكحول، مقارنة مع تحليل- ميتا لبرامج الوقاية والعلاج المعيارية الخاصة بالكحول ومتعاطيه، أن هنالك انخفاضا ملحوظا وذا دلالة إحصائية في وسط من يتعاطون الكحول ممن تعلموا ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي؛ هذا على الرغم من كون البرامج التأملية المشار إليها لا تتضمن أي إرشادات تتعلق بتغيير أسلوب حياة أو عادات متعاطي الكحول<sup>(2)</sup>.

- 1 Wallace, R.K. et al. The effects of the Transcendental Meditation and TM-Sidhi program on the aging process. *International Journal of Neuroscience* 16: 53-58, 1982.
- 2 . Alexander, C.N. et al. Treating and preventing alcohol, nicotine, and drug abuse through Transcendental Meditation: A review and statistical meta-analysis. *Alcoholism Treatment Quarterly* 11: 13-87, 1994

# Decreased Alcohol Use

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (1 - 5): حيث يبين ويوضح حجم التغير الحاصل في وسط من يتعاطون الكحول ممن يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن هم في المجموعات المعيارية الأخرى في البرامج العلاجية والوقائية.

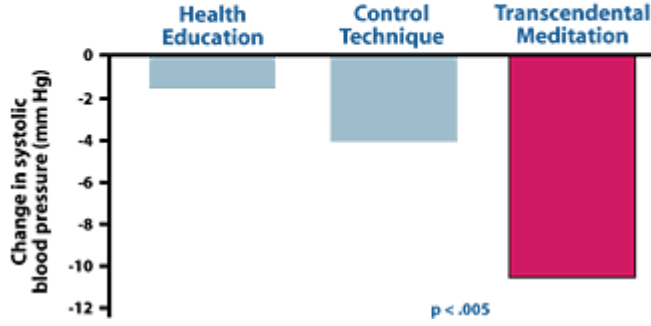
(و) انخفاض منسوب ارتفاع ضغط الدم:

فالمرضى الذين يعانون من أعراض ضغط الدم المرتفع، كما يبين الشكل (1 - 6)، ممن تعلموا ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي كان بان أظهروا انخفاضا ملحوظا ذا دلالة في انبساط وانقباض ضغط دمهم؛ وذلك بعد ثلاثة أشهر من الممارسة، وهو ما يتناقض في النتيجة مع حالة أولئك الذين تم توزيعهم عشوائيا على كل من المجموعة الضابطة في نفس الدراسة، أو من تلقوا تعليما صحيا حول كيفية خفض أعراض ضغط الدم المرتفع لديهم من خلال الحمية والترييض<sup>(1)</sup>.

1 Alexander, C.N. et al. Treating and preventing alcohol, nicotine, and drug abuse through Transcendental Meditation: A review and statistical meta-analysis. *Alcoholism Treatment Quarterly* 11: 13-87, 1994

# Reduction of High Blood Pressure

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (1-6): حيث يبين ويوضح حجم التغير الحاصل في وسط عينة من مرضى ضغط الدم المرتفع، ممن يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن هم في المجموعة الضابطة أو من تلقوا تعليماً صحياً حول كيفية خفض أعراض ضغط الدم.

(ع) تراجع أعراض الأرق (انعدام القدرة على النوم):

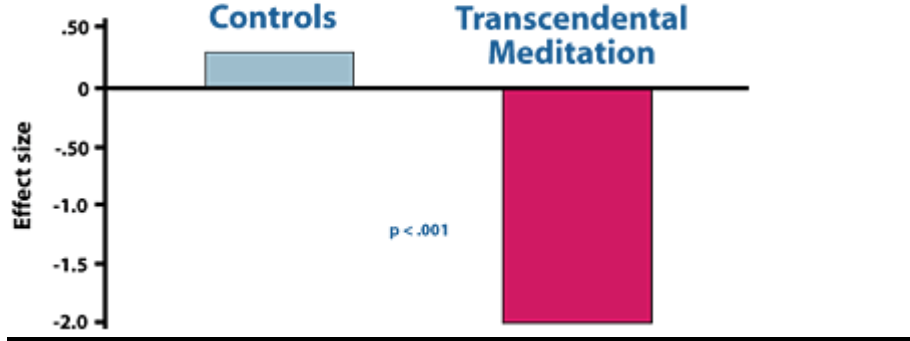
كشفت دراسة لمجموعة من المرضى ممن يبحثون عن علاج لاضطرابات ما بعد الصدمة عن أن من تعلموا ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي قد اظهروا انخفاضاً ملحوظاً ذا دلالة فيما يتعلق باضطرابات النوم؛ وذلك بعد أربعة أشهر من ممارسة التفكير والتأمل، وهو في النتيجة، وكما يبين الشكل (1-7) ما يتناقض مع حال أولئك الذين تم توزيعهم عشوائياً على المجموعة الضابطة في نفس الدراسة، ممن كانوا يتلقون علاجاً نفسياً<sup>(1)</sup>.

1 Schneider, R.H. et al. A randomized controlled trial of stress reduction for hypertension in older African Americans. *Hypertension* 26: 820–827, 1995.



# Decreased Insomnia

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (1 - 7): حيث يبين ويوضح حجم الأثر الإيجابي المترتب على ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي في وسط عينة من مرضى انعدام القدرة على النوم (الأرق)، مقارنة بمن هم في المجموعة الضابطة، ممن لم يمارسوا التفكير.

ثانياً: الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالجوانب العقلية:

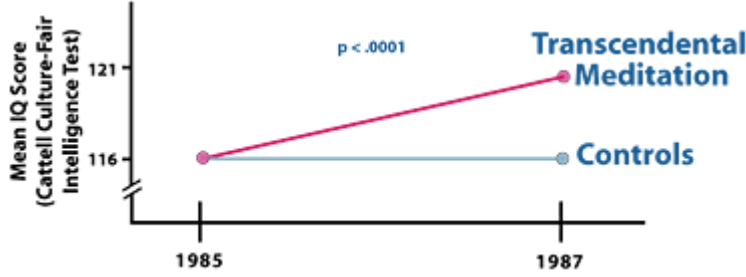
(أ) نمو وتطور القدرات العقلية العامة (الذكاء):

ففي إحدى الدراسات التجريبية، كان بان أظهرت مجموعة من الطلبة الجامعيين ممن اعتادوا على ممارسة التفكير والتأمل الارتقائي تحسناً ملحوظاً ذا مغزى في قدراتهم العقلية العامة (الذكاء)، مقارنة بمن كانوا موزعين على المجموعة الضابطة في نفس الدراسة؛ أي ممن لم يمارسوا رياضة التأمل<sup>(1)</sup>. والشكل (2 - 1) يبين ويوضح ما تمخضت عنه الدراسة المشار إليها من نتائج.

1 Brooks, J.S. and Scarano, T. Transcendental Meditation in the treatment of post-Vietnam adjustment. *Journal of Counseling and Development* 64: 212-215, 1985.

## Development of Intelligence Increased IQ in University Students

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (2 - 1): حيث يبين ويوضح الوسط الحسابي لمعاملات ذكاء الطلبة المفحوصين على اختبار كاتل للذكاء، ممن يمارسون التفكير والتأمل مقارنة بمن هم موزعون على المجموعة الضابطة.

ثالثا: الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالجوانب الإنمائية والأدائية:

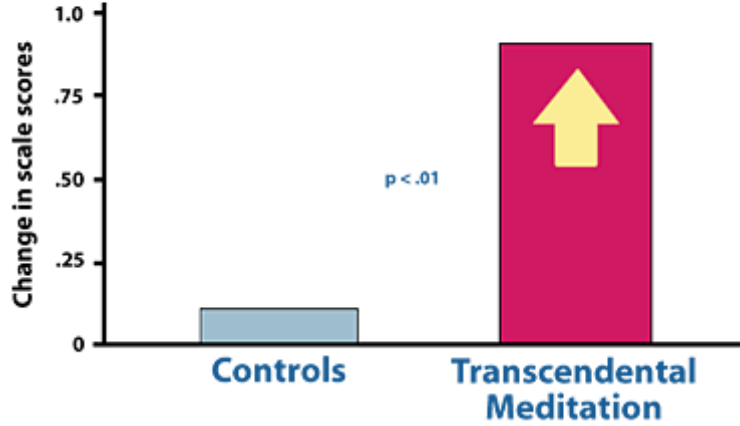
أ) ازدياد الرضا الوظيفي:

فالموظفون الذين تعلموا مهارات التفكير والتأمل الارتقائي وواظبوا على ممارستها، كان منهم وكما يبين الشكل (3 - 1) بأن أظهروا تحسنا ملحوظا ذا دلالة فيما يتعلق بالرضا الوظيفي، مقارنة بمن كانوا موزعين على المجموعة الضابطة ولم يتعلموا مثل تلك المهارات ولم يواظبوا ويعتادوا عليها<sup>(1)</sup>.

1 . Cranson, R.W. et al. Transcendental Meditation and improved performance on intelligence-related measures: A longitudinal study. *Personality and Individual Differences* 12: 1105–1116, 1991.

## Increased Job Satisfaction

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (3 - 1): حيث يبين ويوضح حجم التغير والتحسين الإيجابي في مجال الرضا الوظيفي في وسط من تعلموا ومارسوا التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن لم يمارسوا التفكير.

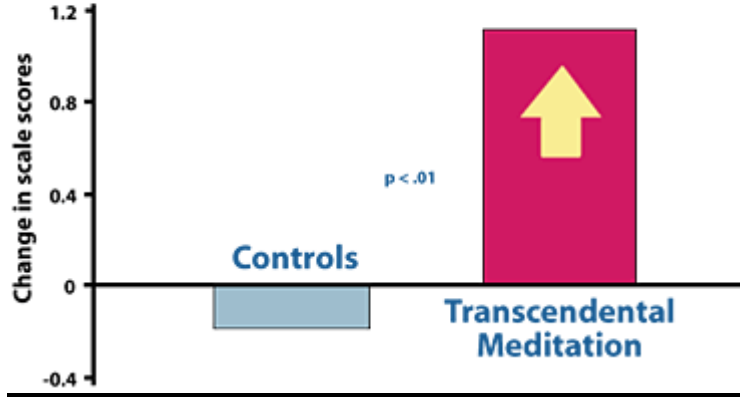
(ب) تحسن الأداء الوظيفي:

أيضا وفي نفس الدراسة السابقة، أظهر الموظفون الذين تعلموا مهارات التفكير والتأمل الارتقائي تحسنا ملحوظا ذا مغزى فيما يتعلق بالأداء الوظيفي مقارنة بمن هم موزعون على المجموعة الضابطة<sup>(1)</sup>. والشكل (3 - 2) يبين ويوضح ذلك التحسن.

1 Frew, D.R. Transcendental Meditation and productivity. *Academy of Management Journal* 17: 362-368, 1974.

## Improved Job Performance

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (3-2): حيث يبين ويوضح حجم التغير والتحسين الإيجابي في مجال الأداء الوظيفي في وسط من تعلموا ومارسوا التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن لم يمارسوه.

رابعاً: الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالجوانب النفسية:

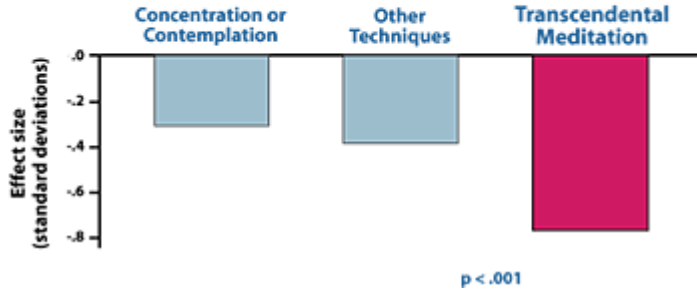
(أ) تراجع أعراض القلق:

ففي إحدى المراجعات المستفيضة، كشف تحليل- ميتا الإحصائي لنتائج 146 دراسة مستقلة، عن أن التفكير والتأمل الارتقائي وكما يبين الشكل (4 - 1) أكثر فاعلية، وأكثر جدوى، في خفض سمة القلق مقارنة بأساليب التركيز الذهني أو التبصر المتعمق أو غيرهما من التقنيات والأساليب<sup>(1)</sup>.

1 . Frew, D.R. Transcendental Meditation and productivity. *Academy of Management Journal* 17: 362-368, 1974.

## Decreased Anxiety

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



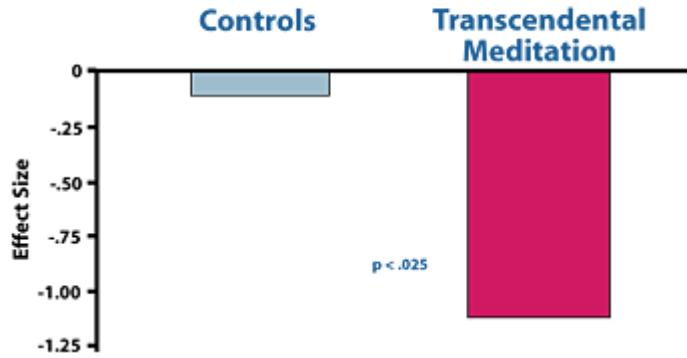
الشكل (4 - 1): حيث يبين ويوضح حجم أثر التفكير والتأمل الارتقائي في خفض سمة اضطراب القلق، مقارنة بأساليب وتقنيات أخرى لنفس الغرض.

(ب) تراجع أعراض الاكتئاب:

حيث جاء في إحدى الدراسات التجريبية وكما يبين الشكل (4 - 2)، أن مجموعة من المرضى ممن يعانون أعراض ما بعد الصدمة - PTSD، قد اظهروا انخفاضا ملحوظا ذا مغزى بالنسبة لأعراض الاكتئاب؛ وذلك بعد أربعة أشهر من ممارستهم لمهارات التفكير والتأمل الارتقائي، وهو في النتيجة ما يتناقض مع حال أولئك الذين تم توزيعهم عشوائيا على المجموعة الضابطة وكانوا يتلقون علاجاً نفسياً<sup>(1)</sup>.

## Decreased Depression

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



1 Eppley, K.R. et al. Differential effects of relaxation techniques on trait anxiety: A meta-analysis. *Journal of Clinical Psychology* 45: 957-974, 1989.

عظمة الفكر والتفكير، بين شواهد المعلم ودلائل القرآن

الشكل (4 - 2): حيث يبين ويوضح حجم أثر التفكير والتأمل الارتقائي في خفض أعراض الاكتئاب لدى مجموعة ممن يعانون أعراض ما بعد الصدمة، مقارنة بمن تلقوا علاجاً نفسياً في المجموعة الضابطة.

خامساً: الأبحاث والدراسات ذات الصلة بالجانب الاجتماعي:

(أ) تراجع منسوب الجريمة في المدن:

ففي إحدى الدراسات أظهرت المدن المستهدفة، والتي تم تعليم 1% من سكانها مهارات التفكير والتأمل الارتقائي انخفاضاً ملحوظاً في معدل الجريمة في العام التالي مباشرة من تنفيذ المشروع، وهو ما يناقض في النتيجة وكما يبين الشكل (5 - 1) الواقع في المدن الأخرى التي تم اتخاذها والتعامل معها كمجموعة ضابطة<sup>(1)</sup>؛ أي لم ينفذ فيها أي تدريب له علاقة بمهارات التفكير والتأمل الارتقائي.

## Decreased Crime Rate in Cities

THROUGH THE TRANSCENDENTAL MEDITATION PROGRAM



الشكل (5 - 1): حيث يبين ويوضح حجم التغير المترتب على مهارات التفكير والتأمل الارتقائي بالنسبة إلى مؤشرات الجريمة في وسط سكان بعض المدن الأمريكية، مقارنة

1 . Brooks, J.S. and Scarano, T. Transcendental Meditation in the treatment of post-Vietnam adjustment. *Journal of Counseling and Development* 64: 212-215, 1985.

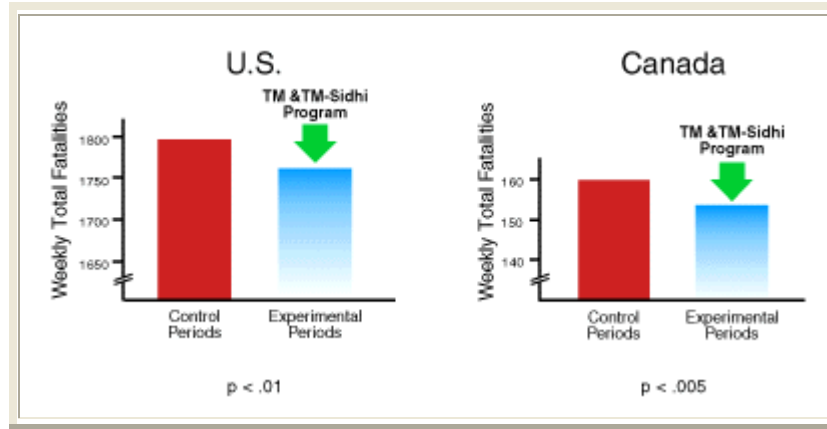
عظمة الفكر والتفكير، بن شواهد المعلم ودلائل القرآن

بغيرهم من سكان المدن الأخرى ممن لم تنفذ فيها برامج تعلم ممارسة مهارات التفكير والتأمل الارتقائي المنسوب إلى الفيلسوف الهندي "المهاراشي".  
ب) تراجع فظائع الموت جراء حوادث السير والقتل والانتحار:

ففي كل من الولايات المتحدة الأمريكية (1982-1985) وكندا (1983-1985)

على التوالي، كشف وكما يبين الشكل (5 - 2) من خلال دراستين استخدمتا تحليل أثر التسلسل الزمني أن من يمارسون رياضة التفكير والتأمل الارتقائي وغيرها من الرياضات التأملية قد أسهمت ممارستهم بطريقة أو بأخرى في الحد من تراجع ظاهرة الوفيات الأسبوعية التي تعود إلى حوادث السير، والقتل، وسلوك الانتحار<sup>(1)</sup>؛ أي أن مثل هذه الظواهر التي تعرفها الجماعات والمجتمعات الغربية قد تراجعت في وسط من يمارسون التفكير والتأمل الارتقائي، مقارنة بمن لا يمارسونها.

### Decreased Violent Fatalities



الشكل (5 - 2): حيث يبين ويوضح حجم التغير المترتب على مهارات التفكير والتأمل الارتقائي بالنسبة إلى مؤشرات الجريمة في وسط سكان بعض المدن الأمريكية، مقارنة بغيرهم من سكان المدن الأخرى ممن لم تنفذ فيها برامج تعلم ممارسة مهارات التفكير والتأمل الارتقائي المنسوب إلى الفيلسوف الهندي "المهاراشي".

1 Dillbeck, M.C. et al. The Transcendental Meditation program and crime rate change in a sample of forty-eight cities. *Journal of Crime and Justice* 4: 25-45, 1981.

ولولا أن يطول بنا المقال لاستعرضنا المزيد من تلك الأبحاث والدراسات التي تدعّم مكانة الفكر والتفكير في واقع الحياة الإنسانية على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي، بل على المستوى الشعبي والأممي، إلا أننا نكتفي وهذا القدر من الأبحاث والدراسات، فقد ثبتت الأهمية دون أدنى شك.

وقبل أن ينتهي بنا الحديث، أحب أن نختم هذه المراجعة العلمية بالإشارة إلى ما ترتب على فكر وتفكير العالم المسلم؛ الأستاذ الدكتور عبد الباسط سيد محمد عندما تبصر فيما جاء في سورة يوسف من آيات بينات محكمات، والتي كان مبدأها قوله الحق تبارك وتعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: [أذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأتي بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين]<sup>(1)</sup>. وما تلا ذلك من سياق قرآني: [ولما فصلت العير قال أبوهم أني لأجد ريح يوسف لولا أنكم تفقدون. قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم. فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا!]<sup>(2)</sup>.

فبعد التدبر والنظر في هذه الآيات الكريمة، والتفكير والتفكير بما قد يحتوي عليه القميص من بواعث المادة والطاقة والكيمياء، كان من الباحث المذكور بان استنتج أنه إفراز العرق. وبعد عدة تجارب مخبرية على هذا الموضوع، وجد "سيد" بان مركب الـ (Goandin) أو ما يعرف بـ (اليوريا - Urea) يشكل جزء لا بأس به من مادة العرق، وان هذا المركب الذي يمكن تحضيره كيميائياً في المختبر هو الذي يؤثر إيجابياً على تراجع حالة ابيضاض العين والمصطلح عليها بـ (Cataract)؛ تلك الحالة التي أصابت نبي الله يعقوب عليه السلام [وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم]<sup>(3)</sup>.

وبصورة تدريجية، كان الاستنتاج فيما إذا استخدمت هذه المادة وينسب معينة، وحسب التعليمات والإرشادات الطبية المعمول بها تراها تخلص المرضى من ظاهرة العمى. وعندما قام العالم المصري المسلم بإجراء المزيد من التجارب على عينة متاحة مكونة من 250 حالة ممن يعانون من الحالة المشار إليها أعلاه، وممن تطوعوا لأغراض البحث العلمي، كانت النتائج مذهلة، حيث أن الشفاء قد حصل فيما بينهم بنسبة 90%. وكان بأن سجل عالمنا الجاد والمجتهد براءتي اختراع عالميتين حول اكتشافه العلمي الفريد، الفذ المفيد، سجلت البراءة الأولى منه في العام 1991م، وسجلت من قبل الـ European International Patent، وجاءت البراءة الثانية في العام 1993م. وكان بأن سجلت من قبل الـ American Patent<sup>(4)</sup>.

وما مثالنا هذا إلا غيض من فيض لما هو حق مكنون في ثنايا أي الذكر الحكيم من بركات وثمرات التفكير والتأمل بآيات الله، وتلك الإشارات الربانية البينة الواضحة في عالم القرآن الكريم. فالباب لجمهور الباحثين والدارسين ممن هم جادين ومجتهدين من أبناء المسلمين سيبقى مفتوحاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهو كذلك لغير المسلمين [لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد]<sup>(5)</sup>.

1 . Dillbeck, M.C. Test of a field theory of consciousness and social change: Time series analysis of participation in the TM-Sidhi program and reduction of violent death in the U.S. *Social Indicators Research* 22: 399-418, 1990.

(2) يوسف: 93.

(3) يوسف: 94، 95، 96.

(4) يوسف: 84.

5 Al Ghazal, S. K. (2004). Reflections on the Medical Miracles of the Holly Qur'an. In Islamic Medicine [Online]. Available: <http://www.islamicmedicine.org/amazing.html>.



الهوامش والمراجع

1. علي محمد حسن العماري، القران والطبائع النفسية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الثاني، 1386هـ - 1966م، ص: 12. وقد أورده المؤلف في كتابه منسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.
2. الرعد: 28.
3. الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مجلد<sup>1</sup>، بيروت: دار المعرفة، 1969م، ص، 438.
4. المرجع السابق.
5. المرجع السابق.
6. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، الرياض: رئاسة الإفتاء، ص، 180.
7. البقرة: 219.
8. البقرة: 266.
9. الأنعام: 48، 49، 50.
10. الأعراف: 176.
11. يونس: 24.
12. الأعراف: 184.
13. الروم: 8.
14. الجاثية: 12، 13.
15. آل عمران: 190، 191.
16. نوح: 13-16.
17. الأنبياء: 30.
18. الروم: 8.
19. سبأ: 9.
20. الذاريات: 21.
21. فصلت: 53.
22. غادة الدلابيح، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك، ط<sup>1</sup>، عمان: دار أسامة، 2004م، ص، 55.
23. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص: 180.
24. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الرابع، بيروت: دار القلم، ص، 389.
25. Eccles, J. C., Facing reality, New York: Roche Co., 1976.
26. النجم: 39، 40، 41.
27. الرعد: 11.
28. الرعد: 11.
29. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص 183.
30. المرجع السابق.
31. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم العلي العزي، دولة الإمارات العربية، وزارة الأوقاف، ص: 31، 32.
32. التأمل الارتقائي: أسلوب تعود جذوره إلى الحضارة الصينية والهندية القديمة، ويقوم على فكرة الاسترخاء أولاً، ثم العمل على حصر الذهن في موضوع ما للتفكير والتفكير فيه دون سواه من الموضوعات.

33. Benson, H., *Beyond the relaxation response*, New York: Berkeley Books, 1985, 109.

34. يعرف بالمعلم ماهاراشي ماهيش يوغى، وهو مؤسس وناشر فكرة التأمل الارتقائي في العالم، أصله هندي، وكان بأن وطأت قدماه مدينة سان فرانسيسكو في 1/29/1959 في الولايات المتحدة؛ بهدف تقديم برنامجه إلى الناس. ومن هناك انتقل إلى كل من مدينة لوس أنجلوس، ثم نيويورك، ومنها إلى إنجلترا، فألمانيا، فاليونان، وغيرها من مدن ودول العلم في الشرق والغرب. هنالك قناة فضائية تحمل اسم هذا المعلم ومن خلالها ينظر ويحاضر حول برنامجه، إضافة إلى وجود العديد من المؤسسات والمراكز العلمية والتدريبية التي تحمل اسمه وتنتظر لفلسفته في التأمل.

35. The Transcendental Meditation Program. (2005). How and where to learn? [Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/index.html>.

36. حول أهم هذه المدارس والكليات والمراكز والمعاهد والجامعات بالإمكان التعرف على كل من جامعة الماهاراشي للعلوم الإدارية- Maharishi University of Management، وجامعة الماهاراشي المفتوحة- Maharishi Open University، وجامعة الماهاراشي لعلوم القيادة- Maharishi Vedic University، وما يطرح في كل منها من برامج تعليمية وتعليمية مختلفة.

37. غادة الدلاييح، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك، مرجع سابق، ص، 56، بتصرف قليل.

38. العنكبوت: 20.

39. الروم: 9.

40. البقرة: 164.

41. البقرة: 219، 220.

42. البقرة: 255.

43. الأنعام: 103.

44. الشورى: 11.

45. أورده أبو نعيم في الحلة عن ابن عباس رضي الله عنهما. أنظر: الجامع الصغير للإمام السيوطي، ج1، بيروت: دار الفكر، 1981، ص، 514.

46. الإسراء: 82.

47. The Transcendental Meditation Program. (2005). What Research Says? [Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/index.html>.

48. The Transcendental Meditation Program. (2005). Summary of Benefits [Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/summary.html>.

49. The Transcendental Meditation Program. (2005). View Research Charts [Online]. Available:

<http://www.tm.org/discover/research/charts/index.html>.

50. Orme-Johnson, D.W. Medical care utilization and the Transcendental Meditation program. *Psychosomatic Medicine* 49: 493-507, 1987.

51. Orme-Johnson, D.W. and Herron, R.E. An innovative approach to reducing medical care utilization and expenditures. *The American Journal of Managed Care* 3: 135–144, 1997.
52. Wallace, R.K. et al. The effects of the Transcendental Meditation and TM- Sidhi program on the aging process. *International Journal of Neuroscience* 16: 53–58, 1982.
53. Alexander, C.N. et al. Treating and preventing alcohol, nicotine, and drug abuse through Transcendental Meditation: A review and statistical meta- analysis. *Alcoholism Treatment Quarterly* 11: 13–87, 1994.
54. Alexander, C.N. et al. Treating and preventing alcohol, nicotine, and drug abuse through Transcendental Meditation: A review and statistical meta- analysis. *Alcoholism Treatment Quarterly* 11: 13–87, 1994.
55. Schneider, R.H. et al. A randomized controlled trial of stress reduction for hypertension in older African Americans. *Hypertension* 26: 820–827, 1995.
56. Brooks, J.S. and Scarano, T. Transcendental Meditation in the treatment of post-Vietnam adjustment. *Journal of Counseling and Development* 64: 212–215, 1985.
57. Cranson, R.W. et al. Transcendental Meditation and improved performance on intelligence-related measures: A longitudinal study. *Personality and Individual Differences* 12: 1105–1116, 1991.
58. Frew, D.R. Transcendental Meditation and productivity. *Academy of Management Journal* 17: 362–368, 1974.
59. Frew, D.R. Transcendental Meditation and productivity. *Academy of Management Journal* 17: 362–368, 1974.
60. Eppley, K.R. et al. Differential effects of relaxation techniques on trait anxiety: A meta-analysis. *Journal of Clinical Psychology* 45: 957–974, 1989.

61. Brooks, J.S. and Scarano, T. Transcendental Meditation in the treatment of post-Vietnam adjustment. *Journal of Counseling and Development* 64: 212–215, 1985.
62. Dillbeck, M.C. et al. The Transcendental Meditation program and crime rate change in a sample of forty-eight cities. *Journal of Crime and Justice* 4: 25–45, 1981.
63. Dillbeck, M.C. Test of a field theory of consciousness and social change: Time series analysis of participation in the TM-Sidhi program and reduction of violent death in the U.S. *Social Indicators Research* 22: 399–418, 1990.
64. يوسف: 93.
65. يوسف: 94، 95، 96.
66. يوسف: 84.
67. Al Ghazal, S. K. (2004). Reflections on the Medical Miracles of the Holly Qur'an. In Islamic Medicine [Online]. Available: <http://www.islamicmedicine.org/amazing.html>.
68. ق: 37.  
دراسات (أخرى) حول موضوع التفكير:
1. So, K.T. and Orme-Johnson, D.W. Three randomized experiments on the longitudinal effects of the Transcendental Meditation technique on cognition. *Intelligence* 29: 419–440, 2001.
2. Walton, K.G. et al. Psychosocial stress and cardiovascular disease, Part 2: Effectiveness of the Transcendental Meditation program in treatment and prevention. *Behavioral Medicine* 28: 106–123, 2002.
3. Travis, F. Patterns of EEG coherence, power, and contingent negativevariation characterize the integration of transcendental and waking states. *Biological Psychology* 61: 293–319, 2002.
4. Barnes, V.A. et al. Impact of stress reduction on negative school behavior in adolescents. *Health and Quality of Life Outcomes* 1:10, 2003.
5. Alexander, C.N. et al. Transcendental Meditation in criminal rehabilitation and crime prevention. *Journal of Offender Rehabilitation* 36 (1/2/3/4): 2003.

6. Orme-Johnson, D.W., et al. Preventing terrorism and international conflict: Effects of large assemblies of participants in the Transcendental Meditation and TM-Sidhi programs. *Journal of Offender Rehabilitation* 36: 283–302, 2003.
7. Barnes, V.A. et al. Impact of Transcendental Meditation on ambulatory blood pressure in African-American adolescents. *American Journal of Hypertension* 17: 366–369, 2004.
8. Schneider, R.H. et al. A randomized controlled trial of stress reduction in the treatment of hypertension in African Americans during one year. *American Journal of Hypertension*, 18(1): 88–98, 2005.
9. Schneider, R.H. et al. Long-term effects of stress reduction on mortality in persons > 55 years of age with systemic hypertension. *American Journal of Cardiology* 95: 1060-1064, 2005.

# دور القرآن الكريم في تشكيل وعي الأمة

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف:

د. أشرف يوسف أبو عطايا

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص

تبين هذه الدراسة دور القرآن الكريم في تشكيل وعي الأمة من الناحية الفكرية والسياسية، وذلك بالتعرف على ماهية الوعي الفكري والسياسي ومقومات كل منهما في ضوء القرآن الكريم، والتعرف على طريقة القرآن الكريم في مناقشة العقائد والأفكار المناقضة للعقيدة الإسلامية والأفكار الإسلامية، وكيفية الرد عليها وطرح أفكار الإسلام بديلاً عنها، ثم إلقاء الضوء على كيفية تشكيل القرآن الكريم للوعي السياسي على رؤوس الكفر وأعدائهم ممن يتصدون للدعوة وحملة الدعوة، بالإضافة للوعي على الكيانات الأخرى المؤثرة والفاعلة في المسرح الدولي، وبيان أهمية الوعي الفكري والسياسي في حياة الأمة وما يجب على الأمة وأبنائها في هذا الاتجاه، ثم ألحق الباحث الدراسة بأهم النتائج واقترح بعض التوصيات.

## ABSTRACT

This study shows role in the formation of the Koran awareness of the nation's intellectual and political terms, by identifying what the ideological and political awareness and assets each in the light of the Koran, and to identify how the Koran in the discussion of beliefs and ideas contrary to the Islamic faith and Islamic ideas, and how to respond to them and put alternative Islamic ideas substitute for, and then shed light on how the formation of the Koran awareness political capital infidels and their supporters who are tackling advocacy and advocacy campaign, in addition to the awareness of the entities and other influential actors in the international scene, the statement awareness of the importance of intellectual and political life of the nation and and its generations in this direction, then the researcher study the most important results and suggested some recommendations.

## مقدمة

بعث الله محمداً ﷺ برسالة الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد يقول سبحانه وتعالى : ﴿الرَّكِبَ أَنْزَلْنَاكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(1)</sup>، وجعل معجزته صلوات الله وسلامه عليه، ودليل نبوته كتاباً مباركاً من عند الله، القرآن الكريم، كلام الله العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(2)</sup>.

فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي نهتدي به، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(3)</sup>، فهو مصدر التشريع أي مصدر القوانين والأوامر والنواهي، وهي كلها من قبيل الفعل لا من قبيل الفكر المجرد، فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي أراه الله ليشكل حياة الأمة، قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(4)</sup>، لذلك وجب علينا كمسلمين أن نعي ونفهم ونتدبر حقيقة حياتنا من خلال القرآن، لننهض بالأعباء التي علينا أن نقوم بها خدمة للإسلام حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولنستأنف حياتنا الإسلامية القائمة على أساس كتاب الله وسنه نبيه ﷺ.

وعبر التاريخ الإنساني لم تقم شريعة تنظم وتهيمن على حياة الإنسان وسلوكه وتفكيره كالشريعة التي أقامها القرآن الكريم ؛ بمعنى أن الإسلام جاء مقيماً وضابطاً للحياة البشرية، وما في ذلك من شك أن القرآن وضع أمثل الطرق التي يستطيع الإنسان أينما كان على مراحل الزمنية أن يسلكها، فلا يضل ولا يشقى قال تعالى : ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(5)</sup>، بل يهتدي بالنور الساطع الذي يسهل على الأبصار أن تستنير به

1 - سورة إبراهيم : الآية 1.

2- سورة فصلت : الآية 42.

3- سورة الإسراء : من الآية 9.

4- سورة طه : الآية 123.

1- سورة طه : من الآية 123.



## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

ما دامت البصيرة تتمتع بوافر من الوعي، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمُنُّ بِمُكِبِّ عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمُنُّ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>، وقال تعالى : ﴿فَدَّ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(2)</sup>.

والأمة اليوم تعاني حالة من الضعف والتمزق سببها ما أصاب المسلمين من ضعف فكري، وما طرأ على الأذهان من ضعف في فهم الإسلام، وفقدان الأمة للوعي الفكري، مما جعلها نهياً للتضليل السياسي، والذي ينبغي التنبيه إليه هنا، أن الخروج من دوائر الهزيمة والضعف لا يأتي عرضاً، وإنما لا بد من أن يتزامن ويتلازم مع حالة من الوعي كافية لمراجعة ما حدث بعين فاحصة تستوعب كل جزئيات الماضي، وتصنع في الوقت نفسه أمام النظر ما يجب فعله وما يتوقع أن يحدث، وأما في الحالات التي تستسلم فيها الشعوب المقهورة للعين المغمضة عن جوهر الأحداث، فلا يمكن هنا أن يتواجد الوعي الكفيل بتخليصها مما هي فيه.

وبما أن الإنسان هو الذي من حمل الأمانة راضٍ لأنه تزين بالعقل وأخذ بالتكليف، فإن عليه أن يتلقى كلمات الله بقراءة فيها الأناة والتدبر والاستيعاب، حتى يستطيع أن يقف بقراءته على دلائل القدرة الإلهية فيؤمن بالله حق الإيمان، ويقوم على خلاقته في الأرض، فيقيم موازين العدل فيها، وعلى المسلم أن يدرك أن عليه واجباً مقدساً في فهم القرآن وتدبره وتفهمه للناس، وإلا كان حديثنا عن حياتنا في ظل الإسلام مجرداً من التطبيق العملي. لذلك جاءت هذه الدراسة لتناقش المحاور التالية :

- 1- مفهوم الوعي.
- 2- الوعي الفكري في ضوء القرآن الكريم.
- 3- الوعي السياسي من منظور قرآني
- 4- أهمية الوعي الفكري والسياسي في حياة الأمة.

---

2- سورة الملك : الآية 22.

3- سورة المائدة : من الآية 15.

### المحور الأول : مفهوم الوعي :

إن استخدام المفاهيم يتطلب تحديد دقيق لمضامينها و توضيح لأبعادها، حتى لا يؤدي ذلك إلى الارتباك في الفكر والاضطراب في الفهم والخلط بين المفاهيم، ويؤدي بالتالي إلى الخطأ في إطلاق الأحكام على الناس والأشياء، ومن القواعد المعروفة أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره<sup>(1)</sup>، فإذا لم تكن القضية المطروحة للبحث قد اتضحت معالمها في الأذهان وتحددت أبعادها فإن الحكم فيها سيكون حكماً بعيداً عن الصواب، لذلك لا بد من تحديد مفهوم الوعي.

فالوَعْيُ: حَفِظَ الْقَلْبَ الشَّيْءَ. وَ عَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيهِ وَعَيْاً وَأَوْعَاهُ: حَفِظَهُ وَفَهِمَهُ وَقَبِلَهُ، فَهُوَ وَاعٍ، وَفُلَانٌ أَوْعَى مِنْ فُلَانٍ أَيْ أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ" (2)، وَأُذِنٌ وَاعِيَةٌ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ: لَا يُعَذَّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: أَيْ عَقَلَهُ إِيْمَانًا بِهِ وَعَمَلًا، فَأَمَّا مَنْ حَفِظَ الْفَاطَةَ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاعٍ لَهُ (3).

ووردت الوعي في السنة ولها معنى الإدراك والفهم للعمل فعندما سأل الحارث بن هشام رضي الله عنه رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي فقال ﷺ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول (4).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ "استحووا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله

1- انظر أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي " تحفة المحتاج في شرح المنهاج "، الجزء الثالث، دار إحياء التراث العربي، ص 245.

2- سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث 2582 " و صححه الألباني".

3- جمال الدين محمد ابن منظور (1984)، " لسان العرب " المجلد الخامس عشر - باب الياء - وعي، دار صادر - بيروت، ص 396.

1- صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب الوحي، الجزء الأول، ص 4، رقم الحديث 2.

## دور القرآن الكريم في تشكيل وعي الأمة

حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" (1).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (2)، وقال قتادة: {أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله، ومعظم المفسرين يؤكدون على أن (تعيتها) تعني تحفظها وتعقلها وتفهمها، وأن الأذن الواعية هي الحافظة لما تسمع، وهي التي تعقل عن الله وتتفقد بما تسمع، فالأذن تسمع ما يصل إليها من أخبار، خيرة كانت أو شريرة، فتقلها إلى العقل ليجري المحاكمات اللازمة في ضوء ما لديه من المفاهيم والمقاييس والقناعات، ثم تصدر عنه الإجابات التي ما أن تختلط مع أحاسيس القلب ومشاعره وتتجاوب مع العقل وقناعاته حتى تحقق الانسجام الكلي في شخصية متكاملة متميزة، ويتحقق بذلك الوعي القائم على اثر القناعات المؤدي إلى تأثير الاطمئنان (3).  
وعرف البعض الوعي بأنه " إدراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً وهو أساس كل معرفة " (4).

ومن كل ما سبق نقول أن الوعي هو الفهم والإدراك للأشياء والوقائع وتفصيلها، والأسباب الكامنة وراءها، والأحداث التي صاحبها في إطار من المفاهيم والمقاييس والقناعات. وقد اخذ مدلول (الوعي) يتفرع ويتوسع، ليدخل العديد من المجالات النفسية والاجتماعية والفكرية، فقد كثرت المجالات التي يضاف إليها الوعي، فهناك الوعي الاجتماعي والوعي الطبقي والوعي الفكري والوعي السياسي.....، وسنقتصر في هذه الدراسة على الوعي الفكري والوعي السياسي.

2- سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب منه. الجزء الثامن، ص498، رقم 2382 "حسنه الألباني".

3- سورة الحاقة : الآية 12.

4- انظر مجلة الوعي، العدد 13، السنة الثانية، شوال 1408هـ، حزيران 1988م.

1- انظر أحمد خورشيد (1990)، "مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية"، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص 253.

### المحور الثاني : الوعي الفكري في ضوء القرآن الكريم :

إن الأفكار في أي أمة من الأمم هي أعظم ثروة تنالها الأمة في حياتها إذا كانت أمة ناشئة وأعظم هبة يتسلمها الجيل من سلفه إذا كانت أمة عريقة في الفكر المستنير، وأما الثروة المادية والاكتشافات العلمية والمخترعات الصناعية، وما شاكلها، فإن مكانها دون الأفكار بكثير بل يتوقف الوصول إليها على الأفكار، ويتوقف الاحتفاظ بها على الأفكار، والمراد بالأفكار هو وجود عملية التفكير عند الأمة في وقائع حياتها بأن يستعمل أفرادها في جملتهم ما لديهم من أفكار يبدعون باستعمالها في الحياة فينتج عندهم من تكرار استعمالها بنجاح طريقة تفكير منتجة<sup>(1)</sup>.

وقد وردت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم التي تحض على التفكير يقول تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>(3)</sup>، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقال سبحانه : ﴿كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(6)</sup>، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(7)</sup>.

فالقرآن خاطب العقل وحض على التفكير وذم الذين لا يعملون عقولهم ولا يفكرون، قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

2- انظر نقي الدين النبهاني (2004)، "النظام الاقتصادي في الإسلام"، ط: دار الأمة، من منشورات حزب التحرير، ص13.

1- سورة البقرة : الآية 219.

2- سورة الروم : الآية 8.

3- سورة الروم : الآية 21.

4- سورة يونس : الآية 24 .

5- سورة الرعد : الآية 3 .

6- سورة آل عمران : الآية 191 .

دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

يَسْمَعُونَ بِهَا فَاِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١﴾ وقال جل في علاه : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢﴾

والتفكير المطلوب لا بد أن يكون مستنداً لأساس فكري أو قاعدة فكرية حتى يكون تفكيراً منتجاً ؛ والذي يبدأ بالإحساس بالواقع إحساساً فكرياً يكون الفكر مصدراً له، وليس هو مجرد الإحساس بالشيء الذي يأتي طبيعياً لمجرد الشعور بالواقع فيتجاوب معه الإنسان من غير نظر أو تفكير، أي إحساساً ناتجاً عن فهم ومعرفة وإدراك في إطار ما لديه من مفاهيم وقناعات ومقاييس، وهذا هو المكون الأول للوعي الفكري.

إلا أن مجرد فهم وإدراك الواقع لا يكفي لإيجاد الوعي الفكري، بل لا بد من فهم وإدراك المعالجات لهذا الواقع، والواقع البديل لهذا الواقع في إطار المفاهيم والقناعات والمقاييس، سواء بالتغيير أو التحسين، وهذا هو المكون الثاني للوعي الفكري.

والإنسان دائم التفكير بمستقبله سواء القريب أو البعيد ؛ المتعلق منه بالحياة الدنيا أو بما بعد الحياة الدنيا، والتفكير بالواقع سواء بتغييره أو تحسينه أمر ضروري للإنسان والحياة ؛ لان التغيير هو الحركة والحركة هي الحياة، لذا كان لا بد لكل أمة من التفكير بتغيير الواقع والعمل على تغيير أحوالهم، يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٣﴾، ومن هنا كان الوعي الفكري بمكوناته معرفة وفهم وإدراك الواقع، وفهم وإدراك البديل لهذا الواقع ومعالجاته في إطار المفاهيم والقناعات والمقاييس هو الأساس في التغيير، وكلما ازداد الوعي عند الأمة كلما ازداد إحساسها بالقضايا الفكرية(4).

7- سورة الحج : الآية 46 .

8- سورة الأعراف : الآية 179 .

1- سورة الرعد : من الآية 11.

2- انظر أحمد عطيات(1996)، " الطريق "، ط2، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان - الأردن، ص23.

يقول سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(1)</sup>، ويقول تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>(2)</sup> (الإسراء:9)، ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(3)</sup>، فإله سبحانه وتعالى يحدد المنهج والطريق للتي هي أقوم، وبيّن الآيات للهداية، وهذا يتطلب حسن التقيد المسبوق بحسن الفهم للوقائع والأفكار، والمعالجات وكيفية تنفيذها، وهذا ما أرشدنا إليه القرآن الكريم في خطابه عندما تناول الأفكار والمفاهيم المناقضة للعقيدة الإسلامية، ثم طرح الأفكار البديلة لهذه الأفكار الفاسدة. فالقرآن الكريم، عندما رد على حجج الأفكار الباطلة، ذكر هذه الأفكار كما هي ؛ أي إن القرآن ذكر حجة الخصوم قبل أن يرد عليها، فكان ذكره لها مؤذناً للمسلمين أن يعرفوا ما عند الآخرين من أفكار واعتقادات فاسدة لدحضها والشواهد على ذلك كثيرة في القرآن نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾<sup>(5)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾<sup>(6)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾<sup>(7)</sup>، وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(8)</sup>، وهكذا يتبين أن القرآن تتناول ما كان يذكره وما يقوله هؤلاء الكفار قبل أن يرد على أقوالهم ويفندها، وهذه دعوة إلى أبناء الأمة لدراسة الأفكار التي تعرض نفسها بديلاً عن الإسلام، وما تقوم عليه من أسس لدحضها وصرعها، وهذا يعطي إشارة واضحة إلى

1 - سورة يونس : الآية 35.

2 - سورة الإسراء : الآية 9.

3- سورة آل عمران: من الآية103.

4- سورة الواقعة : الآية 47.

5- سورة مريم : الآية 88.

6 - سورة الأنعام : الآية 29.

7 - سورة المائدة : من الآية 64.

1 - سورة التوبة : من الآية 30.

أنه يجب الاطلاع على الثقافة المعاصرة وأصولها وفهم وإدراك واقعها، فقد كان كل رسول يتكلم بلسان قومه ويرد على أفكارهم، وينطلق إلى نشر ما عنده وبيان صوابه من خلال ما يعرض في واقعه الذي يعيش فيه من أفكار باطلة، ويعطي صورة واضحة أن الإسلام دين عملي يفهم ويدرك ويتكلم في الواقع ويرد عليه ولا يحلق في الأجواء من غير أن يلامس مشاكل الناس وواقعهم.

وبعد أن كان القرآن يذكر ما يطرح الآخريين من أفكار ووقائع، كان يطرح المعالجات لهذه الأفكار الفاسدة والوقائع المتردية، ويرد عليهم رداً بليغاً مفحماً لهدم ما عندهم، وهذا يقتضي أن يفهم ويدرك ويهيأ الرد المناسب على هذه الأفكار بحيث يؤدي إلى هدمها وإبطالها، أو تسفيهاها وكشف زيفها وتعريتها تماماً كما كان يفعل القرآن، قال تعالى في باب تفنيد أفكار وأطروحات الآخريين بعد ذكرها: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٣﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٥﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٦﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٧﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٨﴾، وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٩﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٠﴾﴾.

وما يلاحظ هنا أن الوعي الفكري المتشكل عبر الخطاب القرآني يتطلب فهم وإدراك وتفنيد الأفكار والوقائع بحسب واقعها وموضوعها، فإن كان موضوعها عقلياً كان الرد عليها عقلياً كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٥﴾﴾، فالتشكك في وجود الله قد جاء من عدم القناعة العقلية الكافية بوجود الله سبحانه، والرد على ذلك

2 - سورة يس : الآيات 78 - 89.

1 - سورة مريم : الآيات 88 - 93.

2 - سورة إبراهيم : الآية 10.

3 - سورة الإسراء : الآية 42.

4 - سورة إبراهيم : من الآية 10.

جاء من الاستنكار لهذا الشك ؛ لأن العقل وكل عقل لا يملك إلا الإيمان الجازم اليقيني بالله، وهذا الاستنكار والاستهجان سببه ما يعتمد عليه العقل من مسلمات وبديهيات تثبت أنه لا يمكن لما يقع حس الإنسان عليه إلا أن يكون مخلوقاً لله سبحانه وتعالى، فكيف بالسموات والأرض وما فيهما، وما بينهما، أيشك في خالقها؟!، أما إن كان موضوعها نقلياً ولا مجال للعقل أن يبحث فيه، فإن الرد عليها لا يعتمد على العقل، وإنما على ما أثبتته القرآن الذي ثبت بالعقل أنه من عند الله، فيكون الإيمان بما جاء به القرآن بنفس قوة الإيمان بالقرآن<sup>(1)</sup>، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَأَنذَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَننَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٣﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذَّبُونَ ﴿٥﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٦﴾ فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٧﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٨﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٩﴾ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٠﴾<sup>(2)</sup>، هذا كله يقوم على النقل، ثم يختم الله سبحانه هذه الآيات بقول يقوم على العقل إذ يقول سبحانه: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٣١﴾<sup>(3)</sup>.

وهكذا يحدد الخطاب القرآني آلية لإبطال معتقدات وقوانين الجاهلية ؛ وذلك بالاعتماد أساساً على استنهاض مكونات الوعي الفكري، وبعد أن يرد على أفكار الخصوم وحججهم ويبطلها يعرض ما عنده، وهذه طريقة تعد في غاية القوة، فإنه بعد أن يتم هدم ما يحمله الخصم من أفكار، وتتم تخليته من كل فكر يعتمد عليه ؛ فلا بد والحالة هذه من تزويده بالبديل الصالح، فالعصا التي كان يتكئ عليها قد كسرت، فحتى لا يهوي صاحبها معها كان لا بد من تزويده بعضاً أخرى قوية ومستقيمة فهذه الطريقة تقوم كما يقول العلماء على التخلية ثم التزوية أو التفرغ ثم الملء، وهي طريقة تتسجم تماماً مع مدلول شهادة (لا إله إلا الله)، فـ (لا إله) تعني النبذ والهدم والكفر بكل ما

5- انظر أحمد المحمود، "طريقة القرآن في الخطاب"، مجلة الوعي، العدد (165)، شوال 1421هـ، كانون الثاني، ص25.

1- سورة الواقعة : الآيات 47 - 56..

2- سورة الواقعة : الآية 57.



## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

يزعم أنه إله، و(إلا الله) تعني إثبات العبودية لله وحصرها به وحده<sup>(1)</sup>، والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أُتْرَفُوكَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(2)</sup>، فهذه الآية تفيد نقض فكرة الأرباب الكثيرة المنفرقة وإثبات الإلهية لله وحده القهار، ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>، وما يجدر ذكره هنا أن التوحيد لا يستقر في قلب حتى يخلو هذا القلب من كل ما عدا الله سبحانه. وهذه الطريقة تحقق الوجدانية في النفس وتتفي الإثراء وتؤدي إلى الإخلاص.

هكذا رسم الخطاب القرآني المنهج لتشكيل الوعي الفكري الجماعي للأمة، فالسير على منهج القرآن الكريم في أيامنا هذه يقتضي امتلاك الوعي الفكري، للرد على أفكار الكفر التي نخرت وتخر جسم الأمة، وإن بدأت تتلاشى تلك الدعوات الكافرة والمفاهيم الضالة، إلا أنه قد حل محلها مفاهيم مشوهة، وأفكار مغلوطة مثل (الديمقراطية، والقومية، والوطنية، والتعايش بين الأديان، والعولمة، والتطرف والاعتدال...)، تريد إبعاد المسلمين عن الوصول إلى غايتهم وتحكيم الإسلام في حياتهم باستئناف الحياة الإسلامية، ولذلك صار من المحتم على أبناء الأمة المخلصين فهم وإدراك واقع هذه الأفكار والمفاهيم لدحضها وطرح أفكار الإسلام بديلا عنها، وهذا لا يتأتى إلا بامتلاك الوعي الفكري كما رسمه القرآن الكريم.

### المحور الثالث : الوعي السياسي من منظور قرآني.

السياسة هي رعاية شؤون الأمة داخليا وخارجيا، وتكون من قبل الدولة والأمة فالدولة هي التي تباشر هذه الرعاية عمليا، والأمة هي التي تحاسب بها الدولة.

3- انظر أحمد المحمود، "طريقة القرآن في الخطاب"، مجلة الوعي، العدد (165)، شوال 1421هـ، كانون الثاني ص26.

1- سورة يوسف : الآية 39.

2- سورة البقرة :من الآية 256.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

ولما كانت الأمة الإسلامية صاحبة رسالة ومكلفة بحمل الدعوة للناس كافة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(2)</sup>، لذلك كان لزاماً على المسلمين أن يتصلوا بالعالم اتصالاً واعياً عالمين ومدركين لمشاكله، متتبعين للإعمال السياسية في العالم، مطلعين على الخطط السياسية وأساليب تنفيذها، والمناورات السياسية في ضوء الموقف الدولي.

والوعي السياسي لا يعني الوعي على الأوضاع السياسية، أو على الموقف الدولي، أو على الحوادث السياسية، أو تتبع السياسة الدولية، والأعمال السياسية، وإن كان ذلك من مستلزمات كماله، وإنما الوعي السياسي هو النظرة إلى العالم من زاوية خاصة، وهي بالنسبة للمسلمين من زاوية العقيدة الإسلامية، زاوية: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، قال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»<sup>(3)</sup>، هذا هو الوعي السياسي. فالنظرة إلى العالم من غير زاوية خاصة تعتبر سطحية، وليس وعياً سياسياً.

ولا يتم الوعي السياسي إلا إذا توفر له عنصران: أن تكون النظرة إلى العالم كله، وأن تتطرق هذه النظرة من زاوية خاصة محددة، أي كانت هذه الزاوية، سواء أكانت مبدأ معيناً، أو فكرة معينة، أو مصلحة معينة، أو غير ذلك، هذا من حيث واقع الوعي السياسي كما هو، وبالطبع هو بالنسبة للمسلم من زاوية معينة هي العقيدة الإسلامية.

وما دام هذا واقع الوعي السياسي، فإنه يحتم طبيعياً على السياسي أن يخوض النضال في سبيل تكوين مفهوم معين عن الحياة لدى الإنسان، من حيث هو إنسان، في كل مكان، وتكوين هذا المفهوم هو المسؤولية الأولى التي ألقيت على كاهل الوعي سياسياً، والذي لا ينال الراحة إلا ببذل المشقة في تحملها وأدائها.

1- سورة آل عمران: من الآية 110.

2- سورة البقرة: من الآية 143.

3- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فان تابوا وأقاموا الصلاة.....، رقم الحديث 24.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

والوعي سياسياً يتحتم عليه أن يخوض النضال ضد جميع الاتجاهات التي تتناقض اتجاهه، وضد جميع المفاهيم التي تتناقض مفاهيمه، في الوقت الذي يخوض فيه النضال لتركيز مفاهيمه، وغرس اتجاهه، فهو يسير في اتجاهين في آن واحد، لا ينفصل أحدهما عن الآخر في النضال قيد شعرة؛ لأنهما شيء واحد، فهو يحطم ويقدم ويهدم ويبني، يبدد الظلام ويشعل النور، وهو نار تحرق الفساد، ونور يضيء طريق الهدى، وكما يدخل في تركيز المفاهيم، وغرس الاتجاهات، تنزيل الأفكار على الوقائع، والبعد عن التجريد والمنطق، كذلك يدخل في النضال ضد الاتجاهات، النضال ضد المطاعن التي تهاجم مفهومه عن الحياة، وضد مفاهيم الأعماق التي جاءت من العصور الهابطة، وضد التأثير التضليلي الذي يبثه الأعداء عن الأفكار والأشياء، وضد اختصار الغايات السامية، والأهداف البعيدة، بغايات جزئية، وأهداف آنية.

والوعي السياسي ليس خاصاً بالسياسيين والمفكرين، وإنما هو عام وممكن إيجاده في العوام والأميين كما يمكن إيجاده عند العلماء والمتعلمين، بل يجب إيجاده ولو إجمالاً في الأمة بجملتها؛ لأن الأمة هي التربة التي ينبت فيها الرجال فلا بد أن تكون هذه التربة تربة ووعي سياسي<sup>(1)</sup>.

وقد كانت الآيات تنزل في مكة على الرسول ﷺ تبين العقيدة الإسلامية لتتقذ المجتمع الجاهلي الكافر من الظلمات إلى النور، وكذلك تنزل مبينة فساد عقائد الكفر وتقيم الحجة عليهم فكرياً، فكان الصراع بين الدعوة الإسلامية والكفر وأهله صراعاً عقدياً وفكرياً، بالإضافة إلى ذلك كان الصراع السياسي لبيان فساد رؤوس الكفر وكشف مؤامراتهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين، كما جاءت الآيات لتوجيه الوعي السياسي لإدراك أبعاد التوازنات الدولية والموقف الدولي، والعناية بالسياسة الدولية عند المسلمين بدأت منذ حصلت البعثة قبل أن يقيم الرسول عليه السلام الدولة الإسلامية، واستمرت بعد قيام الدولة الإسلامية، ويجب أن تستمر ما دام في الدنيا مسلمون، فالاهتمام بالسياسة الخارجية، أو السياسة الدولية أمر لازم للمسلمين، وهو فرض كفاية عليهم، لأن خطر

1- انظر حزب التحرير (2005)، " مفاهيم سياسية "، الطبعة الرابعة، من منشورات حزب التحرير، ص176.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

الشعوب والأمم غير الإسلامية على المسلمين، وعلى الأمة الإسلامية، خطر دائم، وفيه قابلية لأن يكون خطراً داهماً، فاتقاؤه فرض، ومعرفته إنما هي من أجل اتقاؤه، ولذلك كانت معرفته فرضاً، واتقاؤه فرضاً، وإن كان فرضاً على الكفاية. قال تعالى :

﴿الم غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بِضْعِ سنينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾﴾<sup>(1)</sup>، هذا خطاب قرآني في صميم المتغيرات الدولية ينبه ويوجه الوعي السياسي الناشئ في فجر الدعوة إلى فهم وإدراك طبيعة الموقف الدولي، ومتابعة أعمال وتحركات الدول الفاعلة في السياسة الدولية والمسرح الدولي، كما انه يحمل التنبيه والتشكيل للوعي الإسلامي في كل زمان ومكان، فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد يوجه المسلمين والأمة الإسلامية بمجموعها للتعاطي بالشؤون الدولية والى إدراك أبعاد الصراع القائم بين القوى الفاعلة في السياسة الدولية، لكي تستعد القوة الإسلامية لحسم هذا الصراع لصالحها، ليس بنصرة قوى على أخرى وإنما بإبعاد هذه القوى عن مركز الصدارة لصالح الدولة الإسلامية، لذلك كان متابعة الأعمال والحوادث السياسية والتغيرات في أوضاع القوى الفاعلة على المسرح الدولي، ليس لمجرد العلم بالشيء، بل لاتخاذ الإجراءات والقيام بالأعمال وتحديد الخطط ووسائل تنفيذها ؛ لان الأمة الإسلامية تحمل رسالة عالمية، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(3)</sup>، ومن يحمل رسالة عالمية عليه أن يدرك الوقائع والأوضاع العالمية وخاصة طبيعة وعلاقات القوى الكبرى المؤثرة في السياسة الدولية.

أما الوعي السياسي على رؤوس الكفر فقد وجه الخطاب القرآني المسلمين للوعي على قادة الكفر والأشخاص المؤثرين والذين يقفون في طريق الدعوة، فكشف القرآن الكريم مؤامراتهم وصددهم وكيدهم للإسلام والمسلمين.

1- سورة الروم : الآيات من 1- 5 .

1- سورة سبأ : الآية 29 .

2- سورة الأنبياء : الآية 107 .

## دور القرآن الكريم في تشكيل وعي الأمة

فهذا أبو لهب يبين الله هلاكه على الكفر دون أن تتفعه أمواله في تأخير العذاب عنه، بل هو في نار جهنم خالداً فيه<sup>(1)</sup>، قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۗ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۗ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۗ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۗ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۗ﴾<sup>(2)</sup>.

ويتوعد أبو جهل ويتهدد المسلمين ويقول : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم، فقال : واللوات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب<sup>(3)</sup>، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ۗ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِنَةٍ ۗ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۗ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۗ﴾<sup>(4)</sup>، وكان أبو جهل يستهزئ بآيات الله فيأتي بالتمر والزبد فيقول : تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد<sup>(5)</sup>، فأنزل الله فيه : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۗ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۗ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۗ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ۗ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۗ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۗ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۗ﴾<sup>(6)</sup> . وكان الأحنس بن شريق يسعى بالفساد والإفساد، كذاب حقير الرأي، فأنزل الله فيه قولاً بليغاً فساد طبعه ونسبه<sup>(7)</sup>، قال تعالى : ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۗ هَمَّازٍ مَّشَاءً بَنَمِيمٍ ۗ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۗ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۗ﴾<sup>(8)</sup>.

هذه بعض الآيات التي تبين الوعي السياسي على القوى المؤثرة التي تقف في وجه الدعوة والكشف عن مؤامراتها وحقدتها وطبائعها اللئيمة المليئة بالغدر والمكر، وارتباطها برووس الكفر عدوة الإسلام والمسلمين، وذلك لتكون الطريق مضاعة أمام

3- انظر مختصر تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، ص468 .

4- سورة المسد.

5- انظر : مختصر تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، ص444 .

1- سورة العلق : الآيات 15 - 18 .

2- انظر السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الأول (الجزأين الأول والثاني)، دار إحياء الكتب العربية، ص362 .

3- سورة النخان : الآيات 43 - 49 .

4- انظر السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الأول (الجزأين الأول والثاني)، دار إحياء الكتب العربية، ص360 .

5- سورة القلم : الآيات 10 - 13 .

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

حملة هذا الدين، يتفادون الغدر من الظهر، ويضعون أقدامهم حيث لا أشواك ولا ظلام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وفي الوقت نفسه يخلطون قلاع الأعداء ويكشفون ثغراتهم بل مناطق الضعف فيهم وكيف يؤتون ومن أين يؤتون<sup>(1)</sup>.

وقد ازداد هذا الوعي السياسي على أعداء الأمة الإسلامية بعد الهجرة وقيام الدولة وأصبح للإسلام سيادة وسلطان في المدينة، حيث أضيف للمشركين في مكة اليهود والنصارى، فاليهود كانوا الأقرب لدولة الإسلام في المدينة وحولها، وهم الأكثر خبثاً ولوماً في المؤامرات والكيد للإسلام والمسلمين، فبين القرآن طبائعهم وحقدهم وكيدهم بياناً شافياً كدرس للأمة لكيفية التعامل معهم في كل زمان ومكان<sup>(2)</sup>، فعلاقتهم مع دينهم التحريف والنفاق، فهم يحرفون التوراة على علم، ويعلمون ما فرض عليهم من أحكام ثم يبدلونها، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ثم أنهم يعلنون الإيمان ثم يخفوا التآمر والكفر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وأما علاقتهم مع العهود والمواثيق نقض وإعراض، وكلما أخذ الله منهم ميثاق نقضوه، وهذا دينهم حتى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(6)</sup> ثم توليتم من بعد ذلك فلولاً فضّل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين<sup>(6)</sup>، ثم أن اليهود كانوا يؤمنون

6- انظر عطاء بن خليل أبو الرشته (2006)، "التيسير في أصول التفسير"، ط: دار الأمة للطباعة، بيروت - لبنان، ص 122.

1- انظر عطاء بن خليل أبو الرشته (2006)، "التيسير في أصول التفسير"، ط: دار الأمة للطباعة، بيروت - لبنان، ص 123.

2- سورة البقرة: الآية 75.

3- سورة البقرة: الآية 146.

4- سورة البقرة: الآية 76.

5- سورة البقرة: الآيات 63 - 64.

تارة ويكفرون بعدها محاولين التأثير على المؤمنين ويودون بذلك أن يرجعوه عن الإسلام حسداً من عند أنفسهم وكيداً للإسلام والمسلمين قال جل في علاه: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وقال: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلْنَا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وإذا لزم الأمر أن يقتلوا بعضهم ليؤججوا حرباً بين أقوام عدو لهم فلا يجدون ضير في ذلك، فعندهم الغاية تبرر الوسيلة، قال سبحانه وتعالى:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْئُوتٌ مُنُونٌ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

كما يوجه الخطاب القرآني الوعي السياسي للأمة لكيفية التعامل مع الكيانات والجماعات الأخرى ضمن السياسة الخارجية؛ والتي يجب أن تكون على أساس فهم واقع وطبائع الكيانات والأمم الأخرى من يهود ونصارى ومشركين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْآرِضِ وَقَسَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(5)</sup>.

هذه بعض الآيات العظيمة والتي يجب أن تفهمها الأمة وتتدبرها، سواء ما نزل منها في مكة بالنسبة لرؤوس الكفر قبل قيام الدولة، أو ما نزل منها في المدينة بالنسبة لليهود بعد قيام الدولة، فإن هذه الآيات تبين أن الله سبحانه وتعالى قد وصف واقعهم وبين طبائعهم بياناً لا يقف عند الإجمال بل يفصل في أمور كثيرة من هذه الطبائع والوقائع، كل ذلك ليتبين المسلمون، وبخاصة حملة هذا الدين والعاملين لاستئناف الحياة الإسلامية في

1- سورة آل عمران : الآية 72.

2- سورة المائدة : الآية 61.

3- سورة البقرة : الآية 85.

4- سورة هود : الآية 113.

5- سورة الأنفال : الآية 73.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

الأرض، ليتبينوا أن معرفة الواقع السياسي للقوى المؤثرة سواء أكانوا أفراداً أو جماعات أو دولاً أمر مهم وفي غاية الأهمية للتعامل معهم بما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أرشداً إليه ليكون المسلم واعياً على ما يجري حوله كيساً فطناً وليس خبياً ولا الخبّ يخدعه، ولا تكسره المصائب ولا تهزه النوائب، ولا يؤخذ على حين غرة، ولا يطعن من الظهر وهو غافل لا يدري من أي اتجاه تأتيه سهام أو تصيبه السيوف، بل يهتم بأمر المسلمين، ويقف على ثغرة من ثغر الإسلام، ولا يؤتى من محذره ولا من مأمنه ثابت على الحق كالطود بإذن الله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup>.

المحور الرابع : أهمية الوعي الفكري والسياسي في حياة الأمة.

قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(2)</sup>، هكذا وصف الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية أنها خير أمة أخرجت للناس، إن قوله تعالى [كنتم] هو للتقرير وليس إخباراً عن الماضي، أي: أنتم خير أمة أخرجت للناس، وهذا التقرير مستمر، ولا ينتهي عند جيل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وجعل سبحانه وتعالى هذه الأمة شاهدة على الناس كل الناس، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(3)</sup>، وهذا الوصف (خير أمة)، (شاهدة على الناس) ليس وصفاً لحاله موروثاً بالفطرة تتسلمه جاهزة، وإنما هو استحقاق مكتسب، لا يجيء إلا نتيجة مجاهدة واجتهاد وكد ومثابرة ومصابرة، والأمة الإسلامية لا ترتقي للمكانة التي أَرادها الله لها إلا إذا اتبعت المنهج كما حدده القرآن الكريم في خطابه للأمة لامتلاك الوعي الصحيح على مبدأها وكيفية مواجهة الأفكار الأخرى، والوعي على ما يدور من حولها وما تقوم به الأمم الأخرى من أعمال وما تتخذه من مواقف، فالأمة التي لها رسالة تحملها وتدعو لها فهي أمة واعية معطاءة تعطي ولا تأخذ، متحركة نشيطة لها أفكارها ومفاهيمها وقناعاتها، أما الأمة التي لا رسالة

1- سورة إبراهيم : الآية 27.

2- سورة آل عمران : من الآية 110.

3- سورة البقرة : من الآية 143.



## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

لها أو أن لها رسالة ولكنها لا تعمل بها ولا تدعو لها، فهي أمة ميتة تخلو من الوعي ولا تدرك ما يدور حولها، مثلها كمثل النائم يكون حيا ولكنه غير واع ما دام نائما.

وسنة الله في الأمم لا تتغير يقول تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(1)</sup>، وهذه السنة يحددها القرآن بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>، ومفهوم الآية أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما يحملوا من أفكار ومفاهيم وقناعات، والأمة الإسلامية بعد أن سارت فترة من الزمن مبتعدة عن أفكارها ومنقطعة عن طريقة تفكيرها في وقائع الحياة، ضعفت أفكار الإسلام الصحيحة في نفوس أبناء الأمة، مما أدى للضعف الذي طرأ على الأذهان في فهم الإسلام، ودب فيها الضعف الفكري، والذي أوجد في عقليات أبنائها فراغاً فتح لأعدائها فرصة توصيل أفكارهم وترسيخها في قسم من هذه العقليات لتكون بديلا عن أفكار الإسلام<sup>(3)</sup> والمسلمون عندما فقدوا وضوح التصور للإسلام ومنهجيته في النهضة، فإنهم وقعوا في غياهب التخلف والضمور حتى أضحت أمة الإسلام إلى ما هي عليه الآن.

والخطر الحقيقي الذي تواجه الأمة ليس كامناً في أن يكون لهذه الأمة أعداء (فالصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، سنة من سنن الحياة)، بل يكمن في أن يكون له أصدقاء سذج سطحيو التفكير لا يمتلكون الوعي الفكري حيث يتحرجون في غير تحرج ويصمتون في غير موضع صمت، ويقفون أمام الأحداث والأفكار مندهشين لا يستطيعون فعل شيء.

فصمام الأمان للأمة للمحافظة على أفكارها نقيية صافية محافظة على مبادئها لترتقي للمكانة التي أَرادها الله لها هو امتلاك الوعي الفكري كما رسمه الخطاب القرآني في كيفية التصدي للعقائد الباطلة والنظم الفاسدة، ولقادة الضلال، ومواجهة المجتمع بالأفكار السائدة فيه والنظم المطبقة فيه والحكام الذين يحكمونه، والعادات والتقاليد والأعراف السائدة فيه، فيكون الخطاب القرآني وجه الوعي الفكري إلى أرقى طراز وذلك ظاهر من استقراء طريقته في الدعوة وفي التغيير كما سبق بيانه، فالوعي الفكري الذي

1- سورة الأحزاب : الآية 62.

2- سورة الرعد : من الآية 11.

3- انظر هشام البدراني (1997) " مفاهيم علماء النفس "، الطبعة الأولى، دار البيارق، الأردن، ص5.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

رسمه القرآن بالوعي على المبدأ الإسلامي وعلى فساد المبادئ الأخرى هو الذي يدفع لإقامة المبدأ الصحيح وفيه كل معروف وإزالة المبادئ الفاسدة وكلها منكر، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا الشكل الراقي المحدد قد حدده القرآن الكريم للأمة الإسلامية في كل زمان ومكان.

فالطريق الموصلة للأهداف المنشودة، دعوة إلى الله على بصيرة، قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(1)</sup>، ووعي وبصيرة بالفكرة وأحكامها ونظمها وقوانينها وما جاءت به من أفكار ومعتقدات، ووعي وبصيرة بالطريق بحيث يتم التعرف على كل خطوة يخطوها، ووعي بالكيفية التي تنفذ بها الفكرة وأحكامها، ووعي وبصيرة بالواقع الذي يعمل فيه لتغييره، بحيث يحيط علماً وفهماً وإدراكاً بما في هذا الواقع من عقائد وأفكار ونظم، وما فيه من أعراف وتقاليد، حتى يعرف كيف يقتلعها من النفوس، ويغرس بدلاً منها ما جاء به من عقائد وأفكار وأحكام<sup>(2)</sup>.

فيجب أن ندرك ونفهم كيف تنهض وترتقي الأمم، ليتسنى لنا إدراك أهمية الوعي الفكري، فالذي يحدد الرقي والانحطاط في أي أمة ما هو حضارتها التي تقوم عليها، والحضارة هي طريقة العيش وأنماط السلوك والعلاقات التي تتميز بها الأمم، فالحضارة هي مجموعة المفاهيم والقناعات والمقاييس عن الحياة، وهذا غير المدنية، فالمدنية هي مجموعة الأشكال والوسائل المادية المستعملة في شؤون الحياة<sup>(3)</sup>، فالأساس في رقي ونهضة الأمم هو ما تمتلكه هذه الأمم من أفكار وطريقة تفكير منتجة في وقائع الحياة. فالأفكار هي سلاح الأمم، تنهض بها حين تزدهر وتنشط، وتتخلف حين تخبو وتضمحل، وبقاء الأمم بدوام شعلة الفكر فيها، و اضمحلالها بانطفاء هذه الشعلة، وهذا

1- سورة يوسف : الآية 108.

1- انظر حافظ صالح (1994) " النهضة "، الطبعة الثانية، دار النهضة الإسلامية بيروت- لبنان، ص167.

2- أنظر أحمد القصص (1995م)، " أسس النهضة الراشدة "، الطبعة الأولى، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، ص68.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

التفكير الذي يجب أن يوجد في الأمة ليس هو البحث في الأمور غير المحسوسة أو إقامة الفرضيات والاستناد إليها، إنما هو التفكير المنتج في الوقائع التي تحصل للإنسان في كل يوم وفي كل ساعة، والتفكير في الأمور المحسوسة، والبحث في الطبيعة وما فيها للاستفادة مما فيها من أشياء ولتأصيل الإيمان بالله تعالى عن طريق النظر والتفكير في مخلوقات الله، هذا هو التفكير الذي يوجد لدى الأمة القدرة على الحياة الناهضة، يؤدي إلى فهم وإدراك الوقائع والأشياء والحكم عليها وتعيين المواقف منها، ويؤدي إلى تحديد المعالجات، وبالتالي إلى ترجمة هذه المواقف والمعالجات إلى أعمال مادية، فالفكر هو الذي يترتب عليه عمل مادي، وهو الذي يؤدي حتماً إلى نتيجة محسوسة، وذلك بالسرعة الكافية، فإذا لم يكن للأمة مثل هكذا التفكير ومقدرة على تعيين المواقف وإقامة الأعمال المادية، لم تكن الأمة جديرة بالحياة، فغلبتها الأمم وتكالب عليها الأعداء، دون أن تستطيع رد ذلك<sup>(1)</sup>.

لذلك كله يجب على العاملين لهذا الدين وعلى الأمة امتلاك الوعي الفكري علي أفكارها ومبدئها، والوعي على الأفكار الوافدة والفاصلة لفهم وإدراك واقعها وصرعها وطرح أفكار الإسلام بديلاً عنها، حتى يتسنى للأمة وأبنائها النهوض وأن ترتقي للمكانة المرموقة التي أرادها الله لها " خير أمة أخرجت للناس " .

إن أهم ما يجب أن يظهر من مؤشرات الارتفاع الفكري في الأمة هو الوعي السياسي، أي النظرة إلى الإنسان والعالم من زاوية خاصة محددة، وهي زاوية العقيدة الإسلامية، ولا شك أن النظر إلى الوقائع والمسائل والأفكار السياسية من زاوية نظر محددة هو أعلى أشكال الوعي السياسي، لأنه يدمج بين التفكير السياسي وبين النظرة إلى الأمور السياسية من زاوية نظر محددة، وما لم يوجد لدى الأمة الوعي السياسي على الشؤون السياسية فستبقى نهبا للتضليل السياسي، لذلك لا بد من مخاطبة الأمة بضرورة وجود فكر أساسي عند النظر إلى الشأن النظر الخاصة، كما لا بد من تشجيع التفكير السياسي، وتكرار إعطاء الأمة أفكاراً سياسية راقية السياسي، ولا بد من تكرار إنزال أفكار الإسلام على الوقائع السياسية الجارية لتركيـز زاوية.

---

1- أنظر عبد الرحمن البغدادي، "القرن الخامس عصر النهضة"، على الموقع التالي: <http://www.alokab.com/forums/index.php?showtopic=2288&st=0> يوم الجمعة 2008/1/11، الساعة 11:30 مساءً.

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

والغرب الكافر بعد أن غزا الأمة الإسلامية فكرياً وعسكرياً حرص على تعطيل التفكير السياسي فيها، وفصل التفكير في السياسة عن أفكار الإسلام و عن كل فكر يمكن أن يوجد في الأمة وعيا سياسيا، وشجع فيها الأفكار السياسية الضيقة كالوطنية و القومية. فالأمة تنظر إلى الأعمال السياسية التي يقوم بها الغرب الكافر بعين الريبة وتتشوق للخلاص من هيمنة الغرب الكافر، إلا أنها لا تزال تقع فريسة للتضليل السياسي الذي يمارسه الغرب الكافر، و لا يمكن للأمة أن تتخلص من هيمنة الغرب والتبعية له، و تتحرر من التضليل السياسي إلا بوجد الوعي السياسي في الأمة ؛ بأن يمتلك أبنائها وقادتها المخلصين الوعي السياسي، ليتسنى لهذه الأمة الوقوف على أرض صلبة والسير في الطريق الصحيح على وعي وبصيرة لإعادة أفكار الإسلام إلى الحياة أو إعادة الحياة إلى الإسلام ؛ باستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة ؛ والتي هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهذا يحتم على الدولة الإسلامية أن تكون لها مكانة دولية، وأن تكون مؤثرة في العلاقات الدولية، لذلك يجب أن تكون المفاهيم السياسية عند السياسيين المسلمين من ناحية دولية وليس من ناحية محلية أو إقليمية فحسب، وكون الدولة إسلامية وعملها الأصلي والسياسي حمل الإسلام للعالم قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(1)</sup>، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(2)</sup> ، مما يحتم على العاملين لهذا الدين بإيجاده في معترك الحياة أن يتمتعوا بالوعي السياسي، فغياب الوعي السياسي يعني الاضطراب والتعثر والوقوع في التضليل السياسي والسطحية في التعاطي مع الأحداث والوقائع، وهو حالة شبيهة بحالة فقدان الوزن وانعدام الرؤيا، ونتيجته ضياع وضعف المسلمين وانهيارهم، وتفاقم وتعاضم المفساد، وبالتالي تعطل دورهم كأمة ظاهرة بين الأمم، أمره بالمعروف، ناهية عن المنكر، شاهدة على الناس، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾<sup>(3)</sup>،

1- سورة سبأ : الآية 28.

2- سورة الأنبياء : الآية 107.

1- سورة البقرة : من الآية 143.

دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

وقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (1) .

والمسلم الذي شهد أنه لا إله إلا الله إنما وجد من أجل الإسلام، ووجد من أجل الدعوة الإسلامية، وإنما يعيش من أجل هذا الدين لحمايته ونشر دعوته، وإذا كان الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فإن حمل الدعوة الإسلامية هو الغاية التي من أجلها يكون الجهاد، وهذا يستوجب معرفة السياسة الخارجية والسياسة الدولية والوعي السياسي كما حدده القرآن الكريم، فلو أن الأمة في برامجها السياسية ومنطلقاتها الفكرية وهي تواجه أعداءها اغترفت من القرآن لوفرت القرن الماضي كله، فكثير من الحركات السياسية قد واجهت الغرب الكافر وأعوانه من عروبية وقومية وبعثية ويسارية وعلمانية فما أفلحت بل انتقل بها الحال من الإلقاء في البحر إلى الأخذ بالحضن.

---

2- سورة آل عمران : من الآية 110.

### أهم النتائج

- 1- إن امتلاك الوعي يتطلب المعرفة والإدراك للتفاصيل المتعلقة بالوقائع والكامنة وراثتها في إطار من المفاهيم والمقاييس، وبالتالي معرفة المعالجات لهذه الوقائع سواء بالتحسين أو التغيير.
- 2- الوعي الفكري هو صمام الأمان للأمة ولحملة الدعوة في مواجهة موجات الغزو الفكري والثقافي وللمحافظة على أفكارها المنبثقة من عقيدتها واضحة وصافية ونقية.
- 3- إن الوعي الفكري المنتشل من خلال الخطاب القرآني لهو النموذج الراقى الرباني المنتج، فعلى أبناء الأمة العاملين لهذا الدين لاستئناف الحياة الإسلامية أن يتدبروا طريقة القرآن الكريم في الخطاب.
- 4- أن الاستقراء للخطاب القرآني وطريقته في الدعوة والتصدي للعقائد الباطلة والنظم الفاسدة، ولقادة الضلال، ومواجه المجتمع بالأفكار السائدة فيه والنظم المطبقة فيه والحكام الذين يحكمونه، والعادات والتقاليد والأعراف السائدة فيه، يتبين من خلاله أن القرآن قد وجه الأمة وأبنائها للعمل السياسي على أرقى طراز، وذلك ظاهر من استقراء طريقته في الدعوة وفي التغيير.
- 5- إن الوعي السياسي هو المدخل الأساس لمعرفة واقع الصراع والأطراف المؤثرة فيه، والعنصر الأهم في نجاح المشروع الإسلامي، فإن كثيراً من التذاعيات التي تشهدها الساحة الإسلامية وتعرض لها الحركات والقوى الإسلامية في العالم تعود أسبابها إلى غياب الوعي السياسي، وبالتالي إلى التخلف عن معرفة وإدراك واقع الصراع وأدواته.
- 6- الوعي السياسي إذا ما توفرت مفاهيمه ومقوماته في الأمة وأبنائها، فإن تأثيره في المجتمعات والأمم يعمل على تحويل الرأي العام الشعبي إلى قوة ضغط على ممارسات وتصرفات الحكومات والأنظمة الفاسدة.
- 7- إن مواجهة الغزو الغربي الثقافي والفكري، لا يتأتى إلا بنوعية خاصة من المخرجات والتي تتشكل من تدبر الآيات القرآنية لامتلاك الوعي الفكري والسياسي

## دور القرآن الكريم في تشكيل الوعي الأمة

كما حدده الخطاب القرآني، والذي يقوم على الوعي على المبدأ الإسلامي والوعي بالمبادئ الأخرى والأسس التي تقوم عليها لصرعها وطرح أفكار الإسلام بديلاً عنها. 8- لما كانت السياسة هي رعاية الشؤون أي تصريف أمور الناس ومعالجة أحوالهم، و القرآن كونه جاء لمعالجة مشاكل الإنسان ورعاية شؤونه في كل مجالات الحياة، يكون القرآن قد اشتمل على النواحي السياسية بالإضافة كل جوانب الحياة الأخرى، فهو باعتباره خطاباً للمكلفين قد خاطب الحكام وخاطب الأمة باعتبارها صاحبة السلطان، وهي كلها مخاطب بها الكيان التنفيذي وهو الدولة.

### التوصيات

يوصي الباحث بما يلي :

- 1- على الجماعات العاملة لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة، أن تدبر الخطاب القرآني وكيفية تشكيله للوعي الفكري والسياسي، فدولة الخلافة يجب أن يكون لها المكانة الدولية المرموقة، وهذا يتطلب أن يوجد في الأمة حشد كبير من السياسيين المفكرين المتمتعين بالوعي الفكري والسياسي.
- 2- على كليات العلوم الشرعية يقع العبء الأكبر في تبني طريقة الإسلام في الدرس، وطريقة القرآن الكريم في المخاطبة، والذي من شأنه أن يوجد الوعي الفكري والسياسي لدى طلاب العلم، والتركيز على التحصين الفكري لأجيال المسلمين حتى لا يقعوا في شرك الغزو الثقافي والفكري، وحتى لا يكون أبناء الأمة نهياً للتضليل السياسي.
- 3- التنقيف السياسي من الأمور التي يجب ألا تغفل عنها الأمة وأفرادها والجماعات الفاعلة والعاملة لهذا الدين، سواء أكان تنقيفاً بأفكار الإسلام وأحكامه أم كان تتبعاً للأحداث السياسية والنظر إليها من زاوية العقيدة الإسلامية، وهذا من شأنه أن يوجد في الأمة الوعي السياسي، ويجعلها تنبث حشداً من السياسيين المبدعين.
- 4- عقد مؤتمرات وندوات في جميع البلاد الإسلامية تتناول الوعي الفكري والسياسي لتبيين أهميتهما في حياة الأمة والأفراد حتى لا يقع أبناء الأمة فريسة التضليل الفكري والسياسي.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة  
"دراسة موضوعية"

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

إعداد

د . عبد السلام حمدان اللوح      د . نزيه إبراهيم الزميلي  
أستاذ مشارك - قسم التفسير وعلوم القرآن      أستاذ مشارك - قسم التفسير وعلوم القرآن  
الجامعة الإسلامية بغزة      الجامعة الإسلامية بغزة

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008



### ملخص البحث

هذه دراسة موضوعية، تبرز دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة، وقد اقتضت الدراسة معرفة المعنى اللغوي والشرعي للوسطية، وقد برزت وسطية هذا الدين في جميع الميادين لهذه الأمة المسلمة، سواء أكان ذلك في مجال العقيدة والعبادات، أم في مجال العلاقات والمعاملات، أم في مجال الأفكار والتصورات، أم في مجال النفقات والمطعومات، ظهرت هذه الوسطية من خلال الاعتدال والتوازن في جميع المجالات السابقة فلا غلو ولا مغالاة، ولا تقصير ولا تهاون، ولا إفراط ولا تفريط، ظهر ذلك من خلال الأمثلة والنماذج مصحوبة بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

### ABSTRACT

#### **The role of Quranic speech in Islamic nation wassatia (subjective studied)**

This is a subjective study explain's the role of Quranic speech in the Islamic nation, wassatia the study explains the meaning of wassatia in language and legitimate. The wassatia standing out in religion in all fields for Islamic nation, like in dogmatic , in worshipping , in relationship, in dealings and in spending.

The wassatia Appears through balance in all fields without exaggeration this appears through examples and samples with evidence from Quran and sunna.

## مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطاً، وجعل ديننا وسطاً، لنكون شهداء على الناس، ويكون الرسول علينا شهيداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي سلك سبيل الاعتدال، فلم يُفْرِطْ ولم يُفْرِطْ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد :

فإن الله قد اختار لهذه الأمة الوسطية في الدين، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله في وصف هذه الأمة حيث يقول : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143) فحملت الأمة الأمانة، وقامت بالعمارة، واستحقت خلافة الله في أرضه، لكنها قد تمر بمنعطفات بين الحين والآخر فتجعلها بين مدٍّ وجزر، بين قوة وضعف، بين إفراط وتفریط.

نعم إنها وسطية في كل شيء سواء في العقيدة والعبادات، أو في المعاملات والعلاقات، أو في الأفكار والتصورات، أو في النفقات والمطعومات.

إنها وسطية فضلى، يحبها الله، ويرتضيها، ويأمر بها، وينهى عما سواها من إفراط أو تفریط هنا أو هناك.

وسوف يُعتمد في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي حسب منهجية التفسير الموضوعي المعاصر.

وانطلاقاً من هدف البحث وغايته ستكون هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك كما يلي :

**المقدمة :** وفيها هدف البحث وغايته، مع بيان هيكلية الدراسة.

**التمهيد :** وفيه تعريف الوسطية في اللغة والاصطلاح.

**المبحث الأول :** الوسطية في العقيدة والعبادات.

**المبحث الثاني :** الوسطية في العلاقات والمعاملات.

**المبحث الثالث :** الوسطية في الأفكار والتصورات.

**المبحث الرابع :** الوسطية في النفقات والمطعومات.

**الخاتمة :** وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

## التمهيد

تعريف الوسطية لغة واصطلاحاً :

أولاً : تعريف الوسطية لغة :

وسط : الواو والسين والطاء : بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء : أوسطه ووسطه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾ (1). ويقولون : ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسباً إذا كان من واسطة قومه وأرفعهم محلاً (2).

ووسط الشيء ما له طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد، والوسط تارة يُقال فيما له طرفان مذمومان، يقال هذا أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلاً، وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر (3).

يقول أبو البقاء الكفوي : "والوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب... ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفریط، ثم أطلق على المتصف بها مستوياً منه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها" (4).

والوسط محرّكة : المعتدل، يقال : شيء وسط بين الجيد والرديء، ووسط الشيء اسم لما بين طرفيه، وهو منه كقولك : قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار ، والوسيط: المتوسط بين المتشاعبين، وجمعه وُسطاء، والوسيطه: مؤنث الوسيط (5).

ثانياً : تعريف الوسطية في الاصطلاح الشرعي :

(1) سورة البقرة : الآية 143.

(2) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس، ج6، ص 108.

(3) انظر : المفردات في غريب القرآن - للأصفهاني، ص 522.

(4) الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" - ص 938 بتصرف.

(5) انظر: الوافي "معجم وسيط للغة العربية" - عبد الله البستاني - ص 701، وأساس البلاغة - للزمخشري، ص 498.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

يقول محمد المناوي : "الوسط : العدل الذي نسبة الجوانب إليه كلها على السواء، فهو خيار الشيء، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجورُ الموقع في الضلال عن القصد" (1).

ويعرفها الدكتور أحمد عمر هاشم بقوله : "قالمراد بالوسطية : التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل" (2).

واستثناساً بما سبق من المعنى اللغوي وغيره فقد اجتهد الباحثان في إحداث معنى شرعياً اصطلاحياً للوسطية، وذلك فيما يلي :

"هو الاعتدال والخيرية والإنصاف والرفعة بسبب الصفات المحمودة التي لا إفراط فيها ولا تفريط".

وإذا أضيفت هذه الوسطية بمعناها الذي عرفناه إلى الأمة المسلمة فيكون المراد بذلك :

أن الأمة الإسلامية قد بلغت بصفاتها المحمودة المكتسبة من شرع الله مكانة في الاعتدال والخيرية والإنصاف والرفعة ما يجعلها سيده الأمم، وقائدة الشعوب، وشاهدة عليهم يوم يقوم الأشهاد.

فليس المراد إذن بالوسطية أن يكون الإنسان في درجة متوسطة في عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعي، بمعنى أن لا يكون متقدماً ومتميزاً في هذه الأمور، بل المراد بالوسطية الأجود والأفضل والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أي : أعدلها.

والوسطية في قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (3) أي : عدولاً خياراً (4).

(1) التوقيف على مهمات التعاريف "معجم لغوي مصطلحي" - ص 725.

(2) وسطية الإسلام - ص 7.

(3) سورة البقرة : الآية 143.

(4) انظر : وسطية الإسلام - للدكتور أحمد عمر هاشم - ص 7.

## المبحث الأول

### الوسطية في العقيدة والعبادات

إن الوسطية خير وعدل في كل شيء، سواء أكان ذلك في العقيدة ، أم في العبادات ، أم في غيرها مما سيأتي بيانه .  
والمراد بوسطية العقيدة أي اتصافها بالخيرية والسماحة والوضوح والاستقامة والعدالة، عقيدة لا إكراه فيها ولا تعقيد، ولا تمثيل فيها ولا تعطيل .  
وتظهر هذه الوسطية العقائدية في الإيمان بالله تعالى والملائكة كما وصفهم الله، فلا ننزلهم عن مكانتهم، ولا نغالي في شأنهم فيصل الحال بالأمة المسلمة أن يعبدوهم ويؤلهوهم وإنما هم عباد الله خلقهم لمهمة سامية، وجعل لهم وظائف وأعمالاً كلفهم بها .  
وسطية كذلك في الإيمان بالرسول فلا غلو في الإيمان بهم لدرجة أن يُعتقدوا بأنهم آلهة أو أبناء الإله كما فعلت النصارى مع نبي الله عيسى عليه السلام <sup>(1)</sup> ، ولا تقليلاً من شأنهم وقتلهم كما فعلت اليهود .

وهكذا العبادات يجب ان تخلو من الغلو ، فلا رهبانية كما فعل النصارى ، ولا تقصير ولا تهاون ، بل وسطية واعتدال .

إنها وسطية بكل ما تعني الكلمة من معنى، فتعني : شرفاً، وإحساناً، وفضلاً، وتوازناً، واعتدالاً ، وقصدًا وعقيدة، ونظاماً، وشريعة، ومنهاجاً، ومناخاً، وموقفاً في الأرض، وتاريخاً، إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم <sup>(2)</sup> .

وستتناول هذا المبحث في مطلبين رئيسيين، وذلك فيما يلي :

#### المطلب الأول : الوسطية في العقيدة :

لا شك أن الغلو والمغالاة في العقيدة هو مرض خطير، وهو محرم شرعاً لأنه يؤدي إلى نتائج سيئة على الفرد والمجتمع والأمة، وأي غلو أو مغالاة في الاعتقاد يترتب عليه غلو ومغالاة في العبادات، حيث يصرفها عن حقيقتها وأصالتها التي أرادها الله سبحانه وتعالى <sup>(3)</sup> .

(1) انظر : وسطية الإسلام - د. أحمد عمر هاشم - ص 17 .

(2) انظر : الوسطية في الإسلام - د. محمد عبد اللطيف الفرور - ص 135 .

(3) انظر : الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً - د. محمد الزحيلي - ص 29 .

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾ (1).

(ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصراني في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم) (2).

والبعد عن هذه الوسطية يوصل الإنسان إلى ضلال السعي والعمل، وانحراف التصور والعبادة، وصدق الله حيث يقول: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا \* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ (3).

وأوجه الانحراف والضلال الذي هو نقيض الوسطية كثيرة في واقعنا وفي أحوال الشعوب من حولنا، مما يخرج الإنسان عن دين الله تعالى، وخير مثال على هذا الغلو والانحراف ما وقع فيه أهل الكتاب من يهود ونصارى، حيث اعتقدوا أنبياءهم أرباباً وآلهة من دون الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (5).

" والمنهج الوسطي يوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، ويعطي كلاً حسب حاجته دون إفراط أو تفريط، " وكان المذهب الشائع عند النصراني أن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى تعذيب النفس واحتقارها، وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة، واعتقاده أنه لا حياة (للروح) إلا بتعذيب الجسد، وكل هذه الأحكام والشرائع قد وضعها الرؤساء، وليس لها أثر في شريعة الله، وقد فضل الله على هذه الأمة جعلها أمة وسطاً، تعطي الجسد حقه، والروح حقه، فأحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، وأمرنا

(1) سورة البقرة - الآية 148.

(2) الجامع لأحكام القرآن - ج 1 ص 104.

(3) سورة الكهف - الآيات (103-106).

(4) سورة المائدة - الآية 77.

(5) سورة النساء - الآية 171.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

بالشكر عليها، ولم يجعلنا جثمانين خلصاً كالأنعام، ولا روحانيين خلصاً كالملائكة، بل جعلنا أناسي كلّه بهذه الشريعة المعتدلة " (1).

فقد بيّن الله حقيقة عيسى بن مريم عليه السلام بأنه لا يعدوا أن يكون رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ونهاهم عن القول بالتثليث المتمثل في الأب والإبن وروح القدس، واعتبار أن المسيح هو الإبن، وأثبت سبحانه أن الإله واحد لا يكون له ولد.

ولذلك حكم الله بالكفر على من اعتقد بعقيدة التثليث التي نهى الله عنها في الآية السابقة، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ... ﴾ (2)، وحكم أيضاً بالكفر على من قال بأن المسيح هو الله، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... ﴾ (3).

ليست النصراني فقط هم الذين انحرفوا وغالوا في عقيدتهم، فاليهود من قبلهم فعلوا ذلك أيضاً حيث اعتقدوا أن عزير هو ابن الله، قال تعالى في بيان ضلالهم وانحرافهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (4).

ومن هذا الغلو الذي اتصف به أهل الكتاب أنهم اتخذوا الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (5).

فإنه يريد أن يُعبد وحده، ولا يُشرك به أحدٌ سواه، فهو الإله المعبود بحق وهو منزلة عن شركهم وانحرافهم وضلالتهم، إذ كيف يُنزلون الأحرار والرهبان منزلة الإله في عبادتهم وطاعتهم وتحليلهم وتحريمهم.

ولذلك جاءت الآيات القرآنية بغلو أهل الكتاب، ليحذر المسلمون الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من انحراف وضلال، وبُعدٍ عن الاستقامة والاعتدال في أمور العقيدة.

"ويكون التفريط في العقائد أو في المفاهيم الدينية الأساسية بالتهاون في القضايا التي تدخل في هذه المجالات، والتسامح في عدم الأخذ بها... هذا التهاون من شأنه أن يفسد هذه العقائد والمفاهيم، ويجعلها عرضة للتحريف أو الابتداء، وبمرور الزمن يدخل في مفاهيم الدين وعقائده ما ليس منها، ويخرج من مفاهيم الدين وعقائده ما هو منحط،

(1) روائع البيان " تفسير آيات الأحكام " - محمد علي الصابوني - ج 1 ص 166.

(2) سورة المائدة - الآية 73.

(3) سورة المائدة - الآية 72.

(4) سورة التوبة - الآية 30.

(5) سورة التوبة - الآية 31.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

ويتحول الدين فيكون أوضاعاً بشرية تعبت بها الأهواء، ويتلاعب بها الشياطين وأصحاب المصالح الخاصة وأهل الأهواء... فلا يجوز التهاون في عقيدة ثابتة عقلاً أو شرعاً بصفة قطعية كالإيمان بالله وصفاته وكمالاته وأسمائه الحسنى، وكالإيمان بالملائكة والجن، والإيمان بسائر الأخبار القطعية من أنباء الغيب الحاضرة أو الغيوب الماضية أو الآتية<sup>(1)</sup>.

وهكذا نرى كيف يكون الإفراط يؤدي إلى ضلال السعي وانحراف العمل، وكذلك التفريط والتهاون يؤدي إلى ضياع الأحكام الشرعية واستبدالها بالأهواء والرغبات والأمزجة والمصالح الخاصة مما يؤدي إلى انحراف العقيدة وضلال السعي، وخسران العمل في العاجل والآجل، ولذلك لا خلاص من الإفراط والتفريط إلا بالوسطية التي أرادها الله لهذه الأمة من خلال صراط الله المستقيم، الذي أمر باتباعه والسير عليه، وحذر من غيره، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

يقول سيد قطب: "إنه صراط واحد - صراط الله - وسبيل واحدة تؤدي إلى الله، أن يفرد الناس الله - سبحانه - بالربوبية، ويدنوا له وحده بالعبودية، وأن يعلموا أن الحاكمية لله وحده، وأن يدنوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية. هذا هو صراط الله، وهذا هو سبيله، وليس وراء ذلك إلا السبل التي تتفرق بمن يسلكونها عن سبيله"<sup>(3)</sup>.

#### المطلب الثاني: الوسطية في العبادات:

إن الوسطية في العبادات مترتبة على وسطية العقيدة، فالعقيدة هي الأساس والعبادات ثمرة من ثمراتها، ونتيجة من نتائجها، فمن اعتدل وتوازن، ولم يغالي أو يتهاون في الجانب العقائدي، فلا شك أنه سيعتدل ويتوازن، ويتصف بما هو عدل وأجود وأكمل في عباداته، وبالتالي لا يقع في إفراط أو تفريط.

ومما يدل على ضرورة الوسطية والاعتدال في العبادات ما رواه أنس رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، قالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا

(1) الوسطية في الإسلام - د. محمد عبد اللطيف الفرفور - ص 87 "بتصرف".

(2) سورة الأنعام - الآية 153.

(3) في ظلال القرآن - ج 3 ص 1234.



دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

أفطر، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قاتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (1).

إن النبي ﷺ لم يُقر هؤلاء نفر على ما أرادوا، لأنه رأى فيما ذهبوا إليه مغالاة وإفراط في العبادة، تبعدهم عن طبيعة هذا الدين، فإله عز وجل لا يريد بالعبادة أن يحرم الإنسان نفسه من المتع الحلال والمباحة له شرعاً، ولذلك يقول تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا... ﴾ (2).

يقول سيد قطب : "وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً، كي لا يتزهّد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها... وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية السليمة" (3).

وإن الوسطية التي جعلها الله سمة لهذه الأمة الإسلامية تشمل كل شيء، بما في ذلك الأمور التعبدية، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (4).

يقول ابن كثير : "ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب" (5).

وقد أشار الدكتور أحمد هاشم إلى الوسطية في العبادات فقال : "من العبادات التي تتجلى فيها الوسطية : الصلاة، فليست كثيرة شاقة، ولا قليلة لا تترك أثراً، بل هي خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا تعارض بين أدائها وبين العمل في الصلاة، والسعي على الرزق، فالمسلم يعمل ويكدح، ويسعى، فإذا نودي للصلاة، أجاب ثم يعود

(1) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح - ج 5 ص 1949.

(2) سورة القصص - الآية 77.

(3) في ظلال القرآن - ج 5 ص 2711.

(4) سورة البقرة - الآية 143.

(5) تفسير القرآن العظيم - ج 1 ص 284.

إلى عمله وهكذا فهو يعمل لدنياه، ويعمل لآخرته، ولا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم، وإنما حددها رب العزة سبحانه في مواقيت معينة دون إفراط أو تفريط، ولا مشقة في أدائها ولا حرج، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(1)</sup>، ونلاحظ الوسطية أيضاً في الزكاة فلم تفرض في كل وقت، ولكن ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾<sup>(2)</sup>، وعند بلوغ النصاب، وفي النقدين بعد مرور حول... وإذا نظرنا إلى الصيام وجدنا أنه يرخص بالفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وعليهم القضاء بعد ذلك، وأن الحج إنما يجب مرة واحدة في العمر كله، وهو على المستطيع.

وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾<sup>(3)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾<sup>(4)</sup> (5).

ومما يؤكد هذه الوسطية في الأمور التعبدية ما رواه البخاري عن أبي جحيفة عن أبيه قال: أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمّ الدرداء مُتَبَلِّغَةً فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كُلْ، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فَصَلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان<sup>(6)</sup>.

نقول: لقد أقرّ النبي ﷺ سلمان على ما صنع مع أخيه أبي الدرداء فلم يأذن له في صيام وقيام يؤديان إلى ضياع حق الأهل والنفس، إنها سماحة الإسلام ويسره وعدالته ووسطيته.

(1) سورة البقرة - الآية 286.

(2) سورة الأنعام - الآية 141.

(3) سورة البقرة - الآية 185.

(4) سورة الحج - الآية 78.

(5) وسطية الإسلام - ص 21-25 "بتصرف".

(6) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب صنع الطعام والتكلف للضيف - ج 5 ص 2273.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقالت : "من هذه ؟ قالت : فلانة، تذكر من صلاتها فقال : مَهْ، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملوا" (1).

وروى أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين السارين، فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ : (لَا، حَلْوَهُ، لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فُتِرَ فليقعد) (2).

هذا كله يؤكد يسر الدين ووسطيته، وأنه لم يشرع الإفراط في العبادة إلى حد قد يصل فيه الإنسان إلى شيء من الكلال والملل، ولذلك فإن خير الأعمال أدومها وإن قل، ولم يُشرع في هذا الدين "الرهبانية التي ابتدعتها النصارى بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وهي تعني عندهم الانقطاع للعبادة والطاعة والانعزال عن الناس والحياة والزهد في الدنيا والمال، والتخلي عن الطيبات والشهوات والغرائز، وحرّموا الزواج على الرهبان ليتفرغوا للعبادة وفرضوا ذلك على أنفسهم" (3).

فالاعتدال بالبعد عن الإفراط والتفريط في العبادة هو الحل، وفيه السلامة والاستقامة والمداومة على العبادة.

ونختم هذا المطلب بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة) (4).

(1) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب أحب الدين إلى الله أدومه - حديث رقم 43 موسوعة الكتب الستة - ص 5.

(2) صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب ما يكره من التشدد في العبادة - حديث رقم 1150 موسوعة الكتب الستة - ص 89.

(3) الاعتدال في التدين - فكراً وسلوكاً ومنهجاً - د. محمد الزحيلي - ص 91، 20.

(4) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الدين يسر - حديث رقم 39 - موسوعة الكتب الستة - ص 5.

## المبحث الثاني

### الوسطية في العلاقات والمعاملات

يحرص الإسلام على العلاقات الاجتماعية الإيمانية الطيبة بين أبناء المجتمع الإسلامي، ليكون بينهم التعاون والتراحم والتأخي والمحبة والتكافل والتسامح والعفو والإحسان، لأن مجتمعاً هذه سماته لهو مجتمع فاضل، ولذلك أمر الله عباده بالمسارعة إلى المغفرة والجنة التي لا تتال إلا بمثل هذه الأوصاف، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..... ﴾ (1).

فهذه هي سمات المجتمع الإسلامي الفاضل وخصائصه المتألية، وعناصر تقواه، " كما أن التفريط في الدين، والتقصير في أحكامه ينتج عنه الكثير من الأمراض الاجتماعية التي تعشش بينهم، وتفتك بهم، وتمزق شملهم، وتفرق جمعهم، وتعطي صورة سيئة عن المسلمين، وتنفّر الناس منهم، وتدفع غير المسلمين في الشك في الإسلام نفسه، وفي صلاحيته لإصلاح الفرد والمجتمع، ويتخذ أعداء الإسلام من هذه الأمراض أسلحة للهدم، وبراكين للطعن " (2).

فالمسلم الحقيقي هو الذي يردعه إسلامه عن الظلم والعدوان وسوء الأخلاق مع غيره سواء أكان ذلك بيده أم بلسانه، ويجتنب ما نهى الله عنه من المحظورات والمفاسد، ويدفعه دينه وإيمانه إلى المحافظة على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم لأنه يحب لهم ما يحبه لنفسه، يكره لهم ما يكره لنفسه.

وسنذكر نماذج لهذه الوسطية في العلاقات والمعاملات الاجتماعية سواء أكان ذلك بين الزوجين لبناء الأسرة المسلمة أم كان ذلك في الإحسان والترفق بالوالدين، أم كان ذلك في التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع، أم كان ذلك في

التعامل مع غير المسلمين، وبيان ذلك بإيجاز فيما يلي :

أولاً : الوسطية في العلاقات الاجتماعية في بناء الأسرة :

حث الإسلام على الزواج ورجب فيه، وذلك حفاظاً على النوع البشري،

وقد ذكر القرآن الكريم أسس هذا الاختيار، يقول تعالى :

(1) سورة آل عمران - الآيات (133-136).

(2) الاعتدال في التدين " فكراً وسلوكاً ومنهجاً " - الدكتور محمد الزحيلي - ص 116.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1) فأسس هذه العلاقة قائمة على السكن والمودة والرحمة.

كذلك وضع لنا الشرع الحكيم صفات الزوجة الصالحة، فقال ﷺ : (تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) (2).  
وحذر الشرع الحكيم أيضاً من المرأة التي لم يحسن تربيتها، قال ﷺ (إياكم وخضراء الدمن قيل : يا رسول الله، وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء) (3).

أما عند غير المسلمين فمنهم من لا يتزوج كالنصارى الذين ابتدعوا الرهبانية، ومنهم من يتجاوز حدود شرع الله، فيقع بالإباحية بانتهاك الحرمات وضياع الأنساب، يقول تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (4).  
كذلك وضع الشرع الحكيم صفات الزوج الصالح، فيقول رسول الله ﷺ (إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض...) (5).  
هذه الأسس في اختيار الزوج الصالح غير متوفرة في الأمم غير الإسلامية، فاختيار الزوج يكون فقط للمتعة الجنسية، دون مراعاة تلك الضوابط والأسس التي وضعها الشرع الحكيم.

والعلاقة بين الزوجين في الإسلام قائمة على الخصوصية والستر والتكامل والتعاون على القيام بحقوق الزوجية، وتربية الأبناء تربية صالحة، قائمة على دين الله تعالى.  
ثانياً : الوسطية في البر والإحسان إلى الوالدين :

البر كلمة جامعة لكل خير، يقول تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (6) تشير هذه الآية إلى أسس التعامل مع الوالدين، وذلك

(1) سورة الروم - الآية 25.

(2) صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الأكفاء في الدين - ج 5 ص 1985.

(3) السلسلة الضعيفة - الألباني - ج 1 ص 69.

(4) سورة الحديد - الآية 27.

(5) سنن الترمذي - كتاب النكاح - باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه - ج 3 ص 395.

(6) سورة الإسراء - الآية 23.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

عن طريق تقديم كل أنواع الإحسان للوالدين في الأقوال، والأفعال والمعاملة، بحيث تشمل كل أنواع العطف والرحمة والمودة والحب والتقدير والاحترام في جميع مراحل حياة الآباء وخاصة مرحلة الكبر، وذلك لأن الكبر له أبحاؤه وضعفه، ففي هذه المرحلة يفقد الأبوان الأهلية ويصبحان عالة على أبنائهما لذلك تأمر الآية الأبناء ألا يضيقوا ذراعاً بأبائهم، فلا يصدر عنهم ما ينبئ عن الإهانة وسوء الأدب، بل عليهم أن يدخلوا السرور والبهجة على آبائهم (1).

ومن الوسطية مع الوالدين عدم طاعتها على حساب طاعة الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (2)، وكذلك يجب أن تتحقق الوسطية في معاملة الآباء للأبناء، فلا ظلم ولا محاباة لبعض الأبناء على حساب البعض الآخر، مع اختيار الأم الصالحة لأبنائه، واختيار الأسماء المحببة، مع العدل في النفقة والميراث والتربية الحسنة.

أما إذا نظرنا إلى العالم غير الإسلامي نجد أن هذه المفاهيم الوسطية غير موجودة، بل نجد عدم الاحترام والمعاملة السيئة والإهانة، حتى إذا بلغ الأبوان سن الشيخوخة وضع الابن أبويه في بيت العجزة والمسنين، دون مراعاة لعاطفة الأبوة، فعلى الرغم من توفر كل سبل الراحة والرعاية لهؤلاء المسنين إلا أنهم يخرجون من تلك البيوت يبحثون عن عاطفة الأبوة، كذلك ابتدعوا ما يسمى بعيد الأم، حيث يتعرف الابن على أمه في ذلك اليوم، أما في باقي أيام السنة فإنه لا يعرفها.

**ثالثاً: الوسطية في التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع:**

الأسرة هي نواة المجتمع، هذه الأسرة قائمة على الحب والتعاون والمساواة والمحبة فأفراد الأسرة يعملون مثل خلية النحل، كل يقوم بواجبه، فالأب يعمل ويكدح من أجل توفير الرزق لأبنائه، والأم كالشمعة تضيء على الآخرين، والأبناء كل ينصرف إلى دراسته وعمله، أما علاقة أفراد المجتمع بعضهم مع بعض فقد أرسى القرآن قواعد في التعامل، يقول تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ﴾

(1) التفسير الواضح - د. محمد حجازي - ح15/ ص 19 - "بتصرف".

(2) سورة لقمان - الآية 15.

(1) ويقول تعالى : ﴿... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (2).

فعلاقة أفراد المجتمع قائمة على الرحمة، فهم أذلة على المؤمنين، أشداء على الكافرين، وقد حافظ القرآن الكريم على أسرار الناس، فأمر بغض البصر لأفراد المجتمع وأمر بعدم دخول بيوت الغير إلا بعد الاستئذان، وذلك محافظة على أعراض الناس، يقول تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (3)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (4). هذه هي الوسطية المتمثلة في الحفاظ على أعراض الناس وأسرارهم، أما المجتمعات غير الإسلامية فهي قائمة على الإباحية المطلقة.

وقد أمر الله بالتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي فقال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (5)، وأمر بأداء الأمانات إلى أصحابها، بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (6).

أيضاً من ملامح الوسطية التواضع بين أفراد المجتمع الإسلامي، يقول تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (7) وتتجلى الوسطية في التعامل بين أفراد المجتمع الإسلامي باعتبار جميع أفرادها عبارة عن أسرة واحدة متكافلة.

وقد أرسى القرآن الكريم أسس التعامل بين أفراد المجتمع فحرم السخرية والتنازب بالألقاب بين أفراد المجتمع حتى يعيش في أمان واطمئنان، يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (8).

وحرم النميمة على أفراد المجتمع حتى يكون كل إنسان أميناً على أسرار الناس

(1) سورة الفتح - الآية 29.

(2) سورة المائدة - الآية 54.

(3) سورة النور - الآية 30.

(4) سورة النور - الآية 27.

(5) سورة المائدة : الآية 2.

(6) سورة النساء : الآية 58.

(7) سورة لقمان : الآية 18، وسورة الإسراء : الآية 37.

(8) سورة الحجرات - الآية 11.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

(1)، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2).

ثم أمر بالإصلاح بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (3).

أما المجتمعات غير الإسلامية فإنها قائمة على الأنانية وحب الذات والحق والكراهية والغش والخداع والاستكبار.

رابعاً: الوسطية في التعامل مع غير المسلمين:

وتظهر هذه الوسطية من خلال الأمور التالية:

1. عدم معاداة من لم يعاد المسلمين، حيث يعتبر القرآن الكريم غير المسلمين شركاء في الإنسانية، وذلك إذا عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، ولم يتعرضوا للمسلمين بالأذى، فلهم حق المواطنة، وعليهم واجب تجاه الدولة الإسلامية، فما داموا كذلك لا يجوز التعرض لهم بسوء يقول تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (4).  
قال الطبري: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم " (5).

قال ابن العربي: " قوله تعالى: ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أي أعطوهم قسطاً من أموالكم، وليس يريد به العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل " (6).

2. دعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك عن طريق عرض الإسلام عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (7).

(1) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - " باختصار ".

(2) سورة الحجرات - الآية 12.

(3) سورة الحجرات - الآية 10.

(4) سورة الممتحنة - الآية 8.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير الطبري - ح 28، ص 66.

(6) أحكام القرآن - ابن العربي - ح 2 / ص 1785.

(7) سورة النحل - الآية 125.



3. حسن الجوار والزيارة عند المرض، وذلك أن الإسلام قد حث على زيارة المريض حتى ولو كان المريض من أهل الكتاب، فهذا رسول الله ﷺ وسلم كان له غلام يهودي يخدمه فمرض ذلك الغلام، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعودُه (1).

4. إعطاء غير المسلمين من بيت المال : لقد تكفلت الدولة الإسلامية بالإنفاق على رعاياها وإن كانوا أهل كتاب، فمن ذلك: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً ضريب البصر يسأل الناس، فقال من أنت؟ قال يهودي، فقال فما أجدك إلى هذه؟ قال : الجزية والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب إلى منزله فرضخ له (2) بشئ من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال : انظر هذا وضرباه فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم : وتلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (3).

والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، وضع عنه الجزية وعن ضربائه (4).

وقد حفظ عمر بن عبد العزيز لأهل الذمة حقوقهم أسوة بالمسلمين (5). بهذا تبرز الوسطية في معاملة غير المسلمين، حيث عاش هؤلاء معززين مكرمين (6)، ولكن إذا نظرنا إلى الواقع عندما عاش المسلمون في ظل تلك الدول غير الإسلامية فقدوا حقوقهم، وقتلوا، وشردوا.

**وسطية القرآن الكريم المتمثلة في حفظ الحقوق لعامة الناس :**

قرر القرآن الكريم كرامة الإنسانية، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (7)

مع ضرورة أن لا يحملنا بغضنا لقوم على عدم العدل معهم، فالعدل هو الأقرب للحق والتقوى، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (8).

وبهذا ندرك وسطيّة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، دون إفراط أو تفريط، ودون ظلم أو محاباة على حساب دين الله تعالى.

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج 3 ص 513 - حديث رقم 3475.

(2) أي : أعطاه قليلاً من المال. انظر : مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ج1، ص 267.

(3) سورة التوبة - الآية 60.

(4) انظر : الخراج- للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة ص 126 " بتصرف ".

(5) انظر : المرجع السابق ص 48.

(6) انظر : فتح الباري- ابن حجر العسقلاني - ص 1081 - ح رقم 3475.

(7) سورة الإسراء - الآية 70.

(8) سورة المائدة - الآية 8.

### المبحث الثالث

#### الوسطية في الأفكار والتصورات

إن التوسط والاعتدال جميل في كل شيء حتى في الأفكار والتصورات، وهذه شيمة العقلاء والحكماء والعلماء، أما سواهم فقد يقع في الغلو والتطرف تارة، وقد يقع في التفريط والتهاون تارة أخرى، فالتوازن والاعتدال يحافظ على هذه الوسطية، التي جعلها الله سمةً لهذه الأمة، ولذلك قالوا: " إن الجاهل إن مزج أسخط، وإن اعتذر أفرط، وإن حدث أسقط، وإن قدر تسلط، وإن عزم على أمر تورط، وإن جلس مجلس الوقار تبسط (1) " وقد امتدح الله هذه الأمة بالوسطية، وأمرهم بالسير على صراطه المستقيم الذي يقودهم إلى التوازن والاعتدال، ويحقق لهم الوسطية في أفكارهم وتصوراتهم في كل الميادين والأصعدة، سواء أكانت هذه الأفكار والتصورات في الأمور الحياتية، أم كانت في الأمور العقائدية بما فيها أمور الغيب، كالبعث، والنشور، والجنة، والنار، وغيرها.

ولما جانب بعض المفكرين والفلاسفة هذه الوسطية وقعوا في ضلال السعي إذ ضل فكرهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وقد يدخلون في صنف الأخسرين أعمالاً إذا كان تفكيرهم وتصوراتهم تخرجهم عن دين الله، وقد يكون ذلك منهم ناتج عن المكر بالدين وأهله، وكم من بدع اعتقادية، وتصورات وأفكار ومفاهيم دينية باطلة دخلت على أفكار الناس فأبعدتهم عن دين الله، وصرفتهم عن صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لا صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين.

وسوف نعرض بعض هذه الأفكار والتصورات التي انحرف أصحابها عن

وسطية الإسلام وعدالته، لنرى ذلك الانحراف، وضلال السعي، وذلك فيما يلي:

1. العلمانية: وهي تعني فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة، وبهذا فالعلمانية أيولوجية تشجع المدنية والمواطنة وترفض الدين كمرجع رئيس للحياة السياسية، ويمكن القول إن العلمانية في الأمور الحياتية ترى وجوب التحرر من النفوذ الديني، ومن الناحية الفلسفية ترى أن الحياة تستمر بشكل أفضل، وإمكانية الاستمتاع بها بإيجابية عندما نستثنى الدين والمعتقدات الإلهية فيها، وقد تذهب العلمانية أبعد من ذلك لترى أن المؤسسات ينبغي أن توجد بمعزل عن الدين والمعتقد الديني، وكذلك اعتبار أن الدين ليس له في الحياة مكان، والعلمانية هي الترجمة لكلمة "secularism" وتعني فصل الدين عن الحياة بالكامل، هكذا وردة في المعارف البريطانية (2).

(1) انظر: الوسطية في الإسلام - د. محمد عبد اللطيف الفرور - ص 54، 55.

(2) انظر: مذاهب فكرية - معاصرة - محمد قطب - ص 445.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

2. **العولمة:** هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية، والقومية، والوطنية، في إطار تدوين النظام الرأسمالي الحديث ومن الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الحديث، والعولمة ترجمة لكلمة "GLOBALISATION"<sup>(1)</sup>.

3. **الديمقراطية:** "democracy" وهي كلمة مشتقة من لفظين يونانيين demos وتعني الشعب، kratos وتعني سلطة، ومعنى الديمقراطية حكم الشعب للشعب، وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على تصرف الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويحق لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين، وفي ظل الديمقراطية تعدد الآلهة فالنظام الإقتصادي إله ، والنظام الاجتماعي إله ، والعقل إله ، والعلم إله ، والإنسان إله ، والشهوات إله ، والهوى إله... ، فالحرية المطلقة للفرد تجعل الإنسان يفعل ما يشاء، ويؤله ما يشاء.<sup>(2)</sup> بهذا المعنى للديمقراطية فإنها تشير إلى حكم الشعب للشعب ، حيث إنها تولي الشعب سلطة التشريع ، وبذلك تلغي الديمقراطية التشريع الإسلامي الذي أنزله الله حقاً عدلاً ووسطاً.

4- **الشيوعية :** هي عبارة عن تصور شامل للكون، والحياة الإنسانية، ولقضية الألوهية كذلك، ومن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي الاجتماعي والسياسي والفكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعضه عن بعض ، يقول برينتون عن المذهب العقلي : (فالمذهب العقلي يتجه إلى إزالة الله، وما فوق الطبيعة من الكون، ومن الوجهة التاريخية فإن نمو المعرفة العلمية وازدياد الاستخدام البارح للأساليب العلمية يرتبط بشدة مع نمو الوضع العقلي نحو الكون) وهكذا يتفق المذهب العقلي مع المذهب التجريبي في البعد عن الله وتجنب البحث عن الغاية من الخلق، والنظر في الطبيعة بدلاً من النظر فيما وراء الطبيعة، أي في عالم الحس بدلاً من عالم الغيب<sup>(3)</sup>.

5- **الرأسمالية :** وهي نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم علي أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، ويقوم مبدأ الرأسمالية علي أساس

(1) انظر : واقعنا المعاصر والغزو الفكري - د. صالح الرقب - ص150.

(2) انظر : مذاهب فكرية معاصرة - ص178.

(3) انظر : مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب - ص 259.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

حرية التملك بلا قيود ، وتحقيق المنفعة الخاصة قبل العامة ، والريح مشروع  
بشتى الطرق والأساليب دون النظر إلي قاعدة الحرام والحلال<sup>(1)</sup>.

6- الاشتراكية: وهي الملكية العامة لوسائل الإنتاج، وعمل ما يكفل التوزيع المتساوي  
للثروة، وإلغاء الملكية الخاصة، والاشتراكية نظام اقتصادي واجتماعي وسياسي<sup>(2)</sup>.

تلك الأفكار والتصورات قد انحرفت عن مسارها الطبيعي، ففيها من الإفراط  
والتفريط والغلو ما يبعدها عن دين الله، لذلك أنزل تبارك وتعالى القرآن الكريم نظاماً  
شاملاً محكماً في جميع الميادين والأصعدة، ينظم الحياة الإنسانية على أساس الحق والعدل  
والاعتدال والحكمة والعقل، مع مراعاة أصول النظرة الإنسانية، وظروف الحياة الواقعية،  
لذا جذب هذا الدين أنظار المعتدلين في مشارق الأرض ومغاربها. ومع ذلك يوجد كثير  
من الناس يعبدون الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم، ومنهم من يعبد الحيوانات كالبقر وغيرها،  
وقد يكون هذا العابد عالماً في الذرة أو غيرها ، فيا له من غلو وانحراف وتفريط.

يقول سيد قطب : "التوازن والاعتدال الصفة البارزة للمنهج الإسلامي، وقد صان  
هذا المنهج الانفجاعات والغلو هنا وهناك، والتصادم هنا وهناك، هذه الآفة التي لم يسلم  
منها أي تصور آخر، سواء التصورات الفلسفية، أو التصورات الدينية التي شوهتها  
التصورات البشرية بما أضافته إليها أو نقصته منها، أو أولته تأويلاً خاطئاً، وأضافت هذا  
التأويل الخاطئ إلى صلب العقيدة"<sup>(3)</sup>.

ومعنى الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) : إنها الأمة الوسط التي تشهد على  
الناس جميعاً. فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها فيكون  
هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم، وهي شهيدة على  
الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم..، وبينما هي تشهد على الناس هكذا، وتحكم على  
أعمالهم وتقاليدها، وتزن ما يصدر عنها، وتقول فيه الكلمة الأخيرة..، وبهذا تتحدد حقيقة  
هذه الأمة ووظيفتها، لتعرفها، ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له  
استعداداً لائقاً، وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة، بمعنى الحسن  
والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي، إنها  
أمة وسطاً في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي،  
إنما تتبع الفطرة المتمثلة في روح متلبس بجسد يعطى كل ذي حق حقه في تناسق

(1) انظر : واقعنا المعاصر والغزو الفكري - د. صالح الرقب - ص 260.

(2) انظر: المرجع السابق - ص 276 "بتصرف".

(3) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - سيد قطب - ص 136 "بتصرف".

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

واعتدال، وهي أمةً وسطاً في التفكير والشعور لا تجمد على ما علمت، وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ولا تقلد المقلدين، ولكن تتمسك بما لدينها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وهي كذلك (أمةً وسطاً) في التنظيم والتنسيق تنقي الضمائر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب<sup>(1)</sup>.

وبهذا فقد وضح القرآن الكريم بنصوصية المعجزة مقاصده النبيلة في حفظ القضايا الكبرى التي تهتم البشرية وهي خمسة : حفظ الدين، والنفوس، العقل، والمال، العرض، ولتحقيق مصلحة الفرد والجماعة والأمة، وإيجاد التوازن والاعتدال على منهج واضح مستقر، لذلك فالتوسط في جميع القضايا لينسجم مع إمكانيات البشر وقدراتهم، في ظل هذه الوسطية تنعم البشرية بالاستقرار والحرية والإخاء والمساواة بعيداً على الظلم والصراع، وفي هذا المعنى يقول تعالى " ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْا أُمَّةً مِّنْ أُمَّةٍ لَّعَلَّ لَهُمْ مَنعٌ مِّنْهُمْ مُّؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾"<sup>(2)</sup>.

وبهذا تظهر وسطية الأمة بخيريتها واعتدالها في قضية الإيمان بالله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبعدها عن الانحراف في الأفكار والتصورات الضالة ، وأن تكون حياة الإنسان كلها لله، وصدق الله حيث يقول " ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾"<sup>(3)</sup>.

(1) انظر : في ظلال القرآن - ج 1 ص 131 " بتصرف "

(2) سورة آل عمران - الآية 110.

(3) سورة الأنعام - الآية 162.

## المبحث الرابع

### الوسطية في النفقات والمطعومات

إن الوسطية خير وبركة على الفرد والجماعة والأمة إذا اعتمدت ذلك في نفقاتها ومطعوماتها، وحري بها أن تلتزم بذلك ؛ لأنه شرع الله ودينه الذي أراده لهذه الأمة المسلمة الوسط.

ولذلك سنتحدث عن هذا المبحث في مطلبين، وذلك فيما يلي :

#### المطلب الأول : الوسطية في النفقات :

إن النفقات تعتمد بشكل كبير على الواردات المتمثلة في الكسب الحلال للمال الذي هو عصب الحياة، لذلك اعتنى القرآن الكريم بكسب المال من حلال وحفظه وإنفاقه في حلال أيضاً، وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الآيات تحذر من الإفراط في حبه وجمعه، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (1) ويقول أيضاً: ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ (2). هذه بعض الآيات التي تبيّن مدى تعلق الإنسان بحب الخير وحب المال مما يؤدي إلى الإفراط في حب الدنيا على حساب الآخرة.

قال السدي : (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله في النهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة، يظن أن هذا المال الذي جمعه سيخلده في هذه الدار ولكن الأمر ليس كما زعم ولا كما حسب (3).

وقد قص علينا القرآن الكريم قصة قارون لأخذ العبرة والعظة من فتنة الدنيا، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَكُمْ ثَوَابُ

(1) سورة العاديات - الآية 8.

(2) سورة الهمزة - الآية 1-4.

(3) انظر : تفسير ابن كثير - ج5 ص 548.

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَاتَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ الْكَافِرِينَ، تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

وقد بينت الآيات حالات بطر النعمة والغرور والزهو، حتى استكبر على عبادة الله ووجد نعمة الله، فكان نتيجة ذلك أن عاقبه الله بالخسف والدمار والهلاك فخسر الدنيا والآخرة، وهذه عاقبة البطر والكفر بالنعمة والاستكبار.

لذلك وضع القرآن الكريم القواعد الشرعية لكسب المال وإنفاقه، أما كسب المال فقد حرم القرآن الكريم الربا بكل أنواعه، يقول تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (2).  
وحرم الميسر بصوره المتعددة، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (3).

وحرم الاحتكار، يقول الرسول ﷺ: (من احتكر فهو خاطئ) (4)، وحرم السرقة ووضع عقوبة لها، يقول تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (5)، وحرم الغش في الكيل والميزان، يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (6).

كذلك نهى القرآن عن أكل المال بالباطل، وإعطائه إلى الحكام رشوة لهم، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (7). وبعد أن وضع القرآن الكريم منهج الوسطية في جمع المال وكسبه، يضع القواعد المتوازنة في إنفاق المال، حيث يجب على من يمتلك المال ألا

(1) سورة القصص - الآيات (76 - 83).

(2) سورة البقرة - الآية 275.

(3) سورة المائدة - الآيتان 90، 91.

(4) صحيح مسلم - كتاب المساقاة - باب تحريم الاحتكار في الأقوات - ج 3 ص 1227.

(5) سورة المائدة - الآية 83.

(6) سورة الإسراء - الآية 35.

(7) سورة البقرة - الآية 188.

يبخل بماله على الفقراء والمساكين، وان يعطى الحق في ماله، يقول تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (1) وقد حذر من البخل، قال تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (2).

وقد ذكر القرآن الكريم الآيات التي تدلل على الوسطية في الإنفاق، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (3)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (4).

يقول سيد قطب: "التوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن، والتعبير يجري على طريقة التصوير، فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط، لا تمسك شيئاً، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قاعدة كقعدة الملموم المحسور، فيقف البخل بحسرة بخله، وكذلك المسرف ينتهي به سرفه ملوماً في الحالتين، وخير الأمور الوسط" (5).

هذه بعض القواعد التي أرساها القرآن الكريم في جمع المال وإنفاقه، وبذلك يتضح عدم صلاحية المنهج الرأسمالي والمنهج الاشتراكي للحياة، فالنظام الرأسمالي يقوم على الحرية المطلقة للفرد دون قيود، فالفرد له الحرية أن يجمع المال بأي طريقة كانت، حلالاً أم حراماً، فالغاية تبرر الوسيلة، حتى لو أدى ذلك إلى الاحتكار والغش والاستغلال، وغير ذلك، مما أدى إلى تكديس الأموال في أيدي أشخاص معدودين.

أما النظام الاشتراكي فإنه يلغي الملكية مطلقاً، وبذلك يغلب المصلحة العامة على الخاصة، فالفرد ليس له حرية التصرف في ماله، فالدولة هي التي تتصرف، وبذلك يذوب دور الفرد (6).

**المطلب الثاني: الوسطية في المطعومات:**

(1) سورة الإسراء - الآية 100.

(2) سورة محمد - الآية 38.

(3) سورة الفرقان - الآية 67.

(4) سورة الإسراء - الآية 29.

(5) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج 4 ص 223.

(6) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ج 4 ص 224.



لقد علمنا ديننا كيف نتبع الحق والعدل والوسطية في مطعوماتنا، فأحل لنا أموراً وحرّم علينا أموراً أخرى، وما كان التحليل والتحرّيم إلا لصالح الإنسان ومصالحته العاجلة والآجلة، فمثلاً أحلّ لنا الطيبات لأنها طيبة نافعة، وحرّم علينا الخبائث لأنها خبيثة ضارة، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَهُمْ قُلُّ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (2) وقال: ﴿ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلِّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلِّ لَهُمْ ﴾ (3)، ولذلك نهى الله عباده المؤمنين أن يحرّموا طيبات أحلها الله لهم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (4).

فقد نهانا ربنا أن نعتدي في تحليلنا وتحرّيمنا، إذ الأصل أن نحلّ ما أحلّ الله لنا من المطعومات، ونحرّم ما حرّم الله علينا من الخبائث.

وقد ذكر القرآن جملة من الآيات التي تدل على الوسطية في المطعومات، وذلك من خلال عدم الإسراف والتجاوز، يقول تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (5).

ومن الوسطية والاعتدال الحرص على تناول الطيبات، والابتعاد عن المحرمات من المأكولات والمشروبات التي نهى الله عنها لضررها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (6)، ويقاس على هذا النص جميع المخدرات والمسكرات والمفتترات مهما اختلفت أسماؤها وألوانها وأشكالها.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (7).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (8).

(1) سورة الأعراف - الآية 157.

(2) سورة المائدة - الآية 4.

(3) سورة المائدة - الآية 5.

(4) سورة المائدة - الآية 87.

(5) سورة الأعراف - الآية 31.

(6) سورة المائدة - الآية 90.

(7) سورة البقرة - الآية 172.

(8) سورة البقرة - الآية 168.

هذه الآيات توضح معالم الوسطية في المنهج الإسلامي، فالأكل والشرب مشروع مما أباح الله، ويكون النهي عندما يكون هناك إسراف وتبذير، سواء أكان الإسراف في النوع أم الكم أم العادة، قال القرطبي: على المرء أن يأكل ما وجد، طيباً أو كان قفاراً، ولا يتكلف الطيب ويتخذة عادة وقد كان النبي ﷺ يشبع إذا وجد ويصبر إذا عدم، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها، ويشرب العسل إذا اتفق له، ويأكل اللحم إذا تيسر، ولا يعتمد أصلاً ولا يجعله ديناً ومعيشة النبي ﷺ معلومة وطريقة الصحابة منقولة (1).

قال الطبري: يأبها الناس كلوا مما أحلت لكم من الأطعمة على لسان رسول الله ﷺ فَطَيَّبْتُهُ لَكُمْ، مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل، وما أشبه ذلك، مما لم أحرمه عليكم، دون ما حرّمته عليكم من المطاعم والمأكّل فنجسته، من ميتة ودم ولحم خنزير، وما أهل به لغيري، ودعوا خطوات الشيطان الذي يوبقكم، فيهلككم ويوردكم موارد العطب (2).

ومن الوسطية في المطاعم دعوة النبي ﷺ لعدم الإفراط في تناول الأطعمة ولو كانت حلالاً، لقوله ﷺ: (ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان فاعلاً فتلت طعامه، وتلت لشرايه وتلت لنفسه) (3). وقال أيضاً "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإن أكلنا لا نشبع" (4)، فبها له من تشريع يتصف بالوسطية والإعجاز في الاعتدال والتوازن في أكل الإنسان وشربه من حلال دون إسراف أو تبذير.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن - ج 16 ص 202.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن - الطبري - ج 2 ص 76.

(3) سنن الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل - ج 4 ص 590 - قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(4) لا يوجد الا في: السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي - ج 3 ص 299.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أكرمنا الله بتمام هذا البحث الذي كانت أهم نتائجه كما يلي :

**أولاً :** ظهر لنا المعنى اللغوي للوسطية بجميع صيغها واشتقاقاتها ، كما اجتهد الباحثان في الوصول إلى معنى شرعياً للوسطية وهو " الاعتدال والخيرية والإنصاف والرفعة بسبب الصفات المحمودة التي لا إفراط فيها ولا تفريط ."

**ثانياً :** ظهر أن الغلو والمغلاة في العقيدة مرض خطير، وهو محرم شرعاً، لأنه يؤدي إلى نتائج سيئة على الفرد والأمة والمجتمع، أخطرها الانحراف والضلال في أمور العقيدة كما وقع مع أهل الكتاب من يهود ونصارى.

**ثالثاً :** إن انحراف العقيدة يترتب عليه انحراف في العبادة ؛ لأنها ثمرة من ثمراتها فمن اعتدل وتوازن في الجانب العقائدي، ولم يغالي أو يتهاون في ذلك، فلا شك أنه سيعتدل ويتوازن في عباداته، وبالتالي لا يقع في إفراط أو تفريط.

**رابعاً :** ظهرت لنا أمثلة متعددة للصحابة رضي الله عنهم، حيث أرادوا التشديد على أنفسهم في الجانب التعبدية، فتداركهم التقويم النبوي السوي، ليسدد خطاهم على صراط الله المستقيم.

**خامساً :** ميّز الله هذه الأمة الإسلامية بميزة الوسطية في كل المجالات، لتشهد على الناس جميعاً، وتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم.

**سادساً :** مثلت هذه الوسطية الحصن الحصين للأمة الإسلامية من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب من التهاون والتلاعب في العبادة أحياناً، ومن المغالاة كالرهبانية أحياناً أخرى، وهذا ما جعل الأمة الإسلامية على طريق السلامة والاستقامة والمداومة على العبادة.

**سابعاً :** أكد الإسلام على الوسطية في العلاقات الاجتماعية الإيمانية بين أبناء المجتمع الإسلامي ليتحقق بينهم التعاون والترحم والتأخي والتكافل والتسامح والعفو والإحسان.

**ثامناً :** ظهر أن المسلم الحقيقي هو الذي يردعه إسلامه عن الظلم والعدوان وسوء الأخلاق ويدفعه إيمانه إلى المحافظة على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم، لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

**تاسعاً :** إن بناء الأسرة المسلمة من منطلقات ومواصفات شرعية هي ثمرة من ثمرات الوسطية في العلاقات الاجتماعية، وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين،

دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"

والتعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع، والتعامل مع غير المسلمين، كل ذلك على أسس ربانية عادلة منصفة.

**عاشرا:** إن الوسطية مطلوبة في الأفكار والتصورات، فلا يجوز الغلو والتطرف، كما أنه لا يجوز التفريط والتهاون، فالتوازن والاعتدال هو السياج الحافظ للوسطية السمة.

**الحادي عشر:** وقع بعض المفكرين والفلاسفة في انحراف الفكر والتصور فخرجوا بتقليدهم وتصورهم عن حدود الوسطية للإسلام وعدالته، فكان نتاج هذا الانحراف وجود العلمانية، والعولمة، والديمقراطية والشبوعية والرأسمالية والاشتراكية، وغيرها من نتاج الانحراف الفكري البشري القاصر.

**الثاني عشر:** تظهر الوسطية في النفقات إذا كان كسب المال من حلال، وإنفاقه في حلال، مع عدم الإفراط في حبة وجمعة، وأي خروج عن هذه الوسطية توقع الإنسان في الانحراف، كما وقع مع قارون وغيره.

**الثالث عشر:** يتحقق الاعتدال في الإنفاق في المطاعم والمشروبات وذلك بعدم الإسراف أو البخل مما يحقق الوسطية بشكل واضح وصريح، وقد أمرت الآيات بتحقيق هذا التوازن والاعتدال.

**الرابع عشر:** وتبرز الوسطية في المطاعم والمشروبات من خلال تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وعدم الاعتداء والتجاوز في التحليل والتحريم، لما شرعه الله لهذه الأمة.

**الخامس عشر:** يتحقق الاعتدال والوسطية بعدم الإسراف في تناول المطاعم والمشروبات، وإنما يؤخذ بالقدر الذي يحتاجه الإنسان، وقد أكدت الآيات والأحاديث هذه الوسطية في مطاعمنا ومشروباتنا، فإيا له من تشريع قائم على التوازن والاعتدال دون إسراف أو تقصير.

### قائمة المراجع

- 1- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق وتخريج : محمد عطا دار الكتب، بيروت، 1408هـ-1988م.
- 2- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة 1402هـ-1983م.
- 3- الاعتدال في التدين "فكراً وسلوكاً ومنهجاً" الدكتور محمد الزحيلي، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ-1992م.
- 4- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء ابن كثير دمشقي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- 5- التفسير الواضح، د. محمد حجازي، دار الفكر.
- 6- التوقيف على مهمات التعاريف "معجم لغوي مصطلحي"، محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1990م.
- 7- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.
- 8- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الأسماء للنشر.
- 9- الخراج، للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، الطبعة السلفية، الطبعة السادسة، 1397هـ.
- 10- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، طبعة دار الشروق.
- 11- خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان، مكتبة الفلاح.
- 12- روائع البيان "تفسير آيات الأحكام"، محمد علي الصابوني، منشورات مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الثالثة، 1400هـ-1980م.
- 13- السلسلة الضعيفة، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- 14- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى من مسودة، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 15- السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، منشورات دار المعرفة، بيروت، 1400هـ.
- 16- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ-1987م.

- دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة "دراسة موضوعية"
- 17- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
  - 18- فتح الباري "شرح صحيح البخاري"، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.
  - 19- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة، 1398هـ-1978م.
  - 20- الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكوفي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ-1993م.
  - 21- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، طبعة 1415هـ-1995م.
  - 22- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، طبعة 1403هـ-1983م.
  - 23- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.
  - 24- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
  - 25- موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة "مجلد واحد كبير"، صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، 1421هـ-1992م.
  - 26- الوافي "معجم وسيط للغة العربية"، الشيخ عبد الله البستاني، مكتبة لبنان.
  - 27- واقعنا المعاصر والغزو الفكري، د. صالح الرقب، الطبعة السابعة، 1425هـ-2004م.
  - 28- وسطية الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، منشورات دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.
  - 29- الوسطية في الإسلام، د. محمد عبد اللطيف الفرفور، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م.

# دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

إعداد

أ. صلاح الدين طلب فرج

المدرس بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية - غزة

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص البحث

يتناول هذا البحث قضية من أهم القضايا التشريعية والحقوقية ألا وهي حقوق المُسن التي قررها له القرآن الكريم، وذلك في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والصحية والاقتصادية والنفسية وبذلك يكون القرآن الكريم باعتباراه التشريع السماوي الخالد إلى يوم القيامة\_ قد سبق الأنظمة المعاصرة والقوانين الوضعية التي تنادي بالاهتمام بحقوق المسنين وخصوصاً في واقعا المعاصر.

وقد تناول هذا البحث أولاً تعريف القرآن الكريم ، ثم تعريف الحق مع بيان أنواعه ، ومن ثم انتقل البحث لبيان دور القرآن الكريم في رعاية حقوق المُسن في النطاق الأسري، وكذلك دوره في رعاية حقوق المُسن في حالتي السلم والحرب.

## Abstract

This research talks a bout one of the most important legislative and rightful affairs which is the aged rights, which were stated in the Quran in social, healthy, economical and psychological sides of life.

There by, our Quran –the everlasting heavenly legislation– has preceded the contemporary regulations and the earthly laws which call for the aged rights, especially in our contemporary world.

In addition, this research talked about the definition of Quran and right with showing the types of right.

After that, it talked about the role of Quran in taking charge of the aged rights in the family boundary and during peace and war.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وخاتم المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،

لقد اهتم القرآن الكريم بأمور المسنين في المجتمع منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، حيث اعتنى بهم في جميع نواحي الحياة، ويصيح هذا الاهتمام أكد من حيث إن المسن هو اللبنة الأولى في بناء الأسرة، والأسرة هي نواة المجتمع، فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد.

ومن هنا كان الحديث عن حقوق المسن يحتل مكانة هامة عند الحديث عن حقوق الإنسان باعتبار أن صلاح المجتمع وفساده متوقف على مدى إقرار هذا الحق أو عدمه.

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان النظرة القرآنية للمسن، فالقرآن ينظر إلى المسن نظرة سماوية تعبدية شمولية تهتم بصحته وروحه وحياته الاجتماعية والاقتصادية والنفسية سواء كان المسن مسلماً أو غير مسلم.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في بيان المنهج الذي خطه القرآن في معاملة المسنين من بر بالقول والفعل وبيان الآثار الدنيوية والأخروية. ولتحقيق هذه الأهداف جاء البحث متضمناً للمقدمة السابقة، وفصلين، وقد قمت بتقسيمهما على النحو الآتي:

## الفصل الأول

### في التعريف ببعض المصطلحات الهامة

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تعريف القرآن الكريم لغة.

**المطلب الثاني:** تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً.

**المبحث الثاني:** تعريف الحق لغة واصطلاحاً.

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تعريف الحق لغة.

**المطلب الثاني:** تعريف الحق اصطلاحاً.

**المطلب الثالث:** الحق في القرآن الكريم.

## الفصل الثاني

### دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في النطاق الأسري.

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** دور القرآن الكريم في الأمر ببر الوالدين والإحسان

إليهما.

**المطلب الثاني:** دور القرآن الكريم في الأمر بالعناية بالأجداد

والجدات.

**المطلب الثالث:** دور القرآن الكريم في العناية بأقارب وأصدقاء

الوالدين.

**المبحث الثاني:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن السلم.

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن المسلم في

زمن السلم.

**المطلب الثاني:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن غير المسلم في

زمن السلم.

**المبحث الثالث:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن الحرب.

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن المسلم في

زمن الحرب.

**المطلب الثاني:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن غير المسلم في

زمن الحرب.

## **الفصل الأول**

### **التعريف ببعض المصطلحات الهامة**

#### **وفيه مبحثان**

**المبحث الأول : تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.**

**المبحث الثاني: تعريف الحق لغة واصطلاحاً.**

## المبحث الأول

### تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً

لقد بذل العلماء قديماً وحديثاً كل ما في وسعهم لإيجاد تعريف للفظ القرآن، فتناولوها من الجانبين اللغوي والاصطلاحي كما هو معهود عند كل تعريف، وأوردوا في ذلك أقوالاً وآراء يكاد يكون كل واحد منها تكراراً للآخر، غير أن كل واحد من أولئك العلماء الأجلاء رجح رأياً استحسنته ومال إليه، ومن هنا رأيت الاقتصار على التعريف الراجح من تعريفات العلماء المتعددة، وذلك نظراً لأن الدراسة في هذا الفصل ليست هي المقصودة من البحث أساساً.

#### المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة:

اختلف العلماء في تعريف القرآن من حيث اللغة إلى ثلاثة مذاهب على النحو

التالي :

**المذهب الأول :** قالوا أن القرآن لفظ مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا جمعه، والمقصود به هنا ضم الآيات والسور وجمعها بعضها إلى بعض (1).

**المذهب الثاني:** حيث ذهبوا إلى أن القرآن لفظ مشتق من الفعل "قرأ" بمعنى تلا، فهو مرادف للقراءة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (2).

أي لا تعجل بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءته، وكذلك فقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (3)، أي: قراءة القرآن في هذا الوقت تشهدها الملائكة ويشهدون بها قال الليحاني (4): وجماعة من أهل

اللغة يقولون: قرآن: مصدر كخفران، سمي بـ "المقروء" أي المتلو، من باب تسمية المفعول بالمصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (5)، أي: قراءته، والمراد: جبريل عليه السلام.

(1) الزرقاني : محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (14/1).

(2) الزرقاني : محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (14/1).

(3) سورة الإسراء: الآية (78).

(4) هو علي بن حازم الليحاني، لغوي عاصر الفراء، كان حياً سنة 207هـ، معجم المؤلفين (56/7).

(5) سورة القيامة: (17، 18).

**المذهب الثالث :** قالوا أن لفظ القرآن اسم علم غير مشتق، وبذلك يكون خاصاً بكلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>. والراجح في نظري ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني من كونه مشتق من الفعل "قرأ"، وذلك أن القرآن في اللغة يعتبر مصدر مرادف للقراءة.

#### المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً:

لقد وردت عند العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم، والناظر لهذه التعريفات يجد أنها تتفاوت من ناحية الشمول، فبعضها أشمل من بعض، وتتفاوت كذلك من ناحية الألفاظ وذلك أن التعريف ينبغي أن يكون دالاً على جميع أجزاء المعرف بأقل لفظ ممكن.

ومن التعريفات التي ذكرها العلماء للقرآن الكريم ما يلي:

- 1- القرآن الكريم هو: "كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته"<sup>(2)</sup>.
- 2- القرآن الكريم هو: "الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"<sup>(3)</sup>.
- 3- القرآن الكريم هو: كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس"<sup>(4)</sup>.

#### رأي الباحث:

بعد النظر في التعريفات السابقة للعلماء لغة واصطلاحاً أستطيع القول: إن القرآن الكريم هو: (كلام الله الذي أوحاه إلى نبينا محمد ﷺ يقظة بلفظه ومعناه، المعجز والمتعبد بهما، والمنقول إلينا تواتراً والمحفوظ بين دفتي المصحف).

---

(1) الزرقاني : محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (14/1)، بدران : أبو العنين بدران، دراسات حول القرآن (ص4)، الخالدي : صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص20).

(2) القطان: مناع خليل، مباحث في علوم القرآن (ص16).

(3) الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن (ص6).

(4) الصابوني: صبحي، مباحث في علوم القرآن (ص21).

## المبحث الثاني تعريف الحق لغة واصطلاحاً

**المطلب الأول: تعريف الحق لغة:**

الحق لغة: الحاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، وهو مصدر حق الشيء، من باب ضرب وقتل، إذا وجب وثبت.

ومنه قولهم: فلان أحق بكذا، ويستعمل بمعنيين:

أحدهما: اختصاصه بذلك من غير مشاركة أحد، ومثال ذلك قولنا: (محمد أحق بماله)، أي: لا حق لأحد غيره فيه.

والثاني: أن يكون أفعال التفضيل، فيقتضي اشتراكه فيه مع غيره ومثال ذلك قولنا: (محمد أحسن وجهاً من فلان)، ومعناه: ثبوت الحسن لهما معاً ولكن يترجح في جانب محمد، والحق يجمع على حقوق وحقاق.

والحق اسم من أسماء الله تعالى وأصله في اللغة المطابقة والموافقة<sup>(1)</sup>.

**المطلب الثاني: تعريف الحق اصطلاحاً:**

إن الفقهاء القدامى لم يتحدثوا عن الحق بمعناه العام، وإنما تحدثوا عن آحاد الحقوق بحسب مواضعها الفقهية كحقوق الزوجين، وحقوق البائع والمشتري، وغير ذلك، ومنهم من استعمله بمعناه اللغوي، وأكثر الفقهاء المتقدمين لم يضعوا للحق تعريفاً اصطلاحياً؛ نظراً لشيوعه عندهم ووضوحه بحيث لا يحتاج إلى تعريف خاص، ومن الاستعمالات العامة للحق في نظر الفقهاء ما يلي:

- أ- هو ما يثبت للشخص من ميزات ومكنات، سواء أكان الثابت شيئاً مالياً أم غير مالي.
- ب- الحق بمقابل الأعيان والمنافع المملوكة، بمعنى: المصالح الاعتبارية الشرعية التي لا وجود لها إلا باعتبار الشارع، كحق الشفعة وحق الطلاق؛ وحق الحضانة، ونحو ذلك.
- ج- ومنهم من عرف الحق بمعناه اللغوي الصرف، كما في قولهم: حقوق الدار، أي: مرافقها، وذلك كحق التعلّي، والمرور، والشرب ونحو ذلك<sup>(1)</sup>.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب (3/255)، الفيومي: المصباح المنير (ص78)، أنيس: المعجم الوسيط (1/188).

أما المعاصرون من أهل العلم فقد اختلفت مشاربهم في تحديد معنى الحق في الاصطلاح، فمنهم من عرف الحق على أنه مصلحة ثابتة شرعاً للفرد أو الجماعة، ومنهم من عرفه على أنه اختصاص يقرر به الشرع سلطة على شيء.

ونظراً لكثرة التعريفات الاصطلاحية للحق، ولأن البحث في هذه الجزئية من باب التمهيد للموضوع، فاني أرى أن التعريف المختار للحق اصطلاحاً هو: "اختصاص ثابت شرعاً، يقتضي سلطةً أو تكليفاً لله تعالى على عباده أو لشخص على غيره" (2).

ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الحق هو علاقة شرعية\*\*، وهذه العلاقة ليست إلا اختصاص صاحب الحق بمحل الحق اختصاصاً يقتضي المصلحة في ثبوت السلطة أو التكليف على الشيء (3).

### المطلب الثالث: الحق في القرآن الكريم :

ورد مصطلح الحق في القرآن الكريم وكلن يقصد منه عدة معان، وذلك على النحو الآتي :

1- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (4).

حيث عبر هنا عن المنهج الواضح في الدعوة بالحق، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : " لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله " (5)

---

(1) العبادي: عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية (93/1)، الخفيف: علي، الملكية في الشريعة الإسلامية (ص28-29)، أبو سنة: الفقه الإسلامي أساس التشريع، نظرية الحق (ص150). طوموم : محمد ،الحق في الشريعة الإسلامية (ص17)، الدريني : فتحي : الحق ومدى سلطة الدولة في تقييده (183-193).

(2) الدريني: فتحي، الحق وسلطة الدولة في تقييده (183-193)، الخفيف: علي، الملكية في الشريعة الإسلامية (ص28-29)، طوموم: محمد، الحق في الشريعة الإسلامية (ص17).

(3) قلت هنا علاقة شرعية : وذلك أن للحق أركان منها : صاحب الحق، وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا كقيل بإخراج العلاقات العرفية وغيرها) انظر : الزحيلي : وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته (5/4)، العبادي: عبد السلام، حقوق الإنسان في الإسلام (ضمن سلسلة ندوات الحوار بين المسلمين)، عبد المنعم: فؤاد، حقوق الملكية بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، ضمن بحوث ندوة حقوق الإنسان بأكاديمية نايف العربية (877/2-878).

(4) سورة البقرة: (آية42).

(5) أبي الفداء : إسماعيل بن كثير الدمشقي : تفسير القرآن العظيم (1/ 95).



2- ويأتي الحق بمعنى : أوجب وأثبت وأظهر، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(2)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾<sup>(3)</sup> فالحق إذن هو الثابت حقيقة ولا يسوغ إنكاره، ومع ذلك نجد أن لفظ الحق يستعمل بحسب السياق في معان أخرى مثل : الأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والصدق، والموت، والحزم، والنصيب، والوجود الثابت.<sup>(4)</sup>

---

(1) سورة البقرة: (آية 42).

(2) سورة القصص: (آية 63).

(3) سورة البقرة: (آية 42).

(4) الدريني: فتحي، الحق وسلطة الدولة في تقييده (183-193)، الخفيف: علي، الملكية في الشريعة الإسلامية (ص 28-29)، طوموم: محمد، الحق في الشريعة الإسلامية (ص 17).

## الفصل الثاني

### دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن

وفيه ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في النطاق الأسري.**

**المبحث الثاني: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن السلم.**

**المبحث الثالث: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن الحرب.**

## المبحث الأول

### دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في النطاق الأسري

إن الأسرة هي نواة المجتمع، بصلاحتها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد، لذا اعتنى القرآن الكريم بجميع الجوانب المتعلقة بالأسرة.

والمسنون هم أحد أفراد هذه الأسرة كانوا ضمن هذه الجوانب، وأهم مظاهر عناية القرآن بالمسنين وتقرير حقوقهم في الأسرة تتضح في ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما:

لقد تعددت الآيات القرآنية التي تقرر وتوصي الإنسان بوالديه، وبرهما والإحسان إليهما في كل مراحل العمر، إلا أن القرآن الكريم قد خص مرحلة كبر سنهما باهتمام أوسع، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(1)</sup>.

فإنه تعالى في الآيات السابقة، قرن التوحيد والعبادة وهما أخطر قضيتين في الوجود ببر الوالدين والإحسان إليهما، ثم خص الله تعالى حالة الكبر بالذكر لكونهما إلى البر من الولد أحوج من غيرهما، وذلك لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغيير الحال عليهما بالضعف والكبر<sup>(2)</sup>.

#### منهجية القرآن الكريم في بر الوالدين ومعاملتهم:

تتلخص منهجية القرآن الكريم في بر الوالدين وحسن معاملتهما في ناحيتين مهمتين:

(1) سورة الإسراء: الآيتان (23، 24).

(2) القرطبي: أبو عبد الله الجامع لأحكام القرآن (155/10).

### الناحية الأولى: حسن المعاملة بالقول:

وهذه الناحية في مجملها تتخذ عدة صور:

#### الصورة الأولى: التأدب عند مخاطبتهم:

فيجب على الولد التحلي بالأدب عند مخاطبته ومحادثته لوالديه، وذلك بأن لا يبدي الولد لوالده ما يدل على الضجر والضييق، وأن كلامه لهما ينم عن احترام وتقدير، ولقد قرر القرآن الكريم هذا الحق، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾<sup>(1)</sup>، قال القرطبي: "يقال لكل ما يضر ويستهزل أف له"<sup>(2)</sup>، قال الخازن: "المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾ المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما"<sup>(3)</sup>.

أقول: إن أعظم حقوق العباد حق الوالدين، فقد جعل الله ذلك في المرتبة التي تلي حق الله المتضمن لحقه وحق رسوله، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(4)</sup>، وبين العلة في ذلك وهي إغراء للأولاد وحثاً لهم على الاعتناء بهذه الوصية، وبين كذلك حرمة التأفف، وهي كلمة مكونة من حرفين، والصحيح أن الحرمة تشمل كل وجوه الإيذاء من باب أولى كما قرر ذلك الأصوليون<sup>(5)</sup>.

#### الصورة الثانية: الدعاء لهما:

إن دعاء الولد للوالدين لا يكون عند وفاتهما فقط<sup>(6)</sup>. وكذلك ينبغي على الولد أن لا يبخل على والديه بالدعاء لهما، وعليه أن يتحرى أوقات الاستجابة ويستغلها بالدعاء

(1) سورة الإسراء: الآية (23).

(2) القرطبي: أبو عبد الله الجامع لأحكام القرآن (158/10).

(3) الخازن: أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل (126/3).

(4) سورة النساء: (36).

(5) البيضاوي: ناصر الدين: نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول (490/1).

(6) ويستثنى من دعاء الولد لوالديه في حالة الوفاة إذا كانا مشركين، فإله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، سورة التوبة: الآية (113)، انظر القرطبي:

أبو عبد الله الجامع لأحكام القرآن (160/10)، السيوطي: الدر المنثور (172/4).

لهما ولنفسه، قال تعالى مقررًا هذا الحق: ﴿وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(1)</sup>.  
قال الرازي: والرحمة لفظ جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا<sup>(2)</sup>.

وقد حث الرسول ﷺ المسلمين على الاستمرار بالدعاء لوالديهم حتى بعد موتهم،  
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله  
إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"<sup>(3)</sup>.

#### الصورة الثالثة: أن يكون الاحتساب \* \* عليهما برفق ولين:

وكذلك يدخل في المعاملة القولية أن يكون الاحتساب على الوالدين بلين ورفق،  
فهناك كثير من العلماء صرحوا أنه ليس للولد أن يحتسب على أبيه بالتعنيف، قال  
الغزالي: "ليس له - أي الولد - الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة  
الضرب"<sup>(4)</sup>.

#### الناحية الثانية: حسن المعاملة بالفعل:

وهذه الناحية أيضاً تتلخص في عدة صور، منها:

#### الصورة الأولى: تقديم بر الوالدين على النوافل:

إن بر الوالدين فرض مقدم على سائر الفروض الكفائية والنوافل، قال ابن  
الجوزي: "إن برهما يكون بطاعتها فيما يأمران به، ما لم يكن بمحذور، ويقدم أمرهما  
على فعل النافلة..."<sup>(5)</sup>.

#### الصورة الثانية: بر الوالدين وإن كانا كافرين:

إن بر الوالدين لا يقتصر على الوالدين المسلمين، بل إن الولد مطالب ببرهما  
حتى وإن كانا كافرين، وقد جاء تقرير هذا الحق في القرآن الكريم في قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ

(1) سورة الإسراء: الآية (24).

(2) الرازي: أبو عبد الله، التفسير الكبير (153/20).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (ح1631).

(4) الغزالي: أبو حامد، حياء علوم الدين (291/2)، والحسبة لغة: من العد والحساب وتأتي بمعنى طلب  
الأجر والمثوبة من الله عز وجل، واصطلاحاً: فقد عرفها جمهور الفقهاء بأنها: "الأمر بالمعروف إذا  
ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله".

(5) الجوزي: بر الوالدين وصلة الرحم (ص32).

**اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ  
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ<sup>(1)</sup>.**

قال القرطبي: "لا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين  
بيهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد"<sup>(2)</sup>.

وكذلك فقد جاء تقرير هذا الحق في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ  
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(3)</sup>.**

والذي يتضح من سبب نزول هذه الآية عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن  
أبي وقاص: أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر  
بدينه ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصالك بوالديك وأنا أمك، وأنا أمرك  
بهذا، فقال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها،  
فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله الآية<sup>(4)</sup>.

#### الصورة الثالثة: النفقة عليهما:

حيث كان منهج القرآن الكريم واضحاً في تقرير هذا الحق في غير موضع من  
القرآن الكريم أهمها:

- 1- قوله تعالى: **﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾<sup>(5)</sup>**، فقد نهى الله عن التأنيف لعلة الإيذاء، والأذى  
في منع النفقة عن حاجتهما من باب أولى، ولهذا يلزمه النفقة عليهما<sup>(6)</sup>.
- 2- قوله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾<sup>(7)</sup>**، ووجه الدلالة هنا: أن من الإحسان  
إليهما النفقة عليهما.

قال العلماء: ويجبر الرجل الموسر على نفقة أبيه وأمه إذا كانا محتاجين<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الممتحنة: الآية (8).

(2) القرطبي: أبو عبد الله الجامع لأحكام القرآن (156/10).

(3) سورة لقمان: الآية (15).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (ح2413)، كذلك انظر: الواحدي: أسباب النزول (ص282)، السيوطي لباب  
النقول (ص166).

(5) سورة الإسراء: الآية (23).

(6) السرخسي: جلال الدين، المبسوط (222/5).

(7) سورة العنكبوت: الآية (8).

### ضمانات القرآن الكريم لتقرير حقوق المسن في النطاق الأسري:

لقد وضع القرآن الكريم ضمانات للتأكيد على تقرير حقوق المسن وتطبيقها، حيث رتب القرآن الكريم آثاراً دنيوية وأخروية على بر الوالدين، اذكرهما باختصار على النحو الآتي:

#### أولاً : الآثار الدنيوية:

وهي تتمثل في النقاط التالية :

1- بر الوالدين امتثالاً لطاعة الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(2)</sup>.

ولا حرج أن أستدل هنا ببعض ما ورد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من آثار دنيوية لبر الوالدين على اعتبار أن الستة النبوية هي أحد مصادر تفسير القرآن الكريم وتأويله، على النحو التالي :

2- بر الوالدين سبب في طول العمر وسعة الرزق: حيث أن الأبناء البررة يزيد الله في عمرهم، وهذه الزيادة هي زيادة في بركة العمر، فعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه"<sup>(3)</sup>.

قال ابن حجر: "معنى البسط في الرزق البركة فيه، وفي العمر حصول القوة في الجسد"<sup>(4)</sup>.

3- بر الوالدين سبب في استجابة الدعاء: ويستدل لذلك بوصية الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب أن يستغفر له أويس القرني<sup>(5)</sup> إذا قابله وقد كان من فضائل أويس أنه كان باراً بأمه<sup>(6)</sup>.

#### ثانياً: الآثار الأخروية:

وهي تتمثل في النقاط الآتية:

(1) المقدسي: ابن قدامة، المغني (257/9)، الماوردي: الحاوي (486/11).

(2) سورة الإسراء: الآية (23).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (ح5985)؛ ومسلم (ح2557).

(4) العسقلاني: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (353/4).

(5) هو أويس بن عامر بن حزم بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، احد النساك العباد المقدمين، وهو من التابعين، أصله من اليمن، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة، توفي سنة 37هـ، انظر: أبي نعيم: حلية الأولياء (79/2)، الذهبي: شمس الدين، لسان الميزان (471/1)، الزركلي: خير الدين، الأعلام (32/1).

(6) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم (143/16).

1- بر الوالدين سبب لدخول الجنة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رقم أنف، قيل: من يا رسول الله؟، قال: من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما أو كليهما ولم يدخل الجنة"<sup>(1)</sup>.

وبهذا جاءت النصوص العامة للقرآن الكريم مقررة هذا الحق، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾<sup>(2)</sup>، فامتثال أمر القرآن سبب لدخول الجنة. قال النووي: وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاتته دخول الجنة وأرغم الله أنفه"<sup>(3)</sup>.

2- بر الوالدين يكفر الذنوب: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: "إني أصبت ذنباً عظيماً؛ فهل لي من توبة؟"، قال: هل لك من أم؟، قال: لا، قال: هل لك من خالة؟، قال: نعم، قال: فبرها"<sup>(4)</sup>.

#### المطلب الثاني: الأمر بالاعتناء بالأجداد والجدات:

وهذا هو المظهر الثاني من مظاهر عناية الإسلام بالمسنين وتقرير حقوقهم في ظل النطاق الأسري، فإنه مما لا خلاف فيه بين العلماء أن الآباء والأمهات أكد حرمة في البر ممن سواهما، ويلحق ببر الوالدين بر الأجداد والجدات، فإنهم يبلغون مبلغ الآباء في البر ومن الأدلة التي تقرر هذا الحق ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(5)</sup>.

قال أبو حيان: "وسمى الجد وأبا الجد أبوين لأنهما من عمود النسب"<sup>(1)</sup>.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (ح2551).

(2) سورة العنكبوت: الآية (8).

(3) النووي: شرح صحيح مسلم (164/16).

(4) أخرجه أحمد في مسنده (14/2)، وابن حبان في صحيحه (ح435)، قال عنه شعيب الأرنؤوط صحيح

على شط الشيخين (178/2).

(5) سورة يوسف: الآية (6).



2- ما سبق أن قررناه من أن الله تعالى قد خص حالة الكبر عند الوالدين بالبر، وذلك لما يلحق الإنسان من الحاجة إلى الآخرين وهذه العلة وهي "الحاجة" تنطبق على الأجداد من باب أولى.

3- أن بر الجد المسن من باب التراحم والتكافل الاجتماعي الذي أمر به الدين الإسلامي فحين يبر الأبناء أجدادهم فهم بذلك يبرون آباءهم، وذلك يعني أن الجيل المتوسط في المجتمع قد ارتبط تلقائياً بجيل كبار السن، وبذلك يصبح المسنون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع وهذا ما يتميز به المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات.

#### المطلب الثالث: الأمر بالعناية بأقارب وأصدقاء الوالدين:

لقد أوصى الإسلام ببر الوالدين في حياتهما، كما فتح باب البر حتى بعد وفاتهما وجعل من أبواب برهما صلة أقارب الوالدين، وقد جاءت السنة النبوية بتقرير هذا الحق، فروي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه"<sup>(2)</sup>.

إذاً فعناية المسلم بأقارب وأصدقاء والديه هي أحد مظاهر العناية بالمسنين، وذلك لأن صديق الوالدين في الغالب كبير السن، فعندما يقوم المسلم بصلة صديق والديه وإكرامه فهو في حقيقة الأمر قد قام برعاية المسن في المجتمع إلى جانب بره بوالديه، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) أبو حيان: البحر المحيط (282/5).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (156/16).

(3) سورة النساء: آية (36).

## المبحث الثاني

### دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن السلم

تناولنا في المطلب السابق الحديث عن تقرير القرآن الكريم لحقوق المسن في النطاق الأسري، وفي هذا المطلب سنتناول الحديث عن تقرير القرآن الكريم لحقوق المسن المسلم وغير المسلم.

في حالة السلم على النحو الآتي:

**المطلب الأول: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن المسلم في زمن السلم:**

والحديث عن هذا الحق يتلخص في ثلاث صور اذكرها على النحو الآتي:

**الصورة الأولى: عناية القرآن الكريم بالمسن المسلم من الناحية الجسمية والصحية:**

حيث تظهر بعض التغيرات المرئية على جسم الإنسان في حال تقدمه في السن وذلك مثل التجعد في الجلد وجفافه، وثقل في السمع وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام، وكذلك بطء في الحركة وترهل في بعض العضلات وتغير لون الشعر، كما أن هناك تغيرات في الجسم غير مرئية مثل ما يحدث من ضعف العظام وانخفاض حرارة الجسم نتيجة لقلة الحركة وكذلك ارتفاع ضغط الدم والسكر والضعف الجنسي<sup>(1)</sup>.

**دور القرآن الكريم في علاج هذه التغيرات:**

لقد راعى القرآن الكريم هذه التغيرات في حياة المسن المسلم في زمن السلم، وكان لذلك أثر واضح على حياته العملية، فالقرآن الكريم لم يسقط العبادات كلياً عن المسن، وكذلك لم يفرضها عليه كاملة بحيث يعجز عن أدائها، ولكنه راعى في ذلك التخفيف، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(2)</sup>.

ومثال ذلك الرخصة لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان عندما يعجز عن الصيام والإطعام عن كل يوم مسكيناً وهذا استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾<sup>(3)</sup>.

**الصورة الثانية: عناية القرآن الكريم بالمسن المسلم من الناحية الاجتماعية:**

(1) شرودر: ستيفن، طب الشيخوخة والمريض المسن، ترجمة ماجد العطار (ص6-7)، السيد: فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو (ص380).

(2) سورة البقرة: الآية (185).

(3) سورة البقرة: الآية (184).

أوضح الباحثون العديد من التغيرات الاجتماعية التي تولد للمسمن والتي من أهمها: تقلص العلاقات الاجتماعية وذلك بسبب صعوبة التنقلات مما يولد فراغاً وعزلة في حياته (المسن) وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تدهور المشاركة المجتمعية لديه (1).

#### دور القرآن الكريم في علاج هذه التغيرات:

تتلخص معالجة القرآن الكريم لهذه التغيرات من الأوامر القرآنية التي تدعو إلى احترام الكبير وتوقيره والتي ترجع في مجملها إلى الأمر بالتراحم والتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي. فالمجتمع المسلم يختلف عن المجتمعات الأخرى بروحانيته، ومبادئه، فهو يحث ويحرص على جعل أفراد متراحمين ومتعاونين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (2).

ومعنى رحماء بينهم: - الرحماء جمع رحيم، أي متوادون متعاطفون (3).

#### الصورة الثالثة: عناية القرآن الكريم بالمسن المسلم من الناحية الاقتصادية:

يواجه المسنون مشكلات اقتصادية نتيجة لكبر السن أو انخفاض المقدرة على الكسب، ويعد التقاعد في مختلف دول العالم سبباً أساسياً للمشكلات الاقتصادية للمتقاعدين خاصة إذا كان الراتب الوظيفي هو المصدر الوحيد للفرد للإنفاق على الأسرة (4).

#### دور القرآن الكريم في علاج هذه التغيرات:

لقد خطَّ القرآن الكريم في علاج هذه التغيرات منهجاً فريداً، فهو يعتبر المسن في المجتمع أمانة لدى الدولة أولاً، ولدى كل أفراد المجتمع على حد سواء، والله تعالى أمر بأداء الأمانات إلى أهلها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (5).

وهذا المنهج الذي خطه القرآن الكريم قد جاءت السنة النبوية بتوضيحه وتفسيره، وهذا ما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فلإمام راع وهو مسؤول عن رعيته) (6)، وجعل هذه

(1) الغريب عبد العزيز، المتقاعدون (ص55)، السرحان: عبد الله بن ناصر، رعاية المسنين في الإسلام (ص19).

(2) سورة الفتح: الآية (29).

(3) الجوزي: زاد المسير (7-554)، الشوكاني: فتح القدير (5/55).

(4) الغريب: عبد العزيز علي، المتقاعدون (ص63).

(5) سورة النساء: الآية (58).

(6) أخرجه البخاري (1829).

المسؤولية شاملة لكل جوانب الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهذا ما وضحه حديث رسول الله، فعن معقل بن اليسار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من عبد يسترعه الله رعاية فلم يحطها بنصحه، لم يجد رائحة الجنة)<sup>(1)</sup>.

**المطلب الثاني: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن غير المسلم في زمن السلم:**  
لا تقتصر الرعاية والعناية السابقة على المسن المسلم، بل امتدت يد الرعاية لتشمل حتى غير المسلم طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين، وهذا موقف من كثير من المواقف المستوحاة من نصوص القرآن الكريم والتي يتضح من خلال طياته أن الإسلام قد قرر للمسئ غير المسلم حقوقاً مهمة.

مرّ عمر بن الخطاب بباب قوم، وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الحاجة، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ<sup>(2)</sup> له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباؤه وخذ بيده فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ثم تلا قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**<sup>(3)</sup>. والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه البخاري (7150)، ومسلم (142).

(2) رضح له: أعطاه شيئاً ليس بالكثير، انظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (402/2).

(3) سورة التوبة: الآية (60).

(4) أبي يوسف: الخراج (ص126)، زنجويه: حميد، كتاب الأموال (170/1)، الجوزية: ابن القيم، أحكام أهل الذمة (38/1).

### المبحث الثالث

#### دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن في زمن الحرب

**المطلب الأول:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن المسلم في زمن الحرب:  
إنَّ من أهم صور عناية القرآن الكريم بالمسن المسلم في زمن الحرب وتقرير حقوقه يتمثل في الأمرين الآتيين:

1- سقوط فريضة الجهاد على المسن: وقد تقرر هذا الحق في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ

عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ

إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>(1)</sup>.

قال العلماء "ولوجوب الجهاد ست فرائض لا يجب إلا بها، متى انخرم واحد منها سقط وجوبه وهي الإسلام، والحرية، والذكورية، والبلوغ، والعقل، والاستطاعة، بصحة البدن ما يحتاج إليه المال"<sup>(2)</sup>.

2- الأجر والثواب للمسن الذي لم يشارك في الجهاد: - فعناية الإسلام بالمسنين في

حالة الحرب لا تقف عند سقوط فريضة الجهاد عنهم، بل يراعى في ذلك أيضاً

نفسية المسن المسلم لعدم مشاركته في الجهاد مع المسلمين، لأن ما منعه من

الجهاد من عذر لا يستطيع دفعه، فقد أوضح القرآن الكريم أن الأجر والثواب

حاصل لهم إذا قعدوا ولم يرحبوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون، ولهذا قال ﴿مَا

عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(3)</sup>.

وهذا ما أوضحتها السنة النبوية حيث قال الرسول ﷺ في الذين تخلفوا في غزوة

من لغزوات لأعدار لحقت بهم: "إن أوقاماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا رادياً إلا

وهم معنا فيه، حسبهم العذر"<sup>(4)</sup>.

**المطلب الثاني:** دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن غير المسلم في زمن الحرب :

(1) سورة التوبة: الآية (91).

(2) الواق: محمد بن يوسف، التاج والإكليل (538/4)، النووي، روضة الطالبين (412/7) ابن قدامة، الشيخ الكبير (8/10).

(3) سورة التوبة: الآية (91).

(4) أخرجه البخاري (2839)، ومسلم (1911).

أوضحته فيما سبق كيف اعتنى القرآن الكريم بالمسن المسلم في حالتي السلم والحرب وذلك أن الدين الإسلامي دين رحمة وتعاون وكذلك كيف قرر القرآن حقوقاً للمسن غير المسلم في زمن السلم، أما فيما يتعلق بعناية القرآن بالمسنين الكفار في زمن الحرب فلا يخلو من حالتين:

1- أن يكون لهم أثر في القتال بقوة أو رأي: فقد اتفق الفقهاء على أن الشيوخ الذين لهم أثر في القتال بأن كان لهم رأي في الحرب وقوة جاز قتلهم<sup>(1)</sup>.

وهذا ما استفاد منه قوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**<sup>(2)</sup>.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾** ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة والفلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم.

2- إذا لم يكن لهم يد أو رأي في القتال: حيث ذهب جمهور الفقهاء من الحنيفية والمالكية وأخذ قولي الشافعية والحنابلة إلى أنهم لا يقتلون. واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**<sup>(3)</sup>.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾** ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة والفلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم<sup>(4)</sup>.

---

(1) السرخسي المبسوط (29/10)، الواق: محمد بن يوسف، التاج والإكليل (543/4)، النووي، روضة الطالبين (444/7) ابن قدامة، المغني (533/1).

(2) سورة البقرة: الآية (190).

(3) سورة البقرة: الآية (190).

(4) الدمشقي: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (328/1).

## الخاتمة

- وبعد أن وفقني ربي لإتمام هذا البحث، فاني أسجل هنا أهم النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو الآتي:
- 1- اهتم القرآن الكريم بأمر المسنين في المجتمع منذ أكثر من أربعة عشر قرناً حيث اعتنى بهم في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والصحية والاقتصادية والنفسية.
  - 2- الأسرة هي نواة المجتمع، بصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد، لذا اعتنى الإسلام بجميع النواحي المتعلقة بجوانب الأسرة، والمسنون وهم أحد أفراد هذه الأسرة كانوا من ضمن أحد هذه الجوانب.
  - 3- من مظاهر عناية القرآن الكريم بالمسنين أنه قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، وجعل بر الوالدين وان كانا كافرين من أجل القربات إلى الله تعالى.
  - 4- من ضمانات القرآن الكريم لتقرير حقوق المسن في النطاق الأسري أنه -القرآن الكريم- رتبَّ على ذلك آثاراً دنيوية وأخرى أخروية تتمثل في مجملها في اعتبار بر الوالدين سبب لرضا الله ودخوله الجنة.
  - 5- بلغ اهتمام الإسلام بحقوق المسنين انه جعل من بر الوالدين في حال الكبر والشيخوخة بر أقاربهم وأصدقائهم.
  - 6- للقرآن الكريم دور بالغ الأهمية في علاج بعض التغيرات الطارئة على جسم المسن سواء كانت هذه التغيرات مرئية أو غير مرئية، وذلك من خلال تشريع الرخص التي تبيح له الإفطار في رمضان أو الصلاة قاعداً لمن لا يستطيع القيام.
  - 7- لا تقتصر رعاية القرآن الكريم لحقوق المسن المسلم، بل امتدت الرعاية لتشمل المسن غير المسلم طالما أنه يعيش يبين ظهرا في المسلمين.
  - 8- اعتنى القرآن الكريم بحقوق المسنين في حالتها السلم ولحرب على حد سواء، حيث منع القرآن الكريم من قتال من لم يقاوم المسلمين من الكفار.

### المصادر والمراجع

أولاً: القرآن وعلومه:

- 1- القرآن الكريم - كتاب الله تعالى.
- 2- القطان: مناع، (مباحث في علوم القرآن) - بيروت لبنان مؤسسة الرسالة ط12  
1983.
- 3- الصالح: صبحي، (مباحث في علوم القرآن)، ط6 بيروت - لبنان - دار العلم  
للملايين. 1969.
- 4- الصابوني: محمد علي، (البيان في علوم القرآن) عالم الكتب - ط1 1405هـ.
- 5- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي،  
(الجامع لأحكام القرآن) بيروت - لبنان دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع 1988.
- 6- أبو الحسن: محمد بن الخازن، (لباب التأويل في معاني التنزيل)، ط1 بيروت - لبنان  
دار الكتب العلمية 1950هـ.
- 7- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين  
الخصيري، (تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، بيروت - لبنان دار الفكر  
للطباعة والنشر والتوزيع.
- 8- الرازي: أبو عبد الله بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي  
البكري، (التفسير الكبير) دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- 9- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، (أسباب النزول)، ط1 القاهرة  
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده.
- 10- الزرقاني: محمد عبد العظيم، (مناهل العرفان في علوم القرآن) القاهرة  
(مصر): دار إحياء الكتب العربية، 1900.
- 11- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين  
الخصيري، (لباب النقول في أسباب النزول) - القاهرة - مصر المكتبة القيمة.
- 12- الجوزي: جمال الدين أبو لفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، (زاد  
المسير في علم التفسير)، بيروت - لبنان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.



- 13- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، بيروت- لبنان دار المعرفة.
- 14- النسفي: أبو البركات، عبد الله بن احمد بن محمود، (تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل و حقائق التأويل) الرياض (السعودية): مكتبة نزار مصطفى الباز، 2000
- 15- ابن كثير: أبو الغداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع القرشي، (تفسير القرآن العظيم) القاهرة- مصر، مكتبة دار التراث.
- ثانياً: السنة النبوية الشريفة:**
- 16- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (صحيح البخاري).
- 17- العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، (فتح البخاري بشرح صحيح البخاري)، بيروت- لبنان دار المعرفة للطباعة والنشر.
- 18- النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري، (صحيح مسلم)- القاهرة مصر - دار الحديث الشريف.
- 19- الارناؤوط: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد، (المراسيل)، بيروت- لبنان مؤسسة الرسالة.
- 20- ابن حبان: أبو حاتم محمد بن أحمد، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، بيروت- لبنان دار المعرفة للطباعة والنشر.
- 21- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، (إحياء علوم الدين)، القاهرة - مصر شركة ومطبعة مصطفى البالي الحلبي وأولاده.
- ثالثاً: كتب اللغة والمعاجم:**
- 22- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل، (لسان العرب)، القاهرة - دار المعارف.
- 23- كحالة: عمر رضا، (معجم المؤلفين) - بيروت- لبنان دار إحياء التراث العربي.
- 24- الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المغربي، (المصباح المنير)، دمشق- سوريا دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 25- أنيس: إبراهيم، (المعجم الوسيط)، متوسطة الصالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 26- الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، (لسان الميزان) - بيروت- لبنان دار ابن حزم.

- 27- النزر كلي: خير الدين، (الأعلام)، بيروت- لبنان دار العلم للملايين.
- 28- الاصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق ط5 (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) بيروت- لبنان المكتبة السلفية.
- رابعاً: كتب الفقه وأصوله:
- 29- السرخسي: أبو بكر محمد بن احمد بن سهل، (المبسوط)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان.
- 30- ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله احمد بن محمد، (المغني)، القاهرة - مصر - مكتبة الكليات الأزهرية.
- 31- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (الحاوي الكبير) بيروت- لبنان دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- 32- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، (كتاب الخراج) القاهرة - مصر المطبعة السلفية.
- 33- ابن القيم: الجوزية، (أحكام أهل الذمة)، دار العلم للملايين.
- 34- ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله احمد بن محمد، (المغني والشرح الكبير) بيروت- لبنان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 35- النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي دمشقي (روضة الطالبين وعمدة المفتين) بيروت لبنان المكتب الإسلامي.
- 36- الزحيلي : وهبة (الفقه الإسلامي و أدلته : الشامل للأدلة الشرعية و الآراء المذهبية و أهم النظريات الفقهية و تحقيق الأحاديث النبوية و تخريجها ملحقا به فهرسة الفبائية شاملة للموضوعات و المسائل الفقهية) ط4، دمشق (سوريا): دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 2004
- خامساً: الكتب المعاصرة:
- 37- طوم: محمد، (الحق في الشريعة الإسلامية)، المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة.
- 38- الدريني: فتحي، (الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده)، بيروت- لبنان مؤسسة الرسالة ط2.
- 39- أبو سنة: احمد فهمي، (الفقه الإسلامي أساس التشريع)، مطبعة الأزهر القاهرة.

- 40- الخفيف: علي، (الملكية في الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين العربية)، بيروت- لبنان دار النهضة العربية.
- 41- العبادي: عبد السلام، (الملكية في الشريعة الإسلامية)، بيروت- لبنان دار النهضة العربية.
- 42- السيد فؤاد البهي، (الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة) القاهرة - مصر - دار الفكر العربي.
- 43- شرودر: ستيفن، (طب الشيخوخة والمريض المسن)، ترجمة ماجد العطار دار القلم العربي.
- 44- السرحان: عبد الله ناصر، (رعاية المسنين في الإسلام)، مصر مجلة الأزهر.

# منحى النظم فى القرآن الكرىم

بمء مقدم إلى المؤءمر العلمى الدولى الأول  
القرآن الكرىم ودوره فى معالمة قضاىا الأمة

الذى ينظمه

مركز القرآن الكرىم والدعوة الإسلامىة  
كلىة أصول الدىن - الجامعة الإسلامىة - عنزة

تألف

أ. د. محمد عبد الفءاح عسقول  
نأب الرئىس للشئون الإءامرىة  
أ. منىر سلیمان حسن  
المدرس بقسم المناهج بالجامعة  
الإسلامىة

18، 19 ذى الحجة 1429هـ - 16، 17 دىسمبر 2008م

### ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى تحديد نشأة وتطور طبيعة أسلوب النظم، وتحديد موقع لعناصر المنظومة في القرآن الكريم، وكذلك الوقوف على موقع طبيعة أسلوب النظم في القرآن الكريم، ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي من خلال تناول الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع الدراسة واستخراج ما فيها من إعجاز خاص بمضامين ومكونات وطبيعة المنظومة التعليمية، وقد أظهرت نتائج الدراسة البعد التاريخي لنشأة وتطور أسلوب النظم، كما أظهرت أن هناك مواقع متعددة ومختلفة لمكونات عناصر المنظومة في القرآن الكريم وفيها من الإعجاز الشيء الكثير، كما وبينت النتائج أيضا أن هناك مواقع متعددة لخصائص وطبيعة أسلوب النظم في آيات القرآن الكريم، وفي ضوء النتائج التي توصل إليها الباحثان قدما مجموعة من التوصيات كان من أهمها ضرورة التأصيل الشرعي للعلوم التربوية والسلوكية، لتتسجم مع معتقداتنا الإسلامية السامية.

### Abstract

The study aimed to determine the origin and the evolution of the nature of the system approach and to locate the elements of the system in the Holy Quran. As well as, it aimed to focus on the nature style systems in the Holy Quran. In order to achieve the research targets, the researchers used descriptive analytical approach. This was by addressing the Quranic verses on the subject of the decent study and the extraction of the special miracles which are related to special contents and components and the nature of the education system. The results of the study showed the historical dimension of the origin and the evolution of the style system. They also showed that there are multiple locations and different elements of the components of the system in the Koran as well as miracles. The results also showed that there are multiple sites of the characteristics of style and the nature of systems in the states of the Koran. In the light of the researchers' results, they offered a group of the most important recommendations which was the need to root for legitimate educational and behavioral science to conform with our Islamic beliefs.

### مقدمة الدراسة :

يميل المرء عادة إلى أن يكون له إطار فكري يلوذ به ويلجأ إليه لمعالجة الكثير من الملاحظات والمشكلات، وينتمي إليه ويجد فيه ذاته ويصيغ من خلاله شخصيته التي في ملامحها تبدو معالم فكره الذي اختاره لنفسه. وإن لم يجد الفرد إطارا فكريا له تجده يسعى جاهدا إلى إيجادها أو حتى استيراده لأنه يمثل نوعا من الزاد لا يمكن الاستغناء عنه بقوة بل يدعو الآخرين ليحذوا حذوه، وهذه مؤشرات الاستعمار الحديث. ولعل انبهار الأمة بحضارة الغرب وانتشار مفاهيم الحداثة والمعاصرة قد جذب الأمة بعنف حتى انفصلت إلى حد كبير عن ماضيها وتراثها الفكري، فتمسكت بأطر فكرية وضعية، لم تنهض بالمجتمع بل زادت تراجعاً.

وتعد التربية في واقعنا العربي والإسلامي جزءا من هذه الحالة العامة، فتأثر كثير من رجال التربية بأفكار وآراء قد تتناقض كلياً أو جزئياً مع معتقداتنا أو شريعتنا، وأصبح لا يتداول على ألسنتنا إلا أسماء رجال التربية الأجانب، أمثال "ديوي، فرويد، سكر، وبياجيه"... كذلك درسنا ولا زلنا ندرس طلابنا نظريات وآراء ومبادئ تربوية ونفسية لا تتسجم مع فكرنا التربوي الإسلامي. ولو درست أفكار هؤلاء ونظرياتهم بعين ناقدة وبصيرة ثاقبة، لوجدنا فيها أفكارا إحدادية تتناقض مع ما نعتقد به. وليس الأمر متعلق برفض دراسة آرائهم وأفكارهم، بل نحن بحاجة إلى دراستها، ولكن في ظل أرضية صلبة نستطيع الوقوف عليها لنحكم بصحة هذا الرأي وخطأ ذلك. انطلاقاً مما سبق، رأى الباحثان ضرورة أن يطرقا ميدان التأصيل الشرعي لمنحى النظم في القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز فيه، لا سيما أن منحى النظم يشكل في تربيتنا المعاصرة مرحلة هامة ليس على صعيد الموقف التعليمي فحسب، بل على صعيد العملية التربوية التعليمية.

### مشكلة الدراسة :

تتحد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية :

- 1- ما نشأة وتطور وطبيعة أسلوب النظم ؟
- 2- هل يوجد موقع لعناصر المنظومة في القرآن الكريم ؟
- 3- هل يوجد موقع لطبيعة أسلوب النظم في القرآن الكريم ؟

### أهداف الدراسة :

وتهدف الدراسة إلى ما يلي:

- 1- تحديد نشأة وتطور وطبيعة أسلوب النظم.
- 2- الكشف عن مواقع لمكونات المنظومة التعليمية في القرآن الكريم.
- 3- الكشف عن مواقع لطبيعة أسلوب النظم في القرآن الكريم.

#### أهمية الدراسة :

- 1- قد تفيد الدراسة المؤصلين للعلوم التربوية.
- 2- تقدم مزيدا من التوضيح لعلم المنظومات خاصة المنظومات التعليمية.
- 3- قد تفيد الدراسة الباحثين المهتمين بالبحث بمجال الدراسة.

#### مصطلحات الدراسة :

**النظم** : مجموعة من العناصر تجمعها خصائص مشتركة ولكل منها صفاته المميزة، ولا تؤدي دورها إلا مجتمعة بالتفاعل والتداخل والتكامل ضمن إطار محدد يفضي إلى تحقيق ناتج معين ". (عسقول، 2003 : 115).

#### حدود الدراسة :

تدور هذه الدراسة حول تأصيل نظرية النظم من خلال البحث عن موقع لمكونات المنظومة التعليمية بشكلها المبسط ، والكشف عن مواقع طبيعة المنظومة التعليمية في القرآن الكريم.

#### منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تناول الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع الدراسة واستخراج ما فيها من إعجاز خاص بمضامين ومكونات وطبيعة المنظومة التعليمية.

#### إجابة السؤال الأول من الدراسة ونصه :

#### ما نشأة وتطور طبيعة أسلوب النظم ؟

إن مفهوم كلمة نظام ليس غريبا على عامة الناس فهي من الكلمات التي يتداولها الجميع في كافة النواحي وعلى كل المستويات، فهذه حركة منظمة وأخرى غير منظمة، وهذا رجل منظم في حياته، وتلك البلاد تدار بطريقة منظمة..... وهكذا. والنظام يطلق في اللغة على كل شيء ارتبط بأخر، أو ما نظمت فيه الشيء من الخيط أو غيره، والنظام هو الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ أو غيره، وهو العقد من الجوهر والخرز ونحوهما. (ابن منظور : 677).

- ولو تتبعنا أصول مفهوم النظم لوجدنا أنها ممتدة في عمق التاريخ، حيث بدأ الإنسان علاقته بالبيئة، وأنه موجود فيما يطلق عليه النموذج الايكولوجي، أي أن الأشياء يتصل كل منها بالآخر بحيث يتصل بعضها ببعض بطريقة دينامية.
- وتعتبر فلسفة النظم قديمة فقد وردت عند " أفلاطون" ومن تلاه حتى " وايتهد " من فلاسفة العصر الحديث. وقد تعرض "هيجل" في فلسفته للنظم، وكتب "برادلي" في القرن التاسع عشر عن العلاقات الداخلية للعناصر، وقد ذكر "الهيغيلون" أن الكل أكبر من الجزء وأن الكل يتحكم في طبيعة الأجزاء، وأنها لا تفهم بمعزل عن الكل وأنها كذلك متفاعلة وديناميكية. (جابر وعبد الرازق، 1987 : 380).
- ويعتبر البيولوجي "برتلانفي" أحد الذين أرسو قواعد وأساسيات النظرية العامة للنظم من خلال مؤلفاته العديدة والتي بدأت في الثلاثينيات من القرن السابق، وقد وضع إطارا عاما في هذه الدراسات يؤكد فيه على ضرورة اعتبار الكائن الحي كلا متكاملا أو نظاما معينا يتكون من نظم صغرى أو نظم فرعية.
- وفي الأساس ترجع نشأة أسلوب النظم إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، عندما استخدمه الجيش الأمريكي فيما عرف باسم (بحوث العمليات)، ومن هنا انتقل إلى الميادين الأخرى، بيد أن الاهتمام به في التعليم بدأ مؤخرا، وبدأ بصورة واضحة منذ العقد السادس من القرن العشرين، وكان ذلك على يد عالم الاقتصاد "بولدنج" (Bolding) "وبكلى" (Buckly) عالم الاجتماع، وجاء هذا الاهتمام نتيجة لتزايد الاهتمام في التعليم ونظمه من ناحية، وتركيز الاهتمام على اقتصاديات التعليم من ناحية أخرى. (عميرة، 2002)، حيث اثبت مدخل النظم فاعلية في مجال تصميم الأنظمة التكنولوجية في المجال العسكري الصناعي ولذلك استفاد منه التربويون من خلال الاهتمام بالتغذية الراجعة للاتصال والتخطيط ذي المدى الواسع والتفاعل بين الأنظمة الفرعية وغيرها (زيتون 2002)، وقد وردت عشرات التعريفات لمصطلح النظام في العديد من الكتب نورد بعضها على النحو الآتي :
- \* " أعضاء مصممة بإحكام بحيث تؤدي مكوناتها المتداخلة والمتفاعلة وظيفتها في شكل متكامل لتحقيق أغراض محددة ". (زاهر واسكندر، 1984).
- \* " النظام تجمع لعناصر أو وحدات تتحد على شكل أو آخر من أشكال التفاعل المنظم والاعتماد المتبادل " (جابر وعبد الرازق، 1978).



\* وىعرف النظام بأنه " الكل المنظم والمركب الذى ىجمع وىربط بىن أشياء أو أجزاء تشكل فى مجموعها تركىبا موحدا، وتلك الأجزاء التى ىتكون منها النظام تنظم فى علاقات متبادلة بىث لا ىمكن عزل أحدها عن الآخر، ومع ذلك ىحتفظ بذاتىته وخصائصه إلا أنها فى النهایة تشكل جزءا من كل متكامل " (علیان والدبس، 1999 : 281).

\* وهناك من یرى أن النظام عبارة عن " خطة عامة لعملية تتكون من عدة عمليات فرعية متفاعلة ومتتابعة تعتمد على بعضها البعض وتتسم بالتعدىل والانتظام الذاتى لتحقىق هدف محدد أو مجموعة أهداف ". (الجزار، 1993 : 35).

وبالنظر إلى التعرىفات السابقة نجد أن النظام ىعنى : (الحیلة، 1999 : 85).

- مجموعة من الأجزاء تشكل عناصر النظام.
- مجموعة من العلاقات المتبادلة بىن هذه العناصر وهذه العلاقات هى التى تحدد سلوك النظام.
- إطار ىجمع بىن العناصر وتلك العلاقات فى كىان واحد و ىسمى هذا الإطار حدود النظام.
- وىبنى الباحثان التعرىف الآتى لعله ىساهم فى مزىد من توضىح مفهوم النظام : " مجموعة من العناصر تجمعها خصائص مشتركة ولكل منها صفاته الممىزة، ولا تؤدى دورها إلا مجتمعة بالتفاعل والتداخل والتكامل ضمن لإطار محدد ىفضى إلى تحقىق ناتج معىن ". (عسقول، 2003 : 115).

#### ❖ خصائص النظام :

- تتميز عناصر النظام عن بعضها البعض بطبیعة الوظائف التى ىقوم بها كل عنصر من العناصر على الرغم من وجود علاقات معقدة بىنها.
- تترابط عناصر النظام وتتكامل لذا لا تدرس هذه العناصر إلا فى إطار الكل المتكامل. (علیان والدبس، 1999 : 283).
- لكل نظام كىان خاص وله حدود تمیزه عن البیئة التى ىعیش فیها، وإن كل عناصر وأجزاء النظام تقع داخل هذه الحدود، فىما ىسمى كل ما هو خارج هذه الحدود بىئة النظام. (سلامة، 1998 : 31).
- تخضع العلاقات المتبادلة بىن العناصر إلى قوانىن منطقىة أو ریاضىة ولىس عشوائىة. (عسقول، 2003 : 115).
- ىشمل كل نظام على مدخلات ونواتج وعمليات. (خمیس، 2003 : 9).
- تكون النظم مغلقة أو مفتوحة وىكون النظام المفتوح فى حركة دىنامىكىة مستمرة.

- يتصف النظام بالمرونة والقابلية للمراجعة والتعديل. (سلامة، 1998 : 32). -
- يحتاج كل نظام إلى إدارة تقوم بالتخطيط والضبط والمراقبة. (عليان والسديس، 1999 : 283).
- مدخلات النظام هي أساس عمل النظام واستمراره فلولها لاندثر النظام بعد فترة من الزمن. (سلامة، 1998 : 32).
- وعليه يمكن أن ننظر إلى النظام بأنه أي نشاط كلي أو جزئي يطبق عليه أسلوب النظم، وعند تطبيقه نجد أنفسنا مطالبين بما يلي :-
- 1- وضع خطة لأي نشاط نريد ممارسته بما تشمل من عناصر أولها الأهداف.
  - 2- تطبيق الخطة في خطوات منظمة كل واحدة تؤدي للأخرى.
  - 3- ضرورة أن يكون هذا النظام منتجا ولا تتضح ملامح ذلك إلا بتحقيق الأهداف، ويمكن أن تستخدم في هذا الخصوص مصطلح منظومة بدلا من نظام كأن نقول مثلا : منظومة المصنع بدل المصنع كنظام، أو منظومة الموقف التعليمي بدل الموقف التعليمي كنظام.

#### ❖ طبيعة أسلوب النظم :

- والذي يعنينا هنا النظم المفتوحة وهي / " تلك النظم القادرة على إقامة علاقة على درجة عالية من التفاعل مع الوسط المحيط بالتأثر والتأثير " (عسقول، 2003 : 120).
- وهذه النظم لها طبيعة خاصة وتمتاز بمجموعة من الخصائص منها : (سلامة، 2002 : 138-139).
- \* **المرونة** : أي أن النظام لديه القدرة على التفاعل مع البيئة والقابلية للمراجعة والتعديل، وكلما استجاب النظام لكافة متطلبات التحسين والتطوير كلما كان أكثر مرونة.
- \* **البقاء** : إن صفة البقاء ترتبط إلى حد كبير بالمرونة، فكلما كان النظام قادرا على مواجهة التغيرات ومستجيبا لمتطلباتها كان أقدر على البقاء والاستمرار.
- \* **ترابط الأجزاء وتكاملها** : إن الترابط والتكامل بين عناصر النظام ضروري بغض النظر عن نوع النظام، ولكن النظم المفتوحة تحتاج إلى درجة عالية من الترابط بين الأجزاء حتى تكون هناك علاقة محكمة مع الوسط المحيط.
- \* **استمرارية النشاط ودوريته** : إن استمرارية النشاط يؤدي إلى تغذية راجعة مستمرة وأعمال تحسين وتطوير للنظام بشكل دوري.
- \* **الاتجاه إلى التمايز والاختلاف** : إن استمرارية النظام وتطور حركته يتيح له فرص الحصول على مزايا تفوق ما يحصل عليه غيره من النظم.

\* التوازن : وينظر إليه من جانبين :

الأول : التوازن بين عناصر النظام، أي التوافق بينهما بدون تناقضات.

الثاني : التوازن بين النظام والبيئة أي الانسجام بين عناصر النظام من ناحية والوسط المحيط من ناحية أخرى.

\* الأنشطة التحويلية : وتهدف إلى تحويل الطاقات والموارد إلى مخرجات على شكل قيم ومنتجات تمثل الناتج الذي يصدر عن النظام ويتوجه إلى المجتمع مرة أخرى.

\* الاعتمادية : أي أن النظام يعتمد على الوسط المحيط من جانبين :

الأول : يستمد مدخلاته من المجتمع.

الثاني : يحرص على تحقيق درجة عالية من التفاعل معه.

إجابة السؤال الثاني من الدراسة ونصه :

هل يوجد موقع لمكونات المنظومة في القرآن الكريم ؟

تتكون المنظومة التعليمية من مجموعة من العناصر التي تحكمها علاقات التأثير والتأثر لكي يتحقق الناتج المطلوب، وسنتناول في هذه الدراسة الحديث عن مكونات المنظومة والذي يتكون من عدة عناصر هي : المدخلات، العمليات، المخرجات، التغذية الراجعة، والبيئة.

وهنا نؤكد أن هناك مواقع كثيرة في القرآن الكريم تعرض مواقف تعليمية شملت مكونات المنظومة وأول هذه المكونات :

أولاً: المدخلات

" وهي مجموعة العناصر التي تتدخل بداية في المنظومة ولها دورها في تحقيق الناتج ".(عسقول، 2003 : 116).

ومن المواقف التعليمية في القرآن الكريم والتي تناولت المدخلات كعنصر من عناصر المنظوم :

\* " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (البقرة: 259).

إن هذه الآيات تعكس منظومة تعليمية تشتمل على مجموعة من العناصر تشكل في مجملها مدخلات هذه المنظومة، ومن الجدير ذكره أن مدخلات المنظومة يمكن تصنيفها إلى :

1- **مدخلات بشرية** : وتمثلت في الآيات السابقة في المتعلم / وهو نبي الله العزيز عليه السلام.

2- **مدخلات مادية** : وجاءت في الآيات على صورة وسائل مجتمعة لتحقيق الهدف من الموقف ومنها :

- جسم العزيز عليه السلام، فقد جاء في التفسير أنه كان ينظر إلى جسمه وهو يحيى من جديد، (ابن كثير، م1 : 314).

- القرية الخربة التي مرّ عليها العزيز عليه السلام وتساءل كيف يحيى الله هذه القرية من جديد، فأراد الله أن يعلمه بالخبرة المباشرة فأماته مائة عام وبعدها أحياء فرأى القرية وكأنها جنة.

- علاوة لما سبق من وسائل نجد في الآيات أيضا أن هناك وسائل مرافقة تساهم أيضا في تحقيق الهدف التعليمي مثل، الطعام والشراب، والحمار الذي كان لسيدنا العزيز عليه السلام، حيث رآه العزيز وهو يحيى من جديد لتأكيد التعلم، وتنوع الوسائل هنا إنما جاء ليؤكد الهدف التعليمي وهو ما يطلق عليه اليوم في علم التربية وتكنولوجيا التعليم الوسائل المتعددة.

3- **مدخلات معنوية** : تجسدت في الهدف التعليمي للموقف القرآني وهو / أن يصدق المتعلم بأن الله قادر على إحياء الميت، وينتمي هذا الهدف إلى المجال الوجداني (الانفعالي).

وبنظرة فاحصة نجد أن مدخلات هذه المنظومة التعليمية القرآنية المتعددة والمتداخلة والمتفاعلة كان لها دورها في تحقيق النجاح وهو الهدف التعليمي الذي بيناه سابقا وذلك لم يكن ليتحقق لولا الحكمة الإلهية والتخطيط الدقيق للموقف وهنا يبرز الإعجاز القرآني في بيان هذه الجوانب التي يجب مراعاتها عند اختيار مدخلات المنظومة والتي منها:

أ- توفر مستوى مرتفع من التفاعل بين المنظومة والبيئة :

وهو ما سنتناوله عند الحديث عن العنصر الخامس من عناصر المنظومة والمتعلق بالبيئة.

ب- اختيار المدخلات التي تناسب المنظومة بدقة وعملية :

إن المدقق في مدخلات المنظومة التعليمية التي تعرضها الآيات الكريمة السابقة يلمس الإعجاز والقدرة الإلهية في اختيار المدخلات لتناسب المنظومة حيث أن جميع هذه العناصر جاءت مجتمعة لتحقيق هدفا تعليميا واحدا وقد تحقق بالفعل، ومن الدقة العلمية في اختيار المدخلات نلمسها قد تجسدت في اختيار الوسيلة التعليمية والتي جاءت ضمن الخبرات الواقعية المباشرة لتكون أعظم تأثيرا في المتعلم وذلك لكونه يمر بنفسه بالخبرة المباشرة وهذا ما حدث مع العزيز عليه السلام.

ومن الإعجاز العلمي في الاختيار العلمي الدقيق للوسائل التعليمية رغم تعددها فيما يعرف حديثا " بالوسائل المتعددة " والتي تخدم هدفا تعليميا واحدا أن هذه الوسائل أكدت على تماسك الخبرات لتحقيق الهدف بتوجيه من الله سبحانه وتعالى في الآيات "حيث انه جدير بالمعلم أن يقوم تلاميذه بتوجيه منه باكتشاف العلاقات بين عناصر الدرس المختلفة التي يمرون بها، لكي يصلوا إلى مدركات أوسع وفهم أعمق وتعميمات اشمل فيما يختص بالهدف " (بدران وآخرون، 1959:45)، وقد تجلى ذلك في قول العزيز " فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".

ومن الإعجاز العلمي في المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات والمتعلق بالوسائل التعليمية أن هذه الوسائل جاءت لتؤكد على أهميتها بالنسبة للتعليم والتعلم خاصة في مجال التعلم الذاتي حيث أن الوسائل المتعددة تعتبر تكنولوجيا قابلة لإدارة عمليات التعليم المختلفة، إذ يمكنها استثارة دافعية المتعلمين للتعلم، ومراجعة التعلم السابق، وتقديم التعلم الجديد، كما توجه التعلم وتقدم الأنشطة والتدريبات المناسبة، لذا فهي تصلح أن تكون منظومات تعليمية كاملة للتعليم الفردي". (خميس، 2003:144).

#### ثانياً : العمليات

"وهي الحركة التي تتمخض عن سلسلة من عمليات التأثير والتأثير بين عناصر المنظومة وتكون مؤشراً لارتفاع كفاءتها وتساهم في رفع مستوى النواتج" (عسقول، 2003، 117). وتتأثر العمليات بالعوامل الآتية:

- مدى الدافعية التي تتوفر لدى العنصر البشري في المنظومة نحو العمل.
- مدى الانسجام بين عناصر المداخلات في المنظومة.
- قوة الترابط بين عناصر المنظومة.

والعمليات باعتبارها العنصر الثاني من العناصر المكونة للمنظومة نجد لها موقعا أيضاً في القرآن الكريم وبذات الإعجاز الذي كان في مدخلات المنظومة كما أسلفنا، وتتجسد العمليات في المنظومة التعليمية للآيات السابقة من القرآن الكريم في حركة التأثير

والتأثر والتي كانت واضحة في الموقف الذي مرّ به العزيز عليه السلام وذلك حين أحياء الله بعد مائة عام ليجد أن القرية التي تساعل كيف يحيها الله قد تحولت إلى جنة، فيتأثر لذلك ولكن التأثير يزداد عندما ينظر إلى جسمه وهو يحيى من جديد (ابن كثير، م1: 314) وأي تأثير أعظم في النفس من أن يرى الإنسان جسمه وهو ينمو ويبعث من جديد....!! ويشد التأثير والتأثير بين عناصر الموقف بعد ذلك ولنلمس الإعجاز القرآني ولكن هذه المرة في حركة التأثير والتأثير بين المتعلم (العزيز عليه السلام) وبين الوسائل المرافقة التي جاءت لتؤكد تحقيق الهدف فقد جاء عن المفسرين أنه عليه السلام شاهد حماره وهو يحيى من جديد ورأى طعامه وشرابه لم يتغير ولم يفسد منهما شيئاً رغم عشرات السنين التي مرت عليهما... فسبحان الله العظيم (ابن كثير، م1، 314)، وب نظرة فاحصة إلى الموقف التعليمي ككل نلمس أن حركة التأثير والتأثير بين عناصر المنظومة كانت على درجة عالية بدليل الانسجام الواضح بين عناصر المنظومة من متعلم ووسيلة تعليمية وهدف تعليمي وما أعظمه من إعجاز قرآني أن تتوالى العروض التعليمية أمام المتعلم (العزيز عليه السلام) فمن إحياء القرية إلى إحياء جسمه ثم إحياء حماره، ثم طعامه وشرابه، وكل وسائل العروض هذه جاءت منسجمة مع الهدف ومترابطة فيما بينها لتساهم في تحقيق الهدف فقال عليه السلام: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة: 259).

**ثالثاً: المخرجات** وهي مجموعة النواتج التي تتم نتيجة لعمليات التفاعل بين عناصر المنظومة وترتبط بأهدافها" (عسقول، 2003 : 118).

وتتأثر المخرجات بمجموعة من العوامل من أهمها :

- اختيار المدخلات المناسبة.
  - مستوى التفاعل بين عناصر المنظومة.
  - الظروف التي تمكن العناصر من أداء أدوارها بأعلى كفاءة.
- و من الجدير ذكره في هذا السياق أنه قد يترتب على عمليات المنظومة مخرجات بشرية أو مادية أو معنوية أو مزدوجة.

ولقد تجسدت مخرجات نواتج المنظومة التعليمية في الآيات السابقة في صورة الهدف التعليمي للمنظومة وهو : أن يصدق المتعلم بأن الله قادر على إحياء الميت، وينتمي هذا الهدف للمجال الوجداني الانفعالي، وهو من المدخلات المعنوية للمنظومة بداية، ومن المخرجات المعنوية لها نهاية. لذلك قال العزيز عليه السلام : " أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

#### رابعاً : التغذية الراجعة

" وتعني تلك الإجراءات التي تتبني على المعلومات الواردة من المخرجات والتي تشير إلى مستوى تحقيق الأهداف، فتؤدي إلى إعادة النظر في كافة عناصر المنظومة من أجل الوقوف على جوانب القصور ومن ثم تعديلها " (عسقول، 2003 : 119). ولعله من أشد ما يلفت الانتباه في الآيات أنها تضمنت رجعا للموقف التعليمي، حيث أن الحكم على الموقف التعليمي يرتبط بمدى تحقيقه للهدف التعليمي الذي جاء من أجله، والواضح من المنظومة التعليمية في الآيات وبما جاء فيها من مدخلات مناسبة سبق لنا الحديث عنها، وما جاء فيها أيضا من سلسلة من عمليات التأثير والتأثر بين مدخلات المنظومة والتي سبق لنا الحديث عنها أيضا، أن هذه المدخلات أثرت في المتعلم وهو (العزير عليه السلام) وحققت هدفها والذي هو بمثابة مخرجات المنظومة التعليمية للآيات فقال العزير عليه السلام : " أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ". ونلمس أيضا دور التغذية الراجعة في الموقف الذي تعرضه الآيات فيما يعرف في علم تكنولوجيا التعليم بـ **تقويم الوسيلة** حيث أنه من أشد ما يلفت الانتباه في الآيات السابقة أنها تضمنت تقويما للموقف التعليمي وللوسيلة التعليمية المستخدمة، حيث أن الحكم على مدى فعالية الوسيلة يرتبط بمدى تحقيقها للهدف التعليمي الذي استخدمت من أجله، ويبدو واضحا أن هذه الوسيلة بما رافقها من وسائل متعددة قد حققت هدفها، وأثرت في المتعلم مما دفعه للقول " " أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " فسبحان الله رب العالمين علم الإنسان ما لم يعلم.

#### خامساً : البيئة

وهي " مجموعة الظروف التي تؤثر في عناصر المنظومة إيجابا أو سلبا، فتؤدي إلى زيادة أو نقص في منتجات المنظومة" (عسقول، 2003 : 118)، ويمكن للبيئة أن تقسم إلى قسمين هما :

(أ) **البيئة الداخلية**/ وهي مجموعة الظروف التي تتحرك فيها عناصر المنظومة أثناء قيامها بعملياتها ومهامها سواء كانت هذه الظروف طبيعية من درجة حرارة وتهوية وإضاءة و غيرها، أو نفسية تعلق بمدى ارتياح العناصر البشرية أثناء عمل المنظومة ورضاهم عن كل ما يتعلق بمجال عملهم.

وفي المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات السابقة نجد أن هناك مستوى مرتفع من التفاعل بين المنظومة والبيئة الداخلية وليس أدل على ذلك من أن العزير عليه السلام عندما أحياء الله رأى القرية وكأنها جنة بعد ما كانت خرابا كما جاء في تفسير ابن كثير والجنة هنا كلمة شاملة لكل عناصر الجمال والخير في الطبيعة من هواء

وإضاءة وتهوية ودرجة حرارة ونحوها..... أما بالنسبة للأمور النفسية التي تتعلق بمدى ارتياح العناصر البشرية أثناء عمل المنظومة فليس أدل على ذلك من الراحة النفسية التي كان يتمتع بها نبي الله العزيز عليه السلام ويتضح ذلك من قوله : "فلما تبين قال اعلم أن الله على كل شيء قدير"، وهنا تحول العلم عند نبي الله العزيز إلى علم اليقين.

(ب) **البيئة الخارجية/** وهي الوسط المحيط بالمنظومة ولا نستطيع أن نفصل نشاط أي منظومة عن الوسط المحيط بها لأن العناصر البشرية التي تعمل ضمن هذه المنظومة قادمة من البيئة الخارجية بكل ظروفها النفسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها فإذا كانت هذه الظروف محاطة ببعض المشاكل فستعكس على أدائها.

والبيئة الخارجية في المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات السابقة الذكر هي القرية الخربة التي أحبيبت من جديد أمام عين العزيز عليه السلام والتفاعل بينه وبين البيئة الخارجية وعناصر المنظومة التعليمية في الآيات تفاعل مرتفع جدا حيث أن عناصر هذه المنظومة جميعا كانت من نفس بيئة المتعلم بل هي البيئة كلها التي تحيط بالمتعلم وهنا تأكيد على التعلم بالخبرة المباشرة والتي تعد من أفضل أشكال التعلم حيث أن معظم علماء النفس يعتقدون أن الخبرات المباشرة مع الواقع البشري والأشياء هي مصادر التعلم الرئيسة (المفتوحة، 1995:73).

• " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ". (سبأ 14):

#### أولاً: المدخلات

إن هذا الموقف التعليمي يعرض درساً واقعياً مباشراً للجن حتى يتيقنوا أنهم لا يعلمون الغيب ولقد جاء هذا الموقف في صورة منظومة تعليمية متكاملة فكانت مدخلاته :

- 1- المتعلم / وهم الجن.
- 2- الهدف التعليمي / أن تدرك الجن أنهم لا يعلمون الغيب وهو هدف ينتمي إلى المجال المعرفي.
- 3- الوسيلة التعليمية وتمثلت في :  
أ- موت سيدنا سليمان عليه السلام وهو متكئ على عصاه مما دفع الجن للظن أنه ليس ميتاً.



ب- دابة الأرض (سوسة الخشب).

إن لهذه المنظومة التعليمية التي عكستها الآيات إعجاز عظيم يؤكد على أصالة نظرية النظم وأهميتها فمن الواضح من الآيات أن مدخلات هذه المنظومة التعليمية جاءت متعددة ومتداخلة فيما بينها لتخدم الهدف التعليمي وقد تحقق هذا الهدف بالفعل كما بينا وما كان له أن يتحقق لولا الدقة العلمية في اختيار مدخلات الموقف التعليمي وعناصره وهنا يتجلى الإعجاز الرباني في اختيار المدخلات للموقف التعليمي، وأوجه الإعجاز في الموقف السابق جاءت في اختيار الوسيلة التعليمية لتخدم الهدف التعليمي حيث كان الارتباط قوياً بين الوسيلة والهدف فالمعلومات والخبرات التي قدمتها الوسيلة إنما جاءت لتخدم محتوى الهدف التعليمي.

ومن الدقة العلمية في اختيار مدخلات النظام نجد أن الإعجاز القرآني يتجلى في وصف هذه الدقة عند اختيار الله سبحانه وتعالى لجزء من الوسيلة التعليمية والمتمثل بدابة الأرض التي كانت سبباً في سقوط سيدنا سليمان عليه السلام، حيث إن استخدام الله تعالى لمخلوق ضعيف مثل الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب لإشارة واضحة على مدى جهل الجن بعلم الغيب حيث إن الفترة الزمنية التي تحتاجها الأرضة لتأكل العصا فترة زمنية طويلة كانت في القصة سنة كاملة وخلال هذه السنة لم تتمكن الجن من معرفة موت سيدنا سليمان عليه السلام ومكثوا سنة كاملة وهم يعملون الأعمال الشاقة خوفاً منه، (الصابوني، م 2: 541)، فلو كان الجن يعلم عن الغيب شيئاً لكان من الأولى أن يرى الأرضة وهي تأكل العصا لسنة كاملة بدلاً من أن يدعي علم الغيب المطلق.

#### ثانياً : العمليات

إن تصور الموقف التعليمي الذي تعكسه الآيات يؤكد أن العمليات جزء هام من مكونات أي منظومة تعليمية فهي هو سليمان عليه السلام يقف في المحراب يصلي متوكئاً على عصاه فيموت ويمكن على حاله سنةً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه فيسقط عليه السلام على الأرض فيعلمون حينها بموته (الصابوني، م 2: 549) وما أجمله من إعجاز قرآني في لفظه تعالى "منسأته".

والمنسأة : هي العصا وسميت بذلك لأنه ينسأ بها أي يطرد و يزجر... وفي هذا إشارة واضحة إلى مدى تأثير هذه العصا والوقفه لسليمان عليه السلام على المتعلمين وهم الجن، وهذا ما زاد من الدافعية لدى المتعلمين (الجن) داخل المنظومة ودفعهم نحو العمل والاجتهاد حتى يتحقق الهدف وهذا ما كان بالفعل، فالمتعلمون مكثوا في جد واجتهاد

ودافعية عالية لسنة كاملة بلا كل ولا مل حتى انتهى الموقف التعليمي بانتهاء الوسيلة من تحقيق الهدف التعليمي وكأننا بعدها أمام معلم في الفصل العادي يقوم بإغلاق الدرس مع طلابه طارحاً سؤاله ماذا تعلمنا من هذا الدرس؟ لتكون الإجابة موجهة نحو الهدف: " فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " (سبأ:14)، فسبحان الله العظيم.

### ثالثاً: المخرجات

إن مخرجات المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات الكريمة تجسدت في صورة الهدف التعليمي الذي تحقق في نهاية عمل المنظومة وهو: أن تدرك الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وهو هدف ينتمي للمجال المعرفي. ودليل تحقق هذا الهدف قوله تعالى: " فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " .

ومن الجدير ذكره أن هذه المخرجات لم تأتي بهذه الدرجة من الكفاءة والفاعلية والتي نقرأها في تحقيق الهدف، لولا الاختيار الدقيق والمناسب للمدخلات، ولولا المستوى العالي للتفاعل بين عناصر المنظومة في ظروف متميزة ومناسبة مكنت العناصر من أداء دورها بأعلى كفاءة وفاعلية مما كان مؤشرا واضحا على كفاءة المخرجات وفعاليتها.

### رابعاً: التغذية الراجعة

إن من الواضح الجلي في الموقف القرآني الذي تعكسه الآيات أن للتغذية الراجعة دورها الهام في الإشارة إلى مستوى تحقيق الأهداف في منظومة الموقف، ولقد كان هذا المستوى على درجة عالية من الكفاءة، ويكفي في هذا الخصوص تتبع دور الرجوع والمتعلق بالوسيلة ليظهر أثرها واضحا في تحقق الهدف والإشارة إلى مستوى تحقيقه، فقد جاءت وسيلة الهدف وهي موت سيدنا سليمان عليه السلام وهو متكئ على عصاه منسجمة مع الهدف مما دفع الجن لتظن أنه ليس ميتاً، واستمروا في الخدمة حوله عاماً كاملاً قبل أن يسقط على الأرض فأدركت الجن من خلال هذه الخدمة المباشرة أنهم لا يعلمون الغيب فتحقق الهدف وهذا ما أكدته قول الله تعالى: " فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " (سبأ، 14).

### خامساً: البيئة

ومن الإعجاز العلمي للمنظومة التعليمية في الآيات أنها جاءت أيضاً لتؤكد على ضرورة توفر مستوى مرتفع من التفاعل بين المنظومة والبيئة ولقد كان هذا المستوى واضحا وجلياً وعلى درجة عالية من التفاعل، فعلى صعيد البيئة الداخلية نجد أن عناصر المنظومة كانت تعمل في ظروف طبيعية جداً تتفق مع الظروف التي تضمن للأرض أن

تعمل عملها الطبيعي في أكل الخشب وتسوسه وتستمر هذه الظروف الفترة الطبيعية لها مما يؤكد على توفر بيئة داخلية سليمة، أما الظروف النفسية فقد كانت واضحة بدليل أن الجن ما زالوا يواصلون أعمالهم الشاقة بلا كلل ولا ملل طوال العام الكامل وهذا دليل على توفر العوامل النفسية لديهم، أما البيئة الخارجية فكانت واضحة في موت سليمان عليه السلام.

\* " قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ \* فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ". (الأنبياء: 62-65).

#### أولاً: المدخلات

إن هذه المنظومة التعليمية القرآنية تؤكد وبشكل واضح على أهمية النظرة المنظومية للمواقف التعليمية من حيث شمولها لكل عناصر المنظومة وتفاعلها من أجل تحقيق هدف المنظومة فالواضح من الآيات أن مدخلات هذه المنظومة التعليمية شملت العناصر الآتية: -

- 1- المعلم / وهو إبراهيم عليه السلام. (وهو من المدخلات البشرية).
- 2- المتعلم / وهم قوم إبراهيم عليه السلام. (وهو من المدخلات البشرية).
- 3- الهدف التعليمي / أن يدرك قوم إبراهيم حقيقة الصنم، وينتهي هذا الهدف إلى المجال المعرفي. (وهو من المدخلات المعنوية).
- 4- الوسيلة التعليمية / الأصنام، والفأس. (وهي من المدخلات المادية).

إن هذا الموقف التعليمي المنظومي بكل عناصره يعكس إجازاً قرآنياً فريداً من خلال مدخلات هذا الموقف والتي جاءت منسجمة لتؤكد على ضرورة اختيار المدخلات التي تناسب المنظومة بدقة وعلمية، فبنظرة فاحصة إلى مدخلات هذه المنظومة نجد أن اختيار الوسيلة التعليمية جاء مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالهدف التعليمي، فاختيار إبراهيم عليه السلام للأصنام وتحطيمها إلا كبيرهم كان اختياراً علمياً دقيقاً وموفقاً يتناسب مع خصائص المتعلمين ومعتقداتهم (قومه عليه السلام)، حيث كانوا يعبدون الأصنام بغير وجه حق، " ولم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال " (ابن كثير، م 2، 511).

وحين بين لهم إبراهيم عليه السلام أن هذا خطأ في معتقدتهم ومعتقد آبائهم من

قبلهم

" قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " (الأنبياء، 54) ، استفسر قومه منه فيما إذا كان جاد فيما يقول أو من اللاعبين وهل قوله حق أم مزاج ؟ " قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ

مِنَ النَّاعِبِينَ " (الأنبياء :55)، وفي هذا استعظام لإنكاره عليهم، واستبعاد أن يكون ما هم عليه ضلالاً، وجوزوا أن ما قاله على سبيل المزاح لا الجد (الصابوني، م 2 : 266)، ولذلك أراد إبراهيم عليه السلام أن يعلم قومه حقيقة الصنم الذي يعبدون من خلال الخبرة المباشرة فاختر الصنم ليكون وسيلة تعليمية، حيث أمر قومه عندما سأله : " قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " (الأنبياء، 62، 63).

أي قال إبراهيم بل حطمها الصنم الكبير لأنه غضب أن تعبدوا معه هذه الصغار فكسرها، والغرض إقامة الحجة عليهم ولهذا قال : " فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " أي أسألوا هذه الأصنام من كسرها ؟ قال القرطبي : والكلام خرج مخرج التعريض وذلك لأنهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله. (الصابوني، م 2، 267).

ونرى هنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد نجح في إقامة الحجة على قومه حين ذهبوا للأصنام ليسألوهم وحينها " فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ " (الأنبياء، 64). أي رجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم وأثبتوا بأنفسهم وأقروا أن هذه الأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تعقل ولا تتكلم ولذلك لا تستحق العبادة، وهنا نجد أن الهدف من المنظومة التعليمية قد تحقق رغم أن قوم إبراهيم عادوا إلى المكابرة والعناد والكفر.

#### ثانياً: العمليات

يمكننا بالرجوع إلى عناصر هذه المنظومة التعليمية والتي تحدثنا عنها سابقاً في المدخلات لهذه المنظومة أن نتخيل ونتصور عظمة الإعجاز القرآني في وصف الحركة الناتجة عن عمليات التأثير والتأثر بين هذه العناصر وكيف أن هذا الوصف يعطي مؤشراً لارتفاع مستوى تحقيق الهدف التعليمي من المنظومة وهذا ما يقصد به بالعمليات وهي العنصر الثاني من عناصر المنظومة التعليمية. وفي هذا الموقف التعليمي الذي تعكسه الآيات والذي بدأ فعلياً قبل أن يطرح قوم إبراهيم عليه السلام سؤالهم عليه والذي بدأت به الآيات، فبدايته بدأت مع بداية الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وبين والده أزر الذي كان يصنع الأصنام ويعبدها وبييعها للناس لعبادتها وينتهي الموقف بانتهاج المعلم (إبراهيم) عليه السلام من درسه بعد أن حقق هدفه من الموقف الكلي كما بينا سابقاً... وبما أن الهدف من الدرس أو الموقف التعليمي قد تحقق ففي هذا دلالة واضحة على قوة عمليات التأثير والتأثير بين عناصر الموقف... وأي تأثير وتأثر أقوى من أن يجد الناس آلهتهم التي يعبدونها قد

تكسرت وأصبحت حطاماً؟! ثم أي تأثير هذا الذي يتركه الصنم الأكبر والوحيد الذي لم يكسر والفأس في يده؟!  
إن من شأن هذين المشهدين أن يزيدا من دافعية المتعلمين نحو التعلم وتحقيق الهدف وقد بدأ هذا واضحاً من الغضبة التي غضبها قوم إبراهيم عندما رأوا آلهتهم وهي مكسرة فقالوا :

" قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمُ " (الأنبياء : 59).

قال المفسرون : في الكلام محذوف تقديره : فلما رجعوا من عيدهم (أي قوم إبراهيم عليه السلام) ونظروا إلى آلهتهم ورأوا ما فعل بها قالوا على جهة البحث والإنكار والتشنيع والتوبيخ، إن من حطم هذه الآلهة لشديد الظلم عظيم الجرم لجراسته على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوفير. (الصابوني، م2: 267).

ومن الأعجاز القرآني في عمليات هذه المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات الكريمة قوة الانسجام بين عناصر المداخلات في المنظومة... هذا الانسجام الذي تتوج في الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام (المعلم) وقومه (المتعلمون)، وما استخدمه إبراهيم عليه السلام من وسائل تعليمية تدعم كلامه وطرحه للأمور والأخذ بيد المتعلمين (قومه) إلى تحقيق الهدف من المنظومة التعليمية... فاختيار الوسيلة جاء منسجماً مع الهدف ومرتبباً ارتباطاً وثيقاً بها، فالوسيلة كانت الأصنام المحطمة والصنم الكبير والفأس في يده والهدف هو أن يدرك قوم إبراهيم حقيقة الصنم... فلنا أن نتخيل الانسجام بين الوسيلة والهدف من حيث الترابط... فالوسيلة تضمنت محتوى الهدف.  
ولنا أن نتصور مدى الترابط بين الوسيلة التعليمية والمتعلمين (قوم إبراهيم عليه السلام) إنها آلهتهم التي يعبدون.... وأي ارتباط أقوى من ارتباط الإنسان بالآلهة الذي يعبد...!!  
فسبحان الله العظيم.

### ثالثاً : المخرجات

ما أعظمه من إعجاز قرآني نلمسه ونحن نقرأ هذه الآيات التي تعكس منظومة تعليمية بكامل مكوناتها وطبيعتها وخصائصها، فقد سبق وتحدثنا عن مكوناتها من مداخلات وعمليات، ولسنا بحاجة لبذل جهد كبير لنضع أيدينا على مخرجات هذه المنظومة، فمخرجاتها واضحة في سياق الآيات، فقد جاءت في صورة مخرجات معنوية تمثلت في الهدف التعليمي من المنظومة وهو : أن يدرك قوم إبراهيم عليه السلام حقيقة الصنم، وينتمي هذا الهدف إلى المجال المعرفي.

وقد يسأل البعض لماذا صنفنا هذا الهدف ليكون مخرجاً للمنظومة التعليمية في الآيات؟ والإجابة واضحة من سياق الآيات وذلك في قوله تعالى: " قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَنَا بِمَنَفَعِكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ". وهذا تقويم للمنظومة يؤكد تحقق الهدف السابق... فسبحان الله رب العرش العظيم.

#### رابعاً: التغذية الراجعة

"عندما يبدأ المتعلم بإصدار استجاباته - أي يصبح إيجابياً نشطاً يمارس السلوك بإعطاء الأمثلة والمشاركة بالأفكار لا بد من تزويده بالحدث التعليمي الذي يساعده على التأكد من مدى صحة أفكاره وأمثلته واستجاباته، ألا وهو تزويده بالتغذية الراجعة، وتسمى أي معلومات يحصل عليها المتعلم ليعرف نتيجة استجاباته (صحيحة أم خاطئة، مناسبة أو غير مناسبة) بالتغذية الراجعة". (الجزار، 1999: 100). وبنظرة فحص وتأمل للموقف التعليمي الذي تعكسه الآيات نلمس إعجازاً عجباً يدل على قدرة ليست من صنع البشر، فأى قدرة هذه التي منحت سيدنا إبراهيم عليه السلام خطة سير منظمة يأخذ من خلالها بيد المتعلمين (قومه) نحو إصدار استجاباتهم في نشاط وإيجابية ومشاركتهم بطرح أفكارهم ومعتقداتهم، فنراه قد بدأ الموقف التعليمي بطرح السؤال على أبيه وقومه: " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ " (الأنبياء:52)، وهنا إشارة واضحة على ازدراء سيدنا إبراهيم لهذه الآلهة ويتضح ذلك في أسلوب الاستفهام " ما هذه الآلهة " وهو استفهام غرضه التحقير والسخرية، ولكن الظاهر بالنسبة لقومه أنه مجرد سؤال غرضه الاستفهام والاستيضاح، بدليل أنهم أتبعوا سؤاله مباشرة بالجواب " قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ " (الأنبياء:53)، وهنا يزودهم إبراهيم عليه السلام بالحدث التعليمي الذي من شأنه أن يساعدهم على التأكد من صحة أفكارهم: " قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " (الأنبياء:54)، ويا لها من المعجزة أن يكون رد إبراهيم عليه السلام بهذا القول، وكأنه ينتظر من قومه سؤالاً آخر، ويفتح أمامهم أفقاً جديدة للتفاعل مع الموقف التعليمي الذي ما زال في بدايته، ويتأكد هذا المعنى من طلب المتعلمين (قوم إبراهيم) منه الدليل على ما يقول وبيان حقيقة رده عليه: " قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ النَّاعِيينَ " (الأنبياء:55)، وهنا تأتي اللحظة المواتية والمناسبة لتقديم المزيد من التغذية الراجعة التي تهدف تزويد المتعلمين بالمزيد من المعلومات حول صحة ما لديهم من أفكار ومعتقدات وخبرات سابقة، بهدف تعديلها وتحسينها " قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِّنَّ

الشَّاهِدِينَ" (الأنبياء:56) وهكذا يستمر الموقف التعليمي لينتهي بتحقيق الهدف وهذا ما أكدته المعلم إبراهيم عليه السلام " قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَفْعَلُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ " (الأنبياء:66).

#### خامساً: البيئة

إن هذا الموقف المنظومي بكل عناصره يعكس إعجازاً قرآنياً فريداً من خلال الانسجام بين مدخلات هذا الموقف و بيئة المنظومة والذي جاء ليعكس تفاعلاً مرتفعاً بينهما، حيث نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام قد فعل الموقف التعليمي مع قومه بعد أن قام عليه السلام بتحطيم الأصنام جميعاً إلا الصنم الكبير، لكي يعلم قومه أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع.

ومن خلال التفاعل مع هذه الخبرة المباشرة التي اختارها المعلم (إبراهيم) عليه السلام نراه يسأل المتعلم (قوم إبراهيم) ويجيب ثم يوجه عليه السلام المتعلم ليتعامل مع الوسيلة التعليمية مباشرة، فيذهبوا لتوجيه السؤال للصنم فيرتدوا ليقولوا لإبراهيم: " لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ " (الأنبياء، 65)، وهذا تأكيد على ضرورة التفاعل بين المنظومة والبيئة الخارجية والداخلية للمنظومة. ولقد تجسدت البيئة الداخلية في الموقف في البيئة النفسية التي تمتع بها إبراهيم عليه السلام أثناء تحطيمه للأصنام، فقد كانت نفسيته مرتاحة لما يقوم به من عمل وراضية تمام الرضا، وهذا ما تؤكد الآيات من قسم أقسمه إبراهيم عليه السلام: " تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ " (الأنبياء، 57)، وما أجمله من تصوير تعكسه الآيات وهي تصف لنا المشهد في وصف ما قام به إبراهيم عليه السلام من بر بقسمه: " جَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ " (الأنبياء، 58)، ولا يفوتنا هنا حسن اختيار الوقت لتنفيذ المهمة فقد كانت في وقت ترك القوم فيه آلهتهم في المدينة وخرجوا في مواسم أعيادهم كالعادة ليتركوا الساحة لإبراهيم عليه السلام لينفذ وعده وقدر الله: " : " تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ " (الأنبياء، 57)، ولقد تجسدت البيئة الداخلية أيضا في نفسية قوم إبراهيم عليه السلام، هذه النفسية المسرورة بعد قضاء أعيادها وفرحتها تعود لتجد آلهتها المزعومة قد خربت وأصبحت جذازا، فما أعظمه من وصف دقيق وإعجاز فريد تصوره الآية عن حال قوم إبراهيم عليه السلام لحظة مشاهدة الحدث: " قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ " (الأنبياء، 59).

بعد هذا التفصيل لمكونات المنظومة التعليمية وإثبات لموقعها في القرآن الكريم نعود لنؤكد من جديد أن هناك موقع لمكونات المنظومة التعليمية في القرآن الكريم، وأن هناك مواقع كثيرة في القرآن تعرض مواقف تعليمية شاملة لمكونات المنظومة، وإن الإعجاز

القرآني في هذه المواقف ينسجم مع ما تنادي به النظريات التربوية الحديثة، بل ويفسرها بصورة أوضح وأدق، ويشير إليها إشارة مباشرة فسبحان الله العلي العظيم القائل : " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ " (النحل : 89).

إجابة السؤال الثالث من الدراسة ونصه :

هل يوجد موقع لطبيعة أسلوب النظم في القرآن الكريم ؟

تتميز النظم بمجموعة من الخصائص ميزتها عن غيرها من النظريات والأساليب، وضمنت لها أن تحقق نتائجها بكل كفاءة وفاعلية. وفي هذا الجزء من الدراسة سنحاول البحث عن موقع هذه الخصائص في القرآن الكريم. وهنا نؤكد أن هناك مواقع كثيرة في القرآن الكريم تعرض مواقف تعليمية أبرزت وبشكل واضح طبيعة النظم وخصائصها ومن أبرز هذه الخصائص :

أولاً / التسلسل :

تتميز عناصر النظام عن بعضها البعض بطبيعة الوظائف التي يقوم بها كل عنصر من العناصر على الرغم من وجود علاقات معقدة بينهما، " وعادة ما يبدأ النظام عند مستوى بسيط من التركيب والتعقيد بحيث تتشابه النظم فيما بينهما تقريباً ولكن مع تطور حركة النظام وتفاعله مع البيئة تتاح له الفرص للحصول على مزايا نسبية تفوق ما يحصل عليه غيره من النظم " (سلامة، 1998 : 37).

ولقد جاءت مواقف تعليمية متعددة في القرآن الكريم قائمة على مكونات المنظومة التعليمية وما تمتاز به هذه المنظومة من خصائص والتي منها التسلسل، ومن هذه المواقف القرآنية نجد قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {74} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ {75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} " (الأنعام : 71-79).

ما أعظمه من موقف تعليمي هذا الذي يرسمه السياق القرآني في هذه الآيات موقف المنظومة التعليمية بكل عناصرها وخصائصها، فهي الآيات تفصح لنا عن مدخلات هذه المنظومة من عناصر مختلفة تمثلت في المتعلم وهو إبراهيم عليه السلام، وفي



الوسيلة التعليمية وتجسدت في الكوكب والقمر والشمس والأصنام، كما وتمثلت المدخلات في الهدف التعليمي للمنظومة ولقد جاء هذا الموقف التعليمي ليقدم هدفين هما:

1- أن يرسخ إبراهيم عليه السلام في اليقين بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له. (وهو هدف وجداني).

2- أن يعرف قوم إبراهيم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله. (وهو هدف معرفي).  
ثم تبدأ الآيات لتعكس لنا الإعجاز القرآني في وصف التفاعل والحركة الناتجة عن سلسلة عمليات التأثير والتأثر بين عناصر المدخلات السابقة وبشكل متسلسل حتى تصل بنا في نهاية المنظومة التعليمية لتحقيق الأهداف، فنصور لنا الآيات في مطلعها مشهد الفطرة وهي للوهلة الأولى تنكر تصورات الجاهلية في الأصنام وتستكرها " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِئِنِّي أَخَذْتُ صُنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " ثم تنطلق بنا الآيات لتصور لنا فطرة المتعلم "إبراهيم عليه السلام" وهي تنطلق بعد أن نفصت عنها خرافة الأصنام والآلهة، " تنطلق في شوق عميق دافق تبحث عن إلهها الحق، الذي تجده في ضميرها، ولكنها لا تتبينه في وعيها وإدراكها، فراها تتعلق في لهفتها المكنونة بكل ما يلوح أنه يمكن أن يكون هو هذا الإله " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي " (قطب ، م 2 : 1140).

ولكن عملية التحقق والاختبار تثبت أن ما لاح وبدا أنه إله ما هو إلا زيفاً ليس فيه من حقيقة الإله وصفته " فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ " .

وتستمر سلسلة التفاعل والتأثير والتأثر بين عناصر مدخلات المنظومة و بأسلوب المناظرة والاستدلال، ليلوح في هذه المرة للمتعلم (إبراهيم عليه السلام) شيء جديد يتعلق به لعله يكون الإله إنه القمر " فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي " وكالعادة تثبت عملية الفحص والتدقيق أن ما لاح ليس فيه من حقيقة الإله وصفته فيرفض المتعلم " فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ " ، وهنا تعكس لنا الآيات إحساس إبراهيم عليه السلام وحاجته إلى العون من ربه الحق الذي يجده في ضميره وفطرتة. وعندها تتوالى الأحداث والعمليات في المنظومة في تسلسل دقيق متزن، لتصل بالمتعلم (إبراهيم عليه السلام) إلى " التجربة الثالثة مع أضخم الأجرام المنظورة وأشدها ضوءاً وحرارة إنها الشمس ، والشمس تطلع كل يوم وتغيب ولكنها اليوم تبدو لعيني إبراهيم عليه السلام كأنها خلق جديد، إنه اليوم يرى الأشياء بكيانه المتطلع إلى إله يطمئن به ويطمئن إليه، ويستقر على قرار ثابت بعد الحيرة المقلقة و الجهد الطويل " فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ " ولكنها تغيب، وهنا يقع التماس وتتطلق الشرارة، ويتم

الاتصال بين الفطرة الصادقة والله الحق، فيغمر النور القلب ويفيض على الكون الظاهر وعلى العقل والوعي.. هنا يجد إبراهيم إلهه، يجده في وعيه وإدراكه كما هو في فطرته وضميره، وهنا يقع التطابق بين الإحساس الفطري المكنون والتصور العقلي الواضح. (قطب، م2 : 1141).

وعند هذه اللحظة نقرأ الإعجاز القرآني في طبيعة المنظومة التعليمية من تسلسل وغيره، إنه تسلسل دقيق وصل بالمتعلم (إبراهيم عليه السلام) إلى أن يجد ربه وإلهه، ولكنه لا يجده في كوكب يلمع، ولا في قمر يطلع، ولا في شمس تسطع ولا يجده فيما تبصر العين، ولا فيما يحسه الحس، إنه يجده خالقاً لكل ما تراه العين، ويحسه الحس، وتدركه العقول...

ونلمس في هذا التسلسل للأحداث الإعجاز الذي أخذ بيد المتعلم لإيجاد إلهه، رغم أنه أدرك بفطرته وجوده ولكنه الرسوخ في اليقين، إن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وذلك من شأنه أن يساعد المتعلم للقيام بدوره بكل ثقة ويقين بعد أن أصبح مؤهلاً ليكون معلماً لغيره وهذا ما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ومع قومه فبعد ما وصل إليه نبي الله إبراهيم عليه السلام من يقين أن الله وحده هو الخالق لا شريك له، نجده في مفصلة كاملة بينه وبين قومه في كل ما يعبدون من آلهة زائفة، فيبرأ في حسم لا موارد فيه من وجهتهم ومنهجهم وما هم عليه من الشرك - وهم لم يكونوا يجحدون الله البتة - ولكنهم كانوا يشركون هذه الأرباب الزائفة التي تأكد إبراهيم من زيفها تأكيداً لا ريب فيه ولا شك وهنا يعلن إبراهيم عليه السلام وجهته إلى الله وحده لا شريك له :

" قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "

ثانياً / التوازن :

" ويقصد بالتوازن أن النظام فيه تناسب وتجانس مع طبيعة المكونات الداخلية أي توافق أجزائه وعناصر وإقباله على التعاون والتفاعل معا بلا تناقضات، كما يقصد بالتوازن من ناحية ثانية تكيف النظام مع البيئة وتعايشه مع الأوضاع والظروف السائدة. (سلامة، 1998:37).

إن هذه الخاصية لطبيعة النظم تنسجم مع المواقف التعليمية المنظومية التي تعكسها بعض آيات القرآن الكريم فبنظرة فاحصة للموقف التعليمي للآيات الآتية نحدد مواضع التوازن في الموقف:

\* " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ  
انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ  
مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {143} " (الأعراف :  
143).

إن هذا الموقف التعليمي الذي تعكسه الآيات يأتي كموقف تعليمي جزئي من سلسلة  
مواقف تعليمية مرّ بها نبي الله موسى عليه السلام وأتباعه في رحلة تعليمية، مليئة  
بالمشاهد الحسية التي جاءت لتحقيق جملة من الأهداف التعليمية من أهمها:

1- أن يدرك جميع المتعلمين أن الله هو المنفرد وحده بالإلوهية ولا معبود سواه  
(هدف معرفي).

2- أن يعلم موسى عليه السلام انه لن يستطيع مشاهدة الله تعالى عيانا (هدف  
معرفي).

وهذه الرحلة التعليمية التي مر بها موسى عليه السلام وأتباعه في مصر باعتبارها  
منظومة تعليمية حققت أهدافها تؤكد أن هذه المنظومة كانت على درجة عالية من الدقة  
العلمية والتخطيط السليم ولذلك لا بد لنا عند البحث عن طبيعة هذه المنظومة أن نجد  
عنصر التوازن موجود فيها.

ولقد تجسد التوازن في هذه المنظومة التعليمية والتي تعكسها الآيات فيما بين عناصر هذه  
المنظومة من تفاعل وانسجام وتجانس وتعاون أدى إلى تحقيق الهدف من المنظومة،  
فبنظرة فاحصة إلى عناصر هذه المنظومة التعليمية نلمس الإعجاز القرآني في وصف  
التوازن بين عناصر هذه المنظومة بدءا بمدخلاتها التي جاءت عناصرها لتشمل : (المتعلم  
: وهو موسى عليه السلام، الهدف التعليمي وهو : أن يعلم موسى عليه السلام انه لن  
يستطيع مشاهدة الله تعالى عيانا "هدف معرفي"، طريقة التعليم : وتمثلت في الرحلة،  
الوسيلة التعليمية : وهي الطيور الأربعة والجبل الأشم) إننا أمام هذه المدخلات نجد أنفسنا  
في حاجة إلى استحضار الموقف التعليمي الفريد للآيات لنلمس حركة التفاعل والتأثير  
والتأثر بين هذه المدخلات لنؤكد على ارتفاع كفاءتها ومدى إسهامها في تحقيق الهدف  
التعليمي للموقف، وما أعظمه من إعجاز قرآني للآيات وهي تصور لنا مدى الواقعية التي  
تتوفر عند المتعلم (موسى عليه السلام) نحو التعلم، مما دفعه إلى أن ينسى من هو،  
وينسى ما هو، ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه  
الأرض.... يطلب الرؤية الكبرى وهو مدفوع في زحمة الشوق ودفعة الرجاء ولهفة الحب

ورغبة الشهود " قَالَ رَبِّ ارْنِي أُنْظِرُ إِلَيْكَ "، ليبدأ عندها درس بتبنيه المتعلم (موسى عليه السلام) بالكلمة الحاسمة الجازمة: " قال لن تراني " (قطب م 3 : 1369).

ويتوالى الإعجاز القرآني في الموقف التعليمي للآيات مع استمرار الدرس وعملية التعليم والتعلم التي مرّ بها موسى عليه السلام ليعكس هذه المرة مدى الانسجام بين عناصر مدخلات الموقف وذلك حين يوجه الله سبحانه وتعالى المتعلم (موسى عليه السلام) نحو تحقيق التعلم وبشيء من الرفقة، وذلك حين يعلمه سبحانه وتعالى لماذا لن يراه؟ لأنه لا يطبق ويثبت له ذلك بالمشاهدة الحسية المباشرة " وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقْرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي "....

والجبل أمكن واثبت من الإنسان، ولكنه مع تمكنه وثباته اقل تأثراً وأسرع استجابة من الكيان البشري.... " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا " " فساخت نتوءاته فبدا مسوا بالأرض مذكوكا، وأدرك موسى رهبة الموقف، وسرت في كيانه الضعيف: " وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا " مغشياً عليه غائبا عن وعيه فلما أفاق وثاب إلى نفسه، وأدرك مدى طاقته، واستشعر انه تجاوز المدى في سؤاله فقال: " فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " (قطب م، 3: 1369).

وهنا نؤكد على ضرورة توجيه المعلم للمتعلم أثناء الدرس، وضرورة الاستجابة لأسئلة المتعلم ومطالبه خاصة إذا كانت تتعلق بموضوع الدرس والهدف التعليمي له، لأن من شأن ذلك زيادة ثقة المتعلم فيما يتعلمه مما يسهل عليه نقلها لغيره وتوظيفها في حياته وقد تأكدت كل هذه المعاني التربوية الجميلة في الموقف التعليمي الذي تعكسه الآيات وهذا دليل آخر وإعجاز قرآني جديد على قوة التوازن في المنظومة التعليمية للآيات...

وليس أدل على قوة هذا التوازن بين عناصر المنظومة من مدخلات وعمليات من تحقيق ناتج المنظومة والتمثل في مخرجاتها ولقد جاءت في الموقف التعليمي للآيات في صورة الهدف والذي تحقق بالفعل بدليل قوله تعالى: " فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ". وهذه شهادة من المتعلم على تحقيق التعلم لديه، فسبحان الله العلي العظيم.

### ثالثاً / ترابط الأجزاء وتكاملها :

" فأجزاء وعناصر النظام تؤدي وظائف مختلفة، بحيث يؤدي كل جزء عملاً خاصاً، وتتفاعل هذه الأجزاء مع بعضها بحيث يكون الناتج النهائي حصيلة نشاط كل الأجزاء " (سلامة، 1998 : 37).

" ومن المهم للمنظومات أن تعمل جميع مكوناتها بشكل متفاعل داخل المنظومة كوحدة وظيفية واحدة، تنتج " كلاً " و الكل أكبر من مجموع أجزاءه، بحيث أن ما تنتجه المنظومة

من مخرجات يفوق ما تنتجه كل المنظومات الفرعية (المكونات) إذا ما عملت بمفردها كل على حدة " (خميس، 2003 : 7).

و الترابط والتكامل بين عناصر النظام أمر ضروري ذلك أن "النظم تحتاج إلى درجة عالية من الترابط بين الأجزاء حتى تكون هناك علاقة محكمة مع الوسط المحيط". (عليان والدبس، 1999 : 283).

ولقد جاءت مواقف تعليمية كثيرة في القرآن الكريم تؤكد على ضرورة ترابط أجزاء النظام وتكاملها ومنها قوله تعالى : " فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {29} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {30} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتت كأنها جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {31} اسئلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فدانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين " (القصص، 29-32).

إن هذه الآيات تعكس منظومة تعليمية على درجة عالية من الترابط والتكامل بين عناصرها ومكوناتها، " ومكونات النظام دائماً متفاعلة ومترابطة داخلياً لتؤدي وظيفة وتحقق أغراض مسبقة التجديد " (الجزار، 1993 : 35).

وهذا ما نلمسه من إعجاز قرآني في الآيات، فالمشاهد الحسية متنوعة في هذه الرحلة التعليمية التي تحدث عنها الآيات، منها البصرية كالنار والعصا ويد موسى عليه السلام، ومنها السمعية تنتضح في سماع موسى لقول رب العالمين سبحانه وتعالى مباشرة وهذه المشاهد جميعاً وما شملته من وسائل تعليمية إنما جاءت لتؤكد وتحقق الهدف التعليمي من المنظومة وهو أن يدرك موسى عليه السلام أنه مرسل من ربه إلى فرعون وقومه، وينتمي إلى المجال المعرفي، ومن هذا الهدف يتضح لنا أيضاً أن المتعلم هو موسى عليه السلام، وبذلك تكون العناصر السابقة عبارة عن مدخلات المنظومة التعليمية التي تحدثت عنها الآيات الكريمة، وهذه المدخلات للمنظومة لم تكن لتحقيق الهدف التعليمي لوحدها إن تركت بدون حركة تتمخض عن سلسلة من عمليات التأثير والتأثر بين عناصر مدخلات المنظومة.

وهذا ما نلمسه من إعجاز قرآني عظيم في الآيات حين تحدثت عن دافعية المتعلم (موسى عليه السلام) نحو التعلم : " فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ".

" ترى أى خاطر راود موسى، فعاد به إلى مصر بعد انقضاء الأجل، وخرج منها خائفاً يترقب؟ وأنساه الخطر الذى ينتظره بها، وهناك فرعون الذى كان يتأمر مع الملائم من قومه ليقتلوه.

إنها اليد التى تنقل خطاه كلها، لعلها قادتة هذه المرة بالميل الفطرى إلى الأهل والعشيرة وإلى الوطن والبيئة ليؤدى المهمة التى خلق لها وروعى منذ اللحظة الأولى " (قطب، م 5 : 2691).

ويتجلى الإعجاز القرآنى فى ترابط أجزاء النظام وتكاملها حين يؤدى كل جزء عملاً خاصاً نراه بدا فى الآيات بأول مشاهدة حسية وهى رؤية النار التى لم تأت لتحقق الهدف مباشرة بل شكلت عنصر إثارة للمتعلم (موسى عليه السلام) ليحضر لمخاطبة رب العالمين " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلى آتكم منها بخبر أو جدوة من النار لعلكم تصطلون ". وهنا أيضاً إعجاز قرآنى يتجلى فى التأكيد على ضرورة إثارة انتباه المتعلم نحو التعلم قبل بدء التعلم " وذلك لأن المتعلم كائن حي ينشط فى التعلم نتيجة دافع داخلى أو استشارة خارجية " (الجزار، 1999 : 97).

ثم بعد هذه المشاهدة الحسية للنار تأتى المفاجئة الكبرى : " فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين " إنه نداء الله لموسى عليه السلام بلغة الرسالة، وقدم له وسيلتين بصريتين ليتيقن من اختيار رب العالمين له وهما :

#### أ- العصا تتحول إلى ثعبان :

وعندها نجد موسى عليه السلام قد ولى مدبراً ولم يعقب ونسأل هنا هل تحقق الهدف من الموقف التعليمى وأدرك موسى عليه السلام الهدف من المشاهدة الحسية للعصا وهى تتحول إلى ثعبان؟

بالتأكيد لا ودليل ذلك قوله تعالى : " يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين " إن هذا الموقف يؤكد معنى الترابط والتكامل بين عناصر النظام وأجزائه ولذلك نجد أن المتعلم (موسى عليه السلام) بحاجة إلى مشاهدة حسية جديدة (برهان) ليحقق التعلم وهذا ما كان بالفعل مع الوسيلة الثانية وهى :-

#### ب - يده تخرج بيضاء :

لتكون برهاناً جديد وخبرة جديدة يمر فيها المتعلم موسى عليه السلام، وبعدها يأتي قوله تعالى : " فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " إذا فهي الرسالة إلى فرعون وملئه، وهنا نؤكد على قوة الترابط بين عناصر الموقف والتي عكستها الآيات وجاء هذا الترابط منسجماً وقوياً من أجل تحقيق المعجزة. وتنتهي هنا عمليات النظام لتصل المنظومة التعليمية إلى مخرجاتها والتي تمثلت في منظومة الآيات التعليمية بتحقيق الهدف وهو: إدراك موسى عليه السلام للمطلوب منه لينتقل بعدها من كونه متعلماً ليصبح معلماً ودليل ذلك قوله تعالى : " فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ".  
وجدير بالذكر أن هذا الهدف التعليمي للمنظومة التعليمية والتي عكستها الآيات لم يكن ليتحقق لولا التكامل والترابط بين المنظومات الفرعية (المكونات) للمنظومة ككل لذلك فهو حصيلة نشاط كل المكونات والأجزاء للمنظومة.

#### رابعاً / الشمول :

يستخدم مصطلح النظام ليدل على خطة شاملة متكاملة تعمل داخلها مجموعة مكونات فرعية أو عمليات فرعية صممت لتحل مشكلة محددة" وكل نظام لا يكون نظاماً إلا إذا اشتمل على مدخلات ونواتج وعمليات (عليان، والدبس، 1999:284) وهذه المدخلات والعمليات والمخرجات تعتبر العناصر الأساسية للنظام ويطلق عليها النموذج المبسط للنظم. ونؤكد هنا أن هناك مواقف كثيرة في القرآن الكريم قائمة على مكونات المنظومة الشاملة ومن هذه المواقف نجد قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (البقرة : 260).

أي إعجاز هذا الذي يتجسد في منظومة الآيات التعليمية إنه إعجاز القرآن الفريد الذي يعكس منظومة تعليمية بالدرجة الأولى يعجز البشر عن تصميم منظومة تعليمية تضاهيها في دقتها وتكاملها وترابطها وشمولها فالآيات الكريمة عكست طبيعة المنظومة التعليمية المتعلقة بعنصر الشمول، فنجد في منظومة الآيات المدخلات و العمليات والمخرجات بل ونجد أيضاً الشمول قد تجسد في المدخلات كعنصر مستقل وأساسي من المنظومة التعليمية فقد جاءت المدخلات في المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات على

### النحو الآتي:

- المتعلم/ وهو إبراهيم عليه السلام.
- الوسيلة التعليمية / وهي الطيور الأربعة، والجبل.
- الهدف التعليمي / أن يطمئن قلب إبراهيم عليه السلام إلى أن الله تعالى يحيى الموتى، وينتمي إلى المجال الوجداني.
- الطريقة / الخبرة الواقعية المباشرة.

إن تفحص المدخلات السابقة للمنظومة يؤكد شمول هذه المدخلات فإذ جاءت جميعها لتخدم الهدف، ونؤكد هنا على قوة الإعجاز القرآني في اختيار الوسيلة التعليمية كعنصر من مدخلات المنظومة، حيث يلاحظ من خلال الآيات وجود ارتباط قوي بين الوسيلة والهدف التعليمي، إذ أن المعلومات والخبرات التي قدمتها الوسيلة التعليمية، تخدم محتوى الهدف وهو إحياء الموتى.

ويمكننا أيضاً أن نقرأ الإعجاز القرآني في طبيعة المنظومة التعليمية التي تعكسها الآيات فيما يتعلق بالشمول من خلال عمليات المنظومة، والتي بدأت بسؤال إبراهيم عليه السلام لربه :

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى "، ولقد استجاب الله لهذا السؤال والشوق والتطلع في قلب إبراهيم ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: " قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

لقد أمره الله أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، حتى يتأكد من شياتهن ومميزاتهن التي لا يخطئ معها معرفتهن، ثم بعد ذلك يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن، فتجتمع أجزاءهن مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات وقد كان طبعاً " (قطب، م: 1: 442).

إن الحركة التي تمخضت عن سلسلة عمليات التأثير والتأثر بين مدخلات المنظومة التعليمية التي عكستها الآيات وما فيها من تسلسل واضح ودقيق تعكس إعجازاً قرآنياً يؤكد طبيعة النظم فيما يتعلق بالتسلسل، كما تعكس إعجازاً آخر يتعلق بالشمول، فالعمليات جاءت شاملة لسلسلة من حركات التأثير والتأثر بين العناصر من متعلم ووسيلة تعليمية ونحوها مما كان له اثر كبير في نجاح المنظومة التعليمية وتحقيق أهدافها بدليل قوله تعالى: " وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ".



### توصىات الدراسة :

- فى ضوء النتائج التى توصلت إىها الدراسة الحالية، يوصى الباحثان بما يلى:
- 1- ضرورة التأصل الشرعى للعلوم التربوىة والسلوكىة لتتناسب مع معتقداتنا الإسلامىة الخالدة.
  - 2- الاهتمام بتدعىم النظرىات التربوىة بوجهات النظر الإسلامىة وعدم الاكتفاء بعرض النظرىة التربوىة كما وردت من المصدر.
  - 3- أن ىراعى عند تصمىم وإعداد الكتب التربوىة البعد التأصلىى والشرعى لتعزىز قىم الانتماء عند جمهور القراء.
  - 4- تقدىم كافة أشكال الدعم للباحثىن فى مجال التأصل لكافة فروع العلم والمعرفة وتبنى منجزاتهم ومراعاتها عند عملىات تطوىر المناهج.

## المراجع

القرآن الكريم (مصدر).  
المراجع العربية :

- 1- ابن كثير، الحافظ : تفسير ابن كثير، م1، دار إحياء الكتب العربية.
- 2- الصابوني، محمد : صفوت التفاسير، م2، دار الحديث.
- 3- جابر، جابر عبد الحميد وعبد الرازق، طاهر محمد (1987) : أسلوب النظم بين التعليم والتعلم، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 4- عليان، ربحي مصطفى والدبس، محمد (1999) : وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الصفاء، عمان.
- 5- زاهر، ضياء واسكندر، كمال يوسف (1984) : التخطيط لمستقبل التكنولوجيا التعليمية في النظام التربوي، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة.
- 6- زيتون، كمال عبد الحميد (2002) : تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصالات، عالم الكتب، القاهرة.
- 7- سلامة ، عبد الحافظ (1993) : مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، دار الفكر، عمان.
- 8- قطب، سيد (1996) : في ظلال القرآن، م2، دار الشروق، القاهرة.
- 9- قطب، سيد (1996) : في ظلال القرآن، م3، دار الشروق، القاهرة.
- 10- قطب، سيد (1996) : في ظلال القرآن، م4، دار الشروق، القاهرة.
- 11- قطب، سيد (1996) : في ظلال القرآن، م5، دار الشروق، القاهرة.
- 12- خميس، محمد عطية (2003) : منتوجات تكنولوجيا التعليم، دار الكلمة، القاهرة.
- 13- عسقول، محمد عبد الفتاح (2003) : الوسائل والتكنولوجيا في التعليم، مكتبة أفاق، غزة، فلسطين.
- 14- الجزائر، عبد اللطيف (1993) : مقدمة في تكنولوجيا التعليم للمعلمين، مؤسسة نبيل للنشر، القاهرة.
- 15- الحيلة، محمد محمود (1999) : التصميم التعليمي نظرية و ممارسة، دار الفكر، عمان.
- 16- بدران، مصطفى ومطاوع، إبراهيم عطية، محمد (1959) : الوسائل التعليمية، الأنجلو مصرية، القاهرة.

# منهج القرآن والتوراة والإنجيل في توحيد الله

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

إعداد

د . محمود يوسف الشوبكي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك في كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية - غزة

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008 م

## المخلص

### منهج القرآن والتوراة والإنجيل في توحيد الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

تعالت الدعوات للتوفيق والتقريب بين الأديان، ظنا منهم أن ذلك ممكن، بزعمهم اتفاقها في المصدر والأصول.

والدارس للأديان يجدها تختلف اختلافا كبيرا، ليس في الشرائع التي حاء بها الأنبياء؛ بل في العقائد التي عبثت بها أيدي البشر، وأبعدتها عن هدي الأنبياء. بينت في هذا البحث عدم إمكانية التقريب بين الأديان، أو التوفيق بينها لأن الاختلاف في أخص خصائص العقيدة وهو موقفهم من الله تعالى.

يتضح لنا من هذا البحث أن موقف اليهود والنصارى من الله تعالى مخالف لما جاء به الأنبياء، ولما تقبله العقول السليمة، فما قدروا الله حق قدره؛ أما منهج القرآن الكريم من التوحيد فهو مبني على أساس الوجدانية لله تعالى، وتعظيمه وتنزيهه كما يليق بجلاله، وعدم إشراك أحداً معه فيما يختص به.

## abstract

The methodology of Quroun , twrat and enjeel in monotheism.

Many calling for approximately and syncretism were appeared between religions , this because the agreement in foundation and source for religion.

The man who are studing religions carefully he will find agreat difference in dogmatic addition in lgistilation after the changed it , and refused the guidance of prophets.

The research unville the impossible for agreement between religion, because there are different in creed.

This research speaks about the opinions of jewish and christinian people in the oness of cod, that opinions against the creed of prophet, and against the logical maind.

The monotheism in Qurand depends on the ones of cod. grandees and majesty.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً يوافي عظيم فضله، وله الشكر على كل نعمة أنعم بها علينا، أحمده وأشكره أن وفقني لحمده وشكره، وأسأله المزيد من فضله وإنعامه، لا أحصي ثناءً عليه كما أحصى على نفسه.

والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا وإمامنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ، الذي بعثه ربه رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير، وعلى آل بيته، وأصحابه أجمعين.

أما بعد...

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: صَدَقَ اللهُ مُحَمَّدًا وَآلَهُ مُحَمَّدًا - رَجُلٌ لَمْ يَسْأَلْهُ مُحَمَّدًا).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: مُحَمَّدًا).

وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِماً﴾ (الأحزاب: 70، 71).

لقد حرص أعداء الإسلام من اليهود والنصارى على طمس معالم الدين والدعوة إلى تمييع المفاهيم، ومن ذلك الدعوة إلى وحدة الأديان، والتقريب بينها، بحجة أنها من مصدر واحد، أي من عند الله تعالى.

إن دين الله تعالى واحد وهو الإسلام؛ ومصدره القرآن المنزل من عند الله تعالى على محمد ﷺ، ودين إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى والأنبياء جميعاً عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم هو الإسلام، وما سوى ذلك ليس من الله في شيء، حيث عبثت فيه أيد البشر.

#### سبب الاختيار:

أردت في هذا البحث بيان عدم إمكانية التقريب بين الأديان لأن الاختلاف في أخص خصائص العقيدة وهو موقفهم من التوحيد.

#### منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

#### خطة البحث:

في خطة البحث قدمت الحديث عن موقف اليهود والنصارى للتقدم الزمني، ولأعرض الباطل، ثم آتي بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وأما في العنوان فقدمت القرآن تشريفاً وتعظيماً.

يتكون هذا البحث من مقدمة وتشتمل على سبب الاختيار ومنهج البحث والخطة، ومبحث تمهيدي عرفت فيه مفردات عنوان البحث وهي: (المنهج، القرآن، التوحيد، الدين)، والمبحث الأول بينت فيه موقف التوراة و اليهود من التوحيد، والمبحث الثاني موقف الإنجيل و النصارى من التوحيد، والمبحث الثالث موقف القرآن الكريم من التوحيد.

وأسأل الله التوفيق والسداد والقبول

## تمهيد

إن من المفيد في بداية كل بحث أن يمهد الباحث للموضوع الذي يبحث فيه ببيان معاني المفردات التي يتناولها في بحثه وخاصة مفردات العنوان، وانطلاقاً من ذلك جعلت هذا التمهيد لأوضح فيه معنى المنهج والقرآن والتوحيد والدين.

ولأبين فيه أن دين الله واحد.

أولاً: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

**1- تعريف المنهج لغة:** أصل كلمة منهج إغريقية بمعنى الطريقة التي ينتهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين<sup>(1)</sup>، وهي مأخوذ من كلمة (نَهَجَ) ينهج نهجاً ونُهوجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم. والمنهج، والنهج، والمنهاج: بمعنى واحد. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. [المائدة: 48]. قال ابن عباس رضي الله عنه: (أي سبيلاً وسنة)<sup>(2)</sup>. وقال الحافظ ابن حجر: (المنهاج: السبيل، أي الطريق الواضح).<sup>(3)</sup>

وعليه فكلمة (منهج) تطلق في اللغة العربية على الطريق المتصف بصفات: أبرزها الوضوح، والظهور، والاستقامة<sup>(4)</sup>.

**2- تعريف المنهج اصطلاحاً:** للمنهج عدة تعاريف عامة وخاصة، فمنها: أنه وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة<sup>(5)</sup>. والأقرب من ذلك أن تعرفه؛ بأنه (الطريقة

---

(1) المناهج والأساليب في التربية الخاصة، د. عبد الحافظ سلامة، د. سمير أبو مغلي ص10، دار البازوري العلمية للنشر، عمان، ط1، 2001 م.

(2) البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم، في كتاب الإيمان، باب - قول النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس). صحيح البخاري، الإمام البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، مطبعة دار الفكر، 1414هـ-1994م. (19/1).

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، رقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، وخرجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت - لبنان. (48/1).

(4) انظر: لسان العرب السدين ابن منظور، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1388هـ - 1968م، (4554/6). ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1415 هـ - 1995 م، ص(681). والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة. (957/2). المصباح المنير، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت. ج2/ص627

(5) انظر: المعجم الفلسفي، ص(195). عالم الكتب، بيروت، طبعة عام 1399هـ، 1979م. وكتاب العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم - لحسين عبد الحميد رشوان، ص(143-145). ومنهج البحث العلمي عند العرب، لجلال محمد، ص(273). والمنهج السلفي، ص(22-26).

المتلى المحددة التي توصل إلى الهدف المنشود)، وقد يختلف التعريف بحسب الهدف والغاية والعلم الذي نريد تعريفه والتحدث فيه.  
ثانياً: تعريف القرآن لغةً واصطلاحاً<sup>(1)</sup>:

**1- تعريف القرآن لغةً:** ذهب جمهور العلماء إلى أن القرآن مشتق من مصدر أو فعل، وقد اختلف هؤلاء القائلون بالاشتقاق، هل هو مشتق من مادة قرن؟ فتكون النون فيه أصلية، أو من مادة قرأ.  
بعض العلماء يرى أنه مشتق من قرن، لأن القرآن قرنت سورته وآياته بعضها ببعض. وبعضهم يرى أنه مشتق من قرأ، فالهمزة فيه أصلية والنون زائدة، على وزن غفران أي اسم مصدر وهذا القول هو الذي عليه أكثر العلماء.  
وقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، وقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع، ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه.

وسمي القرآن بهذا الاسم دون سواه من الكتب السماوية لكونه جامع ثمرة جميع العلوم، وجميع التعاليم الإلهية وخلاصة الكتب السماوية.  
**2- تعريف القرآن اصطلاحاً:** هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته<sup>(2)</sup>.

قال أبو جعفر الطحاوي: القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر.<sup>(3)</sup>  
هو كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، المنزل على النبي محمد ﷺ باللغة العربية المعجزة المؤيدة له، المتحدى به العرب المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر.

ثالثاً: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً:

**1- تعريف التوحيد لغةً:** كلمة التوحيد من وُحِدَ يوحد توحيداً، والتوحيد مصدر للفعل الثلاثي وُحِدَ، بتضعيف عينه. وهي تعني الوحدة والانفراد والتفرد والتميز، يقال: رأيتُه وحده، وجلس وحده، أي منفرداً، وفلان لا واحد له ووحد دهره، أي متميز لا نظير له.

(1) انظر مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط35، 1418هـ - 1998م ص 19  
(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، مكتبة الغزالي دمشق، 298/2  
(3) شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391 هـ - 1، 122



والله الواحد الأحد المتفرد بالذات والصفات مع عدم المثل والنظير، ووحدته أي نسبه إلى الوحدة، والانفراد فهو سبحانه منفرد في ذاته، وصفاته، وألوهيته، وربوبيته<sup>(1)</sup>. والتشديد في وحدته للمبالغة، أي بالغ في وصفه وتعظيمه وتفريده عما يشاركه، أو يشبهه في ذاته وصفاته.

وتقول العرب: واحد وحيد أي: منفرد، فإله تعالى واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال<sup>(2)</sup>.

**2- تعريف التوحيد اصطلاحاً:** التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وإفراده عز وجل بالعبادة والتوجه إليه وحده بطلب المنافع ودفع المضار ونفي الكفاء والمثل عن ذاته تعالى وصفاته، فهو المتصف بصفات الكمال الذاتية والفعلية ونفي الشريك له في الربوبية واعتقاد أنه وحده الخالق الرازق القادر المحيي المميت المتصرف في هذا الكون بمن فيه وما فيه<sup>(3)</sup>.

وإذا أردنا الاختصار نعرفه بأنه أفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبية وإلوهية وأسماء وصفات<sup>(4)</sup> وإلى هذا ذهب كثير من العلماء

**رابعاً: تعريف الدين لغة واصطلاحاً:**

**1- تعريف الدين لغة:** الدين بكسر الدال المهملة. له معاني واستعمالات كثيرة في اللغة، أهمها:

أ - ويطلق الدين على الإسلام<sup>(5)</sup>: ومن هذا قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران: 83) يعني الإسلام.

ب - الجزاء والمكافئة والحساب: وفي الحديث: (كما تدين تدان)<sup>(6)</sup>. أي: كما تفعل يفعل بك. ومن هذا قول الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾. سورة الفاتحة آية 4، وقوله

(1) انظر: مختار الصحاح - مادة وحد - 547/2، والقاموس المحيط - 343/1.

(2) انظر: فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - 357/13.

(3) توحيد الألوهية أساس الإسلام - لحامد الأحمدى - الجامعة الإسلامية - ص: 2.

(4) انظر على سبيل المثال لا الحصر، لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، ط3، 1411-1991، 57/1، والتبيان شرح أركان الإسلام، د. سعد عاشور، مكتبة دار المنارة غزة ط1 1426 - 2006، 77/1.

(5) لسان العرب (165/13)، والقاموس المحيط (227/4)، والعجم الوسيط (1307).

(6) روي هذا الحديث مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، انظر فتح الباري لابن حجر (284/12).

ﷺ: (إن الله ليدين للجماء من ذات القرن) أي: يقتص ويجزئ. (1) والجماء هي التي بلا قرن.

ج — الذل والانقياد والطاعة والعبادة والخضوع: يقال دننته ويقال دننت له أي: أطعته ويقال: دان بكذا ديانةً وتدين به فهو دينٌ ومتدين (2).

د — العادة والشأن والحال: تقول العرب "ما زال ذلك ديني وديني". وفسر قول النبي ﷺ: (الكيس من دان نفسه) عود نفسه بالعمل والطاعة (3).

هـ — القضاء: ومنه قوله تعالى: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ (يوسف: 76)).

و — السياسة والملك: تقول دننته: أي سسته وملكنه. قال ابن منظور: ومنه سمي المصر مدينة (4).

وبعد أن نظر د. محمد دراز في المعاني اللغوية رأى أن الدين له ثلاث معان وهي:

أ — إذا تعد بنفسه دانه كان معناه الحكم والملك والقهر والسياسة والمحاسبة والجزاء.

ب — إذا تعد باللام دان له كان معناه الخضوع والطاعة والعبادة.

ج — إذا تعد بالباء دان به كان معناه اتخذه ديناً ومذهباً وعقيدة.

فالكلمة تدور حول معنى اللزوم والانقياد فالأول معناه إلزام الانقياد والثاني التزام الانقياد والثالث المبدأ الذي يلتزم به (5).

## 2- تعريف الدين اصطلاحاً:

الدين معناه الإسلام. وذهب الألوسي إلى أن الدين: الإقرار بوحدانية الله تعالى والتصديق بها (6). وعرفه الفيروز آبادي بأنه التوحيد (7).

(1) لسان العرب (164/13)

(2) المرجع السابق والصفحة.

(3) المرجع السابق (165/13).

(4) المرجع السابق والصفحة.

(5) الدين د. محمد عبد الله دراز المطبعة العالمية 1371 - 1952 ص 23 - 24

(6) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للألوسي، دار الفكر (227/4)

(7) القاموس المحيط (227/4)

والدين هو التسليم والاستسلام لله تعالى وحده وعبادته بما شرع (بوحيه) أو على لسان أنبيائه من العقائد والأحكام والآداب وكل شؤون المعاش<sup>(1)</sup>.  
ومما تقدم نستطيع تعريف الدين الحق بأنه: الإقرار بوحداية الله تعالى فهو المتفرد بالخلق والمنفرد بالعبادة فلا يعبد مع الله أحد، وهو المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: 11).  
فلا بد من الإقرار بالتوحيد والإيمان بذلك والعمل بمقتضاه وهذا هو الدين، وهذا تدل له اللغة والقرآن كما تقدم.

وهذه التعريفات كلها تنطبق على الدين الحق أما الدين عموماً؛ فهو الاعتقاد بذات لها القداسة والالتزام لها بالخضوع والتوجه لها بالطاعة والعبادة<sup>(2)</sup>  
**خامساً: دين الله واحد:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فدين الأنبياء واحد، هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو يعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت"<sup>(3)</sup>

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 3).  
وقال أيضاً) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران: 85).

وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 19).

والإسلام هو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1392

هـ — 1972 م. (1057/2)

(2) انظر / مدخل لمعرفة الإسلام د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة القاهرة ط3 1422 — 2001، ص9

— 12

(3) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مطابع المجد التجارية.

(848/2)

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (الشورى: 13)  
وقال أيضا: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران: 67).

وقال: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (البقرة: 132).  
قال موسى لقومه: (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) (يونس: 84).

والحواريون أصحاب عيسى قالوا: (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 52).

دين موسى ﷺ هو التوحيد: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه: 49-50)

إن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لنا شيئا من الملل ، من نصرانية ويهودية وغيرهما ديناً ، سوى ملة إبراهيم عليه السلام وملة الأنبياء جميعاً؛ وهي الإسلام  
دين الله الذي لا يقبل من عباده ديناً سواه. (1)

وخلافاً لما ذهب إليه بعض الناس بعدم جواز تسمية اليهودية والنصرانية ديناً فإن الدين يصح إطلاقه على كل معتقد صحيح أو فاسد، قال تعالى عن المشركين: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ الْكَافِرِينَ) (6) لكن لا يصح أن نطلق دين الله إلا على المعتقد الصحيح.  
ولا يصح أن نسمي النصرانية دين المسيح، ولا اليهودية دين موسى ﷺ، بل نقول دين النصارى، ودين اليهود.

(1) — انظر الرسالة التدمرية لإبن تيمية دار المكتب الإسلامي بيروت ط2 1391 هـ — ص109، مدخل

لمعرفة الإسلام للقرضاوي ص11

## المبحث الأول

موقف التوراة (اليهودية) من توحيد الله تعالى

المطلب الأول: لليهود إلهها بشريا خاصا بهم:

أولاً: (يهوه) إله اليهود الخاص:

لقد ابتدع اليهود لإلههم صورة خاصة بهم، وأطلقوا عليه اسم (يهوه)، هذا الإله لا يهيمه من الخلق غير اليهود (شعب الله المختار)، كاعتقاد الأقوام القديمة، إذ كان لكل قبيلة أو مدينة إله واحد من بين الكثير من الآلهة، دون أن ينكروا عبادة الآلهة الأخرى، وكان الأمر تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب، ففي ذلك تذكر التوراة عن (يهوه): "وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكر إلى دور فدور".<sup>(1)</sup> فهذه التوراة تبين أن لبني إسرائيل إلهاً خاصاً بهم اسمه (يهوه).

و(يهوه) أو (ياهو) اسم لإله بني إسرائيل، ولا يعرف له اشتقاق، فقد يكون من نداء الضمير الغائب أي (ياهو)، لأن موسى عليه السلام علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكر إلههم توقيراً له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه، وقد تكون كلمة (يهوه) هي الكلمة المقابلة لكلمة (لورد - Lord) ومعناها سيد وإله، وغيرها من الفروض.<sup>(2)</sup>

والإله (يهوه) صاغه اليهود على مزاجهم، فهو في الحقيقة مخلوق لهم لا خالق، فهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، فيصفونه بصفات الحرب والتدمير إن هم حاربوا وبطشوا بالآخرين، ويصفونه بالسرقعة إن أرادوا ذلك، ولا يعلم إلا ما يريدونه هم... الخ، وأكدوا على خصوصية إلههم هذا ورعايته لهم، وسكناه بينهم في مواطن كثيرة من توراتهم منها: "وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهدبهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيئ لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً".<sup>(3)</sup>

ثانياً- تجسيم الإله:

الطبيعة اليهودية طبيعة مادية تميل إلى التجسيم والتشبيه والتمثيل، وتخلو من التنزيه فلم يستطيعوا تصور إله منزه عن المادة وعلائقها، ولم يعرفوا الألوهية وما يجب لها من الكمال، بل علقوا إيمانهم بموسى عليه السلام ورسالته على رؤية الله تعالى، فقال الله

(1) سفر الخروج 15/3.

(2) انظر: الله في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمود العقاد، دار المعرفة، مصر، ط3، 1960م، ص 108.

(3) سفر الخروج 21/13، وانظر: الخروج 4/16 - 24، 12/19 - 32، والعدد 15/9 - 23، 16/11 - 33.

سبحانه عنهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (البقرة: 55)

وعندما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، بعد نجاتهم من فرعون وظلمه، وإغراق عدوهم فرعون وقومه، ومن كانت هذه حاله فالأولى أن يزداد إيمانه بالله تعالى إلا أنهم ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: 138)

ولما ذهب موسى ﷺ للقاء ربه، واتخذوا من بعده عاجلاً جسداً يعبدونه من دون الله تعالى، بل نسبوا صناعة العجل الذي عبده إلى هارون، جاء في سفر الخروج: "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى الرجل الذي أصدعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقرط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقرط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عاجلاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدعتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال غداً عيد للرب...".<sup>(1)</sup>

ولكن القرآن الكريم بين وفصل في ذلك، ونزه هارون عن تهمة الشرك هذه التي نسبها اليهود إليه، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (طه: 81). فهارون ﷺ برئ من شركهم وكفرهم، وواضح أن الذي صنع لهم هذا العجل هو السامري.

"وقالوا: أن موسى أخطأ حين ذهب يطلب ربه ولم يعلم مكانه، كما ذكر ابن حجر في شرحه للبخاري قال: (ففسى موسى) أخطأ الرب".<sup>(2)</sup> وهذا يؤكد نظرة اليهود المادية للإله، حتى أنهم وصفوه بما يليق بالإنسان لا بما يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

ثالثاً- بشرية الإله:

لم ترتق عقلية اليهود إلى تنزيه الله تعالى، بل صورته كأنه إنسان يمارس أعمال الإنسان، فهو يتمشى في الجنة، ويسمع آدم صوته، ويختبئ منه ويجهل أين اختبأ آدم كما

(1) سفر الخروج 32 / 1 - 5.

(2) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 6 / 492.

جاء في سفر التكوين مثلاً "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة - فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخْتَبَأْتُ، فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي جعلتها هي أعطتني من الشجرة فأكلت...".<sup>(1)</sup>

في حين أن القرآن وصف الله بما يليق بذاته المقدسة، فهو الذي ليس كمثل شئ وهو السميع البصير، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 35-38).

ويزيد صاحب سفر التكوين في إظهار الإله بصورة بشرية، فيذكر قصة الرب مع ملكين ومجيئهما على إبراهيم فيقول "وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميداً، اعجني واصنعي خبز مله، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا".<sup>(2)</sup>

وبالنظر في القصة نرى أن التوراة وصفت الإله بالتعب والاعتسال والأكل والراحة، وقضاء الوقت مع إبراهيم في ظل الشجرة... الخ من صفات الفقر والاحتياج والحدوث التي نزه الله تعالى نفسه عنها.

(1) سفر التكوين 8/3-12.

(2) سفر التكوين 18/1-8.

ولم يكن الحال في التلمود أفضل مما هو عليه في التوراة، بل كانت الوثنية والتجسيم ظاهرة في فقراته، فقال عن الإله: (1) "النهار مقسم اثنا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة، والثانية يحكم، والثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وأنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع (اسموديه) ملك الشياطين في مدرسة السماء، ثم ينصرف (اسموديه) منها بعد صعوده إليها كل يوم.

ويذكر التلمود عن الإله أنه "يتقدم على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبيكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل". (2)

### المطلب الثاني: الصفات البشرية للإله

من أهم هذه الصفات التي وُصِفَ بها الإله في العهد القديم ما يلي:

#### أولاً- التعب والإعياء والحزن:

تذكر أسفار التوراة المختلفة أن الله بعد أن خلق الخلق وفرغ منه تعب، فاستراح في اليوم السابع، جاء في سفر التكوين: "فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدس لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمله الله خالقاً". (3)

وصفوا الله تعالى بالحزن: ففي سفر التكوين "ورأي الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي

(1) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبدالله الشرقاوي، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، 2001 م، ص 49-51، والتلمود شريعة بني اسرائيل - محمد صبري، دار القلم، دمشق، ص 13-15.

(2) انظر: التلمود البابلي، ترجمة نبيل فياض، دار الغدير، ص 24، 25.

(3) سفر التكوين 1/2-3، وانظر: الخروج 11/20-31، والتثنية 12/5، ونحميا 9/14، وأشعيا 13/85.



خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم وأما نوح فوجد  
نعمة في عيني الرب".<sup>(1)</sup>

وتتناقض التوراة مع نفسها حين تصف إلهه بذلك وفي مواضع أخرى تقول:  
(ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان).<sup>(2)</sup>

ثانياً-نسبتهم الولد لله عزوجل:

زعم اليهود أن الله أولاد ذكور ففتهم جمال الأدميات، فاتخذوهن خليات وولد لهم  
منهن نسل امتاز ببسطة في الجسم، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان، جاء  
في سفر التكوين: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات. أن أبناء  
الله رأوا بنات الانسان أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، فقال  
الرب لا يدين روعي في الانسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين  
سنة. كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك إذ دخل بنو الله على بنات الناس  
وولدن لهم أولاد هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم".<sup>(3)</sup>

وبعد نسبتهم الولد لله، زعموا أنهم أبناء الله، فقال سبحانه مخبراً عنهم ﴿وَقَالَتِ  
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: 18).

ثالثاً-وصفهم الإله بالضعف:

روى سفر التكوين أن يعقوب صرع الرب فجاء فيه: "فبقي يعقوب وحده  
وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فاتخلع  
حق فخذ يعقوب في مصارعه معه وقال أطلقتني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم  
تباركني فقال له ما اسمك فقال يعقوب: فقال لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل  
إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال:  
لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيل قائلاً لأني نظرت الله  
وجهاً لوجه ونجيت نفسي".<sup>(4)</sup>

رابعاً-ادعائهم أن الله يستفيد من الضحايا المقدمة، وينتعش من راحتها:

(1) سفر التكوين 6/5-8.

(2) سفر العدد 19/23.

(3) سفر التكوين 1/6 - 4.

(4) سفر التكوين 32/24 - 30.

جاء في سفر الخروج "... وتقطع الكبش إلى قطعة، وتغسل جوفه و أكارعه وتجعلها على قطعة وعلى رأسه، وتوقد كل الكبش على المذبح هو محرقة للرب رائحة سرور وقود هو الرب". (1)

خامساً- يزعمون رؤية الله حقيقة في الدنيا:

وقد زعموا أن يعقوب أو موسى أو الشعب نظروا إلى الله في الدنيا وشاهدوه، فمما ورد في أسفارهم من ذلك، في سفر التكوين "قدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي". (2)

وأيضاً في سفر الخروج "فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدمهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء". (3)

وقول موسى "وجهاً لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار". (4)

هذه بعض الأوصاف التي وصف بها اليهود الله ﷻ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والناظر في هذه الأوصاف يجد أنها تعبر عن نفسه اليهود المريضة وعقليتهم المتكبرة، ذات النزعة العنصرية، التي تؤمن بما هو مشاهد أو محسوس، وهذا واضح حتى في عهد موسى ﷺ وتنزل التوراة، فرغم المعجزات المشاهدة والكرامات التي أكرمهم الله بها رفضوا التوراة ولم يقبلوها.

---

(1) سفر الخروج 17/29، 18، 19-25.

(2) سفر التكوين 30/32.

(3) سفر الخروج 10/19-11.

(4) سفر التثنية 4/5.

## المبحث الثاني

### موقف النصرانية (الإنجيل) من توحيد الله تعالى

لم تدم طويلاً حياة المسيح عليه السلام على الأرض، فمنذ بعث والرومان واليهود يتآمرون عليه، فلم يستطع أن يبلغ تعاليمه ورسالته على نطاق واسع، حتى رفعه الله إليه، واضطهد حواربيوه وأتباعه من بعده، فلم يستطيعوا أيضاً تبليغ الرسالة بشكل واسع، فبدأت تعاليمه تنسى مبكراً، ودخل الشرك والانحراف في العقيدة على أتباعه، ومن ذلك زعمهم أن الله ولد هو المسيح عليه السلام، بل زعموا أيضاً أنهم أبناء الله وأحباءه.

**المطلب الأول: زعم النصارى أن الله ولد:**

**أولاً: زعمهم أن المسيح ابن الله:**

ورد لفظ "ابن الله" في العهد القديم والجديد، ولكن ظهر هذا اللفظ واشتهر على لسان بولس أكثر من غيره.

ولفظ "ابن الله" ورد في العهد الجديد ما يقرب من أربع وأربعين مرة، واستعمل بولس هذا اللقب مرات كثيرة في رسائله، فبلغ استعماله لفظ "ابن الله" أربع مرات، ولفظ "ابنه" إحدى عشر مرة، ولفظ "الابن" مرتين.<sup>(1)</sup>

وأول من دعا إلى بنوة المسيح الله هو بولس، بعد أن تحول إلى المسيحية كما ورد في سفر أعمال الرسل "ولوقت جعل يكرز (أي يدعو) في المجامع أن هذا هو ابن الله".<sup>(2)</sup> وأكد ذلك في رسائله إلى الكنائس والبلدان المختلفة، وجعل بولس من عقيدة "ابن الله" موضوعاً للإيمان، وموضوعاً للدعوة أيضاً، فيقول: "فإن الله الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي".<sup>(3)</sup>

وقال أيضاً: "... وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من السموات، يسوع المسيح ربنا...".<sup>(4)</sup>

(1) انظر: قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من المؤلفين، هيئة التحرير بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة، القاهرة، ص108، الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، د. القس فهمي عزيز، دار الثقافة، القاهرة، دار الجيل، ص141.

(2) أعمال الرسل: 20/9.

(3) رسالة بولس إلى رومية: 9/1.

(4) رسالته إلى أهل رومية: 4/1.

وفي نفس الرسالة يقول: "... لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فإله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد".<sup>(1)</sup> ويعتقد النصارى أن (الآب) و(الابن) هما نظيران متطابقان ومتساويان في الطبيعة والكيان، ففي كل مرة يذكر الكتاب المقدس المسيح بلقب "ابن الله" تأكيداً على حقيقة وأصالة ألوهيته، فهو ذو الطبيعة نفسها التي للآب تماماً... فالمسيح ابن الله هو مثل أبيه في جوهر طبيعته الإلهية، تلك الطبيعة التي لا يشارك فيها الله أي مخلوق".<sup>(2)</sup> وقد ركز بولس على معتقده في المسيح بأمرين<sup>(3)</sup>:

**1) تجسد المسيح:** فيسوع فعلاً وحقاً هو الإنسان، فلم يعظ بولس عن شخص خرافي أو وهمي، نصف إله ونصف إنسان، ولكنه وعظ عن "ابن الله" الذي جاء من "نسل داود"... ووعظ عن الذي صار واحداً من الذين جاء ليخلصهم.

**2) قيامة المسيح:** لو أن يسوع عاش حياة جميلة ومات ميتة بطولية، وكانت هذه نهايته، لاعتبر واحداً من الأبطال العظماء، ولكنه "الواحد المتفرد" لأنه قام ومات الباقيون وانتهوا، ولم يتركوا إلا الذكرى، ولكن يسوع يحيا معنا بقوة وجلال وبحضور دائم.

وزعموا أن المسيح في طبيعته الجوهرية كإله، فالذي وُلد من نسل داود بحسب الجسد هو أيضاً نفسه الذي تبين بقوة أنه الله، وذلك الذي حسب الجسد أتى من نسل عبراني قد تعين أيضاً (على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد)،<sup>(4)</sup> فعلمنا أن نؤمن بالابن كما نؤمن بالآب، وأن نكرم الواحد كما نكرم الآخر".<sup>(5)</sup>

هذا معتقد بولس في بنوة المسيح، وفسفتها وفهمه لها، وفهم أتباعه من بعده، وهي لا تحتاج إلى زيادة تعليق، ففي كلامهم كفاية في الدلالة على ما يريدون.

ثانياً: زعم المسيحيين بأنهم أبناء الله:<sup>(6)</sup>

(1) رسالته إلى أهل رومية: 3/8.

(2) هل تجسد الإله؟، خدام الرب، ص74.

(3) تفسير العهد الجديد، د. وليم باركلي، دار الثقافة، القاهرة، ط1، دار نوبار، القاهرة، ج3، ص149.

(4) رسالته إلى رومية: 5/9.

(5) هل تجسد الله؟، ص77.

(6) رد الله تعالى على هذا الزعم بقوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ لُكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ). [المائدة: 18]

تعد رسالة بولس إلى أهل رومية من أهم رسائله التي فصل فيها معتقداتهم في المسيحية، والمسيحيين، فيقول إنهم أبناء الله ومن أقواله ما يلي:

"لأنه إن عثتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميثون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاداً. فإن كنا أولاد الله فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا، لأن انتظار الخليقة استعلان أبناء الله. إذ أخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تنن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا".<sup>(1)</sup>

وفي الأصحاح السادس يقول: "والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته. أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية. حاشا. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية فهو روح واحد. اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله".<sup>(2)</sup>

ويقول بولس مؤكداً قدسية المسيحيين في رسالته إلى أفسس: "بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين الذين في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح. مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون

(1) رسالة بولس إلى أهل رومية: 13/8-23.

(2) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: 6-14-20.

قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته".<sup>(1)</sup>

ويكرر بولس هذا المفهوم في رسالته إلى أهل غلاطية، ويؤكد على الاتحاد بالمسيح فيقول:

"ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب، لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح لبستم المسيح ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع".<sup>(2)</sup>

ويقول أيضاً: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذأ لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت فوارث لله بالمسيح".<sup>(3)</sup>

هذا غيض من فيض من النصوص التي يزعم فيها بولس ببنة كل داخل في الإيمان المسيحي لله، ومن ثم بلوغ درجة عالية باتحاد المسيح به وحلول الله فيه، ثم بهذه القداسة يشارك المسيح في ديانة وحكم العالم.

**المطلب الثاني: قول النصارى ربوبية المسيح وألوهيته وأدلتهم وردتها: -**

**أولاً: قولهم ربوبية وألوهية المسيح:**

يعتقد النصارى ربوبية المسيح وألوهيته، ولقد كان لبولس دور كبير، في إطلاق لقب "الرب" على المسيح في رسائله، وغالباً ما كان يستخدمها في بداية رسائله أو عند الانتهاء منها، فلا تخلو رسائله من ذلك، فمرة يذكرها مضافة للمسيح "الرب يسوع المسيح"، وأخرى "الرب" بدون إضافة، ويقصد بذلك المسيح، وفسرها علماء المسيحية - أي كلمة الرب - بالإله ذي الربوبية الكاملة والذي يجب أن يتوجه له بالصلاة والدعاء مستدلين بالعديد من الأدلة على ربوبية المسيح كما سيأتي لاحقاً.

(1) رسالته إلى أفسس: 5-1/1.

(2) رسالته إلى أهل غلاطية: 28-25/3.

(3) رسالته إلى غلاطية: 7-4/4.

وهذه بعض أقوال بولس التي تتحدث عن المسيح ﷺ بأنه الرب والإله، أو تصفه بصفات الربوبية والألوهية، ويعتمد النصارى عليها في قولهم بربوبية المسيح؛ فمثلاً يقول في رسالته إلى أهل رومية: "... يسوع المسيح ربنا. الذي لأجل اسمه قبلنا نعمةً ورسالةً لإطاعة الإيمان في جميع الأمم... نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح".<sup>(1)</sup> ويقول أيضاً: "بل من أجلنا نحن أيضاً سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات".<sup>(2)</sup>

ويقول كذلك: "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح".<sup>(3)</sup> ويفتخر ببركة الرب المسيح فيقول: "بل نفتخر أيضاً بالله بربنا المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة... هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا".<sup>(4)</sup> ويقول: في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: "... مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا. نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح... حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح. الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح. أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا".<sup>(5)</sup>

ويقول فيها أيضاً: "ألسنت أنا رسولاً. ألسنت أنا حراً. أما رأيت يسوع المسيح ربنا".<sup>(6)</sup> ويقول: "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع في الليلة التي أسلمهم فيها أخذ خبزاً...".<sup>(7)</sup>

وفي رسالته الثانية لهم يقول: "... وأنا أرجو أنكم ستعرفون إلى النهاية أيضاً. كما عرفتمونا أيضاً بعض المعرفة أننا فخركم كما أنكم أيضاً فخرنا في يوم لرب يسوع".<sup>(8)</sup>

---

(1) رسالته إلى أهل رومية: 4/1، 5، 7.

(2) رسالته إلى أهل رومية: 24/4.

(3) رسالته إلى أهل رومية: 1/5.

(4) رسالته إلى أهل رومية: 11/5، 12.

(5) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: 7/1، 8، 9.

(6) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: 1/9.

(7) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: 23/11.

(8) رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: 13/1، 14.

ويقول: "فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره".<sup>(1)</sup>

هذه بعض أقوال بولس الواردة في رسائله، وما أكثر هذه الألفاظ في رسائله الأخرى، ولكن هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر.

أما كيف فهم المسيحيون كلمات بولس هذه التي نسبها للمسيح؟ يوضح ذلك خدام الرب عن لفظ "الرب" واقتزائها بالمسيح، فقول: "لقد أعلن الوحي المقدس المسيح رباً للجميع، للذين في السماء وعلى الأرض، له يجب أن تسجد جميع المخلوقات اعترافاً بسلطانه المطلق، وحده له الحق فينا والسلطان علينا لأنه الخالق الفادي".<sup>(2)</sup>

ويقول عن المقدمة التي يبدأها بولس في الكثير من رسائله "الله أبونا والرب يسوع المسيح"، يقول عنها المسيحيون بأنها شهادة إيمان مسيحية لله، تشير للإله الذي يعبدونه، وتعتبر عن المساواة المطلقة بين الآب والابن، فهما متحدان معاً، لا فرق بينهما في الجوهر، فجوهرهما واحد، ولكن لكل منهما عمل يختلف عن الآخر.<sup>(3)</sup>

ويقول القس فهيم عزيز عن الرب يسوع المسيح: "ولكن تشابه يسوع بالله لم يقتصر على العمل والوظيفة، بل تعداه إلى الطبيعة؛ لأنه لا يمكن الفصل الكامل بين الطبيعة والوظيفة، فلا يمكن أن نلمس تشابهاً كاملاً بين الاثنين في العمل، ثم نجد اختلافاً في طبيعتهما، فلقلب (الرب) عندما يُنسب ليسوع المسيح يعني أنه يقوم بعمل الله على الأرض ويشاركة أيضاً في مجد طبيعته".<sup>(4)</sup>

ويقول أيضاً: "إن هذا المسيح الذي رأيناه وشاهدناه ولمسناه هو الله قد ظهر في الجسد".<sup>(5)</sup>

#### ثانياً: أدلة النصارى على ألوهية المسيح:

استدل علماء اللاهوت المسيحي على ألوهية المسيح ببعض الأقوال الواردة على لسان أنبياء العهد القديم، حيث يؤمن النصارى بما ورد في التوراة، و بما ورد على لسان المسيح في العهد الجديد، وهي كما يلي:

- (1) رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: 9/8.
- (2) هل تجسد الله؟، ص16.
- (3) انظر: المرجع السابق، ص16، 17.
- (4) الفكر اللاهوتي، د. القس فهيم عزيز، ص138.
- (5) عقيدتنا اللاهوتية، أديسون ليتش، ترجمة فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط2، ص53.



## 1- ما ورد في العهد القديم:

يستدل إلياس مقار<sup>(1)</sup> على ألوهية المسيح بما ورد في العهد القديم على لسان - إشعيا إذ يقول: "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. هي العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"<sup>(2)</sup> و تفسير -عمانوئيل- الله معنا. وذكر عنه أيضاً: "لأنه يولد لنا ولدٌ ونُعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى عجبياً مشيراً إليها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام"<sup>(3)</sup>. ويستندون كذلك بما ورد في المزامير على لسان داود القائل: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك"<sup>(4)</sup>.

## 2- ما ورد في العهد الجديد:

وحتبهم في ذلك ما ورد على لسان عيسى عليه السلام أو تلاميذه، وبعض الصفات التي وُصف بها المسيح، وهي صفات ذات صبغة إلهية. من هذه الأدلة ما ورد في إنجيل مرقس عند محاكمته: "فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء، فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت"<sup>(5)</sup>.

وكذلك ما ورد في إنجيل يوحنا قال المسيح: "أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل ترجموني. أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً"<sup>(6)</sup>.

ويعتمدون في أدلتهم على شهادة عيسى لنفسه لبنوة الله، فيذكر إنجيل يوحنا ذلك فيقول: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل

(1) إيماني، القس إلياس مقار، دار الثقافة القاهرة، ط3، دار الجيل، ص116، 117.

(2) إشعيا: 7/14.

(3) إشعيا: 9/6.

(4) المزامير: 1/110.

(5) إنجيل مرقس: 14/61-64.

(6) إنجيل يوحنا: 10/30-33.

تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابن إلى العالم. ليدين العالم بل ليخلص به العالم الذي يؤمن به لا يدين والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد".<sup>(1)</sup> ومن أدلتهم على ألوهية وربوبية المسيح ﷺ اعتمادهم على الصفات المنسوبة إليه؛ كغفران الخطايا، وإدانتته للناس، وأنه الأزلي، وهو الحياة، وهو الأبدى، والخالق لكل شيء، والموجود في كل مكان، وغيرها من صفات الربوبية والألوهية.<sup>(2)</sup> ومن ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا قول بطرس للمسيح: (يا رب أنت

تعلم كل شيء، أنت تعرف أنني أحبك).<sup>(3)</sup>

**ثالثاً: إبطال قولهم بربوبية المسيح ﷺ وألوهيته من كتبهم:**

إن تعاليم المسيح ﷺ الواردة في الأناجيل على لسانه، والتي يعلن فيها صراحة عبوديته وبشريته، تتناقض قولهم بربوبيته وألوهيته، من هذه الأقوال:<sup>(4)</sup> قال عيسى ﷺ مخاطباً المولى عز وجل: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).<sup>(5)</sup> فبين عيسى ﷺ أن الحياة الأبدية معرفة وحدانية الله، وأن عيسى رسوله، وقال ذلك دون أن يخشى أحد من اليهود؛ لأنه كان يخاطب ربه.

ورد في إنجيل مرقس: (إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك).<sup>(6)</sup> ولم يقل عيسى ﷺ إن أول كل الوصايا هي الاعتقاد بالتثليث.

قال المسيح ﷺ: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب).<sup>(7)</sup> في هذا النص يثبت علم الساعة للأب وحده، وهذا يعني أن الأب مغاير للابن.

(1) إنجيل يوحنا: 16/3-18.

(2) للمزيد من المعلومات حول أدلة المسيحية على ألوهية المسيح فليرجع إلى الكتب التالية: إيماني، إلياس مقار، ص116-137، هل تجسد الله؟، ص15-34، تقني في السيد المسيح، جوش مكديويل، ص13-24، لاهوت المسيح، د. حليم حسب الله، مطبعة الخلاص، 1966م، ص94-99.

(3) إنجيل يوحنا 17/21.

(4) انظر بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ، د. محمد ملكاوي، مطابع الفرزدق، الرياض، ط1، 1413هـ - 1993م، ص16-45.

(5) إنجيل يوحنا 3/17.

(6) إنجيل مرقس 38/12.

(7) إنجيل مرقس 32/13.

ويرد عليهم بما ورد في إنجيل متي (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي الهي لماذا تركتني ... فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح).<sup>(1)</sup>

وفي إنجيل لوقا (ونادي يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يدك أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح).<sup>(2)</sup> وهذا الصراخ ينفي ألوهية المسيح.

وما ورد في إنجيل يوحنا قول المسيح ﷺ لمريم المجدلية (ولكن اذهبي إلي اخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلي أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).<sup>(3)</sup> فقد سوي ﷺ بينه وبين سائر الناس في أن الله أبوه وأبوهم وإلهه وإلههم جميعاً.

وجاء في إنجيل يوحنا قول المسيح ﷺ (لأن أبي أعظم مني)،<sup>(4)</sup> وهذا فيه نفي لألوهية المسيح؛ لأن الله ليس كمثله شئ فضلاً عن أن يكون أعظم منه.

وقال في إنجيل يوحنا (والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للأب الذي أرسلني).<sup>(5)</sup> وهذا فيه تصريح بالرسالة وأن كلامه وحي من جانب الله تعالى.

وفي إنجيل متي (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني).<sup>(6)</sup> وفيه قول المسيح: (هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني، والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتهم هيئته).<sup>(7)</sup>

فهذه الفقرات جميعها يصرح فيها عيسى ﷺ بأنه رسول الله، وأنه لا يأتي بالكلام من عنده؛ لأن الله يوحى إليه بما يتكلم.

والنصوص الدالة على أن المسيح إنسان في كتبهم لا تكاد تحصى كثرة.<sup>(8)</sup>

(1) إنجيل متي 46،50/27.

(2) إنجيل لوقا 46/23.

(3) إنجيل يوحنا 17/20.

(4) إنجيل يوحنا 28/14.

(5) إنجيل يوحنا 28/14.

(6) إنجيل متي 40/10.

(7) إنجيل متي 37-36/5.

(8) للمزيد انظر: اليهودية والمسيحية في الميزان، د. عماد الدين الشنطي، مطبعة دار المنارة، ط1

### المبحث الثالث

#### موقف القرآن من التوحيد

القرآن الكريم كتاب الله تعالى، وهو أساس الإسلام، وأساس الإيمان هو التوحيد، وقسم العلماء التوحيد - استناداً للأدلة القرآنية - إلى ثلاثة أقسام، وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقسمه بعض العلماء توحيد المعرفة والعلم، وتوحيد التوجه والقصد، وقسمه آخرون إلى التوحيد الإنشائي، والتوحيد الخبري<sup>(1)</sup>، وهذه التقسيمات المختلفة في الظاهر متوافقة تماماً.

فالتوحيد الإنشائي هو الذي يشتمل على الأمر والنهي، وهو التوحيد العملي، وتوحيد العبادة والألوهية، والقصد والتوجه، أما التوحيد الخبري فهو توحيد المعرفة والإثبات وهو التوحيد العلمي أيضاً، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. ومجمل ما ورد في القرآن من آيات في التوحيد لا تتعدى أربعة جوانب أبينها في المطالب التالية: -

#### المطلب الأول: إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتصرف (الربوبية):

"الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد والمدير، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق إلا على الله عز وجل، ورب كل شيء مالكة ومستحقه، وإذا أطلق على غير الله تعالى أضيف فقبل رب كذا، كما يقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت<sup>(2)</sup>.

ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاحة: 2) أي مالكهم<sup>(3)</sup> والمتصرف في شؤونهم وخالقهم

#### أولاً: إنكار الربوبية :

لم ينكر الربوبية إلا المكابرين، المعاندين، المنكرين لما تملبه عليهم الفطرة؛ يكون إنكارهم بألسنتهم مع اعترافهم في قرارة أنفسهم بذلك، وبين الله تعالى بعض مظاهر الربوبية فقال: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11) وقال: ﴿تَبَارَكَ

(1) انظر: التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية، فخر الدين الزبير المحسي، مكتبة الرشيد الرياض، ط1، 1420 - 1999، ص21، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ص 17

(2) لسان العرب، 95/5

(3) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي 110/1-111.

الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (الملك: 1) وقال أيضاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ (آل عمران: 26)

ولم يستطع المشركون من العرب إنكار الربوبية، و ذكر الله تعالى اعترافهم في القرآن الكريم بها فقال: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ (الزمر: 38)

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤفكون، اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١-٦٣﴾ (العنكبوت: 61-63)

وقال: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ (لقمان: 25) وقال أيضاً: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ (الزخرف: 9) وقال: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤفكون ﴿٨٧﴾ (الزخرف: 87)

وأقر إبليس بالربوبية وخاطب الله عزَّ وجلَّ بالربوبي: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٦-٤٠﴾ (الحجر: 36-40).  
ثانيا: لا يتصف بكمال الربوبية إلا الله تعالى :

ولما كانت الربوبية تعني الخلق والرزق والتصرف المطلق في الكون لم يكن ذلك لأحد إلا الله،

قال تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ (المائدة: 76)

وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ (يونس: 18)

وقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ (النحل: 73).

### المطلب الثاني: إفراد الله بالعبادة والتوجه والقصد (الألوهية):

وهو إفراد الله بالعبادة؛ من حب وخشية، وصلاة وصيام، وذكر وتلاوة وتسبيح، وغير ذلك مما لا ينبغي صرفه لغير الله، لأنه المستحق لأن يعبد وحده، لا سواه، مهما سمت درجته وعلت منزلته. (1)

أولاً: دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى بإفراده بالعبادة والتوجه والقصد، ونفي الشرك:

و توحيد الألوهية هو التوحيد الذي جاءت به الرسل إلى أممهم، ودعواهم إليه كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد. قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: 2)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36) وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25). وقال سبحانه: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (فصلت: 14) وقال: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَدْعُو رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنَّا يَأْتِي الشُّرَكَاءُ مِنَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (مائدة: 103) وقال: ﴿وَإِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَكَ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأحقاف: 21).

ثانياً: وجود آلهة كثيرة ومعبودات من دون الله – ولكنها باطلة:

لما كان للناس مشارب مختلفة، وأديان مختلفة، واتخذوا آلهة من دون الله، ردّ عليهم القرآن ذلك فقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم: 81) وقال: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الكهف: 15)

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 21-22) وقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ (الأنبياء: 24)

وقال أيضاً: ﴿لَوْ كَانَ هُوَآءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: 99).

(1) انظر الإيمان محمد نعيم ياسين، دار التوزيع والنشر مصر، ص11-12، شرح أصول العقيدة، د. نسيم ياسين، ط2، 1420-1999، ص50

ثالثا: الله هو الإله الحق وهو معبود أهل الأرض ومعبود أهل السماء:

عبد المشركون الأصنام تقربا إلى الله بزعمهم و رد الله عليهم ذلك فقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: 3)

وعبدوا الأصنام ظنا منهم أن الله هو إله السماء، وأن في الأرض آلهة أخرى تقرب إليه. قال النبي لحصين: كم تعبد؟ قال ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال: فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال ألا تسلم فأعلمك كلمات؟ فأسلم فقال النبي: قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي. (1)

و رد الله عليهم وعلى من اعتقد بعقيدتهم فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: 45)

رابعا: وجوب إثبات الربوبية والألوهية وارتباطهما معا:

الربوبية والألوهية بينهما ارتباط وثيق (فالإله الذي هو المراد لنفسه إن لم يكن ربا امتنع أن يكون معبودا لنفسه، ومن لا يكون ربا خالقا، لا يكون مدعوا مطلوبا منه، مرادا لغيره، فإثبات الألوهية يوجب إثبات الربوبية، ونفي الربوبية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية، وهي مستلزمة للبداية وهي الربوبية). (2)

لذا نفي القرآن مظاهر الربوبية عن غير الله تعالى، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: 16)

وعند الأمر بالعبادة ذكر الربوبية قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: 65)

وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 40).

(1) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، 519/5، رقم الحديث 8483.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 37/2

وقال أيضا: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: 102)

وبين سبحانه أن له الربوبية والألوهية فقال: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: 54)

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (هود: 123)

وقال: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: 65)

وقال أيضا: ﴿ إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس: 3)

وضرب الله مثلا بالعبد المملوك، والرجلين العاجز والقادر لإقرار العبادة ونفي الشريك فقال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: 75 - 76)

المطلب الثالث: إفراد الله تعالى بالكمال المطلق والمدح والثناء (إثبات الكمال):

قد أكثر القرآن من ذكر الأسماء والصفات، وكلها تشتمل على المدح والثناء والكمال، ويجب على كل مؤمن أن يؤمن بذلك، ومن ذلك قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (البقرة: 255).

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (المؤمنون: 116)

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام: 59)

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 32)



﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة: 7)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: 53) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: من الآية 75) و ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: من الآية 20) و ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج: 75) و ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر: من الآية 7)

ولذلك آمن السلف بذلك، وصرحوا بهذا الإيمان، وأقوالهم في ذلك لا تكاد تحصى، ومن أقوالهم. قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت لله ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله<sup>1</sup>.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه<sup>2</sup> وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث<sup>3</sup>.

والله سبحانه وتعالى يتصف بكل كمال، بل يتصف بالكمال الذي لا نقص فيه وخاصة (أن الكمال والنقص من الأمور النسبية، والكمال الذي يستحقه الرب سبحانه وتعالى هو الكمال الذي ليس فيه نقص بوجه من الوجوه)<sup>(4)</sup>.

وهذه الأقوال، والآيات المتقدمة، تبين أنه ما من أمة من الأمم عظمت الله عز وجل كما عظمته هذه الأمة.

(1) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز بن شهوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط5، 1994 م، ص 26/1.

(2) شرح العقيدة الطحاوية ص 427.

(3) الفتاوى 26/5

(4) مجموع الفتاوى، 518/5، 137/6.

#### المطلب الرابع: إفراد الله تعالى عن مشابهة الخلق (التنزيه):

لما وصف الله نفسه بصفات الكمال نزه نفسه عن الشريك والشبيه والنظير، حتى لا يتبادر إلى ذهن أحد أن الله يشبه أحداً أو يشبهه أحد في كماله فنزه نفسه، وامتاز نفي التشبيه في القرآن بالإجمال، لما في ذلك من تعظيم وكمال قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية 11)، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 4)، ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: 65)

وقد أشار شارح الطحاوية رحمه الله إلى تنزيه الرب تعالى بالذي هو وصفه كما وصف نفسه نفياً وإثباتاً وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة الإخلاص فقولُه موصوف بصفات الوجدانية مأخوذ من قوله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد وقوله منعوت بنعوت الفردانية من قوله تعالى الله الصمد لم يلد ولم يولد<sup>(1)</sup>.

وقال ابن القيم في النونية<sup>(2)</sup>:

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| وصف العيوب وكل ذي نقصان   | والأول التنزيه للرحمن عن     |
| ينفي اقتدار الخالق المنان | كالموت والإعياء والتعب الذي  |
| وعزوب شيء عنه في الأكوان  | والنوم والسنة التي هي أصله   |
| وحممده الله ذي الإتيقان   | وكذلك العبث الذي تنفيه حكمته |
| لا يبعثون إلى معاد ثان    | وكذلك ترك الخلق إهمالاً سدى  |
| من إله قادر ديان          | وكذلك ترك الخلق إهمالاً سدى  |
| فماله والظلم للإنسان      | وكذلك ظلم عباده وهو الغني    |
| علام الغيوب فظاهر البطلان | وكذلك غفلته تعالى وهو        |
| لا يعتريه قط من نسيان     | وكذلك النسيان جل إلهنا       |

(1) انظر / شرح العقيدة الطحاوية ص 238

(2) شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت،

ط 3، 1406 هـ ج 2/ص 211

والتسبيح تعظيم للرب وتنزيه له لذا تسبحة السموات والأرض وكل ما فيهما من كائنات، وفي ذلك قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الاسراء: 44) ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد: 1، الحشر: 1، الصف: 1)

﴿ومن دلائل حسن التوحيد أنه تنزيهه الله عز وجل عن المسبة ومنها أن من أقبح الشرك كونه مسبة لله ومنها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير معهم ولو لم يشرك وكل ذلك في قوله تعالى سبحان الله﴾ (1)

(فالفئة أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه ولكن أساءوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر والمشبهة أحسنوا في إثبات الصفات ولكن أساءوا بزيادة التشبيه) (2)

إن الله تعالى نفى عن نفسه جميع صفات النقص وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى أما سلب الموت ففي قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: 58)، وأما الإعياء والتعب ففي قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق: 38) وهو التعب والإعياء، وأما النوم والسنة ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: الآية 255)، ونلاحظ أن كل نفي يثبت كمال ضده، لأن النفي المحض لا يفيد مدحاً.

وقد نزه الله تعالى نفسه عما يصفه العباد إلا ما وصفه به المرسلون بقوله سبحانه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾ (الصافات 180-182) فنزه نفسه سبحانه عما يصفه به الكافرون ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد

(ومضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان يوصي به الأول والآخر ويقندي فيه اللاحق بالسابق وهم في ذلك كله بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مقتدون وعلى منهاجه سالكون) (3)

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نؤكد أنه لم يوحد الله تعالى حق التوحيد أهل دين سوى أهل الإسلام وأهل القرآن وهذا ما نجمه في النتائج المذكورة في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

(1) شرح كتاب التوحيد ج 1/ص 98  
(2) شرح العقيدة الطحاوية ج 1/ص 104  
(3) شرح العقيدة الطحاوية ج 1/ص 68.

### الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأنبيائه،  
ومن اهتدى بهديهم واستن سنتهم إلى يوم الدين وبعد.

فقد خلصت من بحثي هذا إلى النتائج التالية:

#### نتائج البحث:

من خلال دراستي هذه تبينت عدم إمكانية التوحيد والتقارب بين الأديان؛ لاختلافها  
في أخص خصائص الله تعالى وهو التوحيد.

1- إن دين الله تعالى واحد؛ وهو الإسلام، دين محمد بالمفهوم الخاص، ودين جميع  
الأنبياء بالمفهوم العام، وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين قديماً وحديثاً،  
من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

2- لقد ابتدع اليهود لإلههم صورة خاصة بهم، هذا الإله لا يهيمه من الخلق غير اليهود  
(شعب الله المختار)، والإله (يهوه) صاغه اليهود على مزاجهم، فهو في الحقيقة مخلوق  
لهم لا خالق، فهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، والإله الخاص لا يمكن أن  
يكون رب العالمين بحال من الأحوال.

3- الطبيعة اليهودية طبيعة مادية تميل إلى التجسيم والتشبيه والتمثيل، وتخلو من التنزيه  
فلم يستطيعوا تصور إله منزه عن المادة وعلائقها، ولم يعرفوا الألوهية وما يجب  
لها من الكمال، بل علقوا إيمانهم بموسى عليه السلام ورسالته على رؤية الله تعالى، لأنهم  
ظنوه كالبشر.

4- لما ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه، اتخذوا من بعده عجلًا جسداً يعبدونه من دون الله  
تعالى، وصورته التوراة الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخْتَبَأَ  
آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة و أن الله بعد أن خلق الخلق  
وفرغ منه تعب، فاستراح في اليوم السابع، و زعموا أن الله أولاد ذكور

5- ولم يكن الحال في التلمود أفضل مما هو عليه في التوراة، بل كانت الوثنية والتجسيم  
ظاهرة فيه، فزعموا أن الله قسم النهار اثنا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى يجلس  
الله ويطالع الشريعة، والثانية يحكم، والثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة  
يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وأنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه

التلمود مع الملائكة، وجاء فيه أيضا عن الإله أنه يتقدم على تركه اليهود في الحالة التعسة حتى إنه يلطم ويبيكي كل يوم.

6- النصرارى يؤمنون بالكتاب المحرف؛ بعهديه القديم والجديد، لذلك وجد عندهم من الانحرافات الشيء الكثير، ومن أظهرها زعمهم أن المسيح ابن الله؛ ولفظ "ابن الله" ورد في العهد الجديد ما يقرب من أربع وأربعين مرة، واستعمل بولس هذا اللقب مرات كثيرة في رسائله، فبلغ استعماله لفظ "ابن الله" أربع مرات، ولفظ "ابنه" إحدى عشر مرة، وكان بولس أول من دعا إلى بنوة المسيح لله، بعد أن تحول إلى المسيحية؛ ليحولها إلى الوثنية.

7- لم يكتف النصرارى بادعائهم أن المسيح ابن الله؛ بل زعموا أنفسهم بأنهم أبناء الله، و تعد رسالة بولس إلى أهل رومية من أهم رسائله التي فصل فيها معتقداتهم و يقول فيها إنهم أبناء الله.

8- يعتقد النصرارى بربوبية المسيح وألوهيته، ولقد كان لبولس دور كبير، في إطلاق لقب "الرب" على المسيح في رسائله، وغالباً ما كان يستخدمها في بداية رسائله أو عند الانتهاء منها، فلا تخلو رسائله من ذلك، فمرة يذكرها مضافة للمسيح "الرب يسوع المسيح"، وأخرى "الرب" بدون إضافة، ويقصد بذلك المسيح.

9- ومن أدلتهم على ألوهية وربوبية المسيح ﷺ اعتمادهم على الصفات المنسوبة إليه؛ كغفران الخطايا، وإدانتته للناس، وأنه الأزلي، وهو الحياة، وهو الأبدى، والخالق لكل شيء، والموجود في كل مكان، وغيرها.

10- إن تعاليم المسيح ﷺ الواردة في الأناجيل وعلى لسانه، والتي يعلن فيها صراحة عبوديته وبشريته، تناقض قولهم بربوبيته وألوهيته. فيصرح فيها ﷺ بأنه رسول الله، وأنه لا يأتي بالكلام من عنده؛ لأن الله يوحى إليه بما يتكلم، والنصوص الدالة على أن المسيح إنسان في كتبهم لا تكاد تحصى.

11- أما القرآن الكريم فموقفه من التوحيد يتمثل في إفراد الله تعالى في جميع ما اختص به سبحانه من ربوبية وألوهية وأسماء حسنى وصفات كمال وكل ذلك مستمد من وحي الله تعالى لنبيه محمد المحفوظ من التحريف بحفظ الله تعالى.

12- ولما كانت الربوبية تعني الخلق والرزق والتصرف المطلق في الكون لم يكن ذلك لأحد إلا الله؛ فكل ربوبية لغير الله رب العالمين يتصف صاحبها بنقص الربوبية

13- إفراد الله بالعبادة والتوجه والقصد (الألوهية) واجب كل مسلم وهو السبيل لمرضاة الله تعالى، ولدخول الجنة وجميع الرسل دعوا إلى توحيد الله تعالى بإفراده بالعبادة والتوجه والقصد، ونفي الشرك.

14- وإن أشار القرآن إلى وجود آلهة كثيرة ومعبودات من دون الله ولكنها باطلة؛ والله هو الإله الحق وهو معبود أهل الأرض ومعبود أهل السماء ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: 45)

15- إن كلمة التوحيد توجب إثبات الربوبية والألوهية والأسماء والصفات لارتباطهم معاً كما توجب نفي التشبيه في كل ذلك

#### التوصيات:

أوصي إخواني الباحثين ترك محاولات التقريب بين الأديان؛ لأنها مضيعة للوقت، واعتبار الداعين إلى وحدة الأديان من أعوان الغرب.  
ومن أراد أن يقرب الناس من الإسلام أو يوقف حقدهم وعداوتهم للمسلمين فليوضح لهم إمكانية تعايش المسلمين مع غيرهم.  
وأصح الباحثين بالكتابة في إمكانية تعايش المسلمين مع غيرهم.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

#### المراجع

المصدر الأساس: القرآن الكريم

1. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مطابع المجد التجارية.
2. الإيمان محمد نعيم ياسين، دار التوزيع والنشر مصر.
3. إيماني، القس إلياس مفار، دار الثقافة القاهرة، ط3، دار الجيل.
4. بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ، د. محمد ملكاوي، مطابع الفرزدق، الرياض، ط1، 1413هـ - 1993م.
5. التبيان شرح أركان الإسلام، د. سعد عاشور، مكتبة دار المنارة غزة ط1 1426هـ - 2006م.
6. تفسير العهد الجديد، د. وليم باركلي، دار الثقافة، القاهرة، ط1، دار نوبار، القاهرة.

7. التلمود البابلي، ترجمة نبيل فياض، دار الغدير.
8. التلمود شريعة بني اسرائيل، محمد صبري، دار القلم، دمشق.
9. توحيد الألوهية أساس الإسلام - لحامد الأحمدى - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
10. التوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية، فخر الدين الزبير المحسني، مكتبة الرشيد الرياض، ط1420، 1-1999.
11. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
12. ثقتي في السيد المسيح، جوشي مكديول، ترجمة منيس عبد النور.
13. جامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
14. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، مكتبة الغزالي دمشق.
15. الدين، د. محمد عبد الله دراز، المطبعة العالمية، 1371هـ - 1952م.
16. الرسالة التدمرية، ابن تيمية، دار المکتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1391 هـ.
17. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر.
18. شرح أصول العقيدة، د. نسيم ياسين، ط2، 1420هـ - 1999م.
19. شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المکتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391 هـ.
20. شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المکتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1406 هـ.
21. شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
22. صحيح البخاري، الإمام البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، مطبعة دار الفكر، 1414هـ - 1994م.
23. عقيدتنا اللاهوتية، أديسون ليتش، ترجمة فهم عزيز، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط2.

24. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، رقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، وخرجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت - لبنان.
25. الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، د. القس فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، دار الجبل.
26. قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من المؤلفين، هيئة التحرير بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة، القاهرة.
27. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة، تحقيق عبد العزيز بن شهوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط5، 1994 م
28. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت
29. كتاب العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم - لحسين عبد الحميد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006م
30. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
31. الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبدالله الشرفاوي، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، 2001 م
32. لاهوت المسيح، د. حلیم حسب الله، مطبعة الخلاص، 1966م.
33. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1388هـ - 1968م.
34. الله في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمود العقاد، دار المعرفة، مصر، ط3، 1960م.
35. لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، ط3 1411هـ - 1991م.
36. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط35، 1418هـ - 1998م.
37. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.
38. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1415 هـ - 1995 م



39. مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط3، 1422هـ - 2001م.
40. المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
41. المعجم الفلسفي، عالم الكتب، بيروت، طبعة عام 1399هـ، 1979م.
42. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
43. المناهج والأساليب في التربية الخاصة، د. عبد الحافظ سلامة، د. سمير أبو مغلي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، ط1، 2001م.
44. منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال محمد موسى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972 م
45. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1392 هـ - 1972 م.
46. هل تجسد الإله؟، خدام الرب، لا توجد تفاصيل أخرى.
47. اليهودية والمسيحية في الميزان، د. عماد الدين الشنطي، مطبعة دار المنارة، ط1، 1425-2004.

القصاص وأثره على التنشئة الاجتماعية

دراسة قرآنية

**Crime Punishment and its effect in  
building the Society  
(A study from Quran))**

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف

د . عصام العبد نرهد

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008 م

## ملخص البحث

إن عقوبة القصاص علاج ناجح في معالجة حوادث القتل والفلتان الأمني والفساد الاجتماعي، وتعتبر من أبرز الأحكام الشرعية التي تحفظ حياة الناس في المجتمع، والأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها، فهي أمة ضعيفة منحلّة مفككة الأوصال؛ لأنها تعيش في فوضى اجتماعية وتخبط من كثرة حوادث الإجرام التي تسبب الخوف وعدم الأمن والسلام في المجتمع.

وعقوبة القصاص يكمن فيها إصلاح الحياة الإنسانية وتعمل على زيادة التنشئة الاجتماعية عند الفرد والأسرة والمجتمع على حد السواء، وتحقق للأمة الأمن والسلام والبناء الحضاري في المجتمع، وتحافظ على حياة الناس الاجتماعية والأمنية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، فيعم الأمان ويسود الاطمئنان والرفاه الاجتماعي ربوع الوطن الذي يحتكم فيه الناس إلى الشريعة الإسلامية.

ولتحقيق أهداف البحث والغرض منه، تحدثت عن مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه، ثم عن أثر القصاص على التنشئة الاجتماعية وعلاقة القصاص بأهداف التنشئة الاجتماعية في المجتمع، وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات المفيدة للفرد والمجتمع.

### **Crime Punishment and its effect in building the Society (A study from Quran))**

#### **the abstract**

Crime punishment is the best solution to many Criminal accedants Such as killing , rapes, and social law braking. Crime punishment is one of highest and legislative role which protects people's life in the society. Any nation does not apply crime punishment in social life is weak and not united due to many crimes in its life and this coauses unsafty and thritten society.

By applying crime punishment law, can maintain human life and increases the strength of the individual and the family by securing to them good and safe economical and political behavior to live with Islamic legislative law in their life.

In order this research reach its goals on objectives, I talked about the legislation of crime punishment types and roles and effects in building the society with best results and recommendations.

### مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ النبي الأمين والهادي إلى صراط الله العزيز الحميد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد :

لقد أوضح هذا البحث الأثر العظيم والكبير لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وخاصة حد القصاص، على حياة الناس في المجتمع وما ينشئه هذا التطبيق في نفوس الأفراد من زيادة ملكة المراقبة الدائمة لله سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة حتى يسود الأمن والاستقرار والراحة النفسية لدى أفراد المجتمع الإسلامي وحتى تضحل وتتلاشى الجريمة ويقل خطر الخارجين على القانون، ويعرف الناس جميعاً أنه لن يرجع لهم حق ولن تقوم لهم قائمة إلا بالتمسك الكامل لتطبيق حدود الله في كل ما يمر بهم من حوادث أمنية أو اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية ويلتزموا بكل ما أمر الله به، فهو أدرى بمصالحهم من أنفسهم.

وعقوبة القصاص وسائر العقوبات التي رسمتها الشريعة الإسلامية يكمن فيها الأمن للفرد والمجتمع وهي بلسم وعلاج ناجح لكسر شوكة الإجرام فتقضي على غدر الخائنين وإجرام المجرمين وظلم المتجبرين في الأرض بغير الحق، وإقامة الحدود الشرعية تقضي على الفساد بكافة صورته وأشكاله وهي عقوبة رادعة لمنع العابثين والمستهترين بدماء الأبرياء وأعراضهم وبمقدرات الأمة.

وعقوبة القصاص تعتبر من أبرز الأحكام الشرعية التي تحفظ حياة الناس ؛ لأنها تتعلق بمعاقبة الجاني بمثل ما ارتكب من جريمة في حق أخيه أو المجتمع الذي ينتمي إليه، وتطبيق عقوبة القصاص فيها إصلاح للحياة الإنسانية وتعمل على زيادة التنشئة الاجتماعية عند الفرد والأسرة والمجتمع على حد السواء، وتحقق للأمة دعائم الأمن والسلام والبناء الحضاري في جميع جوانب المجتمع وحياته الأمنية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية فيعم الأمان والاطمئنان والرفاه الاجتماعي ربوع الوطن الذي يحتكم ويلتزم حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي النُّبُوبِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:179).

أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى تحقيق عدة أهداف تتمثل في الآتي :

- 1- تهدف هذه الدراسة بوجه عام إلى محاولة التعرف على ضرورة تطبيق الحدود الشرعية وخاصة حد القصاص وما يحققه من استقرار وأمن وسلام في حياة الفرد والجماعة.
  - 2- التعرف على نظرة الإسلام إلى إقامة حد القصاص على الجناة وانعكاس ذلك على التنشئة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.
  - 3- يهدف البحث إلى كبح جماح الفساد بكل أشكاله وخاصة الاعتداء بالقتل وترويع الأمنين الأبرياء، والقضاء على ظاهرة الفلتان الأمني في مجتمعنا الفلسطيني الذي هو في أمس الحاجة إلى الأمن والترابط لكي يتفرغ إلى العدو المحتل الذي يسعى دوماً في إحداث الفتن والاضطراب في جبهتنا الداخلية.
  - 4- تنشئة الفرد على مخافة الله وغرس التقوى في النفوس ليكون سياجاً أميناً لحفظ الناس من الترددي والوقوع في مستنقع الجرائم التي تضر بالأمة.
  - 5- الخروج ببعض النتائج والتوصيات، التي أسفرت عنها هذه الدراسة، من أجل الإسهام في دفع الاستراتيجية التربوية التي تعمل على تقدم المجتمع وازدهاره في جميع مجالات الحياة.
- ولتحقيق الغرض من البحث وأهدافه جعلته في مقدمة ومبحثين وخاتمة تضمنت لأهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول : مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه.

المطلب الأول : تعريف القصاص ومشروعيته.

المطلب الثاني : شروط وجوب القصاص.

المطلب الثالث : أنواع القصاص في القتل.

المطلب الرابع : الفرق بين القصاص وباقي الحدود.

## المبحث الثاني : أثر القصاص على التنشئة الاجتماعية.

المطلب الأول : تعريف التنشئة الاجتماعية وبيان محاضنها.

المطلب الثاني : القصاص وأهداف التنشئة الاجتماعية.

المطلب الثالث : دور القصاص في التنشئة الاجتماعية.

الخاتمة : تضمنت لأهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول

### مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه

#### المطلب الأول : تعريف القصاص ومشروعيته :

##### القصاص في اللغة :

القصاص مصدر مشتق من الفعل قَصَّ ومضارعه يقصص، وقصَّ الشيء إذا تتبع أثره حيث قال الحق تبارك وتعالى حكاية على لسان أم موسى عليه السلام : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصاص:11) بمعنى تتبعي أثره لتعلمين مستقره ومصيره.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف:64) أي رجعا في نفس الطريق التي سلكاها يقصان الأثر ويتبعانه، ونقل هذا المعنى إلى القصاص في القتل، وكان القاتل سلك طريقاً من القتل، فقَصَّ أثره حتى تم التعرف على طريقته في ارتكاب الجريمة التي قام بها (1).

وقيل إن القَصَّ بمعنى القطع ومنه قول الرجل : قَصَّ فلان الشجرة، بمعنى قطعها، وسمي المقراض مقصاً لكونه تقطع به الأشياء من أقمشة وشعر وصوف وغيرها. وجاء القصاص من ذلك المعنى ؛ لأنه يعني أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل من القتل أو الجروح، فعندما نقول أقصَّ الحاكم فلاناً من فلان، إذا اقتصَّ له منه بمثل ما فعل من قبل - فساد بعض الأعضاء - أو القتل (2).

##### القصاص في الشرع :

لقد عرفه العلماء بتعريفات عديدة منها : "بأنه عقوبة مشروعة تعنى معاقبة الجاني بمثل ما جنى حقاً لله ولعباده، سواء كانت جنايته القتل أو غيره، فالقتل بالقتل والجرح بالجرح وقطع العضو بما يماثله (3). وعرفه الفقهاء فقالوا : "القصاص هو أن يُعاقب الجاني بمثل جنايته على أرواح الناس، أو عضو من أعضائهم، فإذا قتل شخص آخر استحق القصاص، وهو قتله كما قتل غيره" (4).

##### القصاص في الأديان السابقة :

(1) انظر : لسان العرب، ج7، ص 76.

(2) انظر : المعجم الوسيط، ج2، ص 739، 740.

(3) تفسير القرطبي، مجلد 1، ج2، ص 245.

(4) الفقه على المذاهب الأربعة، ج1، ص 182.

لقد كان القصاص معروفاً في الأديان السابقة عند اليهود والنصارى، فإله سبحانه وتعالى يقول متحدثاً عن التوراة: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة:45).

أي كتبنا على اليهود في التوراة القصاص في القتل النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن بشرط التماثل في القصاص من الجاني بمثل ما أحدث من ضرر والجروح قصاص حيث يقتص من الجاني إن كان لا يحدث من القصاص تلف النفس، وهذا شرع من قبلنا من الأمم يلزم العمل به إذا لم ينسخ، بل جاء القرآن الكريم وأكد على إقامة القصاص لتحقيق الأمن والسلام في المجتمع (1).

وحرّم الله سبحانه على بني إسرائيل قتل الأنفس وأن من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل أبناء المجتمع جميعاً، ومن عمل على إحيائها فكأنما أحيى المجتمع بأسره، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:32).

مشروعية القصاص :

جاءت نصوص متعددة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تدل على مشروعية القصاص في القتل والجروح، وأنه حق ثابت لأولياء المقتول، فلهم أن يأخذوا بالقصاص من الجاني أو العفو أو الدية، ونختار من الأدلة ما يلي :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ﴾ (البقرة: 178). وكتب عليكم بمعنى فرض وأثبت فأصبح واجباً، وجاء قوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: 194)، وأيضاً جاء النهي واضحاً في النهي عن قتل الأنفس، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء: 33)، وأكد الشرع على العقوبة بالمماثلة، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ

(1) انظر : تفسير القرآن الكريم، ج6، ص 1591.



عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴿ (النحل: 126)، ثم جعل الحق تبارك وتعالى إثم قاتل النفس بغير حق كمن قتل الناس جميعاً ومن حرم قتلها واعتقد ذلك فكأنما أحمى الناس جميعاً، قال تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: 32).

ثانياً : السنة المطهرة :

ذكرت السنة النبوية نصوصاً كثيرة في مشروعية القصاص منها ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) (1).

يرشد الحديث النبوي إلى حرمة دم المسلم، ولا يجوز إراقة دم المسلم إلا في حالات ثلاث فقط، وهي : إذا ارتكب المحصن جريمة الزنا، وإذا قتل إنساناً إنساناً عمداً، والمرتد عن الدين الإسلامي يقتل لردته، وقد فعل أبو بكر رضي الله عنه ذلك حينما حارب المرتدين عند توليه الخلافة، وقد ذكر الكعبي أن النبي ﷺ قال : (من أصيب بقتل أو خبل - فساد في الأعضاء - فإنه يختار إحدى ثلاث، إما أن يقتصص وإما أن يعفوا، وإما أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) (2).

وهذه النصوص الشرعية تدل دلالة قاطعة على حرص الدين الإسلامي على حماية الأنفس وصيانة الدماء في المجتمع لكي يعيش الناس في أمن وسلام واستقرار.

تاريخ تشريع القصاص :

لقد شرع الله سبحانه وتعالى حد القصاص في المجتمع المدني في العام الثامن من الهجرة النبوية بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ﴾ (البقرة: 178).

وكانت القبائل العربية تعرف القصاص، غير أن المسؤولية فيه عندهم كانت تقع على القبيلة بأسرها لا على الجاني ! ولهذا كان القصاص يؤدي في كثير من الأحوال إلى حرب بين قبيلتين تحصد رؤوس الأبرياء من أعمال السيوف على الرقاب لحصدها حتى

(1) أخرجه مسلم، ج3، ك القسامة، باب 76 (ما يباح به دم المسلم)، ص 1302، حديث رقم 25.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، ج2، ك الديات، باب 3، ص 477، 478.

لا يبقى أحدٌ يأخذ بالثأر كحرب داحس والغبراء وحرب البسوس في الجاهلية، وجاء التشريع الإسلامي ليقيم العدل والمساواة بين الناس في المجتمع فجعل المسؤولية في القصاص على الجاني وحده، كما جعل لأولياء المقتول الحق في المطالبة بالقصاص من القاتل، أما نظام الديات فقد كان معمولاً به عند العرب وأبقاه الإسلام<sup>(1)</sup>.

#### المطلب الثاني : شروط وجوب القصاص :

اشترط العلماء لوجوب القصاص شروطاً في حالة وقوع القتل وشروطاً لما دون القتل كالجروح أو إتلاف بعض الأعضاء من جسد الإنسان.

#### أولاً : شروط القصاص من القاتل عمداً :

1- أن يكون القاتل متعمداً القتل : إن قتلَ الإنسان بغير حق حراماً، وهو من الكبائر التي تجعل مرتكبها خالداً في نار جهنم، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:93). وأوضح رسول الله ﷺ أن لولي الأمر أن يأخذ بالقصاص من الجاني، وله أن يعفو ويقبل الدية في ذلك فهو بالخيار حيث جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يقتل، وإما أن يُفدى)<sup>(2)</sup>.

2- أن يكون القاتل عاقلاً بالغاً : فلا قصاص على القاتل المجنون أو الصبي الصغير أو المكره وذلك لرفع التكليف عنهم، قال ﷺ : (رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل)<sup>(3)</sup>.

3- أن يكون المقتول مساوياً للقاتل في الدين والحرية : فلا قصاص على مسلم قتل كافراً، واشترط بعض العلماء لإجراء القصاص بين العبيد المساواة في القيمة بينهم، ولم يعد بذلك آخرون ؛ لأنهما سواء في الإنسانية. وقال بعض العلماء إذا جاز قتل كل واحد بمن هو مثله، فلئن يقتل بمن هو أفضل منه أولى، والراجح عدم قتل

(1) انظر : تاريخ التشريع الإسلامي ومصادره، ص 57، 58.

(2) فتح الباري، ج12، كتاب : الديات، باب 18، ص 205، حديث رقم 6881.

(3) فتح الباري، ج4، ك الطلاق، باب 11، ص 388.

الرجل بالأنتى لعدم تحقيق المماثلة، والقصاص قائم على العدل والمساواة، كما أنه لا يقتل المسلم بذمي أو معاهد، وهذا ما عليه

الجمهور - بخلاف الأصناف الذين قالوا : يقتل المسلم بالذمي والمعاهد (1).

4- ألا يكون القاتل أصلاً للمقتول : قال العلماء : لا قصاص على الوالد إن قتل ابنه واعتمدوا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( لا يُقَادُ الوالدُ بالولد ) (2).

5- أن يكون المقتول ممن لا يحل دمه : فإن كان ممن يحل دمه كالمرتد والزاني المحصن فحينئذ لا قصاص على القاتل.

6- أن تكون الأداة التي استعملت في القتل تتسبب في القتل في الغالب : ويدخل في ذلك الإغراق في الماء والخنق والحبس والإسقاط من شاهق والإحراق بالنار والقتل بالسم، فقد وضعت يهودية السم لرسول الله ﷺ في شاة، فأكل منها لقمة ثم لفظها، ومعه بشر بن البراء، فعفا عنها النبي ولم يعاقبها، فلما مات بشر بن البراء قتلها به (3).

7- موافقة أهل المقتول على القصاص من الجاني : وأضيف أنه لا يقتل القاتل إلا بعد أن يؤخذ رأي أهل القتل فيه، فإن طلبوا قتله قُتل وكان القتل كفارة له، وإن عفوا عنه وأخذت منه الدية التي تقدر بحوالي (4250) جرماً من الذهب تقريباً، وعليه الكفارة وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صوم شهرين متتابعين.

ثانياً : في حالة الجروح :

يجب القصاص فيما دون قتل النفس بالإجماع على ذلك وعملاً بقوله تعالى قيل الإجماع : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة: 45).

وعمل ﷺ بهذا النص عندما كسرت الربيع - وهي عمه أنس بن مالك - ثنية جارية من الأنصار، فطلب القوم القصاص فأتوا النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص فقال أنس بن النضر : لا والله لا تكسر سنّها يا رسول الله، فقال رسول الله : يا أنس كتاب الله

(1) انظر : المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج2، ص 173.

(2) أخرجه الترمذي، ج4، ك الديات، باب 9، ص 18، 19، حديث رقم 1400.

(3) انظر : فقه السيرة، ص 329، 330، ط7 .

القصاص فرضي القوم، وقبلوا الأرض فقال ﷺ : (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) (1).

وأوضح المفسرون والفقهاء شروطاً للقصاص من الجروح نوجزها في

التالي :

- 1- أن يكون القصاص بعيداً عن الجور والظلم عند الاستيفاء من المعتدي الجاني.
- 2- أن يكون العفو المراد قطعه مماثلاً في الاسم والموضع للعضو المتلف من قبل الجاني.
- 3- التماثل في الصحة فلا يقطع العضو الصحيح من الجاني في حين أنه قطع عضواً مشلولاً للمجني عليه ولا العين السليمة بالعين المكفوفة.
- 4- لا يقام القصاص إلا بعد أن يشفى المجني عليه، فإن شفي وعاد لهيئته ولم يحدث نقصان فليس فيه قصاص وإن كان هناك نقصان أقيم القصاص بحسب ما قطع.
- 5- أن يكون القصاص ممكناً إقامته على الجاني بنفس ما أحدثه من ضرر، وإن تعذر ذلك ترك الأمر إلى العقوبة التعزيرية، وتقدر حينئذ الدية حسب الضرر الواقع (2).

#### المطلب الثالث : أنواع القصاص في القتل :

الجرائم التي يقع فيها القصاص هي التي يتم الاعتداء فيها على حق العباد، إما بالاعتداء على النفس بالقتل أو ما دون النفس كالجروح وقطع لبعض الأطراف أو إتلافها، وتسمى هذه الجرائم بالجنايات ومن أعظمها وأخطرها جريمة القتل. ولقد فرّق الإسلام بين أنواع ثلاثة من القتل حتى لا يقع أدنى ظلم على المقتول أو على القاتل، وهذه الأنواع الثلاثة هي كما يلي :

#### 1- القتل العمد :

وهو أن يقتل الإنسان غيره بألة قاتلة، ويكون المقتول معصوم الدم، كأن يطعنه بسكين أو يطلق عليه الرصاص من سلاح ناري أو نحوه مع سبق الإصرار والتحدي كأن يغرقه في ماء عميق أو أن يلقي بإنسان من مكان مرتفع أو يخنقه من عنقه أو يمسك بخصيتيه حتى تخرج روحه فيفارق الحياة.

(1) فتح الباري، ج8، ك التفسير، باب 6 (الجروح قصاص)، ص 274، حديث رقم 4611.

(2) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 149، وأيضاً منهاج المسلم، ص 442.

وهذا النوع من القتل المتعمد فيه القود من الجاني بتمكين أولياء المقتول منه وليس لهم أن يقتلوا غير القاتل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِنَّمَا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (الإسراء: 33) وجاء في تفسيرها أنه لا يقتل غير القاتل، وأوضح ﷺ أن لولي الأمر إما القصاص وإما العفو وإما أن يأخذ الدية وليس له أن يفعل الرابعة<sup>(1)</sup>.

ويؤيد ذلك ما جاء عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: (من أصيب بقتل أو خبل - فساد في أحد الأعضاء - فإنه يختار إحدى ثلاث إما أن يقتصص وإما أن يعفو وإما أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)<sup>(2)</sup>.

## 2- القتل شبه العمد :

وهو أن يتعمد الإنسان ضرب غيره بما لا يقتل فيموت، كأن يضرب المجني عليه بعضاً خفيفة لا تقتل في العادة أو يوكزه بيده في بطنه، وبذلك يكون قد تعمد العدوان، ولم يتعمد القتل، وحكم هذا النوع من الجنايات أنه يوجب على الجاني الدية المغلظة والكفارة ويكون الجاني أتماً في ارتكابه للقتل<sup>(3)</sup>.

واعتمدوا حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل : منها أربعون في بطونها أولادها)<sup>(4)</sup>.

## 3- القتل الخطأ :

هو القتل الغير متعمد وليس فيه شبهة العمد كأن يفعل الإنسان شيئاً مباحاً له فعله، فيرمي صيداً أو هدفاً فيصيب إنساناً بغير علمه فيموت هذا الإنسان، أو ما يحدث في حوادث الطرق من إصابات تؤدي إلى الوفاة، فحكم مثل هذا القتل ليس فيه القود من الجاني لأنها بغير قصد وإرادته، وإنما عليه الدية والكفارة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً

(1) انظر : تفسير الشعراوي 748/2.

(2) سنن أبي داود، ج2، ك الديات، باب 3 (الإمام يأمر بالعفو في الدم)، ص 477، 478.

(3) انظر : التفسير المنير، مجلد 1، ج2، ص 114.

(4) سنن أبي داود، ج2، ك الديات، باب (في دية الخطأ شبه العمد)، ص 492.

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء: 92﴾.

وحكم هذا النوع من الجنايات نفس حكم النوع الثاني غير أن الدية مخففة هنا، وأن الجاني غير آثم بخلاف شبه العمد فإن الدية مغلظة والجاني آثم (1).

### الفرق بين القصاص وباقي الحدود :

إن الشريعة الإسلامية أقرت نظام العقوبات في القصاص وباقي الحدود من أجل تحقيق حياة يسودها الأمن والاستقرار ويرفرف عليها السلام والاطمئنان، فلا يعتدي إنسان على آخر ولا يستبد قوي بضعيف أو غني بفقير ولا يتحكم حاكم بمحكوم، فتصان الدماء والأموال والأعراض.

والشريعة الإسلامية تنظر إلى الناس على حد سواء لا فرق بين عربي وعجمي أو أسود وأبيض إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13) وحدود الله تبارك وتعالى جاءت لكي تطبق على جميع الناس بدون تفریق بين حاكم ومحكوم فالجميع على قدم المساواة أمام الحدود الشرعية، والتي تتمثل في حد الردة عن الدين وحد الزنا والسرقه والقذف وشرب الخمر وحد الفساد في الأرض وحد القتل وهو من أعظم هذه الحدود خطورة لأنه يتعلق بالجنايات التي فيها القتل والاعتداء على الآخرين بإنزال الجروح وغيرها.

لذلك كان لحد القصاص وباقي الحدود تمايز وفوارق نوجزها في التالي :

1- الحدود حقوق لله تبارك وتعالى، أما القصاص فهو من حقوق العباد لأن الجاني قد أنزال ضرراً مادياً مباشراً في المجني عليه.

2- لا يجوز الشفاعة في الحدود ؛ لأنها حق لله سبحانه، فمن أصاب حداً من حدود الله ينبغي أن يقام عليه الحد إذا وصل إلى الإمام، حيث جاء عن عائشة أم المؤمنين أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : مَنْ يَكْلُمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(1) انظر : تفسير محاسن التأويل، ج3، ص 401، وأيضاً إصلاح الراعي والرعية، ص 124-128.

وَمَنْ يَجْتُرْ عَلَيْهِ - يتجاسر على الكلام في ذلك - إلا أسامة حبُّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : (أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟) ثم قام فاخترط فقال : (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا

عليه الحد وأيمُّ الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (1). أما بالنسبة للقصاص فيجوز الشفاعة فيه، إذا قبل أهل القتل الدية والمصالحة سقط القصاص عن الجاني.

3- لا يجوز العفو في الحدود بينما يجوز العفو في القصاص، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: 178).

4- الحد لا يورث المطالبة فيه، فمثلاً إذا مات الزاني أو السارق فلا دعوى ولا قضاء، أما القصاص فيورث حق المطالبة فيه لأولياء الدم (2).

#### خلاصة المبحث :

إن القصاص في القتل وفي الجروح ثابت بالكتاب والسنة والإجماع من علماء الأمة بشرط المساواة في القصاص فاليد باليد والرجل بالرجل والسن بالسن والعين بالعين وإذا شجه في رأسه أو وجهه فأوضح العظم فله أن يشجه كذلك في نفس المكان المماثل، وإذا لم يتمكن من المساواة والمماثلة فلا يشرع القصاص عندئذ، بل يجب الأرش وهو نوع من الدية يقدر عن إتلاف العضو أو الجرح أو الخسارة الناجمة عن اعتداء الجاني. ويؤيد ذلك ما رواه نمران عن أبيه أن رجلاً ضرب رجلاً على ساعده بالسيف فقطعها من غير مفصل فاستدعى عليه النبي ﷺ فأمر له بالدية، فقال : يا رسول الله، إني أريد القصاص فقال : (خذ الدية، بارك الله لك فيها) (3).

ولم يقض له بالقصاص وقالت طائفة من العلماء، إن الحالات التي لا تتحقق فيها المماثلة لا قصاص فيها، وقالوا بالعقوبة التعزيرية وهي عقوبة يقدرها القاضي المسلم حسب نوع الجريمة.

(1) شرح صحيح البخاري فتح الباري، ج12، ك الحدود، باب 11، ص 86، حديث رقم 6887.

(2) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 149.

(3) ابن ماجه، ج2، ك الديات، باب 90، ص 88، حديث رقم 2636.

## المبحث الثاني

### أثر القصاص على التنشئة الاجتماعية

إن الله سبحانه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين، لم يترك الناس هملاً على سطح هذه المعمورة يتخبط بعضهم ببعض في ظل أنظمة ومناهج أرضية هابطة ساقطة لا تحقق إلا التيه والاضطراب والنكد، وإشعال الحروب والفتن في حياة الناس، ولمنع ذلك الفساد أنزل الله سبحانه الحدود في شريعة الإسلام لتحقيق مصلحة العباد وتوطيد الأمن والسلام والاستقرار في المجتمع والعمل على حمايته داخلياً من الفوضى والاضطراب وبذلك تقوى الجبهة الداخلية للمجتمع في وجه الأعداء فتستعصي على الانكسار مهما دبر ومكر الماكرون ؛ لأنه لا سبيل للفوضى والفتن الأمني في ظل سيادة الشريعة الإسلامية التي يترى الأفراد في ظلها على مخافة الله والورع والتقوى والحفاظ على الدماء والأموال والأعراض وممتلكات الآخرين.

ولتحقيق مصالح العباد في الأرض والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة أنزل الله سبحانه هذه الشريعة الربانية وأمر الحاكم والمحكومين باتباعها والعمل بمقتضاها، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ \* إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية: 18-19).

والمتبصر في أحوال الأمة عبر عصورها المتلاحقة يجد أن إقامة الحدود الشرعية في المجتمع تبعد الناس عن المفاصد بكافة صورها وأشكالها وتُحد من الجرائم، بل تقضي عليها أحياناً، فهي عقوبات رادعة لمنع العابثين والمستهترين بدماء الناس وأموالهم وأعراضهم وبمقدرات الأمة، ولبيان أثر الحدود الشرعية بشكل عام والقصاص بشكل خاص على التنشئة الاجتماعية من جميع جوانبها

جعلت هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالتالي :

1- تعريف التنشئة الاجتماعية وبيان محاضنها.

2- القصاص وأهداف التنشئة الاجتماعية.

3- دور القصاص في التنشئة الاجتماعية.

**المطلب الأول : تعريف التنشئة الاجتماعية وبيان محاضنها :**

**أولاً : تعريف التنشئة الاجتماعية :**

إن موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع الهامة التي جاء الحديث عنها في كثير من المؤلفات التي تتحدث عن علم الاجتماع أو علم النفس تناولها أصحاب التفسير



الاجتماعي أثناء الحديث والشرح والتحليل والتأويل لنصوص الكتاب العزيز التي تدعو إلى إعداد الجيل القرآني الفريد الذي ينهل من ينبوع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ذلك الينبوع الذي يحافظ على استمرارية وجود المجتمع الإسلامي مادياً ومعنوياً.

ولقد جاء في تعريف التنشئة الاجتماعية عدة تعريفات منها :

1- أنها لا تعني صب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة، بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين تتحكم فيه عوامل وراثية وبيئية.

2- وعرفها آخرون بأنها عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتقيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

3- وأجمع هذه التعاريف وأشملها، أنها عملية تعلم.

إنها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً على سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسابرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

ونستطيع القول بأن التنشئة الاجتماعية هي عملية تربوية تعليمية يكتسب الأفراد من خلالها الصفات الخلقية والضبط الذاتي اللازم حتى يصبحوا مواطنين راشدين يتحملون المسؤولية في مجتمعهم بأمانة وإخلاص.

وبذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية لا تزيد عن كونها عملية يتعلم فيها أبناء المجتمع الانضمام إلى مؤسسات المجتمع كالأُسرة والمدرسة والمسجد والجمعيات الثقافية والرياضية والخيرية.

وتبدأ عملية التنشئة الاجتماعية منذ المراحل الأولى في حياة الإنسان وتستمر حتى مماته، ويتعلم الصغار اكتساب القيم الأخلاقية والتراثية والدين والعادات والتقاليد من الآباء، والآباء يتعلمون المزيد من القوانين والتجارب، إن التنشئة الاجتماعية لا تتوقف على الصغار، بل تمتد لتشمل أفراد المجتمع الإسلامي جميعاً.

وبذلك يتضح أن مهمة التنشئة الاجتماعية هي اكتساب الإنسان للقدرات التي يستطيع من خلالها تهذيب سلوكه بتغليب الجانب العقلي والروحي على غيرها من

---

.Islam Online, net (1)

الجوانب المادية، وهذا ما تهدف إليه الشريعة الإسلامية عندما فرضت التزام حدود ما أنزل الله لضبط حركة الأفراد ضمن ما يحقق كل معاني الرفاه والتقدم والأمن والسلام من جيل إلى جيل.

### ثانياً : محاضن التنشئة الاجتماعية :

إن عملية التنشئة الاجتماعية تتم عن طريق المنهج الذي يضبط المجتمع والمؤسسات الاجتماعية التي تنشأ في المجتمع وأهمها المنهج الرباني والأسرة والمدرسة والمسجد، والمؤسسات العديدة التي يعمل فيها الأفراد والأندية الاجتماعية والنقابات والصُحبة التي تعمل على تقوية الروابط الاجتماعية في المجتمع، وسنتحدث عن كل واحدة وهي كما يلي :

#### 1- المنهج الرباني :

لقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم منهجاً لضبط جميع مناحي حياتنا السياسية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية وهو منهج مبرأ من الضعف البشري صالح للتطبيق في كل زمان ومكان، ويحقق العدل المطلق بين الناس ويقضي على الظلم والفساد، وذلك لأن هذه الشريعة الربانية تمتاز بالشمول لحياة الإنسان والمجتمع من جميع جوانبها، فتعمل على صيانة الضرورات الأساسية التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها في الحياة.

وحصر العلماء هذه الضرورات في خمسة أمور أسموها بالكليات الخمس وهي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وقالوا إن ما جاء في الشريعة الإسلامية من مبادئ تهدف إلى حفظ هذه الكليات الأساسية في حياة المجتمع وهي الثمرة الكبرى لعملية التنشئة الاجتماعية.

وإذا تبصرنا أحكام الشريعة الإسلامية نجد أنها تُنمي هذه الكليات وتعمل على حفظها بعقوبات زاجرة ورادعة لمن يحاول أن ينتهك حرمتها، فشرعت الحدود ونظام القصاص وأقرت نظام التعازير في الإسلام<sup>(1)</sup>.

وجاء التركيز على عقوبة القتل بالقصاص ؛ لأن الاعتداء على النفس من أكبر الجرائم عند الله بعد الإضرار به، فقتل النفس هو قتل للناس جميعاً، قال تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: 32).

(1) في ظلال القرآن 159/2.

#### 1- الأسرة :

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالأسرة عند تكوينها وبتربية الأبناء فيها على أسس حميدة عندما حددت العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الأولاد وآبائهم وما ينشأ عن هذه العلاقة من حقوق وواجبات تهدف لإصلاح الجوانب الاجتماعية داخل الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى الأساسية التي يتكون منها المجتمع.

لذلك أمر الله سبحانه بالزواج الشرعي واعتبره ميثاقاً غليظاً لتستمر الحياة الزوجية بتوازن يسودها كل معاني الخير والرحمة والمودة والسكن ويتم فيها تحقيق الثمرة وهي إنجاب الأطفال الذين هم في أمس الحاجة إلى الرعاية والتربية المثالية التي تحقق لهم التوازن النفسي في مجتمع صالح متعاون على الخير والبر والإحسان، وبالتالي يكونوا رجالاً للمستقبل وأملاً للأمة<sup>(1)</sup>.

#### 3- المدرسة :

إن المدرسة تعتبر المؤسسة التعليمية الهامة في المجتمع بعد الأسرة في زيادة التنشئة الاجتماعية عند الطفل من خلال زيادة تجارب الطفل الاجتماعية في محيط الطلاب ودعم إحساسه بالحقوق والواجبات وتقديره للمسئوليات وتعليمه الآداب الأخلاقية في التعامل مع الغير بأدب واحترام وحب مصلحة الوطن والمواطن من خلال المناهج الدراسية والكتب التي لا تنقل المعرفة فقط، بل تبني الطلاب وتوجههم نحو المجتمع والوطن، كما تقدم المدرسة إضافة إلى هذا الجهد التعليمي في التنشئة فهي تقوم بجهد آخر من خلال ممارسة السلطة والنظام وأنماط العلاقات الاجتماعية بين الطلاب في قاعة الدرس، ومع المعلم فيكتسب الطالب أنماطاً من السلوكيات التي تجعله إيجابياً في المجتمع<sup>(2)</sup>.

#### 4- المسجد :

إن صلاة الجماعة في المسجد يتم فيها التعارف بين المصلين عندما يجتمعون خمس مرات في مواعيد الصلاة من كل يوم فتتألف قلوبهم ويتناصحن فيما بينهم ويتعاونون على حل ما يعترضهم من مشاكل، كما وأن صلاة الجماعة تعمق وتعزز الروابط الاجتماعية بين الناس وتعلم الإنسان حب الآخرين والتسامح معهم والعمل على مساعدتهم وخاصة الفقراء والمساكين منهم وتحثه على نصره المستضعفين في الأرض

(1) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص 447.

(2) انظر : معاهد التعليم الإسلامي، ص 128.

فأوصى ﷺ بالحفاظ عليها فقال : (صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً) (1).

وأمر سبحانه باجتماع أسبوعي من يوم الجمعة يترك الناس العمل ساعة الصلاة ويتوجهون إلى بيوت الله ليشهدوا الخير بسماع خطبة الجمعة التي تعالج مشاكل المجتمع وتنمي الجوانب الاجتماعية عند المصلين، كما ويشهد المسلمون اجتماعين هامين على مدار العام في صلاة عيدي الفطر والأضحى حيث تنقوى الروابط الاجتماعية بتصافح المسلمين ويأخذ القوي بيد الضعيف والغني بيد الفقير فيشعر الجميع بالسعادة والمواساة والمساواة والمؤاخاة وهذا مما يزيد في ترابط المجتمع فتعمل على تماسكه ووحدته فيقوى أمام المحن والفتن التي تحاك لبيل من الأعداء (2).

#### 5- المجلس الصالح :

لقد اقتضت حكمة الله في الخلق أن جعل الإنسان ميالاً بطبعه إلى مخالطة الآخرين ومصاحبتهم والاجتماع بهم، وهذه المجالسة والمصاحبة لها أثرها الفعال الواضح في فكر الإنسان ومنهجه وسلوكه وهي سبب فعال في مصير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، فإن المرء على دين خليله ويتأثر بجليسه ويصطبغ بصبغته فكراً ومعتقداً وسلوكاً وعملاً، وقد دل الشرع والعقل والواقع والتجربة والمشاهدة على ذلك فمن دلالة الشرع ما أخبر به سبحانه وتعالى على ندم الظالم يوم القيامة وتأسفه على مصاحبته لمن ضلّ وانحرف وكان سبباً في انحرافه وإضلاله عن الحق (3)، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴾ (الفرقان: 27-28).

#### المطلب الثاني : القصاص وأهداف التنشئة الاجتماعية :

لقد شرع المولى الحكيم العليم القصاص، وأوجب تنفيذه على الحكام، وذلك صيانة لدماء الناس في المجتمع ومحافظة على أرواح الأبرياء، وقضاءً على الفتن في مهدها وحفاظاً على الأمن والسلام والاستقرار ؛ لأن الأخذ على يد الجاني بجنايته يكون زاجراً له ولغيره وخاصة أن الحدود لا تقام خفية، وإنما أمام وعلى مشهد من المؤمنين، وهذه رسالة رادعة لأهل البغي والعدوان، إن من همّ بقتل أخيه فإنه سيقتل، فحينئذ سيحجم عن القتل فكان في ذلك حياة له ولمن أراد قتله وحياة لأفراد المجتمع جميعاً.

(1) صحيح مسلم، مجلد 1، ك المساجد، باب 42، ص 449، حديث رقم 245.

(2) انظر : منهج القرآن في تربية المجتمع، ص 196.

(3) المختار للحديث في شهر رمضان، ص 81.

وإذا بقي المعتدي يرتع بدون قصاص وعقاب، أدى ذلك إلى إثارة الفتن والاضطراب في حياة المجتمع من جميع جوانبها في ظل الفلتان الأمني الذي يُعرض المجتمع إلى سفك الدماء البريئة أخذاً بالثأر ؛ لأن الغضب للدم المراق فطرة في الإنسان، والإسلام راعى هذه القطرة فقررت الشريعة الإسلامية حد القصاص حتى يقضى على الأحقاد والضغائن من القلوب ويقضى على أسباب البغي والخصام والعدوان على الآخرين.

إن بإقامة حد القصاص على الجناة تكون الشريعة الإسلامية قد نقلت الناس من المعنى الانتقامي إلى معنى رفيع وسامٍ جليل قائم على العدالة وإطفاء نار الحقد والعداوة والبغضاء من النفوس، بينما كانوا في الجاهلية ينتقم أهل القتل من أهل القاتل فلا يقبلون حتى يسفكون مقابل الدم الواحد ما يزيد على سبعين رجلاً، فجعل الله الغرض من هذا التشريع هو حفظ حياة الإنسان وهذه نعمة كبرى أن أنزل الله لنا هذا التشريع ليحفظ النفس والعقل والدين والنسل والمال وسائر ممتلكات الإنسان التي هي الهدف الأساسي للتنشئة الاجتماعية نماءً لكل معاني الخير وخاصة عقد أوامر الروابط الاجتماعية بين الناس من خلال أنه يحافظ على العملية التربوية التي تهدف إلى بناء الحياة الكريمة في المجتمع والتي تنشأ من خلال تحقيق الأهداف الرئيسة للتنشئة الاجتماعية وهي كما يلي :

- 1- بناء الضمير الحي والسلوك المستقيم : تهدف التنشئة الاجتماعية إلى إنشاء الإنسان المستقيم المنضبط في تعامله وسائر سلوكياته في المجتمع وهذا يتحقق عن طريق إحداث اليقظة في ضمير الإنسان فيعمل بكل ما لديه من قوة وإمكانيات لخدمة المجتمع بإخلاص وإيجابية، وعندئذ نصف هذا الإنسان بأنه صاحب ضمير حي، والقصاص يعمل من هذا الجانب ويساعد في بناء الإنسان على مخافة الله وعدم الاعتداء على حرمان الآخرين سواء في أموالهم أو أنفسهم أو أعراضهم. إن من يفكر في القتل حينما يتبصر في شرع الله سبحانه ويعلم أنه سيقتل، فهذا يعمل على إحياء الضمير اليقظ في النفس فيعمل ألف حساب من أجل أن يبتعد عن الجرائم بجميع أشكالها ؛ لأن حكم الله سبحانه واضح وراذع من الوقوع في الجرائم عبر التاريخ في المجتمع الإسلامي الذي يحتكم إلى الشريعة الإسلامية، وبهذا نفس ندره وقوع الجرائم في المجتمع الإسلامي عندما تمّ تنفيذ الحدود على الجناة كحد السرقة والقصاص وحد الزنا والردة وقذف الناس في أعراضهم... الخ.
- 2- تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى خلق مناخ اجتماعي سليم وصالح يسوده الأمن والسلام، والقصاص يعمل على حفظ هذا المناخ من خلال التالي :

أ- القصاص قائم على العدل والمساواة بين الجاني والمجني عليه، فكما حرم الجاني المجني عليه من التمتع بحياته هو أيضاً ينبغي أن يحرم من التمتع بحياته، وهذا يدعو الذي يفكر بارتكاب جريمة القتل أن يقف مع نفسه ويمتنع عن فعل القتل فيكون قد وفر الحياة الآمنة في المجتمع وتحقق السلام والهدوء والاطمئنان في حياة العباد والبلاد.

ب- إن قتل النفس كبيرة من الكبائر، وهي عزيمة ومن ينتهكها يخلد في نار جهنم، وعليه غضب من الله ويقع عليه لعنة الله وله عذاب عظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:93). إنها لعقوبة كبيرة، فمن أدركها وتبصرها بعقله فسيمتنع عن القتل فوراً، وبذلك تتحقق الحياة الآمنة التي هي هدف للتنشئة الاجتماعية.

ج- لقد أوضحت الشريعة الإسلامية حرمة الإنسان المؤمن في دمه وعرضه وماله وسائر ممتلكاته، وأنها أعظم من الدنيا وما فيها من نعيم وخيرات، قال ﷺ: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) (1). إن جريمة القتل العمد مع سبق الإصرار والتحدي لها أعظم عند الله من هدم الكعبة المشرفة ذلك البيت العتيق الذي من دخله كان آمناً، وحماه الله تبارك وتعالى بجنود من عنده عندما جاء أبرهة الحبشي وجنوده لهدمه، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (الفيل: 3-5)، فأى حرمة هذه التي هي أعظم من حرمة المسجد الحرام الذي من دخله كان آمناً، نظر عبد الله بن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك" (2)، إنها حرمة الأنفس البريئة فمن أدرك هذه المعاني الكبيرة وتربى على مائدة القرآن التي تُنمي الأخلاق الفاضلة والمعاني السامية من القيم والمثل العليا النبيلة فهو الإنسان الإيجابي الذي يعتبر الثمرة العملية للتنشئة الاجتماعية في المجتمع.

د- القصاص حياة لأبناء المجتمع جميعاً؛ لأنه لا يقتل إلا القاتل، ولا يقتص من أقارب الجاني بخلاف ما كان يحدث قديماً من حصد للرؤوس كما حدث في حرب داحس والغبراء وحرب البسوس، حيث كانت القبيلة المنتمية إليها القاتل تأخذ بالنار من أهل القاتل فتعمل سيوفها على رقابهم حتى لا يبقى منهم أحد يطالب بالنار، وهذا قمة

(1) أخرجه الترمذي، ج4، ص 6، حديث رقم 1395.

(2) أخرجه الترمذي، ج4، ص 378، حديث رقم 2032.

الإهدار لحياة الإنسان وضياع لمقدرات المجتمع وقتل للحياة الاجتماعية ونشر للعداوة والبغضاء بين الناس، فجاء الإسلام بهذه الشريعة السمحة العادلة التي أخرجت الناس من ظلمات القتل والجاهلية إلى عدالة الإسلام فنهت عن القتل إلا بالحق، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (الإسراء:33).

هـ- إن القصاص من القاتل يعمل على حفظ الأمن والسلام في المجتمع ؛ لأن فيه شفاء لنفوس أولياء المقتول، وذهاب للغضب والحقد من نفوسهم عندما يعلموا أن السلطة الحاكمة وقفت بجانبهم وخيرتهم بين القصاص من الجاني أو العفو والقبول بأخذ الدية، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:178). وإقامة القصاص على الجناة ينشر الهدوء والسكينة في روع أولياء المقتول ويذهب حب الانتقام من نفوسهم ويضع حداً لمسلسل القتل الذي إذا تواصل يقضي على قدرات المجتمع، وفي القصاص عبرة للناس ممن يشاهدون إقامة الحد ؛ لأن الحدود لا تُقام في أقبية السجون، وإنما تُنفذ أمام الناس وعلى مرأى منهم حتى يكون رادعاً لجمهور الناس، يعمل على حفظ الأمن والتكافل، وهذا من عوامل حفظ المجتمع وترابطه وتماسكه لحمة واحدة أمام المحن والشدائد في وجه العدو الرئيسي المحتل للأرض فهو يسعى ليلاً ونهاراً لإحداث الفتن والاضطراب في مجتمعنا الفلسطيني لكي يسهل عليه ابتلاع المزيد من الأرض وطمس معالم الهوية الإسلامية الفلسطينية من فوق الأرض بتهويد المقدسات الإسلامية في القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى الحبيب محمد ﷺ.

### المطلب الثالث : دور القصاص في التنشئة الاجتماعية :

لقد علم الله سبحانه أن للقصاص دوراً هاماً في تنمية التنشئة الاجتماعية من خلال أنه يعمل على إصلاح الحياة الإنسانية وحفظها من الدمار والضياع، وأخبر سبحانه أن في إقامة هذا الحد حياة للناس جميعاً داخل المجتمع المسلم الذي يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وعقوبة القصاص علاجٌ ناجح في معالجة الأفراد والجماعات والشعوب وفيها إصلاح للأمم وتثبيت لدعائم المجتمع من الجانب الأمني والأخلاقي والاقتصادي ؛ لأنها

تعمل على حفظ الأنفس، فيعم السلام والهدوء والاستقرار على ربوع الوطن بأسره إذا احتكم الناس إلى شرع الله والتزموا حدود ما أنزل الله في كتابه الكريم، قال تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:179).

قال بعض المفسرين : القصاص حياة من جانبيين :

1- القصاص حياة لأن من هم بالقتل فتذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة وقال بذلك أكثر أهل العلم.

2- القصاص حياة من جانب وقوع القتل، حيث لا يُقتل إلا القاتل دون غيره من أقارب الجاني، بخلاف ما كان يحدث في الحياة الجاهلية قبل الإسلام فقد كان القتل يستمر ويحصد رؤوساً كثيرة لأبسط الأسباب وأتفه الأمور كما كان يحدث في حرب البسوس وداحس والغبراء<sup>(1)</sup>. وذكر الطبري في تفسيره إن القصاص حياة لأنه نكال وموعظة لأهل السفه والجهل على الناس وكم من رجل همّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض، وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح للعباد في الدنيا وسعادة لهم في الآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين وهو أعلم بما يصح خلقه<sup>(2)</sup>.

وقال صاحب الظلال إن القصاص فيه إعلان لميلاد الإنسان ؛ لأن هذا المبدأ العظيم مبدأ القصاص بدون تمييز بين إنسان وآخر أو حاكم أو محكوم ومبدأ القصاص في شريعة السماء هو إعلان عام حقيقي لميلاد الإنسان الذي يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة من جانبيين :

1- الجميع يحتكم إلى شريعة واحدة وقضاء واحد بدون أي فارق بين المستوى الاجتماعي بين الناس.

2- يتم القصاص على أساس واحد وقيمة واحدة، فالقاتل يقام عليه حد القصاص مهما كانت مكانته الاجتماعية في المجتمع.

(1) انظر : مجمع البيان في تفسير القرآن 481/1، 482.

(2) انظر : تفسير جامع البيان من تأويل أي القرآن 114/2.



وقد تخلفت مناهج البشر الوضعية عشرات من القرون حتى ارتفعت إلى بعض مستوى هذا التشريع من ناحية النظريات القانونية (1).

وأثبت الفخر الرازي في تفسيره أن القصاص فيه زيادة للتنمية الاجتماعية من خلال أنه يعمل على توفير الحياة للناس من النواحي التالية :

1- القصاص يحفظ الحياة ويكفلها من الدمار والهلاك، لما فيه من الردع لمن كان يهجم بالقتل لأخيه من أبناء المجتمع؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه إن قتل يُقتل فيمن قتله.

2- القصاص حياة؛ لأنه يعمل على حفظ الحياة في حق من أراد أن يقتل، وفي حق من يُراد جعله مقتولاً وفي حق غيرهما، حيث كان القتل يستمر في الجاهلية ويحصد رؤوس الأبرياء، وبذلك يتضح أن القصاص حياة أمن وسلام للناس في المجتمع.

3- القصاص يقوم على التسوية الكاملة بين القاتل والمقتول، فكما حرم القاتل المقتول من التمتع بحياته في الدنيا وجب أيضاً على القاتل أن يُحرم هو الآخر من التمتع بحياته (2).

وعملت الشريعة الإسلامية على نمو العلاقات الاجتماعية بين الناس المتخاصمين في المجتمع الإسلامي من خلال العفو في القصاص فرغبت النصوص الشرعية بالعفو عن الجاني لعله يندم ويرجع إلى الصواب ويتوب إلى الله ويتبرأ من فعلته النكراء في حق أخيه وحق المجتمع، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 178).

لقد شجعت هذه الآية وحببت العفو عن الجاني بإرادة أولياء المقتول ووصفتهم بصفة الإحسان إن هم عفوا عن حقهم، وهي أعظم من صفة العدل حيث إن الله سبحانه يحب المحسنين وهم الذين يتأزولوا عن جزء من حقهم لأخيهم، وهذا يجسد قمة التراحم

(1) انظر : في ظلال القرآن 899/2.

(2) تفسير الفخر الرازي 60/3.

والفضل من أولياء المقتول تجاه القاتل، ويؤكد ذلك حينما عبر بلفظ الأخ الذي يحرك عاطفة الرحمة والحنان ويزيل العداوة والبغضاء من النفوس.

ولما كان العفو في القصاص يتضمن أخذ الدية، أمر المعفو عنه بأن يقابل ذلك العفو بالمعروف والأداء بإحسان، وينبغي ألا ينقص من أداء الدية شيئاً، وأجاز الشرع لولي الأمر أن يتصدق بالدية إن أراد ذلك، قال تعالى: ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ لِأَنَّ يَصَدَّقُوا ﴾ (النساء: 92)، وأما قوله: ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 178) أي أنه لا يجوز بعد العفو عن الدم والرضا بالدية الانتقام من القاتل لأن ذلك غدرٌ وخيانة وحينئذ له عذاب أليم.

وقال العلماء أنه يتحتم قتل الولي العافي إذا قتل بعد العفو، والذي يفعل ذلك لا يجوز العفو عنه، بل يجب أن يقتله الحاكم المسلم، وإن عفا عنه ولي المقتول، وقال الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز أن أمر الذي يقتل بعد العفو موكولٌ على الإمام يعقل فيه ما يراه مناسباً<sup>(1)</sup>.

ويتضح مدى سماحة الشريعة الإسلامية والحفاظ على النسيج الاجتماعي في المجتمع أنها شجعت على العفو ورغبت فيه، ومن خلال أنه إذا عفا بعض الورثة عن القصاص يسقط وتوجب الدية فقط، وفي ذلك تخفيف من الله بالعباد ورحمة بالأمة وإصلاح الحياة والأفراد فأعطاهم الدية وأطها لهم، ولم تحل لأحد من قبل، حيث كان أهل التوراة عندهم القصاص أو العفو، أما أهل الإنجيل فقد أمروا بالعفو، وجعل الله لهذه الأمة القود والعفو والدية ولم تكن لأمة من قبلهم<sup>(2)</sup>.

(1) تفسير المنار 129/1.

(2) التفسير الواضح، مجلد 1، ج2، ص 99.

### الخاتمة

إن المتبصر في حد القصاص يجده قائماً على العدل والشمولية ؛ لأنه يحقق العدالة المطلقة بين الناس ويمنع الفساد والفلتان الأمني في المجتمع، ويحقق الأمن والسلام والاستقرار والمحبة والوئام بين العائلات من خلال تقويم سلوك الفرد والجماعة بزيادة التقوى والإيمان حيث هو الهدف والمبتغى من إقامة القصاص بين الناس، قال تعالى : **﴿ وَلكُمْ فِي القِصاصِ حِياةٌ يا أُولِي الألبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** (البقرة:179).

وتوصل البحث إلى النتائج التالية :

- 1- أوضح البحث أن القصاص ليس من قبيل الانتقام وإنما شرع من أجل المحافظة على حياة الناس، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة بين الناس.
- 2- القصاص فيه تحقيق العدالة بين الجاني والمجني عليه، فكما حرم القاتل المقتول من التمتع بحياته، وجب أن يُحرم القاتل من الحياة كما حرم غيره، فيكون الجزاء من جنس العمل.
- 3- القصاص فيه شفاء لصدور أولياء المجني عليه وذهاب للغيط والحقد والرغبة التي اعتملت قلوبهم في الثأر من الجاني، والقصاص يمنعهم من الانتقام الذي قد يتجاوز الجاني، وهذا يُطفئ نيران الثأر التي قد تُصبح حرباً مدمرة لطاقت وإمكانات المجتمع كما كان يحدث بين القبائل في الجاهلية.
- 4- أوضح البحث أن العامل الهام في حفظ الحياة وزيادة التنشئة الاجتماعية هو تربية الأفراد على تقوى الله، الذي يربط النفوس عن الاعتداء على حرمة الآخرين، لأن القلب الذي يشعر بالخوف من الله يحجم عن القتل.
- 5- إن التنشئة الاجتماعية تنمو وتزداد كلما تمّ الاعتناء بتطبيق المنهج الرباني والاهتمام بالأسرة والمدرسة والمسجد ومصاحبة الأخيار من الناس.

**التوصيات :**

- 1- يوصي الباحث بضرورة التزود بالقيم المبادئ الإسلامية والاهتمام بجعلها غذاءً لكل ما يقدم للناس من برامج تعليمية واجتماعية وتربوية عبر وسائل الإعلام وغيرها.
- 2- العناية بالأسرة المسلمة كمؤسسة اجتماعية تربوية وخاصة الأسر الفقيرة بتقديم الخدمات الاجتماعية لتخطي ما يعترضها من عقبات في تنشئة أبنائها التنشئة الاجتماعية التربوية السليمة.
- 3- العمل على تطبيق حد القصاص وسائر الحدود الشرعية لحفظ أمن وسلامة المجتمع من الزيغ والانحراف.
- 4- يوصي الباحث بالعناية بدعم الأبحاث والدراسات الإسلامية المتعلقة بالقرآن الكريم ؛ لأنه يكمن فيها الحل الشافي لما يعتور المجتمع من مشكلات.

### ثبت المصادر والمراجع

- 1- تاريخ التشريع الإسلامي ومصادره، تأليف أ.د خليفة بابكر الحسن، أ.د محمد السراج، ط: 2 (1421هـ - 2000م).
- 2- تفسير القرآن الكريم - د. عبدالله شحادة، طبعة دار غريب.
- 3- التفسير الشعرواي - للشيخ محمد متولي الشعرواي طبعة أخبار اليوم قطاع الثقافة
- 4- التفسير المنبر في العقيدة والشريعة والمنهج - أ.د. وهبة الزحيلي، ط: 1991م، دار الفكر.
- 5- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا ط : 2، دار الفكر.
- 6- التفسير الواضح -للدكتور محمد محمود حجازي ط (1406-1986)، مكتبة دار التفسير
- 7- تفسير الفخر الرازي - للإمام محمد الرازي ط: 3 (1405-1985م)، دار الفكر.
- 8- الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد القرطبي، طبعة دار الشعب.
- 9- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، ط(1404هـ -1984م).
- 10- لسان العرب لابن منظور، طبعة صادر بيروت.
- 11- دراسات في الثقافة الإسلامية، لصالح ذياب هندي، ط : 5.
- 12- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية للإمام ابن تيمية، ط : 2 (1408هـ - 1988م) دار الجيل.
- 13- فقه السيرة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة السابقة.
- 14- الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة، د. محمد بكر إسماعيل، ط: 2، دار المنار.
- 15- في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب ط : 9 (1400هـ - 1980م)
- 16- محاسن التأويل، للقاسمي، طبعة : 1، دار إحياء الكتب العربية.
- 17- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم للشيخ الطبري، ط: دار المعرفة بيروت.
- 18- المختار للحديث في شهر رمضان، تأليف مجموعة من طلبة العلم، الطبعة الثانية.
- 19- معاهد التعليم الإسلامي للدكتور سعيد علي ط (م1978م) دار الثقافة.
- 20- المعجم الوسيط- عبد السلام هارون ط (1381هـ 1961م).
- 21- منهاج المسلم - لأبي بكر الجزائري، ط: 8 القاهرة.

- 22- منهج الإسلام في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ط- دار التراث العربي.
- 23- المذهب في فقه الإمام الشافعي للفيروز أبادي طبعة عيسى البابي الحلبي.
- 24- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، د. صبحي الصالح ط.4، دار العلم.
- 25- شبكة المعلومات العنكبوتية، (الإنترنت).

# منهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف

أ/ صديق نصار

ماجستير إدارة الأعمال

أ/ خلود الفليت

ماجستير إدارة الأعمال

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008م

### ملخص البحث

تعد ظاهرة الفساد من الظواهر العالمية شديدة الانتشار تحتاج لوقت ولمال ولجهد حتى يتم نزع جذورها من أي مجتمع أصيب بها، والمجتمع الفلسطيني كأی مجتمع في العالم أصيب بهذه الآفة، لذلك جاء هذا البحث لیسلم الضوء على ما هیة الفساد الإداری وأنواعه وأسبابه والعوامل المسببة لظهوره وما هی الآثار الناجمة عنه. وما هی مظاهر الفساد الإداری في مؤسسات السلطة الفلسطينية منذ العام 1995م وحتى الآن ؟، بالإضافة إلى انه سيتم التعرف على طرق علاج الفساد الإداری التقليدية. و التوصل إلى المنهجية التي قدمها القرآن الکریم لعلاج هذه الآفة والية تطبيقها على ارض الواقع بما يناسب روح العصر. وسيعتمد الباحثان على المنهج الاستنباطي من القرآن الکریم وكيفية محاربة الإسلام لهذا المرض العضال الذي يصيب كثيراً من المؤسسات على مستوى العالم. وقد توصل هذا البحث إلى نتائج هامه منها إتباع القرآن الکریم أساليب إدارية متنوعة لعلاج هذه الآفة تتاسب روح العصر الحديث. و من الاستراتيجيات التي وضعها القرآن الکریم تعيين القيادات الصالحة والتي تكون قدوة حسنة لمروسيها. الإلتقان وإدارة الجودة الشاملة في المؤسسات تعمل على تخفيض تكاليف إصلاح هذه المؤسسات من الفساد الإداری. تحدث القرآن الکریم عن عدة أنواع من الاتصالات وبكافة الاتجاهات واشترط لها المعاملة اللينة والتواضع من قبل الموظفين.



## **Abstract**

### **((administrative corruption and the treatment of the Koran)**

The phenomenon of corruption from the global phenomena very proliferation need time and money and effort until Ajthat roots of any society sustained. The Palestinian society Kai community in the world was this scourge, so it came to this research sheds light on what administrative corruption, types and causes and the factors causing his appearance and what effects Its effects and manifestations of corruption in the administrative institutions of the Palestinian Authority since the year in 1995 and so far, will be to identify ways to treat administrative corruption and has been providing traditional treatment and fundamental solutions have come from God's Book The year Nabih peace be upon him suited to the environment of Palestine. Investigators will depend on the inductive method of the holy Quran and Islam for how to fight this disease illness that affects many institutions in the world.

## المبحث الأول

### خطة البحث

#### المقدمة:

يعدُّ الفساد الإداري من الظواهر السلبية التي استفحلت في دول العالم المختلفة، سواء الدول الإسلامية أو غيرها من الدول. ويعتبر هذا الأمر ظاهرة عالمية قديمة حديثة تشكو منها كل الدول، لما له من خطر على الأمن الاجتماعي والنمو الاقتصادي والأداء الإداري. حيث يعمل الفساد الإداري على إضعاف البنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لأي مجتمع يصاب به. ومن هنا هيمنت هذه الظاهرة على اهتمام كل المجتمعات وكل الدول وتعلت النداءات إلي إيدانتها وعملت على الحد من انتشارها ووضع الصيغ الملائمة لذلك. ([www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa)). ويعدُّ المجتمع الفلسطيني من المجتمعات التي استشرى بها الفساد الإداري والمالي منذ ولادة السلطة الوطنية الفلسطينية في العام 1994م سواء كان من رشاي و استغلال النفوذ أو الثراء الغير مشروع أو تزوير للانتخابات أو تعيين الأقارب وأبناء الحزب الواحد.... وغيرها من مظاهر الفساد الإداري التي تلمس وجودها كل مواطن فلسطيني ويشعر بها ([www.ahewar.org](http://www.ahewar.org)).

وكما تعود الإنسان المسلم أن يجد حلول جذرية للمشكلات والأزمات التي تواجهه في القران الكريم منذ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، وللعلم أن المجتمعات المسلمة يجب أن تكون خالية من هذا المرض و ذلك في حالة تطبيق كتاب والله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحكيمهما. ولكن في هذا العصر ترك المسلمون القران الكريم والسنة النبوية وحكموا قوانين وضعية كان من أثارها استفحال الفساد الإداري وانتشاره في المجتمعات المسلمة كانتشار النار في الهشيم، لذلك جاء هذا البحث ليضع حلول جذرية مستقاة من القران الكريم لهذا المرض أو هذه الأزمة التي تؤدي إلى تدهور المجتمعات وبداية انهيارها. ولكن سيتم ذلك بعد التطرق إلى تعريف الفساد والفساد الإداري، وما هي أسباب الفساد الإداري وأنواعه والآثار المترتبة عليه، والأساليب الإدارية المعاصرة لعلاجها، ومن ثم سنخرج على استراتيجيات ومنهج القران الكريم التي قدمها كعلاج شافي لهذا المرض الذي يهز أركان المجتمعات الإسلامية وغيرها من مجتمعات العالم ويهددها بالخطر.

**\*\*مشكلة البحث:**

كف اسءءاع القرآن الكرلب المنزل على النبل صلب الله عليه وسلم منذ أكءر من 1429ءاماء ءقءبم ءلول ءوهرفة لعلاب الفساد الإءاربم فب المءءماعء الإسلامفة وعبرها، و هل هناك أسالب وقائفة اسءءء عليها القرآن الكرلب لمنع هءه الظاهرة من الظهور فب مءءماعءه، وهل هءه الءلول الءب قءمها ءناسب روء القرن الواءء والعشرفن أم لا.

**\*\*أهءاف البءء:**

فهبء هءا البءء إلى ءءقق الأمور ءالففة:

- 1- ءءرف على ظاهرة الفساد الإءاربم وأسبابه وأنواعه والآءار الناءمة عن اسءءءاله فب المءءماعء.
- 2- معرفة الأسالب الإءاربفة الءءفة المءروءة لعلاجه وربءها مع أسالب القرآن الكرلب فب العلاب.
- 3- ءءرف على بعض مظاهر الفساد الإءاربم فب مناطق السلءة الوطنفة الفلسءفنفة.
- 4- ءءوصل إلى المنهبة الءب قءمها القرآن الكرلب لعلاب هءه الآفة والفة ءطبفقا على ارض الواقع بما فناسب روء العصر.

**\*\*أهمفة البءء:**

ءظهر أهمفة هءا البءء فب انه سفعمل على ءقءبم الءلول الءب ءقءرءها الإءارة الءءفة لآفة الفساد الإءاربم، وربءها مع آباء من القرآن الكرلب ووءعها بفن فبف صناع القراءاء فب المءءماعء المسلمة الءب ءعءبر الءواء الشافف لهءه الآفة.

**\*\*منهبة البءء:**

سفعءم هءا البءء على اسءءءام المنهب الوصفف لأنه فناسب هءه الظاهرة، بالإءافة إلى المنهب الاسءءءابف لأنه سفسءءءب أسالب القرآن الكرلب فب علاب هءه الظاهرة وءلك من ءلال آباء القرآن الكرلب وسفءم ربءها بالأسالب الإءاربفة الءءفة.

## المبحث الثاني

### ما هية الفساد والفساد الإداري

\*\*مقدمة:

سيعمل هذا المبحث على تسليط الضوء على الفساد، والفساد الإداري في اللغة والاصطلاح، ثم سيتم معرفة أنواع الفساد الإداري ودرجاته والأسباب الكامنة وراء ظهوره في المجتمعات، بالإضافة إلى الأساليب الحديثة المطروحة لعلاجها.

\*\* ما هو الفساد:

\*\* الفساد في اللغة: فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد. أي خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً وضده الإصلاح ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستعمال. (السوسي، 2006م، ص1). وهو يعني التلف أو العطب أو الاضطراب والخلل والحاف الأذى بالآخرين والمجتمعات. (اليوسف، 2003م، ص258).

ويعني أيضا الكسر أي شيء ما تم كسره سواء سلوك أخلاقي أو اجتماعي أو قاعدة إدارية. (فريد، مي، ص224، 2001م)

جاء في لسان العرب أن الفساد نقيض الصلاح ومعناه التداير وقطع الأرحام واستفسد السلطان قائده أي أساء إليه حتى سيعصي. (لسان العرب 3:335)

\*\* الفساد في الاصطلاح:

هو حالة يتم فيها حرف وسيلة قرار معين عن هدفه المعتمد خدمة لهدف ومصالح خاصة. (حسين / 2003م، ص179) أو انه ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المظهرة. (السوسي، 2006م، ص2). أو هو محاولة شخص ما وضع مصلحته الخاصة بصورة محرمة وغير مشروعة فوق المصلحة العامة أو فوق المثل التي تعهد بخدمتها. (كلينمارد، 1994م، ص11)، ويرتبط الفساد بأمر لا أخلاقي و غير قانوني. بمعنى انه سوء استغلال السلطة والنفوذ المستمدة من المنصب أو من العلاقات الشخصية من اجل عدم الإذعان لمبدأ المحافظة على الحدود بين المؤسسات التي ينص على (أن العلاقات الشخصية أو العائلية لا ينبغي أن تلعب أي دور في القرارات الاقتصادية التي يتخذها الموظفون المعنيون في القطاع الخاص أو العام. (فريد، مي، ص224)

إذن مما سبق نستطيع القول أن الفساد هو سلوك وتصرف سيئ يؤثر بشكل سلبي على أداء العمل ومن ثم المجتمع ولا يعمل على تحقيق المصلحة العليا للمجتمع.

### مفهوم الفساد الإداري:

يقصد بالفساد الإداري وجود الخلل في الأداء نتيجة الخطأ والنسيان وإتباع الشبهوات والزلل والانحراف عن الطريق المستقيم ([www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa)). وعرفه البنك الدولي انه سوء استعمال السلطة لأغراض خاصة، وهي مشكلة أزلية وتاريخية وجدت في كل العصور وفي جميع الدول على اختلاف تركيباتها السياسية والاقتصادية ولكن بدرجات متفاوتة. (الشلفان، 2003م، ص 321)

وهناك من عرفه على انه تجاوز المصلحة العامة إلى مصلحة خاصة. بالإضافة إلى أن بعض العلماء رأى انه القصور القيمي للأفراد والتي تؤدي إلى عدم قدرتهم على الالتزام الذاتي لخدمة المصلحة العامة، أي انه السلوك المنحرف الذي يقوم به الموظف ويترتب عليه وقوعه في مخالفات تنظيمية أو سلوكية أو مالية. (السالم، 2003م، ص 23)

ويلاحظ عدم وجود تعريف واحد متفق عليه بسبب تعقد ظاهرة الفساد الإداري وتشعب معالمها وأسبابها، واختلاف مناهج دراستها وتعدد أشكال التعبير عنها وتنوع خلفيات المشاركين في دراسة هذه الظاهرة. لكن مما سبق يمكن القول أن الفساد الإداري هو سوء استخدام واستغلال الصلاحيات الممنوحة للموظفين بما يخدم أهدافه ومصالحه الخاصة سواء موظف في قمة الهرم الإداري أو اقل من ذلك.

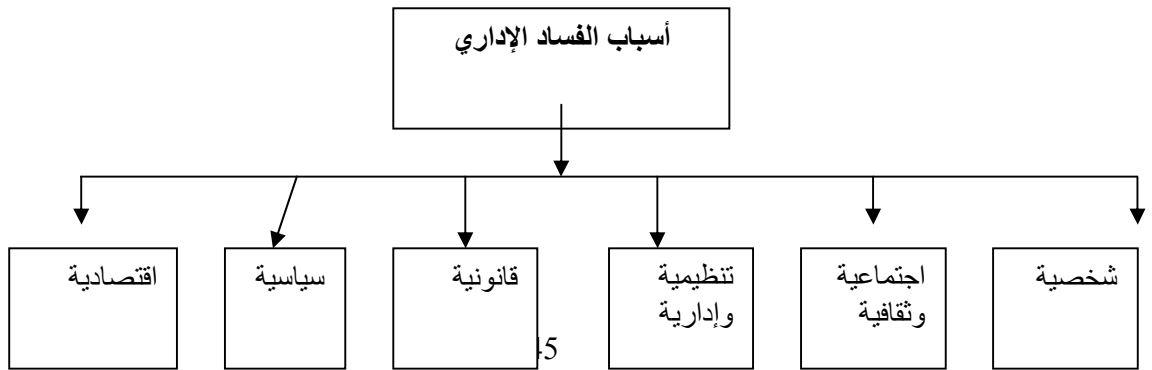
### من هو الإنسان الفاسد إدارياً؟؟

هو الذي لا يتحلى بالأخلاق والأمانة في استخدامه لصلاحياته ولسلطاته التي منحت له لشغله منصب ما. (اليوسف، 2003م، ص 258)

### \*\*أسباب الفساد الإداري:

هناك مجموعة من الأمور إن وجدت في مجتمع ما أو مؤسسة فإنها تساعد على إيجاد بيئة خصبة لتفشي ظاهرة الفساد الإداري ومن هذه الأسباب ما يلي:-

شكل رقم (1) يوضح الأسباب الكامنة وراء الفساد الإداري جردت بواسطة الباحثين



### 1- أسباب شخصية:

وهي المرتبطة بأخلاق الموظفين وميولهم واتجاهاتهم ومستوى ثقافتهم وتعليمهم ونظرتهم لمشروعية أو عدم مشروعية استغلال السلطة (السالم، 2003م، ص).

### 2- أسباب اجتماعية وثقافية:

أي العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع والتي تهيئ مجتمع مناسب لبذرة الفساد الإداري ونموها كالمحاباة والرشوة والمحسوبية وغيرها. (السالم، 2003م، ص). بالإضافة إلى غياب دور الأسرة والمدرسة عند تنشئة الابن وهو صغير وتعليمه للقيم. (كليمنارد، 1994م، ص11).

### 3- أسباب إدارية وتنظيمية:

1- مركزية السلطة:- أي الحكم الفردي والمقصود بها الاحتفاظ بالسلطة والتقليل من تفويضها إلى المرؤوسين أي أن اتخاذ القرار يكون في يد الإدارة العليا. (الفرا، ماجد، وآخرون، 2003م، ص126). بمعنى احتكار السلطات والصلاحيات دون رقيب أو متابعة. (مي، فريد، 2001م، ص224)

2- غياب نظام رقابة فعال:- أي أن هناك أنظمة رقابة لكنها ضعيفة ولا تؤتي أكلها. وتخضع هذه الأنظمة لروح التسامح والمجاملة مع من يقع عليه الخطأ ولا يوجد عقوبة حاسمة وصارمة، الأمر الذي يترتب عليه الاستهانة بذور القوانين المعاقبة والدور الرقابية. (بحر، 2001م، ص10) وحتى يكون نظام الرقابة فعال يحتاج إلى وجود معايير رقابية واقعية وقابلة للتطبيق، بالإضافة إلى موضوعية أثناء عملية الرقابة ووضع نظام للتبليغ عن الانحرافات بسرعة ومعالجتها.

3- عدم وجود مساءلة ومحاسبة:- تعرف المساءلة على أنها مساءلة المرؤوس أمام رئيسة حيث أن رئيسة يساءلة عن مدى استخدامه للملائم للصلاحيات المعطاة له ومدى انجازه لواجباته. (الفرا، 2003م، ص133) ولكن هذا الأمر إذا طبق في الإدارة الوسطى والدنيا فإنه غير موجود لدى القيادة العليا أي قمة الهرم الإداري.

4- الكفاءة ليست معيار للتوظيف:- أي أن التوظيف لا يتم على أسس موضوعية بعيدا عن مظاهر الفساد كالمحسوبية والعلاقات الشخصية أو الحزبية وهذا يترتب عليه إهدار للموارد البشرية.

### أي أن للفساد الإداري معادلة:

\*\*الفساد الإداري = المركزية + حرية التصرف + عدم المساءلة + تعيين غير موضوعي

#### 4- أسباب قانونية:

- 1- أي أن يقوم رجال القضاء والقانون في دولة ما باستخدام صلاحياتهم ونفوذهم وخبرتهم القانونية ومعرفتهم بالقانون لتحقيق منافع شخصية (السالم، 2003م، ص).
- 2- سوء صياغة القوانين واللوائح المنظمة للعمل وذلك نتيجة لغموض مواد القوانين أو تضاربها في بعض الأحيان، الأمر الذي يعطي الموظف فرصة للتهرب من تنفيذ القانون أو الذهاب إلى تفسيره بطريقته الخاصة التي قد تتعارض مع مصالح المواطنين. ([www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa))
- 3- غياب النظام القضائي:- من الأسباب المؤدية إلى إيجاد بيئة خصبة للفساد الإداري ونموه غياب نظام قضائي فعال ومستقل عن مؤسسات الدولة وخاصة السلطات التنفيذية. (فريد، مي، 2001م ص224)

#### 5- أسباب اقتصادية :

- 1- تدنى الأجور والرواتب بالإضافة إلى عدم وجود حوافز ومزايا وظيفية خاصة في الدول النامية مما يترتب عليه دفع الموظف إلى سوء استغلال سلطاته حتى يكفي حاجاته المادية ويرفع من مستوى معيشته المتدني وهنا ظهر مصطلح يسمى بالرشوقراطي وهم فئة من الموظفين يتقنون فن استثمار مزايا الوظيفة التي يشغلونها لتحقيق الثراء أو الوجاهة السريعة لأنفسهم وهم دائما يتحدثون عن الإصلاح الإداري ومحاربة الفساد مما يعجب المحيطين بهم وهؤلاء يشكلون خطر فادح على المجتمع لأنهم لا يعرفون حد للشراهة واستغلال المنصب ويحاولون سد الفجوة الناتجة عن ارتفاع متطلبات مستواهم المعيشي وتدني معدلات أجورهم وحوافزهم التي يحصلون عليها من خلال أساليب الفساد الإداري حتى يتمتعوا بحياة مليئة بالرفاهية ويحققون أهدافهم. (السالم، 2003، ص312).

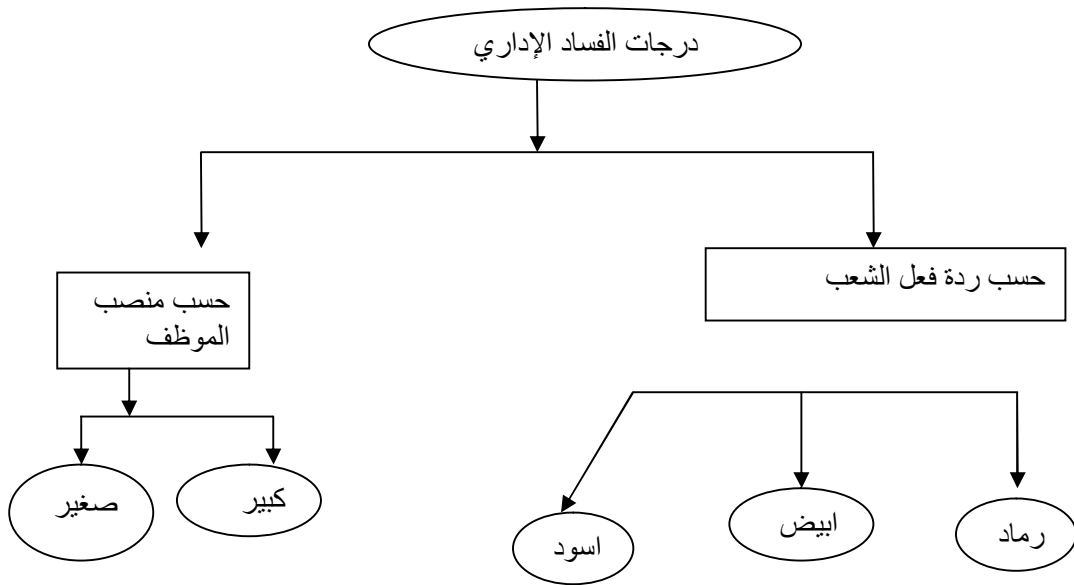
#### أسباب سياسية:

- 1- أي تعيين القياديين الإداريين في المواقع المهمة بناء على الانتماء السياسي والتنظيمي وليس الكفاءة الإدارية أو تطبيق مبدأ وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب وهذا يفتح الأبواب أمام الوساطة والمحاباة والرشوة خاصة في المجتمعات التي تغيب في ها مؤسسات الرقابة المستقلة (السالم، 2003م، ص315)، وتكبت بها حرية الصحافة. وهذا النموذج موجود في أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية بشكل كبير جداً. ([www.ahewar.org](http://www.ahewar.org))

2- عدم الاستقرار السياسي وتغيير الأنظمة والنظم الحاكمة من ديكتاتوري إلى ديمقراطي والعكس، وبشكل متسارع يترتب عليه انتشار الفساد. ([www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa))  
**\*\*درجات الفساد الإداري:**

هناك من رأى أن للفساد الإداري ثلاث درجات حسب اهتمام المجتمع بعملية معالجة هذه الظاهرة أو تقبله وتكيفه معها وعدم الاكتراث بها مما يندرز بقرب انتهائه أو دخوله في حالة من الصراع، وهناك من رأى أنها درجتين فقط حسب منصب الموظف المتورط بهذه الجريمة وهذه الدرجات هي:

شكل يوضح درجات الفساد الإداري جردت بواسطة الباحثان



**\*\* درجات الفساد الإداري حسب تقبل المجتمع أو رفضه:** (حسين / 2003 م، ص 183)

- 1- الفساد الإداري الأسود:- هنا يقف الشعب ضد مظاهر الفساد الإداري ويعتبرها جريمة يجب على القانون أن يعاقب مرتكبها ويعتبره مدان أمام المجتمع ويستحق العقاب وهذا ما أيده الشريعة الإسلامية.
- 2- الفساد الإداري الرمادي:- يقف هنا الشعب أو المجتمع منقسم على نفسه بين مؤيد ومعارض لهذه الظاهرة. وهنا يصل المجتمع إلى مرحلة الصراع بين أفرادها، ويعتبر الفساد الرمادي حاصل جمع الفساد الأسود والأبيض.



3- الفساد الإداري الأبيض: - هنا يؤيده المجتمع ويهيئ له بيئة خصبة حتى يترعرع والموظف الذي يقوم به غير مدان ويعتبر الفساد ظاهرة معتادة لا تستحق الإدانة أو التجريم.

\*\* درجات الفساد الإداري حسب منصب الموظف الذي قام به:

(الشلفان، 2003م، ص333).

- 1- الفساد الكبير: وهو الذي يقع فيه كبار موظفي الدولة (القيادات) ويتضمن هدرا لمبالغ مالية ضخمة واستغلال للنفوذ على مستوى واسع جدا، ونادرا ما يكونون عرضة للمساءلة. وهذا النوع من الفساد ظهر في قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) (سورة الروم، آية 41)
- 2- الفساد الصغير: - وهو الذي يقع فيه صغار الموظفين الذين يتعاملون مع الجمهور وعامة الناس كهدية أو رشوة مثلاً.

أنواع الفساد الإداري ومظاهره : - ([www.ordyten.com](http://www.ordyten.com)).

يقسم الفساد الإداري إلى أربع مجموعات، وهي:

1. الانحرافات التنظيمية، ويقصد بها تلك المخالفات التي تصدر عن الموظف في أثناء تأديته لمهام وظيفته والتي تتعلق بصفة أساسية بالعمل، ومن أهمها:
  - عدم احترام العمل، ومن صور ذلك: (التأخر في الحضور صباحا - الخروج في وقت مبكر عن وقت الدوام الرسمي - النظر إلى الزمن المتبقي من العمل بدون النظر إلى مقدار إنتاجيته - قراءة الجرائد واستقبال الزوار - التنقل من مكتب إلى آخر.....).
  - امتناع الموظف عن أداء العمل المطلوب منه، ومن صور ذلك: (رفض الموظف أداء العمل المكلف به - عدم القيام بالعمل على الوجه الصحيح - التأخير في أداء العمل....).
  - التراخي، ومن صور ذلك: (الكسل - الرغبة في الحصول على أكبر اجر مقابل أقل جهد - تنفيذ الحد الأدنى من العمل....).
  - عدم الالتزام بأوامر وتعليمات الرؤساء، ومن صور ذلك: (العدوانية نحو الرئيس - عدم إطاعة أوامر الرئيس - البحث عن المنافذ والأعذار لعدم تنفيذ أوامر الرئيس....).

- السلبية، ومن صور ذلك: (اللامبالاة - عدم إبداء الرأي - عدم الميل إلى التجديد والتطوير والابتكار - العزوف عن المشاركة في اتخاذ القرارات - الانعزالية - عدم الرغبة في التعاون - عدم تشجيع العمل الجماعي - تجنب الاتصال بالأفراد.....).
- عدم تحمل المسؤولية، ومن صور ذلك: (تحويل الأوراق من مستوى إداري إلى آخر - التهرب من الإمضاءات والتوقيعات لعدم تحمل المسؤولية.....).
- إفشاء أسرار العمل.
- 2. الانحرافات السلوكية، ويقصد بها تلك المخالفات الإدارية التي يرتكبها الموظف وتتعلق بمسلكه الشخصي وتصرفه، ومن أهمها:
  - عدم المحافظة على كرامة الوظيفة، ومن صور ذلك: (ارتكاب الموظف لفعل مذل بالحياء في العمل كاستعمال المخدرات أو التورط في جرائم أخلاقية).
  - سوء استعمال السلطة، ومن صور ذلك: (كتنقيد الخدمات الشخصية وتسهيل الأمور وتجاوز اعتبارات العدالة الموضوعية في منح أقارب أو معارف المسئولين ما يطلب منهم).
  - المحسوبية، ويترتب على انتشار ظاهرة المحسوبية شغل الوظائف العامة بأشخاص غير مؤهلين مما يؤثر على انخفاض كفاءة الإدارة في تقديم الخدمات وزيادة الإنتاج.
  - الوساطة، فيستعمل بعض الموظفين الوساطة شكلا من أشكال تبادل المصالح.
- 3. الانحرافات المالية، ويقصد بها المخالفات المالية والإدارية التي تتصل بسير العمل المنوط بالموظف، وتتمثل هذه المخالفات فيما يلي:
  - مخالفة القواعد والأحكام المالية المنصوص عليها داخل المنظمة.
  - فرض المغارم، وتعني قيام الموظف بتسخير سلطة وظيفته للانتفاع من الأعمال الموكلة إليه في فرض الإتاوة على بعض الأشخاص أو استخدام القوة البشرية الحكومية من العمال والموظفين في الأمور الشخصية في غير الأعمال الرسمية المخصصة لهم.
  - الإسراف في استخدام المال العام، ومن صورته: (تبيد الأموال العامة في الإنفاق على الأبنية والأثاث - المبالغة في استخدام المقتنيات العامة في الأمور الشخصية - إقامة الحفلات والدعائيات ببذخ على الدعاية والإعلان والنشر في الصحف والمجلات في مناسبات التهاني والتعازي والتأييد والتوديع....).

4. الانحرافات الجنائية، ومن أكثرها ما يلي:

- الرشوة.
- اختلاس المال العام
- التزوير.
- معاونة الظالمين والجائرين والتستر عليهم وعدم معاقبتهم من قبل الدولة.
- استغلال المواقع والمناصب لذوي النفوذ والقدرة للأغراض الشخصية أو العشائرية أو الحزبية ولا يستطيع المواطن العادي أن يقف أمام هذا الموظف صاحب المنصب وصاحب الجاه. ([WWW.al-hakim.com](http://WWW.al-hakim.com)).

• \*\* الآثار الناجمة عن تفشي الفساد الإداري في المجتمعات:

تقول الدكتورة سوزان روزا كرمان الخبيرة في البنك الدولي (إن تفشي الفساد الإداري في أي دولة سيقود إلى نهاية هذه الدولة وزواله من خارطة العالم الجغرافي)) وأعطت مثال لذلك الاتحاد السوفيتي الذي انتهت في العام 1990م بالرغم من مناداته بالمساواة والمشاركة وتوزيع الثروات بالتساوي على الشعب إلا أنه قد دمر تماما. ([www.iraqstudent.net](http://www.iraqstudent.net)) حيث أنه يترتب على انتشار هذه الظاهرة إلى تراجع الإيرادات الحكومية للدولة ومن تم تقليل نفقات الحكومة التتموية كبناء المشروعات الأساسية فيها وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية لمواطنيها مما يترتب عليه اللجوء للاقتراض الخارجي وما يتمخض عن ذلك من تبعية وفقدان استقلالية القرار وأعباء الديون الخارجية، بالإضافة إلى انخفاض النمو الاقتصادي ومعدلات الاستثمار وانخفاض حجم الطلب الكلي، ويترتب على ذلك ارتفاع مستوى الفقر وعدم عدالة توزيع الدخل بين المواطنين. (اليوسف، 2003م، ص 270). بالإضافة إلى القضاء على شعور الإنسان بالانتماء لوطنه والتشجيع على هجرة الأدمغة إلى أماكن يكون فيها الفساد الإداري أقل.

### المبحث الثالث

#### استراتيجيات القران الكريم في علاج الفساد الإداري

مقدمة:

سيتناول هذا المبحث مصطلح الفساد في القران الكريم من خلال الآيات التي ورد نص الفساد فيها، بالإضافة إلى تعريف الفساد من وجهة النظر الشرعية وما هي المنهجية والاستراتيجيات التي وضعها القران الكريم لعلاج هذه الآفة.

**\*\* ورود كلمة الفساد في القران الكريم:**

وردت كلمة فساد في القران الكريم حوالي (49مرة) (السوسي، 2006م، ص3) ومن هذه الآيات قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر)) (سورة الروم، آية 41) وقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً)) (سورة المائدة، آية 33). هذه الآيات فقط للاستدلال وليست على سبيل الحصر.

**\*\* معنى الفساد في القران الكريم:**

جاء الفساد في القران الكريم بعدة معاني منها الجذب كما في قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)) (سورة الروم، آية 41). أو بمعنى الطغيان والتجبر كما في قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً)) (سورة القصص، آية 83) أو بمعنى انه جريمة تصل إلى حد الحرب على الله ورسوله قال تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (سورة المائدة، آية 33).

**\*\* منهج واستراتيجيات علاج القران الكريم للفساد الإداري:**

هناك مجموعة من المناهج والاستراتيجيات التي جاءت بها آيات القران الكريم ويتم بناء عليها اجتناب هذا المرض العضال من جذوره، وهذه المناهج تم ربطها مع الأساليب الإدارية الحديثة لعلاج الفساد الإداري، وتم ذكر الآيات التي نصت عليها وطالبت بوجودها منذ أكثر من 1429 سنة وسيتناول البحث هذه الاستراتيجيات بالتفصيل كما يلي:

**أولاً: - القيادات... القدوة الحسنة:**

فقد قال تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض)) (سورة، النمل، آية 49). ولنا في النبي صلى الله عليه وسلم خير مثال ونعم قائد فقد قال تعالى

فيه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) (سورة الأحزاب، آية 12)، حيث انه قد ورد في ثنايا البحث أن من أسباب انتشار الفساد الإداري في المجتمعات المسلمة فساد القيادات وتسلطها ومركزية قراراتها، وحرية التصرف بأموال الدولة كما تشاء دون رقيب أو حسيب، هذا الأمر قد تداركه القرآن الكريم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو قمة الهرم الإداري في الدولة الإسلامية القدوة الصالحة للمسلمين ولغيرهم فقد كان يسأل نفسه ويسأل ولاته أو من يستعملهم على المسلمين وهذا المنهج اتبعه الخلفاء الراشدين من بعده، وهنا ينظر الموظف الذي في المستويات الإدارية الأخرى إلى القائد فإذا كان صالحا اقتدى به وإذا كان فاسداً ويستخدم الوساطة والمحسوبية والمحاباة فانه يتبع نفس الطريق ويسلك نفس المسلك.

#### ثانياً: - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حيث قال تعالى (ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (سورة آل عمران، آية 104) أي بوضع قواعد تشجع الموظفين على المحافظة على أخلاقيات العمل وتحث الموظف على التحلي بالأمانة والصدق وليس هذا فحسب بل يجب أن يكون مع هذه القواعد استخدام أسلوب الترغيب (الحوافز الإيجابية) أي أن من يلتزم من الموظفين بهذه القواعد يستحق المكافأة سواء معنوية كرسالة شكر أو إدراج اسمه في لوحة الشرف أو انه الموظف المثالي، أو الحوافز المادية كعلاوة أو زيادة راتب أو غيرها من المكافآت، بالإضافة إلى أن من يخالف من الموظفين هذه القواعد يجب معاقبته وذلك بالحوافز السلبية كلفت النظر أو التنبيه أو الخصم من الراتب ويجب إبلاغ الموظفين بهذا الأمر حتى يلتزموا بذلك ولا يقدموا مبرر لفسادهم بعدم علمهم بهذه الأمور.

#### ثالثاً: التعيين على أساس الكفاءة والجدارة:

قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)) (سورة يوسف، آية 55)، وعلى لسان ابنة شعيب عليه السلام (قالت أحدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) (سورة القصص، آية 26) وكان مما ذكر في سياق هذا البحث أن من أسباب الفساد الإداري في الدول النامية تعيين الموظفين على أساس المحسوبية والرشوة والانتماء الحزبي أو العشائري، أو الحقد في قلب المعين علي مستحق الوظيفة من حقد عليه أو عداوة بينهما، (بواطنه، 2002م، ص39) وهنا يكون هذا الموظف بعيد كل البعد عن مواصفات الموظف الذي تحتاج إليه هذه الوظيفة فيترتب على ذلك ضياع الأمانة لأنها أسندت إلى غير أهلها، وهنا إذا ضيعت

## منهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري

الأمانة فقد ضاعت المؤسسات وتدمر المنجزات التي قد ينجزها غيرهم من أصحاب الضمانات الحية. ومن ثم يضيع المجتمع. وهنا اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم انه من ولى من أمر المسلمين أحدا وهو يعلم أن هناك من هو أكفاء منه فقد خان الله ورسوله.

### رابعاً: إدارة التغيير:

يقصد بإدارة التغيير: " سلسلة من المراحل التي من خلالها يتم الانتقال من الوضع الحالي إلى الوضع الجديد، ومن ضمن المتغيرات التي تفرض على المجتمع التغيير: (درجة المعاناة من قسوة الفساد الإداري - مدى وضوح الفوائد والمزايا التي سيحققها علاج الفساد الإداري)، ومن المعروف أن القائد والإداري هو القائم الأساسي بالتغيير، (الحمادي، 1999م، ص36) وقد جاء هذا الأسلوب في قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (سورة الرعد، آية 10) وهنا دعا القرآن الكريم إلى تغيير النفوس وصلاتها، فإذا تغيرت النفس البشرية فيترتب على ذلك تغيير جذري في سلوك المجتمع ومن ثم صلاحه.

### خامساً: منهج المحاسبة و المراقبة:

حيث أن من أسباب الفساد الإداري غياب المساءلة والمراقبة الفعالة على أعمال الموظفين، وهذا الأمر انتهجه القرآن الكريم فقد قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله علمكم ورسوله والمؤمنون)) (سورة التوبة، آية 105)، وهنا تحدث القرآن عن ثلاث أنواع من الرقابة وهي الرقابة الذاتية أي أن يراقب الموظف نفسه وأن يكون لديه إيمان أن الله يراقبه ويراه فينتقي الله في نفسه وفي عمله ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، وهنا قال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) (سورة الإسراء، آية 13). وأيضاً قال تعالى (ولا تزر وازرة وزرة أخرى) (سورة الأنعام، آية 164) والنوع الثاني هو الرقابة الإدارية وهي رقابة النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه كالقائد في المؤسسة أو الدولة وذلك امتثال لقوله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) (سورة ص، آية 26)، والنوع الثالث الرقابة الشعبية أو رقابة الجماهير وعادة ما تكون رقابة من خارج المؤسسة وهي المتمثلة في رقابة المؤمنين أي رقابة الشعب على أداء الحكومة والإدارة. (السالم، 2003م، ص312) أما بالنسبة لأسلوب المحاسبة والمساءلة فقد قال تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون)) سورة النحل، آية 93).

#### سادسا: منهج العدل والمساواة من قبل المؤسسات:

عندما يتعين موظف في مؤسسة ما فهناك عقد بينهما بموجبه يعمل الموظف ببنود العقد ويلتزم بالأعمال الموكلة له فإذا أخل الموظف ببنود العقد فقد أخل بالتوظيف وهذا من أنواع الفساد التي سبق وذكرت في سياق البحث، أيضا المؤسسة إذا أخلت بالتزامها تجاه الموظف ولم تعطه حقوقه فإنها تشجع الموظف على الفساد وقد أفسدت العقد وظلمت هذا الموظف لذلك أمر القرآن الكريم بالعدل والإحسان فقد قال تعالى (إن الله يأمركم بالعدل واللاحسان) (سورة النحل، آية 90) وقوله تعالى (وإنك لعلی خلق عظیم) (سورة القلم، آية 4).

#### سابعا: منهج ترسيخ القيم الإسلامية:

تعتبر القيم الإسلامية رادع داخلي تعود إلى النظرة السليمة للإنسان مصداقا لقوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها) (سورة الشمس، آية 7)، هذه القيم لم يضعها الإنسان بل وضعها الله سبحانه وتعالى والذي يعلم تعقيدات نفسية الإنسان وكيفية التعامل معه والارتقاء به كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (سورة الملك، آية 14)، ومن هذه القيم النبيلة التي يعمل الإسلام على غرسها الأمانة فقد قال تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (سورة النساء، آية 58) فإذا قام الموظف سواء قياديا كان أو مرؤوس بتأدية مسئولياته وواجباته اعتقادا منه أنها أمانة بين يديه فهنا يقضى تماما على الفساد الإداري حيث أن الأمانة تعطي دافع ذاتي للموظف للقيام بواجباته حتى ولو تعرض لظلم من قبل مؤسسته فإنه يبقى ينظر لعمله على أنه أمانة مسأل عنها يوم القيامة، أيضا من القيم الإسلامية تذكر الإنسان لمبدأ الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة وهذه تظهر العقيدة السليمة للمسلم حول دور الإنسان في الحياة ومصيره بعد الموت، وأنه سيعتد بعد الموت ويحاسب على ما فعله في الدنيا من خير وشر فقد قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) (سورة الأعلى، آية 16 و17) وقال تعالى أيضا (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (سورة يونس، آية 7) وهذا التصور لعقيدة المسلم تجعله حريصا على التمسك بالقيم الإسلامية السامية وحريصا على عمله ليس خوفا من القوانين ورئيسه المباشر بل طمعا في الثواب الدائم والخوف من عقاب الله في الحياة الآخرة. (اليوسف، 2003م، ص 277). بالإضافة إلى هذه القيم الإسلامية هناك محاربة الإسلام للظلم والاستغلال كالاحتكار والغش والرشوة وعدم إعطاء الموظف حقه أو المؤسسة حقها حيث قال تعالى: (ولا تأكلوا

أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم (سورة البقرة، آية 188) أي لا تأكلوا بالحرام والسحت ولا تأخذوا أموال وحقوق فريق من الناس من خلال الإدلاء بالرشى والرشوات للحكام حتى تقطعوا حقوق غيركم. وقال تعالى في الحديث القدسي على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (صحيح مسلم ،، جزء 4/ 1994ص) ولا يقتصر الظلم هنا على اخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض، ولا سبب بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ مال احد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقا لا يفرضه الشرع، فهذا ظلم يترتب عليه وبال على الدولة وخراب عمرانها. (العلي، 2005م، 435) لذلك يعتبر غرس القيم السامية في الفرد والمجتمع من انجح وسائل محاربة الفساد الإداري ومن الأمور التي تخفف تكاليف محاربة هذا الأمر. وهي من المنهجيات الوقائية.

#### ثامنا: منهجية الإدارة بالأهداف:

هذا المنهج يؤكد على ضرورة العمل الجماعي بروح الفريق، والمشاركة الفعالة والإيجابية بين الرئيس والمرؤوس، ويحقق الرقابة الذاتية من أجل تحقيق الأهداف. وحيث أنه من أحد أسباب الفساد الإداري غموض الأهداف وعدم وضوحها، وجب على كل منظمة تسعى إلى علاج ظاهرة الفساد الإداري أن تمارس أسلوب الإدارة بالأهداف، وقد دعا ديننا الحنيف إلى ضرورة وضع هدف ما عندما يباشر الموظف عمله، حتى يبذل الجهد المطلوب تحقيقه حيث قال تعالى في سورة الملك (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم) (سورة الملك، آية 22)، ولقد بين لنا القران الكريم أن سبب وجود الإنسان في هذه الحياة هو لتحقيق هدف ما، فقد قال تعالى في (سورة الذاريات، آية 56) (وما خلقت الجن والانس وألا ليعبدون)) ويرى الإسلام انه عند وضع الموظف لهدف ما يجب أن يتوخى به رضا الله سبحانه وتعالى (أبو العينين، 2001م، ص81)، أي أن يتفق المدير والمرؤوس على هدف معين ويعملان بالتنسيق على تحقيقه وان يكون هناك مشاركة ايجابية بينهم. (الفرأ، ماجد، 2006م، ص168). بالإضافة إلى ذلك يجب ربط الحوافز بأهداف العاملين والإدارة معاً، حيث يجب وضع الحوافز بحيث تؤدي إلى الوصول إلى الأهداف سواء للمؤسسة أو للعاملين معاً. (زويلف، 2003م، ص175). ويمكن أن يستأنس والاسترشاد بالحكمة من تسمية السور القرآنية باسم واحد حتى يعرف الهدف والمغزى من هذه السورة بالإضافة إلى عدم اختفاء أهداف السور ومقاصدها والغاية منها.



#### تاسعا: إدارة الاتصالات:

ويعني الاتصال تبادل المعلومات ووجهات النظر والتعبير عن المشاعر والأحاسيس، وفي إدارة الاتصالات الفعالة هي التي يجب تشجيع الأسئلة وتبادل الأفكار المطروحة بين الموظفين والقيادة، وتوجيه النقد للعمل الخاطيء في الوقت المناسب و إيجاد مناخ إيجابي للاتصال يسمح بتقبل أفكار الآخرين والسماع لهم، لذلك نجد القرآن الكريم قد أجاب على ما يقارب من 13 سؤالاً للصحابة وهذا دليل على المشاركة والاتصال كما في قوله تعالى (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) (سورة الإسراء، آية 85).

وحيث أنه من أحد مسببات الفساد الإداري هو عدم كفاية الاتصالات بين الرئيس ومروءسيه، لذا كان لابد من الاهتمام بإدارة الاتصالات وممارستها بفعالية حتى يستطيع المدير أن يقوم الوضع الخاطيء داخل المنظمة في الوقت المناسب. وأن يكون هناك اتصالات بكافة الاتجاهات سواء من أعلى إلى أسفل أو العكس وأيضا في نفس الاتجاه أي الاتصالات الأفقية. وهذا الأمر قد تحدث عنه القرآن الكريم حيث قال تعالى (وما أرسلناك من رسول إلا بلسان قومه يبين لهم) (سورة إبراهيم، آية 4) وهنا يتضح الاتصال من أسفل لأعلى أي الاتصال الصاعد، ويحث القرآن الكريم القيادة أن تستمع لموظفيها وان تعاملهم بأسلوب لين وبرفق وتواضع، أي التعامل بالحسنى مع الموظف حتى تؤتي الاتصالات أكلها فقد قال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (سورة الشعراء آية 215). أيضا قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لاتفضوا من حولك) (سورة آل عمران، آية 159) وعن النوع الثاني من الاتصالات وهو الاتصال الصاعد أي من لأسفل لأعلى أي من الموظف لرئيسة (يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) (سورة الحجرات، آية 2،4). أيضا قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) (سورة الحجرات، آية 1) وقوله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف إذا عوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (سورة النساء، آية 83) أما النوع الثالث من الاتصالات فهو الاتصالات الأفقية أي في نفس المستوى الإداري فقد قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (سورة الحجرات، آية 13). (أبو العينين، 2001م، ص 193).

#### عاشرا: الإدارة بالمشاركة:

ويقصد بالإدارة بالمشاركة: " المشاركة في القرارات والآراء مع الجميع والاعتماد على الإجماع"، فيجب على كل فرد في المنظمة أن يكون له رأي وصوت مسموع حتى يعتبر نفسه جزء من المنظمة ويتولد في داخله الولاء لها. إن هذا الاتجاه حث عليه الإسلام قبل الإدارات الحديثة، يقول جل وعلا: {فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين} (سورة آل عمران، آية 159). بالإضافة إلى قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم)) (سورة الشورى، آية 38).

#### الحادي عشر: إدارة الجودة الشاملة وإتقان العمل :

إدارة الجودة إلى التحسين المستمر، والتحسين المستمر الذي تسعى إليه الجودة لا يقتصر فقط على الخدمة أو السلعة، بل يتعداه ليشمل مستوى الكفاءة في الأداء الوظيفي وتنمية العلاقات المبنية على المصارحة والثقة بين العاملين في المنشأة. وهذا الاتجاه ليس بجديد على الفكر الإسلامي، يقول تعالى (واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا)) (الكهف: آية 184). وقال تعالى (إننا لنضع اجر من أحسن عملا)) (سورة الكهف، آية 30)، وهنا يوجه الله خلقه ويحثهم على إتقان العمل وأدائه بشكل سليم في شتى مجالات العمل – وتعتبر الجودة الشاملة من أهداف الفكر الإداري الإسلامي. (أبو العينين، 2001م، ص 85). لذلك إذا راعت المنظمة الجودة الشاملة في أدائها على المستوى الذاتي وعلى مستوى المنظمة ابتعدت عن أحد مسببات الفساد الإداري.

#### الثاني عشر: أسلوب العصا والجزرة:

أي التعرف على المجد ومكافأته على قدر عمله وعدم إهماله فقد قال تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى)) (سورة النجم، آية 39-41) وهذا يسمى في الدارة الحديثة أسلوب الجزرة، وعكس ذلك الموظف حين يسئ العمل و يهمل يجب معاقبته. قال تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساءتم فلها)) (سورة الإسراء، آية 7).

#### الثالث عشر: الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية):

الهندرة مصطلح جديد في علم الإدارة وهو اختصار لعملية إعادة هندسة العمليات الإدارية، وتعرّف على أنها: (إعادة التفكير الأساسي وإعادة التصميم الجذري للعمليات الإدارية لتحقيق تحسينات جوهرية في معايير قياس الأداء الحاسمة مثل التكلفة والجودة والخدمة والسرعة، وهو منهج لتحقيق تطوير جذري في أداء الشركات في وقت قصير نسبيا". وتعتبر المنظمات ذات الوضع المتدهور والأداء المتدني هي من أكثر المؤسسات

التي تحتاج إلى عملية الهندرة وإعادة هندسة العمليات الإدارية، وهذا الوصف ينطبق على المنظمات التي تعاني من الفساد الإداري. ([www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa)). ولقد طبق هذا الأسلوب عند اعتماد الإصلاحات الإدارية التي أجريت في الصين حيث استمر برنامج الهندرة حوالي 3 سنوات منذ العام 1982م وحتى العام 1985م، وتم إجراء اصطلاحات إدارية من القمة إلى القاع وتم كتابة الوصف الوظيفي للقيادات وتحديد صلاحياتهم ومساءلتهم ووضع لجان للرقابة على أداؤهم. (عثمان وآخرون، 1998م، ص47). ومن الممكن أن نستنتج من قوله تعالى (ويعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم)) (سورة المائدة، آية 26) أمكانية إعادة ترتيب المؤسسات بشكل جيد بعيدة عن الفساد باستحضار مراقبة الله للإنسان.

المبحث الرابع  
النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج :

توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج منها:

- 1- الفساد الإداري آفة تهدد المجتمعات المعاصرة وله آثار مدمرة على هذه المجتمعات.
- 2- اتبع القرآن الكريم أساليب وطرق إدارية متنوعة لعلاج هذه الآفة تناسب روح العصر الحديث.
- 3- محاربة الفساد الإداري والمالي مقصد قرآني يشكل جزءاً من أصول النظرية القرآنية العامة في مكافحة الفساد والفلتتان وقد دأب القرآن الكريم على تقديم الحلول الجذرية لهذا المرض بشكل نفسي وإيماني وواقعي.
- 4- من الاستراتيجيات التي وضعها القرآن الكريم تعيين القيادات الصالحة والتي تكون قدوة حسنة لمرؤوسيه.
- 5- الإلتقان وإدارة الجودة الشاملة في المؤسسات تعمل على تخفيض تكاليف إصلاح هذه المؤسسات من الفساد الإداري.
- 6- تحدث القرآن الكريم عن عدة أنواع من الاتصالات وبكافة الاتجاهات واشترط لها المعاملة اللينة والتواضع من قبل الموظفين.
- 7- توصل البحث إلى ضرورة أن يعمل الموظف في بيئة عمل تتسم بالعدل والمساواة.
- 8- يعتبر أداء الأمانة والمحاسبة والمساءلة من القيم السامية التي يغرسها القرآن الكريم في عقيدة المسلم.
- 9- أسلوب الإدارة بالأهداف من الأساليب الحديثة التي تستخدم كعلاج ناجع لظاهرة الفساد الراداري.

ثانيا: التوصيات :

هناك مجموعة من التوصيات أوصى بها الباحثان وهي:

- 1- وجود تقنية معلومات حديثة من الانترنت ووسائل الاتصال والتي تساهم في الكشف عن الانحرافات أو التبليغ عنها وبسرعة حتى يتم التعرف على الخلل وعلاجه لأنه في حالة استفحاله يتحول إلى فساد إداري.
- 2- استخدام اللامركزية في العملية الإدارية ووضع دوائر رقابية متشدد تساهم في القضاء على الرشوة وغيرها من مظاهر الفساد الإداري.
- 3- وضع قوانين تحصن الموظف وغرس القيم الإسلامية النبيلة لديه وهذه تعتبر الحصن الحصين من الفساد الإداري والعمل على رفع مستوى معيشة الموظف.
- 4- بناء مؤسسات مجتمع مدني مستقلة تعمل على كشف الفساد الإداري وتوعية المجتمع من مخاطره، وتفعيل دور الرقابة.
- 5- العمل على تخريج أجيال قيادية تقود دفة التغيير والإصلاح الإداري في المجتمعات الإدارية وهذا الدور ينصب على الأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة.
- 6- ضرورة الاعتماد على احد أو أكثر من الاستراتيجيات التي جاءت في القران الكريم لعلاج ظاهرة الفساد الإداري والقضاء عليه.
- 7- أن يتم تعيين الموظف حسب الكفاءة والجدارة وليس حسب المحسوبية والواسطة والانتماء الحزبي و السياسي.
- 9- التأكيد على أسلوب الحوافز الايجابية والسلبية لتشجيع الموظفين على إتقان عملهم.
- 10- التأكيد على ضرورة وجود أهداف مشتركة بين الموظفين والإدارة العليا والعمل على الوصول لها وانجازها.
- 11- تحتاج المجتمعات المسلمة إلى تنمية العمل بروح الفريق الواحد والتأكيد على مبدأ الإدارة بالمشاركة.
- 12- التأكيد على استقلال القضاء وان لا يكون تابعا للسلطة التنفيذية في الدولة.
- 13- تنفيذ القانون على رموز الفساد والإداري والمالي أمام الحشود وال جماهير انطلاقا من قوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) (النور 2) حتى يتحقق الردع وتتوفر الهيبة للنظام والقانون.

## المراجع

أولاً: الكتب والدوريات :

- القران الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب 3:335.
- أبو العينين، جميل، (أصول الإدارة من القران والسنة) (مصر: أطروحة دكتوراه غير منشورة 2001م).
- الحمادي، على (التغيير الذكي) (لبنان: 1999م، دار ابن حزم للنشر والطباعة والتوزيع ط1).
- السالم، عبد الله (مجلة البحوث الإدارية، أكتوبر، 2003م، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية مصر).
- السوسي، ضياء، (الفساد والمفسدون، دراسة قرآنية موضوعية) (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين، 2006م).
- الشلفان، عادل (مجلة البحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة الزقازيق، مصر، العدد 2، 2003م، المجلد 25).
- العدوي، مصطفى (صحيح الأحاديث القدسية) (القاهرة: 1999م، ط1، مكتبة الصفا).
- العلي، صالح (وسائل مكافحة الفساد الاقتصادي في القطاع العام في الاقتصاد الإسلامي) (مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 21، العدد 1، 2005م).
- الفرا، ماجد وآخرون (الإدارة - المفاهيم والممارسات) (فلسطين: الطبعة 2003م، 1م).
- اليوسف، يوسف، (مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، الكويت، 2002م، المجلد 30).
- بحر يوسف، (الفساد الإداري ومعالجته من منظور إسلامي) (مجلة المشكاة، العدد الأول، غزة - فلسطين، 2001م).
- بواطنه، جمال (الحملة على الفساد والمفسدين من منطلق إسلامي) (مجلة البيادر السياسي، العدد 813، السنة 22).
- حسين، عاصم، (الأزمات والفساد الإداري) (المجلة العلمية لكلية التجارة - جامعة الأزهر - القاهرة، العدد 25، 2003م).
- زويلف / مهدي (إدارة الأفراد) (عمان: 2003م، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1).

## مهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري

- صحيح مسلم (الجزء الرابع، كتاب البر والصلة والآداب-باب تحريك الظلم) دار إحياء التراث العربي للنشر-بيروت).
- عثمان، فتحي وآخرون (تجارب عالمية مختارة في الإصلاح الإداري -دراسة حالات خمس دول أسيوية)، (المنظمة العربية للتنمية الإدارية، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية -الأمم المتحدة، 1998م).
- فريد، مي (عصر من الفساد، من فساد السفح إلى فساد السلطة) (مجلة الكتب وجهات نظر، العدد 21، السنة الثانية، 2001م).

### ثانيا: مواقع الانترنت:

- الفساد الإداري والمالي في السلطة الفلسطينية-مهند صلاحات [www.ahewar.org](http://www.ahewar.org)
- ظاهرة الفساد الإداري والمالي في العراق -كامل السعدون [www.iraqstudent.net](http://www.iraqstudent.net)
- الفساد الإداري وعلاجه من منظور إسلامي هنادي يماني [www.taifsmc.gov.sa](http://www.taifsmc.gov.sa)
- الفساد الإداري في العراق وسبل إصلاحه -جواد الموسوي [www.alsabaah.com](http://www.alsabaah.com)
- مظاهر الفساد الإداري-الفقار [www.al-hakim.com](http://www.al-hakim.com)

الأحاديث الواردة في تأثر المشركين بالقرآن  
(دراسة تحليلية)

بحث مقدم لمؤتمر مركز القرآن والدعوة الإسلامية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف

د . نعيم أسعد الصفدي

أستاذ الحديث المشارك بكلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية - غزة

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008م



## ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فإنَّ القرآن الكريم هو مصدر عزتنا وكرامتنا، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك أراد الباحث أن يبرز إعجاز القرآن الكريم من خلال ذكر الأحاديث الدالة على تأثير المشركين به. فقام الباحث بتعريف التأثير لغة واصطلاحاً، وبيان كون التأثير بالقرآن وجهاً من وجوه الإعجاز، وجمع الأحاديث - الصحيحة والحسنة - الدالة على ذلك، وقام بوضع عناوين مناسبة لها، استنبطها من خلال النصوص الحديثية، تبين مظهر هذا التأثير، وقام بتخريجها وبيان حكمها، وغريب ألفاظها، والفوائد المستنبطة منها - إن وجدت - ثم ذكر بعضاً من التجارب العملية التي حدثت مع بعض المعاصرين والدالة على تأثير غير المسلمين بالقرآن الكريم، وخلص الباحث إلى أن هذا الوجه من الإعجاز مثبت من خلال الأحاديث الصحيحة والحسنة، فضلاً عن الآيات القرآنية الدالة على ذلك. وأن من مظاهر تأثير المشركين بالقرآن :

- تراحم نساء وأبناء المشركين على سماع القرآن وإعجابهم به.
  - الرقة لسماع القرآن.
  - التأثير بالبكاء ونزول الدمع.
  - التأثير بالوعي والحفظ لما يتلى.
  - طيران القلب وتصدعه تأثيراً بسماع القرآن.
  - تغيير الوجه ودخول الإسلام بمجرد سماع القرآن.
- وأثبتت التجارب العلمية المعاصرة أن القرآن له تأثير واضح على الإنسان فهو يهدئ من توتره، ويساعده على التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية.
- وأن أسباب هذا التأثير ترجع إلى مصدر القرآن الكريم وهو الله سبحانه وتعالى، وإلى ألفاظ القرآن المؤثرة البليغة، وإلى قارئ القرآن المجود له، المؤمن به إيماناً عميقاً، وإلى السامع البعيد عن الكبر والجحود.

والحمد لله رب العالمين

### **Abstract**

#### **Prophetic Hadiths about the Polytheists' affection by the Holy Qur'an (Analytical Study)**

Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds. Peace and blessings be upon. Prophet Mohammed, his family and his followers

The Holy Qur'an is the source of our dignity and honor, and it is free from any falsity. As a result, the researcher wanted to justify the miraculous nature of the Holy Qur'an, through presenting texts of Prophetic Hadiths reflecting the Polytheists' affection by the Holy Qur'an. He defined "affection" in language and convention; and showed that affection by the Holy Qur'an is due to its miraculous nature. The researcher collected the Prophetic Hadith texts – Sahiha and Hasana – proving that fact, then chose suitable titles for them, concluded from the texts themselves. He also interpreted them, explained the meanings of the difficult words, and showed the morals included, if any; after that, he mentioned some real experiences of the contemporary time indicating the affection of non-Muslims by the Holy Quran. The researcher concluded that this type of miraculous nature is proved by the texts of the Prophetic Hadith – Sahiha and Hasana –, and the Qur'anic Verses about such issue. Some of the characteristics of the Polytheists' affection by the Holy Qur'an are:

- Crowding of their wives and children to listen to the Holly Quran which noticeably attracted them.
- Tenderness of their hearts when listening to the Holy Qur'an.
- Fearing Allah and weeping.
- Being aware of it and memorizing whatsoever recited.
- Complete Submission to Allah when listening to it.
- Performing immediately all what is obliged.
- Converting into Islam as soon as listening to it.
- Current scientific studies proved that the Holy Qur'an has great influence on the human being. As it helps him relax, meditate, perceive things deeply, and provides him with mental relaxation. This influence goes back to, Allah, the divine power and source of the Holy Qur'an, to the eloquent and influencing Qur'anic style, to a good reciter, to a strong believer in its words, and finally to a good listener away from disbelief and arrogance.

**Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds**

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فإن البشرية لم تعهد كتاباً مؤثراً في حياتها كالقرآن الكريم، الذي "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" (1) حيث ترك القرآن الكريم أثره في تصورات الإنسان وفكره ومعتقداته، وأزال حجب الريب والشك، وكان له الأثر الكبير في إسلام عدد كبير من المشركين، حيث إنه يؤثر في النفوس النقية فيجعلها تتساق طوعاً إلى الإسلام، ويؤثر في القلوب النقية فيجعلها ترق وتهتز وتتصدع من خشية الله ويؤثر في الأجسام فيجعلها تهدأ ويخف توترها العصبي.

قال تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (2)

قال القرطبي معلقاً على هذه الآية: "إنه حقيق بأن تخشع له القلوب وترق له الأفتدة. حيث إن من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه، وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب، أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض، لرأيتَه مع كونه في غاية القسوة، وشدّة الصلابة، وضخامة الجرم، خاشعاً متصدعاً: أي متشقّقاً من خشية الله سبحانه، حذراً من عقابه وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله. وهذا تمثيل وتخيل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب". (3)

ولذلك أراد الباحث أن يبرز الأحاديث النبوية - الصحيحة والحسنة بنوعيتها -

التي تدلل بشكل واضح جلي على تأثير المشركين بالقرآن الكريم.

حيث قام الباحث بتعريف التأثير لغة واصطلاحاً، وبيان كون التأثير بالقرآن وجهاً من وجوه الإعجاز حيث ذكر الباحث بعضاً من أقوال العلماء القدامى والمُحدّثين الدالة على ذلك.

(1) سورة فصلت الآية 42.

(2) سورة الحشر الآية رقم 21.

(3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير 256/5.

ثم قام الباحث بجمع الأحاديث -الصحيحة والحسنة بنوعيهما- الدالة على ذلك، وتخريجها والحكم عليها وبخاصة إن كانت في غير الصحيحين، ووضع لكل حديث عنواناً دالاً على هذا التأثير، وقام ببيان غريب الحديث، وذكر الفوائد المستنبطة منه والمتعلقة بالموضوع-إن وجدت-، واقتصر الباحث على ذكر الراوي الأعلى للحديث، واختصر الأحاديث الطويلة إلا نادراً، وحدد الشاهد في الحديث باللون الأسود الغامق. وذكر الباحث بعضاً من التجارب العلمية، الدالة على تأثير غير المسلمين بالقرآن، والتي حدثت مع بعض المعاصرين. وذكر الأسباب الرئيسية الدالة على هذا التأثير بالقرآن. وختم الباحث البحث بخاتمة ذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها.

#### أولاً: تعريف التأثير لغة واصطلاحاً:

- 1- التأثير لغة : وهو مأخوذ من الأثر: قال ابن منظور: (وهو ما بقي من رسم الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء : ترك فيه أثراً، والأثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو حافرها).<sup>(1)</sup>
  - 2- التأثير اصطلاحاً: عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: (أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده. قال تعالى: "فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ" <sup>(2)</sup> وأثرت البعير جعلت على خفه أثره أي علامة تؤثر في الأرض ليستدل بها على أثره)<sup>(3)</sup>.  
وعرفه الجرجاني بقوله: (هو النتيجة، وهو الحاصل من شيء).<sup>(4)</sup>  
وعرفه المناوي بقول: (هو حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة).<sup>(5)</sup>
  - 3- ومن التعريفات السابقة ممكن القول بأن التأثير: هو المحصلة الدالة على وجود مؤثر ما، سواء أكان المؤثر حسياً أم معنوياً كما في قوله تعالى "فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ".<sup>(6)</sup>
- ثانياً: التأثير بالقرآن وجه هام من وجوه إعجاز القرآن الكريم :

(1) لسان العرب لابن منظور 6/4.

(2) سورة الروم الآية رقم 50.

(3) مفردات غريب القرآن الراغب الأصفهاني ص 9.

(4) التعريفات للجرجاني ص 22.

(5) التعريفات. لمحمد عبد الرؤوف المناوي ص 33.

(6) سورة الروم الآية رقم 50.

حيث أشار إلى ذلك الإمام الخطابي بقوله: (في إعجاز القرآن الكريم وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم. وذلك صنيعة في القلوب، وتأثيره في النفوس....)<sup>(1)</sup>

**وقال القاضي عياض:** (ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه و أسمعهم عند سماعه والهيبة التي تعتر بهم عند تلاوته لقوة حاله و إنافة خطره و هي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستنقلون سماعه و يزيدهم نفورا كما قال تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا"<sup>(2)</sup> و يودون انقطاعه لكرهتهم له.

وقال: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"<sup>(3)</sup>

ويدل على أن هذا شيء خص به — أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني — أنه مر بقارئ — فوقف يبكي فقبل له : مم بكيت ؟ قال : للشجا والنظم<sup>(4)</sup>

وقال الشيخ الغزالي: (ما أظن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يزعم أنه لم يتأثر به)<sup>(5)</sup>

وعرّف الدكتور محمد عطا يوسف الإعجاز التأثري للقرآن بقوله : (وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ أشار إليه السابقون، ويتمثل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به).<sup>(6)</sup>

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص70.

(2) سورة الإسراء آية رقم 41.

(3) سورة الحشر آية رقم 21.

(4) الشفا 1/ 208. من المكتبة الشاملة.

(5) نظرات في القرآن. ص 127.

(6) الإعجاز التأثري للقرآن الكريم للدكتور محمد عطا أحمد يوسف بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 13 العدد 36 ديسمبر 1998م ص 5. وهو بحث قيم في موضوعه حيث تطرق فيه إلى نشأة هذا الإعجاز ومن تكلم فيه من القدامى كالخطابي والمحدثين كالغزالي وسرد آيات من القرآن تدل على ذلك وبعضاً من أحداث السيرة. ولكن البحث الذي بين أيدينا يركز بالدرجة الأولى

وقد شرح الدكتور محمد عطا تعريفه بقوله: (وقولي : (ما يتركه القرآن من أثر ظاهر) : نحو ما نرى في قوله تعالى : "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا"<sup>(1)</sup> وقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ"<sup>(2)</sup>.

(أو باطني)، فكم كشف القرآن عن بواطن النفوس، وذوات الصدور، فلا يوجد مثله كتاب في تناوله للنفس البشرية، يكشف خبيثتها، ويقوم عوجها، فيصوب فكرها ورأيها ونظرتها للكون والحياة. وقولي: (ولا يستطيع السامع أو القارئ مقاومته ودفعه) فهذا هو الإعجاز التأثري للقرآن، إنه يقهر - بما فيه من وسائل تأثيرية - النفس الإنسانية، فيتركها في حالة مغايرة لما كانت عليه قبل سماعه وقراءته، إما خضوعاً ورغبة، كما هو في حالة المؤمنين به، وإما نفوراً وإعراضاً كما هو واضح عند الكافرين به.

وقولي: (ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به) فإن المؤمنين بالقرآن إعجازه التأثري في حالهم ظاهر جلي، وإنما معجزته التأثيرية الخالدة الباقية التي يتحدى بها الأجيال تتجلى : فيمن كانوا كافرين به، محاربين أو امره ونواهيته، فإذا بالقرآن يؤثر فيهم فيقهرهم، ويقودهم إلى الإسلام على الرغم منهم، فيخضعون له، ويستسلمون لأوامره: كعمر بن الخطاب، وأبي ذر، وعبد الله بن سلام، وغيرهم - رضي الله عنهم - . وفيمن سمعه ولم يؤمن به : كالوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، ومن كان على شاكلة ذلك).<sup>(3)</sup>

وبعد هذا العرض الموجز - لأن من شروط البحث في هذا المؤتمر أن لا يزيد عن عشرين صفحة ولذلك آثرت الاختصار قدر الإمكان - لأقوال العلماء، وما سيذكر الباحث من أحاديث. يتبين لنا عظمة هذا النوع من الإعجاز الذي يؤثر في القلوب والنفوس والأجسام غير المسلمة فضلاً عن المسلمة.

---

على جمع الأحاديث الدالة على تأثير المشركين بالقرآن ونتائج هذا التأثر وفيه تخريج للأحاديث ودراساتها.

(1) سورة الإسراء، آية: 46. و النفور كان بسبب كبرهم وعنادهم وغير ذلك.

(2) سورة فصلت، آية: 26.

(3) الإعجاز التأثري للقرآن الكريم للدكتور محمد عطا أحمد يوسف ص 5.

ثالثاً: الأحاديث الدالة على تأثير المشركين بالقرآن الكريم :

1- نساء المشركين وأبناؤهم يتزاحمون تأثراً وإعجاباً بسماع القرآن:

ومما يدل على ذلك ما روته السيدة عائشة رَوَّجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ (1) إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ (2)، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمَ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَأَبْتَتِي مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ (فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ) (3) وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. (4)

ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على كلمة (يتقصف) لنرى مدى تأثرهم بسماع القرآن.

قال ابن فارس في مادة قصف: (القاف والصاد والفاء أصل صحيح يدل على كسر

لشيء... ورعد قاصف: أي شديد كأنه يقصف الأشياء بشدته). (5)

وقال ابن الأثير: (القصف: الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام). (6)

وقال ابن حجر: (أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر). (7)

وهذا يدل على مدى تأثرهم وإعجابهم وحرصهم على سماعه رغم ما يسببه هذا

الحرص من إيلاهم لبعضهم البعض.

2- خوف المشركين على نساءهم وأبنائهم من أن يسلموا تأثراً بسماع القرآن:

ومما يدل على ذلك ما ورد في الرواية السابقة حين كان يقرأ أبو بكر رضي الله

عنه القرآن ويزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حيث إن ذلك أفرغ أشرف قريش من

(1) أبو بكر الصديق وزوجه أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية. الاستيعاب 4/ 1881.

(2) أي ما وجدتهما منذ عقلت إلا متدينين بدين الإسلام. عمدة القاري 664/8.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي وعقده 679/2 حديث رقم 2297، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه 386/5 رقم 9743.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس 165/1 حديث رقم 476.

(5) معجم مقاييس اللغة 92/5.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر 73/4.

(7) فتح الباري 641/7.

المشركين وخافوا أن يدخلوا في الإسلام. قال ابن حجر: "أي أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام". (1)

وقد ورد في رواية أخرى - مطولة اقتصر الباحث على الشاهد منها - التصريح بخشية المشركين من أن يفتن نساؤهم وأبناؤهم تأثراً بسماع القرآن.

لما أراد أبو بكر أن يهاجر إلى الحبشة لقيه ابن الدغنة (2) فأجاره. فقالت قريش لابن الدغنة: مرّ أبا بكر فليعبد ربّه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولنا يؤذينا بذلك ولنا يستعلن به فإننا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر. ففطّق أبو بكر يعبد ربّه في داره، ولنا يستعلن بالصلاة، ولنا القراءة في غير داره، ثمّ بدأ لأبي بكر، فأبنتى مسجداً بفناء داره وبرز، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيتفصّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا له: إنا كنا أجزنا أبا بكر على أن يعبد ربّه في داره، وإنه جاوز ذلك، فأبنتى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فاته، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أباي إنا أن يعلن ذلك، فسله أن يردّ إليك دمتك... (3)

قال العيني: أي أن يخرج أبناءهم ونساءهم مما هم فيه من الضلال إلى الدين. (4)

### 3- الرقة للقرآن:

حيث إن بعضهم ما إن يسمع القرآن حتى يرق قلبه له ومما يدل على ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن يجمعوا

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) ابن الدغنة: هو أخو بني عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش. قال ابن إسحاق: والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً فسموا الأحابيش للحلف. السيرة النبوية لابن هشام 2 / 217، والبداية والنهاية لابن كثير 91/3.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي وعقده 679/2-680 حديث رقم 2297، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه 386/5 رقم 9743.

(4) عمدة القاري 666/8.



لك ما لا قال: لم؟ قال: ليعطوكه. فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قریش  
 أني من أكثرها ما لا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له. قال:  
 وماذا أقول؟ فو الله ما رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برَجَزٍ ولا بقصيدة مني ولا  
 بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقول حلوة  
 وإن عليه لطلاوة<sup>(1)</sup> وأنه لمثمر أعلاه مغدق<sup>(2)</sup> أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه  
 ليحطم فاتحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر. فلما  
 فكر قال: هذا سحر يؤثر بآثره من غيره. فنزلت "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا"<sup>(3)</sup> (4).

#### 4- طَيْرَانُ الْقَلْبِ وَتَصَدُّعُهُ تَأْتراً بِسْمَاعِ لِلْقُرْآنِ.

حيث إن جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ رضي الله عنه كان سببُ إسلامه شدة تأثر قلبه  
 بسماع القرآن حتى إن قلبه كاد أن يطير من وقع الآيات التي سمعها من رسول الله ﷺ  
 مما ظهر له من الحق ووضح له بطلان الباطل، ومما يدل على ذلك:

قول جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ  
 بِالطُّورِ وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي<sup>(5)</sup> وفي رواية قال جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: سَمِعْتُ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: "أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ  
 شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ  
 هُمْ الْمُسَيِّرُونَ"<sup>(6)</sup> قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ<sup>(7)</sup> وفي رواية أنه جاء في فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ يوم

(1) لطلاوة: أي رونقا وحسناً. النهاية في غريب الحديث والأثر 137/3.

(2) المغدق: المروي وماء غدق: أي كثير عذب. غريب الحديث للخطابي 1/ 441 والفاق في غريب  
 الحديث للزمخشري 56/3.

(3) سورة المدثر الآية رقم 11.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين 550/2 وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط  
 البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة 75/2 رقم 505.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب شهود الملائكة بداراً 1225/3 حديث رقم 4024.

(6) سورة الطور الآيات من 35-37.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة الطور 1542/3 حديث رقم 4854،  
 وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب القراءة في صلاة المغرب 272/1 حديث رقم

بدر وما أسلم يومئذ فقال جبير بن مطعم: فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالطُّورِ فَكَانَ صُدْعٌ (1) عَنْ قَلْبِي حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ (2) وفي رواية أنه جاء في فداء أسارى أهل بدر قال: فوافقت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب "والطور وكتاب مسطور في رق منشور" (3) قال: فَأَخَذَنِي مِنْ قِرَاءَتِهِ كَالْكِرْبِ (4) فكان ذلك أول ما سمعت من أمر الإسلام (5).

وقد شرح الخطابي قول جبير بن مطعم (كاد قلبي أن يطير) بقوله: "انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه" (6) وقال ابن حجر: "لهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام" (7)

#### 5- التأثير بالتنفيذ الفوري لأمر الله تعالى :

حيث لمّا قرأ النبي ﷺ سورة النجم ووصل إلى قوله تعالى : " فاسجدوا لله واعبدوا" فإذا بالمسلمين والمشركين والجن والإنس يسجدون. ومما يدل على ذلك : ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ (8). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ النُّجْمَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ فِيهَا وَسَجَدَ مَنْ مَعَهُ غَيْرَ شَيْخٍ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَى أَوْ تُرَابٍ فَرَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا. فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا. (9) قال النووي في معنى (وسجد من معه): (أي من كان حاضراً قراءته من المسلمين والمشركين والجن والإنس قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره حتى شاع أن أهل مكة أسلموا). (10)

- 
- (1) صدع: قال ابن فارس: "الصاد والذال والعين أصلٌ صحيح يدل على انفراج في الشيء". وقال ابن الأثير: "أي تقطع وتفرق". انظر معجم مقاييس اللغة 3/337 والنهية في غريب الحديث والأثر 3/16.
- (2) أخرجه أحمد في مسنده 83/4، 85 والطبراني في المعجم الكبير 116/2 حديث رقم 1499 و1502.
- (3) سور الطور الآيات من 1-3.
- (4) الكرب: الحزن والغم الذي يأخذ بالذات. انظر لسان العرب 1/711.
- (5) المعجم الكبير 2/116 حديث رقم 1498.
- (6) انظر فتح الباري 9/583.
- (7) فتح الباري 9/584.
- (8) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب سجود القرآن باب سجود المسلمين مع المشركين، والمشرك نجس ليس له وضوء 1/322 رقم 1071.
- (9) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة باب ما جاء في سجود القرآن وسنتها حديث رقم 1005 والرجل الذي أخذ كفا من حصى أو تراب هو أمية بن خلف كما ذكر ذلك النووي في شرحه على صحيح مسلم 5/75.
- (10) شرح النووي على صحيح مسلم 5/75.

ومن أفضل الأقوال التي قيلت في سبب سجود المشركين ما قاله الشيخ ولي الله الدهلوي: (بل الحق أن المشركين إنما سجدوا لغلبة جلاله وجبروته عليه السلام، وسماع المواعظ البليغة في القرآن، فاضطروا إلى السجود ولم يبق اختيارهم في أيديهم. وكيف يستبعد ذلك، وقد قال الله تعالى: "كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ" (1)، وقال: "وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (2). (3)

#### 6- تأثر القلب والمبادرة إلى الدخول في الإسلام:

مثل إسلام أبي ذر رضي الله عنه بمجرد سماعه من النبي ﷺ: روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. فَاسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتَنِي. فَانْطَلَقَ الْآخِرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي (4) فِيمَا أَرَدْتُ. فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً (5) لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُ يَعْجِي اللَّيْلَ، فَاضْطَجَعَ فَرَأَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ. (6)

(1) سورة البقرة الآية رقم 20.

(2) سورة النمل الآية رقم 14.

(3) انظر قوله في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح تأليف الملا على القاري 877/3.

(4) قال النووي: أي ما بلغتني غرضي. شرح النووي على صحيح مسلم 33/16.

(5) شنة: الشن: الجلد اليابس البالي. والمعنى: القرينة البالية. غريب الحديث لأبي عبيد الهروي 56/4،

وشرح النووي على صحيح مسلم 33/16.

(6) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه 1919/4 حديث رقم 2474.

قال الباحث: عندما تكون النفس صافية نقية فإنها تتساق نحو الإسلام. فهذا هو أبو ذر رضي الله عنه ما إن يسمع القرآن من النبي ﷺ حتى يسلم في مكانه. وهذا يدل على سرعة تأثره بالقرآن.

ومثاله أيضاً: تأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقرآن وكون ذلك سبباً في إسلامه: أخرج أحمد في مسنده من طريق شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال عمرُ ابنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه: خَرَجْتُ أَتَعَرِّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَفُتِمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ فَجَعَلْتُ أُعْجِبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ (1). قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ فُرَيْشٌ. قَالَ: فَقَرَأَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ" قَالَ: قُلْتُ: كَاهِنٌ قَالَ: "وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (2) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلِّ مَوْقِعٍ (3).

فها هو عمر رضي الله عنه الذي خرج -قبل إسلامه- يؤذي النبي ﷺ فإذا به يتأثر بسماعه للقرآن، حيث إن الآيات التي قرأها النبي ﷺ أجابت عما جال في خاطره رضي الله عنه من تساؤلات حتى إذا ما انتهى النبي ﷺ من السورة فإذا بالإسلام يقع في قلبه فكان رضي الله عنه مما أعز الله به الإسلام.

#### 7- طلب التوقف عن القراءة خوفاً على نفسه من أن يصاب بالتهديد:

(1) تأليف القرآن: أي جمع آيات السورة الواحدة، أو جمع السور مرتبة في المصحف. فتح الباري لابن حجر 47/10.

(2) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 149/5.

(3) أخرجه أحمد في مسنده 17/1، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 28/44. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 362/8) وعليه فهو ضعيف بسبب عدم سماع شريح بن عبيد من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد أورد إبراهيم العلي هذه الرواية في كتابه صحيح السيرة وقال: وأما الروايات الأخرى في قصة إسلام عمر فلم أجد فيها رواية صحيحة غير مطعون فيها، فمنها الشاذ والمنكر ومنها ما في إسنادها ضعفاء وغير ذلك وهذه الرواية التي ذكرت أقرب الروايات إلى الصحة، ومع ذلك فهي مرسلة وإسنادها كل رجاله ثقات (صحيح السيرة ص 80).

ومن شدة تأثير القرآن على المشركين، أنه ما إن يقرأه النبي ﷺ عليهم حتى يطلبون منه التوقف عن القراءة خوفاً من أن يصابوا بالتهديد والوعيد الذي سمعوه ومما يدل على ذلك ما حدث مع عتبة بن ربيعة أعلم قريش بالسحر والكهانة والشعر فعندما سمع آيات القرآن طلب من النبي ﷺ التوقف خشية على نفسه.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً فأتاه عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ... فقال له رسول الله ﷺ: أفرغت؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب) حتى بلغ (فإن أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)"<sup>(1)</sup> فقال له عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا! قال: "لا"..<sup>(2)</sup>

8- التأثر بالبكاء ونزول الدمع حتى تبتل منه المصاحف والتأثر بإدراك ما جاء في القرآن:

الحديث الذي دار بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة وتم ملاحقة المسلمين من قبل المشركين حيث روته أم سلمة وفيه: دَعَا النَّجَاشِيَّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ لِيَسْأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقَطِعُ الْأَرْحَامَ وَنُسَيِّئُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ... فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ

(1) سورة فصلت الآيات من 1-13.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک 2/ 278 وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وأبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه 330/7 رقم 36560، وأبو يعلى الموصلي في مسنده 350/3 رقم 1818، و عبد بن حميد في مسنده ص 337 رقم 1123، وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم 182، والبيهقي في دلائل النبوة 194/1 رقم 258. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقيه رجاله ثقات مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 20/6. قال الباحث: ولخص ابن حجر القول فيه بقوله: صدوق شيعي. تقريب التهذيب ص 122. وعليه فالحديث إسناده حسن. وقد حسن إبراهيم العلي الحديث في صحيح السيرة ص 64.

مِنْ شَيْءٍ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كَهَيْعِصٍ (1) قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ (2) وَبَكَتْ أَسَافِقَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ (3) حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ أَنْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَأَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا... (4).

قال الباحث: القرآن يؤثر في الملوك وأصحاب المناصب، فهاهو ملك الحبشة وأكبر قيادات الدولة، يبيكون حتى تتبلل اللحي والمصاحف، تأثراً بسماعهم للقرآن الكريم.

#### 9- التأثر بالوعي والحفظ لما يتلى:

حيث إن خالد بن جيل العَدَوَانِي لَمَّا سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الطَّارِقِ، فَهَمَّهَا وَحَفَظَهَا وَاسْتَقَرَّتْ فِي ذَهْنِهِ وَقَلْبِهِ، إِلَى أَنْ أَسْلَمَ وَاسْتَمَرَ فِي قِرَاءَتِهَا. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ الْعَدَوَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرِقِ تَقِيفٍ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصَا، حِينَ آتَاهُمْ بَيْنَ عَيْنَيْهِمْ النَّصْرَ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ " حَتَّى خَتَمَهَا. قَالَ: فَوَعَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا مُشْرِكٌ ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَدَعَنْتِي تَقِيفٌ. فَقَالُوا: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ فَرَأَتْهَا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِصَاحِبِنَا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا يَقُولُ حَقًّا لَتَبَعْنَاهُ (5).

(1) يعني سورة مريم.

(2) أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ: أي بلها بالدموع. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 43/2.

(3) مصاحفهم: جمع مُصْحَفٍ: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصْحَفٌ، أَيْ جُعِلَ جَامِعًا لِلصُّحُفِ الْمَكْتُوبَةِ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ. (العين للفراهيدي ص 509. والمراد المصاحف الخاصة بالنصارى لا تصح صلاتهم إلا بها. ومعظمها حرفت.

(4) أخرجه أحمد في مسنده 202/1 و 290/5، وأبو نعيم في الحلية 115/1، وابن خزيمة في صحيحه رقم 2260، والبيهقي في الاعتقاد ص 46 و ابن هشام في السيرة 344/1.

قال الهيثمي في المجمع 24/6-27: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع فالحديث بهذا صحيح، و صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند حديث رقم 1740، وصحح إسناده الألباني في تحقيق فقه السيرة ص 134، وصحح إسناده إبراهيم العلي ص 76.

(5) أخرجه أحمد في مسنده 335/4، وابن معين في كتاب التاريخ رواية الدوري 27/3، والبخاري في التاريخ الكبير 138/3 وابن أبي عاصم الضحاك في الأحاد والمثاني 470/2، والطبراني في المعجم

## 10- التأثر بالقرآن والإيمان به والدعوة إليه:

مثل ما حدث مع الجن الذين التقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وسمعوا القرآن

منه كما قال الله تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ \* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ \* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " (1) بل قالوا في سورة الجن: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} (2).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب (3) فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة (4) إلى النبي ﷺ وهو بنحلة (5)، عامدين إلى سوق عكاظ

الكبير 197/4 رقم 4127. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وعبد الرحمن (ابن خالد العنّواني)

ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد وبقيّة رجاله ثقات (مجمع الزوائد 136/7).

قال الباحث: وذكره ابن حبان في الثقات (الثقات لابن حبان 72/7) وقال ابن حجر: صحح ابن خزيمة حديثه ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات (تعجيل المنفعة ص 248)، وقال أبو المحاسن الحسيني: مجهول

(الإكمال ص 260) وقد حكم الساعاتي على إسناده بالجيد (الفتح الرباني 243/20) وهو كما قال.

(1) سورة الأحقاف الآيات 29 - 32.

(2) سورة الجن آية رقم 1.

(3) الشهب: جمع شهاب وهو الذي ينقض في الليل شبه الكوكب وهو في الأصل الشعلة من النار. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 512/2.

(4) تهامة: قيل: هي قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة في شمالها مكة وجدة وفي جنوبها صنعاء.

وسميت بذلك لشدة حرها وركود ريحها. وقيل: لتغير هوائها. انظر معجم البلدان 74/2.

(5) نخلة: موضع بين مكة والطائف. تاريخ الطبري 15/2.

(1) وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ. فَهَذَا حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ" (2) وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ" (3).

قال الإمام أبو عبدالله المازري: (ظاهر الحديث أنهم آمنوا عند سماع القرآن ولا بد لمن آمن عند سماعه أن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة وبعد ذلك يقع له العلم بصدق الرسول). (4)

وقد ذكر ابن حجر: (أن هؤلاء الجن الذين أسلموا كانوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر حيث اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها. ورغم ذلك بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن). (5)

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على سرعة التأثر بالقرآن والإيمان به والدعوة إليه ما حدث مع إياس بن معاذ الذي تأثر مباشرة حينما تلا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فدعا إياس من معه إلى الإيمان به.

---

(1) عكاظ: يقع بين نخلة والطائف إلى موضع يقال له: العتق. به أموال ونخل لتقيف بينه وبين الطائف عشرة أميال. فكان سوق عكاظ يقوم صباح هلال ذي القعدة عشرين يوماً وسوق مجنة يقوم عشرة أيام بعده، وسوق ذي المجاز يقوم هلال ذي الحجة. انظر معجم ما استعجم 959/3.

(2) سورة الجن آية رقم 1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب الجهر بقراءة صلاة الفجر 237/1 حديث رقم 773، وفي كتاب التفسير باب تفسير سورة "الجن" ... 1573/3 حديث رقم 4921، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن 331/1 حديث رقم 449، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب "ومن سورة الجن" 397/5 حديث رقم 3323، وأحمد في مسنده 274/1، وأبو يعلى الموصلي في مسنده 256/4 حديث رقم 2369، والطبري في التفسير 102/29.

(4) انظر شرح النووي على صحيح مسلم 169/4.

(5) انظر فتح الباري 679/9 بتصرف.



روى أحمد في مسنده عن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسِرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ مَكَّةَ، وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: "هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ" قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: "أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابٌ ثُمَّ ذَكَرَ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ " فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ - وَكَانَ غُلَامًا حَدَّثًا - : أَيُّ قَوْمٍ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ. قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْحَيْسِرِ أَنَسُ ابْنَ رَافِعٍ حَقَنَةً مِنَ الْبُطْحَاءِ فَضْرَبَ بِهَا فِي وَجْهِ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ. وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ. فَكَانَتْ وَقَعَةٌ بُعِثَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ. قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ. قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللَّهَ وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ. (1)

## 11- تغير الوجه ودخول الإسلام بمجرد سماعهم للقرآن بعد أن جاءوا لقتل الدعاة :

عندما بعث النبي ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة ليدعو الناس إلى الإسلام ويعلمهم القرآن فكان الرجل يريد قتله أو شتمه ولكن ما إن يسمع آيات القرآن الكريم حتى يتغير وجهه ويعلن إسلامه ومما يدل على ذلك :

ما أخرجه الطبري في تاريخه أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير ... فدخل به حائطاً (2) ... فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن

(1) أخرجه أحمد في مسنده 427/5 حديث رقم 22513، والبخاري في التاريخ الكبير 442/1 رقم 1417، والطبراني في المعجم الكبير 276/1 حديث رقم 805، والطبري في التفسير 34/4، والحاكم في المستدرک 198/3 رقم 4831 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد 36/6) وذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة وقال: رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا وهو من صحيح حديثه (الإصابة 167/1).

(2) الحائط: هو البستان من النخيل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 462/1.

حُضِرَ يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاننا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدا. فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشمتا. فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاننا اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قيلته وإن كرهته كف عنك ما تكره. قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا: فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله. كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين. ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديبهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال: أكلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت. قال: كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نعمل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك قال: فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج إليهما فلما رأهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشمتا ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان. فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه

قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره. قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة والحاصل فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالوا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيية. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال: فوالله ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة<sup>(1)</sup>.

ومن أهم الأسباب التي ذكرها الشيخ محمد الغزالي في نجاح مصعب بن عمير في هذه المهمة الدعوية وإقبال الناس على الإسلام هو تأثيرهم بالقرآن الكريم حيث قال: "ثم هذا القرآن الذي يتأنق في تلاوته، ويتخير من روائعه، ما يغزو به الألباب، فإذا الأفئدة ترق له، وتتفتح للدين الجديد".<sup>(2)</sup>

وصدق القائلون: (فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن).<sup>(3)</sup>

رابعاً: نماذج من العصر الحديث دالة على تأثير غير المسلمين بالقرآن:

سيذكر الباحث بعضاً من النماذج والتجارب العلمية الدالة على تأثير غير المسلمين بالقرآن.

النموذج الأول: وهو ما حدث مع الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله حيث قال: وأشار سيد قطب إلى أن إعجاز القرآن ليس إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه

(1) انظر تاريخ الطبري 560/1، ودلائل النبوة للبيهقي 306/2. الحديث حسن بمجموع طرقه انظر صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ص 107 في الحاشية.

(2) فقه السيرة ص 156.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى 217/1 (ونسب الذهبي هذا القول إلى الإمام مالك. انظر تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي. تأليف الإمام الذهبي 211/1).

الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات والنفسيات وما إليها... إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري. إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري؛ حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً. وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول... ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري؛ ولكني أذكر حادثاً وقع لي وكان عليه معي شهود ستة. حيث كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك؛ من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجنب ليس فيهم مسلم. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم - أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة؛ وحاول أن يزاول تبشيره معنا!.. وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا؛ وسمح لبحارة السفينة وطهايتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في « الخدمة » وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.. وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة؛ والركاب الأجنب - معظمهم - متعلقون برفبون صلاتنا!.. وبعد الصلاة جاؤنا كثيرون منهم يهتفوننا على نجاح « القدّاس!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم « تيتو » وشيوعيته! - كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشد على أيدينا بحرارة؛ وتقول : - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح!.. وليس هذا موضع الشاهد في القصة.. ولكن ذلك كان في قولها : أي لغة هذه التي كان يتحدث بها « قسيسكم »! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم « الصلاة » إلا قسيس - أو رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة! وقد صححنا لها هذا الفهم!.. وأجبتها : فقالت : إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً.. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول : ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه.. إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن « الإمام » كانت ترد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرأت من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً.. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر! كما لو كان - الإمام - مملوءاً من الروح القدس! - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها! - وتفكرنا قليلاً. ثم

أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً! وقوع هذه الحادثة - ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد - ذو دلالة على أن في هذا القرآن سرّاً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته. وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها، وفرارها من الجحيم الشيوعي في بلادها، قد أرفه حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب. ولكن ما بالنا نعجب وعشرات الألوف ممن يستمعون إلى القرآن من عوامنا لا يطرق عقولهم منه شيء، ولكن يطرق قلوبهم إيقاعه - وسره هذا - وهم لا يفترون كثيراً من ناحية فهم لغة القرآن عن هذه السيدة اليوغسلافية!!!<sup>(1)</sup>

#### النموذج الثاني:

لقد أثبت الأستاذ الدكتور أحمد القاضي بالتجربة العلمية الأثر الشافي للقرآن الكريم على الجسم البشري عند من يفهم اللغة العربية ومن لا يفهمها.

ففي مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا. حيث جيء بمتطوعين من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وبغير المسلمين وتليت مقاطع من القرآن باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية واستعمل في هذه التجربة أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أية تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية. وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن وأثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهديء مؤكد للقرآن في 97% من التجارب المجراة. وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري في أغسطس (آب) 1984.

ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهديء للتوتر يمكن أن يُعزى إلى عاملين: العامل الأول هو صوت الكلمات القرآنية باللغة العربية بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها أو لم يفهمها وبغض النظر عن إيمان المستمع. أما العامل الثاني فهو معنى المقاطع القرآنية التي تليت حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع إلى الكلمات القرآنية باللغة العربية.

(1) في ظلال القرآن. تأليف سيد قطب 1785/3-1786.

وأجرى أيضاً مائتين وعشرة تجارب على خمسة متطوعين صم ثلاثة ذكور وأنثيان، تتراوح أعمارهم بين 17 - 40 سنة ومتوسط أعمارهم 22 سنة. وكل المتطوعين كانوا من غير المسلمين ومن غير الناطقين بالعربية. وقد أجريت هذه التجارب خلال 42 جلسة علاجية تضمنت كل جلسة خمس تجارب وبذلك كان المجموع الكلي للتجارب 210. وتليت على المتطوعين قراءات قرآنية باللغة العربية الموجودة خلال 85 تجربة، وتليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية خلال 85 تجربة أخرى، وقد روعي في هذه القراءات، غير القرآنية أن تكون باللغة العربية الموجودة بحيث تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع ولم يستمع المتطوعون لأية قراءة خلال 40 تجربة أخرى، وخلال تجارب الصمت كان المتطوعون جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة، وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء المائة والسبعين تجربة الأخرى التي استمعوا فيها للقراءات العربية غير القرآنية.

#### نتائج التجارب:

كانت النتائج إيجابية في 65% من تجارب القراءات القرآنية. وهذا يعني أن الجهد الكهربائي للعضلات كان أكثر انخفاضاً في هذه التجارب مما يدل على أثر مهدىء للتوتر، بينما ظهر هذا الأثر في 33% فقط من تجارب القراءات غير القرآنية. وفي عدد من المتطوعين أمكن تكرار هذه النتائج كالإيجابية للقراءات القرآنية بالرغم من إعادة تغيير ترتيبها بالنسبة للقراءات الأخرى مما أكد الثقة في هذه النتائج. كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها وبغض النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدىء للتوتر في الجسم البشري.<sup>(1)</sup>

#### النموذج الثالث:

##### تجربة الدكتور نجيب الرفاعي مع بعض الأمريكان:

وقد أكد الدكتور نجيب عبد الله الرفاعي على أثر القرآن على غير المسلمين حيث كتب تحت عنوان أثر القرآن على الأمريكان تجربة مرت معه عندما كان ينتقل في جناح أحد مؤتمرات التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية حيث قال: لفت نظري جهاز كمبيوتر يقيس الموجات الدماغية الأربعة بكل دقة واستأذنت في أن أضع القبعة على رأسي لأرى أثر تلاوة القرآن على موجات دماغي حيث قرأت آية الكرسي وشاهدت على

(1) المصدر : إسلام أون لاين وموقع.

<http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/nn0rpahq.htm>

شاشة الكمبيوتر انتقل المؤشر من سرعة 25 موجة / ثانية إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميقة والراحة النفسية 8-12 موجة/ثانية.

استغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة، وطلبت منه أن أقرأ القرآن على أحد رواد المعرض الذي رحب بالفكرة وكانت النتيجة وأنا أقرأ عليه آية الكرسي أكثر من مذهلة فقد رأيت - كما رأى الحاضرون معي - انخفاض موجاته الدماغية بشكل سريع إلى منطقة 8-12 موجة /ثانية، وحين انتهيت من القراءة قال لي : قراءة جميلة ولو أني لم أفهم منها شيئاً ولكنها ذات نغمات مريحة ... لقد أدخلت السرور على قلبي بكلام غريب لم أفهم منه حرفاً واحداً ... والحقيقة وأنا مغمض عيني وأستمع إلى كلمات القرآن حاولت أن أقرأ هذه الكلمات داخل قلبي ولكنني لم أستطيع كلام جميل ومريح !!! وذكر تجربة أخرى حيث التقى بأمريكي في لندن ودار بينهما الحوار التالي:

هل تعرف شيئاً عن الإسلام ؟

أعرف معلومات عامة عنه ولكن ليس بتفصيل، وأنا شخصياً أبحث عن دين .

هل سمعت بالقرآن؟ وهل تعرف عنه شيئاً ؟

أعرف أنه كتاب المسلمين حاله حال الإنجيل عند النصارى، ولكنني لم أسمع به

من قبل.

حيث إنك لم تسمع تلاوة القرآن هل تمنع أن أقرأ عليك بعضاً من الآيات القرآنية، فنحن المسلمون نؤمن أن للقرآن أثراً في النفس في تلاوته، فالقرآن عندنا معاني وكلمات وصوت مؤثر .! أنني متحمس لهذه التجربة ... ليس لدى مانع - !! بدأت بقراءة آية الكرسي وآية بعدها بما لدي من مهارات في التجويد والترتيل وأثناء التلاوة لاحظت التالي :

بدأ هذا الإنسان الذي كان جالساً باستقامة على الكرسي بالانحناء قليلاً.. قليلاً. بعد لحظات أغمض عيني.. تغيرت ملامح وجهه إلى الهدوء والخشوع والخضوع. أحسست وأنا أقرأ القرآن على هذا الإنسان وكأنني أقرأه على مسلم، حيث تأثره السريع بالقراءة مما أعطاني راحة نفسية كبيرة وسعادة لا توصف. وبعد أن انتهيت من القراءة جلسنا في لحظة صمت ثم فتح عينه ... وإذا العينان حمراوان، وبدأت الدموع تترقرق والانشراح باد على وجهه وهو يقول : لقد عزلتني بتلاوتك الجميلة عن هذا العالم الذي نعيشه، إن لهذه الكلمات تأثيراً غريباً على نفسي. سألته: هل فهمت شيئاً من هذه التلاوة ؟ قال: لقد تحدثت الآيات عن قوة عظمى هي قوة

الرب التي تحتاج إليها في السراء والضراء والتي هي معنا في كل وقت وكل حين وفي كل مكان. (1)

#### خامساً : أسباب تأثر المشركين بالقرآن:

من خلال النظر في الأحاديث التي أوردها الباحث، يمكن حصر أسباب تأثر المشركين بالقرآن الكريم بأربعة أسباب رئيسة هي:

أ - مصدر النص القرآني (وهو الله سبحانه وتعالى): وهذه المصدرية جعلت للقرآن صفة تأثيرية يتميز بها عن سواه، فالله سبحانه وتعالى أعلم بخلقه حيث قال تعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (2) وقال تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (3).

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" بقوله: (الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض) وقال الطبري: (هادي من في السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون الماسكة من حيرة الضلالة يعتمون) (4).

ب - محتوى النص القرآني: إن محتوى النص القرآني كالحديث عن الألوهية، والرسول، والجنة، والنار، ومحاورة النفس الإنسانية، والقضاء على ما فيها من ملل أو جدل، وغير ذلك، مما حواه القرآن من قوة مبانيه وبلاغته وبيانه، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب، وموضوعات أخرى كثيرة لا يمكن حصرها. كل ذلك له تأثير فيمن يسمعه أو يقرؤه قال القرطبي: (إنه حقيق بأن تخشع له القلوب وترق له الأفتدة. حيث إن من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه، وقوة مبانيه وبلاغته أنه لو أنزل

(1) الشبكة الإسلامية. موقع الإصلاح. حكمت نت.

(2) سورة الملك الآية رقم 14.

(3) سورة النور الآية 35.

(4) انظر تفسير الطبري 135 / 18.



على جبل من الجبال الكائنة في الأرض، لرأيته مع كونه في غاية القسوة، وشدة الصلابة، وضخامة الجرم، خاشعاً متصدعاً؛ أي متشققاً من خشية الله سبحانه، حذراً من عقابه وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله. وهذا تمثيل وتخيل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب".<sup>(1)</sup>

وقال الدكتور محمد عطا: "فكم كشف القرآن عن بواطن النفوس، وذوات الصدور، فلا يوجد مثله كتاب في تناوله للنفس البشرية، يكشف خبيثتها، ويُفَوِّم عوجها، فيصوب فكرها ورأيها ونظرتها للكون وللحياة."<sup>(2)</sup> ومما يؤكد ذلك موقف عتبة بن ربيعة عندما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم التوقف عن القراءة خشية أن يصاب بالصاعقة.<sup>(3)</sup>

ج- القارئ للقرآن: مما لا شك فيه أن من أسباب التأثير بالقرآن، القارئ للقرآن، فكلما كان القارئ مؤمناً، صادقاً، ورعاً، تقياً، مخلصاً لله تعالى، فاهماً لما يقرأ، مجوداً للقرآن، متأثراً به؛ كلما كان تأثيره واضحاً بيناً. وقد مر معنا في هذا البحث<sup>(4)</sup> كيف كان نساء وأولاد المشركين يزدحمون حتى كاد بعضهم يؤدي بعضاً من شدة تأثرهم بقراءة أبي بكر رضي الله عنه للقرآن ومعروف أنه رجل بكاء.

ومن أهم الأسباب التي ذكرها الشيخ محمد الغزالي في نجاح مصعب بن عمير في هذه المهمة الدعوية وإقبال الناس على الإسلام هو تأثرهم بالقرآن الكريم حيث قال: "ثم هذا القرآن الذي يتأنق في تلاوته، ويتخير من روائعه، ما يغزو به الأبواب، فإذا الأفئدة ترق له، وتفتح للدين الجديد".<sup>(5)</sup> وقد ذكر نجيب الرفاعي في تجربته مع بعض الأمريكان<sup>(6)</sup> أنه كان يقرأ عليهم القرآن بما لديه من مهارات في التجويد والترتيل.

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير 256/5.

(2) الإعجاز التأثيري للقرآن ص 5.

(3) تقدم في ص 12.

(4) ص 6.

(5) فقه السيرة ص 156.

(6) تقدم في ص 21 من هذا البحث.

د - أحوال السامع للقرآن: بقدر تخلص السامع من الجحود والإنكار والاستكبار، وبقدر وعي قلبه وصفاء ذهنه، يكون التأثير بالقرآن.

قال ابن القيم : (ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمله والتفكير فيه، وتعقل معانيه، فيعلم حينئذ انه الحق... وذكر بأن حال المخاطب المدعو لها دور في تأثره بالقرآن، فإن من الناس من يكون حي القلب واعي، تام الفطرة، فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دله قلبه وعقله على صحة القرآن، وإنه من الحق، وشهد قلبه بما أخبر القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة) (1).

ومما يدل على ذلك ما حدث مع الوليد بن المغيرة، حيث إنه رغم إقراره بعظمة القرآن وأنه ليس من كلام البشر إلا أن المؤثرات الخارجية والكبر حالت دون دخوله في الإسلام، بينما نجد تأثر جبير بن مطعم، وعمر بن الخطاب، وأبي ذر رضي الله عنهم وغيرهم بالقرآن ودخولهم في الإسلام.

---

(1) انظر كتابه (الفوائد) ص 4 بتصرف.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث،  
والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وبعد..

فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

أولاً: أثبتت الأحاديث -المحتج بها - تأثير المشركين بالقرآن الكريم.

ثانياً: مظاهر تأثير المشركين بالقرآن كان على النحو التالي:

- تراحم نساء وأبناء المشركين على سماع القرآن وإعجابهم به.

- الرقة لسماع القرآن.

- عدم تمالك النفس وطلب التوقف عن القراءة خوفاً على نفسه من أن يصاب بالتهديد  
والوعيد.

- التأثر بالبكاء ونزول الدمع حتى تبذل منه المصاحف والتأثر بإدراك ما جاء في القرآن.

- التأثر بالوعي والحفظ لما يتلى.

- طيران القلب وتصدعه تأثراً بسماع القرآن.

- التأثر بالتنفيذ الفوري لأمر الله تعالى.

- سرعة التأثر بسماع القرآن والإيمان به ودعوة الآخرين للالتزام به.

- تغيير الوجه ودخول الإسلام بمجرد سماعهم للقرآن بعد أن جاءوا لقتل الدعاة.

ثالثاً: ممكن إرجاع أسباب تأثير المشركين بالقرآن إلى الآتي:

- مصدر النص القرآني وهو الله سبحانه وتعالى. فهو الذي خلق الخلق وهو أعلم بهم.

قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (1).

- محتوى النص القرآني: فلا يوجد كتاب على الإطلاق له التأثير الذي يحدثه القرآن

الكريم حيث البلاغة والبيان والشمول ففيه الحديث عن الإلوهية، والغيبات، والرسول،

والجنة، والنار وغير ذلك.

---

(1) سورة الملك الآية رقم 14.

الأحاديث الواردة في تأثير المشركين بالقرآن (دراسة تحليلية)

- القارئ للقرآن: كلما كان القارئ متمكناً من القراءة، مجوداً لها مؤمناً إيماناً عميقاً بها، خاشعاً فيها كلما كان التأثير أقوى وأعمق.

أحوال السامع للقرآن: بقدر تخلص السامع للقرآن من الجحود والكبر بقدر ما يكون التأثير والاستجابة.

رابعاً: أثبتت التجارب العلمية أن للقرآن الكريم تأثيراً واضحاً على الإنسان فهو مهدي للتوتر ويساعد على التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

- 1- الآحاد والمثاني. تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني - المعروف بابن أبي عاصم - (ت 287هـ). تحقيق الدكتور باسم فيصل الجوابرة. دار الراجعية - الرياض. الطبعة الأولى 1411هـ/1991م.
- 2- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تأليف الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت 463هـ) تحقيق علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة.
- 3- الإصابة في تمييز الصحابة. تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.
- 4- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم. تأليف الدكتور محمد عطا أحمد يوسف بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 13 العدد 36 ديسمبر 1998م. يصدرها مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت. رئيس التحرير أ.د. حسنين محمود حسنين.
- 5- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي (ت 458هـ). تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العنين. دار الفضيلة - الرياض. ودار ابن حزم - بيروت. الطبعة الأولى 1420هـ/1999م.
- 6- الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال. تأليف الإمام أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني (ت 765هـ) تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلججي. سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي باكستان. الطبعة الأولى 1409هـ/1989م.
- 7- التاريخ رواية الدوري. تأليف الإمام يحيى بن معين (ت 233هـ). تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة. الطبعة الأولى 1399هـ/1979م.

- 8- تاريخ الطبري. تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) دار المعارف .
- 9- التاريخ الكبير. تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ) مؤسسة الكتب الثقافية.
- 10- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها. تصنيف الإمام أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت 571هـ) دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر - بيروت.
- 11- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة. تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). دار الكتاب العربي - بيروت.
- 12- التعريفات للجرجاني. تأليف علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي (ت 816هـ) تحقيق نصر الدين تونسي شركة القدس للتصدير - القاهرة. الطبعة الأولى 2007م.
- 13- تفسير الطبري. تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت 310هـ). دار الفكر - بيروت. سنة النشر 1405هـ.
- 14- تقريب التهذيب. تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق محمد عوامة دار ابن حزم . بيروت - لبنان. الطبعة الأولى 1420هـ/1999م
- 15- تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي. تصنيف الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) مكتبة الرشد.
- 16- التوقيف على مهمات التعاريف. تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ) تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار الفكر - بيروت. الطبعة الأولى 1410هـ.
- 17- الثقات. تصنيف الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت 354هـ). مؤسسة الكتب الثقافية. الطبعة الأولى 1403هـ /1983م

- 18- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - للخطابي، والرماني، وعبد القاهر - تحقيق د. محمد زغلول سلام وآخرين - دار المعارف - مصر 1376هـ.
- 19- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. تصنيف الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ). المكتبة السلفية.
- 20- دلائل النبوة. تصنيف الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ) تحقيق د. محمد رواس قلجعي وعبد البر عباس. دار النفائس - الأردن. الطبعة الثالثة 1412هـ/1991م
- 21- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. تصنيف الإمام أبي بكر أحمد ابن الحسين البيهقي (ت458هـ). تعليق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.
- 22- سنن ابن ماجه. تصنيف الإمام أبي عبد الله بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه (ت275هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة العلمية - بيروت.
- 23- سنن الترمذي. تصنيف الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث - القاهرة.
- 24- السيرة النبوية لابن هشام. تأليف الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت218هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل - بيروت طبعة سنة 1975م
- 25- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تأليف الإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ) - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان د.ت.
- 26- صحيح البخاري. تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) مراجعة وضبط الشيخان محمد علي قطب وهشام البخاري. المكتبة العصرية - بيروت. الطبعة الثانية 1418هـ/1997م.
- 27- صحيح ابن خزيمة. تصنيف الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت311هـ). تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض. الطبعة الثانية 1401هـ/1981م.

- 28- صحيح السيرة النبوية. تأليف إبراهيم العلي. تقديم د. عمر الأشعر ود. همام سعيد. دار النفائس-الأردن. الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.
- 29- صحيح السيرة النبوية تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن. الطبعة : الأولى
- 30- صحيح مسلم. تصنيف الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- 31- صحيح مسلم بشرح النووي. تأليف الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ). دار الثقافة العربية - بيروت. الطبعة الأولى 1347هـ /1929م.
- 32- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. تأليف الإمام أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحلبي المعروف "بالبدر العيني". أشرف عليه وراجعته صدقي جميل العطار. دار الفكر - بيروت. الطبعة الأولى 1418هـ/1998م.
- 33- غريب الحديث تأليف الإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت388هـ). تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغزالي. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - السعودية. 1402هـ/1982م.
- 34- غريب الحديث. تأليف الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ) دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى 1406هـ/1986م.
- 35- الفائق في غريب الحديث. تأليف العلامة محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. نشر عيسى الحلبي وشركاه. الطبعة الثانية.
- 36- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ). تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز. دار الفكر-بيروت. الطبعة الأولى 1414هـ/1993م.
- 37- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد. تأليف أحمد بن عبد الرحمن البنا. دار إحياء التراث العربي- بيروت. الطبعة الثانية.



الأحاديث الواردة في تأثر المشركين بالقرآن (دراسة تحليلية)

- 38- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. تأليف الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ) مراجعة وتعليق الشيخ هشام البخاري والشيخ خضر عكاري. المكتبة العصرية - بيروت. الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.
- 39- فقه السيرة. تأليف محمد الغزالي. خرج أحاديث الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. دار الكتب الحديثة - مصر. الطبعة الثامنة 1408هـ/1988م.
- 40- في ظلال القرآن. تأليف سيد قطب. دار الشروق - القاهرة. الطبعة الرابعة عشرة 1408هـ/1987م.
- 41- كتاب (الفوائد). تأليف الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية (ت 751) دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثانية، 1393 هـ - 1973م.
- 42- لسان العرب. تأليف العلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت 711هـ). دار صادر - بيروت.
- 43- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 13 العدد 36 ديسمبر 1998م يصدرها مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت. رئيس التحرير أ.د. حسنين محمود حسنين.
- 44- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تصنيف الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807). دار الكتب العلمية - بيروت 1408هـ/1988م.
- 45- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف العلامة علي بن سلطان القاري. قدم له الشيخ خليل الميس. دار الفكر - بيروت. 1414هـ/1994م.
- 46- المستدرک علی الصحیحین. تألیف أبی عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ). تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى 1411هـ/1990م.
- 47- مسند أبي يعلى الموصلي. تأليف الإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت 307هـ) تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث. دمشق - بيروت. الطبعة الثانية 1410هـ/1990م.

- 48- مسند أحمد بن حنبل. تصنيف الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ). دار الفكر - بيروت.
- 49- المصنف. تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة الثانية 1403هـ/1983م.
- 50- المصنف في الأحاديث والآثار. تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت 235هـ). تحقيق سعيد اللحام. دار الفكر - بيروت. الطبعة الأولى 1409هـ/1989م.
- 51- معجم البلدان. تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. دار إحياء التراث العربي - بيروت 1399هـ/1979م.
- 52- المعجم الكبير. تأليف الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ) - تحقيق حمدي السلفي. الطبعة الثانية.
- 53- معجم ما استعجم تأليف أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت 487هـ) تحقيق مصطفى السقا. عالم الكتب - بيروت الطبعة الثالثة 1403هـ.
- 54- معجم مقاييس اللغة. تصنيف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل - بيروت. الطبعة الأولى 1411هـ/1991م.
- 55- المفردات في غريب القرآن: تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. مكتبة الأنجلو - مصر 1970م.
- 56- المنتخب من مسند عبد بن حميد. تأليف الإمام أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي (ت 249هـ) تحقيق صبحي السامرائي ومحمد خليل الصعيدي مكتبة السنة - القاهرة. الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

الأحاديث الواردة في تأثر المشركين بالقرآن (دراسة تحليلية)

57- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. تأليف أبي العباس أحمد ابن عبد  
الحليم بن تيمية. تحقيق : د. محمد رشاد سالم. مؤسسة قرطبة. الطبعة  
الأولى 1406.

58- نظرات في القرآن - محمد الغزالي - الطبعة الخامسة - دار الكتب الحديثة  
القاهرة

59- النهاية في غريب الحديث والأثر. تأليف الإمام أبي السعادات المبارك بن محمد  
الجزري المعروف " بابن الأثير " (ت 606هـ). تحقيق طاهر أحمد الزاوي  
ومحمود الطناحي. المكتبة الإسلامية.

المواقع الإلكترونية المستخدمة:

- إسلام اون لاين وموقع

<http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/nn0rpahq.htm>

- الشبكة الإسلامية. موقع الإصلاح. حكمت نت.

- موقع المشكاة الإسلامية

[www.almeshkat.net/books/index.php](http://www.almeshkat.net/books/index.php)

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن  
الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول  
القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة  
الذي ينظمه  
مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية  
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف

محمد عبد المجيد عساف

أ. د. فؤاد علي العاجز

نائب عميد كلية التربية الجامعة الإسلامية - غزة محاضر بالجامعة الإسلامية ووزارة التربية والتعليم -

غزة

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008م

### ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى القيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم وأهم الانعكاسات التربوية لهذه القيم على طلبة الجامعة الإسلامية وكذلك الكشف عما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم، تعزى إلى المتغيرات (الجنس، نوع الكلية، المستوى، المعدل التراكمي).

ولتحقيق هذه الأهداف قام الباحثان بإعداد استبانة مكونة من (36) فقرة في صورتها النهائية، وقد تم تطبيق هذه الاستبانة على عينة من طلبة الجامعة الإسلامية، بلغ عددها (409) من الطلاب والطالبات. وقد تبين أن أهم الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم هي: يحثني على رد الأمانات إلى أصحابها) و(يرغبني في احترام كبار السن وتوقيرهم) و(يوجهني إلى ضرورة حفظ أسرار الأصدقاء) و(يشجعني على حب الآخرين).

كما تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $0.05 \geq \alpha$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الجنس وذلك لصالح طلبة مجموعة الطلبة الإناث، وكذلك وفقاً لمتغير المستوى وذلك لصالح طلبة مجموعة الطلبة في المستوى (الثالث/الرابع/الخامس). ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة وفقاً لمتغير الكلية، في حين وجد فروق بالنسبة للمعدل التراكمي وذلك بين معدل المقبول والجيد لصالح معدل الجيد، وبين المقبول والجيد جداً لصالح الجيد جداً، وكذلك بين المقبول والممتاز لصالح الممتاز.

**Abstract:**

The research aims to get acquainted to the social values derived from the Holy Koran and the educational reflexion of these values on the students of the Islamic University of Gaza. It also reveals the significant differences between the marks average of the sample form the pupils of the Islamic University about the educational reflexion of the social values of the Holy Koran related to variables (such as, gender, faculty, grade and total accumulative average).

To achieve that goal the two researchers prepared a questionnaire of 36 item which was applied on a sample of 409 of University students boys and girls.

It is realized that the most important educational reflection of social values in the Holy Koran (were to return monetary deposits to their owners), (to respect the elderly), (to keep the secrets of friends) and (to encourage me to love others).

It is realized that there are significant differences on significance level ( $0.05 \geq p < 0.01$ ) between the marks average about educational reflexion of social values of the Holy Koran according to gender in favour of female students and according to the level in favour of 5<sup>th</sup>, 4<sup>th</sup>, 3<sup>rd</sup> grade, But there were no significant statistical differences according to faculty variable.

But there were differences in accumulative average between acceptable and good in favour of good, between acceptable and very good in favour of very good and between acceptable and excellent in favour of excellent.

**The role of educational entertainment in spreading cultural cognition among secondary cultural cognition among secondary students from the point of view of sport teachers in Gaza and methods of its development.**

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

تسهم التربية إسهاما فاعلا في بناء الإنسان، ذلك الإنسان المكرم من قبل رب العالمين، فهي التي ترتقي به وتنمي فيه مواهبه، فتجعله أداة فعالة ومثمرة، وقوة موجهة تبني مجد الأمة، وتصنع حضارتها، وتحقق آمالها المنشودة.

وتربية الإنسان ليست مجرد تزويده بكم وافر من المعرفة، وإنما يتعدى ذلك إلى تزويده بنسق من القيم يسهم في بناء الضمير الإنساني وتوجهه بحيث يوجه سلوكه ويضبط تصرفاته، وبالتالي فالمعرفة النظرية لا بد أن تقترن بالممارسة العملية، وأن تترجم إلى سلوك وعمل يعود بالنفع والخير على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء.

ولعل ما يجعل التربية ضرورة هامة من ضروريات الحياة في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى تردي الجانب القيمي لدى الناس سواء على المستوى العالمي حيث الانحلال الأخلاقي المتمثل في انتشار الجريمة والفساد، وتغليب المصلحة الخاصة، واستنزاف القوي للضعيف، أو على المستوى العربي والإسلامي حيث اهتزاز القيم، واضطراب المعايير الاجتماعية، والاعتراب النفسي الذي يعيشه الشباب العربي عامة، والفلسطيني خاصة.

فرغم التقدم العلمي والتكنولوجي فقد أصبحت المادة الشغل الشاغل للكثير من الشباب الفلسطيني، على حساب القيم والمبادئ، وهذا ما يمكن من خلاله تشخيص الأزمة التي يمر بها العالم اليوم من مظاهر القلق وعدم الاستقرار بأنها أزمة قيم، ناتجة عن صراع بين القديم والحديث ورغبة عامة تعبر عنها مختلف المجتمعات بضرورة تعديل بعض القيم وبناء عالم جديد على أساس قيم جديدة.

(إسماعيل وآخرون، 1974: 244)

في ضوء ما سبق كان لا بد من ضرورة التوجه إلى التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة كمنهج لتصحيح المسار المعرفي والسلوكي، وتوجيهه إلى ما يتمشى وحاجات الدين الإسلامي الحنيف، ويؤهل هؤلاء الشباب للاستقرار النفسي والاجتماعي مع حياة المجتمع.

والتربية الإسلامية بمفهومها الأصيل وجذورها المتينة وروحها الحية، أكسبت الفكر الإنساني زادا روحيا من خلال تزويده بمبادئ وقواعد وقيم إنسانية كانت بمثابة قناديل أضاءت للبشرية الحائرة طريق الرشد والاستقامة.

ويعد القرآن الكريم مصدراً أساسياً للتربية الإسلامية، حيث تكمن قيمة القرآن كمصدر للتربية الإسلامية في كونه أعظم كتاب في فلسفة التربية والتعليم، فإذا كانت التربية تعني تنشئة الفرد ونموه في الجنس البشري، فالقرآن يعني بتربية الموجودات كلها، بما فيها تربية الإنسان، فهو مصدر رباني شامل كامل.

كما أن القرآن الكريم كتاب الله هو الطريق إلى العقيدة الإسلامية الحقة، التي تعصم البشرية من الانزلاق إلى متاهات عقائدية منحرفة، أضف إلى انه المصدر الأول والأهم بالنسبة للتربية، حيث يرى الغزالي أن السنة منزلة ثانوية بعد القرآن، وان العلم يقوم أولاً بمدى الفقه بالكتاب العزيز، والتبصر بمعانيه ومغزاه. (أبودف، 1999: 9)

وعلى اعتبار أن القرآن جاء هداية للناس، وندراس لهم عبر العصور، فلا تخلو سورة من سورته من قيم ثابتة ومستمرة لا تتغير تتصل اتصالاً مباشراً بالأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها في الإنسان، وهذا ما يفسر اهتمام علماء التربية بالقيم.

من هنا يرى الكثير من التربويين ضرورة تضمين القيم المرغوب فيها في العملية التربوية وتنميتها، وذلك لما لها من أثر كبير في سلوك الأفراد والجماعات وتحسن حياتهم وتسهيل عليهم عملية التكيف وبالتالي الانضباط الاجتماعي بحيث يكونوا أكثر ايجابية وتفاعلاً مع غيرهم.

ولقد اختار الباحث الجامعة الإسلامية كمحضر من محاضن التربية والثقافة في مدينة غزة وعلى اعتبارها من المؤسسات التي تلتزم بالقيم الإسلامية وتدعو دائماً إلى إعداد عقليات وشخصيات مؤمنة متفانية في خدمة المجتمع للتعرف على القيم الاجتماعية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية على طلبتها، كما أن الطلبة في هذه الفترة من العمر يعانون من القلق وعدم الاستقرار والتمرد الذي قد ينجم عن مشكلة غياب الهوية السياسية، أو ضعف التوجيه الأسري خصوصاً من قبل الوالدين لأبنائهم في هذه المرحلة العمرية الخطيرة بالإضافة إلى ضعف الإمكانيات على جميع الأصعدة.

#### مشكلة الدراسة:

بناء على ما تقدم وفي ضوء الدور الفعال للقيم في تقويم المعوج من السلوك، وفي بناء شخصية الإنسان، ومن خلال التلوث القيمي الناتج عن الأثر السلبي للثقافة الغربية الوافدة، تتضح انعكاسات القرآن الكريم على قيم المجتمع بشكل عام، والشباب بشكل خاص في ظلما يواجهه هؤلاء الشباب من أزمات تربوية حادة واغتراب نفسي، وصراعات داخلية وخارجية، أسبابها متعددة ومتداخلة من غزو فكري، وعولمة، وإعلام واتصالات تدعو على التحرر والاستقلال المزيف.



الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

تحدد مشكلة الدراسة الحالية في الأسئلة التالية :

- 1- ما القيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم؟
- 2- ما الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية من وجهة نظرهم؟
- 3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم من وجهة نظرهم، تعزى إلى المتغيرات (الجنس، نوع الكلية، المستوى، المعدل التراكمي)؟

**فرضيات الدراسة:**

- 1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم، تعزى إلى متغير الجنس (ذكر، أنثى).
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم، تعزى إلى متغير نوع الكلية (كلية تطبيقية، كلية إنسانية، كلية شرعية)
- 3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم، تعزى إلى متغير المستوى (أول/ثاني، ثالث/ رابع/ خامس).
- 4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم، تعزى إلى متغير المعدل التراكمي (مقبول، جيد، جيد جداً، ممتاز)

**أهداف الدراسة:**

- 1- التعرف إلى أهم القيم الاجتماعية في ظل القرآن الكريم واللازمة لإعداد المسلم الصالح.
- 2- التعرف إلى أهم الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم.
- 3- الكشف عما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة من طلبة الجامعة الإسلامية حول الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

في القرآن الكريم، تعزى إلى المتغيرات (الجنس، نوع الكلية، المستوى، المعدل التراكمي).

**أهمية الدراسة:**

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال:

1- أهمية القيم في عملية تعديل السلوك الفردي والجماعي، ومواجهة القيم المنحرفة، والموازنة بين المصالح الشخصية والمصالح العامة، ودورها في الحفاظ على ثقافة المجتمع وأصالته.

2- يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة كل من: الطلبة الجامعيون، التربويون المهتمون بالتنشئة الاجتماعية، وانعكاسات القيم التربوية على الشباب.

**مصطلحات الدراسة:**

**1- القيم:**

تعتبر القيم اهتمام وموازنة بين أشياء، أو حكم يصدره الفرد بناء على ضوابط اجتماعية تحدد المرغوب والمرفوض، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات التي تناولت هذا المصطلح:

يعرفها (زاهر، 1984) بأنها: " مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته".

(زاهر، 1984: 24)

ويعرفها (أحمد، 1983) بأنها: " مجموعة من المعايير التي تنبثق عن جماعة بحيث تعمل على توجيهها، ويكون لها القوة والتأثير ما يتناسب مع صفات الضرورة والإلزام والعمومية.

(أحمد، 1983: 4)

ويعرفها (حمزة، 1982) بأنها: " تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه الأشياء التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، وهي مفهوم مجرد ضمنياً غالباً ما يعبر عن الفضل ودرجة الامتياز" (حمزة، 1982: 182)

في ضوء التعريفات السابقة يمكن أن يعرف الباحثان القيم إجرائياً بأنها: " عبارة عن مجموعة من المبادئ الوجدانية التي توجه سلوك الفرد في حياته اليومية، حيث يستخدمها للحكم على الأشياء مادية كانت أو معنوية في مواقف التفضيل والاختيار".

## 2- القيم الاجتماعية:

يعرفها (القيسي، 1995) بأنها: " كل ما له علاقة بالمجتمع الكبير خارج الأسرة وليس له صفة اقتصادية أو سياسية، وقد تتعدى العلاقات بين المسلمين أنفسهم " (القيسي، 1995: 32)

ويعرفها (أبو العينين، 1988) بأنها: " تلك القيم التي تساعد الإنسان على وعي وإدراك وضبط وجوده الاجتماعي بحيث يكون أكثر فاعلية، بحيث تضبط حاجة الإنسان للارتباط بغيره من الأفراد" (أبو العينين، 1988: 251)

وفي ضوء هذه التعريفات يمكن أن يعرف الباحثان القيم الاجتماعية إجرائياً بأنها: " مجموعة من المعايير التي تمكن الفرد من الإدراك والسيطرة على وجوده الاجتماعي، وتنظيم علاقاته مع الأفراد، ليكون عضواً فاعلاً في المجتمع".

## 3- القرآن الكريم:

هو كلامُ الله تعالى وَوَحْيُهُ الْمُنزَّلُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصْحَفِ، الْمَنْقُولُ إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمُتَّحَدَى بِإِعْجَازِهِ.

\* يعرف القرآن في اللغة بأنه: " لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى: (إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ. فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة، 17). وقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا. وقيل: إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه.

\* يعرف القرآن في الشرع بأنه: " هو كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المعجزة المؤيدة له، المتحدى به العرب المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر.

قال عز وجل (يريدون أن يبدلوا كلام الله (وقال سبحانه: ) وإنه لتنزِيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين)

## 4- الانعكاسات التربوية:

يعرفها الباحثان إجرائياً بأنها: " الآثار السلوكية المترتبة على نشاط الفرد نتيجة لإدراكه القيم الاجتماعية في القرآن الكريم، والمؤثرة في توجيه سلوك هذا الفرد نحو المجتمع"

### الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التربوية الحديثة في مجال علم النفس الاجتماعي التي تناولت موضوع القيم، واختلف المحاور التي تناولتها هذه الدراسات، لما للقيم من أثر فعال في تحقيق التكيف الاجتماعي، خاصة لدى فئة الشباب، وفيما يلي عرض لبعض هذه الدراسات:

#### 1- دراسة (العاجز، 2007) بعنوان: " دور الجامعة الإسلامية في تنمية بعض القيم من وجهة نظر طلبتها".

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم القيم التي تنميها الجامعة الإسلامية لدى طلبتها من وجهة نظرهم، وكذلك الكشف عما إذا كانت هناك فروق بين متوسطات درجات الطلبة نحو دور الجامعة في تنمية بعض القيم لديهم من وجهة نظرهم تعزى إلى المتغيرات (الجنس، المستوى الأكاديمي، نوع الكلية، المنطقة التعليمية).

ولتحقيق هذه الأهداف قام الباحث بإعداد استبانة لمعرفة أهم القيم التي تنميها الجامعة الإسلامية لدى طلبتها، وقد تكونت الاستبانة من (30) فقرة في صورتها النهائية، وقد تم تطبيق هذه الاستبانة على عينة من طلبة الجامعة بلغ عددها (505) طالب وطالبة.

وقد تبين من نتائج الدراسة أن أهم قيمتين تنميها الجامعة لدى طلبتها (الشعور بالرضا بقضاء الله وقدره، والاعتقاد بان رضا الله من رضا الوالدين)، كما تبين أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في استجابات الطلاب نحو دور الجامعة في تنمية القيم لدى طلبتها من وجهة نظرهم تعزى إلى عاملي (الجنس، و المنطقة التعليمية). ولكن توجد فروق تعزى إلى نوع الكلية وذلك لصالح كليات العلوم الشرعية على الكليات الإنسانية، ولصالح الكليات الإنسانية على الكليات التطبيقية. وكذلك وجود فروق دالة إحصائية تعزى على عامل المستوى الأكاديمي وذلك لصالح المستويات العليا (الثالث، والرابع، والخامس).

#### 2- دراسة (المصري والزعانين، 2001) بعنوان: " مستوى معرفة طلبة الجامعات الفلسطينية للقيم الاجتماعية في الإسلام".

حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى معرفة طلبة الجامعات الفلسطينية للقيم الاجتماعية في الإسلام، ومعرفة ما إذا كان لمتغير الجنس ومحل الإقامة أثر في ذلك.

ولقد أظهرت الدراسة فروقاً ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجامعة ولصالح طلبة الجامعة الإسلامية، يليها جامعة الأزهر، وأخيراً جامعة الأقصى. وأوصت الدراسة

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

بضرورة الاهتمام بمساقات الثقافة الإسلامية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التربوية، نظراً لما لها من دور في ضبط السلوك، وضرورة أن تركز هذه المساقات على قضايا تعزيز القيم والمثل الإنسانية المتعلقة بالحياة اليومية للفرد المسلم، وأيضاً ضرورة اختيار أعضاء هيئة التدريس.

### 3- دراسة (الهندي، 2001): بعنوان: " دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم"

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مدى قيام المعلم بتنمية تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر، والكشف عما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلبة حول هذا الدور تعزى إلى المتغيرات: (الجنس، مكان السكن، تخصص الطالب، تخصص المعلم)، وقد استخدم الباحث في ذلك المنهج الوصفي التحليلي بعد إعداد استبانة مكونة من 70 فقرة، طبقت على عينة من 720 طالب وطالبة من الطلبة النظاميين في المدارس.

وقد توصلت الدراسة إلى انه لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلبة تعزى إلى المتغيرات (الجنس، مكان السكن، تخصص الطالب) ولكن توجد فروق دالة تعزى إلى تخصص المعلم وذلك لصالح معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية. وفي ضوء النتائج أوصى الباحث بالعمل على زيادة ترسيخ المعلمين للقيم الاجتماعية التي برز إسهامهم بترسيخها بدرجة ضعيفة.

### 4- دراسة (طهطاوي، 1996) بعنوان: " القيم التربوية في القصص القرآني"

هدفت الدراسة إلى استخراج القيم التربوية كما تظهر من خلال القصص القرآني، بوصف هذه القيم هي قيم الأنبياء والمرسلين، والتعرف على الدور الذي تلعبه القصة القرآنية في غرس القيم الإسلامية في نفوس النشء، حيث استخدم الباحث منهج تحليل المحتوى لاستخراج بعض القيم، وقد أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن القيم السامية تستمد من طبيعة الإسلام وجوهره، وان هذه القيم موجودة بصور عديدة وأساليب مختلفة، كما أشارت إلى أن القصة القرآنية تتفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص.

### 5- دراسة (عبد الغفار، 1994) بعنوان: " التطور القيمي لطلاب كلية التربية النوعية بالقاهرة".

هدفت الدراسة إلى التعرف على القيم السائدة بين طلاب كلية التربية النوعية حسب التخصص، ومتابعة تطور القيم بين الطلاب من الفرقة الأولى إلى الثانية، وتوصلت

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

الدراسة إلى أن كلية التربية النوعية تعمل على تنمية القيم لدى طلبتها، وأوصت الدراسة بزيادة الاهتمام بالأنشطة الطلابية سواء الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية أو الترفيه إضافة إلى الاهتمام بالجانب الوجداني من التعليم والعمل على زيادة التقارب بين المعلمين والطلاب حتى يكون للمعلمين التأثير المطلوب على الطلاب.

6- دراسة (مكروم، 1987) بعنوان: " الأحكام القيمية الإسلامية ودور التربية في تنميتها لدى شباب الجامعات في مصر".

هدفت الدراسة إلى التعرف على نوع وطبيعة الدور الوظيفي الذي ينبغي أن تقوم به الجامعة في مجال تنمية الأحكام القيمية الإنسانية لدى طلابها ووضع برامج إجرائية مقترحة لزيادة فعالية الجامعة في وظيفتها القيمية. وقد أشارت النتائج إلى أن هناك ثلاث أبعاد متكاملة تتحقق بها الوظيفة القيمية للجامعة في المجتمع المصري وهي:

- التخطيط لبرامج التوجيه الديني والإرشاد الخلقي في الجامعة.
  - توظيف طبيعة المنظور الإسلامي للعلم في مجالات التخصص المختلفة.
  - توضيح الجانب التطبيقي للقيم والأخلاق الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع.
- 7- دراسة (أبو النصر، 1984) بعنوان: " دراسة للقيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية".

هدفت الدراسة إلى التعرف على القيم الاجتماعية السائدة لدى الفتاة الكويتية في الوقت الحالي، وعلى أثر التخصص (العلمي، الأدبي) والمستوى التعليمي لكل من الوالدين والمستوى الاقتصادي للأسرة على هذه القيم. وقد أشارت لنتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطي مجموعتي الطالبات العلمي والأدبي لصالح مجموعة الأدبي في القيم الدينية، وإلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين المتوسطات في باقي مجالات الاستبانة.

#### التعقيب على الدراسات السابقة:

بالنظر إلى الدراسات السابقة نجد أن:

- 1- أظهرت الدراسات أن طلبة الجامعة الإسلامية هم أكثر طلاب الجامعات إدراكاً للقيم الاجتماعية في الإسلام، مثل دراسة (المصري والزعانين، 2001)، كما أظهرت أهمية القيم المستمدة من القرآن وقصصه للشباب المسلم مثل دراسة (طهطاوي، 1996).
- 2- الدراسة الحالية قد اتفقت مع الدراسات السابقة في عدة أمور من أهمها: أنها تناولت موضوع واحد وهو القيم الاجتماعية من منظور إسلامي سواء كانت كان مصدره قرآن أو سنة نبوية، فقد اتفقت مع دراسة (طهطاوي، 1996) ودراسة (أبو النصر،

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

1984) من حيث الموضوع فكلاهما تبحث في أثر القرآن الكريم وأثره على القيم الاجتماعية للشباب كما اتفقت مع دراسة (العاجز، 2007) من حيث المتغيرات ومجتمع الدراسة، في حين اختلفت مع دراسة (المصري والزعانين، 2001)، ودراسة (عبد الغفار، 1994)، ودراسة (الهندي، 2001) في أنها تناولت الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن .

3- ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أنها تبحث في دور القيم الاجتماعية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، حيث أنها تختلف عن دراسة (العاجز، 2007) في أن السابقة تناولت دور الجامعة في تنمية بعض القيم، وقد تعتبر هذه الدراسة كحالة خاصة على الشباب الفلسطيني .

### الإطار النظري للدراسة:

يمر مجتمعنا العربي والإسلامي بفترة حرجة من حياته تتسم باهتزاز القيم، واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين الحنيف .

فنظرةً إلى الحياة النفسية والاجتماعية التي يحياها شباب العروبة والإسلام تؤكد ما يعانونه من اغتراب نفسي وخلل قيمي مخيف .

وفي هذا العصر - عصر التطور التقني والانفجار المعرفي - نجد أن الأمور تسير في طريق إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمة ودينه أكثر فأكثر، ابتداءً من الانبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة، مروراً بالميل المتنامي لدى كثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه بعض الأفراد والجماعات في المجتمع من سلوكيات تنتافي وقيم هذا المجتمع، إضافة إلى ظهور بعض التيارات والدعوات التي تنادي صراحة أو ضمناً بالخروج على هذه القيم، مع تسلل القدوة السيئة التي لا تتفق مع قيمنا إلى معظم البيوت من خلال أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة بحيث أصبحت هذه القدوة - مع مرور الوقت - شيئاً مألوفاً. هذا مع انشغال الناس في هذه الأيام أكثر فأكثر بهموم لقمة العيش التي أصبح تحصيلها يستنزف معظم وقت وجهد رب الأسرة، مما يستدعي الاهتمام بالقيم الاجتماعية التي تعمل على حماية النسق الاجتماعي الواحد .

### طبيعة القيم الاجتماعية:

من المعروف أن الإنسان بطبعه اجتماعي، يسعى لأن يكون عضوا فاعلا في مجتمعه، لذلك يعمل جاهدا على تمثيل النسق القيمي لمجتمعه، وهو يسعى للإبقاء على هذا النسق، ويبدل الكثير من الجهد من أجلها حتى ولو كان فيه تعارض لاتجاهاته وميوله ورغباته، وإلا تعرض لفتك من أفراد مجتمعه، فليس صحيحا أن الإنسان يسير حسب أهواءه، بل يسير حسب ما تملبه عليه قيمه النابعة من عقيدة وثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه واتهم بالتمرد والانحراف.

لذا فإن أغلب أفراد المجتمع محكومون لا شعوريا بالقيم الاجتماعية ومطالبون بتمثلها والتكيف معها في أثناء تفاعلهم وعلاقاتهم مع أفراد المجتمع. (ذياب، 1966: 51) ولكن هذا لا يعني أن قيم المجتمع واحدة ومتفق عليها من الجميع بشكل مطلق ولكن المقصود هو عموميات القيم السائدة في المجتمع والمتفقة في الخطوط العريضة لها بغض النظر عن الاتفاق في الفروع أو التفاصيل.

إن الفرق بين شخص يعتقد القيم الاجتماعية وشخص لا يعتقدتها، هو في سلوكيات الفرد نحو الآخرين، فصاحب القيم الاجتماعية يتميز سلوكه بأنه سلوك اجتماعي ايجابي، فالسلوك الاجتماعي الايجابي سلوك مكتسب يمكن تعلمه. (الوقاد، 1994: 3) القيم الاجتماعية متطورة دائما ومتغيرة، ولكن يلاحظ أن تطور هذه القيم وتغيرها يحتاج إلى الاستعداد، والإمكانات التي تجعل عملية التغير عملية حيوية، في حين يمكن القول أن هناك قيم لا تتغير ولا تتطور، وتحمل صفة الثبات والاستمرارية، وذلك مثل القيم المستمدة من شرع الله والتي تحمل دلالات قطعية، وتهدف إلى: (عويس، 1987: 15)

- تربية الإنسان المسلم على حب الآخرين والتعاون معهم ومساعدتهم.
- غرس القيم الإنسانية مثل التفاهم والتعاون مع المجتمعات الأخرى.
- تقويم كافة أشكال الانحراف الاجتماعي من خلال النبذ الاجتماعي للأفراد الذين يخالفون قيم مجتمعهم.

في ضوء ما سبق يمكن القول أن للقيم الاجتماعية أهمية عظيمة بالنسبة للمجتمع، فهي من أبرز العوامل المؤثرة في ترابط المجتمع وتماسكه وتوحيده، بحيث تشكل ركنا أساسيا في تكوين العلاقات البشرية في المجتمع، إذ تعتبر عاملا هاما في عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في المجتمع الواحد، وبين الجماعة والجماعات الأخرى، حيث أنها



الامكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بنقرة .

- القيم الاجتماعية - نماذج يفضلها الناس ويرغبونها باعتبارها من صلب ثقافتهم وموجهة لسلوكهم.

#### وظائف القيم الاجتماعية:

يمكن تحديد أهم وظائف القيم على المستوى الجماعي فيما يلي:

❖ ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء هذه النظم أساساً عقلياً يستقر في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة أو تلك.

❖ تعمل القيم على إيجاد نوع من التوازن والثبات الاجتماعي، ويكون ذلك من خلال وجود معايير مشتركة متفق عليها، تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه.

❖ تساعد القيم المجتمع على مواجهة التحديات والتغيرات التي تطرأ عليه، وذلك بمواجهة كل أشكال الانحلال والفساد الوافدة من خلال وسائل الإعلام. (زاهر، 1986: 32-33).

ويضيف (الأسمر، 1997) في هذا المجال:

❖ للقيم وظيفة أنها توفر خصائص معينة، من أبرزها التقاء الفرد والجماعة على قيم مشتركة تمهد لوحدة الأفعال وتقارب ردودها، وتضاول الصراع إلى حد كبير مع إتاحة مساحة للاختيار.

❖ تحدد الأهداف التربوية التي نصبو إليها، فالتربية تتضمن اختياراً لاتجاه معين يتعلق بلا شك تعلقاً جذرياً بالقيم. (الأسمر، 1997: 393)

كما يمكن تحديد أهم وظائف القيم على المستوى الفردي فيما يلي:

• تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابي، وتحقيق الرضا عن نفسه.

• تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كي لا تتغلب على عقله ووجدانه، لأنها تربط تصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوءها. (أبو العينين، 1988: 36).

ويضيف (زاهر، 1986) في هذا المجال:

• تساعد الفرد على تحمل المسؤولية تجاه حياته، ليكون قادر على تفهم كيانه الشخصي والتمتع في قضايا الحياة التي تهمة.

• للقيم دور في مجال التوجيه والإرشاد النفسي، ويبدو ذلك بصفة خاصة في انتقاء الأفراد الصالحين، لبعض المهن مثل رجال التربية، والأخصائيين الاجتماعيين.

• تمكن الفرد من اتخاذ القرار السليم المبني على أسس وقواعد صحيحة.

مما تقدم نرى الحاجة الملحة والضرورية للقيم لكل من الفرد والمجتمع، وذلك حتى نتمكن من إيجاد الإنسان الصالح، وبالتالي المجتمع الصالح.

### حاجة الشباب الفلسطيني إلى التوجيه القيمي:

مرحلة الشباب هي المرحلة التي تحتاج إلى توجيه مركز وإرشاد حكيم من قبل المرين والمؤسسات والآباء بحيث يتم مراعاة ما يمر به الشباب من متغيرات جسمية ونفسية وعاطفية، ولقد أجمع علماء التربية على أن هذه المرحلة هي اخطر المراحل في حياة الإنسان حيث رقة الفؤاد وصفاء النفس وبراءة الضمير. واهم ما يميز الشباب كقوة مجتمعية:

- 1- الشباب هم الأكثر طموحاً في المجتمع، وهم الأكثر تقبلاً للتغيير.
  - 2- التمتع بالحماس والحيوية فكراً وحركة، وبما يشكل طاقة جبارة نحو التقدم.
  - 3- العطاء دون حدود حين يكون مقتنعاً وواعياً لما يقوم به.
  - 4- الشباب قوة اجتماعية هامة بصفته قطاعاً اجتماعياً رئيسياً في المجتمع.
  - 5- لا يقبل بالضغط والقهر مهما كانت الجهة التي ترأس هذا الضغط.
  - 6- اضطراب اتزان الشخصية وارتفاع مستوى التوتر.
- ولما كان الشباب في هذه المرحلة العمرية قد أصبحوا في طور الرجولة والرشد، بحيث يغلب عليه التوتر وعدم الاستقرار نتيجة لعوامل وأسباب ذاتية وموضوعية تتعلق بطبيعة هذه المرحلة، فهم في اشد الحاجة إلى غرس قيم أصيلة وتنميتها بحيث تكون ذراعاً واقياً لهم على تخطي تلك العقبات ليتمكنوا من اجتياز هذه المرحلة بأمن وسلام.
- ويرى الهندي ضرورة توجيه الشباب وإرشادهم وتنمية القيم لديهم من منطلق مراعاة ميولهم وغرائزهم، وما يحفز قلوبهم ويسيطر على سلوكهم، وذلك كي يتم تطبيعهم طبيعياً تتفتح له قلوبهم وتنتشر صدورهم، فلا يتكثرون لها، ولا يتذمرون منها، وينبغي أن نؤكد أنه في قلوب الشباب ناحية خيرة يمكن توجيهها إلى سبل الخير والرشاد، لا أن نفترض أنهم كتلة من الشر فننهال عليهم باللوم والتجريح. (الهندي، 2001: 73)

### القرآن الكريم كمصدر للقيم الاجتماعية:

القرآن الكريم هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - بألفاظه العربية ومعانيه الحقة، ليكون حجة للرسول على انه رسول ودستورا للناس يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بصورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

ومشاهدة جيلا بعد جيل، محفوظا من أي تغيير أو تبديل.  
(خلاف، ب. ت: 23)

القرآن الكريم هو المصدر الأول للقيم، فهو التنظيم المحكم الذي انتظمت فيه القوانين، وقدرت فيه القواعد والأصول التي انضبط بها المجتمع المسلم والأمة الإسلامية، ووفق تلك القوانين و الأصول شيد المسلمون حضارتهم المبنية على الحق والعدل والمساواة.

ويمكن تحديد القيم التي جاء بها القرآن الكريم بثلاث أقسام:  
(خلاف، ب. ت: 32).

1- قيم اعتقادية/ تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

2- قيم أخلاقية/ تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل، وأن يتخلى عن الرذائل.

3- قيم عملية/ تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وعقود وتصرفات.  
لهذا فإن القرآن الكريم يحتوى على النسق القيمي بتفصيلاته وتعريفاته المتنوعة، وهوة الدستور الذي يجب أن نستند إليه في اشتقاق القيم، والقاعدة التي تساعد على هذا الاشتقاق هي أن كل آية نصت على أمر فإن ما تضمنته ونصت عليه يعتبر قيمة سواء كان الأمر قطعيا أو ظنيا. (أبو العينين، 1988: 63).

#### خصائص القيم الاجتماعية في القرآن الكريم:

تتميز القيم الاجتماعية في القرآن الكريم عن غيرها بالكثير من الخصائص، أهمها:

- 1- ربانية المصدر/ الله عز وجل يعلم ما يصلح هذا الإنسان وما ينفعه، كما أنها تظفر بقدر من الهيبة والاحترام، من قبل الناس مهما كانت مراكزهم.
- 2- الاستمرارية، والخلود لكونها إلهية وصالحة في كل مكان وزمان، وما يدعم استمراريتها صلاحيتها لكل الناس، على اختلاف أشكالهم وألوانهم.
- 3- الشمول والتكامل لجميع جوانب شخصية الإنسان، حيث أنها تتعامل مع الإنسان كوحدة متكاملة في جماعة، وذلك من منطلق أن الإسلام يرفض رفضا تاما انقسام الذات الإنسانية إلى روح ومادة.
- 4- الثبات والمرونة، لاستنادها إلى نص قطعي الدلالة لا يقبل التغيير.

5- الوسطية والتوازن، حيث راعت القيم في القرآن النظرة السليمة التي تجمع بين الجانب الروحي والمادي والعقلي والعاطفي وبين النزعة الفردية والجماعية. (الزنتاني، 1993: 203)

6- الواقعية، حيث راعت طاقة الإنسان، فلم يكلفه الله إلا ما يطيق، لقوله تعالى: " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" (البقرة : 286)، فجاءت القيم الاجتماعية في القرآن تتناسب وتتلاءم مع خصائص الطبيعة البشرية، والحاجات المجتمعية.

بعض القيم الاجتماعية في القرآن الكريم:

#### 1- الوفاء :

يرتبط الوفاء بالعهد بقوة الذاكرة وقوة العزيمة لدى الفرد والتي تلزمه بأداء واجبه وعهوده إذا لم تتعارض مع الدين، وقال تعالى " وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الأنعام: 152).

وتتفاوت همم الرجال علي مدي الالتزام بالعهد والميثاق ،فقد يكون ثمن الوفاء فادحاً وغالياً في المال أو الحياة، وأعلى العهود درجة هو العهد بين الله والعبد، وعلي الإنسان أن يعترف بحقيقة خلقه وحياته ومدي النعمة التي منحها الله له، فيقول تعالى : " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يس: 60). وقوله : " اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (البقرة : 40).

ويرتبط الوفاء والبر بالالتزام بالعهود وخاصة إذا تعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان و لا يمين في إثم ولا تعهد إلا بمعروف، لذلك لا بد من الوفاء بالعهود والمواثيق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من حلف علي يمين فرأى غيرها منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير " (صحيح مسلم: 1650).

وفي بداية الدعوة الإسلامية، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايع الوفود المقبلة عليه بالمبادئ والتعاليم الإسلامية والتي تناسب قدراتهم، ولقد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار علي حمايته بأرواحهم وأموالهم حتى يستطيع نشر الدعوة الإسلامية، ويعتبر العهد بين الرسول صلى الله عليه وسلم والأنصار من أقدس المواثيق في سبيل الله والحق، ومعركة بدر وحنين تدلان علي مدي التزام الأنصار بالعهد ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي معركة حنين حيث أعجب المسلمون بكثرتهم هزموا في بداية

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

المعركة وهربت القبائل التي دخلت جديداً في الإسلام، فنادي الرسول يا معشر الأنصار، فلبى الأنصار النداء وتجمعوا حوله، وانتصر المسلمون في هذه المعركة.

## 2- الأمانة :

لقد وضع الإسلام الكثير من التشريعات الدنيوية التي تحافظ على الحق والعدل بين الناس، ولا تصان حقوق الله وحقوق الأفراد إلا بضمير خالص يقظ يعرف الله ويخشاه، ولقد أوجب الإسلام الأمانة على المسلم لتحسين سلوكه وأدائه في العمل، والأمانة لها معان كثيرة وعديدة، ولا يقصد بها حفظ الأموال والأمانات فقط، فهي تعنى حفظ الأموال وأداء الأعمال والواجبات الدنيوية والربانية.

فمن الأمانة عدم استغلال المنصب للمصلحة الشخصية، " فإن التشبع من المال العام جريمة "، وإن محاولة أخذ الأموال واستغلالها للمصالح الخاصة يعد جريمة في نظر الإسلام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ،فما أخذ بعد ذلك فهو غلول" (صحيح مسلم:1823)، وقال تعالى : " وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " (آل عمران: 161)

خلق الله الإنسان على الأرض أمانة لمدة محدودة، فإذا حدث موت، فهذا يعني أن الأمانة ردت إلي أصحابها، ويقول تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (الأنفال : 27).

والأمانة فضيلة كبيرة لا يستطيع أي إنسان حملها، قال تعالى: " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " (الأحزاب: 72)

ولقد فصل الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أنواع الأمانات بقوله : " كلكم راع ووكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته " (البخاري: 893 و مسلم:1829)، وعن أنس قوله : ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال : " لا إيمان لمن لا أمانة ولا دين لمن لا عهد له " (أحمد:11935) (حسنه الأرنبوط، انظر المكتبة الشاملة) .

ومن معاني الأمانة، اختيار ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأداء الأعمال بإخلاص وعلي أحسن وجه، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله: " من ولي أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل منه

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بنقرة .

الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم " (المستدرك على الصحيحين: 7024، صححه الذهبي في التعليقات).

وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه " جاء رجل يسأل رسول الله : متى تقوم الساعة؟ فقال له : إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ! فقال: وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة" (صحيح البخاري: 59).

### 3- التراحم:

إن الرحمة كلمة عظيمة بمعانيها وأهدافها، وهي صفة من صفات الرحمن الذي وسعت رحمته جميع الخلائق والوجود وهو خير الراحمين، ويقول تعالى: " وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ" (المؤمنون: 118)، وما يصيب الناس من بلاء قليل إلا رحمة من الله لعباده، فغرز الله الرحمة في عباده المؤمنين الصالحين وأنزل المودة والعطف في قلوبهم حتى يشعروا بمشاعر الضعفاء والفقراء، أما أصحاب القلوب الميتة والقاسية قلوبهم علي الضعفاء فهم أكثر الناس بعداً عن الله، ولنا في رسول الله قدوة حسنة فهو أكثر الناس رحمةً وعطفاً وليناً وسعة صدر في أيام الشدة والرخاء حتى مع المشركين والمنافقين ولذلك قال فيه رب العزة: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (آل عمران: 159)، ولقد حذر الله من القسوة وقال في قساسة القلوب " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد: 16)، ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تحت علي الرحمة والتراحم فقال: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " (صحيح البخاري: 7376 وقال: " جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه " (صحيح مسلم: 2752)، وقال: " لاتنزع الرحمة إلا من شقي" (سنن أبو داود: 4942 وحسنه الألباني)، وقال: " الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحمة شجرة من الرحمن، من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله " (سنن الترمذي: 1924، وصحة الألباني)، ولقد قال الله تعالى لرسوله: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء: 107)

والإنسان المسلم يجب أن يكون ودوداً ورحيماً وعطوفاً في تعامله وسلوكه مع جميع الخلائق، الوالدين وهم أحق الصحبة والأخوة والأخوات والأقارب الأولي بالمعروف والفقراء والمساكين والمرضى والمعاقين والأطفال والشيوخ، والضعاف

الامتكاسات التربوية للقيود الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

والخدم، وكذلك الرفق بالحيوانات لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " (البخاري: 3318، ومسلم: 2619).

#### 4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهي المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو تعطلت لفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد وخربت البلاد.

يقول تعالى: " وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (آل عمران: 104)، وفي ضوء آيات القرآن الكريم المتعددة التي تناولت هذا الموضوع، تظهر أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لضمان صلاح المجتمع، حيث انه تارة يحمل على رجاء الثواب، وتارة خوف العقاب من تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما وقعوا فيه، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه، حيث يقول تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " (آل عمران: 110)، وعن سعيد الخدي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فغن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " (صحيح مسلم، 22/2)، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ترك هذه العبادة فيقول: " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " ( صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، ناصر الدين الألباني، 13026 قال عنه حسن)

#### 5- الحلم والصفح :

الحلم والصبر ومسك النفس للمسلم عند الضيق وهو قادر علي تنفيذه له منزلة عند الله، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة علي رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي حور شاء " (صحيح ابن ماجة، 3375)، وقال تعالى للذين يمسكون أنفسهم عند الغضب: " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (آل عمران: 133)، (134).

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بنقرة .

في ضوء ما سبق تظهر آثار الحلم والصفح الطيبة على المجتمع المسلم، حيث انه يخلص القلوب من الأحقاد، ويوحدها على ما يرضي الله ورسوله .

#### 6- التواضع:

إن التواضع في الإسلام يعني الانقياد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم والإذعان والموافقة علي ما ورد في القرآن والسنة، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لين القلب، كريم الطبع، والمعاشرة بساماً، متواضعاً رقيق القلب رحيماً بالمسلمين . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى عباده المتواضعين غير المستكبرين وهم أهل سكينه ووقار، بقوله : "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" (الفرقان : 63) ويقول: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ" (المائدة :54).

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله أوحى إلي : أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " (صحيح مسلم:2865). وقال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (صحيح مسلم:91)، ويقول أيضاً : " يقول الله عز وجل : " العزة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني عدبته " (صحيح مسلم:2620). ومن سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم المتواضعة أنه يرقع ثوبه، ويحلب الشاه لأهله، ويعلف البعير ويأكل مع الخدم ويجالس المساكين، ويجيب دعوة من دعاه، ويعود المريض، ويركب الحمار، ويسلم علي الصبيان إذا مر عليهم، وإذا أكل لعق أصابعه الثلاث، ولم يحاول أن ينتقم لنفسه قط وحتى لمن طعنوه في عرضه وشرفه كابن سلول في حديث الإفك .

#### 7- إصلاح ذات البين:

من الاهتمام بأمر المسلمين، والحرص على نفعهم، ودفع الأذى عنهم، السعي بالصلح بينهم إن كانوا متخاصمين، والنصوص في وجوب الصلح بين المسلمين أكثر من أن تتسع له الصفحات، منها قوله تعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (الحجرات، 10،9) فهو أمر رباني بالصلح بين الطائفتين المتقاتلتين، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسعي بنفسه للصلح بين المتنازعين، على ما كان يشغله من أعباء الدعوة وتكاليفها، كان حريصا كل



الحرص على أن تسود الأخوة مجتمع المؤمنين، فكان يرخص في كثير من الأقوال التي يتزايد فيها الناس ابتغاء استمالة النفوس النافرة، وتليين القلوب المتحجرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا " (صحيح مسلم، 2605).

#### 8- العدل والإنصاف:

المسلم الواعي الراشد عادل في حكمه، لا يجور ولا يحيد عن الحق، مهما كانت المناسبات والمواقف والأحوال، فالعدل واجتناب الظلم من صميم الدين والعقيدة، فيقول تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " (النساء: 58) وهذا العدل، عدل مجرد دقيق خالص، لا يميل ميزانه الود والشنآن ولا يؤثر في نصاعته ميل إلى قرابة أو نسب، فيقول تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة: 8) وفي موضع آخر : " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " (الأنعام: 152).

ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في العدل حينما جاء أسامة بن زيد يستشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، وعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على قطع يدها، فقال له: " أتشفع في حد من حدود الله؟ وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (صحيح مسلم : 4232).

#### 9- الإيثار:

طبع الإسلام أبناءه بما ساقه لهم من هدى على الإيثار، حتى أصبح الإيثار خليفة أصيلة من خلائق المسلم الحق، بما يعرف ويتميز عن غيره من الناس، ولقد كان الأنصار رضوان الله عليهم الرواد الأوائل للإيثار بعد الرسول الكريم إذ نزل فيهم قرآن يتلى، يشيد بإيثارهم.

وفي ذلك يقول تعالى: " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْبَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (الحشر: 9).

#### 10- إفشاء السلام:

من أدب المسلم الاجتماعي المميز إفشائه السلام، وإفشاء السلام في الإسلام ليس تقاليدا اجتماعيا، تعاور على وضعه وتنظيمه البشر في عصورهم المختلفة، فهو يتغير

وينتظر تبعاً للبيئة الاجتماعية والعصر الذي وضع فيه، وإنما هو أدب محدد منظم أصيل، أمر به رب العزة في كتابه الحكيم، ونظمه ووضع قواعده الرسول الكريم في أحاديثه الغزيرة، فلقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسلام في كتابه فقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (النور: 27) وأمر برد التحية بأحسن منها أو بمثلها في قوله تعالى: " وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا " (النساء: 86).

وجاء الهدى النبوي يحض بحرارة على إفشاء السلام وإسماعه من نعرف ومن لا نعرف، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: " تطعيم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (صحيح مسلم: 72).

والسلام في المجتمع الإسلامي صيغة واحدة يلتزم بها المسلم الحق وهي: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ويقول المجيب: " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" وله قواعد في حياتنا الاجتماعية تتلخص في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يسلم الراكب على المشي، والمشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير" (صحيح البخاري، كتاب الاستئذان: 7)

## 11- صلة الرحم:

جاءت آيات القرآن الكريم مؤكدة منزلة الرحم في الإسلام حاضرة على الإحسان إليها، وأداء حقوقها، وتوقى هضم تلك الحقوق أو خدشها أو مسها بظلم أو أذى محذرة من الإساءة إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ " (محمد: 22، 23) وقوله أيضاً جل في علاه: " وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (النساء: 1) وقوله تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا " (النساء: 36) من هنا تأتي مرتبة ذي القربى في البر بعد الوالدين، متدرجا من الأعلى إلى الأدنى في سلم العلاقات الإنسانية.

فقد جاءت صلة الرحم في عداد المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف، فعن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي

صلى الله عليه وسلم: " تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم " (صحيح البخاري:1137)، وعن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من سره أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره، فليصل رحمه " (صحيح مسلم: 6329)، وحسب قاطع الرحم بلاء وشقاء وحرمانا أن يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: " لا يدخل الجنة قاطع رحم " (صحيح البخاري: 4864)

## 12- الجود والكرم:

المسلم الحق المستنير بتعاليم دينه كريم جواد، يداه مبسوطتان، تمطران بالخير على أبناء مجتمعه، في شتى المناسبات والأحوال، وهو إذ ينفق يبذل بسخاء المؤمن الواثق بأن عطاياه لا تضيع، فيقول تعالى: " وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ " (البقرة:273) وإنه ليؤمن، وهو يجود بماله أن ما ينفقه سيعود عليه بالفائدة الجمّة والخير العميم، وسيخلفه الله عليه أضعافا في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (البقرة:261) ويقول أيضا جل في علاه: " وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " (سبأ: 39) ويقول أيضا: " وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظلمُونَ " (البقرة: 272) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول احدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا " (صحيح البخاري: 1175).

كما أن الكرم من أفضل خلائق الإسلام ومن أحسن شمائل المسلم الاجتماعية، على أن الكرم ما ينبغي أن يجمع بالمسلم إلى حد التفريط والإطاحة بالمال كله، فالأمور في الإسلام متوازنة متكاملة، ولقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مثلا مجسدا للكرم المحض الأصيل، ما عرف عنه انه أمسك يده عن عطاء.

كما ان المسلم الواعي إذا وفقه الله للعطاء والبذل في سبيله، لا يمن على من أعطاهم، لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى " (البقرة: 264) ويحرص على أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم: " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة: 262)

### 13- الرفق بالناس:

إن اللطف والأناة والرفق خصال حميدة يحبها الله في عباده المؤمنين، لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلق، ورقة الجانب، وحسن العشرة، وتجعله قريباً من نفوس الناس، محبباً إلى قلوبهم، حيث يقول تعالى في محكم التنزيل: "وَمَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (فصلت: 34،35)

ولقد جاءت النصوص متضافرة، تحبب في الرفق وتحض عليه، وتؤكد انه خلق عال ينبغي أن يسود مجتمع المسلمين، وهو خلق عظيم يثيب الله عليه من عطائه الجزل ما لا يثبه على خلق آخر لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه" (صحيح مسلم: 6407).

أضف على أن الناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف، وبألفون الرقة والدمائة واللين، ومن هنا كان قول الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْتَصُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" (آل عمران: 159)

### 14- الصدق:

إن الصدق في القول والعمل من خلق المسلم، وهو صفة أساسية في سلوكه، وعليه الابتعاد عن الشك والظن والريب، فالحقيقة هي التي يجب أن تظهر وتنتشر بين الناس، وأن العلاقات بين الأفراد والجماعات يجب أن تبني على الصدق والحق، وأن تربي الأجيال على الصدق في المعاملات اليومية وذلك في جميع المنظمات والمؤسسات المجتمعية، و"أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب إلي الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقاً ولا يعملوا إلا حقاً"<sup>(4)</sup>، ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدق بقوله "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" (البخاري: 5144، مسلم: 2563)، وقال: "دع ما يريبك إلي ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة" (سنن الترمذي: 2518، صححه الألباني).

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أ يكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم! وقيل له: أ يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم إقيل له: أ يكون المؤمن كذاباً؟ قال لا". (مالك في الموطأ: 1862).

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بنزرة .

ويوصي الإسلام أن يغرّس الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها ويألفوها في أقوالهم وسلوكهم، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من قال لصبي تعال، هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة" (أحمد:9460، صححه الأرئووط).

والناس يطلقون ألسنتهم وأخيلتهم في تأليف الأضاحيك التي تسيء للآخرين بدعوى التسلية والإضحاك، وقد حرم الدين هذا السلوك تحريماً تاماً، لأن الله بالحديث الكاذب كثيراً ما يؤدي إلي العداة والمشاكل. وأقبح المنكرات هو الكذب علي دين الله أو الرسول، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (صحيح البخاري:107، مسلم:2).

وقد كره الإسلام المعاملة الجشعة المبنية علي الكذب بين الناس أثناء البيع أو الشراء في التجارة، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كره الإسلام المعاملة الجشعة المبنية علي الكذب بين الناس أثناء البيع أو الشراء في التجارة، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة" (رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة، 1981).

إن الصدق في الأقوال يؤدي إلي الصدق في الأعمال ولذلك يقول تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (الأحزاب: 70- 71)، وقوله تعالى: " فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ" (محمد:21)، وقوله: " لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ" (الأحزاب: 24).

والإنسان يحاول أن يجد التبرير لأخطائه التي قام بها معتمداً علي الكذب، وهذا يعتبر فرار من الشر إلي ما هو أشد منه ،ويكون سلوكه الظاهري والباطني غير سوي، فالواجب أن يعترف الإنسان بخطئه وأن يبتعد عن الكذب مهما كان نوعه أو هدفه، فالاعتراف بالخطأ فضيلة .

#### الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن:

للقيم الاجتماعية في القرآن انعكاسات تربوية لها دور كبير في تكوين الشخصية المتزنة والمتكاملة للإنسان المسلم وخاصة الطلبة الذين سيكونون معلمي المستقبل، وعليهم تعقد الآمال في بناء الطالب المسلم الملتزم بتعاليم الدين الإسلامي، ومن هنا تظهر أهمية أخلاقيات مهنة التدريس لدي المعلمين ودورها في تحسين السلوك الإنساني لدي الطلبة في كافة المراحل الدراسية وخاصة طلبة الجامعات، وتتمثل الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في ما يلي :

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

1- تربية الإنسان المسلم علي مبادئ وأخلاق الدين الإسلامي من خلال الربط بين العقيدة والمبدأ وبين التطبيق العملي والممارسة في السلوك، "ومعاملة المسلمين معاملة حسنة ومراعاة أحاسيسهم ومخاطبتهم علي مستوي عقولهم " (بشير، 1995: 238).

2- "ترقية السلوك الإنساني من خلال التمسك بالمبادئ الدينية والخلقية العليا وتقوية النفس البشرية وتحصينها من الترددي في الشهوات أو الانسياق في تيار الملذات والرذيلة، وتوجيه الإنسان نحو اتخاذ المواقف الإيجابية والاتجاهات البناءة دينياً وخلقياً نحو المواقف والقضايا الحياتية " (الزنتاني، 1993: 761)

3- تربية الضمير الخلقي الحي في نفس المؤمن من خلال تهذيبه وتركيبته وغرس ينابيع الخير والرحمة والاستقامة والعفة والطهارة والمحافظة عليه من الكبر والفحشاء التي تؤثر في سلوكه.

4- تربية الإنسان المسلم علي تحمل القوة النفسية والإرادة القوية، والوفاء والتضحية، والابتعاد عن الانحراف والخديعة لغيره من المسلمين.

**إجراءات الدراسة:**

**1- منهج الدراسة:**

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، حيث أن هذا المنهج يدرس ظاهرة أو حدث أو قضية موجودة يمكن الحصول عليها من المعلومات المعطاة التي تجيب عن أسئلة البحث دون تدخل الباحثان فيها.

**2- مجتمع الدراسة:**

يتكون مجتمع الدراسة من طلبة الجامعة الإسلامية بغزة في جميع التخصصات في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2006/2007، والبالغ عددهم (19100) طالب وطالبة.

**3- عينة الدراسة:**

تم اختيار عينة عشوائية طبقية من بين طلاب الجامعة الإسلامية بغزة بحيث تمثل متغيرات الدراسة، والجدول التالي يوضح توزيع أفراد العينة:

جدول رقم (1)

| المتغير         |               |            |                        | المجموع |
|-----------------|---------------|------------|------------------------|---------|
| الجنس           | ذكر           | أنثى       |                        | 409     |
|                 | 203           | 206        |                        |         |
| نوع الكلية      | علوم إنسانية  | علوم شرعية | علوم تطبيقية           | 409     |
|                 | 199           | 121        | 89                     |         |
| المعدل التراكمي | مقبول         | جيد        | جيد جدا                | 409     |
|                 | 92            | 152        | 62                     |         |
| المستوى         | الأول والثاني |            | الثالث والرابع والخامس | 409     |
|                 | 195           |            | 214                    |         |

4- أداة الدراسة:

تم إعداد استبانة تتضمن أهم الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم، اشتملت في صورتها النهائية على (36) فقرة، وقد تم صياغة عباراتها في ضوء الاستفادة من الأدب التربوي والدراسات السابقة المتعلقة بالقيم الاجتماعية في مجتمعنا الفلسطيني.

5- صدق الاستبانة :

أولاً : صدق المحكمين:

قام الباحثان بعرض الاستبانة على مجموعة من الخبراء والمختصين في التربية بهدف تعرف آرائهم حول " الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة " ولهذا الغرض قام الباحثان ببناء الاستبانة، ومن ثم حساب مدى اتفاق كل عبارة مع عبارات الاستبانة ككل، وفي ضوء آراء السادة المحكمين تم استبعاد بعض العبارات وتعديل بعضها الآخر ليصبح عدد بنود الاستبانة (36) بنوداً.

ثانياً : صدق الاتساق الداخلي :

قام الباحثان بحساب معاملات الارتباط لبيرسون " Pearson " بين كل بند من بنود الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة، وكانت النتائج كما في جدول رقم (2)

جدول رقم (2)

معاملات الارتباط بين درجات كل سؤال والدرجة الكلية للاختبار

| رقم السؤال | معامل الارتباط | مستوى الدلالة | رقم السؤال | معامل الارتباط | مستوى الدلالة | رقم السؤال | معامل الارتباط | مستوى الدلالة | رقم السؤال | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|------------|----------------|---------------|------------|----------------|---------------|------------|----------------|---------------|------------|----------------|---------------|
| 1          | 0.54           | 0.01          | 10         | 0.35           | 0.01          | 19         | 0.56           | 0.01          | 28         | 0.66           | 0.01          |
| 2          | 0.50           | 0.01          | 11         | 0.53           | 0.01          | 20         | 0.62           | 0.01          | 29         | 0.71           | 0.01          |
| 3          | 0.47           | 0.01          | 12         | 0.41           | 0.01          | 21         | 0.59           | 0.01          | 30         | 0.71           | 0.01          |
| 4          | 0.47           | 0.01          | 13         | 0.52           | 0.01          | 22         | 0.66           | 0.01          | 31         | 0.64           | 0.01          |
| 5          | 0.61           | 0.01          | 14         | 0.50           | 0.01          | 23         | 0.50           | 0.01          | 32         | 0.65           | 0.01          |
| 6          | 0.69           | 0.01          | 15         | 0.45           | 0.01          | 24         | 0.57           | 0.01          | 33         | 0.57           | 0.01          |
| 7          | 0.51           | 0.01          | 16         | 0.54           | 0.01          | 25         | 0.69           | 0.01          | 34         | 0.67           | 0.01          |
| 8          | 0.47           | 0.01          | 17         | 0.57           | 0.01          | 26         | 0.66           | 0.01          | 35         | 0.68           | 0.01          |
| 9          | 0.60           | 0.01          | 18         | 0.55           | 0.01          | 27         | 0.69           | 0.01          | 36         | 0.37           | 0.01          |

بالنظر في الجدول السابق نجد أن جميع البنود ذات ارتباط طردي قوي والذي يؤكد الاتساق الداخلي بين بنود الاستبانة.

6- ثبات الاستبانة :

أولاً : باستخدام التجزئة النصفية :

لحساب ثبات الاستبانة باستخدام قانون التجزئة النصفية وذلك بإيجاد معامل

الارتباط لبيرسون بين مجموع الفقرات زوجية الرتبة ومجموع الفقرات فردية

الرتبة كما يلي :

$$r = \frac{2r}{r+1}$$

حيث : ث : ثبات الاستبانة

ر : معامل الارتباط لبيرسون .

وبحساب معامل الارتباط لبيرسون بين مجموع الفقرات زوجية الرتبة ومجموع الفقرات

فردية الرتبة للاستبانة (ر = 0.91).

$$0.95 = \frac{0.91 \times 2}{0.91 + 1}$$



الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

مما سبق نجد أن قيمة معامل الثبات (ث = 0.95) تعتبر عالية والذي يدل على الوثوق بهذا الاستبانة في التعرف إلى الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

ثانياً : باستخدام معامل كرونباخ ألفا ( $\alpha$ )

لحساب ثبات الاستبانة باستخدام معامل كرونباخ ألفا تم إيجاد مجموع تباين فقرات الاستبانة وتباين الاستبانة الكلي وهي كما يلي :

$$\left[ \frac{\text{مجموع } 2ع}{2ع} - 1 \right] \frac{ن}{1 - ن} = \alpha$$

حيث  $\alpha$  معامل الثبات، ن عدد بنود الاستبانة، ع2 تباين الاستبانة الكلي، مجـ مجموع تباين بنود الاستبانة .

$$0.94 = \left[ \frac{27.173 - 1}{316.75} \right] \frac{36}{35} = \alpha$$

مما سبق نجد أن قيمة معامل ثبات الاستبانة باستخدام معامل كرونباخ ألفا ( $\alpha = 0.94$ ) والتي تعطي الدالة على الوثوق بهذا الاستبانة في التعرف إلى الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

نتائج الخاصة بالسؤال الأول :

ينص السؤال الأول على: " ما القيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم؟"

وقد تم الإجابة على هذا السؤال من خلال الوقوف على بعض القيم الاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم، وعرضها في الاطار النظري للدراسة.

النتائج الخاصة بالسؤال الثاني :

ينص السؤال الأول على: " ما الانعكاسات التربوية لقيم القرآن الكريم الاجتماعية على طلبة الجامعة الإسلامية من من وجهة نظرهم ؟ "

الامتكاسات التربوية للقيود الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

وللإجابة على هذا السؤال قام الباحثان بحساب النسب المئوية والمتوسطات والانحرافات المعيارية والتباين لكل بند من بنود الاستبانة ومن ثم رتبنا تنازلياً كما في الجدول الآتي :

### جدول رقم (3)

يوضح الترتيب التنازلي لبنود الاستبانة وفقاً لمستوى استجابة أفراد عينة الدراسة

| م   | بنود الاستبانة                                | المتوسط<br>ط<br>الحسابي | الانحراف<br>ف<br>المعياري | مجموع<br>التكرارات | النسبة<br>المئوية |
|-----|---|-------------------------|---------------------------|--------------------|-------------------|
| 1.  | يحتني على رد الأمانات إلى أصحابها             | 4.545                   | 0.674                     | 1859               | 90.9%             |
| 2.  | يرغبني في احترام كبار السن وتوقيرهم           | 4.513                   | 0.642                     | 1846               | 90.3%             |
| 3.  | يوجهني إلى ضرورة حفظ أسرار الأصدقاء           | 4.440                   | 0.796                     | 1816               | 88.8%             |
| 4.  | يشجعني على حب الآخرين                         | 4.425                   | 0.696                     | 1810               | 88.5%             |
| 5.  | يعزز لدي ضرورة الوفاء بالعهد مع الآخرين       | 4.418                   | 0.740                     | 1807               | 88.4%             |
| 6.  | يحتني على إظهار الحقيقة وقول الحق من غير تردد | 4.399                   | 0.8166                    | 1799               | 88.0%             |
| 7.  | يشعرنني بالولاء لمجمعي والانتماء لأمتي        | 4.396                   | 0.854                     | 1798               | 87.9%             |
| 8.  | يشجعني على إكرام الضيف                        | 4.379                   | 0.761                     | 1791               | 87.6%             |
| 9.  | يشجعني على إفتشاء السلام                      | 4.352                   | 0.854                     | 1780               | 87.0%             |
| 10. | يرغبني في العطف على صغار السن وتشجيعهم        | 4.303                   | 0.683                     | 1760               | 86.1%             |
| 11. | ينمي لدى أهمية مراعاة شعور الآخرين            | 4.289                   | 0.819                     | 1754               | 85.8%             |

الامتكاسات التربوية للقيود الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بفنرة .

| م   | بنود الاستبانة                                     | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | مجموع التكرارات | النسبة المئوية |
|-----|--|-----------------|-------------------|-----------------|----------------|
| 12. | يوجهني إلى ضرورة مساندة الأصدقاء وقت الشدة         | 4.286           | 0.734             | 1753            | 85.7%          |
| 13. | يحثني على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر          | 4.274           | 0.941             | 1748            | 85.5%          |
| 14. | يعزز لدي أدب الحوار                                | 4.269           | 0.796             | 1746            | 85.4%          |
| 15. | ينمي لدى حب التعاون والعمل الجماعي                 | 4.254           | 0.816             | 1740            | 85.1%          |
| 16. | يشجعني على التعامل بإيجابية مع الناس               | 4.254           | 0.750             | 1740            | 85.1%          |
| 17. | يرغبني في تقديم يد العون للمحتاجين                 | 4.237           | 0.783             | 1733            | 84.7%          |
| 18. | يشجعني على تحمل المسؤولية وأداء واجبي على أكمل وجه | 4.223           | 0.824             | 1727            | 84.4%          |
| 19. | يحثني على صلة الرحم                                | 4.198           | 0.943             | 1717            | 84.0%          |
| 20. | يدفعني إلى المبادرة في أعمال الخير                 | 4.183           | 0.951             | 1711            | 83.7%          |
| 21. | ينمي لدى سلوك مقابلة الأصدقاء بوجه طلق بشوش        | 4.142           | 0.854             | 1694            | 82.8%          |
| 22. | يشجعني على التزاور بهدف زيادة المحبة               | 4.117           | 0.988             | 1684            | 82.3%          |
| 23. | ينمي لدى سلوك مصافحة الأصدقاء                      | 4.108           | 0.876             | 1680            | 82.2%          |
| 24. | يعزز لدي مبدأ الصفح والعفو عند المقدرة             | 4.073           | 0.857             | 1666            | 81.5%          |
| 25. | يحثني على مشاركة الأهل في أعمال المنزل             | 4.034           | 0.944             | 1650            | 80.7%          |

الامتكاسات التربوية للقيود الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بفنرة .

| م  | بنود الاستبانة                                       | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | مجموع التكرارات | النسبة المئوية |
|----|--|-----------------|-------------------|-----------------|----------------|
| 26 | يحتني على تقديم النصح والإرشاد للآخرين               | 4.032           | 0.914             | 1649            | 80.6%          |
| 27 | يحتني على تفضيل المصلحة العامة على الخاصة            | 4.024           | 0.798             | 1646            | 80.5%          |
| 28 | يشعرنني بأني مسئول في مجتمعي، مكلف بالعديد من الأمور | 4.015           | 1.012             | 1642            | 80.3%          |
| 29 | يعزز لدى سلوك الوفاء بحقوق جيرانني                   | 4.005           | 0.907             | 1638            | 80.1%          |
| 30 | ينمي لدى التنافس البناء في خدمة مجتمعي               | 3.944           | 1.000             | 1613            | 78.9%          |
| 31 | يشجعني على التدخل للإصلاح بين المتخاصمين             | 3.912           | 1.067             | 1600            | 78.2%          |
| 32 | ينمي لدى روح المشاركة في الأعمال الخيرية             | 3.878           | 0.967             | 1586            | 77.6%          |
| 33 | يحتني على بذل المال من أجل خدمة المجتمع              | 3.844           | 1.000             | 1572            | 76.9%          |
| 34 | يحتني على قبول النقد البناء                          | 3.829           | 0.945             | 1566            | 76.6%          |
| 35 | يرغبني في التفاني لخدمة مجتمعي                       | 3.800           | 1.059             | 1554            | 76.0%          |
| 36 | يشجعني على مشاركة الأصدقاء في مناسباتهم              | 3.709           | 0.958             | 1517            | 74.2%          |

يتبين من الجدول السابق أن أعلى عبارتين حصلتا على أعلى نسبة من استجابات أفراد العينة كانت العبارات التي تنص على: (يحتني على رد الأمانات إلى أصحابها) و(يرغبني في احترام كبار السن وتوقيرهم) و(يوجهني إلى ضرورة حفظ

الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

أسرار الأصدقاء) و(يشجعني على حب الآخرين) وقد حصلت على النسب (90.9%)، (90.3%)، (88.8%)، (88.5%) على الترتيب .

وربما يرجع ارتفاع نسبة الاستجابة على هذه العبارات إلى أنها تتعلق بالعلاقات الخارجية مع الآخرين، التي يتم الحكم من خلالها على صلاح الشخص، كما أنها تعبر عن طبيعة الإنسان المسلم، وما يتحلى به من خصال مثل: (الأمانة، واحترام الكبير، حفظ الأسرار، حب الآخرين) وهي خصال عربية أصيلة، إضافة إلى أن القرآن قد حث عليها في أكثر من موضع، وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (طهطاوي، 1996) التي أشارت إلى أن القيم الاجتماعية الموجودة في القصة القرآنية تنفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص والنصوص .

كما يتبين من الجدول أن أدنى العبارات التي حصلت على أدنى نسب الاستجابات كانت العبارات التي تنص على: (يشجعني على مشاركة الأصدقاء في مناسباتهم)، (يرغبني في التفاني لخدمة مجتمعي)، (يحثني على قبول النقد البناء)، (يحثني على بذل المال من أجل خدمة المجتمع) وقد حصلت على النسب (76.0%)، (76.6%)، (76.9%) على الترتيب .

وربما يرجع انخفاض نسبة الاستجابة، إلى أن الطالب في الجامعة الإسلامية يكون مشغولاً طوال العام في دراسته وتحصيله الدراسي، ولا يكون لديه الوقت الكافي للتزاور والمشاركة في المناسبات وخدمة المجتمع، أضف إلى أن الطالب الجامعي بحاجة ماسة إلى المال لكي يستكمل دراسته ويوفي احتياجاته في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها .

نتائج خاصة بالسؤال الثالث :

أولاً: التحقق من الفرضية الأولى .

" هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الجنس (ذكر، أنثى) ؟ "

وقد قام الباحثان باستخدام اختبار " ت " T. test لحساب دلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين وغير مرتبطتين وذلك بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الجنس .

#### جدول رقم (4)

اختبار "ت" لإيجاد دلالة الفروق بين متوسط درجات الطلبة في ضوء متغير

الجنس.

| الجنس | عدد الطلاب | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة ت المحسوبة | قيمة ت الجدولية | مستوى الدلالة             |
|-------|------------|-----------------|-------------------|-----------------|-----------------|---------------------------|
| ذكور  | 206        | 146.41          | 19.72             | 4.329           | 1.645           | دالة عند مستوى دلالة 0.01 |
| إناث  | 203        | 153.85          | 14.73             |                 |                 |                           |

يتضح من الجداول السابقة أن قيمة ت المحسوبة (4.329) أكبر من قيمة ت الجدولية (1.645) عند درجة حرية 407، وعليه يتم رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل والذي ينص على أنه " توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)". وذلك لصالح طلبة مجموعة الطلبة الإناث ذات المتوسط الحسابي الأعلى.

وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن الإناث أكثر تأثراً بالقرآن وانعكاساته التربوية من الذكور، حيث أن وقتهم المتاح لقراءة القرآن أكثر من وقت الذكور، فلا يوجد لديهم اهتمامات أخرى غير الدراسة والمنزل، كما أن لديهم رهبة وخوف أكثر من الذكور.

ثانياً/ التحقق من الفرضية الثانية:

" هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الكلية (تطبيقه، إنسانية، شرعية) ؟ "

وقد قام الباحثان باستخدام تحليل التباين الأحادي " One Way Anova " وذلك

لإيجاد دلالة الفروق بين متوسط درجات المتغيرات الثلاثة وهي كما في الجدول الآتي:

#### جدول رقم (5)

نتائج تحليل التباين الأحادي لمتوسطات درجات متغير مستوى التحصيل

| مصدر التباين   | درجات الحرية | مجموع المربعات | مربعات المتوسطات | قيمة ف | مستوى الدلالة الإحصائية       |
|----------------|--------------|----------------|------------------|--------|-------------------------------|
| بين المجموعات  | 2            | 18.795         | 9.398            | 0.03   | غير دالة عند مستوى دلالة 0.05 |
| داخل المجموعات | 406          | 129216.9       | 318.268          |        |                               |
| المجموع        | 408          | 129235.7       |                  |        |                               |

يتضح من الجدول السابق أن قيمة ف بين متوسطات درجات طلبة الجامعة الإسلامية غير دالة إحصائياً تبعاً لمتغير الكلية (تطبيقه، إنسانية، شرعية) عند مستوى دلالة  $(\alpha \geq 0.05)$ ، وهذا يعني رفض الفرض البديل وقبول الفرض الصفري والذي ينص على أنه " لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة  $(\alpha \geq 0.05)$  بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير الكلية (تطبيقه، إنسانية، شرعية) " .

وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن تأثير القرآن على الطالب في الجامعة الإسلامية الذي يمثل عينة من الشباب الفلسطيني لا يتغير من كلية إلى كلية أخرى، حيث أن الطالب يعيش في مجتمع واحد يتمتع بنفس القيم والمبادئ الاجتماعية، بغض النظر عن التخصص أو الكلية التي يدرس بها، كما أن قراءة القرآن والتدبر في آياته واجب ديني على كل مسلم .

#### ثالثاً/ التحقق من الفرضية الثالثة:

" هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة  $(\alpha \geq 0.05)$  بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير المستوى (أول/ثاني، ثالث/رابع/خامس) ؟ "

وقد قام الباحثان باستخدام اختبار " ت " T. test لحساب دلالة الفروق بين مجموعتين مستقلتين وغير مرتبطتين وذلك بين بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير المستوى .

جدول رقم (6) اختبار "ت" لإيجاد دلالة الفروق بين متوسط درجات الطلبة في ضوء متغير المستوى .

| المستوى        | عدد الطلاب | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة ت المحسوبة | قيمة ت الجدولية | مستوى الدلالة             |
|----------------|------------|-----------------|-------------------|-----------------|-----------------|---------------------------|
| أول/ ثاني      | 192        | 146.813         | 18.118            | 3.567           | 1.645           | دالة عند مستوى دلالة 0.01 |
| ثالث/رابع/خامس | 217        | 153.014         | 17.027            |                 |                 |                           |

يتضح من الجداول السابقة أن قيمة ت المحسوبة (3.567) أكبر من قيمة ت الجدولية (1.645) عند درجة حرية 407، وعليه يتم رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل والذي ينص على أنه " توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير المستوى (أول/ثاني، ثالث/رابع/خامس)". وذلك لصالح طلبة مجموعة الطلبة في المستوى (الثالث/الرابع/الخامس) وهي ذات المتوسط الحسابي الأعلى.

وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الطلبة في المستوى (الثالث/الرابع/الخامس) يكون قد نضج أكثر من غيره، وتعرف على القرآن الكريم أكثر من غيره، وبالتالي تكون الانعكاسات التربوية له أكثر تأثيراً عليه،، أضف إلى أن قدرة هذا الطالب في المستويات العليا على تحديد القيم الاجتماعية تكون أكبر من غيره، أضف إلى ذلك أن فلسفة الجامعة الإسلامية وتركيزها على العلوم الشرعية، يجعل من الطالب في المستوى المرتفع أكثر تأثراً بالقرآن الكريم.

رابعاً/ التحقق من الفرض الرابع:

"هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير المعدل التراكمي (مقبول، جيد، جيد جداً، ممتاز)؟"



الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة .

وقد قام الباحثان باستخدام تحليل التباين الأحادي " One Way Anova " وذلك لإيجاد دلالة الفروق بين متوسط درجات المعدلات الأربعة وهي كما في الجدول الآتي:

#### جدول رقم (7)

#### نتائج تحليل التباين الأحادي لمتوسطات درجات متغير المعدل التراكمي

| مصدر التباين   | درجات الحرية | مجموع المربعات | مربعات المتوسطات | قيمة ف | مستوى الدلالة الإحصائية   |
|----------------|--------------|----------------|------------------|--------|---------------------------|
| بين المجموعات  | 2            | 8322.46        | 2774.15          | 9.292  | دالة عند مستوى دلالة 0.01 |
| داخل المجموعات | 405          | 120913.2       | 298.55           |        |                           |
| المجموع        | 408          | 129235.7       |                  |        |                           |

يتضح من الجدول السابق أن قيمة ف بين متوسطات درجات طلبة الجامعة الإسلامية غير دالة إحصائياً تبعاً لمتغير المعدل التراكمي (مقبول، جيد، جيد جداً، ممتاز) عند مستوى دلالة  $(\alpha \geq 0.05)$ ، وهذا يعني قبول الفرض البديل ورفض الفرض الصفري والذي ينص على أنه " توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة  $(\alpha \geq 0.05)$  بين متوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية في الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم وفقاً لمتغير المعدل التراكمي (مقبول، جيد، جيد جداً، ممتاز) .

ولمعرفة لصالح أي من المجموعات الأربع كانت الفروق قام الباحثان باستخدام اختباري " شيفيه " " Shefee " وبنفروني " " Bonferrone " عند مستوى دلالة 0.01 ثم حسب مدى كل من الاختبارين عند ذلك المستوى. ثم قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسط المجموعات الأربع في الاستجابة على بنود الاستبانة وذلك كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (8)

الفروق بين متوسطات المجموعات الأربع في الاستجابة على بنود الاستبانة باستخدام اختباري شيفيه وبنفروني .

| المتماز | مقبول   | جيد    | جيد جداً | المتماز |
|---------|---------|--------|----------|---------|
| 156.33  | 140.123 | 152.09 | 151.13   | 156.33  |
| 1       | -       | 11.96  | 11.00    | 1       |
| *6.210  |         | *3     | *6       |         |
| 4.      | -       | -      | 0.957    | 4.      |
| 247     |         |        | 4        | 247     |
| 5.      | -       | -      | -        | 5.      |
| 204     |         |        |          | 204     |
| -       | -       | -      | -        | -       |
|         |         |        |          | 156.33  |

\* دالة عند مستوى 0.01

بإجراء مقارنة بين مدى " اختباري شيفيه وبنفروني " وفروق متوسطات المجموعات الأربع الموضحة في الجدول السابق يتضح أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.01 بين متوسط المجموعات الأربعة، حيث وجد فروق بين معدل المقبول والجيد لصالح معدل الجيد، وبين المقبول والجيد جداً لصالح الجيد جداً، وكذلك بين المقبول والممتاز لصالح الممتاز.

وهي نتيجة طبيعية، حيث أن الطالب ذو المعدل التراكمي المتدني (المقبول) يكون أقل قدرة من غيره على تحديد الانعكاسات التربوية للقرآن الكريم، كما أن له اهتمامات أخرى لاتتعلق بقراءة القرآن والتدبر فيه، وبالتالي تكون الانعكاسات عليه أقل ما يمكن.

### التوصيات :

- 1- ضرورة الاهتمام بالبناء العقائدي لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، فالسلوك الإنساني يحتاج دائماً إلى طاقة إيمانية تدفعه وتغذيه، خاصة في ضوء الصراع الذي يعيشه الشباب الفلسطيني من عولمة وتلوث ثقافي، وذلك من خلال برامج موجهة تقوم بها الجامعات لترغيب طلابها في التدبر في كتاب الله.
- 2- ضرورة أن تركز الجامعة الإسلامية في ضوء هذه الدراسة على الطلبة الذكور، والطلبة ذوي المعدلات التراكمية المتدنية من حيث ترغيبهم في تلاوة القرآن والتدبر فيه.
- 3- تعظيم فكرة أن الجهد الذي يبذله العقل البشري لمعرفة القيم ودراسة ما ينبغي أن تكون عليه الأفعال الخيرة وما ينبغي أن تكون عليه الأشياء الجميلة وما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم للوصول إلى الحق ما هو إلا التزام بالأخلاق لدى طلاب الجامعات وذلك لتحقيق التوازن بين النظرية والممارسة في المجتمع.
- 4- لضمان تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب يجب ربطهم بالعبادات خلال اليوم الدراسي، وكذلك ترسيخ الهوية الثقافية الإسلامية، والتأكيد على الاعتزاز بالانتماء للإسلام، والتعامل معهم بنفس القيم داخل الجامعة من قبل العاملين فيها.
- 5- ضرورة إكساب الشباب الجامعي مهارات التفكير الناقد، من خلال تدريس المواد المتعلقة بالقرآن الكريم، وقياس مواقف القرآن الكريم على ما يدور في حياتهم.

### قائمة المراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أبو دف، محمود (1999): محاضرات في التربية الإسلامية، مكتبة آفاق، غزة.
- 3- أبو العينين، علي خليل (1988) : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم دار الفكر العربي، القاهرة.
- 4- أبو النصر، سميحة (1984): دراسة للقيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.
- 5- أبي محمد جعفر بن حيان الأصبهاني (1989): أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي.
- 6- أحمد، لطفي (1983): القيم والتربية، دار المريخ للنشر، الرياض.
- 7- إسماعيل، محمد عماد الدين وآخرون (1974): كيف نربي أبناءنا، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، النهضة العربية، القاهرة.
- 8- أسعد، يوسف ميخائيل (1994): الجامعة بين التعليم والثقافة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- 9- الأسمر، أحمد رجب (1997): فلسفة التربية في الإسلام إنماء وارتقاء، دار الفرقان للنشر، القاهرة.
- 10- الزنتاني، عبد الحميد (1993): أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس.
- 11- العاجز، فؤاد (2007): دور الجامعة الإسلامية في تنمية بعض القيم من وجهة نظر طالباتها، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس عشر، العدد الأول.
- 12- المصري، رفيق والزعانين، جمال (2001): مستوى معرفة طلبة الجامعات الفلسطينية للقيم الاجتماعية في الإسلام، بحث مقبول للنشر بجامعة الأقصى، غزة.
- 13- الهندي، سهيل أحمد (2001): دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية.
- 14- الوقاد، مهاب محمد (1994): تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى مجموعة من تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.

الامكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بنزرة.

- 15- بشير، حسن (1993) : الأدب الإسلامي، منهج عملي لاستنباط أصوله القرآنية، الخرطوم، الدار السودانية للكتب.
- 16- حمزة، مختار (1982): أسس علم النفس الاجتماعي، دار البيان العربي، جدة.
- 17- خلاف، عبد الوهاب (ب. ت): علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف.
- 18- زاهر، ضياء (1986): القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج.
- 19- ذياب، فوزية (1966): القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة.
- 20- عبد الغفار، أحلام رجب (1994): التطور القيمي لطلاب كلية التربية النوعية، مجلة التربية المعاصرة، العدد 30، ص 179-213.
- 21- عمر، ماهر محمود (1988): سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 22- سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
- 23- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، (نسخة الحاسوب صخر)
- 24- صحيح البخاري: الجامع المسند المختصر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.
- 25- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- 26- صحيح ابن ماجة محمد ناصر الدين الألباني الموسوعة الشاملة (موسوعة إلكترونية)
- 27- طهطاوي، سيد احمد (1996): القيم التربوية في القرآن الكريم، دار الفكر، القاهرة.
- 28- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، الطبعة السلفية.
- 29- مالك ابن انس : موطأ الإمام مالك، (ت 179 هـ)، دار احياء التراث العربي.
- 30- مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر، (نسخة الحاسوب صخر)

الامتكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

31- مكرم، عبد الودود محمد (1987): الأحكام القيمية الإسلامية ودور التربية في  
تميتها لدى شباب الجامعات في مصر، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة  
المنصورة.

32- النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، مع تعليقات الإمام  
الذهبي، نسخة المكتبة الشاملة.

الضغوط النفسية

وطرق التعامل معها في القرآن الكريم

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول

القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة

تأليف

د . جميل حسن الطهراوي

ذي الحجة 1429 هـ - ديسمبر 2008 م

### ملخص البحث

ساعد تعقد الحياة الحديثة والتقدم المادي والتكنولوجي في زيادة الضغوط النفسية على الأفراد، ولم يفلح علم النفس كثيراً في التخفيف من آثار هذه الضغوط، وعلى الرغم من كثرة النظريات والدراسات التي تناولت الضغوط إلا أنها أهملت البعد الرأسي، أي العلاقة بخالق الكون والجانب الروحي فينا كبشر، وركزت في جلها على البعد الأفقي في حياة الفرد أي علاقته بالبيئة المادية والاجتماعية والآخرين من حوله.

وانطلاقاً من إيمان الباحث بقوله تعالى: " { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } الأنعام38. فقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على بعض الضغوط النفسية الحياتية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ومنها الاغتراب النفسي، والخوف من الأقدار، وقلق الموت، والخشية على الأرزاق، والإنجاب، وتوصلت الدراسة إلى إقرار القرآن بضغوط الحياة، وأظهرت النتائج تركيز التصور الإسلامي على الوقاية المسبقة، والنباعة من الإيمان المطلق بالخالق عز وجل وانعكاسات هذا الإيمان في حياة المسلم مما يعطيه قدرة توافقية عالية مع جميع أنواع الضغوط، والتي عجزت طرق العلاج النفسي عن إيجاد حلول لها، كما أقر الإسلام لمن يعاني من الاضطراب بالذهاب للمختصين بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بالبحث عن الدواء.

### Stress and Ways Of Coping In Qurran Dr. Jamil Hassan Tahrawi

#### Abstract:

The civilization and advancement in modern technology enhancing the stress among the individuals, Psychology plays till now a modest role in minimizing such stressors, Although there are various researchers, approaches and theories, all of it neglected the Moral-Spiritual aspect in the human being, It focuses on superficial issues in the individual's life.

According to Qurran, " the quotation of Qurran includer every thing" - Annam38.

This study focused on some life stressors, Which were mentioned in Qurran like alienation, fear, from testing, death phobia, anxiety, concerning income, and having children.

The research found that Qurran focuses on life's stressors, and the issue of previous prevention which "El Emaan" is the main resource of it, in muslem life which enhance his ability to adapt, also Islam urge us to go to specialist asking helps.



## تمهيد:

لم يفلح التقدم الحضاري المادي المتسارع، في إشعار الإنسان بالأمن والطمأنينة، بل أنه زاد من تعرض الفرد للضغوط النفسية المختلفة، فقد ازدادت متطلبات الحياة تعقيداً وتوسعاً، مما سبب ازدياد الضغوط الواقعة على الفرد لتلبية تلك المطالب.. فلا يستطيع التوقف عن مجارة ذلك، لأنه سيتخلف عن الحاق بها، مما اضطره إلى مواكبة التسارع لتحقيق الرغبات والمطالب، هذا الإسراع زاده مرة أخرى من الضغط على النفس وتحميلها أكثر من طاقتها بغية اللحاق بموكب التحضر بكل ما يحمله من قسوة ورخاء.

إذن فقد ساعد تعقد الحياة الحديثة والتقدم المادي والتكنولوجي في زيادة الضغوط النفسية على الأفراد،" أشارت التقارير الطبية في الولايات المتحدة إلى أن 75% من المشكلات الصحية لها علاقة بشكل أو بآخر بالضغوط النفسية"<sup>1</sup>.

وعلى عكس المتوقع لم تسهم مظاهر الحياة الحديثة كثيراً في تحقيق مستويات مرتفعة من مؤشرات الصحة النفسية والسعادة لدى الأفراد حتى في أكثر الدول تقدماً، مما دفع الكثير من علماء النفس الغربيين لدراسة هذه الضغوط وقاموا بوضع برامج إرشادية نفسية للتخفيف من آثارها، وكانت لهم نظرات مختلفة في تفسير أسباب هذه الضغوط عكست في مجملها أهمية (البعد الأفقي) في حياة الفرد أي علاقته بالبيئة المادية والاجتماعية والآخرين من حوله، وأهملت (البعد الرأسي) أي العلاقة بخالق الكون والجانب الروحي فينا كبشر.

ولا يرى الباحث أي غضاضة في الاستفادة من النظريات الغربية في مجتمعاتنا الإسلامية، على أن تكون لنا شخصيتنا المتميزة الممتزجة بديننا الخاتم، عقيدة ومنهجاً، وأسلوب حياة.

ويرى الصفار أنه مادام من ضرورة اعتقادنا بالله، أنه خالق الإنسان، ومدرك لكل ما يعتره من حالات.. فهو الوحيد القادر على الكشف عن حقيقة النفس الإنسانية، والقرآن هو كلام الله بيننا، فعلينا تشكيل منهج قرآني، يوفر كل القواعد والأسس لدراسة النفس الإنسانية، دراسة حقيقية توفر النتائج والعلاجات الحقيقية.<sup>2</sup>

وانطلاقاً من إيمان الباحث بقوله تعالى: "{مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}

الأنعام38.

1 عسكر، علي (2000): ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، ط2، ص20.

1 الصفار، حسن (2003): كيف نقهر الخوف، دراسة إسلامية في سيكولوجيا الرهاب، ص 15.

فهذه محاولة متواضعة لتقوية ضلال آيات القرآن الكريم، لمحاولة تحديد بعض الضغوط النفسية التي تؤثر على الإنسان فتشغل تفكيره وتقلقه فتتغص عليه حياته، وتؤثر سلباً على صحته النفسية، مع تحديد ما أرشدنا إليه المولى عز وجل للوقاية منها ومن آثارها، وكيف نتعامل معها، لنحيا حياة طيبة تحت مظلة الإيمان، لا سيما وأن الله سبحانه وتعالى قد توعد من يعرض عن ذكره بأن حياته ستكون مليئة بالضغوط النفسية والمنغصات ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه124

أما عن وجود الضغوط في حياة البشر فقد أقر القرآن ذلك لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ البلد14 أي أن الإنسان يكابد ويعاني في الحياة، ويقول ابن القيم: "أن الإنسان مخلوق في شدة، بكونه في الرحم ثم في القمط، ثم في الرباط، ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه التكليف، ومكابدة المعيشة والأمر والنهي، ثم مكابدة العذاب في النار ولا راحة إلا في الجنة"<sup>1</sup>.

#### مشكلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما أهم الضغوط النفسية التي تحدث القرآن الكريم حولها؟
- ما أهم طرق الوقاية من تلك الضغوط؟
- هل من الممكن تحديد إستراتيجية إسلامية عامة للتعامل مع الضغوط النفسية المختلفة، وما ملامح تلك الإستراتيجية؟

#### منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، Content Analysis وذلك بمراجعة جميع آيات القرآن الكريم وتحديد الآيات التي تتناول موضوع الدراسة، ثم استخلاص ما يجيب على أسئلة الدراسة، مع الاستعانة بكتب التفسير.

#### إجراءات الدراسة:

- من خلال استعراض الباحث ما كتب نظرياً عن الضغوط النفسية والفهم العام لها، سيقوم الباحث بحصر الآيات القرآنية (في حدود علم الباحث) التي تناولت ما يسبب

---

1 الجسماني (2001): القرآن وعلم نفس الشخصية المسلمة، حسب المنهاج القرآني، ص159، ج2، الدار العربية للعلوم

## الضغوط النفسية وطرق التعامل معها في القرآن الكريم

أية انفعالات نفسية سيئة للفرد تتسم بالقلق والتوتر والضيق والتفكير المرهق في أحداث وخبرات حياتية تعرض لها في الماضي أو يعيشها حاضراً أو يخشى حدوثها مستقبلاً.

- ثم سيتم تجميع الضغوط المتشابهة في محور واحد " بقدر الإمكان" فمثلاً "الاغتراب النفسي" سيستخدم للدلالة على الوضع النفسي للأفراد الذين تنتابهم أفكار مقلقة عن سبب وجودهم في الحياة؟ ومن الذي أوجدهم؟ وما المطلوب منهم؟ وأين سيكون مصيرهم؟

- سيقوم الباحث باستنباط الأساليب التي يطرحها القرآن للتخلص من تلك الضغوط أو عدم حدوثها أصلاً، ثم محاولة بلورة استراتيجية عامة للتعامل مع هذه الضغوط.

### أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى التالي:

- 1- تسليط الضوء على مفهوم الضغوط النفسية.
- 2- إبراز الضغوط التي تناولها القرآن الكريم، بتوظيف التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم.
- 3- تعميق الوعي بأساليب التعامل مع الضغوط التي يرشدنا إليها القرآن الكريم.
- 4- محاولة بلورة استراتيجيه إسلامية عامة للتعایش مع الضغوط النفسية.

### مفهوم الضغط النفسي :

يرى البعض أن كلمة "ضغط" stress مأخوذة من الكلمة اللاتينية stringere التي تعني "سحبة بشدة" في حين يرى البعض الآخر أن مصطلح الضغط اشتق من الكلمة الفرنسية القديمة Destress والتي تشير إلى معنى الاختناق والشعور بالضيق أو الظلم. وقد تحولت في الإنجليزية إلى Stress والتي أشارت إلى معنى الضيق أو الاضطهاد.

أما الرائد في استخدام المصطلح في علم النفس فهو العالم هانز سيلي "Selye" حيث كان متأثراً بفكرة أن الكائنات البشرية يكون لها رد فعل للضغوط عن طريق تنمية أعراض غير نوعية. وذكر أن الضغوط يكون لها دور هام في إحداث معدل عال من الإنهاك والانفعال الذي يصيب الجسم، إذ إن أي إصابة جسمية أو حالة انفعالية غير سارة كالقلق والإحباط والتعب أو الألم لها علاقة بتلك الضغوط.

ويعرف سلي "Selye" الضغط النفسي بأنه: الاستجابة غير المحددة الصادرة من الإنسان لأي مثير أو طلب يوجه نحوه.

أما لازاروس Lazarus فيعرفه بأنه مجموعة المثيرات التي يتعرض لها الفرد بالإضافة إلى الاستجابات المترتبة عليها وكذلك تقدير الفرد لمستوى الخطر، وأساليب التكيف مع الضغط والدفاعات النفسية التي يستخدمها الفرد في مثل هذه الظروف.<sup>1</sup> ومن التعريفات التي اهتمت بالتوقع المسبق من الفرد لما سوف يضايقه، تعريف جاملش Gamelch الذي يعرفه بأنه التوقع الذي يوجد لدى الفرد حيال عدم القدرة على الاستجابة المناسبة لما قد يتعرض له من أمور أو عوارض قد تكون نتائج استجاباتنا لها غير موفقة وغير مناسبة.<sup>2</sup>

وعموماً فمصطلح الضغوط يستخدم للدلالة على نطاق واسع من حالات الإنسان الناشئة كرد فعل لتأثيرات مختلفة القوة، وتحدث الضغوط نتيجة العوامل الخارجية، مثل كثرة المعلومات التي تؤدي إلى إجهاد انفعالي، وتظهر الضغوط نتيجة التهديد والخطر، وتؤدي الضغوط إلى تغييرات في العمليات العقلية وتحولات انفعالية، وبنية دافعية متحوّلة للنشاط، وسلوك لفظي وحركي قاصر.

#### ويعرف الباحث الضغوط النفسية بأنها:

حالة من عدم التوازن الناجم عن تعرض الفرد لانفعالات نفسية سيئة تتسم بالقلق والتوتر والضيق والتفكير المرهق في أحداث وخبرات حياتية تعرض لها في الماضي أو يعيشها حاضراً أو يخشى حدوثها مستقبلاً، وتسبب اضطرابات فسيولوجية ضارة.

#### بعض النظريات المفسرة للضغط:

تناولت النظريات النفسية الضغوط ضمن أطر ومنطلقات مختلفة، مما أدى إلى اختلاف هذه النظريات فيما بينها، وهو ما ستيبناه الدراسة في العرض الموجز التالي:

#### أولاً: نظرية سيبيلجر "Spielberger"

لا يمكن تناول مفهوم الضغوط عند سيبيلجر بدون التمعن في نظريته الشهيرة عن القلق على أساس التمييز بين القلق كسمة Trait Anxiety والقلق كحالة State Anxiety، فقد عرف سيبيلجر القلق كسمة بأنه: "عبارة عن استعداد سلوكي مكتسب،

1 شقير، زينب (2002): مقياس مواقف الحياة الضاغطة في البيئة العربية، ص4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

2 الطريبي، عبد الرحمن (1994): الضغط النفسي، ص 10، شركة الصفحات الذهبية، السعودية.

يظل كامناً حتى تنبئه وتنشطه منبهات داخلية أو خارجية فتثير حالة القلق، ويتوقف مستوى إثارة القلق عند الإنسان على مستوى استعداده للقلق (أي مستوى القلق كسمة)<sup>1</sup>.  
واعتبر سبيلبرجر سمة القلق، تشير إلى الاختلافات بين الأفراد في استعدادهم للاستجابة للمواقف الضاغطة بمستويات مختلفة من حالة القلق.<sup>2</sup>

وأكد "سبيلبرجر" Spielberg على سمة القلق أنها صفة ثابتة نسبياً في الشخصية، وميل ثابت نسبياً لدى الفرد للاستجابة للمواقف الحياتية المختلفة بطريقة يغلب عليها التوتر، وهذه القابلية للقلق تجعل الفرد ينظر إلى العالم المحيط به كمصدر للخطر والتهديد له.<sup>3</sup>

أما القلق كحالة فقد عرفه "سبيلبرجر" Spielberg بأنه عبارة عن: "حالة انفعالية؛ يشعر بها الإنسان عندما يدرك تهديداً في الموقف، فينشط جهازه العصبي اللاإرادي وتتوتر عضلاته ويستعد لمواجهة هذا التهديد، وتزول عادة هذه الحالة بزوال مصدر التهديد".

وهذا يعني أن القلق كحالة، هو غير ثابت بل يتغير من موقف إلى آخر، بحسب شدة ونوع الخطر أو التهديد وتتنخفض حسب الموقف.

وربط "سبيلبرجر" بين الضغط وقلق الحالة، ويعتبر الضغط الناتج ضاغطاً مسبباً لحالة القلق، ويستبعد ذلك عن القلق كسمة حيث يكون من سمات شخصية الفرد القلق أصلاً، ويميل الشخص المرتفع في القابلية للقلق إلى إدراك خطر عظيم؛ في علاقاته مع الآخرين؛ التي تتضمن تهديدات لتقديره لذاته Self - Esteem وهو يستجيب لتهديدات الذات هذه بارتفاع شديد في حالة القلق أو في مستوى الدافع.<sup>4</sup>

#### ثانياً: نظرية هانز سيلبي "Hans Selye":

كان هانز سيلبي - بحكم تخصصه كطبيب - متأثراً بتفسير الضغط تفسيراً فسيولوجياً. وتتعلق نظريته من مسلمة ترى أن الضغط متغير غير مستقل وهو استجابة لعامل ضاغط Stressor يميز الشخص ويضعه على أساس استجابته للبيئة الضاغطة،

1 الزعبي، أحمد (1997): مستوى القلق كحالة وكسمة لدى طلبة جامعة صنعاء، ص 111، جامعة قطر..

2 بيلبرجر، شارلز وآخرون (1984): اختبار حالة وسمة القلق للكبار، ص 11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

3 حداد، عفاف (1995): سمة القلق وعلاقتها بمستوى الدعم الاجتماعي، مجلة دراسات، عدد 2، ص 933، الجامعة الأردنية.

4 غريب، عبد الفتاح (1998): علم الصحة النفسية، ص 356، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

وأن هناك استجابة أو أنماطاً معينة من الاستجابات يمكن الاستدلال منها على أن الشخص يقع تحت تأثير بيئي مزعج، ويعتبر "سيللي" أن أعراض الاستجابة الفسيولوجية للضغط عالمية وهدفها المحافظة على الكيان والحياة.<sup>1</sup>

وحدد "سيللي" ثلاث مراحل للدفاع ضد الضغط.. ويرى أن هذه المراحل تمثل مراحل التكيف العام وهي:

1- **مرحلة الإنذار أو التنبيه Alarm Phase**: وفيه يظهر الجسم تغيرات واستجابات عندما يدرك الفرد التهديد الذي يواجهه، كازدياد التنفس، وازدياد السكر والدهون في الدورة الدموية، وتشد العضلات ليتهيأ الجسم لعملية المواجهة، وتعرف هذه التغيرات بالاستثارة العامة.<sup>2</sup>

2- **مرحلة المقاومة Resistance Phase**: وتحدث عندما يتحول الجسم من المقاومة العامة إلى أعضاء حيوية معينة تكون قادرة على الصد لمصدر التهديد، وتختفي التغيرات التي ظهرت على الجسم في المرحلة الأولى وتظهر تغيرات أخرى تدل على التكيف.

3- **مرحلة الاستنزاف Exhaustion Phase**: مرحلة تعقب المقاومة إذا استمر التهديد، غير أن الطاقة الضرورية تكون قد استنفدت، وإذا كانت الاستجابات الدفاعية شديدة ومستمرة لفترة طويلة فقد ينتج عنها الوفاة في حالات معينة.

ثالثاً: نظرية "موراى":

يعتبر موراى أن مفهوم الحاجة ومفهوم الضغط مفهومان أساسيان، على اعتبار أن مفهوم الحاجة يمثل المحددات الجوهرية للسلوك، ومفهوم الضغط يمثل المحددات المؤثرة والجوهرية للسلوك في البيئة.

ويعرف الضغط بأنه صفة لموضوع بيئي أو لشخص يعيق جهود الفرد للوصول

إلى هدف معين، ويميز موراى بين نوعين من الضغوط هما:

أ- **ضغط بيتا Beta Stress**: ويشير إلى دلالة الموضوعات البيئية والأشخاص كما يدركها الفرد.

ب- **ضغط ألفا Alpha Stress**: ويشير إلى خصائص الموضوعات ودلالاتها كما هي.

1 عثمان، فاروق السيد (1999): القلق وإدارة الضغوط النفسية، ص 98،

2 عسكر، علي (2000): ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، ط2، ص35.

ويوضح موراي أن سلوك الفرد يرتبط بالنوع الأول ويؤكد على أن الفرد بخبرته يصل إلى ربط موضوعات معينة بحاجة بعينها، ويطلق على هذا مفهوم تكامل الحاجة.

#### رابعاً: نظرية ريتشارد لازاروس "Richard Lazarus":

وقد نشأت هذه النظرية نتيجة للاهتمام الكبير بعملية الإدراك أو التقييم الذهني ورد الفعل من جانب الفرد للمواقف الضاغطة، والتقدير المعرفي هو مفهوم أساسي يعتمد على طبيعة الفرد، حيث إن تقدير كم التهديد ليس مجرد إدراك مبسط للعناصر المكونة للموقف، ولكنه رابطة بين البيئة المحيطة بالفرد وخبراته الشخصية مع الضغوط وبذلك يستطيع الفرد تفسير الموقف.

ويعتمد تقييم الفرد للموقف على عدة عوامل منها: العوامل الشخصية، والعوامل الخارجية الخاصة بالبيئة الاجتماعية، والعوامل المتصلة بالموقف نفسه، وتعرف نظرية التقدير المعرفي "الضغوط" بأنها تنشأ عندما يوجد تناقص بين متطلبات الشخصية للفرد، ويؤدي ذلك إلى تقييم التهديد وإدراكه في مرحلتين هما:

**المرحلة الأولى:** وهي الخاصة بتحديد ومعرفة أن بعض الأحداث هي في حد ذاتها شيء يسبب الضغوط.

**المرحلة الثانية:** وهي التي يحدد فيها الطرق التي تصلح للتغلب على المشكلات التي تظهر في الموقف.

ومن خلال العرض السابق للنظريات التي تناولت الضغط النفسية خلص الباحث إلى بعض النقاط الهامة التي توضح وتحدد مفهوم الضغوط النفسية، وتشكل رافداً هاماً للتصور الإسلامي الذي يأمل الباحث في بلورته من خلال الدراسة:

1- أن الضغط النفسي يؤثر سلباً على الصحة النفسية للفرد، فهناك إجماع على ربطه بالقلق والتوتر والضييق والإحباط وسرعة الاستثارة والتغيرات الفسيولوجية المتعبة.

2- أن ردود الفعل نحو الضغوط عملياته معقدة جداً، ولا تقتصر على التغيرات الفسيولوجية، أو الانفعالات فقط.

3- طريقة تفكير الفرد وأفكاره المسبقة، تلعب دوراً هاماً في نظريته للضغوط وتوافقه معها.

4- يترتب على النقطة السابقة، الإقرار بأن أساليب التنشئة الاجتماعية، والالتزام بأفكار إيجابية مسبقاً (ينشأ الفرد مؤمناً بها) يخفف من وقع الضغوط على الأفراد ونظرتهم لها.

وعلى أساس ما سبق نستطيع القول: أن ما يعتبر أمر ضاغط بالنسبة لفرد ما، لا يعتبر كذلك بالنسبة لفرد آخر، ويتوقف ذلك على سمات شخصية الفرد وخبراته الذاتية ومهارته في تحمل الضغوط وحالته الصحية، كما يتوقف على عوامل ذات صلة بالموقف نفسه مثل نوع التهديد وكمه والحاجة التي تهدد الفرد.

يقول تعالى: {وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} آل عمران 146.

#### الدراسات السابقة:

على الرغم من تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس، إلا أن الباحث لم يجد أية دراسة سابقة تناولت الضغوط النفسية من وجهة إسلامية، في حين تم تناول موضوعات شتى كالآمن النفسي والقلق والاكتئاب والصحة النفسية بعموميتها، وأما الدراسات الميدانية التي اهتمت بالضغوط فقد ركزت في أغلبها على جوانب محددة، وكان أكثرها تتناولاً لضغوط العمل، وهنا عرض لبعض منها:

- دراسة عبد المعطي (1992): وهدفت إلى دراسة ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالصحة النفسية وبعض متغيرات الشخصية، وأجريت الدراسة على عينة من (168) فرداً من الجنسين، تراوحت أعمارهم ما بين (23-50) سنة واستخدم الباحث أداتين لقياس ضغوط الحياة وللصحة النفسية، وأوضحت النتائج ارتباطاً دالاً بين الضغوط وجميع الأعراض الإكلينيكية المرضية.<sup>1</sup>

- الصباغ (1999): هدفت الدراسة إلى قياس ضغوط العمل التي تواجه الممرضين في مستشفيات محافظة نابلس بفلسطين، خلال انتفاضة الأقصى في ضوء بعض المتغيرات، وقام الباحث بتصميم استبانة من خمسين فقرة لقياس ضغوط العمل، وتم توزيعها على (144) من ممرض وممرضة، وأظهرت النتائج ارتفاع مستوى ضغوط العمل لدى الممرضين والممرضات، حيث كانت الدرجة الكلية للضغوط مرتفعة وبنسبة (75.6%)،

1 عبد المعطي، حسن (1992): ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالصحة النفسية وبعض متغيرات الشخصية، جامعة الزقازيق.



كما تبين وجود فروق في مستويات ضغوط العمل تعزى لمتغير الجنس لصالح الذكور، ولمتغير نوع المستشفى لصالح المستشفيات الحكومية.<sup>1</sup>

- دراسة مشعان (2000): هدفت هذه الدراسة إلى بحث مصادر الضغوط لدى المعلمين في المرحلة المتوسطة، تكونت عينة الدراسة من (745) معلماً ومعلمة من الكويتيين و غير الكويتيين، واستخدم الباحث مقياس الضغوط النفسية تأليف Fimian، ومقياس الضغوط المهنية للمعلمين تأليف السمدوني، وأظهرت النتائج أن المعلمين الكويتيين أكثر تعرضاً لضغوط العمل من غير الكويتيين وإن المعلمات أكثر شعوراً بضغوط العمل من المعلمين.<sup>2</sup>

- دراسة القرني (2003): وهدفت إلى التعرف على حجم الضغوط المهنية ودرجة الاحتراق النفسي الذي يعانيه العاملون في الإعلام، واستخدم الباحث مقياس "ماسلاك" للاحتراق النفسي، إضافة إلى فقرات خاصة بالضغوط المهنية، على عينة عشوائية بلغت 134 فرداً، وأظهرت النتائج وجود درجات متوسطة من الاحتراق النفسي لدى مجمل أفراد العينة في الأبعاد الثلاثة المكونة للمقياس من الإجهاد الانفعالي، وتبلد الإحساس، والإنجاز الشخصي.<sup>3</sup>

- دراسة كولينز "Collins" (1992) : وكانت بعنوان الصلابة النفسية كمصدر لمقاومة الضغوط، وهدفت إلى قياس تأثيرات الضغوط والصلابة النفسية لدى المراهقين، وتكونت العينة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (11-16) سنة، وعددهم 223، واستخدمت مقياس الصلابة النفسية للمراهقين، وأظهرت النتائج أن الصلابة النفسية عملت كحاجز مخفف من تأثير الضغوط.<sup>4</sup>

- دراسة نيالا وريتا "Nealla S. Rita" (1996) : وهدفت الدراسة إلى فحص أهمية ضغط العمل والضغط الأسري للرعاية النفسية، وأظهرت النتائج تشابه الرجال والنساء

---

1 الصباغ، زهير (1999): مستويات ضغوط العمل بين الممرضين القانونيين، مجلة البصائر، مجلد 3، ع 2.

2 مشعان، عويد (2000): مصادر الضغوط في العمل لدى المعلمين، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول.

3 القرني، علي (2003): مستوى الضغوط المهنية في المؤسسات الإعلامية، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 16، ع 1.

16 Collins Carla B (1992): Hardiness As Stress Resistance Resource.

في إدراكهم لضغط العمل والضغط العائلي، كما أوضحت النتائج أن كلاً من الآباء والأمهات المتأثرين بضغط العمل والضغط الأسري يتعرضون للاكتئاب، وضعف تقدير الذات إلى جانب تعرضهم للاضطرابات الأسرية.<sup>1</sup>

- دراسة سكت وآخرين "Scott W. et all" (1999): واهتمت بالضغوط النفسية والانفعالية التي تتعرض لها الأسرة وأفرادها، وأوضحت الدراسة أن هناك أربعة عوامل أساسية مرتبطة بالاضطرابات النفسية بشكل عام، ومفادها: نقص الثقة في العلاقات بين الوالدين، وسوء العلاقات القائمة، وتزايد خيبة الأمل، إلى جانب عدم وجود هدف يتم السعي لتحقيقه، وعليه أوضحت الدراسة أهمية التركيز على تلك العوامل بهدف تحسين التعامل مع الضغوط الأسرية بصفة عامة.<sup>2</sup>

- دراسة بلي "Belle" (2000): وهدفت إلى فحص العلاقة بين الضغوط والجنس والمساندة الاجتماعية، وأظهرت النتائج أن النساء أكثر تعرضاً لأحداث الحياة الضاغطة من الرجال، وذلك بسبب اتجاهاتهم إلى الجوانب العاطفية بشكل واضح، وكذلك كان تدعيم المرأة للواقع الاجتماعي في حالات الضغوط أكثر من الرجال، ألا أنه أوضح أيضاً أن كلاً من الرجال والنساء لديهم رغبة فعلية لتقديم تفسيرات تتفق وطبيعة الضغوط الأسرية.<sup>3</sup>

وعلى الرغم من اختلاف الدراسة الحالية في تناولها للضغوط عن جميع الدراسات التي تم عرضها، فقد ساعدت تلك الدراسات الباحث في تحديد ملامح الدراسة الحالية، حيث غلب على الدراسات التي تم عرضها الجانب الميداني التطبيقي، وتركيزها أغلبها على نوع واحد من الضغوط كضغوط العمل والضغوط داخل الأسرة، وتبرز أهم ملامح الاختلاف في كون هذه الدراسة أنها نظرية تأصيلية تسعى لدراسة آيات القرآن دراسة موضوعية لعرض الضغوط التي قد يعيشها الإنسان في حياته، ومحاولة تحديد أساليب التعامل معها من الوجهة الإسلامية النابعة من إيمان المسلم بخالقه عز وجل، وتنطلق من مسلمة مفادها: أن إتباع الهدى الرباني يضمن للإنسان العيش بتوافق ورضا

17 Neala S, Rita S (1996): Dual-Earner Families: The Importance of Work Stress and Family Stress for Psychological Well-Being.

18 Scott, W. et al (1999): Family Stress Events.

19 Belle D (2000): Gender differences in the Social Moderators of Stress in and Adaptation.

حتى في حال تعرضه للضغوط الحياتية المختلفة، ويأمل الباحث لاحقاً في إكمال المشوار - في أبحاث أخرى - يتاح له فيها الاستفادة من الأطر النظرية ذات البعد الإسلامي لتطبيقها ميدانياً في مجال الإرشاد الفردي والجمعي، كما لم تقتصر هذه الدراسة على ضغوط خاصة بالعمل أو بالعلاقة الزوجية، ولكنها اهتمت بالضغوط النفسية والحياتية بشموليتها.

### نتائج الدراسة:

#### الضغوط النفسية في القرآن الكريم:

للإجابة على تساؤلات الدراسة سيتناول الباحث بعض الضغوط النفسية التي تؤرق الإنسان وتجعله يشعر بالضيق والقلق والتوتر، على أن يتم مباشرة تناول الأساليب الوقائية والعلاجية التي يمكننا استنباطها من الآيات الكريمة، ليشكل ذلك الإجابة على التساؤل الأول والثاني في الدراسة، والذين كانا كالتالي:

- ما أهم الضغوط النفسية التي ذكرها القرآن الكريم؟

- ما أهم طرق الوقاية من تلك الضغوط؟

#### 1- الضغط الناتج عن الاعتراب النفسي:

لقد صنف الاعتراب النفسي كأحد الاضطرابات التي تصيب الأفراد، فيشعر الفرد المغترب بأنه غريب عن هذا الكون، لا يعرف من هو ومن أين أتى؟ لماذا خلق؟ من الذي خلقه؟ ما المصير؟ ماذا وراء هذا الوجود؟ وإلى أين نذهب؟ ويسبب هذا التفكير المتواصل آثاراً نفسية سيئة، يشعر الفرد خلالها بأنه تائه في الحياة، وفاقد للمعنى، ويتسم في الغالب بالقلق والتوتر، وقد أطلق عليه بعض علماء النفس المعاصرين، قلق الوجود، كما أطلقوا عليه عصاب اللامعنى، وربما تظهر أبيات إيليا أبو ماضي التالية جانباً من هذا الاعتراب والتخبط:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت      ولقد أبصرت أمامي طريقاً فمشيت  
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت      كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست  
أدري

#### ويقول الخيام:

لبست ثوب العيش لم أستشر      وحررت فيه بين شتى الفكر  
وسوف أنضو الثوب عني      ولا أدرك لماذا جئت أين المفر

وقد عبر أمريكي مسيحي للباحث عن ذلك عندما أخبره أن أكثر ما يقلقه دائماً ويشغل تفكيره أنه غير مقتنع أبداً بعلاقة الله بسيدنا المسيح - كما يقال عندهم - مع العلم أن الرجل يحمل شهادة الماجستير وفي الأربعينات من عمره، ويعمل مديراً لمؤسسة كبيرة.

"ويرى علماء النفس أن الاغتراب هو حالة معينة لعلاقة الإنسان بنفسه وبغيره من الناس، وأن الإنسان يشعر بالعزلة لأنه قد انفصل عن الطبيعة وعن بقية البشر وعن ذاته".<sup>1</sup>

وتحدث القرآن عن التائهين المشككين، وسفه آرائهم لقوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} الجاثية 24

ويقول تعالى في شأن سيدنا إبراهيم: {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} الأنعام 77

وبعيداً عن نهج الفلاسفة، وجدل المجادلين، وشك الحائرين، يخاطب القرآن كل ذي لب ليزيل اللبس والغموض في هذه المسألة الهامة لتوضحها الآيات بمنهجية شاملة متكاملة، يندرج فيها جميع القضايا الفرعية آفة الذكر، فبداية خلقنا الله على هذه الأرض لعبادته سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات 56 {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} المؤمنون 115.

إذن فنحن مأمورون خلال حياتنا باتباع المنهج الرباني، واستشعار الغاية التي خلقنا من أجلها باستمرار فنسعد ونسعد الآخرين {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153 {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل 97

أما عن النهاية، التي سبب التفكير فيها والخوف منها والخوف والرعب للكثيرين عبر التاريخ الإنساني، فيقول تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} يونس 4

1 عثمان، فاروق السيد (1999): القلق وإدارة الضغوط النفسية، ص 137.

وتوضح الآية أن النهاية لن تكون متشابهة للجميع، فستان بين من آمن فاجتهد وأطاع خالقه، وبين من كفر واتبع الشهوات، وعاش كما تعيش البهائم. هذا العرض الواضح، والمنهج المتكامل يجعل الفرد يشعر بالسكينة والطمأنينة، فلا تتنابه الهواجس والأفكار الوسواسية القهرية التي تنغص عليه حياته، فلا تجعله يستشعر السعادة والسكينة {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} الرعد 28، أما من رفض فيتوعدده الله سبحانه وتعالى بحياة سيئة ونهاية أسوأ {مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا} طه 100 {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} طه 124، هذه اللوحة المتكاملة ليس بإمكان العلم البشري المحض أن يوضحها، كما جلاها الخالق عز وجل في القرآن الكريم، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} الملك 14.

## 2- الخوف من الأقدار، والتردد في أخذ القرار:

يشغل الخوف من المستقبل أذهان الأفراد، فيقلقون ويتوترون خوفاً مما تخبئه لهم الأقدار، فهم يخافون المجهول ويخشون تقلبات الزمان، مما يسبب لهم الضغط النفسي والذي ينعكس سلباً على صحتهم النفسية، وعلى علاقاتهم الاجتماعية، وفي أحد الاستفتاءات للشباب العربي ذكر 53% منهم أنهم يخافون المستقبل.<sup>1</sup>

ويؤثر هذا الخوف على تفكير الفرد فيبقى متردداً، لا يستطيع اتخاذ القرار،

ليعاني في داخله من الصراع والذي يأخذ عدة أشكال، ومن أهمها:

- **صراع الإقدام:** صراع نفسي يتعرض الإنسان له عندما يكون أمام هدفين أو أكثر متعارضين متكافئين في نفس الوقت، والحصول على أحدهما، يتمخض عنه فقد الآخر، ومن الأمثلة على ذلك الخريج الجامعي عندما يعرض عليه وظيفتان مختلفتان وممتازتين في نفس الفترة.

- **صراع الإحجام:** يتعرض الإنسان له عندما يكون أمام هدفين كلاهما سلبيين، أو كما قال الشاعر: (هما أمران أحلاهما مر) كالجندي المحاصر في الحرب وطلب منه أعداؤه الاستسلام، فهو يخشى أن يقتل، وأيضاً يخشى ذل الأسر.

**صراع الإقدام بالإحجام:** ويحدث هذا عندما يكون هناك هدف واحد يمثل رغبة ورهبة في نفس الوقت، كمن يرغب كثيراً في اقتناء سيارة، ويخشى في نفس الوقت أن تتعرض لحادث أو للسرقة.

21(<http://www.alwifaq.net>)

وهكذا نرى أن الخوف من المستقبل يشكل أحد أهم الضغوط النفسية لدى البشر، مما ينعكس عليهم سلباً، فيعيش الفرد في خوف وترقب دائم، لا يستطيع أخذ القرار، ويكثر التفكير وتقلب الأمور، ولو تتبعنا ما أورد القرآن الكريم للتعامل مع هذه المسألة الهامة لوجدنا التالي:

أولاً: المسلم يجب أن يوقن بأن كل ما يحدث وسيحدث في الكون وللشعر، بقدر الله سبحانه وتعالى ويعلمه {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} الأنعام 59 "

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحديد 22.

فالإيمان بالقدر خيره وشره هو الذي يجنب الإنسان القلق النفسي ويحميه من الصراع والحسرة والجزع، فلا بد أن يقبل الإنسان الأحداث بنفس راضية، "ويؤدي هذا الإيمان بالقدر إلى الرضا والشعور بالأمن النفسي" <sup>1</sup>

ثانياً: الخشية الحقيقية والخوف في التصور الإسلامي يجب أن يكون من الخالق عز وجل، أما الحرص الشديد والخوف من فقد المكاسب الدنيوية فهذه من الصفات المذمومة التي تشير إلى ضعف الإيمان، وذلك للتالي:

■ أخبرنا المولى عز وجل بعدم دقة مقاييسنا البشرية لما قد ينفعا أو يضرنا، يقول تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} البقرة 216 ويقول تعالى في موضع آخر: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} النساء 19، وحتى أننا أحياناً نضطرب مقاييسنا مع أقرب الناس لنا، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} التغابن 14

■ إن الله يطلب منا التوازن في انفعالاتنا، وهو ما يطلق عليه النفسانيون (الاتزان النفسي) في علم النفس، فإله لا يحب لنا الفرح الشديد ولا الحزن الشديد، وهذان لاشك أنهما من أعراض الاضطرابات النفسية، كما أن هذا الاتزان من أهم مؤشرات الصحة النفسية السليمة لدى الفرد، يقول المولى عز وجل: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا

1 صبحي، سيد (2003): الإنسان وصحته النفسية، ص 160، الدار المصرية اللبنانية.

عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ { الحديد 23، وليس المقصود مما سبق تحريم المشاعر والانفعالات، ولكن يمنع فرح البطر والتكبر، وحزن اليأس والقنوط، وعلى سبيل المثال لقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم وجمع بين مقامي الرحمة والصبر فقال: (إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما نرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)<sup>1</sup>

■ الله لا يرتضي لنا التردد المرضي، ذا الطابع الوسواسي المتشكك يقول تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران 159

ثالثاً: وما دام المسلم لا يخالف شرع الله فعليه عقد العزم في كل أموره، والأخذ بالأسباب، والتوكل على خالقه عز وجل، وهو رابح بإذن الله وفق كل الاحتمالات، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (عجبا لأمر المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)<sup>2</sup>.

يقول سيد قطب رحمه الله: "فاتساع أفق النظر والتعامل مع الوجود الكبير، وتصور الأزل والأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدره في علم الله الثابت في تصميم الكون، كل ذلك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتاً ورزاقاً في مواجهة الأحداث العابرة."<sup>3</sup>

### 3- الضغوط النفسية الناتج عن (قلق الرزق):<sup>4</sup>

تشغل قضية العمل والأرزاق تفكير الناس، فالطالب يخشى ألا يجد عملاً بعد تخرجه، والمزارع يقلق على أثمان المحاصيل، والسائق والموظف وغيرهم، يفكرون كثيراً ويضعون الاحتمالات حول ما سيكسبونه من مال، وتناولت أبحاث نفسية كثيرة، ظاهرة الضغوط النفسية في العمل والتي كان إحدى محاورها البعد المادي الذي يتناول المرتبات والمكافآت والعوائد المالية.

1 صحيح مسلم: باب رحمته الصبيان، ج7، ص76، رقم الحديث 6167. دار الجيل بيروت.

2 صحيح مسلم: باب المؤمن أمره، ج8، ص227، رقم الحديث 7692.

3 قطب، سيد: في ظلال القرآن، ص 3493، دار الشروق، القاهرة.

4 اعتبر الباحث قلق الرزق أحد الضغوط النفسية القائمة بذاتها، نظراً لأهميته وشغله لتفكير الكثير من الناس، مع إقرار الباحث بأنه يعتبر في بعض جوانبه خوف من المستقبل.

وقد لاحظ الباحث هذا القلق بوضوح في مناسبات كثيرة، منها ما كان من العمال الفلسطينيين الذين كانوا يعملون لدى دولة الاحتلال ويخشون الإضرابات والحصار أثناء الانتفاضتين، ومنها ما كان من بعض الموظفين الغزيين الذين عاشوا في رعب شديد، خوفاً من قطع مرتباتهم أثناء الخلاف السياسي الذي شهده قطاع غزة، بعد أن قامت السلطة الفلسطينية في رام الله بقطع مرتبات البعض منهم.

وحتى تطمئن نفس الإنسان لهذا الأمر الهام، فقد أكد القرآن الكريم على أن الرزق بيد الله، وأنه وحده هو الرزاق، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} الذاريات 58، {وَكَيْفَ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} العنكبوت 60، والمطلوب من الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ثم لا يقلق ولا يتوتر أو يخالف منهج الله لكي يكسب بعض المكاسب الدنيوية الزائفة، وليشعر بالاطمئنان لأن الله تكفل برزقه وأن الله قدر له ذلك، يقول الشاعر:

افتح بما تُرزق يا ذا الفتى      فليس ينسى ربنا نمله  
إن أقبل الدهر فقم قائماً      وإن تولى مُدبراً نم له<sup>1</sup>

ولكي يطمئن الآباء والأزواج على اقتصاديات أبناءهم فلا يفكروا في وأدهم أو خوف الفقر عليهم أمرهم المولى عز وجل بعدم قتلهم في حالة خشيتهم المستقبلية من الفقر، أو حتى وهم فقراء، قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} الإسراء 31 {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} الأنعام 151.

"وعن الآية الأولى يقول الشهيد سيد قطب: في هذا الموضع قدم رزق الأبناء على رزق الآباء: {نحن نرزقهم وإياكم} وفي سورة الأنعام قدم رزق الآباء على رزق الأبناء: {نحن نرزقكم وإياهم} وذلك بسبب اختلاف آخر في مدلول النصين. فهذا النص: {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم}: والنص الآخر {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم} هنا قتل الأولاد خشية وقوع الفقر بسببهم فقدم رزق الأولاد، وفي الأنعام قتلهم بسبب فقر الآباء فعلاً، فقدم رزق الآباء، فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات. التعبيرية هنا وهناك<sup>2</sup>.

1 شرح العقيدة الطحاوية، الحنفي، ابن أبي العز، ج1، ص303، المكتب الإسلامي، بيروت.  
2 قطب، سيد (1981): في ظلال القرآن، ج4، ص2223، دار الشروق.



وهنا يتجلى الإعجاز النفسي القرآني في أبهى معانيه، فهنا اعتراف بالحاجات الأساسية للأفراد، فالوالدين في حالة الفقر كانت لهم الأولوية ليطمئنا على رزقهم، ويرى الباحث أن القرآن الكريم سبق الباحث اليهودي ماسلو بمئات السنين في تحديد حاجات الإنسان عندما وضع هرمه الشهير، قال تعالى مخاطباً السيدة مريم بعد ولادتها لسيدنا عيسى عليهما السلام قائلاً: {فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} مريم 26. ويقول تعالى في حق قريش: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ} قريش 4.

فالحاجات الأساسية ضرورية جداً لكي تتحقق إنسانية الإنسان، وبعده يتمكن من القيام بالمطلوب منه في الحياة.

#### 4- الضغوط الناتجة عن خشية الموت:

لقد أرعبت فكرة الموت البشر على مر العصور، وقد تجلى ذلك بوضوح في الحضارات القديمة في العراق ومصر، وارتبط مفهوم الموت لدى الكثيرين بالانفعالات العنيفة والمشاعر الجياشة والاتجاهات السلبية، تتجمع معاً وتضغط مكونة ما يطلق عليه النفسانيون المعاصرون "قلق الموت"، وقد عرفه ديكشتاين "Dickstein" بأنه التأمل الشعوري في حقيقة الموت، والتقدير السلبي لهذه الحقيقة.

كما ذهب بعض النفسانيين إلى أبعد من ذلك، إذ وجدت ميلاني كلاين "Melani" Klein أن الخوف من الموت هو أصل كل القلق الذي يصيب المرء في حياته، وأساس كل الأفكار والتصرفات العدائية المشاكسة لدى البشر.<sup>1</sup>

أما الموت في التصور الإسلامي، فيأتي في سياق الإيمان بالخالق عز وجل، فهو ليس ذلك المجهول الذي يبث الخوف والرغبة في النفوس ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان أياماً معدودة في الدنيا، ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة، يقول تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّجَلًّا} آل عمران {وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} الحجر 23، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} آل عمران 185.

1 عبد الخالق، أحمد (1987): قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت.

"والقرآن يصور للمسلم أن للموت حكمة وغاية، كما للحياة حكمة، وتكتمل الحكمتان في اختيار الإنسان وامتحانه في حياة أخرى باقية" {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} الملك 2،

وفي هذا طمأنة للمؤمن أنه لا أحد في الكون يستطيع تغيير الأجل، وأن هذا الأمر بيد الخالق عز وجل فتسكن نفسه، وتطمئن لخالقها، ويوجه طاقته النفسية للعبادة والاهتمام بما يفيد أهله وجيرانه وكل الناس، لينطبق عليه قول الخالق عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ\* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} الفجر 27,28.

##### 5- الضغط النفسي الناتج عن اتهام النفس (جلد الذات):

قد يعيش بعض الأفراد غير الأسوياء بلا ضمير يردعهم، فلا يترددون في ارتكاب الجرائم واغتصاب حقوق الغير، دون أن يندموا أو يتراجعوا عن أخطائهم، ويطلق علماء النفس على هذه النمط من الأفراد (الشخصية السيكوباتية) أو الشخصية المضادة للمجتمع، ويوصف أصحابها بأنهم مصابون بالجنون الخلفي، أما الإنسان السوي فيخشى عقاب الله ويندم على سوء أفعاله، فيستغفر ربه، ويرد المظالم، ويأمل بمغفرة خالقه، وهناك نمط ثالث يبالغ في إدانة النفس، فيصاب بالاكنتاب والقنوط واليأس، فتتحول حياته إلى جحيم من صنعه، فيشعر أنه أسوأ الناس، وأن الله لن يرحمه ولن يغفر له، وقد عالج القرآن الكريم هذه المسألة الهامة بصورة واضحة في التالي:

- على المؤمن أن يوقن أن الله وحده الذي يغفر الذنوب، فلا وساطة ولا صكوك غفران وتوبة أمام رجال الدين - كما يفعل المسيحيون الآن - يقول تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الْإِلَهَ} آل عمران 135.

- يحذرنا المولى عز وجل من الإسراف على النفس، وأنه يغفر الذنوب جميعاً {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} الزمر 53.

- وهناك تحذير كبير لمن يصل به تفكيره إلى درجة اليأس، فلا يأس للمؤمن وخالقه موجود {إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} يوسف 87.

- أن الله يغفر الذنوب كلها لمن آمن به، ولكنه لا يغفر لمن يشرك به، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ} أن يشرك به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا

عَظِيمًا}النساء48، وذكر بعض المفسرين أنها أرجى آية في القرآن لأهل التوحيد. هذا المنهج الوسطي يمنح الأمل ويبقى باب التوبة والمغفرة مفتوحاً بين الإنسان وخالقه، فتطمئن نفسه ويعزم على فتح صفحة جديدة، ويمضي في حياته آملاً رحمة ربه.

#### 6- الضغط النفسي الناتج عن مشاكل الإنجاب:

من نعم الله عز وجل نعمة الأبناء، ولا يعرف عظم هذه النعمة إلا من حرم منها، فتراها ينفق ماله ووقته في سبيل البحث عن حل لها، وقد يعاني من الضغط النفسي بسبب هذا الحرمان، فيعاني من الاكتئاب وعدم الشعور بالسعادة، وقد لمس الباحث ذلك من خلال تعامله مع بعض الحالات من الجنسين، وقد ذكر الكثير منهم أن الناس يزدون من معاناتهم بكثرة أسئلتهم وتدخلاتهم الفضولية، وقد يرزق بعضهم بالبنات فنظروا معاناتهم بشكل آخر، لأنهم يبقوا تواقين لإنجاب الذكور، ويرى الباحث أن علم النفس والإرشاد النفسي لم يستطيعا تقديم ما من شأنه التخفيف عن هذه الفئة.

- والقرآن الكريم يقر هذه النعمة والإحساس بها، يقول تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} الكهف46، وقد دعا الأنبياء والمرسلون لأبنائهم وزوجاتهم بأن يكونوا قرة أعين لهم ومصدر سعادة ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الفرقان:74.  
- يقول تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ\* أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} الشورى49-50.

وحتى ترتاح نفس المؤمن بينت الآيات أن الله هو الخالق وهو الذي يهب لمن يشاء البنات أو البنين، وسبق ذلك ذكر مسألة هامة، وهي خلق السماوات والأرض، وفي ذلك يقول سيد قطب: والتقديم بأن الله ملك السماوات والأرض هو التقديم المناسب لكل جزئية بعد ذلك من توابع هذا الملك العام. وكذلك ذكر: (يخلق ما يشاء) فهي توكيد للإيحاء النفسي المطلوب في هذا الموضوع. ورد الإنسان، المحب للخير، إلى الله الذي يخلق ما يشاء مما يسر وما يسوء ومن عطاء أو حرمان.<sup>1</sup>

- وقد وضحت الآية الكريمة الاحتمالات الأربعة لهذا الأمر والتي لا تترك أي مجال للشك أو اللبس، وهي:

1- الوجه الأول: أن يرزق الإنسان بالإناث.

1 قطب، سيد (1981) في ظلال القرآن، ص3169، ج5، دار الشروق.

2- الوجه الثاني: أن يرزق بالذكور.

3- الوجه الثالث: أن يرزق بالنوعين (ذكور وإناث)

4- الوجه الرابع: أن يكون الإنسان عقيماً.

ولا ينكر عاقل أن حرمان الإنسان من هذه النعمة هو أمر مؤلم، ولكن لا شك أن قبول الشخص لإرادة الله وحكمته ضمن إطار إيمانه التام بالله، يخفف عنه المصائب، ويجعله يطعم في ثواب الآخرة، وألا يجزع أو يصاب باليأس، وتقف نظريات الإرشاد النفسي عاجزة في مثل هذه الحالات، لأنها لا تستطيع الإجابة على تساؤلات المسترشد في الواقعة خارج مجال الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله

عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط " <sup>1</sup>

ويرى الباحث في هذا الحديث منجماً للدرر النفسية لمن أراد أن يسبر غور النفس البشرية ويفهم معنى التوافق النفسي والتغلب على الضغوط، فكما أسلفت الدراسة فإن الضغوط النفسية في جلها تحدث من خلال إدراك الفرد لما يحدث له ومن حوله، فمن يتبرم ويسخط فستبقى مشكلته قائمة، وستزداد معاناته النفسية والجسدية، ومن رضي فله الأجر والثواب في الآخرة، فيقنع وتهدأ نفسه، ويمضي في حياته مقبلاً غير مدبر دون يأس أو قنوط.

#### نتائج التساؤل الثالث:

والذي كان نصه، هل من الممكن تحديد إستراتيجية إسلامية عامة للتعامل مع الضغوط النفسية المختلفة، وما ملامح تلك الإستراتيجية؟

من خلال عرض الباحث للضغوط النفسية فيما سبق فإن الباحث قام ببلورة أساسيات مشتركة يرى أنها قد تشكل نواة لإستراتيجية إرشادية للتعامل مع الضغوط النفسية تنبع من الرؤية الإسلامية.

1- الإيمان بالله القضية المحورية في الرؤية الإسلامية للتعامل مع ضغوط الحياة، أما غير المؤمن فلا يمكن أن ينطبق عليه أي من النقاط التالية في هذه الرؤية، فالإيمان بالله مركز هذه الرؤية، يقول الشاعر:

1 سنن الترمذي، ج4، ص601، رقم الحديث 2396، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وصححه الألباني.

## إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينه

2- الإسلام يرسخ قدرة الإنسان على التعامل مع الضغوط بواقعيه وقدرته على تغيير الواقع، فلا استسلام ولا يأس، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد 11، ويرى الباحث أن ذلك ينطبق أيضاً على الفرد العاقل المكلف، فهو

يستطيع دائماً فتح صفحة جديدة وعدم الجمود أمام ضغوط الحياة.

3- الإيمان بقضاء الله وقدره كقيل بتشكيل أكبر مضادات للضغوط النفسية، فإن لم يحول دون حدوثها، فهو يخفف منها أثناء حدوثها، فإيمان الفرد بأن ما يحدث له كله خير، يزيد من قدرته على التحمل، ومن ثم المواجهة ومواصلة الحياة دون يأس.

4- العمل الصالح بمفهومه الواسع، فالإنسان السوي يسعد عندما ينفع الآخرين وهذا مدعاة لإحساس الأفراد بالحياة الطيبة المتوافقة مع الضغوط، يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل 97.

5- من المؤكد أن ممارسة العبادات الإسلامية تقوى القدرة على التحكم في الغرائز والدوافع، فالدين الإسلامي يعزز تأكيد اختيار الإنسان لسلوكه وبالتالي لمصيره وهذا يدفع الإنسان إلى تعديل سلوكه للتغلب على الضغوط ولمزيد من التكيف وذلك من أجل تحقيق المكاسب لذاته سواء في الدنيا أو الآخرة، والباحث يرفض النظريات النفسية التي تصور الفرد وكأنه ليس مسؤولاً عن تصرفاته، ولو أخذنا الصلاة كمثال فإننا نرى أنها نموذج للتربية السلوكية التي ترسخ التالي:

ا- الانتظام واحترام الوقت.. والتعامل في الحياة على أساس زمان مقرر، فكل صلاة وقتها.

ب- النظافة من خلال عملية الطهارة والوضوء.

ت- الارتباط بالجماعة من خلال صلاة الجماعة.

ث- الطاعة المتعلقة من خلال الانتظام في الصفوف ومتابعة حركات الإمام.

ج- تعود الإنصات المتمعن من خلال الاستماع إلى تلاوة الإمام.

ح- تعود النظام من خلال النظام أثناء الوقوف والركوع والسجود.

ويرى الباحث أن من واجب المرشد في المجتمعات الإسلامية، أن يدعو المسترشد الذي يعاني من الضغوط، لممارسة العبادات مع مراعاة النسبية التي تتحدد بالنسب أو طبيعة العلاقة المهنية بينهما، ونوع المشكلة، وتوقيت الدعوة.

- 6- أهمية الجماعة في مساعدة الفرد على مواجهة الضغوط، فالإسلام يهتم بالأسرة ووجود الفرد في جماعة، ويتمثل ذلك في كثير من الأمور، كفضل صلاة الجماعة على الصلاة الفردية، ودعوة المسلم لمساندة ورحمة وإقالة العثرات لأخيه المسلم، وهذا بعد هام في التغلب على ضغوط الحياة، يجدر بالمرشد النفسي الانتباه له.
- 7- يربط الإسلام قضايا الفرد اليومية والجزئية بقضية كبرى وبهدف استراتيجي يجب على المسلم أن يواجه كل طاقاته نحوه وهو نيل رضا الله ومن ثم دخول الجنة، وهذا الأمر لا يوجد البتة في نظريات الإرشاد الغربية، التي تنظر نظرة قاصرة لتحقيق رغبات آنية، وقيمة هذا التصور تتمثل في مهارة المرشد المسلم في الاستفادة من ذلك في تخفيف معاناة المسترشد من الضغوط الحياتية المختلفة.
- 8- يقر الإسلام منهج التفاوض في التعامل مع ضغوط الحياة.. فالتفاوض هو القاعدة، وأن الأمور - وإن ضاقت - ستفرج، يقول تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} الشرح 6,5 {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} الأحزاب 47.
- 9- يقر الإسلام قضية البحث عن علاج لما يعانيه الإنسان من أمراض جسديه أو نفسية، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواء.<sup>1</sup>
- ولا أساس للخوف من الوصمة التي يخشاها الكثيرون فيفضلون عدم التحدث عن المعاناة أو الاضطرابات النفسية التي تصيبهم أو تصيب أبناءهم، وهذا ترسب في عرف الناس وتقاليدهم، ولا أساس له في الدين، فكما يصاب الفرد بأمراض البدن قد يصاب بالاضطراب النفسي دون أن يقلل ذلك من إنسانيته أو يحط من قدره.
- 10- وأخيراً يجب الانتباه إلى أهمية سلاح الدعاء في مقاومة وإزالة الضغوط عند الفرد، فالدعاء في الإسلام مخ العبادة، {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} البقرة 186 وهذا الدعاء والتسبيح يوجه لخالق الكون، وليس كالكلمات التي يطلبها المعالجون النفسيون من مرضاهم ترديدها والتي في الغالب تكون خالية من المعاني ومجرد تكرار نمطي لا يفيد فكراً ولا يحرك وجداناً.

1 سنن الترمذي، ج 4، ص 383، رقم الحديث 2038، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وصححه الألباني.

## التوصيات:

### يوصي الباحث بالتالي:

- أهمية أسلمة المفاهيم النفسية حول النفس البشرية وما يعترئها من ضغوط نفسية ومعاناة، وأن يتبنى المرشدون النفسيون النظريات الإرشادية المنبثقة من الفهم الإسلامي للنفس البشرية.
- على العاملين في المجال النفسي التركيز على نشر ثقافة الوقاية النفسية المجتمعية القائمة على الالتزام بأوامر الإسلام والبعد عن نواحيه، فهذا السبق يجعل الأفراد ينظرون إلى الضغوط كابتلاءات، فيصبرون ويواجهون ويعملون جادين في منظومة نفسية قوية قائمة على الإيمان بالله.
- يعارض الباحث مصطلح الإرشاد الديني بمعزل عن الإرشاد النفسي، وهذه المعاني لا تشابه إطلاقاً ما يعنيه الغرب بكلمة الدين، فالمرشد النفسي المسلم يجد في دينه منجماً نفسياً ذاخراً، فالإسلام دين شامل وينظم حياة أفراد وعلاقاتهم، ولا ينسلخ عنهم أبداً، أما في الغرب فالدين في الغالب يعني لهم بعض الطقوس والاجراءات الدينية التي لا دخل لها في الحياة اليومية وتيسير حياة الناس.
- حث الباحثين وطلبة الدراسات العليا بالاهتمام بتأصيل بعض سمات الشخصية الإسلامية وابتكار مقاييس خاصة بها في المجتمعات الإسلامية، ومنها: الإيثار، نفع الآخر، الحب، الإحسان، الانفتاح الفكري، الصدق، الأمانة.

### قائمة المراجع

- 1- ا.ف، بتروفسكي، ياروشفسكي (1996): معجم علم النفس المعاصر، ترجمة: حمدي عبد الجواد، عبد السلام رضوان، القاهرة، دار العالم الجديد.
- 2- الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مذيلة بأحكام الألباني على أحاديثها.
- 3- الحنفي، ابن أبي العز (1391هـ): شرح العقيدة الطحاوية، ط4، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 4- الزعبي، أحمد (1997): مستوى القلق كحالة وكسمة لدى طلبة جامعة صنعاء، مجلة مركز البحوث التربوية، ع12، جامعة قطر، (105-128).
- 5- الصباغ، زهير (1999): مستويات ضغوط العمل بين الممرضين القانونيين، دراسة مقارنة بين المستشفيات العامة والمستشفيات الخاصة، مجلة البصائر، مجلد 3، العدد الثاني.
- 6- الصفار، حسن (2003): كيف نقهر الخوف، دراسة إسلامية في سيكولوجيا الرهاب.
- 7- الطريري، عبد الرحمن (1994): الضغط النفسي: مفهومه، تشخيصه، طرق علاجه ومقاومته، شركة الصفحات الذهبية، السعودية.
- 8- النيسابوري، أبو الحسين مسلم: صحيح مسلم، ج7، دار الجيل بيروت.
- 9- العنزي، عياش (2004): علاقة الضغوط النفسية ببعض المتغيرات الشخصية لدى العاملين في المرور بمدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- 10- القرني، علي (2003): مستوى الضغوط المهنية في المؤسسات الإعلامية في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد16- العدد الأول.
- 11- الناصر، حصة (1998): ارتفاع ضغط الدم وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية - من منشورات مؤتمر الخدمة النفسية والتنمية، الكويت.
- 12- حداد، عفاف (1995): سمة القلق وعلاقتها بمستوى الدعم الاجتماعي، مجلة دراسات، عدد2، مجلد22، الجامعة الأردنية (929-950).
- 13- خاطر، عبدالله (1412هـ): الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، إصدارات المنتدى الإسلامي، الرياض.
- 14- سبيلبرجر، شارلز وآخرون (1984): اختبار حالة وسمة القلق للكبار، إعداد عبد الرقيب البحيري - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 15- شقير، زينب (2002): مقياس مواقف الحياة الضاغطة في البيئة العربية (مصرية سعودية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.



- 16- شيخاني، سمير (2003): الضغط النفسي، دار الفكر العربي، بيروت.
- 17- صبحي، سيد (2003): الإنسان وصحته النفسية، الدار المصرية اللبنانية.
- 18- عبد الخالق، أحمد (1987): قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت.
- 19- عبد المعطي، حسن (1992): ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالصحة النفسية وبعض متغيرات الشخصية، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، ع 19
- 20- عبد الهادي، فوزي (2005): الضغوط الأسرية من منظور الخدمة الاجتماعية - القاهرة.
- 21- عثمان، فاروق السيد (1999): القلق وإدارة الضغوط النفسية.
- 22- عسكر، علي (2000): ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، ط2، دار الكتاب الحديث، الكويت.
- 23- قطب، سيد (1981): في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة.
- 24- مشعان، عويد (2000): مصادر الضغوط في العمل لدى المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين في المرحلة المتوسطة، مجلة جامعة دمشق، المجلد 16، العدد الأول.
- 25- Baroun K.A (2004): Job Stress and Sex Role Among Kuwaitis Employees, Derasat Nafseyah, Vol.10, No 2, (267- 288)
- 26- Belle D (2000): Gender differences in the Social Moderators of Stress in Coping and Adaptation, Journal of work and family abstracts.
- 27- Collin Carla B (1992): Hardiness As Stress Resistance Resource, Paper presented at the Annual meeting of the American Psychological.
- 28- Neala S, Rita S (1996): Dual-Earner Families: The Importance of Work Stress and Family Stress for Psychological Well-Being, Journal of Occupational Health Psychology, Vol.1, No 2.
- 29- Plunkett Scott, W. et al (1999): Family Stress Events, Article California State U. Northridge, Department of family Environment, U.S.A.  
(<http://www.alwifaq.net>).

# إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:

"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

د. داود درويش حلس

أستاذ مساعد في كلية التربية - الجامعة الإسلامية

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

### ملخص الدراسة

يتناول هذا البحث إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية ؛ لتجديد وتوظيف الطاقات في إطار شرعي قويم لجبل همته لا تتغير في هذه الحياة مع مرور الأيام وعند التعثر بالعقبات، لا يعرف الرضى بالعجز، ولا يقع نهية لليأس جبل لا يندفع بالمظاهر، ولا بالمناصب، يعرف متى يتكلم، وفي أي شيء يتكلم وما فائدة هذا التكلم، ويعرف متى يسكت، وما فائدة سكوته، وما ضرره ويكون معيار سكوته هذا الدين القويم، لا يكون خاوي الجعبة من العلوم، يعرف من أين يصعد، جبل يعرف كيف يتعامل مع النصوص وإذا كان لا يعرف فإنه يتعلم، جبل يؤمن بقوله تعالى: " **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** " (النحل: 125) يعرف ما هو الإيمان يضع نصب عينيه قوله تعالى: " **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أُنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** " (الأنفال: 39) جبل يوظف طاقاته كلها بلا استثناء في خدمة هذا الدين الشامل لجميع شؤون الحياة... وإعداد هذا الجيل لا يمكن أن يكون إلا من خلال التربية القرآنية والتي حسب الباحث أنه قد بين بعضاً منها في أربعة مباحث رئيسة تمثلت في: (أصل المعرفة ونظرة القرآن الكريم - الأساليب التربوية القرآنية - مقومات التربية المستمدة من القرآن الكريم - أبرز المشكلات التربوية التي عالجها القرآن الكريم) وذلك بعد الإطار العام والدراسات السابقة. وفتاحاً المجال واسعاً أمام الباحثين باقتراح العديد من الدراسات والبحوث لإكمال هذا البناء التربوي المنشود لأبنائنا فلذات أكبادنا أملنا الفلسطيني والإسلامي المنشود المطبوع بعقيدتنا الإسلامية دوماً إن شاء الله تعالى.

### **Abstract**

A research deals with the building up a good man in the light of The Qura'an Education for the renewal and proper functioning of energy in a straight Shariea frame work for a generation whose enthusiasm is invariable in life whatever hardships they had to face. A generation who does not satisfy with deficiency, A generation who knows no despair. A generation who is not deceived by appearances or posts. A generation who knows when to speak and what to speak. A generation who knows when to silence and the advantages and disadvantages of silence. The criteria of his silence is his religion. A generation who has no vacuum of sciences, originating by holding to his religion and advocating for his religion in advice and good recommendation. A generation who believes in what he says. A-generation who exploits his energy for a religion that involves all aspects of life. The building up of this generation can only be through the education of Qura'an which the author clarified in four researches which includes:

- 1- The origin of knowledge and the verdict of the Qura'an.
- 2- Educational methods of the Qura'an.
- 3- The main aspects extracted from the Qura'an.
- 4- The main educational problems which is delt with by the Qura'an.

These all are gate ways for other writers to make his finishing touches and complete the construction a generation saturated with the principles of Islam.

## المبحث الأول

### الإطار العام والدراسات السابقة

#### تقديم:

التربية صناعة الإنسان بطريقة معينة، وتشكيله وفق تصور خاص، والمجتمعات - بالإنسان - تواجه التحديات وتتغلب عليها وتتفاعل مع الكون فتكشف نوااميسه وقوانينه وتسيرها لمصلحتها، والإنسان هو القوة الفاعلة المؤثرة الإيجابية ولا سبيل إلى إيجاد هذا الإنسان الفاعل وإعداده إلا بالتربية الصالحة؛ لما للتربية من دور رئيس لتكوين الإنسان وإعادة بناء ما يعيش فيه من أنظمة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية... ولهذا فهي أهم عملية يخضع لها الإنسان في حياته وعليها يتوقف نموه إلى أقصى الحدود المرسومة له، وبها يصلح للقيام بالمهام المنوطة به، وهي سبب من أسباب رقي الأمم لذلك كله فهي تنبثق من فلسفة محكمة تبين للمربين معالم الطريق. وبتدبرنا لما جاء في كتابه تعالى: "إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّيِّ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ (الإسراء: 9) نجد أنه كتاب في التربية والتوجيه كما هو كتاب في

العقيدة، والعبادة، والشريعة، والأخلاق بل دستور سماوي عظيم وفي هذا يقول محمد فاضل الجمالي (الجمالي، 1980م، ص9): "القرآن الكريم هو للمسلم كنز عظيم من كنوز الثقافة الإنسانية ولا سيما الروحية منها وهو أول ما يكون كتاب تربية وتهذيب على وجه العموم، وكتاب تربية اجتماعية وأخلاقية على وجه الخصوص" ولأن فاعلية واستقامة البرامج التربوية واستمرارها وتأثيرها في سلوك الناشئين يعتمد اعتماداً كبيراً على القيم الروحية والخلقية التي تتوافر في البرنامج التربوي لإعداد الإنسان الصالح التي تكشفها التربية القرآنية: "يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي

الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ (يونس: 57) فالقرآن المصدر التربوي الذي لا

يعتوره نقص وهو المنهاج المتكامل الكامل الذي إن طبقناه أعطانا الأفضل والأفضل والأكمل، ولأن من أولى أهداف التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تكوين الشخصية الصالحة الخيرة، وتثبيت الركائز والعناصر التي تكفل لهذه الشخصية ديمومة الصلاح، ونمو الخير طوال حياتها وبعد مماتها. ولحاجة مجتمعنا التعليمي والمجتمعات العربية والإسلامية، وما تعانيه البشرية من بؤس وشقاء، وجوع وتشرد وعناء، وفقدان

للأمن، والتلوث البيئي... يدل على مدى حاجتنا إلى نوع من التربية تتلاءم مع الإنسان، وتتفق مع الواقع المعقد الذي يحيط به وتخفف من آلامه ومعاناته وذلك لن يتحقق إلا في ضوء التربية القرآنية لهذا الإنسان الصالح المصلح لغيره، ولمجتمعه.

**مشكلة الدراسة:** تكمن مشكلة الدراسة التي لم يجد الباحث حلاً لها إلا بتدبر آيات القرآن الكريم والبحث عن دورها التربوي لإعداد الإنسان الصالح المصلح لغيره في نقاط تبرزها التساؤلات التالية:

- ما مفهوم إعداد الإنسان الصالح ؟
- ما الأساليب التربوية لإعداد الإنسان الصالح التي أشار إليها القرآن الكريم ؟
- ما مقومات تربية الإنسان الصالح في القرآن الكريم؟
- كيف عالج القرآن الكريم أبرز المشكلات التربوية؟

**أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إلى:

- إظهار أن القرآن الكريم يحدد أهداف التربية وغايتها ويشمل مجالات متعددة.
- بيان أن القرآن الكريم يضع المبادئ والمقومات التي تعتمد عليها التربية ويشير إلى أساليبها وطرائقها القويمة.
- إثبات أن القرآن الكريم يوجه إلى تربية قويمة تؤدي إلى الإصلاح الشامل للفرد، والمجتمع، ولأمة التي تهتدي بهديه.
- **أهمية الدراسة:** تكتسب الدراسة أهميتها من:
- أهمية القرآن الكريم الذي جعله الله - سبحانه وتعالى - شفاء لما في الصدور من الزيف، والريب، والنفاق، والشرك:

"يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ (يونس: 57)

- القرآن الكريم أعظم مصدر للتربية قديماً وحديثاً، حاضراً ومستقبلاً، لما يحوي من الثروة التربوية العظيمة في الأهداف، والمحتويات، والأساليب مقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاعتزان...
- ما للقرآن الكريم من تأثير على الأمة التي تهتدي بهديه، وتربي أبنائها وفق تعاليمه فيه تجتمع كلمتها، ويرتفع شأنها، وبه تقضي على عوامل الفساد التي تعاني منه.

### منهج الدراسة:

• اتبع الباحث في دراسته الطريقة الوصفية في جمع الآيات والأحاديث المتعلقة بها، وأقوال علماء التربية في نواحيها المتعددة.

• الطريقة الاستنباطية وهي طريقة لاستخراج العلم بالاجتهاد من كلمات العلم الخصبة خاصة آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وسائر النصوص التربوية وتحليلها.

حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة على:

• مقومات التربية في القرآن الكريم. \* الأساليب التربوية في القرآن الكريم.

\* المشكلات التربوية التي عالجها القرآن الكريم

مصطلحات الدراسة: التربية: يعني مفهوم التربية Education لغةً: التنمية والزيادة والتنشئة قال الأصمعي: ربوت في بني فلان. نشأت فيهم، وربيت فلاناً أربيته تربية. (ابن منظور، ب:ت، مادة ربا)

واصطلاحاً: يقول أحمد عمر في كتابه فلسفة التربية في القرآن بأنها: "تمية الوظائف الجسمية، والعقلية، والخلقية، والجمالية، والتروحية، والدينية، والاجتماعية لدى الإنسان؛ كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتنقيف وأنها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها، وعواملها الأساسية وأهدافها. (عمر، 2001م، ص28)

• وعرفت التربية بأنها علم يرمي إلى مساعدة الطفل، والمراهق، والبالغ إلى تكوين شخصيتهم وتعميرها (مرعشلي، نديم ومرعشلي، أسامة 1974م، ص462)

• ونستخلص مما سبق بأن التربية: "ممارسة جميع الوسائل، والطرائق، والفعاليات، التي تسهم في نمو الطفل وإكسابه ثقافة مجتمعه؛ لتكوّن لديه أنماط سلوكه العقلي، والاجتماعي، والنفسي، والخلقي، والديني، وفق أهداف محددة تتناسب مع أحكام عقيدته".

الدراسات السابقة: تهدف معرفة الدراسات السابقة إلى معرفة الجهود التي بذلت من قبل في مجال هذه الدراسة واستعراضها للاستفادة منها ومن أهمها:

1- دراسة الحسين جرنو جلو (جامعة دمشق - كلية التربية 1991م) بعنوان منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول - رسالة دكتوراه بحث غير منشور. (جلو، الحسين جرنو، 1991م)

- هدفت الدراسة إلى معرفة ما في أسباب النزول من أساليب تربوية تساعد في الاستفادة من الفرص المتاحة للتربية وتهيئة المناسبات الملائمة للتعليم؛ ليسهم ذلك في تطوير أساليب وطرائق التدريس.

- وخلصت الدراسة إلى توجيهات خاصة لتطوير أساليب التربية. استفاد الباحث من الدراسة السابقة في الأساليب التربوية التي تساعد في الإفادة من الفرص التعليمية التربوية.
- 2- **دراسة داود حلس** (مسابقة البحوث الإسلامية على مستوى منطقة الرياض التعليمية السعودية 2000م) بعنوان **منهج الرسول - ﷺ - في التعامل مع الناشئة كأممذج يقتدي به الآباء والأمهات**. (حلس، داود، 200م)
- هدفت الدراسة إلى إحياء الجانب التربوي في منهج الرسول - ﷺ - في التعامل مع الناشئة كأممذج يقتدي به الآباء والأمهات والمعلمون في تربيتهم وتعاملهم مع الناشئة.
- اعتمد الباحث في تلك الدراسة على المنهج الاستنباطي وذلك من خلال ما جاء في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.
- لم تركز الدراسة فقط على جانب واحد من التعامل بل شملت: الربط بين حسن التعامل وحسن التعليم، الوسائل التي استخدمها الرسول - ﷺ - في التعامل معهم.
- منهجه - ﷺ - في معالجة أخطاء الناشئة.
- خلصت الدراسة بتوصيات للمربي الواعي المنصف للاستفادة من الوسائل التربوية الإسلامية المؤثرة في إعداد الناشئة عقائدياً وخلقياً، واتباع منهج الرسول - ﷺ - في معالجة أخطاء الناشئة بأنواع متعددة من طرائق الإرشاد.
- استفاد الباحث من الدراسة السابقة في إبراز الوسائل التربوية التي استخدمها الرسول - ﷺ - في التعامل مع الناشئة ومنهجه في كيفية معالجة الأخطاء.
- 3- **دراسة عمر أحمد عمر** (جامعة دمشق - كلية التربية 2000م) بعنوان **فلسفة التربية في القرآن الكريم رسالة ماجستير**. (عمر، أحمد عمر 2000م)
- هدفت الدراسة إلى توضيح أصول التربية في القرآن الكريم مع تحليل للأهداف والمجالات التربوية، وعقد موازنة بين النظريات التربوية الفلسفية وبين مقاصد الشريعة الإسلامية وشملت الدراسة أساليب التربية ومقوماتها.
- وخلصت الدراسة باقتراحات كان أبرزها ضرورة إعداد بحوث لاحقة حول أثر القرآن الكريم في الصحة النفسية وأثره في الشعور بالأمن والاطمئنان التي تجلب السعادة للفرد والمجتمع على حد سواء، كما أوصت الدراسة ألا تقتصر دراسة القرآن الكريم على المواد الدراسية بل يجب أن يعتبر توجيهات في جميع الدروس والأبحاث. وقد استفاد الباحث من عرض الدراسة لأساليب التربية ومقوماتها.



4- دراسة نزيهة بابكر البشير (جامعة الخرطوم - كلية التربية 2001م) بعنوان دور الأم في تربية أطفالها في ضوء المنهج الإسلامي رسالة ماجستير. (البشير، نزيهة بابكر، 2001م)

- هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الأم ومكانتها في التربية من منظور إسلامي وعلى الجوانب التربوية المختلفة لتربية الأبناء في ضوء المنهج الإسلامي بهدف وضع إطار نظري في تربية الأبناء من الناحية الإسلامية تساعد الأمهات في عملية التربية وذلك في ضوء الكتاب والسنة والإجماع والقياس والمصالح المرسلة.

- وكان من أهم التوصيات التي أسفرت عنها الدراسة الاهتمام بالتربية الإيمانية لأنها الركيزة الأساسية في حياة الانسانية، كما يجب تعريف الأمهات والمربين بأن الغاية من التربية الإسلامية هو عبادة الله وحده سبحانه وتعالى.

- وقد استفاد الباحث من الإطار النظري الذي وضعته الباحثة لتربية الأبناء من الناحية الإسلامية.

5- دراسة شفيق الحمادي (الجامعة الإسلامية كلية الشريعة والقانون - مؤتمر التشريع الإسلامي ومتطلبات الواقع 2006م) بعنوان أساليب الرسول - ﷺ - في تربية الأسرة المسلمة. (الحمادي، شفيق، 2006م ص 23)

- هدفت الدراسة للتعرف على كيفية تربية الرسول - ﷺ - للمرأة بل وكيفية إعدادها وجعلها تسابق الرجال في جميع ميادين الخير من خلال الأساليب التربوية التي اختصرها الباحث في ثمانية أساليب منها: (التربية بالقودة - بث روح الكرامة - الترغيب والترهيب...) معتمداً الباحث في دراسته على المنهج الاستنباطي. وخلصت الدراسة إلى أهمية إدراك الرسول - ﷺ - لدور المرأة في تأسيس المجتمع المسلم فركز - ﷺ - عليها وأعطاه وقتها وراحته لما لها من دور فاعل في تأسيس الجيل الصالح للمستقبل وكيف ركز أعداؤنا فأصابونا بمقتل يوم ركزوا على المرأة فنشروا فكرة التحرر ويا ليتة التحرر من الجهل والخرافات بل التحرر من قيود الأخلاق والعادات والقيم الحميدة.

- وخلص الباحث بدراسته بدعوته أن نبدأ كما بدأ الرسول - ﷺ - في تربية المرأة وصولاً للجيل الصالح جيل المستقبل. وقد استفاد الباحث من الدراسة السابقة في أساليب التربية الثمانية التي عرضتها الدراسة.

#### التعقيب على الدراسات السابقة:

من العرض الموجز يتضح مدى الاهتمام البالغ بموضوع التربية في المنهج الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشكل مجمل، والتي غلب عليها طابع

التحليل النظري. أما هذه الدراسة فقد تميزت بأن تناولت سبل إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية بشكل أعم و واسع موضحة في أربعة مباحث (أصل المعرفة ونظرة القرآن الكريم للمعرفة- الأساليب التربوية القرآنية- مقومات التربية المستمدة من القرآن الكريم- أبرز المشكلات التربوية التي عالجها القرآن الكريم؛ لتكون هذه الدراسة عوناً للأسرة المسلمة، والمدرسة بشكل خاص، وكافة مؤسسات المجتمع التي تعنى بالتربية بشكل عام؛ وصولاً للإنسان الصالح لنفسه المصلح في مجتمعه.

### المبحث الأول:

مفهوم الإنسان الصالح ونظرة الإسلام للإنسان :

للإجابة عن السؤال الأول (ما مفهوم الإنسان الصالح؟) وصولاً لبناء المجتمع الصالح ونظرة الإسلام للإنسان

**الإنسان الصالح** - من منظور إسلامي - هو الإنسان الذي يترسخ فيه الإيمان بالله وما يترتب على ذلك من نتائج وتبعات ، ويندفع بالميول والدوافع الربانية التي يحددها الإطار ، وهو الذي يعرف جيداً أهمية دوره في الحياة وموقعه في المنظومة الكونية ، وهو الذي يصنع علاقات اجتماعية بين الناس ذات جانب موضوعي نظيف لا يقتصر على المنافع والفوائد الاجتماعية فحسب بل ينبغي أن تتبع تلك العلاقات من جوانب ذاتية مشرقة في نفس الإنسان كحب الخير والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين ، وامتلاك حسن التقاني والإيثار والضمير الأخلاقي الحي الفادر على استخدام كل التقنيات المتوافرة لديه لإعمار الأرض وبناء الحياة وتطويرها إسعاداً للإنسانية.

(<http://www.arrasoul.org/25/3/2008>)

### إعداد الإنسان الصالح بحمل المفاهيم التالية :

\* الإنسان الذي يحمل المنظور الإسلامي للمعرفة والذي تتكامل عنده علوم الشريعة وعلوم الطبيعة على أساس أن الوجود من خلق الله ، والقرآن الكريم كلام الله ، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله ، وكل خبر من الله عن خلقه لا يمكن أن يخالف حقيقة المخلوق ، والعلم بسنن الله في الأنفس والآفاق وحياة الأمم والمجتمعات يزيد في معرفة الإنسان بالله كما يزيد في قدرة الإنسان على الاستخلاف الذي كلفه الله به.

• الإنسان ذو الشخصية السوية الذي يحب العلم والمعرفة ، ويؤمن بالتوافق بين العلم والدين ، فالإسلام وإن جعل الإيمان بالغيب علامة للتقوى وعنواناً على تصديق الرسالة إلا أن منهجه في توجيه المسلمين لطلب المعرفة والتفاعل مع الكون ليس منهجاً غيبياً وإنما هو منهج يقوم على النظر في الآفاق وفي الأنفس واستخدام العقل ، كما يستند إلى وجود نواميس وقوانين علمية لا تخفى على الناس أن يكتشفوها ويتعرفوا عليها ، ويستفيدوا منها في ترتيب أمور معاشهم.

• الإنسان الذي ينتصر لقيم العدل والتسامح ويتعامل مع الآخرين تعاملاً يقوم على التسليم العقلي والنفسي بوجود هذا الآخر والاستعداد للتعايش معه ، واحترام حقوقه وحرياته كما يقوم على الاعتقاد الراسخ بأن الدين عند الله الإسلام وأن الحكمة موزعة بين أفراد الخلق ، وأن اختلاف زوايا الرؤى وتعدد الاجتهادات قد يكون رحمة من الخالق بعباده ومظهر ثراء حضاري وتنوع يرتفع عن طريقه العسر

ويزول الحرج ويتوسع باب قدرة الحضارة على الاستجابة للظروف المتغيرة والحاجات المتنوعة

- الإنسان المؤهل القادر على خدمة مجتمعه ويتمتع بالمهارات الحياتية والتعليمية والتدريبية الضرورية ومهارات التعاون والتواصل والتفاعل الإيجابي مع الوسط الاجتماعي ، والجمع بين التفكير النقدي والتحليلي الذي يساعد في التعرف على المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها.

### **بناء المجتمع الصالح من خلال :**

- تربية الأجيال على قواعد الحياة الاجتماعية المنظمة واحترام حقوق الغير .
- المحافظة على الهوية الإسلامية وفهم الإسلام فهماً صحيحاً باعتباره ديناً ربانياً ونظماً إنسانياً لتوحيد الناس على الخير وتحقيق العدل ونشر الإسلام.
- إعلان الأخوة الإنسانية التي تسمو فوق روابط اللون ، والجنس ، واللغة في مسيرة متناغمة لتعمير الأرض وتجميلها والمحافظة على خيراتها وثروتها.
- التدريب على أصول الحوار وفهم التعايش عند الاختلاف والوقاية من الالتجاء للعنف أو السعي إلى تصفية المخالفين بدلاً من السعي إلى تغيير أفكارهم.
- التربية على إثارة مصلحة الوطن العليا والحد من روح الفردية.
- الانفتاح على الفكر العلمي العالمي والاستفادة من التجارب البشرية المتراكمة على مر السنين بما يتوافق والثوابت الإسلامية فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها اكتسبها.

- مواجهة ضغوط العولمة الثقافية والعمل على نشر الثقافة الإسلامية بطرائق عصرية جذابة. (<http://www.ikhwansyria.Com/21/1/2008>)

وبهذا فإن الإسلام أول ما يهدف إذن إلى بناء الإنسان الصالح الجدير بأن يكون خليفة الله في الأرض الذي كرمه الله أفضل تكريم ، وخلق في أحسن تقويم وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً فهو إنسان اكتملت فيه خصائص الإنسانية وارتفع عن حضيض الحيوانية البهيمية وهذا الإنسان أساس الأسرة الصالحة والمجتمع الصالح والأمة الصالحة.

**نظرة الإسلام إلى الإنسان:** نظرة أساسية تقوم منذ خلق الله الإنسان على فكرة استخلاف الله للإنسان على الأرض؛ ليكون:

- خليفة مسؤولاً فيها.

• ليكون فيها من عباد الرحمن الذين وصفهم القرآن قائلاً: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

(الفرقان: 63)

• ليأكل من طيبات الأرض، وليتمتع بزينتها في حدود شريعة الله في حاجات الفم، والجنس والملك ومن هنا كانت كرامة الله على الإنسان في:

- استخلاف الله للإنسان وحده على الأرض كأساس أول للكرامة.

- منحه السمع والبصر والعقل كأدوات للعلم وأساس ثاني للكرامة.

- منحه حرية الإرادة كأداة للعمل المسؤول وفقاً لشريعة الله في مصالح البشر وكأساس ثالث للكرامة. (الدويبي، 1986، ص5)

خصائص خلافة الإنسان في الأرض في شريعة الإسلام هذه الخلافة الممنوحة للإنسان

على الأرض هي:

• خلافة عامة لكل إنسان.

• خلافة قائمة على أساس التساوي فيها ومن غير وساطة بين الله وبين الإنسان.

• ليست خلافة لعرق من الأعراق، ولا لطبقة من الطبقات، ولا لفئة معينة من الحكام فالحكام مندوبون من الشعب ولمصلحة الشعب.

• خلافة بعيدة كل البعد عن معاني الحكم التيوقراطي في الأرض الذي يرفضه الإسلام.

• خلافة مقيدة بمبادئ شريعة الله للمصلحة العامة وبأحكامها التفصيلية مثلها في ذلك مثل أي سلطة ديمقراطية حديثة عندما تقيد تصرفاتها بالمبادئ العامة المصلحية في دستورها وبالأحكام التفصيلية في قوانينها محاربة لأي سلطة مطلقة غير مراقبة لذلك كله فقد اقتضت هذه الخلافة السامية للإنسان على الأرض أن تميز الإنسان فيها بالخصائص التالية في:

• خلقه • وفي كماله • وفي مسؤوليته.

أما في خلقه فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم<sup>١٤</sup> فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴿٦٤﴾

(غافر: 64 ، التغابن: 3) كما نص القرآن

وزوده بكل ما يحتاج إليه بمنتهى الإتيان " اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ

فِيهِ بِأَمْرِهِءَ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِءَ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (الجاثية: 12)

أما في كماله فقد خلق الله الإنسان بريئاً من كل انحراف، وهو ما يعبر عنه في الإسلام بالخلق على الفطرة وما الانحراف عند حدوثه إلا انحرافاً عارضاً خلافاً لشريعة الله تحت تأثير شهوات الإنسان الخاصة أو سوء تربيته الاجتماعية العامة فيستحق عندئذ العقوبة عليها مثل أي إنسان خرج على أحكام شريعة البلاد.

أما في مسؤوليته: عن سلوكه وعن تصرفاته على أساس إقامة العدل والمساواة، لضمان السلام وعلى أساس ابتغاء الخير والمصلحة للجميع فقد أفاض القرآن الكريم فيها آيات عديدة داعياً الأخذ بأوامره محذراً كلما خان الإنسان أمانته في خلافته على الأرض أو خرج عن أحكام شريعة الله فيها ضماناً للسلام الذي ينطلع إليه الإنسان على الأرض.

النظرة إلى الكون: يراد بالكون ما نراه حولنا من أرض وسماء، وشمس وقمر، ونجوم وكواكب، وسائر الأشياء عدا الإنسان. (البوطي، 1982م، ص 92) والكون في القرآن الكريم شاهد على وجود الخالق المبدع ووحديته وقدرته - عز وجل - وهذا الكون مسخر للإنسان كي يستفيد منه في مسيرة الحياة. فمن تأمل في آفاق الكون يجد فيه مظاهر الحكمة في الإبداع ومعاني التدبير الهادف في العلاقة بين الأشياء وهما يدلان على وجود الإرادة والقصد، ووجود الحكيم العليم والآيات التي تلفت أنظارنا إلى ما في الكون من نظام وحكمة وتجعلنا نفكر بما فيه من قصد وهدف كثير منها: "قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

(يونس: 101)، "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ (ص: 27)، "أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۗ

أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا

سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۗ وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا

مُعْرِضُونَ ﴿٣٠﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴿٣١﴾ (الأنبياء: 30-33) "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ  
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾  
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ (الأنعام: 95-97) ففي هذه الآيات دعوة عامة وإشارة

قوية لاستطلاع آفاق الكون والتعرف على ما فيه من مخلوقات تدل على أنه صادر عن  
إله قدير وحكيم عليم وليس هناك عاقل ينكر أن الله هو الخالق المدبر لهذا الكون حتى  
المشركين كانوا يعترفون بهذه الحقيقة "وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩٨﴾ (الزخرف: 9) قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٠١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿١٠٢﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١٠٤﴾ (المؤمنون: 84- 89)

والإيمان بالله - عز وجل - هو الذي جعل الإنسان يتلقى تعليماته عن حقيقة نفسه وحقيقة  
الحياة والكون ويستفيد مما أودع فيه من الثروات؛ لتحقيق الخلافة في الأرض على النحو  
الأفضل. وهذه النظرة التي يجب أن تجعلها التربية أولى منطلقاتها و بها تتحدد أهدافها.

النظرة إلى الحياة: الحياة هي العمر الذي يعيشه الإنسان في هذه الدنيا

(عمر، 2001م، ص91) والله هو الذي وهبه إياها وقدر أمدها " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا

يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿١١﴾" (فاطر: 11) والحياة هي الفرصة التي إن ضاعت لن تتكرر وخسارتها لا تعوض

ومن الخير أن يغتنمها الإنسان في إنجاز المهام التي أنيطت به ولذلك أوصى النبي - ﷺ -

باغتنامها قبل انقضائها فقال اغتتم خمساً قبل خمس: "حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك" (أخرجه الحاكم في المستدرک ج4 ص341 برقم 7846) والإنسان مسؤول عن حياته هل قضاهها في الطاعة والعمل الصالح أم في اللهو وعمل السيئات " **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴿٢٠٦﴾ (الملك: 2) والإنسان لما يعلم أن حياته قصيرة مهما طال عمره، وأن هناك بعث ونشور، وأن عمله سيجده في تلك الدار الآخرة فإنه يشعر بالطمأنينة ويفوز بالسعادة وهو يقوم بما خلق لأجله دون أن يتبرم من الحياة لضيق ألم به. أو يتشبث بها للذة نال منها أما حين يجحد اليوم الآخر ويقصر همه عن الدنيا فإنه يختار كيف يقضي هذه الحياة القصيرة وماذا يعمل ليفوز بالسعادة. وهكذا فإن نظرة القرآن الكريم للإنسان والكون والحياة نظرة كلية تفرض العلم على الإنسان بكل ما يحيط به وبحياته بدءاً من الله وأخيراً في واجباته في هذه الحياة لا فرق بين واجباته نحو الله، وبين واجباته نحو الإنسان، وبين واجباته في العمل المحتوم عليه لعمارة هذه الأرض والإصلاح فيها وعدم الإفساد بها وكل ذلك يدخل في مفهوم " العلم والدين" الذي يطلق عليه كلمة الفقه أي العلم بما للإنسان وما عليه ولذلك قال رسول الإسلام ﷺ - " ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (أخرجه البخاري في صحيحه ج1 / ص37/ رقم67) ومن هنا يكون دور التربية والتعليم.



## المبحث الثاني

### مقومات التربية المستمدة من القرآن الكريم

تمتاز التربية المنبثقة من القرآن الكريم عن غيرها بأن لها مقومات تقوم عليها، وتمنع انحرافها عن الطريق الموصل للغاية المنشودة، فهي تستند إلى قاعدة صلبة، ولها جذور عميقة مما يجعلها تقاوم الأجواء الجامحة، والنزوات الطائشة، وتوتّي أكلها كل حين بإذن ربها وهذه المقومات إجابة السؤال الثالث وهي:

أولاً العقيدة: العقيدة ما انعقد عليه القلب باقتناع تام، وتمسك به دون النظر إلى أساسه وهو ما يخرس عادة في الصغر، والاعتقاد افتعال من العقد وهو الربط والشّد بإحكام والعقيدة تقابل العلم والمعرفة وتواكب الإيمان والاعتقاد هذا الإدراك الجازم الذي لا يعتريه ظن ولا وهم المطابق للواقع الناشئ عن دليل وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. (حلس، 2006م، ص8) ويرى معظم الباحثين أن العقيدة الدينية مغروسة في الإنسان شأنها شأن الغرائز الفطرية الأخرى كالمحافظة على النفس والمحافظة على الجنس ويرون أن في الإنسان حاسة روحية تتلمس آفاق النور دائماً. (الصوينع، 1994م، ص26) وتتمثل هذه العقيدة الإيمانية أركان الإيمان الستة التي بينها الله - سبحانه وتعالى - في قوله: "ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ؕ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ؕ وَكُتُبِهِ ؕ وَرُسُلِهِ ؕ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾"

(البقرة: 285) وحذر من الكفر بها في قوله: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا ؕ ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ ؕ وَالَّذِينَ نَزَّلَ عَلَي رُسُلِهِ ؕ وَالَّذِينَ نَزَّلَ مِن قَبْلُ ؕ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ؕ وَكُتُبِهِ ؕ وَرُسُلِهِ ؕ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ (النساء: 136)

### الإيمان بالله:

فالإيمان بالله أهم قضية في الدين وأعظم مقوم في التربية ولا يحتاج الإيمان بالله إلى أدلة فلسفية وبراهين معقدة فالأدلة على وجوده كثيرة وواضحة منها:

• دليل وجداني: فالإنسان يلتجئ إلى الله حين المصيبة ويدعوه حين الشدة مهما كان بعيداً عنه في حياته ومهما جادل وعاند في وجوده: " **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ** <sup>ع</sup> **كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٢﴾ (يونس: 12)

• دليل اجتماعي تاريخي: فالبشرية منذ أن كفرت في عهد نوح -عليه السلام- وما بعده لم تنكر وجود الله ولكنهم لم يصدقوا بأن الله أرسل إليهم بشراً مثلهم قال تعالى: " **فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ** ﴿٢٤﴾ (المؤمنون: 24) وقوم عاد أصروا على الشرك وعبادة ما كان يعبد آباؤهم والمتكبرون منهم قوم صالح اعترضوا على شخص الرسول، والمشركون من العرب أقروا بأن الله هو الخالق لكل شيء " **وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴿٦١﴾ (العنكبوت: 61)

• وجود الكون: فالكون الذي نعيش فيه يدل على وجود الله -عز وجل- " **قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿١٠١﴾ (يونس: 101).

• دليل الحياة: لانبثاق الحياة التي لا يمكن استمرارها بالانقسام أو التوالد دون خالق جعل فيها هذه خاصية وأوجد لها ما تحتاج إليه من عناصر للغذاء والنمو والبقاء إلى أجل مسمى؛ ولترسيخ الإيمان بالخالق أمرنا بالتفكير في خلق الحيوانات وخلق السماوات والأرض وفي خلق أنفسنا وتكويننا قال تعالى: " **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴿٤﴾ **وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴿٥﴾ **وَأِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴿٦﴾ **وَأِلَى**

الْأَرْضَ كَيْفَ سَطَّحَتْ ﴿٢٠﴾ (الغاشية: 17-20)، وقال تعالى: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ (الذاريات: 21)

• دليل الوحي: رغم وضوح الأدلة والبراهين العلمية المبنوثة في هذا الكون الفسيح والشاهدة بوجود الخالق فإنه سبحانه أوحى إلى المصطفين من عباده ليدلوا الناس على ربهم ويهدونهم إلى الإيمان به.

الآثار التربوية لعقيدة التوحيد: يترتب على الإيمان بالله واحد آثارٌ عظيمة على النواحي النفسية، والخلقية، والاجتماعية فالمؤمن بالله واحد يشعر

بالاطمئنان النفسي لأنه يتوجه بالدعاء والعبادة إلى الله الذي خلقه وخلق هذا الكون: "إِنِّي

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (الأنعام: 79) والمؤمن يشعر دائماً بالاطمئنان لإيمانه بأن حياته

ورزقه بيد الله عكس الكافر القلق على حياته ورزقه وهو لا يعلم لماذا خلق وما مهمته في الحياة وما مصيره بعد الموت.

• يؤدي الإيمان بالله واحد إلى الشعور بالقوة والعزة والكرامة فالمؤمن بالله قوي لأنه يستمد قوته من القوي العزيز، ويتوكل عليه فلا يحني ظهره إلا لخالقه ولا يذل نفسه لأن

الله أعز المؤمنين ورفع شأنه قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ (المنافقون: 8).

• الإيمان بالله قاعدته الحرية والمساواة والعدل؛ فالحرية لا تتحقق بشكل صحيح إلا في ظل العبودية لله - عز وجل - والحرية الممنوحة بشريعة القرآن لا تقتصر على فئة محددة وإنما تشمل الناس جميعاً لأنها ليست منحة من الطبيعة فيستغلها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء، وليست منحة من ملك، أو إمبراطور فيغدقها على المقربين إليه، وليست تشريعاً من سلطات الدولة فتكون لصالح بعض الناس دون بعضهم. أما المساواة فلأن الله خالق الناس جميعاً من نفس واحدة

"يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَنَّا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" (النساء: 1) والمساواة تعني بالدرجة الأولى تكافؤ

الفرص في العلم والعمل. وأما العدالة فهي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب وما تضمنته من مبادئ أمر الله بالعدل " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ" (النساء:135).

• يؤدي الإيمان بالله -عز وجل- إلى تقويم السلوك وتهذيب النفس لأن المؤمن يعلم أن الله مطلع على عمله عليم بما يجول في نفسه مجزي على فعله: " قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾" (آل عمران:29) مما يجعل هذا الإنسان المؤمن نقى السريرة مخلصاً في عمله.

• يقول وليم جيمس: "الإيمان من القوى التي لا بد من توافرها لمعاونة المرء على العيش وفقدتها نذير بالعجز عن معاناة الحياة" ويقول: "إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه - سبحانه وتعالى- تحققت كل أمانينا" (دايل كارنجي، ب. ت ص425)

الإيمان بالملائكة: الملائكة مخلوقات نورانية لطيفة لا تأكل ولا تشرب ولا تتام، ولا تتصف بذكورة ولا أنوثة قال تعالى: " وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ

**مُكْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾**

(الأنبياء: 26، 27) وقد قرن الله الإيمان بالملائكة بالإيمان به؛ لأن من أنكر الملائكة فقد كذب الله، وكذب رسوله، وأنكر الوحي، ومن أنكر الوحي فقد أنكر الأديان كلها، وصار دهنياً ملحداً لا خلاق له في الدنيا والآخرة وجاء في الحديث أن الملائكة خلقوا من نور. (الصوينع 1999م، ص95)

الآثار التربوية للإيمان بالملائكة:

• يؤدي الإيمان بالملائكة إلى توسيع مدارك الإنسان والآفاق التي يفكر فيها فيعلم أنه ليس المخلوق الوحيد الذي يقوم بعبادة الله في هذا الكون، وأن الوجود لا يقتصر على الأشياء التي يراها ويحس بها فهناك علم الغيب وعلم الشهادة وقد أتى الله على الذين يؤمنون

بالغيب و يقيمون الصلاة. "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ (البقرة: 3)

• يؤدي الإيمان بالملائكة إلى سمو الانسان وترفعه عن الشهوات لأنه حين يعلم بوجود مخلوقات لا تأكل ولا تشرب ولا تنقطع عن عبادة الله لا يجعل الطعام والشراب وسائر الملذات غاية حياته بل يرتفع فوق الحاجات المادية ويهتم بمعالي الأمور وهذا ما يجعله أكثر صلاحاً وأقوم تربية.

• الإيمان بالملائكة يجعل الانسان مستقيماً مخلصاً في عمله بعيداً عن الغش والخداع والأذى والعدوان لعلمه بوجود من يحصي عليه أنفاسه ويكتب أقواله وأفعاله.

الإيمان بالكتب السماوية: الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء والرسل هو الركن الثالث من أركان الإيمان فمن لم يؤمن بها فقد كفر

"نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

﴿٣٦﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران 3-4) والكتب المنزلة أربعة

(التوراة- الزبور - الإنجيل - القرآن الكريم)، "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ" (المائدة: 48) وبالإضافة إلى هذه الكتب

أنزلت الصحف التي ذكر بعضها في قوله تعالى: "أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ

﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ (النجم 36-37) وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم "

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ (الحجر: 9).

الآثار التربوية للإيمان بالكتب السماوية: الإيمان بالكتب السماوية يؤدي إلى الإيمان بأن هذه كانت خاصة بأمة معينة في العصور السالفة. أما القرآن الكريم فهو كتاب الله الخالد الذي يجب على الناس كافة أن يقتبسوا من نوره، ويهتدوا بهديه، ويعملوا بأحكامه، ويجعلوه أساساً مقوماً للتربية إلى يوم القيامة.

**الإيمان بالرسول:** احتاج الناس إلى هدى رب العالمين منذ أن وطأت قدم أبيهم آدم -عليه السلام- الأرض، ولم يتركهم الله -سبحانه وتعالى- يتخبطون في الظلام؛ بل أنزل على المصطفين منهم ما يهديهم إلى العقيدة والعبادة الصحيحة وما يجعلهم يفعلون الخير، ويتصفون بالخلق الحسن، ويقيهم الفساد والضلال قال تعالى: "قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿البقرة: 38﴾، وخلاصة الحكمة من إرسال الرسل هي:

• الدعوة إلى التوحيد • البشارة والندارة • تفصيل الشرائع (جلس، 2006م، ص61).

ومن أسباب إرسال الرسل: كانت الأمم السابقة كثيرة الآفات، قليلة الإمكانيات فإذا مضى فترة من الزمن على بعث الأنبياء اندثرت الشرائع وانطمست معالم الدين، وتناقل الناس الخرافات والعقائد الفاسدة ولم يبق على وجه الأرض من يدل الناس على خالقهم ويهديهم إلى رشدهم، وانتشر الجهل والفساد، وعم فساد الأخلاق كما كانت الحال قبل بعثة نوح عليه السلام حيث عبد الناس الأوثان واتخذوها أرباباً من دون الله، وتمسكوا بباطلهم حتى تمكن الفساد من قلوبهم وتأصل في عقائدهم فلبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم لهجر الأصنام وعبادة الله وحده، وكذلك الحال قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، وكما هو الحال عندما عبد الناس فرعون واتخذوه رباً من دون الله فدعاهم موسى وهارون لعبادة رب فرعون الذي خلقهم جميعاً، وكما هو الحال أيضاً في مكة المكرمة لما بعث الله -سبحانه وتعالى- محمداً - ﷺ - هادياً ونذيراً ومبشراً.

**الآثار التربوية للإيمان بالرسول:** يقدم الإيمان بالرسول النموذج الصالح ليقبلى به القلبية بالقدوة لا يقل أثرها عن آثار التربية الناتجة عن القناعة العقلية أو الإثارة العاطفية نحو الخير والحق.

• يجد الإنسان في تعاليم الرسل والكتب المنزلة أعظم المناهج والأسس التربوية وأحسن الطرائق والأساليب للتربية القويمة.

• يجد الإنسان في شرائع الرسل نظاماً للحياة بكل جوانبها فهو النظام الوحيد المناسب لهم لأن واضعه خالق الكون ومدبره على أكمل وجه.

• يجد الإنسان في سير الرسل المتعة والفائدة الجمّة من الناحية الخلقية، والأدبية، والتاريخية

**الإيمان باليوم الآخر:** الإيمان باليوم الآخر الركن الخامس من أركان الإيمان ويعد أهم الأركان لأن المرء لا يفعل ما يؤمر به ولا يترك ما ينهى عنه ولا يندفع إلى عبادة ربه ولا يقوم بواجبه ما لم يأت عليه يوم يحاسب فيه ويجازى على عمله "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿١٦﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ ﴿١٩﴾ (النجم: 39-42)

**الآثار التربوية للإيمان باليوم الآخر:** للإيمان باليوم الآخر أعظم الآثار التربوية بعد الإيمان بالله تعالى وذلك لتحقيق أمرين:

1- أن الدنيا التي نعيشها ليست دار الخلود وبالتالي ليست دار الجزاء على الأعمال من ثواب أو عقاب وإنما هي دار العمل فيها يتنافس الناس فيحسن من يحسن، ويسيء من يسيء وبهذا المفهوم فالإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان صالحاً طيلة حياته يفعل الخير في جميع أحواله ويريده للناس حتى يقابلونه بالشر؛ لعلمه بأن كل واحد يلقي جزاء عمله.

2- الإيمان باليوم الآخر عنصر من عناصر القوة والثبات على الحق كما أنه عنصر من عناصر العطاء المستمر لكل مؤمن به وباعت حيوي من بواعث الفضيلة؛ لعلم هذا المؤمن يقيناً بأن عمله الصالح لن يضيع لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كما يعلم أن ظلمه وشره ومعاصيه لن تمر دون حساب، ولم يترك ولو مات عليها دون مساعلة. (النايلسي، 1998م، ص87) وهو ما يجعل الشخص المؤمن باليوم الآخر يتحمل المسؤولية ويقوم بالواجب على أكمل وجه ويصبر على الشدائد ويتحمل المشاق؛ لتحقيق ثواب الآخرة وهو ما يجعله يضبط غرائزه ويتحكم في دوافعه فلا يفعل إلا ما يرضي الله عز وجل. وهذا ما يجعل المرء حريصاً على قول الحق وتأييد العدل، ونصرة المظلوم، ومساعدة الضيف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمجاهدة بالنفس والمال لرد وقمع الظلم ونشر الدين. لعلمه أن هناك يوم لا ينفع فيه إلا من أتى الله بقلب سليم. "لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ

**الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ (غافر: 16)** وهذا ما يجعل المجتمع في غاية القوة والصلاح، ويجعل الأمة في أوج العزة والمنعة.

**الإيمان بالقضاء والقدر:** القدر علم الله الأزلي، وتقديره للأشياء وكتابتها وخلقها وفي اللغة: التقدير "إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤١﴾ (القمر: 49) ، " فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ " (المرسلات: 23) فالقدر بالنسبة للإنسان ما سيحدث له في حياته الاختيارية وما يجري عليه في حياته الاضطرارية. (الصوينع 1999م، ص 355) والقضاء: إنفاذ ذلك فيه. فتقدير الله للأشياء قبل وقوعها يسمى قدراً، وإنفاذ ما قدر يسمى قضاء، والقدر سر الله المكتوم الذي استأثر الله بعلمه عنده فلا يعلم أحد من الخلق ما قدر لهم حتى يقع المقدر.

**الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر:** للإيمان بالقضاء والقدر آثار تربوية أهمها:  
1- يمنع اليأس والتحسر عند محاولة الإنسان تحقيق شيء فيفشل فيه ويجعله يرضى بالنتيجة التي قدرها الله فهو أعلم بمصلحته منه: "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ<sup>ط</sup> وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ<sup>ط</sup> وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

**تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ " (البقرة: 216) مما يجعل الإنسان يبذل الجهد ويستعين بالله؛ لتحقيق ما ينفعه. يقول المصطفى - ﷺ -: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" (أخرجه مسلم في صحيحه ج 4 / 2052 / برقم 2664 أبي هريرة) وهذا ما يجعل الإنسان قوي الإرادة ماضي العزيمة لعلمه أن مصيره بيد الله.  
2- يجعل النفس راضية لعلمها أن الله هو الذي يعطي ويمنع وهو على كل شيء قدير.  
3- الإيمان بالقضاء والقدر بلسماً لشفاء الجروح التي يصاب بها المرء حين يتصدى للصعاب الجسيمة، و كابحاً لنزوات الفرد من أن تجعله يخرج عن الطريق.**

**ثانياً العبادات:** العبادة هي طاعة الله تعالى والخضوع المطلق له، وفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه، وهي مظهر للعقيدة. فالصلاة تعبير عن الإيمان بأقوال وأفعال معينة، والزكاة برهان على الإيمان بإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله والصوم تعبير عن الإيمان بالامتناع عن المفطرات، والحج عبادة بدنية ومالية رحلة إلى الله تعالى وخروج من الديار ومفارقة للأهل وزهد في الدنيا وإقبال على الآخرة و هذه العبادات تدل على وجود الإيمان في القلب بشرط أن تؤدي بإخلاص لوجه الله تعالى أما إذا لم يصاحبها النية



الخالصة لله فتكون مجرد أعمال ظاهرية لا تنفع صاحبها شيئاً عند ربه - عز وجل - وبالمقابل فإن العبادة تؤدي إلى ترسيخ العقيدة وزيادة الإيمان. ولهذا اقترن الإيمان بالعبادات في كثير من الآيات: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٠٠﴾ الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠١﴾" (الأنفال: 2-3) "قَدْ أَفْلَحَ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٢٠٥﴾" (المؤمنون: 1-4) فالإنسان

مفطور على العبادة ينمي روحه ويغذيها بالفرائض والعبادات ومن أهم الأغراض التربوية التي تحققها هذه العبادات:

• الصلاة: تربي الإنسان روحياً، وخلقياً إذ تربط بين الإنسان وخالقه وتعلم الإنسان الطاعة والشكر كما أنها تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد.

• الزكاة: نجد في الزكاة خاصة، وفي الصدقات والإنفاق عامة نجد تربية روحية عميقة تعلم الإنسان طاعة الأوامر الإلهية، ومكافحة الأنانية والإفراط في النزعة المادية والفردية. فالزكاة معناها الطهارة فهي تطهر المال وتطهر النفس مما يعلق بها من طمع، وتعد الإنسان للحياة الاجتماعية التعاونية التي تتطلب الشعور مع الغير في احتياجاتهم والعمل على مساعدتهم.

• الصوم: تربية روحية للفرد فهو يعلم الإنسان طاعة الله والالتجاء إليه، ويعوده ضبط النفس ومكافحة الشهوات وبذلك تقوى الإرادة، وفيه تربية اجتماعية فهو يجعل المرء يفكر في حاجة الفقير، كما أن فيه الشعور بالوحدة الاجتماعية والمساواة إذ يشعر أبناء المجتمع أنهم يقومون بتأدية فريضة دينية في وقت واحد يتساوى فيها الغني والفقير والقوي والضعيف وفيه تربية جسدية لقوله -ﷺ-: "صوموا تصحوا" إضافة لترويض الجسم على تحمل الجوع والعطش فهو تربية عملية.

• الحج: حج بيت الله الحرام فيه تربية روحية، وثقافية، واجتماعية، وخلقية، ورياضة جسدية وذلك بما يتضمنه من طاعة وتحمل مشاق وبذل نفقات وطاعة مخصصة لله وتطهير للنفوس من الخطيئات والآثام وتجديد على إتباع حياة جديدة فيها تقرب إلى الله وتجنب

للمعاصي. و الحج يرمز إلى الوحدة ووحدة الروح ووحدة الهدف الأعلى لجميع المسلمين، وفيه توسيع للأفق الثقافي والاجتماعي إذ يلتقي الإنسان بأبناء بلاد أخرى يختلفون في اللون، واللغة، والعادات ولكنهم يرتبطون بشعور الأخوة والمساواة.

• الجهاد: في الجهاد تربية للإنسان على الاستعداد لبذل النفس والنفيس، وبذل قصارى الجهد في سبيل رفع كلمة الله

وسلامة الأمة والوطن، والدفاع عن حوزة البلاد، والعمل على سبيل رفع مستوى الحياة الإنسانية.

مما سبق: يتضح أن العبادات والفرائض ليست مجرد طقوس يقوم بها المرء أو مسألة حفظ ألفاظ، وأفعال أو صلة بين العبد وربّه تتم في معزل عن مسرح الحياة وإنما هي وسيلة لإصلاح النفوس، وجعلها تشعر بالبهجة والسعادة في الدنيا وتفوز بالآخرة ولا يمكن للتربية أن تكون متكاملة، وأن تؤتي ثمارها ما لم تعتمد على العبادة في المقام الأول بعد الاعتماد على الإيمان والعبادة خير سبيل للمحافظة على الصحة وتحمل أعباء الحياة ومنع القلق يؤكد ذلك (ديل كارنجي، 1954م، ص292) بعد استعراضه لإحصاءات الانتحار في أمريكا: أن معظم حوادث الانتحار يمكن أن يقطع دابرها إذا أصاب هؤلاء شيئاً من الأمان و الاطمئنان، وسكينة النفس التي يجلبها الدين وتجلبها الصلاة وبين أثر الالتجاء إلى الله في تجنب الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية ربما كان من المحتمل إنقاذ آلاف الناس المعذبين الذين يتصايحون في المصحات النفسية والعقلية لو أنهم طلبوا العناية الإلهية بدلاً من أن يخوضوا معارك الحياة بلا سند ولا نصير وبهذا فان تجديد قوانا كل يوم لا يتم إلا بالصلوات والحمد والدعاء؛ حتى لا يتولانا اليأس والقلق!؟

ثالثاً الأخلاق: تعد الأخلاق أبرز مقومات التربية بل هي مظهر التربية وثمرتها المباشرة. ولهذا فقد جعل الإمام الغزالي التحلي بالأخلاق الحميدة والتخلي عن الأخلاق السيئة هدفاً للتربية وقال في ذلك: "التربية إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة". والمتدبر للقرآن الكريم يجد في كل صفحاته ما يؤكد على الناحية الأخلاقية وذلك في دعوته إلى تقوى الله، والصدق، والعدل، والتسامح، والصبر، والصفح، وكظم الغيظ، والتواضع، والرحمة، والمحبة، والبذل، والتضحية، والجهاد... كما يشجب الظلم، والطغيان، والكذب، والنفاق، والعدوان، والبخل، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والتجسس...، فالعبادة الصحيحة التي يقوم بها المسلم تجعل أخلاقه حميدة وقد ربط الرسول ﷺ - بين العقيدة والعبادة من جهة، وبين الأخلاق من جهة ثانية بقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه المؤمنون على دمائهم وأموالهم" (أخرجه البخاري في

صحيحه 13/1/رقم 10). وقال ابن القيم: "الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين". (ابن القيم، 1991، ج3، ص348) والأخلاق تستمد من الشرع فما حسنه الشرع كان حسناً وما قبحه الشرع كان قبيحاً ورنذلة وليست رد فعل لغريزة في الإنسان، أو انعكاساً لسلطة المجتمع، أو من وضع طبقة فيه. لذلك فالأخلاق ثابتة وليست متغيرة ولهذا نجد أن الغاية العظمى التي من أجلها كانت بعثته الدعوة لمكارم الأخلاق والتي هي هدف للأنبياء جميعاً فقال - ﷺ -: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (أخرجه البيهقي في سننه 191/10/رقم 2057) وهذا ما يؤكد على اتفاق الرسل على المبادئ الخلقية بالرغم من اختلاف الأمم التي أرسلوا إليها وتعدد العصور. وليس أدل على مكانة ذي الخلق القويم من جعله محبوباً للنبي - ﷺ - يوم القيامة: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشققون، والمتفهبون قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون، والمتشققون. فما المتفهبون؟ قال: المنكبرون" (أخرجه الترمذي في سننه 4/370/رقم 218) وليس أدل على فشل التربية المبتورة عن العقيدة والعبادة وانهيار الأخلاق المبتورة عن الدين انتشار الفساد والجريمة بشكل أوسع في المجتمعات التي تبتز الأخلاق عن العقيدة ومن هذه الوقائع:

- تتفق الولايات المتحدة سنوياً (590 مليون دولار) لإصلاح الخراب الذي يحدثه الطلبة في المدارس وهو ما يعادل ثمن بناء مدرسة جديدة.
- ذكر السيناتور "بيرتش باي" أن عدد الطلبة الأمريكيين الذين قتلوا خلال الخصومات في ساحات المدارس خلال أربعة أعوام ما يفوق عدد القتلى من الجنود الأمريكيين في فيتنام.
- من التعليمات التي توزع على المعلمات والطالبات أن لا يقفن منفردات في أي ساحة من ساحات المدرسة خوفاً عليهن من الاغتصاب الذي تكرر مرات وبهذا فلا صلاح للعالم إلا بما دعا إليه القرآن الكريم التمسك بالأخلاق الحميدة. ولا نجاح للتربية حتى تقوم على أسس العقيدة والعبادة والأخلاق. (عمر، 2001م، ص320)

## المبحث الثالث

## الأساليب التربوية القرآنية

التربية القرآنية ليست قضية حفظ لفظي للقرآن الكريم فحسب؛ بل هي إيمان وأخلاق وقضية علم وعمل مما يتطلب أساليب فعالة متعددة مناسبة يحويها القرآن الكريم فيجعل الإنسان يتأثر بها ويستجيب لها وذلك بمخاطبة عقله لتغيير قناعاته وأرائه، وتوجيه انفعالاته هذه الأساليب عقلية علمية تعتمد على طريقة العقل في المحاكمة والإدراك، وتقبل المعلومات فتقدم له الدليل وتجعله يستنتج النتيجة، وتكون أيضاً عاطفية معنوية تثير كوامن النفس، وتشبع رغباتها وأشواقها وتستفيد من نزعتي الخوف والرجاء فيها فتعتمد على الترغيب والترهيب، كما تكون بالاتباع والتقليد بوضعه أمام بعض الأبطال والعظماء؛ ليراقب حركاتهم ويرى أخلاقهم فيعمل على مضاهاتهم والافتداء بهم لذلك فلا يجوز أن تقتصر التربية على الجانب النظري بشقيه العقلي والعاطفي؛ بل يجب أن تكون عملية تسعى لجعل الإنسان يقوم بالأعمال الحسنة ويستفيد من العلوم التي أطلع عليها وعملها وهذا ما دعت إليه التربية الحديثة كون أخلاق الإنسان، وروحانيته وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان، ليكون أخلاقه عملياً، وليبني علاقاته مع بني الإنسان بالواقع. (النحلاوي، 1989م، ص24) فيتعود المرء على النظام في الحياة، وعلى ضبط النفس، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، وعلى التضحية مما تتطلب مزايا وممارسة يومية تلازم حياة الإنسان ليل نهار وهذا ما يفعله القرآن الكريم فجاءت الفرائض الصلاة، والزكاة، الصوم، والحج... لتربية الإنسان وتغذيته باستمرار غذاءً روحياً وهذا ما سنرى مصادقة فيما سننسط من الأساليب التربوية القرآنية التي نريد الكشف عنها بهدف التأثير في السلوك البشري العملي حتى ترجع البشرية إلى ربها وإلى منهجها الذي أراد لها وإلى الحياة الرفيعة الكريمة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان والقرآن الكريم هو الأصل والمصدر لهذا الاتجاه التربوي وإذا كانت التربية الناجحة هي: " تلك العملية التي تعلم الإنسان كيف يفكر لا أن تسقط عليه أفكار الآخرين" (قطامي، 2004م، ص184) فالقرآن الكريم ربي الحواس على حسن الاستدلال، والعقل على صدق الاستنتاج واهتم بذلك أكثر من أي كتاب آخر واعتبر الذين لا يستفيدون من أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم في التفكير السليم للوصول إلى الحق دون مرتبة الحيوانات وأضل منها " **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ** **هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا**

﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: 179)

ولما كان هناك أساليب كثيرة لتحقيق هذه التربية الشاملة للعقل والنفس والروح والجسد بجانبها النظري والعملي تجملها الدراسة في الأساليب التربوية القرآنية التالية؛ **إجابة**

### السؤال الثاني:

#### 1 - التربية بالوعظ والإرشاد:

من أساليب التربية المعروفة بالأسلوب المباشر. والإنسان قد يصغي ويرغب في سماع النصح من محبيه وناصحيه إذ النصح في هذه الحالة يصبح ذا تأثير بليغ في نفس المخاطب ولا سيما حين يكون صادر من محب ومن القلب إلى القلب فالنصح من والد لولده، ومن معلم لتلميذه، أو من صديق لصديق قد يغير مجرى حياة الإنسان، وما لم يكن صادراً من القلب إلى القلب يكون تأثيره ضعيفاً. (الجمالي، 1980، ص88) والقرآن الكريم يزرخ بالنصائح والمواعظ البيّنة فهو قد وصف بأنه جاء موعظة للناس ومن أمثلة ما جاء في القرآن: "إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ" (النساء: 58)، "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

﴿ يُونُسَ: 57 ﴾، "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا" (١٣٦) وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ

﴿ الشعراء: 132، 131 ﴾ ومن مواعظ الأسلوب التربوي الأبوي المشهورة قوله

تعالى: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ

لظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان: 13) وبالتأمل في هذه المواعظ نجد أنها تتعلق بجانب العقيدة

والأخلاق، وأنها حملت الفرد مسؤولية نحو نفسه، و نحو مجتمعه، وجعلت الإيمان والعبادة أساساً للتخلي بالأخلاق الحميدة والقيام بالواجب وهي واضحة لا غموض فيها مقبولة لكل عاقل لا يابأها ويعرض عنها إلا من خبت نفسه واتبع هواه ولكن الإشراف والاعتماد على هذا الأسلوب كلية يؤدي إلى الإعراض والنفور لذلك يجب الاعتدال فيه وملاحظة النتائج المترتبة عليه ومدى الحاجة للتنويع.

2- أسلوب القصة: القصة من أكثر أساليب التربية فعالية وهي مشوقة للصغار والكبار

إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر والقصة ذات المغزى الأخلاقي قد تخالج أعماق النفس فتحرك الدوافع الخيرة في الإنسان وتطرد النزعات الشريرة فيه... (الجمالي 1980 ص89)

وإذا صدرت القصة عن الحكيم العليم الخبير بمواطن النفس، وبما يصلحها وبكيفية إصلاحها أنت ثمارها يانعة، وحققت الغاية منها (عمر، 2001م، ص188) ولهذا نجد الاعتماد كثيراً في القرآن على أسلوب القصة وكانت قصصه طويلة حيناً وقصيرة أحياناً وهي في كل مرة تقع في قمة من البلاغة والبيان "حُنْ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿٣﴾ (يوسف:3)، "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ (يوسف:11) فالحكماء والمربين يستنبطون العبر مما في القرآن

من قصص الأنبياء وغيرهم ويجعلونها وسيلة من وسائل التربية القويمة

**3- أسلوب الحوار:** يعتمد هذا الأسلوب في التربية على مقابلة الرأي بالرأي، ومقارعة الحجة بالحجة بقصد تغيير رأي المعارض وجعله يقتنع بما نراه من الحقائق (عمر، 2001م، ص99) ومع أنه قلما تخلو قصة في القرآن الكريم من عرض الحوار بين أشخاصها حتى يخيّل إلى القارئ أن ينظر إلى أحداث القصة تقع أمام عينيه، ويستمتع إلى أشخاصها وهم يتحاورون ويتجادلون مما يعطيها فرصة الحيوية ويجعلها أكثر متعة وأشد تأثيراً على النفس، ويعتبر أسلوب الجدل والحوار أسلوباً متميزاً من أساليب التربية. ولقد بين الله أصول الجدل والحوار وندد بمن يجادل دون الاعتماد على الحقائق والأدلة الصحيحة. "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا

كِتَابٍ مُّذْمُومٍ ﴿٨﴾ (الحج:8) وبين أن من يدفع الحق ويرفض الحقيقة هو متكبر مضل

ومصيره الذل والعذاب "ثَانِي عَطْفِهِمْ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي خِزْيِ الدُّنْيَا

وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ (الحج:9) ونهى أن يؤدي الجدل إلى

الشحناء والبغضاء وأمر أن يكون بالحسن ويقصد الهداية ويقول الحق: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ (النحل:125) أما إذا أدى

الجدال إلى العناد والشقاق فهو حينئذ مذموم عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله

-ﷺ-: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط

الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" (أخرجه أبو داود في سننه/2/686/رقم 4800) والجدال يؤدي إلى الزيغ والضلال ونشر البدع ، قال رسول الله ﷺ - : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ " مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ (أخرجه الترمذي في سننه 378/5/برقم 3253) (الزخرف:58). وقال عمر بن عبد البر: " تناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤدي إلى الانسلاخ في الدين".

**4- أسلوب التشبيه وضرب الأمثال:** من وسائل التأثير التربوي في القرآن استعمال الأمثال أو التشبيه ذات المغزى الأخلاقي لأثرها العميق في العواطف ولورها في التأثير على سلوك الإنسان وتقريب الأفكار من العقل وجعلها مفهومة بتلك الصورة أشد من الأفكار المجردة (الجمالي، 1980، ص93) إضافة إلى ما في التصوير والتشخيص الحي من الإثارة والمتعة مما يطرد السأم عن المتعلم ويجعله متقد الذهن حاضر البديهة (عمر، 2001، ص204) لذلك كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم حتى ضربت به الأمثال بكثير من الأشياء الصغيرة وبعض الحشرات الحقيرة "إِنَّ اللَّهَ لَا

يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦١﴾ (البقرة

:26)، ومن ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - شبه ضلال المشركين وضعف أوليائهم الذين يلجئون إليهم من دون الله بالأنسجة التي تنسجها العنكبوت لقنص فريستها فقال: " مَثَلُ

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ (العنكبوت: 41)

وعن تأثير الأمثال ورد في القرآن: "وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۗ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ (العنكبوت: 43)

5- **أسلوب العمل والعادة:** يعد القيام بالعمل النافع أثراً من آثار التربية وهدفاً من أهدافها ولا قيمة لفكرة نظرية ما لم تؤد إلى نتيجة عملية (عمر، 2001م، ص207). ولذلك كان دعاء المصطفى -ﷺ-: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها" (أخرجه مسلم في صحيحه 4/4088/رقم 2722) وكان يقول إذا أصبح: "اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً" (أخرجه ابن ماجة في سننه 1/298/رقم 925) ويدل على أهمية العمل وعدم جدوى الأفكار النظرية ما لم تكن مصحوبة باقتران العمل الصالح ونجد اقتران العمل الصالح بالإيمان في كثير من آيات الذكر الحكيم: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ (المائدة: 9)"

﴿٩﴾ (الرعد: 29) ولا يحصل طالب العلم على الثواب حتى يعمل

بعلمه: وعن عبد الرحمن بن عثم قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله -ﷺ- قالوا: كنا نندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال: "تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا" (أخرجه أبو نعيم في الحلية رقم 236/1) عن علي -ﷺ- قال يا حملة العلم اعملوا به فإن العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم علمهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله -عز وجل- " (العسقلاني، ب، ت، ص501) ولا يتأثر الناس بقول العالم حتى يعمل به قال مالك ابن دينار: "العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا" (الأندلسي، 1940، ص88) ولقد اعتمد هذا الدين على التربية بالعمل من أول الدعوة فكان الواحد من الصحابة حين يعتنق الإسلام يدفعه الرسول -ﷺ- إلى من يعلمه القرآن الكريم فيتعلم عشر آيات ويقول لمن يعلمه دعني حتى أذهب وأعمل بهذه الآيات ثم أعود فأتعلم غيرها. " وحج الرسول -ﷺ- مع أصحابه وهم يقومون بما يقوم به من الأعمال وقال لهم بعد أن علمهم الحج بالطريقة العملية: "خذوا عني مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" (أخرجه الإمام مالك في الموطأ 2/329/رقم 465) وقد احترم الإسلام العمل وكرم العمال في الوقت الذي كان فيه العرب يحتقرون الأعمال اليدوية ويحطون من شأن أصحاب الحرف وكذلك اليونان يحتقرون الأعمال اليدوية



واعتبرها أرسطو جديرة بصغار العقول أو الذين لا عقول لهم وتتناسب مع العبيد فقط واعتقد أن العمل اليدوي يؤدي إلى بلادة العقل وإتلافه ولا يترك وقتاً ونشاطاً للذكاء السياسي وبذلك كان للإسلام فضل السبق على (لوثر) الذي نادى بأن تكون التربية العملية والعمل في إحدى المهن إلى جانب التربية النظرية، ورأى أن يرسل الفتيان إلى المدرسة ساعة أو ساعتين في اليوم وأن يتعلموا فيما تبقى من الوقت. وعلى (فرنسيس) ببيكون الذي قرر أن الدراسة ليست غاية في حد ذاتها وأن المعرفة إن لم تكن مقرونة بالعمل ليست سوى زهو وغرور علمي شاحب وعلى (كمنبوس) الذي أطلق عليه بعضهم لقب المبشر الأول بالتربية الحديثة الذي امتازت طريقته بالعناية بالتمرينات العملية ورأى أن لا يعاد الدرس على نحو إلا ويعاد حتى يحفظ عن ظهر قلب؛ بل أن يعتاد الطالب العمل المثمر والجهد الشخصي وعلى (لوك) المرابي الإنجليزي الذي أراد أن يعلم تلميذه مهنة من المهن ليهيئ عن طريق هذا العمل الجسدي سلوى للفكر، وفرصة للراحة والاسترخاء ويقدم للجسد تمريناً مفيداً (عبد الدايم، 1965م، ص255-315) وعلى (رسو) الذي قال: "إنني لا أمل تكرار تلك الحقيقة وهي أن جميع دروس الأطفال يجب أن تكون بطريق العمل لا بطريق الألفاظ. لا تعلمهم شيئاً من الكتب يمكن أن يتعلموه بطريق الخبرة" وعلى (فروبل) و(جون ديوي) أبرز الدعاة في العصر الحديث إلى التدريس عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن لا طريق تعليم الكتب. (ديورانت، ول، 1988م، ص626)

**6- أسلوب التربية بالقدوة:** التربية بالقدوة ذات أثر يفوق أثر الكلام الجميل المنمق ففي الحديثية أمر - ﷺ - بالتحلل من الإحرام بعد أن أتم الصلح بينه وبين المشركين على أن يرجع المسلمون في ذلك العام ثم يقضوا العمرة في العام الذي يليه. ولكنهم كانوا في غاية الشوق إلى البيت الحرام والطواف بالكعبة فشق عليهم أن يرجعوا دون أن يعتمروا وقد أصبحوا على مشارف مكة المكرمة فامتنعوا عن التحلل بالإحرام رجاء أن يغير الرسول - ﷺ - رأيه وشق ذلك عليه ودخل على زوجته أم سلمة - ﷺ - وذكر لها ما لقي منهم فقالت له: يا نبي الله أخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تتحر بدنك، وتحلق شعرك فخرج. ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه وما أن رأوه يفعل ذلك حتى أيقنوا أن الأمر لا رجعة فيه فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً. (ابن كثير، 1966م، ص176) لذلك فعلى الآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم، وتلاميذهم فهؤلاء يميلون إلى محاكاتهم ويتطبعون بطباعهم ويتأثرون بأخلاقهم وصفاتهم أكثر من تأثرهم بما يسمعون من النصائح والدروس قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبح عندهم ما

تركت. علمهم كتاب الله ولا تکرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، رؤهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم وعلمهم سير الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك. (الأندلسي، 1940م، ص346) وقال أبو إسحاق الجندياتي المتوفى 369: "ولا تعلموا أولادكم إلا عند رجل حسن الدين، لأن دين الصبي على دين معلمه" (ابن سحنون، 1392هـ، ص247).

7- أسلوب التربية بالمحاكمة العقلية: من الأساليب التي يمتاز بها القرآن الكريم أسلوب المحاكمة العقلية في توجيه الإنسان نحو الحق والخير (الجمالي، 1980، ص93-95) فالقرآن الكريم يحمل الإنسان على استعمال العقل والمنطق ورؤية الصواب والخطأ، والتمييز بين الحق والباطل بالحجة والمشاهدة الحسية، وليس بالقسر والتقليد الأعمى، والقرآن في ذلك يدعو لا تباع اللطف لا العنف في إفهام الطرف المقابل وكسبه إلى جانب الحق. قال

تعالى: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِلَاتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

(النحل: 125) ومن المحاكمات العقلية التي وردت في القرآن الكريم ما ورد على لسان

إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزْرَأَتَّخِذُ أَصْنَامًا

ءَالِهَةً إِنِّي أَنزَلْتُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ (الأنعام: 74)

8- أسلوب التربية بالاستجواب: طريقة الاستجواب عبارة عن توجيه أسئلة إلى المخاطب تفوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة. وهي من طرائق التدريس الحديثة والقرآن الكريم يستخدمها بشكل معجز ومقنع في الوقت نفسه. قال تعالى: "قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٤﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا

كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ ءَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٠٤﴾

(النمل: 59) وقوله تعالى: "قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ (المؤمنون: 84-87).

**9- أسلوب التربية بالعبر التاريخية:** (الجمالي 1980م، ص92) يسرد القرآن الكريم بعض الحوادث التاريخية للأمم وشعوب غابرة، لعبر أخلاقية، واجتماعية للمجتمعات البشرية في كل زمان ومكان فالكفر والطغيان، والفساد والإخلال بالموازين المادية والمعنوية كلها تعمل على تقويض المجتمع وانهياره وذلك ما حدث لقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم فرعون... فكل هؤلاء هلكوا لخروجهم عن السنن الإلهية المقررة في حياتهم الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية فإذا ما تدبرنا في سورة الأعراف في قوله تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَّا غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ (الأعراف: 59) فهي تصور ما حدث لهذه الأقوام بسبب تخلفهم الروحي، أو الخلق، أو الاجتماعي وعدم إصغائهم للأنبياء والرسول والهداة.

**10- أسلوب التربية بالترغيب والترهيب:** (عمر 2001م، ص221) و(الجمالي، 1980م، ص99) أسلوب الترغيب والترهيب يعد من الأساليب الطبيعية التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان ومكان فهو حافز يدفع إلى التعلم الصحيح والفعل الحسن وتجنب الأخطاء ولا ننكر وجود عاطفتي الحب والكره أو الميل إلى الشيء والنفور منه في نفس كل إنسان فإذا حققت التربية رغبات النفس البشرية وأصبح ما يتعلمه المرء من وسيلة للحصول على ما يرغب فيه أو النجاة مما يخاف منه فإنه يتأثر إلى أبعد الحدود. والقرآن الكريم يستعمل أسلوب الترغيب والترهيب في التربية على نطاق واسع فنتائج عمل الخير طيبة في الدنيا والآخرة. فالقرآن يصور هول جهنم بشكل مرعب، ويغدق بالنعيم على المتقين المجاهدين فاعلي الخير، والمنفقين في سبيل الله، ويصب جام غضبه الإلهي على الكافرين، والظالمين، والمنافقين، والفاسقين، والمحتكرين، والطغاة المتجبرين، والبخلاء، والمبذرين فلا بد للإنسان السوي الذكاء أن يختار طريق الخير في الحياة، طريق المحبة، والرحمة، والتعاون، والإحسان، وحسن معاملة الآخرين وأن الإنسان محاسب على كل عمل يقوم به صغيراً أم كبيراً والجزاء مطابق للعمل لا ظلم ولا عدوان على الإنسان قال تعالى: "يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (الزلزلة 6-8) وقوله تعالى: "وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ (الإسراء 13-14) وقوله: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ (فصلت: 46) ومن الصور الجميلة لما يتمتع به أهل الخير من النعيم في الجنة قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٥٢﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٥٣﴾ (الواقعة 10-12) ومن الصور المروعة لأصحاب الجحيم قوله تعالى: "وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ (غافر 45-46) ولهذا نجد

أن استعمال المثوبات والعقوبات في التربية بالوسائل المادية والمعنوية مجد فتشجيع المتعلم والثناء عليه وترغيبه ومكافأته إن أحسن يؤدي إلى تعزيز إجابته واستمرار تقدمه وزيادة فعالياته. وتأنيب المسيء وعقابه وحرمانه من بعض الأشياء يجعله يعلم أن الأمر جد لا هزل فيه فيصبح أكثر يقظة وانتباهاً وأشد حذراً واهتماماً لتجنب الخطأ والابتعاد عن القبائح والمربي الحكيم هو الذي يضع كل شيء في موضعه ويعامل كل تلميذ بما يناسبه فلا يؤنب من تكفيه الإثارة ولا يضرب من تخرجه العبادة والترغيب والثواب مقدم على الترهيب والعقاب. وقد حذر ابن خلدون من الإفراط في الشدة والعنف وبين عاقبة ذلك في قوله: "إن إرهاب الجسد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك

أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ودعا إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عالية على غيره في ذلك بل وكسلت نفسه عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها وعاد أسفل السافلين. واختلف موقف المربين من العقوبات على مر

العصور: ففي الهند قديماً كان النظام التربوي يبيح العقاب الجسدي. ولدى بني إسرائيل نجد النظام ليناً بعض الشيء ومما يقوله التلمود: "عاقب الأطفال بإحدى يديك وداعبهم بكلتيهما مع أنهم كانوا يبيحون العقاب اليدوي للأطفال الذين يجاوزون الحادية عشرة". أما النظام التربوي المسيحي الذي ساد أوروبا في العصر الأوسط فكان قاسياً وكثير الاستعمال وظل منتشراً حتى اتخذت التربية اتجاهاً مختلفاً على يد جيرسون الذي طلب أن ينجح المعلمون إلى الصبر والشفقة لأن الأطفال الصغار أسهل انقياداً بالمداعبة واللين منهم بالإرهاب والخوف وطالب المعلمين أن يحملوا لطلابهم عطف الأب ورحمته. ومن بعده قام المربي الهولندي (ايراسموس) الذي دعا إلى استبعاد النظام القاسي وأن يستبدل بطرائق التشويق والإغراء ومثله (مونتني) صاحب النزعة الانسانية الذي احتقر العقاب الجسدي الذي كان سائداً في المدارس في زمنه ثم (جون لوك) الذي منع العقاب الجسدي. (عبد الدايم، 1965م، ص242)

**11- أسلوب التربية باللعب:** يميل المرء إلى اللعب واللهو طيلة حياته ثم يقل إليه مع تقدمه في السن وإذا ما جعل اللعب بطريقة منظمة فإنه يؤدي إلى صحة الجسم وتقويته ويخفف الشعور بالمتعة والراحة ويمكن أن يؤدي اللعب المشترك بين عدد من الأفراد إلى تعليم النظام والتعاون ومحبة بعضهم بعضاً غير أن الإفراط في اللعب قد يؤدي إلى ضياع الوقت. (عمر، 2001م، ص219) لذا يجب أن يسمح باللعب في أوقات محددة عقب الساعات المخصصة للدراسة والعمل وأن تتناسب الألعاب مع أعمار الأطفال حتى تكون ذات أثر تربوي ويشير إلى اللعب قوله تعالى: **"وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**

**وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴿٣٢﴾ (الأنعام:32) وأذن الرسول-

ﷺ- للأحباش أن يلعبوا بالحراب في المسجد في يوم العيد لما في ذلك من الفائدة في تعلم الرمي بها وانتقاء ضرباتها، ولما فيه من المتعة والبهجة حتى إنه جعل عائشة رضي الله عنها تنظر إليهم فعنها قالت رأيت-ﷺ- يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو" (أخرجه البخاري في صحيحه5/2006/ رقم 4938) وقد أدرك المربون حاجة الأطفال إلى اللعب فقد حكى معتب بن أبي الأزهر من علماء القيروان قال: "قال لي أبو القاسم عبد الله بن محمد في معرض حديث ما حال صبيانكم في الكتاب قلت له: ولع كثير باللعب. فقال: "إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمايم" يعني أنه لا يمنع الطفل من اللعب إلا أن يكون مريضاً. وقال الغزالي: "ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب أن

يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللهو فإن منع الصبي من اللهو وإرهاقه إلى التعلم دائماً يميئ قلبه، ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة والخلاص رأساً حتى جاء المربي الألماني فروبل الذي جعل اللعب أساساً لعملية التربية في سني الحياة الأولى، واعتباره خير وسيلة يستطيع بها المربي أن يدمج الطفل في علم العلاقات الاجتماعية كحقيقة وأن يلقنه مع الاستقلال والمساعدة المتبادلة وتحقيق فرصة الابتكار.

**12- أسلوب التربية بالغفران:** القرآن الكريم رغم الجهود التربوية الصريحة مع الإنسان فإنه لا يسد في وجه الذين عملوا وضلوا الطريق الصحيح بل يفتح أمامهم الباب على مصراعيه للعودة إلى جادة الصواب وذلك بأن يتوبوا ويستغفروا ربهم ويبدأوا حياة نقيّة ولذلك نجد أن التوبة والغفران هي من أقوى وسائل الإصلاح في التربية وهو ما تعمل التربية الحديثة على الاستفادة منه قدر المستطاع. (الجمالي، 1980، ص101) قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: 110)، "فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (المائدة: 39)، "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿ (طه: 82)، "قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ (الزمر: 53)، "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الأعراف: 156). تلك هي طائفة من

أساليب التربية القرآنية التي لا تحسب أنها يمكن أن تطبق تطبيقاً آلياً فهي إنما تصاغ وتكيف حسب الظروف، والأحوال، ووفق طبيعة الأفراد فالحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله -ﷺ-: "أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم" (أخرجه أبو نعيم في الحلية 4 / 379) فيه من الحكمة التربوية ما يوجب على المعلمين والمعلمات واختصاصيي التربية العمل بموجبه في اختيار الأساليب التربوية التي تتناسب وعقول المتعلمين وظروفهم الخاصة.

#### المبحث الرابع

##### أبرز المشكلات التربوية التي عالجها القرآن الكريم

إجابة للسؤال الرابع "كيف عالج القرآن الكريم أبرز المشكلات التربوية؟" فلقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من القضايا التي ما زالت تثير اهتمام رجال التربية والتعليم لما لها من آثار على العملية التعليمية التعلمية التربوية وأهمها:

أ- القابلية والإعداد التربوي: فلولا قابلية الإنسان للتربية فإن كل جهد يبذل في هذا

المجال يضيع سدى وقد خلق الله الإنسان غير عالم بشيء، ولكنه زوده بالوسائل التي تمكنه من العلم والاستجابة للتربية، وجعل فيها القابلية والاستعداد لهما "

وَاللَّهُ أَحْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُم

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ (النحل: 78) وجعل

لديه القابلية ليسلك طريق الخير أو طريق الشر "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٧٩﴾

وَلِسَانًا وَشَفْتَيْنِ ﴿٨٠﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٨١﴾ (البلد: 8-10) ومع قابلية

الإنسان للتربية واستعداده لها فكثيراً ما يعتريه النفور، ويشعر بالملل والنفور لذلك ينصح علماء التربية بتهيئة الطلاب قبل تقديم المعلومات إليهم ويوصون بجعلهم بحالة يشعرون فيها بالحاجة إلى التعليم

ما تلقوا ما يحتاجون إليه عندئذ فهموه وتأثروا به، وإذا وقع الطالب في مشكلة وأصبح يبحث عن حل لها وطلب من معلمه أن يساعده للخروج منها أمده بالتوجيهات المناسبة فإنه يتلقاها بكل حواسه. (بول منرو، ج2، ب.ت، ص274-296) وقد تحقق هذا المبدأ بنزول القرآن الكريم مفرقاً خاصة الآيات التي نزلت لحل مشكلة أو لبيان حكم شرعي فيما يعرف بأسباب النزول لهذا أوصى المربون بمراعاة القابلية والاستعداد، ونهى القاضي أبو بكر بن العربي أن يخط في التعليم علماً إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط (ابن سحنون، 1992م، ص106)، وكما يؤكد فرويل أن التربية تبدأ بالنشاط الذاتي لدى الطفل.

ب- التدرج في التربية: التدرج في التربية يعني الانطلاق من السهل إلى الصعب والانتقال من الواضح الجلي إلى المعقد الخفي، ومن المألوف المعروف إلى الغريب المجهول ومن العام إلى الخاص بما يعني جعل التربية على خطوات يتلو بعضها بعضاً. ولقد انفق نزول آيات القرآن الكريم مع هذا المبدأ إذ بدأت بالعقيدة واستمرت ثلاث عشرة

سنة تنهى عن عبادة الأصنام والشرك بالله وتأمّر بعبادة الله الواحد وطاعته، وتحث على العمل بشريعته وتدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، وتبشّر المؤمنين بالجنة، وتخوف الكافرين بالعذاب والنار حتى دخل الناس في الإسلام وأصبحوا على استعداد لفعل ما يؤمرون به وترك ما ينهون عنه وحينئذ نزلت بالأحكام الشرعية. (البريزات، ب.ت. ص100) عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل : لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى أبداً " (أخرجه البخاري في صحيحه 4/1910 /رقم 4707) ولقد أخذ علماء التربية بهذه الطريقة قال الإمام الغزالي وهو يبين آداب المتعلم ويوصيه بمراعاة الترتيب والتدرج في تحصيل العلوم "أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج" ويقول ابن خلدون: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا" وأوضح هربرت سبنسر أن التعليم يجب أن يسير من البسيط إلى المركب ومن المحسوس إلى المعنوي، ومن العلمي إلى النظري (بول منزو، ب.ت، ص385) وتعليل ذلك أن قبول العلم والاستعداد لفهمه تنشأ تدريجياً حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل والإحاطة بمسائل هذا الفن.

**ج- الفروق الفردية:** يختلف الناس في ذكائهم، ومواهبهم، وفي ميولهم، وقدراتهم ولهذا أمر الله تبارك وتعالى أن تكون الدعوة والتربية مناسبة لأحوال الناس هذه مراعاة لفروقهم الفردية بينهم قال تعالى: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ (النحل: 125) وهذا يعني مخاطبة العلماء والمفكرين بالحكمة، ودعوة العوام من الناس بالوعظ والإرشاد، والمتقفين والمتعلمين بأسلوب الجدل الحسن الذي يعتمد على ما لديهم من العلوم. وقد أرشد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- المرابين إلى العمل بهذا المبدأ فكان يخاطب كل قوم على قدر عقولهم، ويؤتيهم من الحكمة ما يتناسب مع إفتاهم وينهى عن تكليم الناس بما لا يفهمونه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم" (أخرجه أبو نعيم في الحلية 4/379) "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة" (سنن أبي داود



345/2/ برقم (3658)، "ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم" (أخرجه مسلم في صحيحه 10/1 برقم 5) ولهذا أدرك علماء التربية الأوائل مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين فقال العلماء في بيان آداب المعلم مع طلبته: "يفهم كل واحد بحسب فهمه، ولا يبسط له الكلام بسطاً لا يضبط حفظه ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كلاً على قدر درجته وفهمه وهذا ما تراعيه المناهج الدراسية.

#### د- الزامية التعليم:

أمر الله - تعالى - بنشر العلم وعد كتمانته ذنباً كبيراً يلعن مرتكبه ما لم يتب وينشر العلم المنزل لهداية الناس " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾ (البقرة: 159- 160) وحذر النبي - ﷺ - الذين يمتنعون عن تعليم الناس ما يحتاجون إليه بالعذاب الأليم: " من سئل عن علم فكنمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة" ورجب في طلب العلم ونشره وخاصة القرآن الكريم والسنة والفقاه فقال رسول الله - ﷺ - : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (أخرجه البخاري في صحيحه 4/1919/ برقم 4739) " نضر الله امرئ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرباً مبلغاً أوعى من سامع " (أخرجه الترمذي في سننه 34/5/ برقم 2657) ، "ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين".

(أخرجه البخاري في صحيحه ج1/ ص37/ رقم67) وجعل العلم فرضاً على المسلمين دون تمييز ذكر وأنثى، وشريف وضيع فقال: " طلب العلم فريضة على كل مسلم" (أخرجه ابن ماجه 1/81/ رقم 224) وكان عمر بن الخطاب - ﷺ - يكتب إلى الأفاق أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن - يعني النحو - كما يتعلم القرآن ويقول ابن الربيع: سمعت الشافعي يقول: " من حفظ القرآن عظمت قيمته، ومن طلب الفقه نبذ قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم يصن العلم " (ابن عبد البر، ب.ت، ص205) وبهذا فإن الواجب على ولاة الأمر أن يبذلوا قصارى جهودهم لتحقيق سعادة أوطانهم بوضع الأسس الصحيحة لتربية الجيل تربية فكرية ودينية سليمة ؛ لتعويدهم الخوف من الله سبحانه وتعالى وتوجيههم نحو الأهداف النبيلة التي ترضي الله تعالى وجعل التعليم إلزامياً وتهيئة كل ما يلزم من إعداد معلمين ومناهج ومباني وإشراف فني وإداري.

هـ - مجانية التعليم: أشار القرآن الكريم إلى مجانية التعليم حين بين أن الرسل - ﷺ - وهم أعظم المرابين كانوا يعلمون أقوالهم دون أن يأخذوا أجراً منهم قال تعالى: " وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ (الشعراء: 109).

وقال مخاطباً رسوله - ﷺ - " قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (سبأ: 47) وحذر رب العزة والجلالة من الامتناع عن تعليم ما أنزله من الكتب دون مقابل ومن جعل كتابه وسيلة للحصول على الكسب الرخيص، " إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلَاتِهِمْ فَمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ (البقرة: 174) وهياً الرسول - ﷺ - التعليم

لأصحابه دون مقابل حين جعل فداء الرجل المتعلم من أسرى بدر أن يعلم عشرة من أبناء الأنصار دون أن يطالبهم بشيء. وهذا ما دفع العلماء للحرص على نشر العلم لا يبتغون بذلك أجراً إلا من الله - عز وجل - وقالوا: لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على العلم ثمناً (الأندلسي، 1940م، ص87) وبهذا يتضح

فضل القرآن الكريم في الإشارة لمبدأ إلزامية التعليم ومجانيته في عصر غلبت فيه الأمية على الناس وقصر العلم على الأمراء والوجهاء ولما دخلوا في دين الله أفواجاً أقبل الناس على العلم ينهلون من معينه دون تمييز بين غني وفقير أو شريف ووضيع فكانت تلك الحضارة الإسلامية والنهضة العلمية الرائعة التي وصلوا إليها والتي نفتخر بها إلى الآن.

### نتائج والتوصيات والمقترحات

**النتائج:** على أثر هذه الدراسة تبين:

\* مدى ضرورة الأخذ بالمنهج القرآني التربوي ؛ لحل الكثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات من بؤس، وشقاء، وعناء، وفقدان للأمن، والتلوث البيئي... بنوع من التربية التي تتلاءم وتتفق مع الواقع المعقد الذي يحيط بنا وبعصرنا هذا، وتخفف من آلامه ومعاناته. وذلك في ضوء إعداد الإنسان الصالح المصلح لغيره ولمجتمعه.

\* نظرة القرآن لهذا الإنسان بأن الناس جميعاً متساوون فيما بينهم، ويجب أن يكونوا متعاونين على أساس العدل والإحسان، ووفق منهج تربوي متناسب مع خصائص الإنسان؛ ليحيا كريم النفس يمتنع عن الذل والظلم والطغيان.

\* أن هذا الكون المحيط بهذا الإنسان شاهد على وجود الخالق المبدع؛ ليستفيد منه، ويعمل لبناء الحضارة الإنسانية، ويحقق الغاية التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

\* الهدف الأسمى لهذه التربية إعداد الإنسان الصالح الذي يقوم بعبادة الله، وعمارة الأرض وفق أساليب ووسائل تربوية نجدها متعددة ومتنوعة أشار إليها القرآن الكريم، وترك اختيار الأسلوب المناسب لتنفيذها لحكمة المربي وخبرته بما يتوافق والحالة التي يتعامل معها، والبيئة المحيطة به والظروف المتغيرة على مر الزمن ووفق قاعد وأسس تقوم على ركائز (العقيدة - العبادات - الأخلاق) ومرشداً إلى أهم المشكلات التربوية وكيفية تذليلها في مثل: القابلية، والإعداد التربوي، مراعاة الفروق الفردية... وبما يؤدي إلى النهوض بالعملية التعليمية التربوية. وحتى نصل جميعاً بمجتمعنا لهذه النهضة المنشودة حماية لقلادات الأكبادة الثروة الحقيقية يورد الباحث **التوصيات التالية:**

#### أ- في مجال الأسرة:

المؤسسة التعليمية الأولى التي يتلقى فيها الطفل الرعاية الأولية طوال فترة طفولته التي تعد أطول طفولة في حياة أي كائن حي والحق أراد أن تطول كي تتمكن فيها الجذور الإيمانية العميقة التي تمنحه قوة التماسك عندما يكبر ويتعرض لشهوات الحياة، وإغراءات الانحراف مما يحتم التربية الأساسية السليمة الأولى لإعداد الإنسان الصالح ولهذا يوصي الباحث بالتالي:

- المساواة بين الأبناء في المعاملة ذكوراً وإناثاً.

- حرص الوالدين للجلوس مع الأبناء والاستماع إليهم، وتوجيههم دوماً.

- عدم منع الأبناء من الرفاق، لإشباع حاجة الصداقة بمراقبتهم وترشيد اختيار الأصدقاء واستغلال وقت فراغ الأبناء في المفيد النافع لهم.
- استعمال أسلوب الترغيب والترهيب بحكمة في تربية الأبناء وضرورة الأخذ بالتنوع في أساليب التربية: الموعظة - التربية بالقوة...
- تعويد الأبناء إلى عدم الاستغراق في التمتع وممارسة الرياضة.
- الحرص على إنشاء مكتبة منزلية خاصة بالأبناء وتشجيعهم على القراءة وكيفية استخدام الكتاب ورده في مكانه المخصص.
- تعريف الأبناء بالفرائض وتنفيذها عملياً منذ طفولتهم: الصلاة، الصوم، وتعليمهم الآداب الفاضلة من استئذان، آداب الأكل، الشكر، الحديث...
- الاتصال المستمر بالمدرسة التي ينتمي إليها الأبناء للاطلاع على مستواهم ومساعدة المدرسة في إيجاد الحلول للمشكلات التي قد تواجههم.

#### ب - في مجال المدرسة:

- الاهتمام بالأفراد كأفراد وتعزيز الشخصية الإسلامية، وقبول الفروق الفردية بينهم سواء كانت في التعليم، أو القدرات العقلية، أو المستويات الاجتماعية، أو الاقتصادية والتوزيع الجغرافي.
- جعل الطالب محور العملية التعليمية في بيئة صحية آمنة.
- الاهتمام بجوانب النمو (الجسمي، والعقلي، والنفسي، والاجتماعي) للطلاب وتعزيز السمات الإنسانية في شخصياتهم.
- تعزيز الترابط الأسري والانتماء نحو المجتمع، والشعور بالوطنية على المستوى المحلي والإسلامي الأوسع.
- تدريب الطلاب على سماع الرأي الآخر والتعامل معه بهدوء وثقة.
- توعية الطلبة بأهمية العمل التطوعي وتدريبهم عليه لما فيه من فوائد تتمثل في: القضاء على الفراغ واكتساب صفات الشخصية الإيجابية والتخلص من السلبية، وتعليمهم ضبط النفس، والقدرة على تحمل المسؤولية، واتخاذ القرار، وتحقيق مفهوم المواطنة).

#### ج - في مجال صياغة المناهج وتطويرها:

- حتى تواكب مناهج التربية الإسلامية المستجدات والقضايا العصرية لإعداد الإنسان الصالح يوصي الباحث:

- أن يكون الغرض الأساس لمناهج التعليم العام موجهاً لتنمية روح الأخلاق الإسلامية والإيمان بطبيعة هذا الدين ومنهجه وأهدافه في الحياة؛ ليكون نتاج هذا التعليم شاباً مسلماً بالقيم الإسلامية والمعارف الأساسية.
- ألا تكون الغاية من مواد التربية الإسلامية (القرآن الكريم، والفقه، والحديث، والتوحيد...) بمجرد دراسة هذه المواد بل بتغلغل روح الإسلام إلى درجة التشبع في كل المواد التي تدرس وأن ننظر إلى العلوم من وجهة نظر القرآن الكريم.
- ضرورة إعادة النظر في الاهتمام بالتربية الخلقية أخذاً بالقاعدة السماوية " **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ**

**خُلِقْتَ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ " (القلم: 4).

- بث حب التربية الإسلامية في نفوس الطلاب وحثهم على الاعتزاز بدراستها لا رغبة في النجاح في المقرر بل لنيل الأجر والثواب وتحقيق ذلك بالأساليب التربوية المتنوعة بالقدوة- وقراءة تاريخ العلماء المسلمين.
- وجوب دراسة القرآن الكريم وتدبره وفهم معانيه وجعله من المواد المقررة الرئيسية في المقررات الدراسية للتعليم العام.
- الربط بين فروع التربية الإسلامية والنظرة الشمولية للتربية الإسلامية بربط فروعها عند إعداد مناهج التربية الإسلامية لمراحل التعليم العام.
- تضمين مناهج التربية الإسلامية القضايا المعاصرة والمشكلات البيئية وربط الطلاب بمجتمعهم، وتنمية قيم الولاء بالانتماء.
- تأليف كتب التربية الإسلامية بصورة تركز على النشاط والتعليم الذاتي وتبرز المفاهيم في أشكال تخطيطية وتخطب الوجدان كما تخاطب العقل.

#### د - في مجال كليات التربية (إعداد المعلمين):

- إعداد معلم التربية الإسلامية بما يتطلب من إلمام أساليب وطرائق تنمي التفكير، وتعديل السلوك والقيم؛ ليكون هذا المعلم قادراً على مواجهة المستقبل بأن تتوافر لديه مهارات رئيسة هي: صاحب رؤية نقدية- قادر على الجدل والتي هي أحسن- مبدعاً بقدر ما يستطيع حتى يكون قادراً على إعداد الإنسان الصالح المصلح لمجتمعه.
- هـ- **الإعلام**: لوسائل الإعلام بأنواعه (المسموع- المقروء- المرئي) دور تربوي فاعل إذا أحسن استخدامها وابتعدت عن البرامج المستوردة وانتهج النهج القرآني التربوي ولهذا يوصي الباحث بالتالي وصولاً لإعداد الإنسان الصالح:

## إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية

- إعداد برامج إعلامية توعوية أسرية تهتم بالتربية الإيمانية الركيزة الأساسية في حياة الإنسان.
- إعداد برامج إذاعية بصورة تثري فكر الطفل وتنمي فيه روح الابتكار والقيم الإسلامية الحميدة.
- التعاون بين وزارة التربية والتعليم، ووزارة الإعلام، ووزارة الشباب، والجامعات ؛ لإنتاج برامج تربوية تعليمية هادفة تتناسب وأعمار الأطفال المختلفة.

### المقترحات:

- أثارت هذه الدراسة عدداً من المقترحات التي تحتاج إلى مزيد من البحوث والدراسات منها:
- إجراء دراسة عن كيفية توعية الوالدين بدورهما في تربية النشء.
  - إجراء دراسة حول خصائص ومتطلبات تنشئة الطفل الفلسطيني لمساعدته في التعرف على الذات ومساعدة نفسه بنفسه.
  - إجراء دراسة استطلاعية حول تغطية وسائل الإعلام في فلسطين لثقافة إعداد الإنسان الصالح.
  - إجراء دراسة لاستخلاص التوجيهات القرآنية للناشئة ليسيروا على ضوئها في حياتهم.
  - الإكثار من المسابقات المتعلقة بمعاني القرآن، وفهم أحكامه، وتفسيره، وتخصيص الجوائز القيمة لذلك.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- 1- ابن القيم، الجوزية - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق الرفاعي، أحمد والحرثاني عصام- بيروت: دار الجيل 1991م.
  - 2- ابن سحنون، محمد -آداب المعلمين- تحقيق حسن حسني- تونس: دار الكتب 1992م.
  - 3- ابن عبد البر - جامع بيان العلم وفضله- اختصار المحمضاني أحمد- القاهرة: مطبوعات الموسوعة المصرية(ب-ت)
  - 4- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ- البداية والنهاية- بيروت 1966م.
  - 5- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين- لسان العرب- مصر: دار المعارف.
  - 6- أبو نعيم أحمد عبد الله الأصبهاني- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- بيروت: دار الكتاب ط4 1405هـ.
  - 7- الأندلسي، ابن عبد ربه - العقد الفريد- القاهرة: لجنة التأليف والطبع والنشر (ب-ت).
  - 8- البريزات، عبد الحفيظ- نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي الرياضي: دار الفرقان (ب-ت).
  - 9- البشير، نزيهة بابكر- دور الأم في تربية أبنائها في ضوء المنهج الإسلامي- جامعة الخرطوم، كلية التربية: رسالة ماجستير بحث غير منشور.
  - 10- البوطي، محمد-منهج الحضارة الانسانية في القرآن- دمشق: دار الفكر 1982م.
  - 11- الجمالي، محمد فاضل - الفلسفة التربوية في القرآن الكريم- بيروت: دار الكتاب الجديد 1980م.
  - 12- الحمادي، شفيق - أساليب الرسول - ﷺ - في تربية الأسرة المسلمة- مؤتمر التشريع الإسلامي ومتطلبات الواقع 13-14 مارس 2006، غزة: كلية الشريعة والقانون الدولي- الجامعة الإسلامية.
  - 13- الدولبي، محمد - ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الانسان- الرياض: مطابع العصر 1986م.
  - 14- الصوينع- المنهاج إلى أصول الدين- الرياض: ط4 1999م.
  - 15- الكيلاني، ماجد- فلسفة التربية الإسلامية- بيروت: مكتبة هادي ط2 1988م.
  - 16- العسقلاني، ابن حجر- الإصابة في تمييز الصحابة- القاهرة: المكتبة التجارية ج2 1999م.

- 17- النابلسي، محمد - وقفات في معالم التربية المحمدية- الرياض: دار الخزاز 1998م.
- 18- النحلاوي، عبد الرحمن- التربية بالآيات - دمشق: دار الفكر 1989م.
- 19- جلو، الحسين جرنو- منهج القرآن التربوي في أسباب النزول جامعة دمشق- كلية التربية: رسالة دكتوراه بحث غير منشور.
- 20- حلس، داود - منهج الرسول - ﷺ - في التعامل مع الناشئة الرياض: مسابقة البحوث الإسلامية على مستوى منطقة الرياض التعليمية بحث غير منشور 2000م.
- 21- حلس، داود - وقفات في معالم العقيدة الإسلامية- غزة: مكتبة آفاق 2006م.
- 22- دائل كرنجي- دع القلق وابدأ الحياة- ترجمة عبد المنعم الزيايدي القاهرة: (ت. ب).
- 23- ديورانت ول- قصة الفلسفة من أفلاطون إلى ديوي- ترجمة فتح الله المشعشع- بيروت مكتبة المعارف ط6 1988م
- 24- زر زور، عدنان- مقدمة في العقيدة الإسلامية- دمشق: دار الفت 1976م.
- 25- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- بيروت: دار الفكر.
- 26- عبد الدايم، عبد الله- تاريخ التربية- دمشق: المطبعة الجديدة 1965م.
- 27- قطامي، نايفة- مهارات التدريس الفعال- عمان: دار الفكر 2004م.
- 28- مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي- موطأ الإمام مالك، تحقيق تقي الدين النووي- دمشق: دار القلم 1991م.
- 29- مرعشلي، نديم ومرعشلي، أسامة- الصحاح في اللغة والعلوم العربية تجديد صحاح الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية- بيروت: دار الحضارة العربية 1974م.
- 30- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي- الجامع الصحيح المختصر- بيروت: دار ابن كثير 1987م.
- 31- محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري- المستدرک على الصحيحين- بيروت: دار الكتب العلمية 1990م.
- 32- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي- الجامع الصحيح سنن الترمذي- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 33- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: بيروت: دار الفكر.



34- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - بيروت: دار إحياء التراث العربي.

35- منزو، بول - المرجع في تاريخ التربية- ترجمة صالح عبد العزيز - القاهرة: مكتبة النهضة (ب-ت).

36- (<http://www.ikhwansyriaCom/21/1/2008>).

37- (<http://www.arrasoul.org/25/3/2008>)

التميز التربوي

من منظور إسلامي

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:

"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

أ. مصطفى يوسف منصور

محاضر في قسم أصول التربية

الجامعة الإسلامية

18، 19 ذي الحجة 1429هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

### ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى تأصيل مفهوم التميز التربوي من خلال استقراء الآيات الكريمة وبعض الأحاديث الشريفة وبعض أقوال العلماء المسلمين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب تحليل المحتوى من ناحية كيفية كأحد تقنيات المنهج الوصفي، وأظهرت الدراسة تأكيد الإسلام على مفهوم التميز القائم على الإتيان والإحسان، وانطلاقه من تميز التربية الإسلامية ومنهجها أهدافاً وأساليب ومحتوى وتقويماً، وهو تميز عقدي أخلاقي تربوي.

وكشفت الدراسة عن كثير من مقومات التميز التربوي مثل تقديم التربية على التعليم، ومنظومة من القيم التربوية الإسلامية، ونوعية متميزة من الأداء، ووجود المعلم القدوة، وتعليم التفكير الإبداعي وربطه بالإيمان، إلى جانب بيئة تربوية مشوقة، وفعالية اجتماعية، وإعلاء لقيمة العلم والمعلم، والتقويم المستمر والأخذ بالمفهوم الإسلامي للثواب والعقاب، والنظام وال ضبط والانضباط.

وأوصت الدراسة بنشر ثقافة التميز والإبداع والتقويم، إلى جانب تهيئة مناخ مدرسي ملائم لعملية التعليم والتعلم، وربط أهداف التربية والمدرسة وأساليبها بالهدف الأسمى وهو عبادة الله.

#### **Abstract:**

This study aimed to cauterize the concept of educational excellence through exploration in holy Quran and Al-Hadeeth besides literature of Muslim scientists.

The researcher used analytical descriptive method and analysis of content through qualitative approach as one of the descriptive methods. The study shows that Islam emphasizes the concepts of excellence which depend on quality and mastery. This excellence grows from the excellence of Islamic education and its curriculum in goals, methods, content and evaluation. The study shows many fundamentals of the educational excellence e.g. the education precedes teaching, a system of Islamic values, high quality of performance, an ideal teacher, teaching of the creative thinking linked to Iman, exciting environment, etc. The study recommended to spread the culture of the excellence, creativity and evaluation, and to create an exciting environment of school for learning and teaching process, and to link the goals of education and school to the higher goal which is worshipping Allah.

## التميز التربوي

### من منظور إسلامي

لقد ميز الله تعالى هذه الأمة عن غيرها من الأمم بأن اصطفاهما واختصها بأفضل رسالاته وخير رسله وأحسن كتبه، لتكون الأمة الشاهدة على الناس، والمحقة للشهود الحضاري والتميز التربوي، لذلك فلا غرو أن يكون التميز هدفا تربويا وإيمانيا وسلوكيا في إخراج هذه الأمة وإعطائها هويتها المتميزة (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (آل عمران: 179)، "فقد أخرج الله الأمة المسلمة لتؤدي دورا كونيا كبيرا ولتحمل منهاج إلهيا عظيما، ولتنشئ في الأرض واقعا فريدا ونظاما جديدا وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والصفاء والتميز والتماسك" (قطب، 1980، ج1، ص525). وإن دور التربية هو إيصال المرابي إلى درجة كماله لتجعل منه شخصية إيجابية فاعلة في تحقيق وسطية الأمة الوسط في التصور والاعتقاد وفي التفكير والشعور والتنظيم والتنسيق والارتباطات والعلاقات، "إن ما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها هو أنها قد تخلت في كثير من أمور حياتها عن منهج الله الذي اختاره لها واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي اختارها الله لها واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها" (مدكور، 1991، ص109)، والأمة الإسلامية أمة لها ذات متميزة، وليست شعبا مختارا إلا في حدود قيامها بالرسالة (عويس، 1994، ص125).

والمتمثل لتوجيهات القرآن الكريم يرى أن تعاليمه جاءت داعية إلى تربية للتميز ابتداء من التصورات التي طرحتها لإعداد الإنسان الصالح، وتصحيح نظرة الإنسان للكون والحياة، وربط الإبداع بالإيمان، وانتهاء بالغاية الكبرى من خلق الإنسان وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فليس الهدف من التعليم والتعلم تنمية الإبداع فقط أو تنمية التفكير، لكن يجب أن يوجه هذا التفكير والإبداع من أجل تعزيز الإيمان والبناء الإيماني للفرد والأمة والمجتمع. فالتوجيه القرآني يدعو للإحسان والامتياز في القول والعمل ويرغب فيه (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) (الكهف: 30)، والرسول الكريم يدعو إلى الإتقان "إن الله يحب العامل إذا عمل أن يتقن" (العجلوني، ج11، ص285)،

كما أن المتمثل للقرآن الكريم وتوجيهاته يجد أن الإسلام يجعل من التميز والجودة مفهومي أساسيين من المفاهيم التربوية الإسلامية، وإن تغير المصطلح قليلا. ونظرا لأهمية التميز في صياغة الشخصية وفي تحقيق الجودة في مخرجات العمل التربوي فقد شغل مفهوم التميز التربوي ومفهوم المدرسة المتميزة المربين

## التميز التربوي من منظور إسلامي

والمفكرين التربويين، وغدا من المفاهيم الهامة المطروحة في الساحة التربوية، إلى جانب مفهوم الجودة، ويحفل الأدب التربوي بكتابات عديدة تتناول الجودة للتميز، كما تُعقد لها المؤتمرات والبرامج، مثل المشروع التي تقوم به الأونروا لاختيار المدارس المتميزة.

لذلك فلا بد من إيضاح مفهوم التميز التربوي وانعكاس ذلك على أداء المدرسة وخصائصها حتى تنطلق لأداء رسالتها على بيئة وهدى من ربها، بعيدا عن المفاهيم الوافدة التي تجتزئ مفهوم التميز وتنقص مفهوم الجودة بجعله مقتصرًا على التحصيل العلمي بعيدا عن الأبعاد الأخرى الإيمانية منها والأخلاقية والاجتماعية، فتوجيهات القرآن الكريم أكثر صدقا ووضوحا وأقوم قبلا في تحديد التميز ومفاهيمه، فتوجيهاته لا تقبل تميزا علميا فقط (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (الروم: 7)، وهي لا تقبل إبداعا علمانيا، وإنما إبداعا وعلميا يدعو إلى الإيمان و إن كان هناك لقاء بين التربية الإسلامية وغيرها من نظم التربية فهو "لقاء في جزئية من الحق و في بعض جوانبه ولكن تبقى التربية الإسلامية تربية ربانية متميزة" (النجار، 1990، ص225)، فهي ذات نظرة شاملة في القول والعمل، وفي التربية منهاجاً ومعلماً وكتاباً، وفي العملية التعليمية التعلمية بكاملها داخل المدرسة وخارجها.

ولاستشعار الباحث بأهمية تأصيل هذه المفاهيم، فتأصيلها ضرورة شرعية فضلا عن أنها تربوية، والقرآن لم يترك هذه الأمة هملا بل أوضح لها تربية متميزة ومنهاجا بينا وعلى بصيرة.

لذلك تجيء الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم التميز التربوي من منظور إسلامي؟
2. ما الأهمية الشرعية والتربوية للتميز؟
3. ما مقومات التميز التربوي من منظور إسلامي؟

### أهداف الدراسة:

- 1- التعرف إلى مفهوم التميز التربوي من منظور إسلامي.
- 2- إبراز الأهمية الشرعية والتربوية للتميز.
- 3- الكشف عن مقومات التميز التربوي من منظور إسلامي.

### أهمية الدراسة:

- 1- المساهمة في تأصيل مفهوم التميز التربوي من منظور إسلامي.
- 2- تشكل إطارا مرجعيا لقياس فعالية تميز المدرسة.
- 3- قد يفيد منها مخططو المناهج والموجهون التربويون والمعلمون والآباء.

### حدود الدراسة:

ستقتصر الدراسة على مقومات التميز التربوي ذات الصلة بتميز المدرسة دون غيرها من وسائط التربية كالأسرة والمسجد والإعلام.

### مصطلحات الدراسة:

التميز التربوي هو عملية مقصودة تتم بأداء نموذجي تقوم على مفاهيم الإحسان والإتقان والإحكام والتجويد، تستهدف إعداد الإنسان الصالح (إنسان المثل الأعلى)، المميز في عقيدته وأخلاقه وسلوكه، في ضوء تميز منهاج تربية الإسلام أهدافا ومحتوى وأساليب وتقويما.

### منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب تحليل المحتوى بالوقوف على الآيات الكريمة وبعض الأحاديث النبوية وبعض أقوال العلماء المسلمين، واستخراج ما فيها من مضامين تتعلق بموضوع التميز، ثم تصنيفها وإدراجها تحت الجانب الخاص بها من تساؤلات الدراسة.

### بعض الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على دراسات مباشرة تتناول التميز التربوي من منظور إسلامي، ولكن توجد العديد من الدراسات التي تتناول الجودة في التعليم العام، أما الدراسات ذات الصلة فهي قليلة، يعرضها الباحث كما يلي:

- 1- دراسة أبو دف و الوصيفي (2007) بعنوان "جودة التعليم في التصور الإسلامي، مفاهيم وتطبيقات": هدفت الدراسة إلى تأصيل مفهوم الجودة في التعليم من خلال الآيات والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين، وأظهرت الدراسة سبق الإسلام في التأكيد على جودة التعليم تحت مسمى الإحسان والإتقان، وبينت العديد من المحفزات لتحسين التعليم كالحث على العمل الصالح والإحسان في العلم وتشجيع التشديد

والتطوير، كما بينت جملة من المعايير منها ما يتعلق بالمحتوى والتحصيل وطرائق التدريس وجودة المذاكرة وإدارة الصف.

2- دراسة دياب (2007) بعنوان "تطوير أداة لقياس جودة المدارس وتوظيفها في قياس جودة تميز مدارس التعليم العام بقطاع غزة" هدفت الدراسة إلى بناء أداة موضوعية لقياس جودة المدارس في التعليم العام، تضمنت المقياس 82 فقرة وفي ضوء نتائج تطبيق المقياس أوصى الباحث بضرورة نشر ثقافة الجودة الشاملة داخل مدارس التعليم العام والإفادة من هذا المقياس وتحديد مدى توافر معايير الجودة في التعليم.

3- دراسة منصور (2007) بعنوان "مقومات المدرسة الفاعلة من منظور تربوي إسلامي": هدفت الدراسة على التعرف على مقومات المدرسة الفاعلة من منظور تربوي إسلامي من خلال الآيات والأحاديث النبوية وآراء علماء المسلمين، وأظهرت الدراسة بعض المقومات ومنها أنها ذات فلسفة ورؤية واضحة وأهداف ورسالة متميزة ومدرسون فعالون ومناخ مدرسي صحي وثقافة انضباط عالية.

4- دراسة ثابت (2007) بعنوان "مقومات البيئة المحفزة من منظور إسلامي": هدفت الدراسة إلى تحديد مقومات البيئة المحفزة للتعلم من منظور إسلامي وتحديد مجموعة من الأسس اللازمة لتوفير بيئة محفزة للتعلم وأظهرت الدراسة وجود جملة من المقومات منها الحرص على إتمام العلم وإكماله والتأهيل المهني المناسب والمستمر للمعلم وأن يكون المعلم قدوة لتلاميذه ومراعاة الفروق الفردية والاهتمام بميول المتعلمين وتنويع أساليب التدريس وتقديم التعزيز المعنوي والمادي وتعزيز العلاقة بين البيت والمدرسة

5- دراسة شاهين و شندي (2004) بعنوان "جودة التعليم من منظور إسلامي": هدفت الدراسة إلى استنباط معايير تربوية من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة واجتهادات علماء المسلمين التي تؤكد على جودة التعليم وإتقانه، وتوصلت الدراسة إلى أن جودة التعليم هي بمعنى الإتقان وهو أبعد من مفهوم الجودة، وترتبط بمراعاة خصائص المعلم ومؤهلاته مع تنوع مصادر التعليم وطرق التدريس ومراعاة الفروق بين المتعلمين والنصح لهم.

6- دراسة حلمي و فضل (1998) بعنوان "مفهوم الجودة الشاملة بالتعليم" هدفت الدراسة إلى التعرف إلى مدى تحقيق معايير الجودة ومؤشرات التميز في المدرسة العربية وتوصلت الدراسة إلى أن الإدارات المدرسية لا تشجع الابتكار والتجديد

## التميز التربوي من منظور إسلامي

بالإضافة إلى غياب الدافعية والرغبة في التغيير وخلصت إلى ضرورة توافر عدد من المعايير والمؤشرات التي تتعلق بصلاحيات المدير والمعلم والبيئة المدرسية.

### تعليق على الدراسات السابقة:

أكدت الدراسات السابقة على سبق الإسلام في التأكيد على مفهوم الجودة وقيام هذا المفهوم على الإتقان وأن الجودة تتناول المعلم ومصادر التعليم وطرق التدريس وإدارة الصف، وتختلف الدراسة الحالية عما سبقها في أنها تتناول مفهوم التميز في حين تناولت الدراسات السابقة مفهوم الجودة وفعالية المدرسة كمدخل للتميز، ومؤشرات ومعايير الجودة في التعليم العام كما أن الدراسة توصل لمفهوم تتعدد مداخله كتميز الأهداف والمحتوى والأساليب والتقويم وغير ذلك من خلال المنظور التربوي الإسلامي.

أولاً/ الإجابة عن السؤال الأول والذي ينص على: ما مفهوم التميز التربوي من منظور إسلامي؟

التميز لغة: جاء في المعجم الوسيط تميز القوم ساروا في ناحية وانفردوا، والميز الرفعة، وامتاز الشيء بدا فضله على مثله، وامتاز انفصل عن غيره وانعزل، وفي التنزيل (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) (يس: 59) أي انفردوا عن المؤمنين أي تميزوا (ابن منظور، ج5، ص554)، وماز الأذى عن الطريق نجاه وأزاله (أنيس وآخرون، 1972، ص893)، والميز والتميز الفصل بين المتشابهات (الزين، 1980، ص855).

مما سبق يتضح أن المعنى اللغوي للتميز يتضمن:

- 1- الانفرد والانفصال وسلوك طريق منفرد.
- 2- التخلص من الأذى وإزالته.
- 3- تحمل معنى الأفضلية عن المثل والشبيه.
- 4- معنى الرفعة والسمو، ودرجة تفوق.

أما في الإسلام فيعتبر مفهوم التميز من المفاهيم الراسخة في التوجيه القرآني والتربية الإسلامية لإخراج الأمة المسلمة وإعداد أجيالها وتربيتهم وفق منهج القرآن الكريم وتعاليمه الخالدة، فإن "من أخص خصائص التربية القرآنية أنها توصل روح التميز التام للأمة المسلمة في القول والعمل وكل نواحي السلوك، تميزا يبتعد بها عن كل تشبه بغيرها من الأمم المخالفة لها في العقيدة والخلق والاتجاه، في كل شأن يمس وجودها المتفرد وأوضاعها الاجتماعية وطابع شخصيتها العامة" (خيال والجوهري، 1993، ص217)، ويتأكد ذلك في توجيهات الإسلام العديدة، فقد دعا الإسلام إلى تكوين الشخصية الإسلامية الربانية الصبغة، الإيمانية الوجهة (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات



والأرض حنيفا) (الأنعام: 79)، (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (البقرة: 143)، كما نهى عن التشبه بالكفار والمشركين واليهود والنصارى وأمر بمخالفتهم، وثبت عقيدة الولاء والبراء، ورسخ مفهوم المفصلة (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (المجادلة: 22).

والتمييز الإسلامي ليس تميزا عنصريا، بل تميز عقدي تربوي، تدعو إليه تعاليم الإسلام ليس من منطلق الاستعلاء على البشرية بل لصالح البشرية (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (الأنعام: 153)، (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (الفاتحة: 6-7).

والمخالفة هي إيجابية وليست سلبية، فهي تصحيح لجوانب القصور والخطأ، وتحمل معنى التحسين والاستدراك، ويوضح ذلك ما جاء في الهدي النبوي "عن ابن عباس قال: صام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، قال فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، (رواه مسلم، 797/2 حديث: 1134)، وقال ابن عباس صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود" (ناصف، 1961، ص 189)، فهذه المخالفة تحمل معنى أكمل وزيادة خير وليس نقصا أو بعدا عن سواء السبيل، ويبين (ابن قيم الجوزية، د.ت.، ج 1، ص 167) "أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة مع الإتيان بها"، فالتمييز الإسلامي لا يعني مخالفة الكفار فقط وعدم التشبه بهم فهذا مطلوب، بل يعني الامتياز والأفضلية والخيرية، ولا يعني نهى الإسلام عن التشبه بالكفار أنه مخالفتهم في إحسانهم، فحتى لو أحسنوا أو أتقنوا في بعض الأمور، فنحن أولى بالإحسان في العقيدة والتربية منهم، فالمخالفة تعني التميز باتباع سبيل الله ومنهجه القويم وصراطه المستقيم.

ويرتبط مفهوم التميز في الإسلام بمفاهيم عدة كالجودة والإحسان والإتقان والإحكام والإكمال والإتمام والوفاء والعمل الصالح والإخلاص والإصلاح، وكثير من التوجيهات القرآنية تشير إلى هذا، فالإحسان (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة: 195)، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل: 90)، (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) (الكهف: 7)، والإتقان (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) (النمل: 88)، وجاء في الحديث الشريف "الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة" (مسلم، د.ت.، ج 1، ص 549)، كما جاء أيضا "إن الله يحب العامل

إذا عمل أن يتقن" (العجلوني، ج11، ص285)، والإحكام (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود: 1)، والإكمال والإتمام (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (المائدة: 3)، والوفاء (وإبراهيم الذي وفى) (النجم: 37)، والعمل الصالح والإخلاص (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (الكهف: 110)، والإصلاح (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) (هود: 88).

ومن جانب آخر فإن التميز ينطلق من تميز التربية الإسلامية، فهي تربية للامتياز والتفوق في كل المجالات: العقيدة والأخلاق والتربية، ويلاحظ ذلك في كل توجيهات الإسلام ومفاهيمه ومبادئه، وهي في الأساس تربية متميزة تقوم على تميز المنهاج فهو شامل مترابط يدور حول ربط الإنسان بالله، (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) (المائدة: 48)، يتضح فيما يلي:

- تميز الأهداف: إخراج الإنسان الصالح المصلح العابد وليس المواطن الصالح، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: 56)، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: 13)، (وكان أبوهم صالحاً) (الكهف: 82).
- تميز المحتوى: فهو يتسق مع التصور الإسلامي وينطلق من روح الإيمان كما وكيفا في جميع جزئياته، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (النساء: 82)، وهو شامل متكامل (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام: 38).
- تميز الأساليب والوسائل: فهي تعمل على وصل الإنسان بالله، وتراعي جميع أنماط التعلم، (وكذلك نصرف الآيات) (الأنعام: 105)، وتخطب العقل والعاطفة والروح.
- تميز التقويم: التقويم ينصب على السلوك و هو شامل مستمر (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (الملك: 2).

لذلك فالتميز التربوي كما يعرفه الباحث: هو عملية مقصودة تتم بأداء نموذجي تقوم على مفاهيم الإحسان والإتقان والإحكام والتجويد، تستهدف إعداد الإنسان الصالح (إنسان المثل الأعلى)، المميز في عقيدته وأخلاقه وسلوكه، في ضوء تميز منهاج تربية الإسلام أهدافاً ومحتوى وأساليب وتقويماً.

ويلاحظ أن مجالات عمل التربية في الإسلام تتسم بالاتساع والشمول والرحابة والعمق، فهي ذات أهداف سامية ورسالة واضحة دون إغفال لأي جانب أو مجال لبناء الفرد والأمة والمجتمع، في حين لا يمثل الجانب العقدي أو الأخلاقي أي بعد في بعض

مفاهيم التميز، فمثلاً تعرّف (وكالة الغوث الدولية، 2006، ص1) المدارس المتميزة بأنها "برنامج تطوعي لثلاثين مدرسة من مدارس الأونروا لدعم وتشجيع إنجازات التميز في كل نواحي التعليم لدى الأطفال اللاجئين، حيث يتم تطبيق معايير جودة وأهداف أداء محددة، ومراقبة التقدم نحو أداء وإنجاز هذه المعايير والأهداف"، فهي مدارس تميزت باستخدام برامج المعالجة، وبرامج التوجيه التربوي المكثف، واعتماد خطط إستراتيجية في مجالات التخطيط التربوي والتدريب (غراب وأبو سلطان، 2007، ص316)، ويلاحظ أن المجال العقدي والأخلاقي كانا غائبين عن مجالات برنامج التميز.

يؤكد ما سبق أن التميز في الإسلام هو أحد مفاهيم تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة ذات الصبغة الإسلامية لا شرقية ولا غربية، وهو تميز عقدي تربوي أخلاقي يركز على أسس من العقيدة والتربية والعمل المتقن، يحمل في مفاهيمه علاجاً للقصور وتصحيحاً للأخطاء، وعمقاً وشمولاً للرؤية والتصور، ودقة في تحديد وتصويب الهدف ومرونة في الأسلوب، وهو درجة تفوق وأفضلية، وهذا ما أكسب الشخصية الإسلامية وتربيتها الإسلامية ثباتها وصدقها وموضوعيتها في تربيتها، وتمثل ذلك في إخراج عناصرها المتميزة وتواترها على مر الأجيال.

ثانياً/ الإجابة عن السؤال الثاني والذي ينص على: ما الأهمية الشرعية والتربوية للتميز؟

إن التطلع للتميز والحاجة للتربية المتميزة لم يأت من فراغ، فهناك عدد من المسوغات لهذا التميز، وبما أن النظام التربوي واحد من النظم الفرعية المنبثقة عن الإسلام فالمسلمون مطالبون بتطبيق الإسلام وتربيته في نفوسهم وحياتهم، وفهم توجيهاته وتمثلها، فالإسلام لا يتسامح في أن يتلقى المسلم أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ولا مذهب مجتمعه ولا نظام حكمه ولا منهج سياسته ولا موجبات فنه وأدبه وتعبيره من مصادر غير إسلامية، ولا أن يتلقى في كل هذا عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه (قطب، 1983، ص202)، ومعلوم أن هذه الأمة هي خير الأمم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (آل عمران: 110)، لذلك فالتربية يجب أن تحقق هذه الخيرية ولا يتأتى ذلك إلا بتحقيق التميز التربوي المنبثق عن التصور الإسلامي.

الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تلتبس بشخصيات الجاهلية السائدة، والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يلتبس بتصورات الجاهلية السائدة، والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور، والتميز برؤية خاصة

تحمل اسم الله وحده (قطب، 1980، ج2، ص129)، فقد نص القرآن الكريم نصاً صريحاً على التمييز الإسلامي في آيتين الأولى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (آل عمران: 179)، وفيها إشارة إلى التمييز الإسلامي في الدنيا، ويورد (الشوكاني، 1995، ج1، ص513) أنه قيل الخطاب للكفار والمنافقين وقيل للمؤمنين والمنافقين، وقيل للمشركين "وقيل الخطاب للمؤمنين أي ما كان الله ليذرهم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط بالمنافقين حتى يميز بينكم"، وأما الآية الثانية فهي تشير إلى التمييز الإسلامي في الآخرة في قوله تعالى (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) (الأنفال: 36-37).

لقد دعا الإسلام أفراداً إلى التمييز ومخالفة الكفار والمشركين ولذلك دعا رسوله الكريم "خالفوا المشركين" (السيوطي، 1990، ص236)، "خالفوا اليهود" (السيوطي، 1990، ص236)، إذن فالمسلم المعاصر لا بد أن يستعيد تميز أمته كي يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه، "فهذا التمييز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد، كما أنه بدوره ينشئ شعوراً بالامتياز والتفرد، ومن هنا كذلك كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة، كالنهى عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء، ولم يكن هذا تعصبا ولا تمسكا بمجرد شكليات، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات، كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة، وهذه البواعث هي التي تفرق قوماً عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصورا عن تصور، وضميراً عن ضمير، وخلقا عن خلق، واتجاهاً في الحياة كلها عن اتجاه" (قطب، 1980، ص128)، فتمييز الأمة هو عقيدة ومنهج واتجاه، وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة الشهيدة على الناس، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله، وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التمييز في الشخصية والكيان وفي الأهداف والاهتمامات وفي الراية والعلامة، وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له وأخرجت من أجله، وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار مبهمه الملامح مجهولة السمات مهما اتخذت من أزياء ودعوات وأعلام.

كما تتضح الأهمية التربوية للتمييز في الحاجة إلى المدرسة المتميزة، فهي حاجة تربوية ضرورية في مجال التربية والتعليم ولتنمية الإبداع وتعليم التفكير في وقت قد تحولت فيه المدارس إلى ساحات للوآد، "والحقيقة أن مدارسنا في كل البلاد العربية هي أكثر المدارس على ظهر الأرض احتياجاً للإبداع والتفوق، وتؤكد الدراسات أن المناهج

غير ملائمة، وأن ميل الطالب إلى الإبداع ليس إلا ميلاً ضعيفاً، وقد يكون منعدماً، وذلك رغم خصوبة العقول العربية وتمتعها بفطرة وذكاء يساعدها على الإبداع أكثر من غيرها في كل دول العالم النامي والمتقدم على حد سواء" (حمدي، 2004، ص11)، "والمؤسسات التعليمية غير قادرة إما لتقل حملها أو لعدم اكتمالها على الاكتشاف المستمر للقدرات المختلفة عند الطلاب أو عند الطالبات، وحتى لو اكتشفت قدراته فإن تحقيق المسارات المختلفة للقدرات أمر ليس في قائمة أولويات النظم التعليمية في بلدان العالم النامي" (عويس، 1994، ص146).

والمدرسة المتميزة مطالبة بالتحسين والتجويد إذ يؤدي ذلك إلى مزيد من التميز والنمو في مجال هندسة العقول البشرية، فهي تركز على النجاح والنمو والتميز، وهي تقدم الإطار المعرفي من القيم ومعايير السلوك والاتجاهات التي تشكل دليلاً ونبراساً للعاملين وتعمل على تطوير لغة مشتركة بينهم، كما أنها تقدم نوعية متميزة من التعليم لأبنائها تسعى لتحقيق المزيد من التحسين ومزيد من المشاركة.

كما تتأكد أهمية التميز في كونه مسوغاً علمياً حضارياً إلى جانب أهميته الشرعية والتربوية، فقد ضعف الإبداع العلمي لدى المسلمين وفقدوا القدرة على التفكير الكلي الشامل الذي يستطيع أن يخرج من الجزئيات الكليات ومن الحوادث سننها وقوانينها (المبارك، 1980، ص92)، إن هذه الروح هي التي صنعت الحضارة الإسلامية المتميزة، حضارة العلم والإيمان.... إن الأمة مطالبة بأن تقدم شيئاً للبشرية اليوم كما قدمت بالأمس ولن تفعل ذلك وهي كل على غيرها في العلم والعمل، تستورد غذاءها كما تستورد سلاحها (القرضاوي، 1995، ص45)، والأمة بحاجة إلى تربية "يشعر المسلم فيها أنه لن يكون رقماً جديداً يضاف إلى مليارات الأرقام في هذا العالم، وإنما كياناً متميزاً بغايته المثلى وعقله وفكره، وخلقه وسلوكه وعمله وجدده ومواقفه المتناسبة مع غايته المثلى، مما يزوده بقوى دافعة للتأمل والتدبر والتفكير والوعي والإنجاز والإبداع لخير ذاته ودينه وأسرته ومجتمعه ووطنه وأمتة والإنسانية" (الأسمر، 1997، ص189)، والتربية في الإسلام هي تربية أخلاقية تولي المثل والقيم الإسلامية الدرجة العليا، ففي الوقت الذي يعاني العالم من الضياع والتمزق وانحسار روح التعبد بالعلم، كان لا بد لهذه التربية ومدرستها أن تقدم نموذجها الأخلاقي المجدد في الإنسان الصالح المصلح العابد المبدع.

فقد أراد الله لهذه الأمة ولهذه التربية أن تكون متميزة مما يجعل من التميز التربوي الإسلامي ضرورة شرعية، قبل أن تكون تربية، فالمناهج الإسلامية قد تلتقي والمناهج الأخرى لكنها لا تتفق، وإن تقاطعت في بعض الأساليب والوسائل.

ثالثاً/ الإجابة عن السؤال الثالث والذي ينص على: ما مقومات التميز التربوي من منظور إسلامي؟

يقوم أي نظام على مقومات تشكل أسس هذا النظام وموجهاته، تمثل هذه المقومات وما يتفرع عنها معايير قياسية تعمل كإطار مرجعي لتوجيه العمل التربوي وتقويمه، وهذه المقومات هي:

#### 1- تقديم التربية على التعليم (التربية أولاً):

إن صناعة الإنسان هي الشغل الشاغل للمربين والمعلمين والدعاة، فلا غرو أن يكون للتربية في الإسلام موقع خاص، "فالإسلام والتربية متلازمان وصنوان لا يفترقان وقد اقترن الإسلام بالتربية في كل مراحلها وظل كذلك طوال التاريخ الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى صار للإسلام دولة كبرى لها فلسفة خاصة تحدد مسار حياتها وتشكل نظامها التربوي" (النحلاوي، 1979، ص 205)، وتهتم التربية الإسلامية بالتركيز وهي مصطلح مرادف للتربية، من حيث كون التركيز عملية إنماء مع تميزها بالتركيز على التطهير وهذا شيء زائد على مجرد تنمية جوانب عديدة في الإنسان (أبودف، 2002، ص 5-6)، كما قرن التوجيه القرآني بين التركيز والتعليم في أربعة مواضع تقدم ذكر التركيز في ثلاثة منها: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيهم ويعلمكم الكتاب والحكمة) (البقرة: 151)، (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (آل عمران: 164)، (ربنا وبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) (البقرة: 129)، (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (الجمعة: 2).

لذلك ينبغي أن نتجه عملية التربية إلى النواحي السلوكية من حيث تكوين الفرد وتشكيله وإرشاده وتوجيه أسلوب حياته، والإفادة من إمكاناته وقدراته الطبيعية في إكساب الخبرات التي تساعد على النمو في الاتجاه السليم، والتفاعل مع البيئة المحيطة به في إطار من المبادئ والقيم والاتجاهات السلوكية المرغوبة (حسين، 1994، ص 129)، وتثير هذه القضية تساؤلات التربويين وقلقهم، فالسؤال الذي يطرح نفسه يتساءل

(الحمادي، 2004، ص114) "هل مناهجنا والمحاضن التربوية التي تنتشر فيها تقدم التربية على التعليم أم أنه مجرد شعار؟ فالواقع يشهد على الثاني، بل لیت عنايتنا بالتربية تساوي عنايتنا بالتعليم، وهنا يكمن الخطر عندما تظهر الفجوة والفصل بين التربية والتعليم"، فقد "قلنا بالفصل بين السلوك الشخصي والمستوى العلمي، وأهملنا التربية وركزنا على التعليم، وأهملنا كذلك التقيف، وفتتتنا كلمة الدرجات العلمية، وتوسعنا في الكم مع أننا فشلنا فيه على حساب الكيف، واحتفلنا كل عام بتخريج أعداد لا بأس بها من الجامعات دون أن نحاول الكشف عن نسبة الـ 9% من النوابغ التي وصلت إليها اليابان في مقابل نسبة الـ 7% التي وصلت إليها أمريكا، ولم نسأل أنفسنا كيف جمع البخاري بين هذا المنهج الدقيق في الاستقصاء والبحث وبين السلوك القويم" (عويس، 1994، ص111)، فالتعليم المعاصر قد أصبح خلوا من الأخلاق و القيم، وخلوا من الروح و التربية الروحية، وبذلك قصرت الأنظمة التعليمية دورها على نقل المعلومات أو التدريب على عدد من المهارات، ففقدت دورها التربوي لأن نقل المعلومات أو التدريب على بعض المهارات إذا لم يصاحب بتربية أخلاقية وروحية لا يمكن أن يسمى تعليما (النجار، 1990، ص91-93)، بل إن "التعليم وحده لا يصلح النفوس ما لم ينصرف الجهد نحو تربيتها وتهذيبها روحيا وخلقيا واجتماعيا" (أبو دف، 2002، ص5)، والتعليم بدون تربية وتركيز على تعليم ناقص، بل إن التربية الإسلامية هي "عملية تنمية وترقية الذات الإنسانية ككل متكامل، هذه الذات الإنسانية الإسلامية هي المقصودة بالتربية، وما العلم والتعليم والتعلم بمناهجها وبرامجها ونظمها وطرقها وأساليبها إلا وسائل لهذه الغاية... فإذا ارتقت هذه الذات سعت ذاتيا لترتقي بالمهنة ولتتبع بالعلم، ولتعمل على تنمية اقتصادها، واقتباس التكنولوجيا وتوظيفها واستنباتها، كما فعلت شعوب أخرى، أما إذا سحقت الذات الإنسانية فستبقى كل الغايات الجزئية هباء منثورا" (الأسمر، 1997، ص189-190).

فالتربية ليست في الحقيقة للعقل فقط بل هي الموجهة للقلب، وقد أدرك المرءون المسلمون أهمية التربية أولا فوجهوا أبناءهم إليها "يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث، وقال آخر: يا بني لأن تتعلم بابا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم" (سعادة، 1985، ص9)، "وانطلاقا من مبدأ القيام بالمسؤولية التي يضطلع بها المرءون تجاه من لهم في أعناقهم حق التوجيه والتربية، فقد جاء الهدي القرآني على لسان لقمان يعلم ابنه (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا

تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) (لقمان: 17-18).

وللتربية في الإسلام معنى شامل عميق ويمكننا القول أن التربية الإسلامية ليست تربية دينية بالمفهوم الضيق بل تربية متكاملة متناسقة تؤدي في النتيجة إلى تكوين الفرد السوي، وإلى تكوين المجتمع النظيف في إطار الأمة الإسلامية الواحدة (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء: 92)، لذلك على المدرسة المتميزة أن تعنى بالتربية فلا ينصرف الاهتمام إلى النواحي التحصيلية فقط، مما يؤكد ضرورة الإشراف على أوجه نشاط الطلاب أثناء العمل الدراسي وخارجه، والتربية أولاً لا تعني التفريط في نوعية التعليم المقدم للطلاب ولا في التحصيل العلمي، والإنجاز الأكاديمي، فذلك مطلوب كما أن الترفيع الآلي من دون إنجاز مرفوض، ولا يظن ظان أن التربية أولاً هي على حساب الجودة والنوعية فما قال بهذا عاقل ولكن التربية أولاً تعني بناءً تشكل التربية الأساس فيه، فالتربية والتعليم ليسا متعارضين ولا منفصلين بل هما متكاملان، والتعليم المثالي هو تربية.

## 2- منظومة من القيم التربوية الإسلامية:

إن العملية التربوية في الأساس عملية قيمية، ودور المدرسة في تنمية القيم الإسلامية ليس نظرياً فقط، وإنما هو نظري تطبيقي، فالقيم تصوغ العمل التربوي وتوجهه، لذا فدور المدرسة مهم في مجال تنمية القيم "ولابد أن يعلم القائمون عليها هذا، وأن يجعلوا منها بيئة تربوية مناسبة تعمل على تنمية هذه القيم" (أبو العينين، 1988، ص 173-177)، وقد أشارت التوجيهات القرآنية إلى كثير من القيم المتضمنة التي يمثل تبنيها وترسيخها من مقومات التميز التربوي إلى جانب اعتبارها معايير أداء للمدرسة المتميزة وتصلح أن تكون أهدافاً إجرائية يعرض الباحث لجانب منها:

### أ- القيم العقدية (الروحية - الوجدانية):

- إخلاص العبادة لله: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) (الأعراف: 138)، (يا بني لا تشرك بالله) (لقمان: 13)، (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (البينة: 5)، فإن من واجب المربين أن يربوا طلابهم تربية لا يعنونها الشك والريب، فينقوا نفوس الطلاب من كل أثارة من ريب أو بقية من شك حال نشوئه، فدور المدرسة لا يقتصر على مجرد نقل التراث أو إحيائه.



- حب الله ورسوله واتباعه: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: 31).
- الوعي بالذات المسلمة: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (آل عمران: 110)، فالواجب أن تغرس المدرسة في الطالب بأنه ممثل عقيدة عظيمة وسليل أمة ذات رسالة.
- التقوى: إقامة قواعد تربية الأبناء على أصول نفسية صحيحة ومنها التقوى، وهي ثمرة الشعور الإيماني المتصل بمراقبة الله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) (الأحزاب: 70).
- الله هو الغاية: تعلم طلابها الحياة والعمل للدين (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام: 162).
- الاعتزاز بالإسلام: تغرس في طلابها الاعتزاز بالإسلام والدين (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) (الحج: 78).
- الإنسان صاحب مسئولية: تغرس في طلابها حمل المسئولية فالإنسان كائن مستخلف (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) (الأنعام: ص165)، ويربي الإسلام الإنسان على الإحساس بالمسئولية العظيمة والغاية المرسومة (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) (المؤمنون: 115).
- ب- قيم اجتماعية - أخلاقية:
- العمل والتغيير والإصلاح: المدرسة المتميزة لا تدعو إلى غيبوبة إيمانية أو اجتماعية ولا انسحاب من الحياة (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) (الحديد: 27)، بل تعتبر العمل والتغيير والإصلاح الدور الأول لا الثانوي (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد: 11).
- التنافس والتعاون: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (المطففين: 26)، وتعاونوا على البر والتقوى) (المائدة: 2).
- العفة وغيض البصر: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) (النور: 30)، (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) (النور: 31).
- الأدب في القول والبعد عن الفحش والبذاء والطعن واللعن: (وقولوا للناس حسنا) (البقرة: 83)، (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) (النساء: 148).
- التفاهم والحوار والجدال والتي هي أحسن بعيدا عن التعصب: (وجادلهم بالتتي هي أحسن) (النحل: 125).

- البر والإحسان: فهي تنظم علاقة الإنسان بوالديه وإقامتها على البر (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) (الإسراء: 23)، والمرء الذي يجحد فضل والديه ويتكبر لجهودهما لا يحمل في نفسه ذرة من الخير أو الصلاح، فلأب مكانته (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) (يوسف: 80)، (يا أبت أفلعل ما تؤمر) (الصفافات: 102).
- الصداقة الحقة: فهي تعلم طلابها اجتناب أصدقاء السوء، فالصداقة الحقة هي القائمة على الحب في الله والبغض في الله (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) (الفرقان: 28-29).
- الأمانة والوفاء: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء: 58).
- حماية البيئة والمجتمع والحفاظ عليهما: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) (البقرة: 205).
- ج- قيم علمية - عقلية:
- التبين والتثبت: تزود طلابها بالتحصين الثقافي القائم على التبين والتثبت وتقف ضد الإشاعات (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات: 6).
- التفكير الناقد: تعلم طلابها التفكير الناقد وكيف يميز بين الخبيث والطيب (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (المائدة: 100).
- ديمومة التعلم: تغرس مفاهيم التربية المستدامة فالتربية الإسلامية متصلة ومستمرة جاء في الهدى القرآني (وقل رب زدني علما) (طه: 114)، وجاء أيضا (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (مريم: 31)، وجاء في الهدى القرآني (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الإسراء: 85)، فالتربية مستمرة والمدرسة المتميزة تغرس في طلابها أن الشهادة هي نقطة بداية للدراسة والبحث العلمي.
- العلم طريق الإيمان: تغرس في طلابها قيمة العلم للخشية وليس العلم للعلم (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر: 28).
- التفكير فريضة: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) (يونس: 101).
- الدقة والتحقيق العلمي والملاحظة: (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) (البقرة: 260).
- الوعي بالزمن وأهميته: (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) (الحشر: 18).

د - قيم جسمانية - مادية:

- بناء الجسم: (وزاده بسطة في العلم والجسم) (البقرة: 247).
- المحافظة على الصحة: (ويحرم عليهم الخبائث) (الأعراف: 157).
- النظافة: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (البقرة: 222).

هـ - قيم جمالية:

- تذوق الجمال: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) (لقمان: 11).
- الإتقان والإبداع: (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (النمل: 88).
- التزين: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (الأعراف: 31).

إن منظومة القيم السابقة وغيرها ينبثق عنها ميثاق أخلاقي، يؤدي تطبيقه إلى تعزيز هذه القيم، إلى جانب ما تقوم به المدرسة من المسابقات والمحاضرات التي يمكن توظيفها لغرس القيم وبنائها.

3- بيئة تربوية آمنة خالية من التلوث:

جاء في التوجيه القرآني (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) (الأعراف: 58)، تشير الآية الكريمة إلى دور البيئة على جميع أشكالها في التربية، مما يجعل من توفير هذه البيئة الصحية مطلباً أساسياً لتحقيق الأمن التربوي. إن من أسس توفير البيئة الآمنة هو تعزيز البناء الأخلاقي الذي هو من المعالم البارزة في التربية الإسلامية، حيث يتأكد الاهتمام الأكبر بالجانب الأخلاقي في حياة الفرد (وإنك لعلى خلق عظيم) (القلم: 4)، وربع آيات القرآن الكريم تتحدث عن الأخلاق، ويشير الرسول الكريم إلى أهمية الجانب الأخلاقي "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" (السيوطي، 1990، ص155)، وإن اهتزاز القيم الأخلاقية يؤدي إلى الانحراف و الضياع، ويورد المجتمع موارد التهلكة، بيد أن التربية الأخلاقية تؤدي إلى الشعور الداخلي بالأمن والاطمئنان، لذلك يقدم الإسلام "الإرشاد الخلقى والروحي والاجتماعي والإيماني والنفسي والقلبي للمسلم، ولم تكن مهمة المعلم قاصرة على تعليم القراءة والكتابة، بل تعليم الآداب والسلوك المهذب، ولذلك كثيراً ما كانت تطلق كلمة مؤدب الصبية لتترادف مع كلمة معلم الصبية، مشيراً إلى دور المعلم في توجيه أبنائه وإرشادهم وتهذيب خلقهم وسلوكهم" (العيسوي، 1987، ص173)، ومن مميزات التربية في الإسلام أنها تجعل دافع الخلق عند المسلم نابعاً من إيمانه، فتخلقه بالخلق الحسن طاعة لربه، ليس لمصلحة أو منفعة أو شهوة، فالمبادئ الأخلاقية أوامر إلهية.

ولا شك أن زيادة الضغوط العددية على مدارسنا في السنوات الأخيرة قد أدى إلى ظهور نوع من مظاهر السلوك غير المرغوب، والتي انعكست آثارها على المجتمع العام بالتفاعل مع المتغيرات الكثيرة الحادثة في العالم، وقد أدى تزايد ازدحام المدارس والفصول، وقصور المرافق اللازمة لممارسة الأنشطة الدراسية والهوايات والنوادي الاجتماعية والرياضية إلى غياب المناخ الذي يساعد على تحقيق أهداف التربية (حسين، 1994، ص135).

لذلك يجب أن تمتد رسالة المدرسة إلى النواحي الوجدانية والعاطفية بحيث تكون المعلومات التي يتلقاها الطالب ذات تأثير مباشر على مشاعره واتجاهاته النفسية، وبالتالي على أسلوب حياته وتصرفاته الشخصية الجماعية (حسين، 1994، ص131)، ذلك لأن "المدرسة وغيرها من المؤسسات التعليمية ذات تأثير كبير على التكوين الخلفي للفرد وتوجيه سلوكه وتعديل نوازه ومواقفه واتجاهاته، مما يدفع إلى أن تراعي المناهج التعليمية خاصة ونظم وبرامج المدرسة عامة ربط الأهداف التعليمية والعلمية بالأهداف الأخلاقية، بحيث يكون التعليم وسيلة للتربية الأخلاقية وتزكية السلوك وغرس الآداب والقيم والمثل العليا والفضائل في النفوس، وتنمية القدرة على التمييز بين الهدى والضلال" (الزنتاني، 1993، ص662)، فالمدرسة المتميزة تغرس في طلابها الأخلاق وتنمي الضمير الخلفي، فهو ذو شخصية مطمئنة واثقة متماسكة فعندما يخلو الطالب أو لا يرى أحدا لا يقوم بتكسير الأثاث، ولا تحطيم الأدوات لأن أحدا لم يره، بل يحافظ عليها لكون هذا العمل تخريب من ناحية، ولأنه لا يرضي الله، ولأنه يتعارض مع الانتماء الحقيقي للإسلام وتربيته المتميزة، التي ترسخ مفهوم الولاء بين المؤمنين وترسخ مفهوم الأخوة (إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات: 10)، وتعمل على تربية الروح الاجتماعية، ودمج المسلمين في أنشطة اجتماعية، ويتضح ذلك من خلال الأدعية التي ترد بصيغة جماعية (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاحة: 6)، فهي تحث المسلم على التفاعل الاجتماعي والسلوك الفاعل وتحثه على الفاعلية بتحبيبه في الله ورسوله "أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله" (السيوطي، 1990، ص20)، فهل حددت المدرسة السلوكيات الإيجابية والسلبية، وهل عملت على تعزيز الإيجابية وتقويم السلبية منها بناء على منهجية مدروسة وضوابط وإجراءات؟

#### 4- وجود المعلم القدوة:

يمثل المعلم عصب العملية التعليمية التعلمية وقلبها النابض، مما يدفع بالحاح إلى وجود المعلم الرباني القدوة، فالعملية التربوية التي هي عملية صياغة الإنسان "ينبغي أن

تبدأ باسم الله أول ما تبدأ، حتى تكون ربانية التصور وربانية الغاية وربانية الوسيلة وربانية الأداء لتحقيق هدفها، وتفرز الجيل الرباني الجدير وحده بخلافة الله في الأرض" (كحالة، 1982، ص26)، وهذا بالتالي يؤكد الأهمية القصوى لأن يكون المعلم ربانياً يستمد أصل منهجه التربوي من كتاب الله الكريم، ليؤثر في طلابه ويجعلهم مثله ربانيين (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) (آل عمران: 79).

والتربية المتميزة قوامها المعلم القدوة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (الأحزاب: ص21)، " والمعروف وفقاً للدراسات النفسية أن توفير القدوة الحسنة الفعلية أفضل من الوعد اللفظي، فلا يغني الطفل أن ينهاه أبوه عن الكذب ثم يشاهد الأب نفسه وهو يكذب" (اليسوي، 1987، ص189)، فليس أخطر من معلم لا يصلح أن يكون قدوة حسنة لطلابه (النجار، 1990، ص69)، ويؤكد (فرحان، 1986، ص17) أن المربي الذي لا يكون قدوة لطلابه لا ينجح في تربية شخصياتهم والذي لا يؤمن بعقيدة الأمة غير مؤتمن على تربية أجيالها، والذي يحارب تعليم الجيل باللغة العربية يسهم في تغريب العلوم بدل تعريبها، والذي لا يحرص على تنمية الثقافة الأساسية في نفوس طلابه من عقيدة ولغة وتاريخ يسهم في تحلل شخصياتهم ومسحها.

والمدرسة المتميزة ذات معلمين متميزين حسني السمعة ذوي سلوك إيماني قوي لقوله تعالى (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (الشعراء: 84)، "وليس أئمة الحديث فقط الذين يجب أن يعدلوا أو يجرحوا بل حتى علماء الجغرافيا والرياضيات والطبيعة والتاريخ، كان الطعن في دينهم يحول دون الأخذ عنهم" (عويس، 1994، ص110)، لذلك فعلى المعلم أن يجمع بين العلم والصلاح "فالصلاح وحده لا يصنع معلماً و العلم وحده لا يصنع مربيًا" (النجار، 1990، ص185).

ومعلم هذه المدرسة يعتبر التعليم رسالة قبل أن يكون مهنة أو وظيفة فهو صاحب رسالة سامية لما جاء في التوجيه القرآني (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين) (الشعراء: 109)، فالرسالة تقوم على اقتناع داخلي عميق على العمل الذي يؤديه ونبيل الهدف الذي ينشده، أما المهنة فإنها تجعل صاحبها ملتزماً برضا وتعليمات من عينه في الوظيفة، ولو كان ذلك على حساب قناعاته وما يرضي ضميره" (الحمادي، 2004، ص32)، والتربية والتعليم ليست وظيفة من لا وظيفة له، وفشل الأمم في حروبها أو انتصارها يعزى للمعلم وكذلك رقيها وانحطاطها، لذلك فالمدرسة المتميزة

يعرف فيها المعلم قدر نفسه وشرف رسالته، فهو أمة وحده أو أمة في واحد، (إن إبراهيم كان أمة) (النحل: 120)، فهل وفرت المدرسة المعلم القدوة؟ وهل أعطى المعلم من نفسه القدوة الحسنة في القول والعمل؟

#### 5- نوعية متميزة من الأداء (تعليم وتعلم بإتقان):

إن التربية في الإسلام صناعة وفن "تهدف إلى الوصول بالمرتبى إلى درجة الإتقان أو الإحسان في الأداء، فقيمة كل إنسان ما يحسن، والوصول بالإنسان إلى درجة أن يكون محسنا هو أعلى درجات الفن وأرقى ما يهدف إليه العمل التربوي" (مدكور، 1991، ص58)، لذا فمفهوم الجودة حاضر في كل توجيهات الإسلام وقيمه ومدرسته المتميزة، فهو يحث على الإحسان (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة: 195)، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل: 90)، ويحث على الإحكام والإتقان (كتاب أحكام آياته) (هود: 1)، (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) (النمل: 88).

فهو يتخلل كل عناصر العملية التعليمية التعلمية، وهو يعني السعي الدائم نحو الإصابة في الأقوال والأعمال لما جاء في التوجيه النبوي "سدّدوا وقاربوا" (البخاري، 1987، ج5، ص2373)، فـ"تجويد التعليم وتحسينه بما يكفل تميز المنتج عملية طموحة ومستمرة لا تتوقف، ذلك أن الفرد المسلم مطلوب منه تسديد الأعمال بصورة دائمة يجبها الله عز وجل" (أبو دف والوصيفي، 2007، ج1، ص11)، كما هو مطالب بالعمل الصالح المقبول الأحسن (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (الكهف: 110)، "فالعامل المقبول له معياران: أولهما أن يكون خالصاً لوجه الله، وثانيهما أن يكون صواباً، فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً" (ابن قيم الجوزية، 2003، ص292)، والمقصود بأحسن العمل في الآية (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (الملك: 2) كما يقول فضيل بن عياض هو أخلصه وأصوبه (القرضاوي، 2002، ص23)، فالمسلم يعبد الله بإحسان العمل وليس أي عمل، فأحسان العمل فريضة، وجاء في الهدى النبوي "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" (سنن أبي داود، 109/2 حديث رقم 2815 صححه الألباني)، وإحسان العمل يعني إتقاناً وإبداعاً وتميزاً في الأداء، ولكي يتحسن الأداء في العمل لا بد من العلم فالعلم دليل العمل ودليل الإيمان (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (القتال: 19).

وإن التربية لن تؤتي ثمارها المرجوة ما لم تهدف إلى ضمان الإتقان والجودة في العمل التربوي، وتحقيق ذلك يتطلب وجود أهداف مصاحبة مثل إعداد المعلم، لذلك فلا بد من الإعداد المهني والأكاديمي للمعلم حتى تتحقق الكفاءة العلمية والمهنية ليؤدي العمل على أتم وجهه، فـ"استمرار النمو المهني للمعلم يتسق مع الأدوار المتعددة التي يقوم بها في كل مرحلة من مراحل حياته، ويصحح مفهوم الأنظمة التعليمية التي تركز على التعليم أكثر من تركيزها على التعلم، ويحقق النمو المتكامل لشخصية المعلم" (حسين، 1994، ص148)، وهذا النمو المهني ينعكس على أداء المعلم وإتقان العمل، فالمعلم المتقن يترك ثلاثة أرباع الوقت لتلاميذه فلا يتكلم أكثر من ثلث وقت الحصة، أما من يقضي معظم وقته في الشرح بينما يجلس الطلبة منصتين له فأدائه لا يوصف إلا بكلمة الفشل الذريع (الحسني، 2004، ص348)، فهل عملت المدرسة على رفع الكفاءة المهنية للعاملين وهل وضعت خطة لذلك؟ وهل قام المعلمون باستخدام أساليب حديثة في التدريس غير الإلقاء والمحاضرة، وهل لدى المدرسة معايير لتقويم جهود المتميزين والمتقنين وتشجيعهم؟

#### 6- تعليم التفكير الإبداعي وربطه بالإيمان:

الإبداع عنصر أساس لتميز الإنسان، وتكوينه لشخصية فريدة، وهو بذلك يكشف عن الجوانب الحقيقية لهذه الشخصية، وتحت التربية القرآنية على أعمال العقل والنظر في خلق السموات والأرض، وفي آلاء الله، وفي الطبيعة وأسرارها، وفي الذات الإنسانية خلقا وسلوكا (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات: 21)، (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت: 20)، (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) (الأعراف: 185)، فهي تدعو إلى التفكير والتفقه "وهي خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير، يجعل الإنسان أكثر وعيا لما يحيط به، وأعمق إدراكا لأبعاد وجوده وعلاقته بالكون (قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا يتفكرون) (الأنعام: 50).

ويحث الإسلام على السبق للإبداع، ويصف القرآن الكريم المؤمنين بأنهم يسارعون في الخيرات وأنهم لها سابقون، وجاء (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنين) (التوبة: 105)، "ويبلغ من تأكيد القرآن على العمل والجهد البشري لإعمار العالم على عين الله وتوجيهه، أن ترد اللفظة في تصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعا، وهي كلها تشير سلبا وإيجابا إلى أن المحور الأساسي لوجود الإنسان فردا وجماعة على الأرض هو العمل الذي يتخذ مقياسا عادلا لتحديد

المصير في الدنيا والآخرة، وهو موقف ينسجم تماما مع فكري الاستخلاف والاستعمار الأرضي" (خليل، 1992، ص136).

إن الهدف من التعليم لم يعد إكساب الطلبة لمجموعة من المعارف والمهارات والمعلومات فحسب، وإنما أصبح الأمر يعنى بإحداث تغيير شامل في سلوك وتفكير الطالب، يستنفر طاقاته وإمكاناته الذاتية الدفينة ليخرج إبداعاً جديداً كل يوم، ولا يتحقق هذا إلا إذا تطورت طرائق تفكير الطلاب تطويراً إبداعياً، فالتعلم الذي نريده هو التعلم الذي يمكن صاحبه من قراءة رموز الحياة وفك شيفراتها، وهو التعلم ذو المعنى، والتعلم المفيد، والتعلم ذو القيمة، والتعلم القابل للبقاء والاستمرار والاستخدام في حياة المتعلم الراهنة والمستقبلية، والتعلم المنتج، والتعلم الإبداعي (حمدي، 2004، ص15)، وفي الإسلام يرتبط الإبداع بالإيمان فهو ليس هدفاً نهائياً، بل هو وسيلة تهيئة المناخ لعبادة الله وحده، فالإبداع يدعو إلى الإيمان ويعمق العقيدة، يقول الله تعالى (يدع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (البقرة: 117)، (يدع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) (الأنعام: 101)، ذكر الله الإبداع (يدع) وربطه بالعقيدة والإيمان به، والإبداع دعوة للانسجام مع هذا الكون المبدع، فالكون كله إبداع، وإن "الدور الحضاري للإنسان المسلم يقوم على العمل والإبداع المتواصلين منذ لحظة الوعي الأولى وحتى ساعة الحساب، ونعلم تماماً أن الحياة الإسلامية إنما هي فعل إبداعي مستمر" (خليل، 1992، ص136).

إن ما سبق يدعو لأن تؤكد المدرسة على المفاهيم الإسلامية للإبداع، وتحذر من المفاهيم المناقضة لها، وتحذر من الإبداع والتجديد الذي لا يثمر الانسجام بين التوجيه الرباني والعقل الإنساني، كما عليها أن تنشر ثقافة الإبداع الذي يدعو إلى الإيمان، فهل وضعت المدرسة برامج لرعاية ودعم الموهوبين، وهل قامت بتصنيفهم من خلال آليات واضحة؟ وهل وفرت مصادر للتعليم، ووفرت مساحة زمنية لهم لتنمية المواهب مع التعزيز المادي والمعنوي؟ وهل قامت ببرامج علاجية لرعاية ضعاف التحصيل، وهل قدمت مكافآت مادية ومعنوية، وهل قامت ببرامج لتعليم التفكير الإبداعي من خلال نواد علمية وثقافية ومن خلال المشاركة في المسابقات واللقاءات؟

#### 7 - بيئة تربوية مشوقة ومحفزة:

يبين (الأسمر، 1997، ص191) أنه "إذا كانت المكونات المادية للإنسان مهمة، فإن المكونات المعنوية هي التي تفقد الإمكانات المادية وترتقي بها، فدافعية التعلم والحماسة للإنجاز، والتضحية بالنفس من أجل تحقيق الأهداف، والمبادرات الفردية وما



## التميز التربوي من منظور إسلامي

يكتنفها من مجازفة، والإخلاص والإتقان وشحذ الهمم والعقول والنفوس إنما تتجزه المقومات المعنوية"، فإن مما يصيب حياة الطلاب بالملل هو عدم وضوح الرؤية وغياب الهدف، وضعف المثل وافتقاد القدوة وضعف الحافز وقلة الرغبة وعدم معرفة الرسالة والدور الذي يقوم به الطالب، إضافة إلى جهله بقيمته كطالب للعلم، وقيمة المعلم ذاته وأجره وثوابه والنتائج العظيمة والفوائد الجمّة والعواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على التعلم من عدمه، أضف إلى ذلك عدم معرفة الطالب بالأساليب والطرق التي يمكنها أن تساعد على الاستمتاع بما يفعل، وكيف يذاكر بطريقة صحيحة ومجدية، طريقة تساعد على التحصيل السريع المتقن، دون تبيد الجهود وتشتيتها، كيف يمرح، كيف يقضي وقتاً سعيداً (حمدي، 2004، ص13).

وإن من أكبر عقبات التعليم فقدان الدافعية، فيأتي الطالب إلى المدرسة مكرها متأخرا، بل إنه كثير الهروب والانفلات، وإذا جلس ففي سجن، وإذا خرج كالخارج من السجن، وقد ينتقم بكسر أثاث المدرسة ويعتدي على غيره، وفقدان الدافعية يتعدى أثره إلى المعلم، فيضعف نشاطه بكسل الطالب، وفتوره وانصراف ذهنه، وقال الخطيب البغدادي: حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها ولا تعرض إلا على الراغب فيها، ونشاط القائل على قدر فهم المستمع (الحمادي، 2004، ص84-85).

ويؤكد التربويون أن التعليم في مدارسنا قائم على التلقين والكم لا الجودة والنوعية، ويقدم في صورة مهترئة وغير مشوقة، وهناك مشرفون وموجهون وإدارة تعليمية تقيم المدرس شهريا على أساس الكم الإنجازي الفعلي، فتصبح المعادلة هي: مادة دسمة + وقت محدد = شرح للمادة دون اكتراث لأي مهارات وقدرات، وتشير (يونس) إلى أن المدارس أصبحت ساحات للوآد ورحم الله عقلا وئد في مهده، وللأسف الشديد أثبتت نظم التعليم في دولنا العربية قيامها بدور السفاح لأي عقل مفكر أو فكرة مبدعة، وقيامها بدور الشرطي الملاحق لأي محاولة تفكير منطقي أو علمي أو نقدي (الحسني، 2004، ص346).

وإذا كان من أدوار المدرسة نقل المعرفة، فإنها مطالبة بتأدية دورها وتكوين مناخ تربوي محبب للطلاب، وتقديم المعلومات المنظمة والخبرات المتنوعة والأنشطة المختلفة والمعارف الإنسانية، كل ذلك وفق سياسة تربوية واضحة تتماشى مع فلسفة المجتمع وأهدافه" (حسين، 1994، ص134).

والتعليم القائم على أساس التحفيز يصل بالفرد إلى أقصى كفاءة ممكنة، إذا كان للفرد استعداد للتعلم والتفوق، لذلك فالمدرسة المتميزة هي مدرسة يعمل طلابها عقولهم

ويستعملون حواسهم ولا يعطلونها (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأعراف: 179)، والبيئة التربوية المشوقة هي بيئة إنسانية تقوم فيها علاقة دافئة حميمة بين المعلم وطلابه قائمة على الاحترام والثقة، يعرف فيها المعلم تلاميذه فيناديهم بأسمائهم، مما يترك أثرا طيبا في نفوسهم، كما أنه حريص على طلابه، يهتم لهم وبهم، (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (التوبة: 128)، والمعلم فيها يستشير طلابه ليعلمهم الشورى ويعزز مكانتهم ومعنوياتهم.

ومما يجعل البيئة مشوقة أن الطالب لا يشعر أنه كم مهمل، فهو يجد فيها نفسه، فهي تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين وأنماط التعلم، فسلك الأفراد مترتب على الفروق بينهم (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (البقرة: 286)، (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) (الطلاق: 7)، وجاء في التوجيه النبوي "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" (السيوطي، 1990، ص77)، فهي تراعي الموهوبين وتترفق بذوي القدرات المحدودة وتأخذ بيدهم، ينطلق فيها الجميع للأمام وتتاح فيها فرص النمو الصحي والجسمي والعقلي، وقد جاء في التوجيه القرآني الكثير من الآيات التي تشير إلى أنماط التعلم (أفلا يعقلون) (يس: 68)، (أفلا يسمعون) (السجدة: 26)، (أفلا ينظرون) (الغاشية: 17)، (وهم لا يشعرون) (الزخرف: 66)، (أفلا يبصرون) (السجدة: 27)، كما أن البيئة المشوقة مثيرة للتفكير والخيال (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت) (الغاشية: 17-18)، لذلك يجب ألا يكلف الطلاب بأعباء دراسية تفوق قدراتهم وإمكاناتهم العقلية، وأن يعود الطلاب على أعمال الخيال والتفكير، إضافة إلى تأصيل جذور التعلم الذاتي منذ المراحل التربوية المبكرة، وتنمية الروح الاجتماعية في تعامل الطلاب مع زملائهم (حسين، 1994، ص154).

فقد أصبح مستقبل التربية مهتدا وفي أزمة، لاستمرار عجز المدرسة معلما ومحتوى ومبنى ومناخا عن تقديم التعليم المنشود للطلاب أو حسن رعايتهم وتوفير المناخ التربوي الملائم، فلا بد من العمل على تغيير هذا الواقع التربوي، الذي "يفتقر إلى النظر بعين الاعتبار إلى اتجاهات الطالب ورغباته وميوله، فكثرة الحشو في المواد المتراكمة ينسي بعضه بعضا بالإضافة إلى الكسل والملل وطول اليوم الدراسي" (الحمادي، 2004، ص97-98)، فهل وفرت المدرسة عوامل الجذب والتشويق للطلاب بعمل نوات علمية أو ثقافية أو رياضية؟

## 8- أنشطة تربوية فاعلة:

بحث القرآن الكريم على البحث والنشاط فلقد دعا القرآن الإنسان إلى التبصر بحقيقة وجوده والبحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب (فلينظر الإنسان إلى طعامه) (عبس: 24)، (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) (الأعراف: 185)، (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت: 20)، لذلك يجب أن يقوم التعليم على أسلوب النشاط والملاحظة والتدريب على التعلم الذاتي، والبحث عن الحقائق وتقديم المعارف بشكل يصل إلى عاطفة الطالب ووجدانه، فالتعليم القائم على أساس الكتب وحده لا يتيح الفرصة للبحث والتنقيب.

وليست العبرة في النواحي الكمية للتعليم، بل في آثار هذا التعليم وما أضافه إلى فكر الإنسان وعقله وتجاربه وثقافته وماذا نمى من إمكاناته العقلية والبدنية والعاطفية، وما أثره في تغيير اتجاهاته (حسين، 1994، ص125)، ويرى خبراء التعليم والتربية أن الطلاب الذين يشاركون في النشاط المدرسي لديهم قدرة على الإنجاز الأكاديمي وهم يتمتعون بنسبة ذكاء مرتفعة، كما أنهم إيجابيون بالنسبة لزملائهم ومعلميهم، ويتمتع الطلاب في برامج النشاط بروح قيادية وثبات انفعالي وتفاعل اجتماعي، كما أنهم أكثر ثقة في أنفسهم وأكثر إيجابية في علاقاتهم مع الآخرين (حمدي، 2004، ص64).

والمشكلة التي يقع فيها طلابنا ومدارسنا أن العملية التعليمية عندما تتم، فهي قائمة على التلقين والتحصيل التقليدي والحفظ الأعمى للمعلومات، فنحن نعنى بثقافة الذاكرة لا ثقافة الإبداع، ولو كنا نعنى بثقافة الإبداع لكان للنشاط المدرسي دوره في حياة طلابنا (حمدي، 2004، ص64).

فالتربية المتميزة تهتم بالكيف إلى أبعد الحدود وتحبب الطلاب في مشاهدة الطبيعة، وتركز على نشاط التلميذ واستثارة دوافعه للعب الهادف وإشراك التلاميذ في الأعمال الخيرية وتنمية حب القراءة، فهل فعلت المدرسة النشاط المدرسي من خلال عمل مسابقات مثل مسابقة الطالب المثالي إلى جانب الأنشطة الثقافية والدينية، وإعطاء مساحة زمنية كتخصيص يوم أو حصة للأنشطة، وتكريم المتميزين فيها، وعمل مسابقات في تجويد القرآن والأناشيد والأمسيات الشعرية وأوائل الطلبة، وأولمبياد الرياضيات وأجمل فصل، وعمل نواد للرياضيات واللغة العربية والتراث وغيرها.

## 9- تربية عملية تطبيقية:

جاء في التوجيه القرآني (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (التوبة: 105)، وجاء أيضا (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (الصف: 3)،

وجاء في السنة المطهرة "حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنهم كانوا يقرئون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم و العمل، قالوا فاعلمنا العلم والعمل" (ابن حنبل، د.ت، ج18، ص9).

لذلك فالتربية المتميزة في الإسلام هي تربية عملية نموذجية تربط العلم بالعمل، والعمل ليس قرين العلم فقط بل الدليل على صحته، "فالعلم بلا عمل لا قيمة له، والأفكار بدون تحويلها إلى ممارسات تبقى رياضة ذهنية لا تعود بالنفع على أحد" (الأسمر، 1997، ص54)، فهي تربية تجسد أفكارها في مدرستها المتميزة، يتعلم الطالب عن النبات فيزرع، ويتعلم عن الأدوات فيعمل بها، وهي مكان تطبيق مفاهيم التميز التربوي المتفرع عن التميز الإسلامي، أو الصورة التربوية منه.

ولا غرو في ذلك فالتربية في الإسلام تربية تكاملية للفرد تعنى بجسمه وروحه وعقله ونفسه وأخلاقه وضميره وحسه الاجتماعي، تدرجه على العمل والإنتاج ليكون مؤمنا قويا، فيكون خيرا وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والتربية المتميزة بمقومها هذا هي علاج لبعض مظاهر الأزمة التربوية، "فنظام التعليم في الدول العربية، بصفة عامة كثيرا ما يفتقر إلى الربط بين واقع الحياة والعلوم النظرية" (الحمادي، 2004، ص97).

فالمدرسة المتميزة تهتم بالتربية العملية الإنتاجية، يعود الطلاب فيها على العمل اليدوي والإنتاج الآلي والمجالات الزراعية والصناعية والتجارية والفنون المنزلية، لذلك هناك ضرورة لوجود معامل وحقول ملحقة بالمدرسة ليشتغل فيها الطلاب اشتغالا يدويا مهما، أما الفتيات فيتم تزويدهن بالمهارات والمعارف المتصلة بتربية الطفل وإدارة المنزل والاهتمام بالجانب السلوكي (النقيب، 1997، ص160-161)، وتتبع الموهوبين والتلاميذ في هذه المجالات لتنمية مواهبهم.

#### 10 - تواصل وفعالية اجتماعية:

التربية الإسلامية نظام تربوي قائم على الإسلام بمعناه الشامل (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران: 19)، فمما يميز المدرسة في الإسلام مسؤوليتها في إصلاح البيئة الاجتماعية، فلا تقتصر مهمتها على إصلاح الطالب وإنما تعداها إلى المجتمع، كما أن من مظاهر المشاركة والمساهمة المجتمعية الفاعلة والمسئولية الاجتماعية والتربوية قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (آل عمران: 104)، فالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر صفة من صفات هذه الأمة ووظيفة من وظائفها، قال تعالى (كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران 110)، لذا لا بد أن تعمل المدرسة المتميزة على إشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال معلمها وجميع عاملها وطلابها بتقوية روابطها بالمجتمع، فهي منارة للتوجيه والإرشاد كما أنها منارة للعلم والتربية، وقد غضب الله تعالى على بني إسرائيل ولعنهم على لسان أنبيائه، لتركهم مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة: 78-79)، فالتواصي بالحق من أهم مبادئ التربية الإسلامية الاجتماعية إذ تتعاون المدرسة والمسجد والمنزل والمجتمع، والهدف تحقيق العبودية لله، فالمدرسة المتميزة ذات فعالية اجتماعية فهي ليست معزولة عن المجتمع، تنمي في أبنائها الحس الجماعي والروح الجماعية، بل "هي تعمل من جانب آخر على تقوية ارتباط الطلاب بمجتمعهم وبيئتهم والشعور بالمسؤولية تجاه هذا المجتمع وتلك البيئة" (حمدي، 2004، ص63)، وهذا ما يفقده الكثير من الطلاب مما يشير إلى خلل في التربية التي ركزت على البعد الفردي، فحالت دون مشاركة الطلاب واندماجهم في مجتمعهم كما يعود إلى خلل في البيئة الثقافية التي تكرر هذه السلبية، فيعيش الفرد لنفسه، ولا يعيش لغيره.

إن اتصال المدرسة بالبيت وبالمجتمع في مفهوم التميز التربوي ليس لقاءات آنية أو عابرة يتطلبها تقييم المدرسة في زيارة مفاجئة أو غير مفاجئة، لكنها مبدأ يحتل صميم العملية التربوية، والمسؤولية المنوطة بالمدرسة، لذلك لا يمكن النظر إلى هذه الأدوار ومثيلتها من منظور أنها مثاليات وكماليات، بل هي أجزاء صميمة من هيكلية النظام المدرسي الصحيح، كما للمدرسة دور تكميلي وتصحيحي وتوجيهي حيث تكمل دور البيت وتصححه، فالتكامل والتعاون مطلوب حيث يبين (الزرنوجي، 1977، ص15) أنه "يحتاج في التعلم إلى جد الثلاثة المتعلم والأستاذ والأب"، فهل دعت المدرسة أولياء الأمور وأقامت لهم دورات في التربية والتوجيه أو نفذت برامج توعوية؟

"والتربية الإسلامية التي تهدف إلى تخريج مصلحين حقيقيين ورواد اجتماعيين تدعو المدرسة إلى المشاركة الفعلية في النصح للمجتمع والمساهمة في إصلاحه، ولترسل من طلابها وعاضا إلى المساجد ومساهمين في الحض على نظام السير مثلا أو نظافة المدينة وحدائقها، والحض على جمع التبرعات للجهاد أو مساعدة الفقراء، والعمل على محو الأمية وما يحتاجه المجتمع" (البحلاوي، 1979، ص148).

فالمدرسة المتميزة تأخذ دورها الاجتماعي وتظل على تواصل مثمر مع أولياء الأمور بالاتصالات الهاتفية واللقاءات الفردية ومجالس الآباء، فهل عقدت المدرسة اجتماعات مع أولياء الأمور وهل زودتهم بتقارير دورية عن أبنائهم وهل استخدمت أساليب فعالة للتواصل وتوطيد العلاقات؟ وإلى أي مدى ساهم طلابها في خدمة المجتمع وتنظيف الشوارع أو تشجيرها أو زيارة المرضى وغير ذلك؟

#### 11 - انفتاح واع وأصيل (أصالة ومعاصرة):

ينعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى رفضهم مجرد النظر فيما عند غيرهم من خبرات (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) (البقرة: 113) والتربية الإسلامية "تعمل على بناء الإنسان المسلم والمجتمع المسلم في كل زمن انطلاقاً من قواعدها الربانية مع استخدام لكل ما هو مفيد ونافع من معطيات الإنسان والزمان والمكان، فالحكمة ضالة المؤمن" (مذكور، 1991، ص62)، والإسلام يدعو للانفتاح ولكن وفق معايير وقواعد المنهج الإلهي الرباني، والأصالة لا تعني الانغلاق أو عودة إلى الأساليب البدائية في التربية، "وكل تقدم يتحقق في أساليب التربية ووسائلها نحن أولى الناس بالمسارعة إليه والأخذ به بعد تحقيقه ودراسته" (النجار، 1990، ص225).

وإذا كانت التربية الإسلامية ثابتة فيما يتصل بأهدافها العامة كبناء الإنسان العابد لله القادر على القيام بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله، وإذا كانت ثابتة أيضاً فيما يتصل بمحتواها الخاص بالحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، فإنها متغيرة فيما يتصل بالخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية المتطورة، حيث أنها تعد الإنسان الذي يعمر الحياة ويرقيها في كل زمان وفي كل مكان وفق ظروف الزمان والمكان ومعطيات الإنسان (مذكور، 1991، ص62)، لذلك فالمدرسة المتميزة تأخذ بالتكنولوجيا الحديثة في أساليب تدريسها مستفيدة من كل معطيات العلم والتكنولوجيا كشبكة الانترنت والحاسوب، ولا تقاس الاستفادة من التكنولوجيا بعدد الأجهزة بل بمدى الاستفادة منها معلمين وطلاب، ومدى البرامج والدروس التي تم إعدادها، ومدى الاستفادة منها في التعليم والتربية سواء في المادة العلمية أو التوعية أو الصحة أو الإرشاد والتوجيه، فإلى أي حد وظفت المدرسة هذه التكنولوجيا واستفادت منها؟

#### 12 - بيئة تربوية تخف فيها ضغوط العمل وتسودها العلاقات الإنسانية:

جاء في التوجيه القرآني (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (آل عمران:

159)، فالمدرسة المتميزة في ضوء مفهوم التميز التربوي ترتفع فيها الروح المعنوية بين جميع عاملها فتتمو فيها روح التفكير والإبداع والنقطة العالية في المدرس، يتمتع فيها المعلم بهامش واسع من الحرية والصلاحية مما يعينه على تحقيق الأهداف، كما أنها تشيد بإبداعات المعلمين.

مدرسة توفر الاستقرار النفسي للمعلم، تتجسد فيها أخلاقيات المهنة، تهتم بالمبدعين والموهوبين من المعلمين تشجيعاً لغيرهم، فالعطاء أحد مقاييس التميز، فالمعلم يقدم من نفسه وعقله وأصابه، "ويقرر علماء النفس بأن الجهد العصبي الذي يصرفه المعلم في التدريس خلال ساعة زمنية واحدة يعادل الجهد الذي يقضيه أي موظف آخر يعمل بإحدى الوظائف الإدارية الأخرى" (السعادات، 2005، ص362).

والمدرسة المتميزة هي التي تعامل المعلمين بإنسانية، وتراعي ظروفهم، فهي ذات إدارة غير مستبدة، لا تحاسب المعلم وتنتهون مع الطالب، وذات إدارة إنسانية، والمدير الإنسان هو الذي ينطلق في تعامله مع المعلمين بأنهم يعملون معه ولا يعملون عنده، ويبين المسفر: أن واقع المدارس اليوم في غالبه يفتقد السعادة كما نلمس ونسمع، فكم من مدير تنقصه ابتسامة الصباح في وجود زملائه وطلابه و العاملين معه، وما ذاك إلا لبعد الكثير من هؤلاء عن التربية الإسلامية الحقة" (الحمادي، 2004، ص207)، كذلك المشرف فهو شريك للمعلم وليس مقتنسا ورفيقا عليه، حتى لا يسهم عكس ذلك في الاحتراق النفسي أو الاحتراق الوظيفي للمعلم، ومن أسس المناخ الصحي العمل بروح الفريق (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة: 2)، إلى جانب التزام مبدأ الشورى وتبادل الرأي (وشاورهم في الأمر) (آل عمران: 159)، والمعلم في مدارسنا آخر من يستشار مع أنه أول من يعمل فهو أبعد الناس عن الأخذ برأيه أو مشاركته لا في المنهاج أو محتواه، فمشاركته إن وجدت فهي اسمية، فهل وفرت المدرسة المناخ الملائم لتخفيف الضغوط عن المعلم؟ وهل اعتنت برفع روحه المعنوية واعتباره أساسا للتغيير والتطوير؟

### 13 - إعلاء لقيمة العلم والمعلم تعظم العلم والكتاب وحامله:

جاء في الهدي القرآني (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (المجادلة: 11)، (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر: 9)، (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) (الحجرات: 2)، (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (الحج: 32)، وجاء في التوجيه النبوي "ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" (السيوطي، 1990، ص471)،

فالمدرسة المتميزة في ضوء مفهوم التميز التربوي هي "مدرسة تحافظ على كرامة المعلم والإشادة بدوره وتكريمه وتجييله أمام الطلاب، ومن خلال تعاملها مع الطالب المخالف لتعيد إلى المعلم هيئته، وهذا يظهر جليا في الفرق بين مدرسة وأخرى" (الحمادي، 2004، ص 209)، "فالتلميذ الذي ينكر فضل مدرسته ولا يعترف به لا يمكن أن يكون باراً بوطنه، والمواطن الذي ينكر فضل بلاده عليه لا يمكن أن يتعلق قلبه بها ويذود عنها" (سعادة، 1985، ص 75-76).

لذلك على المدرسة أن تعرف للمعلم قدره وتعترف بفضله وتقوم على حقه، وتضعه في مكانته، وتعيد له هيئته المفقودة وترفعه إلى عرشه، "إن صناعة هبة المعلم هو الهدف الذي يجب أن نسعى إليه لانطلاقة جديدة في آفاق التربية والتعليم" (الحمادي، 2004، ص 25)، فالمدرسة المتميزة هي التي تحفظ فيها هبة المعلم ولا تسجل فيها حادثة تهز مكانته، فعلى الطالب أن يتواضع لمعلمه ولا يخرج عن رأيه وتوجيهه، "كان الإمام الشافعي يقول كنت أطوي الورقة بين يدي مالك طيا رقيقا خشية أن يسمع وقعها، وقال الربيع والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبته منه" (سعادة، 1985، ص 89)، والمدرسة المتميزة هي التي تكرم معلمها (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) (النحل: 30)، (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) (النجم: 31)، فهل لدى المدرسة خطة لتكريم المعلمين ضمن آلية واضحة لتنمية روح التنافس بين المعلمين، وهل تقدم بطاقات شكر وشهادات تقدير؟ وهل غرست في طلابها الوعي بحقوق المعلم؟

#### 14 - تعليم مبادئ التربية الجنسية:

يحفل القرآن الكريم بالكثير من التوجيهات الكريمة التي تبيين الآداب الإسلامية وتشكل أسس التربية الجنسية، فقد جاء في الهدي القرآني: (والذين هم لفروجهم حافظون) (المؤمنون: 5)، (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) (النور: 33)، ويلاحظ أن هذه التربية ينظر لها بحذر ووجل مما أدى إلى أن تكون من أشد الأمور إهمالا في تربيتنا أو عدم إعطائها الوزن والأهمية اللازمين.

مع أن أصالة التربية في الإسلام أن يجيء التفكير التربوي بجميع ألوانه وأنماطه متنسقا مع التصور الإسلامي لحقيقة الألوهية وحقيقة الكون وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان (مدكور، 1991، ص 61)، ومن الحقائق المتعلقة بالإنسان دوافعه الجنسية، مما يتطلب تعليمه التربية الجنسية فتعلمها وفق المفهوم الإسلامي من الفقه في الدين



الذي لا يتعارض مع الحياء، فقد قالت عائشة رضي الله عنها "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" (مسلم، 260/1 حديث 332).

والإسلام لا يقف ضد الدوافع وتلبية ما تتطلبه من احتياجات وإنما يحول ضد أبلولتها إلى الفوضوية والإباحية والعدوان على حريات وحقوق وحرمان الآخرين، الأمر الذي يتطلب أن تحاكم التربية الدوافع في مسيرتها محاكمة عقلية منطقية تستند إلى العقيدة والقيم والأخلاق للتوعية بها، وفي الوقت نفسه تنمية الضوابط التي تحول دون التجاوز والاعتداء (الأسمر، 1997، ص192).

وتسير التربية الإسلامية على أساس مبدأ الإعلاء أو التسامي بالغرائز والدوافع والشهوات والملذات والارتفاع بها إلى المستويات الروحية والأنشطة الخلقية المقبولة دينياً وخلقياً واجتماعياً" (العيسوي، 1987، ص185)، لذلك "يجب أن ينظر الآباء والمربون إلى التربية الجنسية باعتبارها جزءاً من العملية التربوية والتي هي عملية حياة، يتعلم فيها الفرد الحياة وتنمو فيها شخصيته نمواً سليماً" (زهرا، 1982، ص412)، فالإسلام يعترف بالدافع الجنسي ويعمل على تفرغته وإشباعه بالطرق المشروعة ويحدد له القواعد والمعايير فلا تصطدم بقيم الإسلام (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (الروم: 21).

ويختلف التربويون فيمن يقع عليه عبء التربية الجنسية، فمنهم من يرى أنها مهمة الوالدين، ومنهم من يرى أنها مهمة المعلم، ومنهم من يرى أنها تعاونية بين الآباء والمربين والمرشدين والأطباء ورجال الدين، ويرى (علوان، 2002، ج2، ص387) أن التربية الجنسية يجب أن يركز عليها المربون خلال أربع مراحل متتالية، من (7-10) سنوات يلقن فيها الطفل آداب الاستئذان والنظر، ومن (10-14) سنة يجنب الولد المراهق كل الاستنثارات الجنسية، ومن (14-16) يعلم فيها الولد البالغ آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهياً للزواج، وفي سن ما بعد البلوغ إلى الشباب يعلم فيه آداب الاستعفاف إذا كان لا يقدر على الزواج، فهل قامت المدرسة بأعباء التربية الجنسية أو شاركت في ذلك بعمل مطويات أو محاضرات عن التربية الجنسية؟ أو دعت أولياء الأمور للتعاون في ذلك فهو جهد مشترك ومطلوب.

#### 15- الأخذ بالمفهوم الإسلامي للثواب والعقاب:

إن لوضوح نظام الثواب والعقاب أهميته في ترسيخ معايير السلوك فكلما كان واضحاً ثابتاً قوياً كلما كان اكتساب معايير السلوك والقدرة على الاحتكام إليها أسهل وأسرع" (الأغا، 1995، ص65).

ويشير التوجيه القرآني لمبدأ الثواب (فَأْتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (المائدة: 85)، كما يشير التوجيه القرآني إلى الأخذ بمبدأ التعزيز والتشجيع، جاء في القرآن الكريم في الثناء على الرسول -صلى الله عليه وسلم- (وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4)، وفي الثناء على داود عليه السلام (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (ص: 30)، إن الأخذ بمبدأ التعزيز المعنوي والمادي ومنها القبول والاستحسان يدفع إلى المزيد من التحصيل والرغبة في العلم، وتفيد الدراسات أن "الشخص عادة ما يستجيب بصورة أحسن إذا وجد تشجيعاً أما إذا وجد تثبيطاً لهممه فعادة ما ينهار أدائه" (الزيادة، 1972، ص215).

أما في موضوع العقاب فإن الإسلام لا يربي بالقهر بل يحترم شخصيات التلاميذ وذواتهم، وإنما يستخدم التوجيه والإرشاد، لكنه يلجأ إلى العقاب كخطوة أخيرة لعلاج حالات فردية وفق ضوابط وشروط، فخط العقاب طويل كما أنه ليس لكل أحد، وهو ليس أول ما يخطر على بال المربي وهو ليس بداية المطاف بل ضرورة تقدر بقدرها، وهو وسيلة استثنائية وليس هدفاً، فالعقاب يسبقه الموعظة، والتوجيه ثم العتاب واللوم والتوبيخ والتهديد والترهيب ثم توقيع العقاب، كما أنه يبدأ بالعقوبة المعنوية وينتهي بالمادية، يبدأ بالتخويف بالله ثم العبوس والغضب والإعراض وهو بعيد عن العقاب الجماعي، والهدف منه إصلاح شأن التلميذ وليس التشفي والانتقام، يوضح فيه للتلميذ أسباب عقوبته كما جاء في الهدي القرآني (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الأنعام: 49)، فقد بين السبب وهو التكذيب والفسوق، لذلك يجب إعطاء الإدارة المدرسية صلاحيات أكبر لتقنين هذه اللوائح وتفعيلها عن طريق مجالس الضبط، وما تراه المدرسة مناسباً انطلاقاً من هذا المفهوم.

#### 16- التقويم المستمر:

العمل التربوي يقترن بالتقويم الدائم، والتقويم في الإسلام يتم في إطار الهدف التربوي، فالاختبار وسيلة للتقويم، وقد جعل القرآن الكريم الامتحان هدفاً؛ بمعنى أنه تقويمي في إطار الهدف، ليفيد في نهاية المطاف في رد الضال إلى سواء السبيل ومضي المهتمين على الصراط المستقيم (وَبَلَّوْنَاَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الأعراف: 168)، كما أن التقويم ينصب على السلوك (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (الملك: 2) وفي إطار هذا المفهوم، "قالمربون يلجأون إلى الامتحان

بمفهومه الواسع، ويراعون الفروق الفردية ويركزون على المواقف السلوكية، ويعلنون نتائج تقويمهم فيراجع المتربون أنفسهم" (كحالة، 1982، ص211).

لكن المشكلة أن تقويمنا لا يقيس إلا التحصيل ويهمل السلوك، فالتحصيل الدراسي لا يعطي الصورة الحقيقية عن (كيف) بناء الفرد من الداخل ولكنه لا يصف إلا الشكل، والامتحانات "لا تقيس سوى جانب ضئيل مما يكون الفرد قد اكتسبه فهي لا تقيس مهارات معرفية أو اتجاهات أو قيم أو مهارات أو غير ذلك من الجوانب التي تتكاتف لبناء الفرد من الداخل" (اللقاني، 1995، ص81)، ولعل ما يدفع المدرسة إلى قياس التحصيل فقط هو أن المناهج المبنية بناء تراكميا بدلا من بنائها على أسس نفسية ومعرفية واجتماعية تدفع المربين إلى التلقين "ليكون الكم لا الكيف هو معيار النجاح في الامتحان، والتعليم لا التربية هو المحور الذي يستأثر بجهد المعلمين، والمعرفة لا السلوك هو الذي ترون إليه وزارات المعارف معتزة بكون خريجها كتباً متحركة أو موسوعات متجولة" (كحالة، 1982، ص203).

ويبين (فرحان، 1986، ص57) أن من جوانب أزمة التربية العربية عدم الاهتمام بتقويم نمو الاتجاهات والقيم "فإن المربين يميلون إلى التركيز على تقويم التحصيل المعرفي للطلاب على حساب تقويم النمو في الجوانب المتعددة لشخصيته مثل النمو الروحي والنمو الانفعالي والنمو الاجتماعي"، ويؤكد (الزواوي، 2003، ص63) أنه ينبغي التركيز على التقويم بدلا من الامتحان، لأنه يتسم بالشمول والاستمرارية لقياس ما حققه الطالب ويتسم بتنوع الأدوات والأساليب وتعدد القائمين عليه، أما الامتحان فهو يركز على جانب واحد من الشخصية، لذلك على المدرسة أن تعمل على إعداد الطالب للحياة والآخرة، وليس للامتحان فقط، فالسلوك أهم من المعرفة.

كما يجب أن تشجع المدرسة طلابها على التقويم الذاتي لما جاء في التوجيه القرآني (ولا أقسم بالنفوس اللوامة) (القيامة: 2)، والتوجيه النبوي "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" (ابن ماجة، د.ت، ج2، ص1423)، كما عليها نشر ثقافة التقويم بين الطلاب والمعلمين، فهل وضعت المدرسة معايير ومنهجية محددة لتقويم أداء العاملين والطلاب؟ وهل قامت بتقويم ما تم تنفيذه؟ وهل وضعت المدرسة خطة لتعزيز العناصر الإيجابية للأداء؟ وهل وضعت خطة لعلاج العناصر السلبية؟

#### 17- النظام والضبط والانضباط والمراقبة:

لقد اهتم التوجيه القرآني بالنظام والضبط (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (الصف: 4)، وجاء في الهدي النبوي "أقيموا صفوفكم

وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري" (العسقلاني، ج2، ص256)، كما اهتم بإشعار المعلمين والمتعلمين بالمراقبة (إن الله كان عليكم رقيباً) (النساء: 1)، (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق: 18)، ومحاسبة النفس والنقد الذاتي (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) (إبراهيم: 22).

ويشير الضبط إلى الدوافع الخارجية للمحافظة على سير العمل، ويشير الانضباط إلى الدوافع الداخلية الذاتية (ريان، 2003، ص267)، ومن الآيات التي تشير إلى الضبط الخارجي (واسمعوا وأطيعوا) (التغابن: 16)، ومما يشير إلى الانضباط الداخلي (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) (النازعات: 40-41)، والمراقبة الذاتية وحدها لا تكفي فلا بد من تفقد المسئول والرئيس للمرؤوسين لما جاء في التوجيه القرآني (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) (النمل: 20).

لذلك فعلى المدرسة أن تنمي في معلمها وطلابها المراقبة والمحاسبة دائماً، كما أنها الدخول مدرسة تعود طلابها الانضباط في الخروج والاستراحة والوقوف أمام المقصف المدرسي وعند العودة إلى البيت، فالمدرسة التي لا تزرع الانضباط ولا تنميها تتحرف عن دورها، ويلحظ ذلك في سلوكيات الطلاب أثناء اللعب أو الحديث داخل المدرسة وخارجها، فهي في معظمها بعيدة عن الضبط السلوكي والالتزام الأخلاقي.

#### 18 - بناء مدرسي متميز:

إن التميز التربوي لا سيما في المدرسة يقوم على بناء متميز والذي هو أحد ركائز المجتمع المدرسي الفاعل والذي يشمل المباني والنظم والمناهج وأساليب التعليم والتعلم، فالمبنى ونظافته وتهويته وألوان جدرانه وإضاءته والحفاظ على هذه الممتلكات يميز مدرسة عن مدرسة، فلماذا لا تكون المدرسة مثل الحديقة" (الحمادي، 2004، ص95-96)، فقد أصبحت المباني المدرسية تسترعي انتباه جميع الدول باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من أسس التربية الحديثة، بما يتوفر فيها من تهوية صحية وإضاءة كافية وبساطة في البناء وملاءمة للبيئة (حسين، 1994، ص73)، وليس المقصود المبالغة في البناء فهذا أمر مخالف لتعاليم الإسلام وأصوله، فيكفي أن "يكون المبنى بسيطاً نظيفاً وافياً بالاحتياجات الضرورية في غير إسراف أو مبالغة" (النجار، 1990، ص188).

ويشمل البناء المدرسي المتميز المسجد المدرسي: فهو "المركز الذي يدور عليه بناء أية مدرسة أو معهد تربوي" (النجار، 1990، ص188)، وقد جاء في الهدي القرآني

(وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) (الجن: 18)، وبما أن العملية التربوية تبدأ باسم الله من أجل إعداد الإنسان العابد لله لذلك يجب أن يكون المسجد ذا دور فاعل في المدرسة، ويجب أن يحوي المبنى المدرسي مصلى ومكانا للوضوء يصلي فيه المعلمون مع الطلبة ولا يصلون وحدهم، فكيف الأمر عندما لا يوجد مصلى في المدرسة أو لا تقام الصلاة فيها أصلا؟ وليس المصلى وحده على أهميته هو ما يميز المبنى؛ بل لا بد أن يشتمل البناء المدرسي المتميز على المكتبة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق: 1)، ويؤكد (فرحان، 1982، ص104) أنه "لا بد من أن يبنى في كل مدرسة مسجد، وأن يلحق بكل مدرسة مختبر ومشغل، ويلحق بها ساحة للرياضة وللتدريب العسكري، وأن يحسن استخدام بنائها ومرافقها لتكون مركز إشعاع في المجتمع، لأولياء الأمور ولسائر النشاطات الثقافية والاجتماعية للبيئة المحلية"، فهل للمسجد المدرسي دور فاعل في العملية التربوية، وهل للمكتبة دور فاعل كذلك، وإلى أي مدى تقوم المدرسة بتفعيل هذا الدور من خلال ما يقدمه المسجد والمكتبة من أنشطة ومسابقات، وهل يقوم الطلاب بالاهتمام بالبناء المدرسي ونظافته من خلال تزيين ساحات المدرسة وجدرانها والعناية بحديقته؟

#### نتائج وتوصيات :

خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج يجمها الباحث بما يلي:

- 1- التميز التربوي الإسلامي فرع عن التميز الإسلامي الذي هو الطريق المستقيم، وهو ليس تميزا علميا فقط بل تميز عقدي أخلاقي تربوي ينطلق من مفاهيم تميز التربية الإسلامية ومناهجها وأهدافها ومحتواها وأساليبها ووسائلها وتقويمها.
- 2- التميز هو ضرورة شرعية وتربوية وحضارية وهو تلبية للشعور بالامتنان والتفرد الإسلامي وواجب الأمة الوسط الشاهدة على الناس.
- 3- إن مقومات التميز التربوي عديدة منها تقديم التربية على التعليم (التربية أولا)، منظومة للقيم التربوية الإسلامية، توفير بيئة تربوية آمنة خالية من التلوث، وجود المعلم القدوة، نوعية متميزة من الأداء، تعليم التفكير الإبداعي وربطه بالإيمان، بيئة تربوية مشوقة ومحفزة، تفعيل النشاط المدرسي، تواصل وفعالية اجتماعية، انفتاح واع أصيل، مناخ تربوي تخفف فيه ضغوط العمل، إعلاء لقيمة العلم والمعلم، تعليم مبادئ التربية الجنسية، الأخذ بالمفهوم الإسلامي للثواب والعقاب، بيئة ذات ضبط وانضباط، بناء مدرسي متميز، التقويم المستمر.

4- المدرسة المتميزة كمجال لتطبيق مفهوم التميز التربوي هي:

- مدرسة أخلاقية قيمها هي قيم إسلامية، حيث تشكل الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من فلسفتها.
- مدرسة لها أهدافها الواضحة تتجه بجهودها لتحقيق المثل الأعلى، تتطلق من الثوابت ولها هامش واسع في الأساليب والوسائل.
- مدرسة شاملة في مناهجها تعد الإنسان إعداداً شاملاً روحياً وجسدياً ونفسياً، يحقق برنامجها هذا الشمول.
- مدرسة عملية تترجم العلم إلى تطبيق والأخلاق إلى سلوك.
- مدرسة إيمانية مبدعة، إبداعها ليس إبداعاً علمانياً منبث الصلة بالسماء.
- مدرسة يتميز معلموها إنجازاً وإعداداً وعلى اتصال بأولياء الأمور، فدور المعلم ليس محدوداً بل يتضمن التفاعل المجتمعي.
- متميزة الأنشطة: فهي أنشطة فاعلة.
- متميزة في نظم التقويم: فالتقويم ليس للامتحان بل لتقويم الخلق والسلوك أولاً، يربط بين نتائج الامتحان الآني التحصيلي ونتائج الامتحان النهائي يوم القيامة.
- متميزة المبنى: فيه مسجد ومكتبة فاعلة.

**وفي ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:**

- 1- نشر ثقافة التميز في المدرسة بين جميع العاملين والطلاب.
- 2- اعتماد مفاهيم التميز القائم على الجودة والإتقان، وامتلاك مقوماته كطريق للتميز.
- 3- أن تجعل المدرسة التربوية هي أولى أولويتها دون التفريط في الإنجاز العلمي.
- 4- الاهتمام بالمعلم وإعطائه المكانة الاجتماعي اللائقة به فهو القدوة.
- 5- توفير الظروف المهنية للمعلمين للعطاء والإنجاز والإبداع.
- 6- تهيئة مناخ مدرسي ملائم لعملية التعليم والتعلم.
- 7- مراعاة تطبيق مبادئ وقواعد الثواب والعقاب.
- 8- تقديم التغذية الراجعة للمعلمين والمتعلمين واستمرار عمليات التقويم.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1- ابن حنبل، أحمد (د.ت.): مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 2- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (2003): مدارج السالكين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بيروت، القاهرة.
- 3- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (د.ت.): زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية، القاهرة.
- 4- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت.): لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- 5- أبو العينين، علي خليل (1988): القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حليبي، المدينة المنورة.
- 6- أبو دف، محمود خليل (2002): مقدمة في التربية الإسلامية، مكتبة آفاق للطباعة والنشر، غزة.
- 7- أبو دف، محمود خليل والوصيفي، ختام (2007): جودة التعليم في التصور الإسلامي مفاهيم وتطبيقات، بحث مقدم للمؤتمر التربوي الثالث الجودة في التعليم الفلسطيني كمدخل للتميز، المنعقد في الجامعة الإسلامية في غزة في الفترة من 30-31 أكتوبر 2007.
- 8- أبو زنت، عبد المنعم (1990): التميز الإسلامي، مكتبة السندس، الكويت.
- 9- الأسمر، أحمد رجب (1997): فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.
- 10- الأغا، إحسان خليل (1995): أساليب التعلم والتعليم في الإسلام، الجامعة الإسلامية، غزة.
- 11- أنيس، إبراهيم وآخرون (د.ت.): المعجم الوسيط، (د.ن.).
- 12- ثابت، زياد محمد (2007): مقومات البيئة المحفزة للتعلم من منظور إسلامي، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر التربوي نحو بيئة آمنة ومحفزة للتعليم والتعلم الذي عقدته دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث الدولية بغزة في 6 ديسمبر 2007م.
- 13- الحسني، أحمد معاذ الخطيب وآخرون (2000): ما لا نعلمه لأولادنا، دار السلام، القاهرة.

- 14- حلمي، فؤاد وفضل نشأت (1998): مفهوم الجودة الشاملة بالتعليم، مجلة كلية التربية
- 15- حسين، منصور (1994): التربية المدرسية ما لها وما عليها، نهضة مصر، القاهرة.
- 16- الحمادي، عبد الله علي (2004): هيبة المعلم بين الواقع والطموح، دار بن حزم، بيروت.
- 17- حمدي، حسن (2004): مهارات الرغبة في التعلم، دار اللطائف، القاهرة.
- 18- خليل، عماد الدين (1992): حول تشكيل العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.
- 19- خيال، محمد والجوهري، محمود (1979): الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، دار الدعوة، الإسكندرية.
- 20- دياب، سهيل رزق (2007): تطوير أداة لقياس جودة المدارس وتوظيفها في قياس جودة وتميز مدارس التعليم العام بقطاع غزة، بحث مقدم للمؤتمر التربوي الثالث الجودة في التعليم الفلسطيني كمدخل للتميز، المنعقد في الجامعة الإسلامية في غزة في الفترة من 30-31 أكتوبر 2007م
- 21- ريان، محمد هاشم (2002): المنهاج التربوي من منظور إسلامي، دار اليقين، القدس.
- 22- الزرنوجي، برهان الدين (1977): تعليم المتعلم في طريق التعلم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 23- الزنتاني، عبد الحميد الصيد (1993): أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
- 24- زهران، حامد عبد السلام (1982): علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة.
- 25- الزواوي، خالد محمد (2003): الجودة الشاملة في التعليم، مجموعة النيل العربية، القاهرة.
- 26- الزيادة، محمود (1972): أسس علم النفس العام، مكتبة سعيد رأفت القاهرة.
- 27- الزين، سميح عاطف (1980): مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة.



- 28- السعادات، خليل إبراهيم (2005): ضغوط المعلم المهنية، صحيفة الجزيرة، العدد 11914، الخميس 2005-5-12، [http://archive.al-](http://archive.al-jazirah.com.sa/2005jaz/may/12/rjl.htm)
- 29- سعادة، إبراهيم (1985): الإسلام وتربية الإنسان، مكتبة المنار، الزرقاء.
- 30- السيوطي، جلال الدين (1990): الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 31- شاهين، محمد وشندي، إسماعيل (2004): جودة التعليم من منظور إسلامي، ورقة عمل علمية أعدت لمؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني، المنعقد في جامعة القدس المفتوحة في الفترة من 3-5 يوليو 2004.
- 32- الشوكاني، محمد بن علي (1995): فتح القدير، دار المعرفة، بيروت.
- 33- العجلوني، إسماعيل (د.ت.): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر في الأحاديث على ألسنة الناس، دار التراث، القاهرة.
- 34- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي (1998): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة.
- 35- علوان، عبد الله ناصح (1984): مسئولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام، دار السلام، القاهرة.
- 36- علوان، عبد الله ناصح (2002): تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، القاهرة.
- 37- علي، سعيد إسماعيل (1992): الأصول الإسلامية للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 38- عويس، عبد الحلیم (د.ت.): ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، دار الصحوة للنشر، القاهرة.
- 39- عويس، عبد الحلیم (1994): فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية، دار الصحوة، القاهرة.
- 40- العيسوي، عبد الرحمن محمد (1987): سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت.
- 41- غراب، هشام وأبو سلطان، عبد النبي (2007): مدى فاعلية برنامج المدارس المتميزة في تحسين الجودة في التعليم العام بمدارس وكالة الغوث الدولية بغزة، بحث

- مقدم للمؤتمر التربوي الثالث الجودة في التعليم الفلسطيني كمدخل للتميز، المنعقد في الجامعة الإسلامية في غزة في الفترة من 30-31 أكتوبر 2007.
- 42- فرحان، إسحق أحمد (1982): التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان.
- 43- فرحان، إسحق أحمد (1986): أزمة التربية في الوطن العربي من منظور إسلامي، دار الفرقان، عمان.
- 44- فرحان، إسحق ومرعي، توفيق (1984): المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان.
- 45- القرضاوي، يوسف (1995): الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، مكتبة وهبة، القاهرة.
- 46- القرضاوي، يوسف (2002): الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 47- القرطبي، أبو عبد الله محمد (2002): الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة.
- 48- قطب، سيد (1979): خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، بيروت.
- 49- قطب، سيد (1980): في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.
- 50- قطب، سيد (1983): العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت.
- 51- قطب، محمد (1982): منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، لبنان.
- 52- كحالة، زهير محمد شريف (1982): القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر، عمان.
- 53- الكمالي، عبد الله (2003): الطريق إلى التميز التربوي، دار ابن حزم، بيروت.
- 54- اللقاني، أحمد حسين (1995): المنهج الأسس المكونات التنظيمات، عالم الكتب، القاهرة.
- 55- المبارك، محمد (1981): المجتمع الإسلامي المعاصر، بيروت.
- 56- مذكور، علي أحمد (1991): منهج تدريس العلوم الشرعية، دار الشواف، القاهرة.
- 57- مسلم، الحجاج أبو الحسن (د.ت.): صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 58- منصور، مصطفى يوسف (2007): مقومات المدرسة الفاعلة من منظور تربوي إسلامي، ورقة عمل مقدمة لليوم الدراسي المدرسة الفاعلة أسس وتطبيقات، المنعقد في الجامعة الإسلامية-غزة في 28 يناير 2007.

## التميز التربوي من منظور إسلامي

- 59- ناصف، منصور علي (1961): **التاج الجامع للأصول**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 60- النجار، زغلول راغب (1990): **أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية**، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- 61- النحلاوي، عبد الرحمن (1979): **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، دار الفكر، دمشق.
- 62- النقيب، عبد الرحمن (1997): **أولوية الإصلاح التربوي**، دار النشر للجامعات، القاهرة.
- 63- الهاشمي، عابد توفيق (1982): **مدخل إلى التصور الإسلامي للإسنان والحياة**، دار الفرقان، عمان.
- 64- الهيثمي، علي بن أبي بكر (1986): **مجمع الزوائد**، دار الريان للتراث، القاهرة.
- 65- وكالة الغوث الدولية (2006): **المدارس المتميزة**، غزة.

الآثار النفسية لهجر القرآن الكريم  
على حياة الفرد المسلم وسبل علاجها  
بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:  
"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

الدكتور / عبد الفتاح عبد الغني الحمص

أستاذ الصحة النفسية المساعد

كلية التربية / قسم علم النفس

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم وسبل علاجها، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة اتبع الباحث المقابلة مع أهل الاختصاص، كأسلوب تحليل المحتوى من ناحية كيفية، كأحد تقنيات المنهج الوصفي، وتبلورت الدراسة حول الأسئلة التالية: ما مظاهر هجر القرآن الكريم؟ وما الأثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم؟ وما الخطة العلاجية لمواجهة الأثار السلبية لهجر القرآن الكريم؟ وتوصلت الدراسة إلى أن من أهم مظاهر هجر القرآن الكريم: القول فيه بغير الحق، والإعراض فيه واللغو عنه، وترك تلاوة القرآن بالكلية، ونسيان القرآن بعد حفظه، أما من أهم الأثار النفسية لهجره على حياة الفرد المسلم: قسوة القلب، وتغلب الشيطان وأعوانه من شياطين الجن والإنس، وحرمان الفرد المسلم من فضل التلاوة والتعبد بها، والحرمان من شفاعته له يوم القيامة، ولمواجهة الأثار النفسية لهجر القرآن الكريم أن يكون الفرد المسلم من أتباع القرآن الكريم؛ لأنه سبب نجاته، وخروجه من الضنك والضلال الذي يجياه، ولا يمكن للفرد المسلم أن يواجه قضايا عصره وزمانه؛ إلا بالقرآن الكريم، وتوصلت الدراسة إلى التوصيات التالية: أن القرآن المجيد أنزله الله تعالى على قلب نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه العضو الوحيد في الإنسان القادر على استقبال وتلقي "القول الثقيل" كما أنزله الله تبارك وتعالى، والقلب الذي يستقبل القرآن الكريم قلب لابد أن يستولى عليه الشعور بأنه حين يقبل على القرآن إنما يقترب من حضرة القدس، فالقرآن كلام الله تعالى فإن لم يشاهد حضرة القدس، ولم يسمع فإن الله منزل القرآن بسمعه ويراها. فعليك أن تدرك أنه يسمعك إن أحسنت التلاوة فتلوت القرآن حق تلاوته، أو أسأت الترتيل؛ فإن رضي الله تعالى تلاوتك؛ طهرتك، وهياً قلبك لاستقبال نفحاته، وجعل بينك وبين الذين لا يؤمنون حجاباً مستوراً فلا يصلك أذاهم ولا ينال منك مكرهم. وطهرتك تطهيراً.

### Summary of research

: study aimed to uncover the psychological impact of the abandonment of the Koran on the lives of individual Muslim and remedy, and follow researcher descriptive analytical approach, and achieving the objectives of the study followed the scientist interview with specialists, content analysis method on how, as a descriptive approach techniques, and crystallized study on the following questions: What aspects of abandonment Koran? And the psychological effects of abandonment of the Koran on the lives of individual Muslim? What remedial plan to address the negative effects of the abandonment of the Koran? The study found that one of the most important manifestations of abandonment Koran: Without the right to say it, and symptoms and harangue him, and leave the reading of the Koran College, and forgetting the Koran after keepers, either one of the most important psychological effects of migration on the life of the individual is: cruelty of the heart, and beat the devil and his demons from jinn and mankind, and the denial of the individual is preferred reading and worship, and the denial of his intercession on the Day of Resurrection, and to address the psychological effects of abandonment of the Koran to be the individual Muslim followers of the Koran; that reason Angeles, and he came out of dengue and error which Yahyah, nor can the individual Muslim to facing issues of his time and timing; only holy Koran, the study found the following recommendations: The Quran Majid revealed by God to the heart Nabih Mohamed peace be upon him; because it is the only member of the human person is capable of receiving and received "saying heavy" also produced, the Almighty God's, and heart receiving heart of the Koran must be seized by a sense that while accepting the Koran but was attended by close to Jerusalem, The Koran is the word of God Almighty has not watched attended Jerusalem, did not hear the house of God and the Koran reputation see. You should be aware that it ever did reading the Koran Vthelot right reading, or Asat Motet; the blessings of God Almighty Tlaotk; purity, and your heart to receive any behavior, and made between you and those who do not believe headscarf Mistura not Aisalk whom you do not receive plots. Cleansing and purity.

## مقدمة

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعانا إلى تدبره وفهمه والعمل به كما أراد وبيّن في محكم التنزيل. وأول مراحل التعامل الرباني مع القرآن الكريم هي التلاوة والقراءة، حيث كان أول ما أوحى به إلى الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾<sup>(1)</sup>، وقد أمر الله تعالى عباده بتلاوة القرآن الكريم في آيات كثيرة قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا﴾<sup>(2)</sup>.

إن القرآن الكريم كتاب الله الذي منه بدأ وإليه يعود، نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، تكفل الله بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(3)</sup>، تعبدنا الله بتلاوته وتدبر آياته ومعانيه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(4)</sup>، كتاب جمع الله فيه خيرى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>(4)</sup>، من تمسك به نجا ومن أعرض عنه فقد ضل وفاز بالردى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(5)</sup>، كتاب معجز بسوره وآياته وحروفه، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(6)</sup>.

وحين سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كان؟ وكيف تصفه؟! قالت كلمتها الحكيمة الوجيزة العظيمة: "كان خلقه القرآن". وهذا الذي قالته عائشة رضي الله عنها يمكن تعميمه في جميع جوانب الحياة. فإذا سألنا عن اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقد كانت عقيدته القرآن. وإذا سألنا عن تصوّره؟ فقد كان تصوّره القرآن. وإذا سألنا عن شريعته؟ فقد كانت شريعته القرآن.

<sup>1</sup> سورة العلق: الآيات (1-3).

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية (27).

<sup>3</sup> سورة الحجر: الآية (9).

<sup>4</sup> سورة محمد: الآية (24).

<sup>5</sup> سورة الإسراء: الآية (9).

<sup>6</sup> سورة طه: الآية (124).

وإذا سألنا عن علمه؟ فقد كان علمه القرآن. وإذا سألنا عن عبادته؟ فقد كانت عبادته القرآن. وإذا سألنا عن سنته وسيرته؟ فإنَّ سنته وسيرته هي القرآن.. فالقرآن المجيد كان حاضراً مهيمناً بقوة في كل شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم جليلاً كان أم دقيقاً، وكان حاضراً في كل شأن بحيث لا يمكن تجاهله أو تناسيه أو الإعراض عن استدعائه في أيِّ شأن من الشئون دون تفریق بين ما يعدُّ شأناً دنيوياً أو شأناً أخروياً، غيبياً أو من عالم الشهادة فكانت حياته صلى الله عليه وسلم وحياة أهل بيته وآله وصحابته بصفة عامة القرآن، منه وبه يستمد النور، وبه تصاغ الحياة، وبآياته المحكمة ترسى دعائم المدينة والحضارة، وتبنى الأمة وتحقق شهودها الحضاري.

فجاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة ترشد الأمة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقّه، أو هجران تلاوته والعمل به، ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله صلى الله عليه وسلم لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(1)</sup>، وتوعّد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: ﴿... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾<sup>(2)</sup>، ثم صور حالة ذلك المعرض يوم القيامة فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر ذلك (غازي الشبيب) في دراسته التي أعدها بعنوان: "تواري الثقافة القرآنية.. الأسباب والطلول" أن الذين يتعاملون مع القرآن الكريم تعاملاً سطحياً، ولم يُعطوا القرآن الأولوية والمكانة المناسبة له، وإنما حُجم دوره في مراسيم الافتتاح وفي الجنائز ودفن الموتى أو في الوصفات العلاجية وغيرها<sup>(4)</sup>.

ومن أنواع هجر القرآن الكريم: هجر سماعه وتلاوته: فلا يوجد على وجه البسيطة كتاب يحرم هجره، ويجب تعاهده وتلاوته؛ إلا القرآن الكريم، فإن هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب، وقد أثنى الله عز وجل على الذين يتعاهدون كتاب ربهم بالتلاوة فقال: ﴿... مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ

<sup>1</sup> سورة النساء: الآية (82).

<sup>2</sup> سورة الفرقان: الآية (30).

<sup>3</sup> سورة طه: الآيتان (99-101).

<sup>4</sup> الشبيب، غازي، (2007): تواري الثقافة القرآنية.. الأسباب والطلول، العدد الأول، مجلة القرآن نور،

[http://www.qnoor.net/mag/index.php?option=com\\_content&task=view&id=18](http://www.qnoor.net/mag/index.php?option=com_content&task=view&id=18)



قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿1﴾، وحتى لا يقع الناس في هجران القرآن، فقد بحث العلماء مسألة: في كم من المدة يقرأ القرآن، وقالوا: "يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن".

وكذلك هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه: فيحرم هجر العمل بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن إنما نزل لتحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده، فلا يجوز ترك العمل بالقرآن، فإن العمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله. وهجر تحكيمة والتحاكم إليه: فقد أنزل الله عز وجل كتابه الكريم حتى يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ونهاهم سبحانه عن تحكيم أو تحاكم إلى غير القرآن، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين، وهو الحكم فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم ودنياهم، فلا يجوز هجره لابتغاء الحكم في غيره.

كذلك هجر تدبره وتفهمه وتعقل معانيه: فتدبر القرآن الكريم وتعقل معانيه مطلب شرعي، دعا إليه القرآن وحثت عليه السنة المطهرة، وعمل به الصحابة والتابعون ومن بعدهم، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...﴾ (2)، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (3)، وعليه فلا يجوز هجر تدبره وتأمل معانيه وأحكامه، وكذلك هجر الاستشفاء به والتداوي به في أمراض القلوب والأبدان، وقد وردت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (4)، وقوله تعالى: ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (5).

ولهجر القرآن الكريم أسباب كثيرة أهمها: البعد عن الله تبارك وتعالى، وضعف الإيمان الذي يصور للإنسان السعادة في الملهييات الكثيرة، كالإعلام الفاسد الذي غزى بيوتنا، والتشاغل بما هو غير مفيد ومضيع للوقت، وكذلك التعليم الذي ركن القرآن وجعله أقل من ثانوي في حياة الطلاب والطالبات وتعظيم العلوم الدنيوية وجعل لها نصيب الأسد من أوقات الدراسة، وإذا أصبح العبد وأمسى وليس همّه إلا

<sup>1</sup> سورة آل عمران: الآية (113).

<sup>2</sup> سورة ص: الآية (129).

<sup>3</sup> سورة محمد: الآية (24).

<sup>4</sup> سورة الإسراء: الآية (82).

<sup>5</sup> سورة فصلت: الآية (44).

الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبتة، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته،

وإن أصبح وأمسى والذنيا همُّه، حمَّله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم.

فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته، بُليَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (1).

كذلك عدم الإيمان و اليقين بأن في هذا الكتاب الكريم شفاء لكل داء.. مهما كان شكل الداء و نوعه. فلو أننا سمعنا باسم فلان عنده الحل لكل المشكلات لرأينا الناس كلها هرعت إليه حتى و لو طلب أعلى الأسعار.. فما بالنا تركنا ما بين أيدينا و انطلقنا نبحث عن محل مشاكلنا..؟ الأمر فقط يحتاج منا تفهم و تدبر لكلام الله لنكتشف و نتلمس مواطن العلاج(2).

#### مشكلة الدراسة :

إنَّ من أهم ما ابتليت به الأمة وأدى إلى بروز كثير من الأزمات، وظهور العديد من الظواهر السلبية والمشكلات "حالة هجر القرآن" التي سقطت فيها من كانت تدعى "أمة القرآن" وتردَّت فيها حتى ألفتها فتحوّلت إلى حالة متأصلة، وظاهرة ملازمة دون أن يشعر الكثيرون بها.

وقد لاحظ الباحث أن الكثيرون من المسلمين يرون أن العلاقة بينهم وبين القرآن ما تزال علاقة قويّة متينة، إذ ما من دولة من دول المسلمين إلا وهي تقوم بطبع القرآن الكريم وتوزيعه بأعداد تقل أو تكثر، وتقوم في الكثير منها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم والعناية به، وتقدم دروساً قرآنيّة في مراحل التعليم بأشكال كثيرة وترصد الجوائز لحفظه وتجويده... وبالتالي فإنَّ بعض الناس - بل أغلبهم - لا يستطيعون أن يلمسوا أو يسلّموا بأنَّ هناك حالة هجر بين القرآن والمسلمين الذين هم الأمة التي تكونت بهذا القرآن، خاصّة وهم يسمعون آيات الكتاب الكريم صباح مساء إن

<sup>1</sup> سورة الزخرف: الآية (36).

<sup>2</sup> دار فاطمة النسائية، عالم بلا مشكلات، <http://www.noo-problems.com/vb/showthread.php?t=29967>

شاعوا تتطلق من العديد من الفضائيات والمحطات الإذاعية المتخصصة بالقرآن الكريم أو المشتركة مع برامج أخرى.

ولذلك فإن حالة الهجر هذه قد لا يسلم الكثيرون بوجودها؛ لكننا - مع أخذ ذلك كله بنظر الاعتبار - نؤكد أنها حالة قائمة. وأنّ الدليل عليها سائر المظاهر السلبية التي تنتشر في كياننا الاجتماعيّ كلّه، وتنتخر في سائر جوانبه من انحرافات في العلاقات بين الحاكم والمحكوم، وخروج عن موازين العدل والأمانة في كثير من النظم واضطراب في برامج التعليم والتنمية والاقتصاد والعلائق الاجتماعية، وفساد في الأخلاق ونظم الحياة على اختلافها<sup>(1)</sup>.

في ضوء ما سبق يمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة البحثية

التالية:

- ما مظاهر هجر القرآن الكريم من وجهة نظر أفراد العينة (أساتذة الجامعات)؟
- ما الآثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم؟
- ما الخطة العلاجية لمواجهة الآثار السلبية لهجر القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة:

- معرفة مظاهر هجر القرآن الكريم من وجهة نظر أفراد العينة.
- الكشف عن الآثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم.
- توضيح الخطة العلاجية لمواجهة الآثار السلبية لهجر القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

- تتناول الدراسة موضوعاً على درجة كبيرة من الأهمية، وخاصة الآثار النفسية المترتبة على هجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم.
- يزيد من أهمية هذه الدراسة بعد الكثيرين من الباحثين والمهتمين عن تناول الأثر النفسي الذي يترتب على حياة الفرد المسلم عند هجره القرآن الكريم.
- قد تفيد هذه الدراسة المهتمين بشئون تدريس القرآن الكريم في المساجد والمدارس والمؤسسات الدينية وغيرها في مختلف مجالات الحياة التربوية.

إجراءات الدراسة:

<sup>1</sup> العلواني، طه جابر، هجران الأمة للقرآن، هل من سبيل إلى إزالة أسبابه؟،

[http://www.ejiit.org/ejiit/news\\_read.asp?id=51](http://www.ejiit.org/ejiit/news_read.asp?id=51)

قام الباحث بإجراء مقابلة مع عينة من الأساتذة المتخصصين بهدف الوصول لأسس الخطة العلاجية حول أسئلة الدراسة، وتم استيضاح بعض النقاط والتي دارت في مجملها حول تساؤلات الدراسة، كأسلوب تحليل للمحتوى من ناحية كيفية، كأحد تقنيات المنهج الوصفي.

#### مصطلحات الدراسة:

**القرآن الكريم** : اسم لكلام الله وهو بمعنى المقروء، ويسمى المقروء عادة على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر ثم اشتهر ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي فصار القرآن اسماً لكلام الله وقيل: هو اسم علم لكتاب الله غير مشتق كالتوراة والإنجيل<sup>(1)</sup>.

أو هو المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة<sup>(2)</sup>.

#### هجر القرآن:

**الهجر لغةً**: انظر صفة الهجر وتفهمه من هجرانه وترك العمل به وامتنال أو امره واجتناب زواجه من هجرانه والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه<sup>(3)</sup>.

**هجر القرآن اصطلاحاً**: لم تذكر كتب المصطلحات " هجر القرآن " مصطلحاً ويمكن في ضوء ما أوردته كتب اللغة وما ذكره المفسرون أن هجر القرآن له جانبان : أحدهما يتعلق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفار، والمنافقين، والآخر يتعلق به بعد الإقرار بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئاً منه، ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه، وعلى ذلك فإن

<sup>1</sup> القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تفسير القرطبي، ج 2، دار الشعب، القاهرة، مصر، ص 298.

<sup>2</sup> فقيهي، محمد حنيف، (1987)، إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص 181.

<sup>3</sup> الحفني، عبد المنعم، (2004)، تفسير القرآن العظيم، ج 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 329.

هجر القرآن هو الإعراض عنه أو اللغة فيه والقول فيه بغير الحق، كالزعم بأنه سحر أو شعر ونحو ذلك من سيء القول، وترك تلاوته أو العمل به أو نسيانه بعد الحفظ<sup>(1)</sup>. وقد عرفه الباحث إجرائياً بأنه: " هجر القرآن إهمال الحكمة المرتبطة بالقرآن الكريم، وإبعاد القرآن عن الحياة الفردية العملية بأي شكل من أشكال الهجر: كهجر قراءته، أو هجر تدبره، أو هجر سماعه وتلاوته، أو هجر تحكيمه والتحاكم إليه، أو هجر تدبره وتفهمه وتعقل معانيه".

أهم نتائج الدراسة:

إجابة التساؤل الأول:

والذي نصه: ما مظاهر هجر القرآن الكريم من وجهة نظر أفراد العينة (أساتذة الجامعات)؟

إن ظاهرة هجر القراءة والتلاوة من المظاهر البارزة في المجتمع الإسلامي حتى أصبح القرآن الكريم لا يثلى إلا على الأموات، وحتى أن أحدنا إذا سمع قائلًا يقول (الفاتحة) يتبادر إلى ذهنه أن هناك ميتًا!! ومع كل دعوات القرآن للتلاوة والترنيل، ومع كل دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم، فإننا لا نجد أذاناً صاغية إلا عند القليل القليل من المؤمنين!! فيبدو أن الهجر القرآني واضحاً وجلياً، وهذا مما يحز في النفس و لتبيان مظاهر الهجر فإن من أهمها:

أولاً- القول فيه بغير الحق: وهذا صنيع الكفار الذي حُكي عنهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(2)</sup>، أي قالوا فيه غير الحق من أنه سحر أو شعر<sup>(3)</sup>، وقال الطبري: يعني قولهم فيه السب من القول، فقالوا غير الحق<sup>(4)</sup>.

إن الأمة في وقتها الحالي وإن أكثر من قراءة القرآن وطباعته ومدارسة تفسيره وقراءته وخصّصت المحطات القرآنية والفضائيات لترديد آياته، فإنها في حالة هجر للقرآن الكريم من حيث العمل به، وتدبر معانيه ودلالاته، ومعرفة المراد به وبناء

1 منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، (1955)، لسان العرب، ج1، تحقيق:

عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 182.

2 سورة الفرقان: الآية (30).

3 تفسير القرطبي، مرجع سبق ذكره، ج13، ص 20.

4 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن خالد بن جرير، (2001)، تفسير الطبري، ج9، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص385.

الحياة بمقتضاه وإن انشغلت ألسنتها وأسماعها به، فذلك لا يخرجها من الاتصاف بحالة الهجر، ولن تخرج من ذلك حتى تصبح صلتها به أفاظاً ومعاني وتأويلاً وتطبيقاً، ومعايشة كاملة، فزوال وجه من أوجه الهجر لا يخرجها من صفة الهجر. وهجر القرآن خطيئة كبيرة وخطأ عظيم ما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يقع فيه، إذا تبين هذا فلا بد لنا من تتبع مظاهر الهجر لنعرف كيف نتجاوزها، وكيف نتخلص منها، وكيف ننقذ أنفسنا من الوقوع بين أولئك الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً<sup>(1)</sup>.

إن آيات القرآن خزائن العلم، فكلمًا فتحت خزانة ينبغي لك أن تنتظر ما فيها، كذلك الذين يريدون أن يتدبروا القرآن ألا يكن همهم آخر السورة، وأن يقرءوا القرآن ليكوا فإن لم ييكوا فليتبكوا.

ثانياً - الإعراض عن القرآن واللغو فيه: وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة، يقول الطبري: وذلك أن الله أخبر عنهم بأنهم قالوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾<sup>(2)</sup>، وذلك هجرهم إياه<sup>(3)</sup>.

ومن المصائب التي نراها في أوساط المسلمين بل والمؤمنين هي أنهم في كلامهم ومحادثاتهم لا يختلفون قبل قراءة القرآن وبعده، بل إنهم يزدادون صراخاً ودويًا حينما يقرأ القرآن على مسامعهم، وكأن الله سبحانه أمر في قرآنه باللغو حين الاستماع بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(4)</sup>، إن القرآن لم يقبل منا بالسماع فحسب، بل أراد منا الاستماع، وهو السماع الواعي المتدبر، وإنك إذا رأيت هذه الظاهرة السيئة جدًا، ظاهرة اللغو والقرآن يُتلى، لترحمت على السامعين فضلاً عن المستمعين! ومن الغريب أنك لا ترى استكثاراً لهذه الظاهرة الغريبة المنكرة!! واكبر الظن أن هؤلاء (اللاغين) لا يعرفون قيمة الاستماع إلى القرآن الكريم، ويحسبون ذلك من الأمور العادية، بينما الآية المباركة والروايات صريحة بضرورة الاستماع والإنصات، وفيهما انفتاح لباب الرحمة الإلهية التي تتطلع إليها قلوب

<sup>1</sup> العلواني، طه جابر، (2008): هجران الأمة للقرآن، هل من سبيل إلى إزالة أسبابه؟، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، آذار.

<sup>2</sup> سورة فصلت: الآية (26)

<sup>3</sup> تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج9، ص385.

<sup>4</sup> سورة الأعراف: الآية (204).

المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1)،  
إنها الرحمة الإلهية التي تهبط على هؤلاء المنصتين المستمعين.

ويستعرض لنا القرآن الكريم استماع المؤمنين الصالحين بقوله: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (2)، ويصف القرآن حالة الأجيال الإيمانية على طول التاريخ حينما يستمعون إلى آيات الله بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ (3)، ويرسم القرآن حال المؤمنين وهم يستمعون القرآن: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ (4)، إنه الاستماع الخاشع، والعيش الكريم في أجواء القرآن، والخرور للأذقان سجداً وبكياً، وقشعريرة الجلود ثم لين الجلود والقلوب معاً! فأين نحن من هؤلاء!

ثالثاً- ترك تلاوة القرآن بالكلية: وهذا المعنى قد أورده القرطبي في الآية الكريمة السابقة عندما ذكر: وقيل معنى مهجوراً أي متروكاً، وما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" (5).

إن ظاهرة هجر القراءة والتلاوة من المظاهر البارزة في المجتمع الإسلامي حتى أصبح القرآن الكريم لا يُتلى إلا على الأموات، وحتى أن أحدنا إذا سمع قائلًا يقول (الفاتحة) يتبادر إلى ذهنه أن هناك ميتاً!!، وتتبادر إلى أنفه رائحة السدر والكافور!!.. ومع كل دعوات القرآن للتلاوة والترتيل، ومع كل دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم، والأئمة رضوان الله عليهم، فإننا لا نجد أذاناً صاغية إلا عند القليل القليل من المؤمنين!! قال تعالى: ﴿... وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (6)، وقوله: ﴿... فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (7)،

<sup>1</sup> سورة الأعراف: الآية (204).

<sup>2</sup> سورة الإسراء: الآيتان (107-109).

<sup>3</sup> سورة مريم: الآية (58).

<sup>4</sup> سورة الزمر: الآية (23).

<sup>5</sup> الشيباني، محمد بن عبد الله (ب.ت)، المستدرک على الصحيحين مع تعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، رقم الحديث 2037 قال صححه الذهبي في التعليقات.

<sup>6</sup> سورة المزمل: الآية (4).

<sup>7</sup> سورة المزمل: الآية (20).

ويحذرننا الرسول الكريم من أن نعيش في يوم في عداد الغافلين فعن ابن عمر رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ في ليلة عشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة بمائة آية كتبت من القانتين" (1)، ومما يثير العجب والدهشة أن كثيراً من المؤمنين لا يجيدون قراءة القرآن وتلاوته، ولا يميزون بين الإخفاء والإدغام. وقد يتخوف بعض المؤمنين من التلاوة لأنه لا يعرف أحكامها، وترتيل القرآن من الأمور الأساسية في تكوين الشخصية الإيمانية حيث تمنحها القراءة رقة وقوة معاً، رقة في المشاعر والأحاسيس، وقوة في المواقف الصعبة التي يكتنفها المصاعب والمتاعب والآلام. ولهذا جاء الأمر القرآني لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ، قُمْ اللَّيْلَ إِذَا قَلِيلًا، نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (2). كل ذلك استعداداً للحمل الثقيل والمسؤولية الكبيرة قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (3). وجاء التخفيف للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿...فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾ (4)، ولكن لا بد من مواصلة القراءة اليومية بقدر الإمكان ولهذا قال تعالى: ﴿...فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ... ﴾ (5). ومن سمات المتقين الأساسية وطبيعتهم اليومية الليلية هي تحزين النفس بالقرآن من خلال تلاوته وترتيله. ومن المشاهد أن كثيراً من الناس لديهم وقت بل أوقات لقراءة الصحف اليومية، وأوقات أخرى لمتابعة الأخبار اليومية، وأوقات للهو والعبث؛ إلا أنه ليس لدى أكثرهم وقت للقرآن، الذي فيه سعادتهم وفلاحهم وشفائهم ونجاتهم، وفيه رضا ربهم، فإن الإنسان إذا أحب إنساناً أو عالماً أكثر قراءة كلامه، والله المثل الأعلى، فمن أحب الله وصدق في محبته أكثر من تلاوة كلامه، وتدبر معانيه، وتفهم مقاصده، كما أن قراءة القرآن من أسباب محبة الله للعبد.

<sup>1</sup> السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، سنن أبي داود مذيلة بأحكام الألباني، دار الفكر، كتاب: فضائل القرآن، باب: من قرأ بمائتي آية، رقم الحديث 1398، صححه الألباني.

<sup>2</sup> سورة المزمل: الآيات (1-4).

<sup>3</sup> سورة المزمل: الآية (5).

<sup>4</sup> سورة المزمل: الآية (20).

<sup>5</sup> سورة المزمل: الآية (20).



رابعاً - نسيان القرآن بعد حفظه: وإلى هذا المعنى أشارت الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (1).

وهجر الحفظ، فقد يحفظ أحدنا أشعاراً كثيرة لشعراء، وقد يحفظ نصوصاً كبيرة لأدباء وبلغاء، أما أن نحفظ القرآن فهذا ما يندر وجوده هذه الأيام حتى في أوساط المؤمنين الدارسين. ولهذا فإنك إذا سمعت أحدهم يستشهد بآية مباركة يرتكبتلثم، بينما ينطلق لسانه مغرداً في القصائد الشعرية. وهذه ظاهرة مرضية. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على حفظ القرآن حتى أنه كان يسبق جبرائيل عليه السلام - هكذا قيل - قبل أن يكمل المقطع القرآني النازل عليه، فجاء القرآن ليطمئننا على حفظه، وهذا نفهمه من ظاهر قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (2).

إن لقارئ القرآن الكريم منزلة عظيمة، ومكانة مرموقة لا يرقى إليها أحد، فهذا الرسول الكريم يطمئن قارئ القرآن فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" (3)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" (4).

#### خامساً - هجر العلم والعمل:

إن الذين يقرأون القرآن كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل.. فتعلموا القرآن والعلم والعمل

<sup>1</sup> سورة طه: الآيات: (24-26).

<sup>2</sup> سورة القيامة: الآيات: (16-19).

<sup>3</sup> المغيرة، محمد بن إسماعيل، (1987)، صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، رقم الحديث 5007، كتاب، الأطعمة، باب: ذكر الطعام، دار الفكر، بيروت.

<sup>4</sup> المستدرک على الصحيحین مع تعلیقات الذهبی، مرجع سبق ذکره، رقم الحديث 2037 قال صححه الذهبي في التعلیقات.

جميعاً. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وفي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(1)</sup>، ويذكر جلال الدين السيوطي<sup>(2)</sup>: (حق تلاوته) يقرءونه كما أنزل. إن من السهل أن ترتل قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>، ولكن السعي لتطبيق هذه الآية على الأرض يحتاج مزيداً من الدموع والدماء، والقتلى والشهداء! وإن من اليسير أن تقرأ قوله تعالى: ﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾<sup>(4)</sup>.

إن الأمة المسلمة منذ بدأت حالة الهجر الجزئي للقرآن الكريم وتجاوزتها إلى مساحات من الهجر أوسع تراجعت ففقدت وحدتها وعزتها وكرامتها في فترات كثيرة من التاريخ حتى بلغ التراجع غايته ومنتهاه. وفي عصرنا هذا قامت محاولات تجديدية وإصلاحية كثيرة بعضها حاولت تقليد الآخر وإتباع نهجه وسلوك سبيله فما زادها ذلك إلا خبالاً وتشتتاً وتراجعاً ومع سائر المحاولات التي يقوم الآخر بها لتعزيز هذا الاتجاه فإن الأمة قد اقتنعت الافتتاح التام بفشله وعجزه عن تحقيق أي خير لها<sup>(5)</sup>.

ومن الصعب جداً أن تشخص "أولي الأمر" وتسير تحت رايتهم! وما أيسر وأسهل قراءة الآية في قوله تعالى: ﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(6)</sup>، ولكن ما أصعب وأعسر تجسيدها، فهي تحتاج إلى أمرين: ما يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا أنفسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، وما يوفق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة<sup>(7)</sup>.

الصبر الكبير والحظ العظيم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(8)</sup>، والتعبير بـ (يلقأها) يشعر بعسر التلقي البالغ، وتكرار

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية (121).

<sup>2</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير، والمطلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، (2004)، تفسير الجلالين، مراجعة: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية (44).

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية (59).

<sup>5</sup> هجران الأمة للقرآن، هل من سبيل إلى إزالة أسبابه؟ مرجع سبق ذكره.

<sup>6</sup> سورة فصلت: الآية (34).

<sup>7</sup> القرني، عائض بن عبد الله، (ب.ت)، التفسير الميسر، سورة فصلت، آية (35)، ص 480.

<sup>8</sup> سورة فصلت: الآية (35).

يلقأها) يرسم لك ضخامة هذا الأمر وصعوبته. ولهذا ينبغي أن نعرف حقيقتين قرآنتين أساسيتين: الأولى: إنَّ القرآن سهلٌ وميسرٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾<sup>(1)</sup>؟ الثانية: إنَّ القرآن ثقيلٌ وعسير، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>(2)</sup>.

إنَّ القول الثقيل لا يتمثل في الثقل المادي فيما قد توحى به الروايات التي تعبّر عن الضغط الذي كان يتعرض له النبي صلى الله عليه وسلم في جسده في تأثيراته الشديدة القاسية عند نزول الوحي عليه؛ بل يتمثل في ثقل الأعباء الملقاة على عاتق الإنسان، المسلم الذي يواجه التحديات من موقع الإيمان الذي يثبت في كلِّ حالات الاهتزاز الروحي الذي يعمل على إسقاط الواقع من حوله". إذن ثقل القرآن الكريم من ثقل المسؤولية الكبيرة، والأهداف الكبيرة، والهموم الكبيرة.. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرْ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾<sup>(3)</sup>، إنها المسؤوليات الجسام، والمهام العظام، من القيام المستمر، والانتزاع من التدثر والفرش والدفء إلى الجهاد والكفاح، وإنها الرسالة التي تحتاج إلى المزيد من البذل والعطاء، والدموع والبكاء، كما وتحتاج بعد كلِّ ذلك إلى الشعور بالتقصير، ورؤية ما أعطاه وبذله صغيراً وحقيقراً (ولا تمنن تستكثر)!!

#### إجابة التساؤل الثاني:

والذي نصه: ما الأثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم؟  
إن من أهم الأثار النفسية لهجر القرآن الكريم على حياة الفرد المسلم، تتمثل في الآتي:

1- تقطيع الأواصر، وقسوة القلب، والجفوة بين الناس، وضمور معاني الرحمة والتواصل؛ لأن القرآن الكريم يعمل على ترفيق القلوب المؤمنة فهي تطمئن بذكر الله، لقوله تبارك وتعالى: ﴿...أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(4)</sup>، فنعود بالله من القلب القاسي.

<sup>1</sup> سورة القمر: الآية (17).

<sup>2</sup> سورة المزمل: الآية (5).

<sup>3</sup> سورة المدثر: الآيات (1-7).

<sup>4</sup> سورة الرعد: الآية (28).

2- تغلب الشيطان وأعدائه من شياطين الجن والإنس على الإنسان؛ لأن ذكر الله تعالى خير حافظ للعبد، فإله خير حافظ وهو أرحم الراحمين. وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا تأتيه البطة، وهم شياطين الجن والإنس.

3- حرمان العبد من فضل التلاوة والتعبد بها، فقد فوت العبد على نفسه بهجرانه للقرآن أجراً عظيماً، فضلاً كبيراً قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(1)</sup>.

4- ومن آثار هجر القرآن هجر السنة فتكثر الأهواء ويقل العلم وينتشر الجهل وكل هذه عوامل على انتشار البدع وتحكيم الهوى<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

5- فوات الأجر والمثوبة والبركات والخيرات، فحرمان العبد من فضل التلاوة والتعبد بها، فقد فوت العبد على نفسه بهجرانه للقرآن أجراً عظيماً، فضلاً كبيراً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(4)</sup>.

6- عتاب وشكوى الرسول عليه الصلاة والسلام ممن هجر القرآن، والقرآن إما أن يكون قائداً إلى الجنة أو سائقاً إلى النار والعياذ بالله، فالحرمان من شفاعته له يوم القيامة كما جاء في الحديث، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفرقان: الآية (30).

<sup>2</sup> الحمود، إبراهيم بن ناصر، (2007): القرآن يحصن قلوب المؤمنين ضد الوقوع في المعاصي، مجلة مجمع الأمل للصحة النفسية، السعودية،

<http://www.alamal.med.sa/index.htm>

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية (50).

<sup>4</sup> سورة الفرقان: الآية (30).

<sup>5</sup> الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، (1955)، صحيح مسلم، رقم الحديث 1337، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- 7- عصيان الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وضعف الصلة بالله تعالى، فموت السنّة وانتشار البدعة بسبب الإعراض عن كتاب الله، ومن هجر القرآن هجر السنة فنكثر الأهواء ويقل العلم وينتشر الجهل وكل هذه عوامل على انتشار البدع وتحكيم الهوى<sup>(1)</sup>. «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»<sup>(2)</sup>.
- 8- الخسران المبين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: «فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»<sup>(3)</sup>.
- 9- تعطل كثير من الطاقات والقدرات أو خدرها وقلة فاعليتها، فالذي يتفكر في أحوال المسلمين يجد إعراضاً عن كتاب الله تعالى وهجراً له أدى إلى الأوضاع والأحوال البائسة والمريرة التي نحيها، وتشمل في ثناياها الحيرة والقلق والضنك والمعاناة والانتقطاع عن مدد الحياة الرباني ومنظم كيانها ومُسير سفينتها في بحر الحياة المتلاطم بالأمواج وساحاتها التي تعج بدفقات الأمل والأمل ومعاني العطاء المتجدد إذا علمت الطاقات طبقاً لدليل إعمالها ومنهاج تحفيزها ونبراس توظيفها في الاتجاه الصحيح<sup>(4)</sup>.
- 10- جفاء الطباع، وحدة المزاج، وتكدر الخواطر وغلظة الشعور، وسوء الخلق والأدب، فقد ذكر (عبد الفتاح الهمص) أن الشعور بالعجز والكسل يصيب الإنسان بالإحباط والإكتئاب ويفقد الإنسان القدرة على العمل والإنتاج، ويؤثر على العطاء ويجعل الإنسان مهتزاً غير قادر على تحمل المسئولية<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الحمود، إبراهيم بن ناصر، القرآن يحصن قلوب المؤمنين ضد الوقوع في المعاصي، مجلة الدعوة، العدد 1999، 23 جمادى الأولى 1426هـ، 30 يونيو 2005،

<http://www.alamal.med.sa/quran.shtml>

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية (50).

<sup>3</sup> سورة الزمر: الآية (15).

<sup>4</sup> كيف ترتقي بإنسان لا يقرأ القرآن، مجلة الفرقان، السنة السابعة، العدد (57)، رمضان، 1427هـ،

<http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=19590>

<sup>5</sup> الهمص، عبد الفتاح (2005)، "فاعلية برنامج إرشادي في تخفيف أعراض الاكتئاب النفسي لدى زوجات شهداء انتفاضة الأقصى"، رسالة دكتوراه، كلية التربية، البرنامج المشترك، غزة، فلسطين، ص 182.

11- زيادة المعاناة الشخصية والعائلية، ومعاناة المجتمع بأكمله، وكل ذلك عندما يهجر الفرد المسلم القرآن الكريم، وقد ذكر (عبد الكريم رضوان) أن الدين يبذل النفس ويغيرها جوهرياً ويخرجها من الظلمات إلى النور، ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمالات الخلقية، فالإنسان المؤمن لا يشعر بالقلق؛ لأنه يعلم بأن الله معه ويستجيب له إذا دعاه، وهو يرتبط دائماً بربه في أعماله، فمن الحاجات الأساسية للإنسان أن يشعر بالأمن والطمأنينة، ليكون مستريح الضمير وفي مأمن من العقاب الرباني (1).

#### إجابة التساؤل الثالث:

والذي نصه: ما الخطة العلاجية لمواجهة الآثار السلبية لهجر القرآن الكريم؟  
يحمل القرآن في طياته القيم والمفاهيم والبرامج التي يحتاجها الفرد المسلم في حياته، والقرآن مشروع تحرير وتوير قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (2).

وعلى الرغم من أننا نقرأ هذه الآية وأمثالها ولكنها لا تحرك فينا ساكناً؛ ذلك لأننا نعيش حالة الهجر مع القرآن، كالولد الذي يسمع كلمات أبيه دون أن يعمل على تطبيقها استهانة واستخفافاً....

إن أمتنا الإسلامية تمتلك أفضل البرامج وأفضل القسيم لإدارة حياتها؛ وأول برنامج يراه القرآن الحكيم هو العلم والتعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (3)، فما هي مدى استجابتنا للقراءة والمطالعة؟ وأين نحن من الشورى أين التعاون والوحدة أين النظام أين وصلنا بمستوانا السياسي والاجتماعي والديني.. إن تخلفنا في كل ذلك مؤشر واضح على داء الهجر الذي انتابنا فصار القرآن لا يتجاوز تراقينا، ينبغي لنا أن نراجع أنفسنا (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) على الصعيدين الظاهري والعملي، ماذا تركنا وماذا ينبغي علينا أن نصل وماذا نترك حتى يصدق علينا أننا متمسكون بالقرآن بعيدين ممن يقف الرسول صلى الله عليه وسلم في قباهم وهو ينادي ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، فقد وضع الباحث خطة علاجية تتمثل بالخطوات الآتية:

1 رضوان، عبد الكريم (2002)، "القلق لدى مرضى السكر بمحافظة غزة وعلاقته ببعض المتغيرات"،

رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 36.

2 سورة الأعراف: الآية (157).

3 سورة العلق: الآية (1).

- تعلم العلم الشرعي من القرآن والسنة: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (1).

- المواظبة على قراءة القرآن الكريم بتدبر وخشوع وحضور قلب مع قراءة تفسير القرآن: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" (2).

- قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (3)، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، فعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (4).

- الصدقة والحرص على صدقة السر: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (5)، وقال سبحانه: ﴿... وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴾ (6). وما ذكرته السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً" (7)، وعن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شرٌ لك، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى" (8).

1 البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4639، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

2 الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي تحقيق: محمد شاكر، مذيل بأحكام الألباني، رقم الحديث 2914، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت. صححه الألباني.

3 سورة التوبة: الآية (119).

4 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 3377، كتاب: المناقب، باب: فضائل أصحاب النبي.

5 سورة سبأ: الآية، (39).

6 سورة البقرة: الآية، (272).

7 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1678، كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك.

8 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1718، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

- العطف على الفقراء والمساكين والأرامل والمسح على رأس اليتيم: قال تعالى: ﴿...وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾<sup>(2)</sup>، وما ورد في السنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة"<sup>(3)</sup>.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ومن الأحاديث النبوية، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"<sup>(5)</sup>.

- بر الوالدين والإحسان إليهما قال تعالى: ﴿وَابِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾<sup>(6)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ...﴾<sup>(7)</sup>، وما ورد في السنة النبوية المطهرة، فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها" قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"<sup>(8)</sup>.

- صلة الأرحام: قال تعالى: ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...﴾<sup>(9)</sup>، وما جاء في السنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> سورة الحجر: الآية، (88).

<sup>2</sup> سورة الضحى: الآية، (9).

<sup>3</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5296، كتاب: الزهد والرفائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم.

<sup>4</sup> سورة آل عمران: الآية، (104).

<sup>5</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 70، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية، (36).

<sup>7</sup> سورة لقمان: الآية، (14).

<sup>8</sup> صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5513، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسناً.

<sup>9</sup> سورة النساء: الآية، (1).



وسلم: " إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرعوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (2).

- زيارة المرضى وتخفيف آلامهم ومواساتهم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" (3).

- زيارة مغاسل الموتى "حضور تغسيل الأموات إذا تيسر ذلك": الاتعاظ بروية الميت إذا تيسر ذلك؛ وذلك من أجل العبرة والعظة، فقد دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وحضنه، وقال: واخيلاه، واحببياه، وأبتاه، وقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: طببت حياً وطببت ميتاً يا رسول الله وأخذ رأس النبي عليه الصلاة والسلام، وبين يديه وأخذ يتأمل ملامح وجهه الشريف ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها... ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً ثم أعد رأس النبي عليه السلام إلى الوسادة ورد الغطاء على وجهه. (4)

- زيارة المقابر: عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة" (5).

- الإكثار من ذكر الله تعالى: قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (6)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

1 صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة محمد، باب وتقطعوا أرحامكم.

2 سورة محمد: الآية، (22).

3 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1164، كتاب: الجنائز، باب: الأمر بإتباع الجنائز.

4 المغامسي، صالح بن عواد، طببت حياً وميتاً صلى الله عليه وسلم.

<http://www.hawahome.com/vb/t61721.html>

5 سنن الترمذي، مرجع سبق ذكره، كتاب: الجنائز، باب: الرخصة في زيارة القبور رقم الحديث 1054، صححه الألباني.

6 سورة الأحزاب: الآيات، (41-42).

صلى الله عليه وسلم: " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم " (1).

- قيام الليل والحرص على ذلك: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (2)، وقال أيضاً: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... ﴾ (3)، وقال أيضاً: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (4). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً (5).

- التواضع وحسن الخلق: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (6)، وقال أيضاً: ﴿...وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (7)، وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً (8).

- التذكير للصلاة في المسجد: فقد ورد في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" (9)، وفي حديث آخر، عن أبي

<sup>1</sup> صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5927، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسييح.

<sup>2</sup> سورة الإسراء: الآية، (79).

<sup>3</sup> سورة السجدة: الآية، (16).

<sup>4</sup> سورة الذاريات: الآية، (17).

<sup>5</sup> صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4460، كتاب: تفسير القرآن، باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته.

<sup>6</sup> سورة القلم: الآية، (4).

<sup>7</sup> سورة آل عمران: الآية، (134).

<sup>8</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1045، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز الجماعة في نافلة.

<sup>9</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1062، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة " (1).

- إفتشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا... ﴾ (2)، وقال سبحانه: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ (3)، وجاء في السنة النبوية المطهرة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (4). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " (5).

- محاسبة النفس: قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (6)، وعن أبي يعلى شذاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" (7).

- صفاء النفوس: قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (8)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفئدة الطير" (9).

- 
- 1 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 170، كتاب: الوضوء، باب: من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدير.
  - 2 سورة النساء: الآية، (86).
  - 3 سورة الذاريات: الآيتان، (24-25).
  - 4 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 11، كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام.
  - 5 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 81، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.
  - 6 سورة الحاقة: الآية، (18).
  - 7 سنن الترمذي، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2459، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب: منه قال الترمذي حديث حسن.
  - 8 سورة الشمس: الآيات، (7-10).
  - 9 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5074، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفئدة الطير.

- أداء النوافل: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (1)، وعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة" (2).

- الجليس الصالح "مجالس الصالحين": قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَأَبْرَحَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (3)، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (4)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقياً" (5). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المرء مع من أحب" (6).

- الحرص على التزوّد من الدنيا بالعمل الصالح: قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (7). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (8).

- الزهد بالدنيا، والإعراض عنها، وأخذ الكفاية من متاعها: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا

1 سورة فاطر: الآية، (32).

2 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1199، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل السنن الراتية قبل الفرائض وبعدهن.

3 سورة الكهف: الآية، (60).

4 سورة الكهف: الآية، (60).

5 سنن الترمذي، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2395، كتاب: الزهد عن رسول الله، باب: ما جاء في صحبة المؤمن. حسنه الألباني.

6 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5702، كتاب: الأدب، باب: علامة حب الله عز وجل.

7 سورة البقرة: الآية، (197)

8 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5937، كتاب: الرقائق، باب: قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾<sup>(1)</sup>، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(2)</sup>. وجاء في السنة المطهرة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء"<sup>(3)</sup>. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"<sup>(4)</sup>.

- تذكر يوم القدوم والعرض على الله يوم القيامة للحساب: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾<sup>(5)</sup>، وعن عدي بن حاتم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان"<sup>(6)</sup>.

- حب الغير للغير: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾<sup>(7)</sup>، وقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾<sup>(8)</sup>، وما جاء في السنة النبوية المطهرة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"<sup>(9)</sup>.

1 سورة يونس: الآية، (24).

2 سورة فاطر: الآية، (5).

3 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4925، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

4 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 3366، كتاب: الجاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق.

5 سورة الحاقة: الآية، (18).

6 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 6058، كتاب: الرقاق، باب: من نوقس الحساب عذب.

7 سورة الحشر: الآية، (9).

8 سورة الفتح: الآية، (29).

9 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 15، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان.

- عدم الانتقام للنفس، والعفو عن من ظلمك: قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(1)</sup>، وفي الحديث الشريف، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رعوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء"<sup>(2)</sup>.

- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام: قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴾<sup>(3)</sup>، وما ورد في السنة المطهرة، أن النبي صلى الله عليه قال: " .. فو الله لأن يهدي الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حمر النعم "<sup>(4)</sup>.

- حفظ الجوارح مما يغضب الله: وقد ذكر (سفر الحوالي) أنه من الواجب علينا جميعاً أن نوصي أنفسنا، ويوصي بعضنا بعضاً بحفظ هذه الجوارح التي ائتمنا الله تبارك وتعالى عليها، فإن الله عز وجل لما قال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>(5)</sup> فإنه يدخل في ذلك حفظ هذا البدن الذي أعطاك الله تبارك وتعالى إياه وامتن به عليك، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(6)</sup> وهذا فيه حض وحث وتنبية أن نشكر نعمة الله تبارك وتعالى على ما أعطانا من هذه الأعضاء ومن هذه الجوارح، والتي ميزنا الله سبحانه وتعالى بها عن سائر خلقه، وفضلنا بها عن باقي ما خلق من الدواب، فجعل لنا سمعاً وأبصاراً وأفئدة وعقولاً نهتدي بها، ونعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والتوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والطاعة من المعصية، والحسنة من السيئة، ونعمل بمقتضى ذلك بجوارحنا الظاهرة؛ لأن هذه من نعم الله العظيمة، والواجب فيها أن نشكر الله تبارك وتعالى عليها، وأن نراعي حق الأمانة الذي ائتمنا

1 سورة الأعراف: الآية، (199).

2 سنن ابي داود، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4777، حسنه الألباني، كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظاً.

3 سورة النحل: الآية، (125).

4 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه.

5 سورة الأحزاب: الآية، (72).

6 سورة النحل: الآية، (78).

عليها، فالمال أمانة، واليد أمانة، والعين أمانة، والقلب أمانة، وكل ذلك مما يجب علينا جميعاً أن نحفظه، وأن نعتني ونهتم به، ونتوقع السؤال عنه بين يدي الله تبارك وتعالى<sup>(1)</sup>.

كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ﴾<sup>(2)</sup>.

- الكسب الحلال: عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمرو نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح"<sup>(3)</sup>.

- الإسهام قدر المستطاع في بناء المساجد: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(4)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة"<sup>(5)</sup>.

- زيارة البيت الحرام لأداء العمرة مع الاستطاعة: قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(6)</sup>.  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينا وبينها والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"<sup>(7)</sup>.

- الهدية "تهادوا تحابوا": للهدية أثرٌ عظيمٌ وعميقٌ في نفوس من نهاديمهم، فيها يزول ما بين النفوس من جفاءٍ ووحشةٍ، وبها ترق القلوب، وتصفو النفوس، وتزداد المودة والألفة، ويعمق الحب، وتوثق الروابط؛ ولهذا يوصينا النبي صلى الله عليه وسلم

1 الحوالي، سفر، (2007): حفظ الجوارح،

<http://akhawat.islamway.com/forum/lofiversion/index.php?t52231.html>

2 سورة الإسراء: الآية، (36).

3 مسند أحمد، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 17134، باب: بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي، كتاب: مسند الشاميين. قال الأرنؤوط صحيح على شرط مسلم.

4 سورة التوبة: الآية، (18).

5 مسند أحمد، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2050، كتاب: مسند بني هاشم، باب: بداية مسند عبد الله بن العباس. قال الأرنؤوط صحيح لغيره.

6 سورة آل عمران: الآية، (97).

7 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1650، كتاب: الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها.

بأن يهادي بعضنا بعضاً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تهادوا فإن الهدية تذهب وجر الصدر " (1).

- الدعاء لإخوانك المسلمين بظهر الغيب: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ (2)، وما جاء في السنة النبوية المطهرة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل " (3).

- الرفق بالحيوان والإحسان إليه: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقيتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " (4).

- المكث بالمسجد بعد الصلوات " وخصوصاً بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس قدر رمح ثم صلاة ركعتين " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط " (5).

- زيارة المؤسسات الخيرية والاطلاع على أحوال المسلمين في العالم: قال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ (6).

- تجهيز غاز في سبيل الله: قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ

<sup>1</sup> مسند أحمد، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث: 8882، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي المسند السابق. قال الأرئووط الحديث حسن واسناده ضعيف.

<sup>2</sup> سورة الحشر: الآية، (10).

<sup>3</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4914، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2192، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء.

<sup>5</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 369، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

<sup>6</sup> سورة المائدة: الآية، (2).



المُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ (1)، عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا " (2).

- إنظار المعسر أو التجاوز عن شيء من دينه: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (3).

- صيام التطوع: عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم " (4).

- إصلاح ذات البين: قال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ... ﴾ (5)، وقال سبحانه: ﴿ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ... ﴾ (6)، وقال أيضاً: ﴿ ... وَالصُّلْحُ خَيْرٌ... ﴾ (7)، وما ورد في السنة المطهرة، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً " (8).

- تذكر الجنة ونعيمها وقصورها وأنهاؤها وزوجاتها وغلماها والحياة الأبدية التي لا موت فيها ولا تعب ولا نصب وأعظم من ذلك رؤية الله رب العالمين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونَ \* ادْخُلُوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ \* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (9)، وقال

1 سورة النساء: الآية، (95).

2 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2631، كتاب: الجهاد والسير، باب: من جهّز غازياً أو خلفه بخير.

3 سورة البقرة: الآية، (280).

4 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 1974، كتاب: الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم.

5 سورة النساء: الآية، (114).

6 سورة الأنفال: الآية، (1).

7 سورة النساء: الآية، (128).

8 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 2495، كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

9 سورة الحجر: الآيات، (45-48).

سبحانه: ﴿يَا عِبَادِ لَنَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَنَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ\* الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ\* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ\* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ\* وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ\* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (1)، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفه الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة - عود الطيب - أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء" (2).

- تذكر النار وجحيمها وسعيرها وأغلالها وزقومها وأوديتها وعقاربها وحياتها وطول المكث فيها، ونعوذ بالله ونستجير بالله من عذاب جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (3)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" (4).

- التحدث بنعم الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (5)، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (6)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (7).

1 سورة الزخرف: الآيات، (68 - 73).

2 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 3080، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته.

3 سورة الفرقان: الأيتان، (65-66).

4 صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5076، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها.

5 سورة الضحى: الآية، (11).

6 سورة النحل: الآية، (18).

7 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5933، كتاب: الرقائق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة.

- مراقبة الله في السر والعلن: قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾<sup>(1)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>(2)</sup>. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال: " اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"<sup>(3)</sup>.

- تذكر الموت وسكراته: قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾<sup>(4)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾<sup>(5)</sup>، وجاء في السنة النبوية المطهرة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " خطَّ النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه وخطَّ خططاً صغراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا؛ وإن أخطأه هذا نهشه هذا"<sup>(6)</sup>.

- تذكر القبر ووحشته وظلمته وسؤال الملكين: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: " استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"<sup>(7)</sup>.

- الدعاء والإلحاح على الله سبحانه وتعالى: إظهاراً للعبد افتقاره إلى الله - جل وعلا ومع الإلحاح في الدعاء؛ فإن الله يحب من عباده الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه ﴿ وَقَالَ

1 سورة الشعراء: الآية، (218).

2 سورة آل عمران: الآية، (5).

3 مسند أحمد، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5881، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: باقي المسند السابق. قال الأرنؤوط حديث صحيح على شرط الشيخين.

4 سورة آل عمران: الآية، (185).

5 سورة المؤمنون: الآيات، (99-114).

6 صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 5938، كتاب: الرقاق، باب: في الأمل وطوله.

7 السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الأزدي، سنن أبي داود، رقم الحديث 2804، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند الميت في وقت الانصراف.

رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿١﴾، ومن السنة النبوية المطهرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء" (2).

- الحذر... الحذر من الاستمرار والتهاون بالذنوب: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَإِدْفَاءً ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُهُ" (3).

إن الاستمرار على الذنوب والتهاون بها سبب رئيس في قسوة القلوب، وهجرها كتاب ربه، ولربما لا يوفق العبد بحسن الخاتمة، والعمر فرصة واحدة ولن يتكرر واستفد من وجودك في هذه الحياة بعمل الصالحات والتزود منها، والتخلص من الذنوب والمعاصي، ولا تطل الأمل فقد يفاجئك الموت هذه الليلة على فراشك، فعلينا بالتوبة والرجوع إلى الله قبل فوات الأوان وقبل حضور الأجل، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (4).

الله أشد فرحاً بتوبة عبده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ" (5). قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (6).

<sup>1</sup> سورة غافر: الآية، (60).

<sup>2</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 744، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

<sup>3</sup> مسند أحمد، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 3627، باب: مسند عبد الله بن مسعود، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة. قال الأرنؤوط إسناده صحيح.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية، (18).

<sup>5</sup> صحيح مسلم، مرجع سبق ذكره، رقم الحديث 4928، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها.

<sup>6</sup> سورة الزمر، الآية، (53).

## الخاتمة

- 1- إن هجر الفرد المسلم للقرآن الكريم يجعله يتراجع ويفقد وحدته وعزته وكرامته، فالقلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكنتها الشياطين.
  - 2- هجر القرآن الكريم يضعف الإيمان بالله - عز وجل - وسائر المغيبات.
  - 3- إن من هجر القرآن ترك تدبره وترك العمل به وامتنال أوامره واجتنبأ زواجره.
  - 4- الذي يقرأ القرآن ليتكسب به الأموال يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزرعة لحم.
  - 5- من يقرأ القرآن ولا يعمل بموجبه تكون قراءته عليه، وليس له.
  - 6- من قرأ القرآن ليقال إنه قارئ وليرائي بين الناس فهو منافق من أول من يسحب على وجهه في النار يوم القيامة.
  - 7- الهجر صفة قبيحة تسخط الله - عز وجل - على المتهاجرين.
  - 8- الهجر سبب في تأخير المغفرة من الله - عز وجل -.
  - 9- الهجر من حبائل الشيطان يغوي بها أتباعه حتى يسوقهم إلى الجحيم.
- وفي ضوء ما تم عرضه ومناقشته توصي الدراسة بما يلي:**

**أولاً:** يتوجب على الفرد المسلم أن يبدأ بإعادة بناء معرفته بالقرآن المجيد وذلك بأن يدرك عن اعتقاد يقيني أن القرآن المجيد تركه الله فينا بعد رسوله، وبعد ختم النبوة ليكون النبي المقيم والرسول الخالد يحمل إلينا الهداية والتشديد والترشيد والمنهج القويم في كل ما نحن بحاجة إلى هداية وتسييد وترشيد فيه من شئون وشجون الدنيا والآخرة .

**ثانياً:** اليقين بأننا سوف نجد في القرآن سبيل الهداية إلى كل ما نحن بحاجة إلى الوصول إلى سبيل الهداية فيه فإنه ما تنزل بأحد من أهل الأرض نازلة إلا وفي القرآن المجيد سبيل الهدى والطريق الأقوم لمعالجتها.

**ثالثاً:** أن نوقن بأن القرآن الكريم يكفيننا عما سواه، ويغنينا عما عداه فنقرؤه وكلنا ثقة بأننا سوف نجد بغيتنا فيه وسوف نحصل على مرادنا منه إن شاء الله: ﴿ أُولَئِكَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(1)</sup>، ولا ينبغي أن تستعجل النتائج ونحن نقرأ القرآن، بل نصبر، ونقرؤه وننتظر كرمه ونفهم أفهامنا وطاقتنا، لا القرآن المجيد، ونستمر بالتلاوة والترتيل والتدبر حتى يفتح الله سبحانه وتعالى لنا من كرم القرآن ومن رحمته ما يفتح.

<sup>1</sup> سورة العنكبوت: الآية (51).

رابعاً: أن ندرك أن لهذا القرآن مداخل عديدة لتلاوته "حق التلاوة" وترتيله حق الترتيل ولا بد لنا من ملامسة هذه المداخل وإدراكها والتدرب على استعمالها، وتذوق حلاوة التلاوة في استحضارها، ومنها: مدخل العبادة، ومدخل الأزيمة، ومدخل الجمع بين القراءتين أو القراءات، ومدخل القيم والمقاصد وما إلى ذلك.

خامساً: كما أن للقرآن المجيد منهجية معرفية قد اشتمل القرآن على محدداتها لا بد للفرد المسلم من إدراكها وفهمها والتدرب على استعمالها ومن هذه المحددات "التصديق والهيمنة والاستيعاب والتجاوز". والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون لإعادة بناء علاقتهم بالقرآن بشكل سليم، ووضع حد لحالة الهجر والفصام بينهم وبينه وإزالة سائر العوائق والحجب بينهم وبينه. وأن يدركوا أن القرآن الكريم وإن كان الله سبحانه وتعالى قد يسره للذكر لكن قارئه يحتاج مع ذلك التيسير إلى إدراك خصائص القرآن ومعرفة القرآن والإمام بمنهجيته وإدراك خصائص خطابه لعله يتمكن من الوصول إلى حالة النظر الخالي من الشوائب التي تحول بين قلب الإنسان وبين فهم معاني القرآن ولامستها.

سادساً: إن القرآن المجيد "لا يمسّه إلا المطهرون" و"المطهرون" غير "المتطهرين" فالمتطهر هو: من طهر نفسه بنفسه وهو أمر مطلوب ولا شك مع القرآن المجيد؛ أمّا "المطهر" فهو من طهره الله سبحانه وتعالى أو من طهره غيره.

#### المصادر

1. القرآن الكريم
2. المغيرة، محمد بن إسماعيل، (1987)، صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، كتاب، الأظعمة، باب: ذكر الطعام، دار الفكر، بيروت.
3. الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، (1955)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.
4. السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، سنن أبي داود مذيلة بأحكام الألباني، دار الفكر
5. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي تحقيق: محمد شاكر، مزيل بأحكام الألباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. صححه الألباني

المراجع:

1. الشبيب، غازي، (2007): تواري الثقافة القرآنية.. الأسباب والحلول، العدد الأول، مجلة القرآن نور،

[http://www.qrnoor.net/mag/index.php?option=com\\_content&task=view&id=18](http://www.qrnoor.net/mag/index.php?option=com_content&task=view&id=18)

2. دار فاطمة النسائية، عالم بلا مشكلات، <http://www.noo-problems.com/vb/showthread.php?t=29967>

3. العلواني، طه جابر، هجران الأمة للقرآن، هل من سبيل إلى إزالة أسبابه؟

[http://www.eiiit.org/eiiit/news\\_read.asp?id=51](http://www.eiiit.org/eiiit/news_read.asp?id=51)

4. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تفسير القرطبي، دار الشعب، القاهرة، مصر

5. فقيهي، محمد حنيف، (1987)، إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،

6. الحفني، عبد المنعم، (2004)، تفسير القرآن العظيم، ج 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

7. منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، (1955)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

8. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن خالد بن جرير، (2001)، تفسير الطبري، ج9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

9. العلواني، طه جابر، (2008): هجران الأمة للقرآن، هل من سبيل إلى إزالة أسبابه؟، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، آدار.

10. الشيباني، محمد بن عبد الله (ب.ت)، المستدرک علی الصحیحین مع تعلیقات الذهبی، دار الکتب العلمیة - بیروت، رقم الحدیث 2037 قال صححه الذهبی فی التعلیقات.

11. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير، والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم،

- (2004)، تفسير الجلالين، مراجعة: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
12. القرني، عائض بن عبد الله، (ب.ت)، التفسير الميسر
13. الحمود، إبراهيم بن ناصر، (2007): القرآن يحصن قلوب المؤمنين ضد الوقوع في المعاصي، مجلة مجمع الأمل للصحة النفسية، السعودية،
- <http://www.alamal.med.sa/index.htm>
14. الحمود، إبراهيم بن ناصر، القرآن يحصن قلوب المؤمنين ضد الوقوع في المعاصي، مجلة الدعوة، العدد 1999، 23 جمادى الأولى 1426هـ، 30 يونيو 2005،
- <http://www.alamal.med.sa/quran.shtml>
15. كيف ترتقي بإنسان لا يقرأ القرآن، مجلة الفرقان، السنة السابعة، العدد (57)، رمضان، 1427هـ،
- <http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=19590>
16. الهمص، عبد الفتاح (2005)، "فاعلية برنامج إرشادي في تخفيف أعراض الاكتئاب النفسي لدى زوجات شهداء انتفاضة الأقصى"، رسالة دكتوراه، كلية التربية، البرنامج المشترك، غزة، فلسطين، ص 182.
17. رضوان، عبد الكريم (2002)، "القلق لدى مرضى السكر بمحافظة غزة وعلاقته ببعض المتغيرات"، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 36.
18. المغامسي، صالح بن عواد، طببت حياً وميتاً صلى الله عليه وسلم.
- <http://www.hawahome.com/vb/t61721.html>
19. الحوالي، سفر، (2007): حفظ الجوارح،
- <http://akhawat.islamway.com/forum/lofiversi on/index.php?t52231.html>



هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه

دراسة قرآنية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:

"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

د . عبد السميع خميس العرايد

جامعة فلسطين

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

### ملخص

هذه دراسة موضوعية قرآنية قد غفل عنها الكثير من الناس وهي: هجر القرآن والبعد عن تعاليمه، وقد جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة ترشد الأمة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، والعمل بما جاء به، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقه، أو هجران تلاوته أو ترك العمل به، وعدم الاستماع له، والاستشفاء به، والانتقياد لحكمه، ولقد توعد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: (وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) (طه-99): 101، وهذا البحث يظهر ويبين مظاهر الهجر الذي وقع فيه المسلمون اليوم، ويضع العلاج الناجع لتلك المظاهر.

### Abstract:

In the Holy Quran, the speech of Allah the Almighty is great, the wisdom is mature, and the Sharia (Islamic Law) is beneficial. Al Qur'an is the source of guidance, solemnity, rationality, virtue, good life and salvation at the hereafter.

The valuable texts of Quran and Sonna guide the Muslim Omma (community) to study the Quran with considerable recitation and contemplation and to behave accordingly. Furthermore, they warn from the failure to do what they ought to; in other words, its desertion, its negligence, its avoidance, or its disregard in actions taken. Threatening those who turned away from it, Allah the Almighty said:

' Thus We narrate to you (some) tidings of what has gone before; and We have already brought you a Remembrance from very close to Us. Whoever veers away from it, then surely upon the Day of the Resurrection he will carry an encumbrance, Eternally (abiding) therein; and (how) odious for them upon the day of the Resurrection is it as a burden.' (Surat Ta- Ha: 99-101).

This research explains the harmful consequences of the desertion of Holy Quran which some Muslims suffer from in today's modern world and tries to set forth possible effective remedies.

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد و على آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم هادي البشرية ومرشدها، ونور الحياة ودستورها، وما من شيء يحتاجه البشر إلا وبيّنه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماء، علمه من علمه، وجهله من جهله ولذا اعتنى به صحبُ الرسول ﷺ وتابعوه تلاوةً وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً وعلى ذلك سار سائر السلف.

جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها، جاء ليكون منهاج تربية ومنهاج حياة لا يكون كتاب ثقافة يقرأ لمجرد المعرفة، جاء لينفذ حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، وتكليفاً تكليفاً، جاء لتكون آياته أوامر يتلقاها المسلمون ليعملوا بها فور تلقيها كما يتلقى الجندي في تكتنه أو في الميدان « الأمر اليومي » مع التأثير والفهم والرغبة في التنفيذ، ومع الانطباع والتكيف وفق ما يتلقاه (1).

لقد تحدث القرآن عن تتلى عليه آيات القرآن، فلا يستجب لها، ولا يكيف حياته وفق هديها بل يستمر على منهجه الخاطئ وطريقه المنحرف، كأن صوت السماء لم يبلغ سمعه، أو كأن في أذنه صمما يمنعه من السماع، يقول تعالى: {وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (لقمان:7)، وفي آية أخرى يقول تعالى: {يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (الجاثية:8)، صحيح إن هذه الآيات وردت في سياق الحديث عن الكافرين الذين رفضوا قبول الإسلام، لكنها تتحدث عن موقف سيء في التعامل مع آيات الذكر الحكيم، بتجاهلها والإصرار على مخالفتها والمتسم بهذه الصفة يستحق عذاب الله الأليم، وإن كان يصنف نفسه ضمن المسلمين والمؤمنين.

إن هجر القرآن والإعراض عنه، وعدم تعلمه وتعليمه، وعدم العمل به، كل هذا من أسباب الدمار ومن ضمن المهالك الكبيرة التي توعد الله عز وجل أصحابها بالعذاب ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله ﷺ لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان:30)، ففي هذه الآية يشكو الرسول ﷺ إلى الله تعالى من هجر قومه للقرآن العظيم، وإنما قال سبحانه ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ ولم يقل (هجروا) ليدل على أن الهجر صار دينهم ومنهجهم وطريقتهم في التعاطي مع القرآن العظيم.

وقد بينت في هذا البحث مظاهر الهجر التي هجر فيها القرآن، وعملت جاهداً بإذن الله تعالى على وضع العلاج والحلول لهذا المرض العضال.

(1) انظر: في ظلال القرآن 317/5.

### خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة وثبت المراجع.

التمهيد ويشتمل على: التعريف اللغوي والاصطلاحي لعنوان البحث.

#### المبحث الأول: مظاهر هجر القرآن الكريم

المظهر الأول: هجر السماع والإصغاء

المظهر الثاني: هجر التلاوة

المظهر الثالث: هجر التدبر والفهم

المظهر الرابع: هجر تعليمه و الدعوة إليه

المظهر الخامس: هجر الحفظ

المظهر السادس: هجر الإيمان بالقرآن

المظهر السابع: هجر العمل بالقرآن

المظهر الثامن: هجر التحاكم إلى القرآن الكريم

المظهر التاسع: هجر الاستشفاء و التداوي به

#### المبحث الثاني: علاج ظاهرة هجر القرآن الكريم

أولاً: حسن الاستماع

ثانياً: الورد اليومي

ثالثاً: التلاوة التأملية

رابعاً: العمل بالقرآن

خامساً: الحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ

سادساً: الحفظ الكامل لكتاب الله

سابعاً: الاستشفاء بالقرآن و التداوي به

ثامناً: التلاوة والتجويد

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

ثبت المصادر والمراجع

### تمهيد

#### معنى مظاهر:

لغة: ظهر الشيء ظهوراً: إذا وضح وبان، وأظهرت الشيء: أي بينته، والظهور: بدو الشيء الخفي، يقال: أظهرني الله على ما سُرِقَ مني أي أطلعني عليه<sup>(1)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام: 151) أي الفواحش الظاهرة والخفية، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور: 31) أي من اكشف وظهر منها.

اصطلاحاً: هي الأصناف والأشكال التي انكشفت وظهرت وتعددت، والمقصود الأوجه الظاهرة التي هجر فيها القرآن الكريم.

#### معنى الهجر:

أولاً في اللغة: الهجرُ والهجران: ترك ما يلزمك تعهده، قال تعالى: (إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان: 30) أي: يهجرونني وإياه، وقال تعالى: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) (المؤمنون: 67) أي: تهجرون محمداً، ومن قرأ تهجرون أي: تقولون الهجر، أي: قول الخنا، والإفحاش في المنطق، تقول: أهجر إهجاراً<sup>(2)</sup>.

والهجرُ أيضاً: الهديان، أي: قالوا فيه غير الحق، ألم تر إلى المريض إذا هجرَ قال غير الحق. والهجرُ بالضم: هو الإفحاش في المنطق، والخنا<sup>(3)</sup>.

قال الفراء في قول الله جلّ وعزّ: [مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ] (المؤمنون: 67)، فهذا من الهجر والرّفْض، وقد قرأ ابن عباس: تهجرون من أهجرت، وهذا من الهجر وهو الفحش، وكانوا يسبون النبي ﷺ إذا خلّوا حول البيت ليلاً<sup>(4)</sup>.

وقال صاحب اللسان: الهجرُ ضد الوصل هجره يهجره هجراً وهجراناً صرّمه والاسم الهجرة وجاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ... وَلَا يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هَجْرًا)<sup>(5)</sup> يريد هجران القلب وترك الإخلاص في الذكر فكأن قلبه مهاجر للسانه غير موصل له، ويقال هجرت الشيء هجراً إذا تركته و أغفلته<sup>(6)</sup>، والمهجور: المتروك والمفارق، والمراد هنا ترك الاعتناء به وسماعه<sup>(1)</sup>.

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب ص 527.

(2) كتاب العين 253/1، المحيط في اللغة 283/1

(3) الصحاح في اللغة 243/2

(4) تهذيب اللغة 253/2

(5) رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب المكثرين ح 7585

(6) اللسان 250/5

ثانياً في الاصطلاح: يطلق الهجر ويراد به مفارقة الإنسان لأي شيء آخر، وقد يكون ذلك بالبدن كما في قوله تعالى: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} (النساء : 34)، وقد يكون باللسان أو بالقلب، كما في قوله تعالى: {إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان :30)، أما قوله عز وجل: {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} (المزمل:10) فهو محتمل للهجر بالبدن و القلب و اللسان، و قوله سبحانه: {وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ} (المدثر: 5) أي: اترك وهو حث على المفارقة بالوجوه كلها.

والمقصود بهجر القرآن في قوله تعالى: {إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان:30) هو الترك بالكلية وعدم الإيمان به وعدم التأثر منه، فمهجوراً من الهجر بفتح الهاء بمعنى الترك وهو الظاهر، وقيل: مهجوراً من الهجر بالضم على المشهور أي الهذيان وفحش القول والكلام على الحذف والإبصار أي جعلوه مهجوراً فيه إما على زعمهم الباطل نحو ما قالوا: إنه {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان:5] وإما بأن هجروا فيه ورفعوا أصواتهم بالهذيان لما قرئ لئلا يسمع كما قالوا: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ} (فصلت:26)، وجوز أن يكون مصدراً من الهجر بالضم كالمعقول بمعنى العقل والمجلود بمعنى الجلادة أي اتخذوه نفس الهجر والهذيان، ومجيء مفعول مصدراً مما أثبتته الكوفيون لكن على قلة<sup>(2)</sup>.

وقيل الظاهر أن {مهجوراً} بمعنى متروكاً من الإيمان به مبعداً مقصياً، وقيل: من الهجر والتقدير {مهجوراً} فيه بمعنى أنه باطل<sup>(3)</sup>.

قال الإمام الرازي في تفسيره: وقد ذكروا في المهجور قولين: الأول: أنه من الهجران أي تركوا الإيمان به ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه، الثاني: أنه من أهرج أي مهجوراً فيه ثم حذف الجار ويؤكد قوله تعالى: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [المؤمنون : 67] ثم هجرهم فيه أنهم كانوا يقولون إنه سحر وشعر وكذب وهجر أي هذيان<sup>(4)</sup>.

والخلاصة: مظاهر هجر القرآن: الأوجه الظاهرة التي هجر فيها القرآن وذلك بعدم الإيمان به و الإقبال عليه، والإعراض عن استماعه وتلاوته، و وصف القرآن الكريم بأوصاف لا تليق.

(1) تفسير ابن عاشور 73-70/10

(2) انظر: روح المعاني 86/4

(3) البحر المحيط 361/8

(4) التفسير الكبير 415/11

## المبحث الأول

### مظاهر هجر القرآن الكريم

#### المظهر الأول: هجر السماع والإصغاء

تعريف السمع: يطلق السمع على معان عدة منها:

- 1- السَّمْعُ حِسُّ الأُذُنِ قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق: 37).
- 2- بمعنى الإصغاء تقول سَمَعَهُ الصوت وأَسْمَعَهُ اسْتَمَعَ له وتَسَمَّعَ إليه أَصْغَى، فإذا أَدْعَمْتَ قلت اسْمَعْ إليه وقرئ {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الأَعْلَى} (الصفات: 8)، وقرئ {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الأَعْلَى} مخففاً.
- 3- و تأتي سَمِعْتُ بمعنى أَجَبْتُ ومنه قولهم: سَمِعَ اللهُ لمن حَمَدَهُ أي: أَجاب حَمْدَهُ وتقبله، يقال اسْمَعُ دُعائي أي أَجِبْ لأنَّ غرض السائل الإجابة والقَبُولُ (1).
- 4- والتَّسْمِيعُ: التَّشْنِيعُ والتَّشْهِيرُ، والتَّسْمِيعُ: الإِسْمَاعُ يقال: سَمَعَهُ الحديثَ وأَسْمَعَهُ بمعنى نقله واستمع له: أَصْغَى قال اللهُ تعالى: {قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} (الجن: 1)، وقوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} (ق: 41).
- 5- وَيُعَبَّرُ بِالسَّمْعِ تارةً عن الفهم وتارةً عن الطاعة تقول: اسْمَعُ ما أقولُ لك ولم تَسْمَعْ ما قلتُ لك أي لم تفهم وقوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} (الأنفال: 23) أي أفهمهم بأن جعل لهم قُوَّةً يَفْهَمُونَ بها.
- 6- ويأتي بمعنى الطاعة قال اللهُ تعالى: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} (يس: 25) أي أطيعون، ويقال: اسْمَعَكَ اللهُ أي لا جَعَلَكَ أَصَمَّ وهو دعاء، وقوله تعالى: {أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِعْ} (الكهف: 26) أي ما أَبْصَرَهُ وما أَسْمَعَهُ على التَّعَجُّبِ نقله الجَوْهَرِيُّ (2) ورجل سَمَاعٌ إذا كان كثير الاستماع لما يُقال ويُنطقُ به قال اللهُ عز وجل: {سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ} (المائدة: 41)، وقوله عز وجل: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة: 7) فمعنى خَتَمَ طَبَعَ على قلوبهم بكفرهم وهم كانوا يسمعون

(1) اللسان 162/8

(2) تاج العروس 5325/1

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

ويصرون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يُجدي عليهم فصاروا كمن لم يسمع ولم يُبصر ولم يَعْقِل (1).

مظاهر هجر السماع:

يتوصى أهل الكفر بعدم السماع للقرآن، حتى لا يقعوا تحت تأثيره، ويقودهم للإسلام والإيمان، وفي ذلك يقول سبحانه: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَأَهَيَّةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} (الأنبياء: 1-3)

ويصير الأمر أوضح من ذلك عندما يعلن الكفار هذه الوصية بصورة حاسمة قاطعة، تستدعي التناهي فيما بينهم عن سماع القرآن، قال تعالى حاكياً عن هذا التناهي: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} (فصلت: 26) إلى هذه الدرجة كان لسماع القرآن أثره في نفوس أعدائه، فهم يتشاغلون عنه، ويتلهون بغيره، ويتعاهدون فيما بينهم على عدم الاقتراب من تاليه، حتى لا يصل آذانهم، حتى إذا وقع بعضهم في ذكر قاصداً أو ناسياً لاموه، وعضوه، وعبوه، وقالوا له: {أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}؟ (الأنبياء: 3).

لقد نعتوا القرآن بالسحر، ونعتوا أنفسهم بالإبصار، وحقبة الأمر على غير ذلك، فما القرآن إلا وحي مؤثر من خالقهم، وما ادعائهم الإبصار إلا محاولة تبرير ضعيفة، وهربة منهزمة، يسترون تحتها ما في نفوسهم من استكبار وعتو، وتواص على عدم الانصياع للحق، وخروج من الباطل، بل وحرص على استخدام كل الأساليب الإعلامية التي تمنع وصول أي اثر لهذا البث القرآني المؤثر في النفوس، {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} (فصلت: 26): غالبوا أثره بالمكاء والصفير، والتخليط والتعيب (2). وهكذا أغلق الكافرون كل وسائل العلم لما يتلوه النبي ﷺ وأتباعه عليهم {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَافِلُونَ} (فصلت: 5)، فقد أكنوا قلوبهم، أي جعلوها في "كن"، وهو الوعاء الحافظ لما فيه فلا يسمح بدخول شيء عليه، هذا إن وقع على أسماعهم شيء من آياته، ولكنهم لخوفهم أن تتأثر قلوبهم من آياته إن وقعت عليها فقد صنعوا حاجزاً سابقاً عن القلب، هو الحاجز في الإسماع، فقد صممتها عن السماع وأغلقناها أن يدخل فيها شيء من هذا الكلام. ثم

(1) اللسان 162/8

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 99/4



هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه، دراسة قرآنية

زيادة في إبعاد هذا الكلام عنهم جعلوا بينهم وبينه حجاباً، ولذلك قال تعالى قبل هذه الآية: {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَّا يَسْمَعُونَ} (فصلت:4).

إنّ هذه الحواجز التي ذكرها الله تعالى مرتّبة على درجة من الأهميّة، فالقلب هو وعاء الفهم والإدراك والإحساس، وهو منطلق الشعور الذي تحصل به الإرادة، فهو محطّ تسمية الإنسان إنساناً، ومقصد القرآن هو البلوغ إلى هذا المرجل الذي لا حياة للإنسان بدونه، ثمّ ذكر الله السمع وهو واسطة الإنسان نفسه بينه وبين العلم والقرآن، ثمّ ذكر الله المانع الخارجي والذي لا يحصل السماع مع وجوده، وهذا تفصيل له أهمّيته لغفلة الناس عنه.

لذلك سارعوا إلى وضع الحواجز الداخلية والنفسيّة والخارجيّة حتّى لا يسمعوا لهذا القرآن، ذلك لأنّهم يعرفون ما لهذا الكلام من وقع على آذانهم وقلوبهم، فستترب له آذانهم رغم أنوفهم، وستؤمن له قلوبهم من غير رضاهم، وهم يكرهون هذا. وقد يسأل سائل: "هل تؤمن القلوب من غير رضا أصحابها؟".

الجواب: نعم، وإن شئت فافقرأ قوله سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت: 17]، وقرأ قوله تعالى: {وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النمل:14)، وغيرها من الآيات التي تدل على أنّ القلوب قد تذوّقت الحقّ وعرفته معرفة يقينيّة، ولكنّهم كرهوا هذه المعاني الإيمانية ورأوها تصادم أهواءهم وشهواتهم، فتصارعت معاني الإيمان في قلوبهم مع الموانع من هذه الشهوات فغلبت الشهوة تلك المعاني، وذهب الإيمان تحت ركام العلو والظلم والاستكبار، ولذلك استحبّوا الحياة الدنّيا على الآخرة، ورجعوا عن رضا الله إلى رضا الشهوات.

وحول هذه المعاني يقول ابن هشام تحت عنوان: (استكبار قريش عن أن يؤمنوا بالرسول ﷺ) :..... فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي، استترق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب - خشية أذاهم - فلم يستمع منه، وان خفض رسول الله ﷺ صوته، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته، وسمع هو شيئاً - دونهم - أصاخ له يستمع منه(1).

لقد كان سماع القرآن بالنسبة للمجتمع المكي يعتبر مفاجأة مذهلة، لم تعتدها آذانهم ولا عقولهم، ولم يعهدوا في ثقافتهم مثل هذا الخطاب الذي فاق في بلاغته وتأثيره

(1) السيرة النبوية 314/1/1.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

كل ما سمعته آذانهم من قبل - شعراً كان أو نثراً، لذلك كان الحرص على إسماع الكافرين القرآن يعتبر عملاً دعوياً ضخماً، له تكاليفه وتضحياته، حتى يحتاج الأمر إلى رجل ذي عشيرة قوية تمنعه من بطش الباطشين، نتيجة لإسماعهم ما يكرهون كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه.

لقد توعد الله تعالى الكفار بصنيعهم هذا قال تعالى: منتصرا للقرآن، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران: {فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا} أي: في مقابلة ما اعتمده في القرآن وعند سماعه، {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي: بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم {ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أضلانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت: 29) (1)، وقال: {مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} (طه: 99-101).

قال السعدي في تفسيره: يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه وأعرضوا عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان فقال: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} الذي فيه الوعظ والتذكير والهدى والإيمان والخير والعلم الكثير، {جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} يستترهم عن فهمه حقيقة وعن التحقق بحقائقه والانتقاد إلى ما يدعو إليه من الخير، {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} أي: أغطية وأغشية لا يفقهون معها القرآن بل يسمعون سماعاً تقوم به عليهم الحجة، {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} أي: صمما عن سماعه، {وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ} داعياً لتوحيده ناهياً عن الشرك به، {وَلَوْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} من شدة بغضهم له ومحبتهم لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (الزمر: 45)، {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ} (الإسراء: 47) أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقدموا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق وإنما هم متعمدون على عدم إتباعه، ومن كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئاً ولهذا قال: {إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} أي: متاجين {إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ} في مناجاتهم: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم وقد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي لا يدري ما يقول (2).

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 174/7

(2) تفسير السعدي 459/1.

هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن .

أما حال المؤمنين فقد أمر الله تعالى عباده الاستماع للقرآن والإنصات له فقال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204] ولا يوجد على وجه البسيطة كتاب يحرم هجره، ويجب تعاهده وتلاوته إلا القرآن الكريم، فإن هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب..

وانك لتعجب إذا رأيت الإنسان يتوق لسماع كل شيء ولكن بمجرد أن يعرض عليه القرآن يعرض عن سماعه، بل إن البعض لا يطيق سماع القرآن ويعتبره أمراً يبعث على الملل، أو الحزن، بل ظهرت عادة جديدة في مجتمعنا وهي أن يفرد لقارئ القرآن غرفة معزولة عن موضع جلوس الناس في البيت الذي يقرأ فيه القرآن ليأخذ الناس راحتهم في الحديث والكلام، فبها لها من ظاهرة مؤلمة أن تجد قارئ القرآن يقرأ القرآن لوحده ليس معه حتى من يستمع إليه أو يشجعه أو يعينه أو يرد عليه إذا اخطأ. إن كثيراً من المسلمين يضعون المصاحف في علب جميلة مزخرفة ومزركشة.. وكأن القرآن جزء من الديكور والزينة!! ولا تكاد تسمع القرآن في مكان حتى تسأل عمن توفي!! وهكذا أصبح القرآن الذي هو حياة الأمة، رمزا للموت فيها، فلا يقرأ إلا في سرادقات العزاء، وجعلوا من فاتحة الكتاب - التي هي دستور حياة المسلمين، والتي كان حرص الشارع على قراءتها سبع عشرة مرة على الأقل يومياً في كل ركعة من الصلوات المفروضة - وسيلة لجلب الرحمة على الأموات، فلا تذكر ميتاً حتى يقال " اقرءوا له الفاتحة "!! كم نسمع من نشرات الأخبار.. كم يسمع كثيرون من الأغنيات، وكم نسمع كثيراً من الأقوال والأحاديث، كم نسمع من غيبة ونميمة، كم نسمع من لعن وشتيمة وكل ذلك يصب في قلوبنا كدراً يخلط صفاء الإيمان، وظلمة تطفئ نور اليقين وأحوالاً تقسوا بها القلوب، {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} (الأنبياء: 2)، والقرآن لم يجعل لهذا، بل أنزله الله تعالى للتدبر والتأمل والفهم والتطبيق. قال تعالى: {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} (يس: 70).

إن القرآن لم يقبل منا بالسماع فحسب، بل أراد منا الاستماع، وهو السماع الواعي المتدبر، وأنت إذا رأيت هذه الظاهرة السيئة جداً، ظاهرة اللغو والقرآن يتلى، لترحمت على السامعين فضلاً عن المستمعين! ومن الغريب أنك لا ترى استنكاراً لهذه الظاهرة الغريبة المنكرة!! واكبر الظن أن هؤلاء اللاعبين لا يعرفون قيمة الاستماع إلى القرآن الكريم، ويحسبون ذلك من الأمور العادية، بينما الآية المباركة والروايات صريحة بضرورة الاستماع والإنصات، وفيهما انفتاح لباب الرحمة الإلهية التي تتطلع إليها قلوب

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

المؤمنين {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: 204) إنها الرحمة الإلهية التي تهبط على هؤلاء المنصتين المستمعين.

المظهر الثاني: هجر التلاوة :

إن ظاهرة هجر القراءة والتلاوة من المظاهر البارزة في المجتمع الإسلامي حتى أصبح القرآن الكريم لا يتلى إلا على الأموات، وحتى إن أهدنا إذا سمع قائلاً يقول: الفاتحة يتبادر إلى ذهنه أن هناك ميتاً، وتتبادر إلى أنفه رائحة السدر والكافور. ومع كل دعوات القرآن لتلاوته وترتيله، و دعوات الرسول ﷺ فإننا لا نجد آذاناً صاغية إلا عند القليل القليل من المؤمنين فلا تجد إلا القليل منهم من يحافظ على ورده اليومي قال تعالى: {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} (المزمل: 4)، وقال: {فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} (المزمل: 20)، ومما يثير العجب والدهشة أن معظم المؤمنين لا يجيدون قراءة القرآن وتلاوته، ولا يميزون بين قراءته وقراءة أي كتاب أو مقال فضلاً عن قلة معرفتهم بضوابط أحكامه فلا يميزون بين إخفاء وإدغام، أو إقلاب وإظهار أو..... وإن من الفاجعة أننا نرى من هم يحملون أعلى الدرجات العلمية ولا يصح تلاوة سورة الفاتحة، بل قلما نجد من الحكومات الإسلامية من يقرر مادة التلاوة والتجويد لتعليم النشء كيفية القراءة.

وقد حذر الصادق المصدوق من هذا النوع من الهجر فقد روى البخاري بسنده عن سمرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوجهه فَقَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قِصَّةً فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا قُلْنَا: لَا قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِذَا..... حَتَّى أَتَيْتُنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجْرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ انْطَلَقَ فَانْطَلَقْنَا..... قُلْتُ طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُمْ قَالَا نَعَمْ..... وَالَّذِي رَأَيْتُهُ يُشْدُخُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(1)</sup>.

إذا: ينام عن القرآن في الليل، ولا يتشرف بأن يقوم لله عزَّ وجلَّ ولو بركعتين في جوف الليل، فالقيام: هو المطيعة التي يمتطيها أهل الآخرة إلى الله عزَّ وجلَّ إذا نام الغافلون: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79]. وقال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: 16].

(1) رواه البخاري كتاب الجنائز رقم 1297

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

لقد حث نبينا ﷺ على تلاوة القرآن وحذر من الانقطاع عنه بل أمر من نام عن حربه أن يقرأه في أي وقت من اليوم ولا يتركه فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ نَامَ عَنْ حَرْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ. (1) إنه الحرص على عدم فواته مهما حالت دونه الحوائل أو اعترضته العوارض.

وقد كان نبينا ﷺ يوصي أصحابه بتعاهد القرآن وتلاوته فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَالَ فِيمَا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَامًا أُرْسِلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: ... وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَرُدْ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. (2)

وقد يتخوف بعض المؤمنين من التلاوة لأنه لا يعرف أحكامها، فهذا رسول الله ﷺ يقول: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعنت فيه وهو عليه شاق فله أجران" (3) قال النووي: وأما الذي يتعنت فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتعنته في تلاوته ومشقته (4).

### المظهر الثالث: هجر تعليمه و الدعوة إليه :

لقد كانت الوظيفة الأولى للنبي ﷺ تعليم القرآن والدعوة إليه قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: 2]، وقال: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 151)، وهي وظيفة الربانيين من أمته: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ

(1) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقم 1236

(2) رواه الإمام مسلم كتاب الصيام رقم 1963

(3) أخرجه مسلم 798، 549/1، والترمذي 2904، 171/5، وأبو داود 1454، 70/2.

(4) شرح صحيح مسلم للنووي 85/6.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (آل عمران: 79)، قال الرازي: (كونوا ربانيين) "دللت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً؛ فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله" (1).

لقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه مسئول هو وأمته عن تبليغ القرآن والدعوة إليه، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف: 44)، وبين الله لنبيه طريق الدعوة وأسلوبها بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125) وهذه الحكمة أنزلها الله على رسوله ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

وقد أمر النبي ﷺ بتعليم القرآن بقوله: (بلغوا عني ولو آية) (2)، وجعل ﷺ تعلم القرآن وتعليمه سبباً في الوصول إلى رتبة الخيرية في هذه الأمة، فقال ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (3).

ولا يتقال الواحد منا أجر تعليم الآية، فقراءة كل حرف بعشر حسنات، ومن علم غيره شيئاً من القرآن كان له مثل أجر المتعلم كلما قرأ القرآن أو علمه لغيره وهكذا يكون هذا التعليم صدقة جارية له، من حياته إلى ما بعد مماته فالقرآن لم ينزل للتخفيف وتخزين المعلومات وإنما نزل للعلم والعمل معاً، نزل ليقود أمة في صراعها المريع، ويوجه حركتها ويراقب مسيرتها الدامية.

#### المظهر الرابع: هجر التدبير والفهم

##### معنى التدبير في اللغة:

هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه (4) وتدبير الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، ولهذا جاء على وزن التفعّل كالتجرع والتفهم والتبين، ولذلك قيل إنه مشتق من النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها. ومنه تدبير القول، كما

(1) التفسير الكبير، 123/4.

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء رقم 3202

(3) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح رقم 4639.

(4) انظر: لسان العرب، 273/4، الفروق اللغوية، للعسكري، ص 58 وكتاب التعريفات للجرجاني، ص 76.

مجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} {المؤمنون: 68} (1).

معنى تدبر القرآن: هو تفهم معاني ألفاظه والتفكر فيما تدل عليه آياته، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواضعه، وخشوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه (2).

قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} {ص: 29}: " ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به" (3)، وقال أبو بكر ابن ظاهر: " تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه" (4)، ويقول الهروي رحمه الله: " أبنية التذكر ثلاثة: الانتفاع بالعظة والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة" (5)، فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه (6).

ويستفاد من كلام العلماء في معنى التدبر: هو التفكير والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه والمراد منه، ويشمل تدبر القرآن الأمور الآتية:

- معرفة معاني الألفاظ وما يراد بها، وهذا الأمر يجعله أكثر المؤمنين.
- تأمل ما تدل عليه الآية أو الآيات، مما يفهم من السياق أو تركيب الجمل، وهذا فقط عند العلماء الأفاضل.

- اعتبار العقل بحججة، وتحرك القلب ببشائره وزواجره، وهو تأثر وقتي عند البعض فقط.

- الخضوع لأوامره، واليقين بأخباره.

فالتدبر في كتاب الله تعالى هو أن تقرأ القرآن بوعي وفكر، فلا تكون القراءة مجرد إجراء الأحرف على الشفاه واللسان، ولكن يجب أن يكون لها مستقر في القلب، ومسكن في العقل، حتى تؤتي القراءة ثمرتها.

(1) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ص 216.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 501/1، وتيسير الكريم الرحمن، ص 733، والقواعد الحسان لتفسير القرآن القاعدة (11) ص 28.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، 153/23.

(4) الجامع لأحكام القرآن، 38/19.

(5) مدارج السالكين، 449-444/1.

(6) الوسيط 1013/1

### المظهر الخامس: هجر الحفظ:

كتاب الله لا يمل قارئه ولا يكل سامعه ولا يخلق على كثرة الرد وقد عدّ العلماء هذا من خصائص القرآن بل عدّوه من وجوه إعجازه، وحفظ القرآن سمة لهذه الأمة وخصيصة لهذا القرآن وحجة لله في هذا الزمان على بني الإنسان، ومما يساعد على حفظ القرآن أن الله تعالى يسره للتلاوة والحفظ، قال الحق جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17) روى البخاري عن مجاهد أنه قال: "يسرنا القرآن أي هوناً تلاوته"<sup>(1)</sup>.

وذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية قال: "سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه" وذكر عن سعيد ابن جبير أنه قال: "ليس من كتب الله كتاباً يُقرأ كله ظاهراً أي عن ظهر قلب إلا القرآن"<sup>(2)</sup>. وفي تفسير ابن كثير قال: "سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد أن يتذكر من الناس"<sup>(3)</sup> فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسّر الله حفظه ومعناه.

قد يحفظ أحدنا أشعاراً كثيرة لشعراء، وقد يحفظ نصوصاً كبيرة لأدباء وبلغاء، أما أن نحفظ القرآن فهذا ما بندر وجوده هذه الأيام حتى في أوساط المؤمنين الدارسين، ولهذا فإنك إذا سمعت أحدهم يستشهد بآية مباركة يرتبك و يتلعثم، بينما ينطلق لسانه مغرداً في القصائد الشعرية.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على حفظ القرآن حتى انه كان يسبق جبرائيل قبل أن يكمل المقطع القرآني النازل عليه، فجاء القرآن ليطمئنه على حفظه، قال تعالى: (إِنَّا تَحَرَّكْ بِهِ لِسَانِكَ لَتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ) (القيامة: 16، 19)

وليستحضر المرء في ذلك التدارس الأعظم الذي كان بين رسول الهدى ﷺ وبين جبريل عليه السلام فإذا كان أمر التدارس والتسميع بين الرسول وبين جبريل ليستمر حفظه، فما بالنا نحن لا ننال من هذا الشرف شيئاً ولا نفتدي بهذه الصورة العظيمة لخير رُسُل الله ﷺ وخاتمهم ولأمين الوحي جبريل عليه السلام.

### المظهر السادس: هجر العمل بالقرآن:

لقد هجر بعض المسلمون العمل بما جاء القرآن الكريم به والانقياد لأوامره ونواهيه، و أعرضوا عن معرفة حاله وحرامه، ولا عجب أن نرى اليوم معظم المسلمين لا يفقهون الحلال والحرام ولا ينفادون لأوامر القرآن ونواهيه.

(1) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن مج9 ص17 ص86

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 264/4



هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

وقد وصف النبي ﷺ الذي لا ينقاد لأوامره بأنه شر الناس فقال: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه) (1) إن هذا القرآن لم ينزل ليكتب بماء الذهب، ويوضع على الأدرج والأرفف، ولم ينزل ليتغنى به القراء بأصوات تطرب الأسماع فحسب، ولم ينزل ليتلى على المحتضر، ولا لتلاوته على الأموات في قبورهم وقد أفضوا إلى ما قدموا، ولا في ماتمهم بعد دفنهم لتسليّة أقربائهم، وإنما نزل ليقم حياة البشر على منهج الله الذي ارتضاه لهم في هذا الدين الذي حمّله هذا الكتاب، نزل ليؤمن به الناس ويعملوا الصالحات، ولهذا كثر فيه اقتران العمل الصالح بالإيمان، وبهما يكون صلاح الأمة وعمارّة الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9) وعلامة إيمان المرء العمل بالقرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 121] قال عبد الله بن مسعود ﷺ معننى حق التلاوة: "والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله، ويحرم حرامه، ويقراه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله" (2).

فالعمل بالقرآن: هو تصديق أخباره، وإتباع أحكامه، بفعل جميع ما أمر الله به، وترك جميع ما نهى الله عنه؛ ولهذا سار السلف الصالح على ذلك رضي الله عنهم، فكانوا يتعلمون القرآن، ويصدقون بأخباره، قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها، حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً، وقد روى الإمام مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانين سنة يتعلمها (3)، وهو يدل على أن الحفظ كان مقروناً بالتفسير إذا يمكن حفظها في أقل من شهر.

(1) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري، كتاب مسند المكثرين رقم 11124، 37/3، والحاكم (67/2-68) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 175/1

(3) رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في القرآن ح رقم 428

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

إن القرآن الكريم كتاب حياة ومنهج وجود للإنسان، وهو يقدم للمسلم كل ما يحتاج في الدنيا والآخرة، ويجب عن كل ما يخطر بباله من تساؤلات، وهاجر العمل بالقرآن فهو الذي لا يبالي بمخالفة النصوص، ولا يبالي بالعمل على غير ما جاء به القرآن، فهو الروح ولا حياة دون روح قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى:52)، وإنه النور ولا بصيرة دون نور، وإنه الهدى الذي لا فلاح دونه، ورغم هذا فإن أحاسيسنا لازالت بليدة اتجاهه، ولا نلمس عظمته إلا من هنيهات خشوع لا تكاد تأتي إلا قليلا.

لقد هُدم كتاب الله ونحن أحياء.. فأحلوا الربا وغيره من المحرمات، وعطلوا حدود الله، فلم يقوموا بشيء من حدوده، مع أن القرآن موجود.

إن قيمة القراءة والحفظ لآيات القرآن إنما تأتي من قصد الاهتداء بها، وتجسيد معانيها في واقع الحياة وإذا تجردت تلاوة القرآن وحفظه من جانب الالتزام العملي التطبيقي فإنها تستلزم سخط الله تعالى وغضبه ولهذا وجه القرآن توبيخا عنيفا للذين يتلون آياته، لكنهم غير ملتزمين بقيم الخير والبر، يقول تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (البقرة: 44).

وقد ذم القرآن الكريم أتباع الديانات السابقة الذين يتراشقون فيما بينهم بالاتهامات، ولا يتخلقون بالتعاليم الأخلاقية التي يقرؤونها في كتبهم المقدسة يقول تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (البقرة: 113).

### المظهر السابع: هجر الإيمان بالقرآن :

يقول ابن كثير: وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره -من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره -من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب<sup>(1)</sup>.

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 1080/6

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

لقد هجر الكثير من المسلمين اليوم كتاب الله وأقبلوا على الإيمان بكل الأباطيل والأكاذيب والأساطير التي تتعارض مع القرآن والسنة والعقل والحكمة.

إن معنى الإيمان بالقرآن: أن نؤمن به كله، وبأن كل ما فيه حق، وبأن من كفر بحرف واحد منه فقد كفر به كله، ومن كفر بحد واحد من حدوده فقد كفر به كله، وأنه لا يجوز لنا أن نؤمن ببعضه ونكفر بالبعض الآخر، كما ضرب الله تعالى لنا في ذلك مثلاً بنبي إسرائيل حيث قال عنهم: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: 84-85]، فرتب الله تبارك وتعالى عقوبة عظيمة على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، قال تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِيَّا خِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85]، ثم قال بعد ذلك: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة: 86] وهذا كفعل اليهود تماماً، فإن الآيات التي توجب أن تصان الأنفس، وأن يكون ولاؤهم للمؤمنين من أبناء دينهم، وأن يكونوا أدلة لهم وأعزة على الكافرين، هذه تركوها بالكلية وأعرضوا عنها، لكن إذا جاءهم أسارى قالوا: إخوانكم في الدين، فلا بد أن تفادوهم.. كيف وهو محرم عليهم إخراجهم؟! ولكن هكذا يفعل الهوى والعياذ بالله!<sup>(1)</sup> وأي تعطيل لكتاب الله أكثر منه في هذه الأيام.

#### المظهر الثامن: هجر التحاكم إلى القرآن الكريم:

وهو من أهم وأخطر أنواع هجر القرآن الكريم اليوم هجر تحكيمه وتطبيقه في

الحياة، فمعظم المسلمين اليوم لا يحتكمون إلى كتاب الله في حياتهم الخاصة والعامّة، وفي المقابل نجدهم يتحاكمون للقوانين الوضعية...

ولقد دلت جميع الأدلة النقلية والعقلية على أن الذي يجب أن يمضي في هذا الكون؛ كل الكون هو حكم الله تعالى وحده.. لا مناص للعباد والبلاد من أن تحكّم إلا بما أنزل الله تعالى.. ولا تتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى وقانونه.. وأن هذه الحياة الدنيا لا ينتظم أمرها ولا يستقيم حالها على العدل والحق إلا عندما تحكّم بما أنزل الله.. وليس بغيره من أهواء وشرائع البشر! قال عز وجل: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 1/121.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

جاءك مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (المائدة:48)، وقال : {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (المائدة:44)، وقال: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء:59)، ولا شك أن تحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شئون الحياة وهجره من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حل بهم من أنواع الفساد، وصنوف الظلم واستبداد، والذل والمهانة، وإن ما يعصر القلب ألما بل دما أننا لا نكاد نري دولة في هذا العصر تطبق شرع الله تطبيقاً كاملاً الأمر الذي أدى إلى وقوع المصائب، وأنواع الفرقة والعداوة بينهم، وكذا التقاتل والتناحر، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادي، مع أن في بلاد المسلمين - كما هو معلوم - فيها أعظم الثروات وبمختلف الأنواع، قال تعالى: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (المائدة:49) وأعظم سبب في ذلك هو هجر التحاكم إلى القرآن الكريم، والتحاكم إلى الطاغوت قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلَآً بَعِيداً} (النساء:60)، فإن قوله عز وجل: {يَزْعُمُونَ} تكذيب له فيما ادعوه من الإيمان فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحد، فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وقد قال تعالى مُنْكَرًا عَلَى هَذَا الضَرْبِ مِنَ النَّاسِ، ومقرراً ابتغاءهم أحكام الجاهلية موضحاً أنه لا حكم أحسن من حكمه: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (المائدة:50) فالمراد منهم شرعاً والذي تُعْبَدُوا بِهِ هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه، وقد دلت هذه الآية الكريمة على أنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية.

يقول ابن تيمية عن هذه الآيات: 'ثم الله عز وجل المدعين الإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الإسلام وينتحل في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك - يقصد رحمه الله التتر - وغيرهم، وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضاً، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

بالشبهات والشبهات، أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم، قالوا إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم بالذوق، ونوفق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات<sup>(1)</sup>، ويقول ابن كثير: 'فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر<sup>(2)</sup>، فالتحاكم إلى غير الشرع - وهو حكم الطاغوت والجاهلية - ينافي الإيمان، وهو من علامات النفاق: يقول الشيخ السعدي في هذا الصدد: 'الرد إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان. فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية: {لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا..} [النساء: 60]. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك...<sup>(3)</sup>

ويحكي ابن القيم شيئاً من عواقب تنحية حكم الله تعالى فقال: 'لما عرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان، وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير...<sup>(4)</sup>'.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ - وَذَكَرَ مِنْهَا: - وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ]<sup>(5)</sup> وفي رواية: [وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشَأَ فِيهِمُ الْفَقْرُ]<sup>(6)</sup>.

### المظهر التاسع: هجر الاستشفاء و التداوي به:

وردت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال تعالى: {وَتُنزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82]. وقال: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت: 44].

(1) الفتاوى 339/12-340، بتصرف يسير

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 209/3

(3) تفسير السعدي 90/2، باختصار

(4) الفوائد ص 42 - 43

(5) رواه البيهقي وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب 321/1

(6) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب 321/1

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

وفي سنة الرسول ﷺ صور تطبيقية للتداوي بالقرآن، سواء كان دواء للأبدان، أو للنفوس، يقول ابن كثير: "يقول تعالى عن كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل. فالقرآن يشفي من ذلك كله"<sup>(1)</sup>.

وهجر الاستشفاء بالقرآن خلاف السنة، فهو مذموم وممقوت فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتهما<sup>(2)</sup>.

ومن أشكال هجر التداوي والاستشفاء به في جميع أمراض القلوب وأدوائها أن الكثير من المسلمين يطلبون العلاج والشفاء من غيره كالسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يرجون التداوي من القرآن بل إن الكثير منهم من يسافر إلى بلدان يلتمس الشفاء دون أن يكلف نفسه ولو مرة واحدة الاستشفاء بكتاب الله تعالى وقد يتساعل عن أبعاد المعالجة بالقرآن، فيقول: هل كون القرآن شفاء على حقيقته؟ أم أن ذلك واقع على طريق المجاز؟ وهل يعالج أمراض القلوب والأرواح فحسب؟ أم يمتد العلاج به إلى أمراض الأبدان؟ وإذا كان العلاج ممتداً به إلى أمراض الأبدان فما وجه المعالجة به؟ وكيف يكون علاجاً؟ والجواب: أن القرآن علاج باعتبارات متعددة :

### أولاً : معالجته لأمراض النفوس والقلوب:

أما معالجة القرآن لأمراض النفوس والقلوب فإنه تفرد بذلك دون سواه، يقول ابن القيم: "فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم، وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفطرها بأسمائه وصفاته وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته، متجنبه لمناهيها ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة ألبتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما نظن من حصول صحة القلب بدون أتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل،

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 3/9

(2) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض: 2 / 943، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضائل المعوذات 9 / 63، ومسلم في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات

برقم: (2192) 4 / 1723

هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه، فإنه من الأموات، وعلى نوره فإنه منغمس في بحار الظلمات<sup>(1)</sup> وهذان النوعان من أمراض القلوب أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعهده. وشفاه في معرفته لربه، واستقامته على طاعته، والبعد عما نهى عنه، وحذر منه .

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (يونس: 57) " أي من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من دنس"<sup>(2)</sup>.

ويذهب جمهور علماء أهل السنة إلى أن النصوص المقررة لكون القرآن شفاء، أنها عامة في أمراض القلوب والأبدان، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "قال الله تعالى: {وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (الإسراء: 82) والصحيح أن (من) هنا لبيان الجنس لا للتبويض، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (يونس: 57) فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة. وما كل أحد يؤهل ويوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضع على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه؛ لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدوية كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه"<sup>(3)</sup>.

(1) انظر زاد المعاد لابن القيم 4/7.

(2) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 2/421

(3) انظر زاد المعاد لابن القيم 3/178

## المبحث الثاني

### علاج ظاهرة هجر القرآن الكريم

أولاً: حسن الاستماع والإنصات :

قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:204).

يقصد بالسماع مجرد استقبال الأذن لذبذبات صوتية دون إعارتها انتباهاً مقصوداً، أما الاستماع فهو مهارة يعطي فيها المستمع اهتماماً خاصاً واهتماماً مقصوداً لما تتلقاه أذنه من أصوات ليتمكن من استيعاب ما يقال، أما الإنصات فهو أعلى مرتبة لأن فيه تركيزاً أكبر من الانتباه والإصغاء من أجل هدف محدد، لذلك كان الأمر الإلهي بالاستماع للفهم والتدبر وبالإنصات للخشوع عند سماع القرآن الكريم، والمعنى: وإذا تليت آيات القرآن فاسمعوها بتدبر واسكتوا عند تلاوته إعظماً وإجلالاً للقرآن لعلكم ترحمون<sup>(1)</sup>.

إن حسن الاستماع هو الأول والمبدأ والفاتحة والبداية قال تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ} (الزمر:18)، وتأمل بلاغة القرآن المعجزة الذين يستمعون وليس يسمعون، فالاستماع أعظم من السماع، فالسماع كلام عابر يمرّ على أذنك لقد سمعته لكنك لم تستمع له.. لم تلق له بالأ.. لم تعطه أذناً واعية. لم تعطه قلباً حاضراً، إنما المقصود الاستماع الذي تتوجه له بكليتك، وتقصد به بعنايتك، وتفرغ له من وقتك، وتهيئ له نفسك، وتستحضر له كل الأسباب التي يقع بها حينئذ تنزل الرحمة، وتغشى النفوس والقلوب، ونرى حينئذ آثار الخشوع والسكينة والتدبر والتأمل عندما نحسن هذا السماع والإصغاء<sup>(2)</sup>.

وفي القرآن كثيراً ما ارتبط مفهوم الاستماع والإصغاء مع التفريق بينهما وقد ذكرت سورة الأحقاف أصول السماع الثلاثة: الاستماع، الإنصات، الاستجابة، ففي الآيات من قوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) (الأحقاف: 29-31).

إن الصمت أو السكوت عن الكلام هو المقدمة اللازمة للاستماع كانوا متوجهين بقصد أنصتوا أي اسكتوا وأصيخوا السمع، وهم قبل ذلك ليحسنوا الاستماع كانوا متوجهين بقصد

(1) انظر: التفسير الكبير مج 8 ج 83\15

(2) انظر: التفسير الكبير: 245/13



هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

أن يكون بحضرة القرآن، لذلك فإن حسن الاستماع يكون بالسكوت عن الكلام، والإنصات، وبرغبة محققة واستعداد مسبق (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) ما يليه الاستجابة (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) لقد حققت عملية الاتصال هدفها بتحقيق الاستجابة في اتجاه الإنذار، لأنهم ذهبوا يتصلون بقومهم قائلين بأنهم سمعوا كتابا يهدي إلى الحق وبالطبع هم استجابوا له وأخذوا يدعون قومهم للاستجابة (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)<sup>(1)</sup>.

وهذا ليس لأحد فيه عذر، حتى الأمي الذي لا يقرأ عنده فرصة سانحة لينهل من هذا الكتاب العظيم، والمشغول الذي لا يفرغ ليست له حجة عنده وقت في سيارته وعنده وقت وهو مستلق على فراشه.

قال سفيان الثوري رحمه الله: " أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ ثم العمل، ثم النشر، ويقول النووي رحمه الله: " ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئيين مجتمعين، فمن ذلك: اجتناب الضحك واللغظ والحديث في خلال القراءة إلا كلاما يضطر إليه، وليمثّل قول الله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: 204) <sup>(2)</sup>.

ثانيا: الورد اليومي :

أمر الله تعالى بتلاوة القرآن الكريم فقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: 121)، وقال: {إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أُعِيدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ} (النمل: 91،92) ووعد عليها الخير الجزيل قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} (فاطر: 19)، وقال سبحانه: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (الإسراء: 106)، كما أمر النبي ﷺ بتلاوته وبين ما أعد الله سبحانه وتعالى لمن قرأه من أجر عظيم منها شفاعته به فقال: {اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ} <sup>(3)</sup>.

فينبغي للمؤمن أن يلتزم بتلاوة كتاب الله تعالى، حيث عليه العكوف يوميا على القرآن بطريق الختمة كلما ختم ختمة بدأ أخرى ليبقى على صلة وثيقة بكلام ربه عز

(1) انظر: التحرير والتنوير مج 12 ج 62 ص 58-62

(2) التبيان في آداب حملة القرآن ص (92)

(3) رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب قراءة القرآن 553/1، ح 804.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

وجل، فقد أخرج الترمذي بسنده عن نصر بن علي، أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الحال المرتحل قيل: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلما حل ارتحل. " وقال: حديث غريب (1).

إن الذي يُعاني مشقة في القراءة فهو لا يُجيدها ولا يُحسنها فليقبل على القراءة فإن الله عز وجل يُعظم له أجره ويكون له أجر المشقة وأجر التلاوة بإذن الله إذ من سمات المتقين الأساسية وطبيعتهم اليومية الليلية هي تلاوته وترتيله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ (النمل: 91)، أي وأمرت أن أتلو القرآن قال ابن كثير: "أي أتله على الناس وأبلغهم إياه.. أي أنا مبلغ ومنذر" (2)، والمقصود أن النبي ﷺ أمر بتلاوة القرآن لنفسه ولأتمته ولتليغته للناس وبيانه ولتحريك القلوب به وإحياء النفوس به بإذن الله عز وجل وقد جاء في دعاء إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 129)، وقال جل وعلا: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 129)، فالتلاوة هي الطريق إلى هذا العلم والجسر إلى ذلك الفهم وهي الباب الذي يلج منه الإنسان إلى تأثر قلبه وميل نفسه وهداية عقله واستقامة سلوكه بالقرآن الكريم، فهو يقينا غذاء القلب الذي لا يحيا الإنسان بدونه، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن ويشعرون بالانقاص متى حصل شيء من ذلك بعكس المفرطين الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها أو مرضها وألمها، أما ألم القلوب وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم إلى الإحساس به.

### ثالثا: التلاوة التأملية :

قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص: 29) هذه الآية بين الله تعالى أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر والمراد بالتدبر: تفهّم المعاني وتدبر المقاصد ليحصل الاتعاط ويقع العمل، وقد وردت في القرآن الكريم معاني ومفردات متعلقة بالتدبر وهي معان متقاربة تجتمع في شيء، وتفترق في آخر، منها المفردات الآتية:

**الفهم:** هو العلم بمعنى الكلام.

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات رقم 2872

(2) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 378/3

الفقه: هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا تقول: تفقه ما أقول: أي تأمله لتعرفه.  
البصيرة: تكامل العلم<sup>(1)</sup>.

الفكر: هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالث.

التفكير: استعمال الفكرة في ذلك وإحضارها عنده.

التذكر: من الذكر وهو ضد النسيان، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} {الأعراف: 201}.

التأمل: مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه وتحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله<sup>(2)</sup>.

الاعتبار: وهو من العبور، لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة، ولهذا يسمى (عبرة) قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} {النازعات: 26} وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} {آل عمران: 13}.

الاستبصار: وهو استفعال من التبصر، وهو تبين الأمر وانكشافه، وتجليه للبصيرة<sup>(3)</sup>.  
ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر<sup>(4)</sup>.

والتدبر في القرآن غاية من غايات إنزاله: يقول الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29]. ومدح الحق جل وعلا من تدبر وانتفع، فذكر من صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان: 73) وقد نم من لا يتدبرون القرآن وأنكر عليهم فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [محمد: 24].  
التدبر من علامات الإيمان: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَابِعًا تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: 23)، ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة: 121).

(1) انظر: كتاب الفروق اللغوية، للعسكري، ص 69، 73.

(2) انظر: مدارج السالكين، 1/451.

(3) مفتاح دار السعادة: ابن القيم رحمه الله تعالى، ص 216 من أول كلمة (الفكر) إلى آخر الكلمات، وقد نقلت بتصريف يسير.

(4) الأذكار، ص 90، والتبيان، ص 60.

مجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه، دراسة قرآنية

التدبر يزيد الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2).

تدبر القرآن من النصيحة لكتاب الله، قال ﷺ: (الدين النصيحة)، قلنا لمن؟ قال ﷺ: (الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)<sup>(1)</sup>.

ترك التدبر يؤدي إلى قسوة القلب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16).

ويأتي التدبر بـ:

1 – إعمال الفكر وتقليب النظر وكثرة التكرار بنية العلم بأسرار كتاب الله العزيز، لاستنباط الأحكام وترسيخ المعاني وإدراك بعض المعاني اللطيفة، ونعني بذلك أن نقبل بصدق، وأن نستمع وأن نتلو وأن نتعلق بالقرآن في كل أحواله بنية التماس علاج أدواء قلوبنا، وبرء علل نفوسنا، وذلك ما نحتاج إليه، وصدق تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت: 69).

2 – سكون الجوارح، وعضّ البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى.

3 – استحضار عظمة المتكلم سبحانه وتعالى فهذا كلام رب الأرباب، ومملك الملوك جبار السماوات والأرض.. خالق الخلق، وواهب الرزق، ليس كلاماً له مثيل في الحياة كلها، ليس نظير فيما تسمعه وتقرؤه من كلام الدنيا وأهلها كلهم، فإذا استحضرت ذلك كان له أثر.

4 – استحضار عظمة الخطاب إنه خطاب لك ولكل مستمع.

5 – الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة، والنظر في أقوال أهل العلم فيها، فقد حوت تلك الكتب كثيراً من تفاسير السلف، كتفاسير الصحابة، وتفاسير التابعين وتابعيهم، كتفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وغيرها كثير، فبالرجوع إلى هذه التفاسير وأمثالها عون لقارئ كتاب الله على تدبر آياته وفهمه الفهم السليم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنزِلَتْ وَلَا أُنزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْبَابِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)<sup>(2)</sup>.

(1) رواه البخاري كتاب الإيمان، ومسلم، كتاب الإيمان رقم 62

(2) رواه البخاري كفضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ح 4618

## هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى أمراً عباده بتدبر القرآن وناهيماً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: "أفلا يتدبرون القرآن"، فهذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب<sup>(1)</sup>، ويروى ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: 121)، وعن ابن مسعود قال: والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله<sup>(2)</sup>، وقد كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن تلازم العلم والمعنى والعمل؛ فلا علم جديد إلا بعد فهم السابق والعمل به، ولما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال: لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث<sup>(3)</sup>.

قال ابن قيم الجوزية: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن الكريم فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألف سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ"<sup>(4)</sup> قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق: 37).

### رابعاً: العمل بالقرآن :

العمل هو غاية التعامل مع القرآن الكريم ولب لبابه، ولقد بين النبي ﷺ أهمية العمل بكتاب الله عز في الحديث الذي رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْجَبِيِّ رِيحًا طَيِّبًا وَطَعْمًا طَيِّبًا وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حَلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحًا طَيِّبًا وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ<sup>(5)</sup>، كما حذر ﷺ من ترك العمل به حين تحدث عن خيار الناس وشرارهم في الحديث الذي رواه أبي سعيد الخدري: " (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيه أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه)<sup>(6)</sup>.

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 179/4.

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 162/1.

(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، رقم 2870.

(4) الفوائد ص 4، 5.

(5) رواه البخاري كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام ح 5427 فتح الباري والإمام مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة حافظ القرآن 549/1 ح رقم 797.

(6) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري (37/3)، والحاكم (67/2-68) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

إن القرآن الكريم لم ينزل للثقافة المعزولة عن العمل، فالعمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } (المدثر: 1-7) إنها المسؤوليات الجسام، والمهام العظام، من القيام المستمر، والانتزاع من التدثر والفراش والدفء إلى ساح الجهاد والكفاح والثورة، وإنها الرسالة التي تحتاج إلى المزيد من البذل والعطاء، والدموع والدماء، كما وتحتاج بعد كل ذلك إلى الشعور بالتقصير، ورؤية ما أعطاه وبذله صغيراً وحقيراً {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} (1).

لقد أخبر الله نبيه ﷺ بأنه مسؤول هو وأمته عن تبليغ القرآن والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44]، ولذلك نرى ترجمة عملية من النبي ﷺ للقرآن الكريم فقد أثنى الله على خلق نبيه الكريم فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4)، وقد وصفت أم المؤمنين عائشة ؓ خلق النبي ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن) (2).

وقد أنكر الله عز وجل على الذين لا يعملون فقال: " {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (البقرة 44). وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف: 3،2).

خامساً: الحكمُ بما أنزلَ اللهُ وأهميته وبيان منزلته:

1- منزلته من توحيد العبادة: الحكم بما أنزل الله وحده هو أفراد الله بالطاعة، والطاعة نوع من أنواع العبادة، فلا تصرف إلا لله وحده لا شريك له، قال تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِنَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف:40]، فعبادة الله تقتضي إفراده بالتحليل والتحريم.

وتحقيق هذه الطاعة، وإفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه هو حقيقة الإسلام، وكما قال ابن تيمية: 'فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشارك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته دونه' (3).

(1) انظر: في ظلال القرآن 3754/6

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار رقم 23460

(3) الفتاوى 91/3، وانظر النبوات ص 69-70

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

ويقول ابن القيم: 'وأما الرضا بدينه، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه، أو هواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته'<sup>(1)</sup>، وفي المقابل فإن من أشرك مع الله في حكمه، فهو كالمشرك في عبادته، لا فرق بينهما، كما قال الشنقيطي رحمه الله: 'الإشراك بالله في حكمه، والإشراك في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظامًا غير نظام الله، وتشريعًا غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، وكلاهما مشرك بالله'<sup>(2)</sup>.

وقد سمي الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتًا، حيث قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 60]. والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت<sup>(3)</sup>.

2- منزلته من التوحيد العلمي الخبري: الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمي الله المتبوعين في غير ما أنزل الله أربابًا لمتبعيهم، فقال سبحانه: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: 31]<sup>(4)</sup>.

ويقول ابن حزم - عن قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...} - : 'لما كان اليهود والنصارى يجرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم، ويحلون ما أحلوا، كانت هذه ربوبية صحيحة، وعبادة صحيحة، قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف'<sup>(5)</sup>.

ويقول ابن تيمية - في هذا الشأن - : 'قد قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...}. وفي حديث عدي بن حاتم وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني، فسمعه يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...} بين النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم، وصاموا لهم، ودعوهم من دون الله،

(1) مدارج السالكين 118/2

(2) انظر: أضواء البيان للشنقيطي 162/7

(3) انظر: أعلام الموقعين 49/1 - 50

(4) انظر: المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين 33/1

(5) الفصل 266/3

مجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (1).

إضافة إلى ذلك: فإن الحكم من أسماء الله تعالى الحسنى، فقد قال ﷺ: {...إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ...} (2). وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا} [الأنعام: 114]. والإيمان بهذا الاسم يوجب التحاكم إلى شرع الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: {...وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: 26].

وقد بين الله تعالى صفات من يستحق أن يكون الحكم له: قال الشنقيطي رحمه الله مبيناً ذلك: فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع، قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ...}، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الشورى: 10-11].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً..؟ فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعاً من كافر خسيس حقير جاهل.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {...لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: 26]، فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وجل جلاله أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومنها قوله تعالى: {...إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} [الأنعام: 57]، فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقض الحق، وأنه خير الفاصلين؟ ومنها قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: 59]، فهل في أولئك المذكورين من يستحق

(1) الفتاوى 7 / 67

(2) رواه أبو داود، كتاب الأدب رقم 4304، والنسائي كتاب آداب القضاة رقم 5292



### هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؛ لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟ سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم" (1).

3 - منزلته من توحيد الإتياع: والمقصود بتوحيد الإتياع: تحقيق المتابعة لرسول الله ﷺ فتوحيد الإتياع هو توحيد الرسول بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان (2)، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن الحكم بما أنزل الله هو توحيد الإتياع، قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، يقول ابن القيم عن هذه الآية: أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنتشر صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى يضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض... (3)، كما أن الحكم بما أنزل الله هو تحقيق للرضى بمحمد ﷺ رسولا ونبياً: ولذا يقول ابن القيم: وأما الرضى بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه (4).

4- منزلته من الإيمان: يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [سورة النساء: 59]. فعد الشارع هذا التحكيم إيماناً، يقول ابن حزم: فسمى الله تعالى تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم إيماناً، وأخبر الله تعالى أنه لا إيمان إلا ذلك، مع أنه لا يوجد في الصدر حرج مما

(1) أضواء البيان 173/7 - 168، باختصار.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية 228/1

(3) البيان في أقسام القرآن ص 270.

(4) مدارج السالكين 172/2 - 173.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

قضى، فصح يقيناً أن الإيمان عمل وعقد وقول؛ لأن التحكيم عمل، ولا يكون إلا مع القول، ومع عدم الحرج في الصدر وهو عقد" (1).

ويقول ابن تيمية: فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة، أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين، أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه" (2).

ويقول ابن كثير: فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر" (3)، فالتحاكم إلى غير الشرع - وهو حكم الطاغوت والجاهلية - ينافي الإيمان، وهو من علامات النفاق: يقول الشيخ السعدي في هذا الصدد: 'الرد إلى الكتاب والسنة شرط في الإيمان. فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما جاء في الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا...} [النساء: 60]. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك... (4).

يقول ابن تيمية: فمن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار"، كقوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم: 42-43] (5)، ويقول ابن عبد البر: قد أجمع العلماء أن من دفع شيئاً أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر" (6).

(1) الدرّة ص 238

(2) الفتاوى 471/28، و336، 407/35

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 209/3.

(4) تفسير السعدي 90/2، باختصار.

(5) الفتاوى 611/7، وانظر كتاب الصلاة لابن القيم ص 54.

(6) التمهيد 4 / 226.

إن تحكيم الشريعة استجابة لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ففيه الحياة والصلاح: كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ [الأنفال:24]، ورفض الشريعة وعدم الاستجابة لها إتياع للهوى، فهو ضلال في الدنيا، وعذاب في الآخرة يقول تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص:50]، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: [ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ - وَذَكَرَ مِنْهَا: - وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ]<sup>(1)</sup> وفي رواية: [وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَنَسَا فِيهِمُ الْفَقْرُ]<sup>(2)</sup> وصدق الله تعالى ورسوله ﷺ، فإن الناظر إلى واقع بلاد المسلمين - الآن - يرى ما وقع في تلك البلاد من المصائب، وأنواع الفرقة والعداوة بينهم، وكذا النقائل والتناحر، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادي، مع أن في بلاد المسلمين - كما هو معلوم - أعظم الثروات وبمختلف الأنواع، وأعظم سبب في ذلك هو تحية شرع الله، والتحاكم إلى الطاغوت، وكما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن:16].

سادسا: الحفظ الكامل لكتاب الله :

هذا مبتغى كل مؤمن، و منتهى الشرف والسمو والثواب، فالحافظ يتبوا أعلى درجات الجنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا<sup>(3)</sup>، وبشر ﷺ قارئ القرآن بأنه مع السفارة الكرام البررة أي مع الملائكة فقال: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)<sup>(4)</sup>، كما بين ﷺ أن أختيار أمته هم أهل القرآن وأن تعلم القرآن وتعليمه

(1) رواه البيهقي وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب 321/1

(2) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب 321/1.

(3) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القرآن 73/2، ح 1464 تحقيق محي الدين عبد الحميد، والترمذي كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن 177/5، ح 2914 وقال حديث حسن صحيح.

(4) رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب سورة عبس ح 4937 - فتح الباري ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الماهر في القرآن 549/1.

## هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

يجعل صاحبه خير الناس وأفضلهم فقال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(1)</sup>، وكان من وصيته ﷺ لأمته عامة ولِحَفَظَةِ كِتَابِهِ خَاصَةً تعاهد القرآن بشكل دائم ومستمر، فقال: (تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا)<sup>(2)</sup>، ولو تأملت - أخي الكريم - في قوله ﷺ: "تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ" لأدركت عَظَمَ هذه الوصية، وعلمت أهمية المحافظة على تلاوة كتاب الله ومراجعته، والعمل بما فيه، لتكون من سعداء الدنيا والآخرة.

### ولحفظ القرآن الكريم فوائد عظيمة، منها:

- ❖ قراءة القرآن في كل الأحوال: فإذا حفظ المرء القرآن أو كثيراً منه فإنه يستطيع كما ورد أن يقرأه سائراً وجالساً ومتحركاً وواقفاً وفي الليل وفي النهار فيحيا قلبه ويتذكر عقله بإذن الله عز وجل.
- ❖ بلاغة وفصاحة حامل القرآن: فتكون حجته قوية وخطابته بليغة وتذكيره ووعظه مؤثر لأنه ليس شيء أعظم من ذكر القرآن وتلاوته إقامة للحجة وتأثيراً في النفوس والقلوب.
- ❖ العلم بالشرع وعلمه بالإسلام فإن حفظه للقرآن يجعله كما ورد في النبي ﷺ: (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه بيد أنه لا يوحى إليه لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع وجد ولا يجهل مع جهل وفي جوفه كلام الله تعالى)<sup>(3)</sup>، فهو يرى الأحكام ويعرف الآداب ويعرف ما ينبغي وما لا ينبغي مما حفظ من كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا أمرٌ من الأمور المهمة.

### سابعاً: الاستشفاء بالقرآن و التداوي به :

القرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]، وفي هذه الآية وصف للقرآن بأربعة أوصاف:

(1) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح رقم 4639.

(2) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن ح رقم 1317.

(3) أخرجه الحاكم (2028) 738/1، وقال صحيح الإسناد.

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

أولاً: أنه موعظة، وهذه الموعظة للمؤمن والكافر، فيوعظ بها الجميع، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ...} [سبأ:46]، وهذا الخطاب هو لكل من يصلح له الخطاب من الناس جميعاً.

ثانياً: أنه شفاء لما في الصدور، فالقرآن شفاء لكل مريض، فهو شفاء للمشارك من شركه، وللمبتدع من بدعته، ولصاحب الشهوة والهوى من شهوته وهواه، فالموعظة والشفاء لكل إنسان، حتى للمشاركين إن أرادوا ذلك.

ثالثاً: أنه هدى، فالقرآن هدى للناس أجمعين، لكن الذي يهتدي به في الحقيقة هم المؤمنون، فالقرآن مادة هداية، ولكن من الناس من يضل به مع أنه مادة الهداية، وإنما يقع منهم الضلال بسبب ذنوبهم وجحودهم وكفرهم.

رابعاً: أنه رحمة للمؤمنين، فالقرآن رحمة للمؤمنين، فقد رحم الله المؤمنين فأنقذهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإسلام والإيمان وهذه رحمة من الله لهذه الأمة الأمية، ولو أنه سبحانه وتعالى جعل هدايتها بيد اليهود، الذين فيهم هذه العجرفة والغطرسة والاستكبار، مع أنهم يتلون الكتاب؛ لذلت هذه الأمة في أخذها الخير والهدى من عند هؤلاء.

ومما يدل على أن القرآن شفاء لأمراض الأبدان :

الأول: ثبت أن القرآن يُطَهِّرُ الأرواح وبياركها ويصلحها، وإذا صلحت الأرواح كان في صلاحها صلاح للأبدان. يقول ابن القيم: "قد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفوس والطبيعة تعاوننا على دفع الداء وقهره. فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به، وحبها له، وتنعمها بذكره وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانته به، وتوكلها عليه أن يكون لها

ذلك من أكبر الأدوية، وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية" (1).

الثاني: ثبوت معالجة الرسول ﷺ بالرقى وإرشاد أصحابه إلى المعالجة بها والرقية كما يقول ابن الأثير: "العوذة التي يُرْقَى بها صاحب الآفة كالحمي والصرع وغير ذلك من الآفات" (2).

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم 3/66

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 254/2

## هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

وصح في صحيح البخاري ومسلم والسنن لأبي داود والترمذي أن رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ رقى رجلاً كان سيّداً في قومه من لدغة حية أو عقرب بفاتحة الكتاب، فشفاه الله، وأخذ على رقيه أجراً، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأقره على رقيته. وعلى ما أخذه من أجر على رقيته<sup>(1)</sup>.

ثامناً: تعلم التلاوة والتجويد :

ترتيل القرآن الكريم توقير وإجلال لكلام المولى جل جلاله، وبه يكون التدبير والتأمل ومن بعد ذلك حصول فرصة التغيير والتأثر بهذا القرآن قال تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل: 91-92)، أي وأمرت أن أتلو القرآن، قال ابن كثير: أي أتلوه على الناس وأبلغهم إياه.. أي أنا مبلغ ومنذر<sup>(2)</sup> والمقصود أن النبي ﷺ أمر بتلاوة القرآن لنفسه ولأمته ولتبليغه للناس وبيانه ولتحريك القلوب به وإحياء النفوس به بإذن الله عز وجل وقد جاء في دعاء إبراهيم: ﴿رَبِّنا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ (البقرة: 129).

فالتلاوة هي الطريق إلى هذا العلم والجسر إلى ذلك الفهم وهي الباب الذي يلج منه الإنسان إلى تأثر قلبه وميل نفسه وهداية عقله واستقامة سلوكه بالقرآن الكريم ﴿وَأْتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا﴾ (الكهف: 27). قال النبي ﷺ: ((تعلموا القرآن فاقروه وارقدوا فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا تفوح ريحه من كل مكان ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل الجراب أوكي على مسك))<sup>(3)</sup>، ولنقف مع الأجر قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: 29)، قال ابن كثير: "أي يرجون

(1) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العين: باب الرقية من العين (940/2). والبخاري في صحيحه: كتاب الطب: باب النفث في الرقية ح(5749). ومسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجر على الرقية بالقرآن والأذكار ح(2201). وأبو داود في سننه: كتاب الطب: باب كيف الرقى ح(3900).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير.

(3) رواه الترمذي رقم 2876، ج5/156، وقال حديث حسن وابن حبان رقم 2126، 499/5 وصححه ورواه البيهقي رقم 8749، 227/5 وقال: المشهور مرسل.

## هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

ثوابا عند الله لا بد من حصوله.. وفي.. فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة".<sup>(1)</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)<sup>(2)</sup> فالذي يحسن التلاوة ويجيدها تصحيحاً وترتيلاً مع السفارة الكرام البررة منزلته مع الملائكة الأطهار في منزلة عالية سمواً بإيمانه وارتفاعاً وقرباً صلته بالله عز وجل ورفعة لمنزلته وتعظيماً لأجره، قال النووي: قال القاضي يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفارة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم)<sup>(3)</sup> (قال النووي: وأما الذي يتتبع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتبعه في تلاوته ومشقته)<sup>(4)</sup>، ومن هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما (لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هزيمة)<sup>(5)</sup>. أي من غير ترتيل وحسن تلاوة، وعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به"<sup>(6)</sup> وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار"<sup>(7)</sup>.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: 555/3.

(2) رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب سورة عبس ح 4937 - فتح الباري ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الماهر في القرآن 549/1.

(3) شرح صحيح الإمام مسلم للنووي، 84/6.

(4) شرح صحيح مسلم للنووي 85/6.

(5) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، 4490، 13/3.

(6) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن: 9 / 68، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: (234): 1 / 546، والمصنف في شرح السنة: 4 / 485.

(7) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: 3 / 360، والبخاري في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن: 9 / 73 ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضائل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم: (815): 1 / 559، والمصنف في شرح السنة: 4 / 433).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتم الله علينا نعمته بتمام هذه الدراسة التي كانت أهم نتائجها كما يلي :-

أولاً: إن عداوة الشيطان للإنسان جعلته يهجر كتاب ربه مصدر عزته ومنشأ رفعته.

ثانياً: ثبت أن هناك هجر للقرآن الكريم بشكل واضح في تحكيمة وتدبره.

ثالثاً: أثبت البحث لماذا يجب أن يكون الحكم لله تعالى.

رابعاً: ثبت أن هناك عواقب مترتبة علي هجر القرآن والابتعاد عنه.

خامساً: ظهرت سنة الله بأنه لا يظهر الداء إلا ويقرنه بالدواء، ولذلك أظهر البحث كيفية علاج ظاهرة الهجر.

سادساً: هناك وسائل للوقاية من هجر القرآن، منها حسن الاستماع، الورد اليومي، التلاوة التأملية، العمل بالقرآن و الحكم بما أنزل الله، و الحفظ الكامل لكتاب الله والاستشفاء بالقران و التداوي به والترغيب في تعلم التلاوة والتجويد.

### توصيات الدراسة:

- 1- توصي الدراسة كافة المسلمين أن يعلنوا الحرب والعداء للشيطان بكل ما يعني ذلك من واجبات ومتطلبات، وأن يقبلوا على كتاب ربهم تلاوة وحفظاً وتدبراً وحكماً وغير ذلك.
- 2- أن تهتم وزارة التربية والتعليم بالقرآن وذلك بوضع مقررات علي الطلاب، تجعلهم يقبلون على دراسته بنهم وهمة.
- 3- أن يهتم أولياء الأمور بتربية الأبناء وتوجيههم منذ نعومة أظفارهم على حب القرآن وحب تعلمه.



### ثبت المصادر والمراجع

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، طبعة عام 1403هـ - 1983م، المطابع الأهلية، الرياض، السعودية.
2. إعلام الموقعين عن رب العالمين: موقع الإسلام <http://www.al-islam.com>
3. البحر المحيط، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، <http://www.al-islam.com>
4. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرّيدي، <http://www.alwarraq.com>
5. التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، يحيى بن شرف الدين، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط.3: 1412هـ - 1990م، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة - السعودي.
6. التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم.
7. التحرير والتوير: محمد الطاهر ابن عاشور، 1997، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
8. التعريفات: الجرجاني مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>
9. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر ابن كثير ت774، ط.1: 1419 - 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10. التفسير الكبير: فخر الدين، محمد بن عمر الرازي، ط.1: 1411هـ - 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي مصدر الكتاب: موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>
12. تهذيب اللغة، الأزهري: تحقيق عبد السلام هارون، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة 1964م.
13. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: (1) 1420هـ - 2000 م
14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ط.3: 1388هـ - 1968م، مطبعة مصطفى البالي الحلبي، مصر.
15. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 1374هـ - 1954م، دار احياء التراث العربي، بيروت

هجر القرآن الكريم: مظاهره، وعلاجه دراسة قرآنية

16. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد،: 1413هـ-1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
17. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - السيد محمود الألوسي البغدادي ط2، 1405هـ - 1985، دار إحياء التراث-بيروت.
18. زاد المعاد لابن القيم.
19. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، ترقيم الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي بدون تاريخ، دار الفكر - بيروت.
20. سنن أبي داود، أبو داود، ترقيم الشيخ محي الدين عبد الحميد بدون تاريخ دار الفكر - بيروت
21. سنن الترمذي، الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، ط 2: 1395هـ - 1975م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
22. سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: عبد الفتاح غده ط 2: 1406هـ - 1986م مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا
23. السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك المعافري، مراجعة: الشيخ محمد بيومي، ط. 1: 1416هـ - 1995م، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.
24. شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة : الثانية - 1414
25. الصحاح في اللغة، الجوهري، <http://www.alwaraq.com>
26. فتح الباري شرح صحيح البخاري:الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.
27. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، تحقيق: سيد إبراهيم، ط3: 1418هـ - 1988م، دار الحديث، القاهرة.
28. الفروق اللغوية مصدر الكتاب : موقع يعسوب [ ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ]
29. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم مصدر الكتاب : موقع الوراق <http://www.alwaraq.com>
30. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر، ط 1: 1327هـ مطبعة السعادة

هجر القرآن الكريم: مظهره، وعلاجه دراسة قرآنية

31. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط.7: 1391هـ - 1971م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
32. القاموس المحيط - الفيروز آبادي.
33. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي : تحقيق : الدكتور عبد الله درويش 1967م مطبعة العاني، بغداد.
34. كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشب، بلا رقم طبعه ولا تاريخ نشر مكتبة القرآن، القاهرة.
35. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.
36. مجموع الفتاوي، ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد، جمع ابن قاسم - طبعة الرئاسة العامة - السعودية.
37. المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، <http://www.alwarraq.com>
38. مختار الصحاح - محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي ت721، تحقيق: محمود خاطر، 1415هـ - 1995م، مكتبة لبنان - بيروت.
39. المسند، أحمد بن حنبل، ترقيم عبد السلام عبد الشافي، ط 1: 1413هـ - 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
40. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المكتبة العلمية، طهران بلا تاريخ.
41. الموطأ: الإمام مالك بن أنس، عدد الأجزاء : 6، مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com>

مقومات نهضة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:

"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

د . عبد الهادي حمدان مصالحة

دكتوراه التربية الخاصة

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص

النهضة هي انتقال فرد أو شعب أو أمة من حال إلى حال أفضل منه، والنهضة هي الارتقاء الفكري في حياة الإنسان. فهي ليست ارتفاعاً اقتصادياً ولا روحياً، ولا حتى أخلاقياً، وإنما هي الارتقاء بالفكر ليس غير. ولا يمكن أن تتحقق النهضة إلا بمبدأ يقوم على عقيدة ينبثق منها نظام يبين الأساس الفكري في حياة الناس؛ والذي يحدد معنى وجود الإنسان في هذه الحياة. وعليه جاءت هذه الدراسة لتعالج:  
أولاً: ماهية النهضة.  
ثانياً فلسفة النهضة.  
ثالثاً: القرآن الكريم ونهضة الأمة الإسلامية.

### **The constituents of the Muslim Nations Revive in light of Holly Quran**

Revive is the transfer Of a person, people or nation from a situation to a better one and is also the conceptional development in humans life.

It is not only an economical, spiritual or even moral promotion but it also is a growth in nation nothing more. Revive, further, can impossibly be fulfilled except by a principle based on a doctrine from which springs a system clarifying the conceptional bases in peoples life and determining of humans existence in this life.

Accordingly, this study seeks to shed light upon the essence, the philosophy of revive and the constituents of which for the Muslim Nation in light of Holly Quran

## مقدمة

تعيش الأمة الإسلامية منذ فترة طويلة في أسوأ أحوالها فهي مشرذمة إلى بضع وخمسين دويلة، كل منها لها نشيد وعلم، ووقعت تحت الاستعمار العسكري تارة وتحت الاستعمار الاقتصادي والسياسي تارة أخرى.

حدود مصطنعة، فقر مدقع، بطالة متفشية، سوء رعاية، تخبط مريع يحتاج كل جنبات أمتنا الإسلامية.

وقد آلت حال الأمة إلى هذا الحال بعد كانت سيدة العالم ومنارة العلم ووجهة العلماء يحسب لها ألف حساب، يا ترى ما الذي حصل؟؟؟  
ما الذي حول حالها من العز والكرامة إلى الهوان والذل؟  
ما الذي حول حالها من رأس الأمم إلى ذيلها؟  
ما الذي حول حالها من مستقطبة العلماء إلى هاجرين ونافرين منها؟  
ما الذي حول حالها من النور الساطع إلى الظلام الدامس؟  
ما الذي حول حال أهلها من الرقي والنهضة إلى التخلف والانحطاط؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل مخاطباً المؤمنين: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (1) ، هذه حقيقة قرآنية في وصف الأمة الإسلامية أقرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهذه الآية قطعية الثبوت قطعية الدلالة تدل على عز الأمة وسيادتها، إذاً ما الذي حل بهذه الأمة ونحن نرى ما هي عليه اليوم؟  
لذا سنلقي الضوء في هذا البحث على أهم المقومات التي ستعيد الأمة إلى مكانتها الأولى، سيدة للعالم، منارة للعلم، دار نهضة رقي.

وعليه جاء هذا البحث ليعالج:

أولاً: ماهية النهضة.

ثانياً فلسفة النهضة.

ثالثاً: القرآن الكريم ونهضة الأمة الإسلامية.

<sup>1</sup> . سورة آل عمران: آية 110

## أولاً: ماهية النهضة

يعتبر كلمة النهضة كلمة عربية اشتقت من الفعل " نهض " أو الفعل " قام "، ولم يسبق للعرب أن استخدموها بالمعنى الاصطلاحي الذي أطلقت عليه في العصر الحديث، فالمعنى اللغوي للنهضة يختلف عن المعنى الاصطلاحي؛ فالمعنى اللغوي ورد في قاموس لسان العرب<sup>(1)</sup>: " نهض " : النهوض البراح من الموضع (المكان) والقيام عنه، و نهض ينهض نهضاً أو نهوضاً أي قام، وانتهض القوم: قاموا للقتال والنهضة أيضاً هي الطاقة والقوة والمكان الناهض هو المكان المرتفع، وفي اللغة أيضاً نهض بمعنى ارتقى و ارتفع وبالتالي النهضة هي الارتقاء والارتفاع، والارتفاع بعموم اللفظ يكون ارتفاعاً اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً وسياسياً إلا إن المعنى الاصطلاحي للنهضة معنى حديثاً صيغ للدلالة على واقع معين ألا وهو انتقال الفرد أو الشعب أو أمة من حال إلى حال أفضل، ولكن ما هي هذه الحال؟ ويقال بالمعنى الاصطلاحي للنهضة أنها **الارتفاع الفكري**، وليست هي الارتفاع الاقتصادي ولا الارتفاع الروحي ولا الارتفاع الخلقي ولا الارتفاع السياسي، ولا الارتفاع العلمي. وإنما هي **الارتفاع الفكري ليس غير**، فقد يتبادر إلى الأذهان عند الحديث عن الانتقال من حال إلى حال أفضل التقدم في الصناعات المدنية والعسكرية وبناء المدن الواسعة المرصوفة الشوارع المزودة بكافة الخدمات ولبس الناس البدل ووضع النظارات السوداء والتسارع العلمي والتكنولوجي وزيادة دخل الفرد ووفرة الجامعات والمدارس وحملة الشهادات العليا في كافة المجالات. وبعبارة أخرى أن البلد الذي يعيش أهله في بحبوحة اقتصادية علمية اجتماعية، هو بلد متقدم وناهض، وهذا القول ينقضه الواقع المشاهد في كثير من البلاد التي تتمتع بازدهار اقتصادي وعلمي ووفرة من وسائل الحياة المادية وبحبوحة من العيش مع إنها حقيقة من أكثر البلاد تخلفاً وانحطاطاً، والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة، فما من مصدر للثروة إلا لبلاد المسلمين فيه الحظ الأوفر فالنفط والغاز الطبيعي وما في باطن الأرض من معادن على اختلافها، والزراعة والثروة الحيوانية على تعددها ومصادر الطاقة و توفرها وغيرها مما حباها الله سبحانه وتعالى لها، لم تحظ به أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب، تضيف إلى ذلك الأيدي العاملة وحملة الشهادات و الاختصاص في كل مجال، وقد ملأوا بقاع الأرض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً بحثاً عن لقمة العيش التي تؤمن لهم حياة كريمة<sup>(2)</sup>، كل ذلك لم يغير

<sup>1</sup>. معجم لسان العرب: مادة: (نهض)

<sup>2</sup>. حافظ صالح (1994): النهضة، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص 16 - 18

من واقع المجتمع الإسلامي شيئاً، ولم يرتق به إلى المكانة المرموقة، بل على العكس من ذلك فإنه ما يزال يهوي انحداراً وانحطاطاً حتى بلغ الدرك الأسفل أو يكاد.

والسبب في ذلك واضحٌ جلي لأن ما تحدثت عنه سابقاً ليس أساساً للنهضة أو دعنا نقول إنها ليست السبب في انتقال الفرد أو المجتمع من حال إلى حال أفضل، لماذا ليست السبب؟ لأن الأمور السالفة الذكر "الثروات بمختلف أنواعها، والتقدم العلمي والتخصصات ليست من مقومات المجتمع، فلنناقش معاً هذه العبارة "مقومات المجتمع" إن كثيراً من الناس ينظرون إلى المجتمع على أساس أنه مجموعة من أفراد بشرية وحتى يكون التعريف صحيحاً يجب أن يكون جامعاً مانعاً، فالتعريف يكون جامعاً إذا كان ينطبق على كل المجتمع ويكون مانعاً إذا لم ينطبق على غير المجتمع. إذا فلنحاكم هذا التعريف، صحيح أنه جامع إلا أنه غير مانع بمعنى أن كل مجتمع يحوي مجموعة من الأفراد من الناس بالتأكيد إلا أنه غير مانع لا ينطبق على غير المجتمع فمثلاً مجموعة من الناس على سفينة في عرض البحر لا يشكلون مجتمعاً مهماً بلغ عددهم حتى ولو وصل إلى الآلاف، أليس هؤلاء مجموعة من الأفراد، فلماذا لم يشكلوا مجتمعاً، هذا يدل دلالة قاطعة أن التعريف قاصر وبالتالي غير صحيح، وبالمقابل نجد أن عدة مئات من الناس في قرية صغيرة يشكلون مجتمعاً. الفرق الجوهرى بين المجموعة الأولى التي على ظهر السفينة والمجموعة الثانية في القرية الصغيرة. أن أهل القرية بينهم علاقات داعية حافظت على تماسكهم ووحدتهم وأعطتهم لمجموعهم ككل شخصية مميزة بحيث أصبحت لهذا المجموع حرية واضحة محددة، بينما ركاب السفينة ليسوا أكثر من رفاق طريق لا تربطهم أية علاقات دائمة فهم سيتفرقون بمجرد نزولهم من السفينة. من هنا كان المجتمع مجموعة من الناس تربطهم علاقات دائمة بها تقدم المجتمع ويتميزها يتميز، فإذا كانت هذه العلاقات راقية، كان المجتمع راقياً، وإن كانت منخفضة انخفض المجتمع بالتالي. وعليه يحكم المجتمع من خلال الأسس التي تقوم عليها علاقاته الدائمة مثل أفكاره ومشاعره ونظامه الذي يحكم به، ولا مجال للحكم على المجتمع من خلال ما ينعم به من ثروات وخيرات وخلافها. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى التي يجب النظر إليها بعين الاعتبار والأهمية فهو الارتفاع الاقتصادي والنظام السياسي أو غيره، فهناك فرق بين علم الاقتصاد والنظام الاقتصادي، والفرق أيضاً بين علم الاجتماع والنظام الاجتماعي كما أن هناك فرقاً بين علم السياسة ونظام الحكم. فعلم الاقتصاد مثلاً يبحث في كيفية استخراج الثروات وتوفير الأموال وهذا العلم عالمي متوفرٌ ومعلومٌ لكل الأمم كما العلوم التجريبية، أما النظام الاقتصادي فهو تدبير شؤون المال أي تدبير شؤون الجماعة من حيث توزيع



المال المتوفر فهو متعلق بالفكر؛ فالنظام الاقتصادي كمعالجات هو عبارة عن أفكار تتعلق بكيفية تنظيم وتوزيع الثروات، وهذا لا يأتي إلا من خلال كيفية النظر إلى الفرد كإنسان وللمجتمع وتحديد المشكلة الاقتصادية، وهذه المعالجات تكون منبثقة عن قاعدة أساسية تعرف بالقاعدة الفكرية عن الكون والإنسان والحياة، وعبارة أخرى تكون القاعدة الفكرية هي وجهة النظر في الحياة. فالحكم على أمة بالارتفاع والرقى الاقتصادي تكون بالحكم على نظامها الاقتصادي لا على علم الاقتصاد عندها، فالرأسمالية التي تقوم على أساس النفعية المطلقة وتلغي كل القيم الأخرى غير القيمة المادية من حساباتها، يمكن أن تتوصل إلى نمو اقتصادي ضخم للفرد، فهل هذه نهضة أم ارتفاع ورقى اقتصادي؟ وكذلك الارتفاع أو الرقى الاجتماعي يكون بالحكم على النظام الاجتماعي القائم في الدولة، والنظام الاجتماعي كمعالجات هو مجموعة الأفكار التي تتعلق بكيفية تنظيم علاقة المرأة بالرجل وعلاقة الرجل بالمرأة وكل ما يتفرع عن هذه العلاقة، وذلك كما أسلفنا حسب النظرة للفرد والمجتمع وطبيعة الإنسان، والفكرة في النظام الاجتماعي لا يكون بأي حال منفصلاً عن الفكر عن الحياة الدنيا والمفاهيم عنها والتي أساسها أيضاً القاعدة الفكرية التي هي وجهة النظر في الحياة. كما قيل عن الارتفاع الاقتصادي والارتفاع الاجتماعي يقال عن الارتفاع السياسي فهو يقاس بالنظام الذي تحمله الدولة، ونظام الحكم الذي يظهر شكل الدولة وصفتها وقواعدها وأركانها وأجهزتها والأساس الذي تقوم عليه والمفاهيم والمعايير التي ترعى شئون الناس بمقتضاها والقوانين والدستور، وهذه المعالجات والمقاييس مردها كلها إلى وجهة النظر في الحياة، أي الفكرة الكلية عن الوجود "الكون، الإنسان، الحياة".

وعليه فالارتفاع أو الرقى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي أساسه الفكر الكلي عن الكون والإنسان والحياة وهو ما يعرف "العقيدة" التي هي القاعدة الفكرية الأساسية لكل الأفكار والمفاهيم وهي القيادة الفكرية التي يقاد بها المجتمع ويُسير حسبها. فمن امتلاك القواعد والمقاييس امتلك التفكير المنتج والعقل المبدع، وأما من فقدتها فقد الإنتاج والإبداع، نقول فقد الإنتاج والإبداع ولا نقول فقد التفكير لأن الإنسان بطبعه مفكر إلا إن فكره قد يتميز بالسطحية، أو العمق أو الاستنارة، فمن فقد المقاييس والقواعد فإن يفكر، إلا

أن تفكيره لن يتجاوز السطح، فلا ينتج ما يصلحه ولا يبدع ما يرقى به، وسيبقى حبيس دائرة مغلقة<sup>(1)</sup>.

إذاً العقيدة بمفهومها الشامل هي الفكرة الكلية عن الإنسان والكون والحياة "الوجود" مما قبل الحياة وبعدها وعن علاقتها جميعها بما قبلها وبما بعدها. فإن صحت العقيدة صحت الأنظمة المنبثقة منها وبالتالي تكون الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها أساسها صحيح وتبني القوة المادية والعسكرية على أساس قويم، وإذا كانت العقيدة غير ذلك فإن من المحتم إنتاج أنظمة غير صحيحة وتبني القوى المادية والعسكرية على أساس غير سليم، والأفكار في أي أمة هي أهم ثروة تتألفها هذه الأمة وهي أعظم هبة يتسلمها الجيل من السابقة إذا كانت الأمة عريقة في الفكر المستتير، ومن هنا يتوجب الحرص على الأفكار أولاً وأخيراً، فعلى أساس هذه الأفكار وحسب طريقة التفكير المنتجة تكتسب الثروة المادية ويتوصل إلى المكتشفات والاختراعات الصناعية وما شاكلها، فارتفاع الأمم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً لا يتأتى إلا من خلال ما تحمله من عقيدة أي الفكرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وقد حل القرآن الكريم المعجز هذه المسائل عند الإنسان وأوجد العقيدة التي تعطيه الفكرة الكلية عن هذه الأشياء، فالكون كله مخلوق لخالق، خلقه الله لأمرين اثنين: أولهما ليدل هذا الكون عليه سبحانه وثانيهما لعبادته، فوجب على الناس الاستدلال بمخلوقات الله على وجوده (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير) وذلك كما أدركها الأعرابي قديماً، والاستدلال بالآيات التي جاء بها أنبياء الله ورسله على صدقهم ومن ثم فيما أمروا به من عبادة الله كما وجب عليهم حمده، وهذا أصل الديانات كلها الذي جاء به أنبياء الله ورسله من آدم حتى محمد خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين<sup>(2)</sup>، فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(3)</sup> فأصل الديانات كلها هو الإيمان بوجود الله وأنه رب هذا الكون، وإن الواجب على

<sup>1</sup>. ياسين بن علي: الارتفاع بالإنسان أم الارتفاع بالنبين، <http://www.azeytouna.net> بتاريخ 24 ذو القعدة 1428هـ، الساعة التاسعة والنصف مساءً.

<sup>2</sup>. محمود عبد اللطيف عويضة (1996): حمل الدعوة الإسلامية واجبات وصفات، دار الأمة، الطبعة الأولى، ص 26

<sup>3</sup>. سورة الشورى: الآية 13

الناس عبادته وحمده، والقرآن الكريم تزخر آياته بذكر الآيات المعجزة في خلق الإنسان والكون والحياة والدالة على انه لا إله إلا الله تعالى عما يشركون، ومن هذه الآيات قوله سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم وهو يفكر ويبحث عن إله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(1)</sup>، ويقول: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَآنَى تُؤْفَكُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(2)</sup> وكذلك يقول: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(3)</sup> وكما يقول سبحانه: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾<sup>(4)</sup> ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَاقْضِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

1. سورة الأنعام: الآيات من 76 إلى 79

2. سورة يونس: الآيات من 31 إلى 36

3. سورة المؤمنون: الآيات من 84 إلى 88

4. سورة الفرقان: الآيات من 2 إلى 3

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ويتحدى الله سبحانه المشركين بقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢﴾ ويلفت الله النظر إلى آياته المعجزة في خلق النفس فيقول: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (3)، إن التصور الإسلامي يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله، اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان، وأودعه سبحانه قوانينه التي يتحرك بها، والتي تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية سواء (4)، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (5)، والإنسان من هذا الوجود، والقوانين التي تحكم فطرته ليست بمعزل عن ذلك الناموس الذي يحكم الوجود كله، ولما كان البشر لا يملكون أن يدركوا جميع السنن الكونية ولا أن يحيطوا بأطراف الناموس العام، فإنهم لا يملكون أن يشرعوا لحياة البشر نظاماً يتحقق به التناسق المطلق بين حياة الناس وحركة الكون ولا حتى التناسق بين فطرتهم المضمرة وحياتهم الظاهرة، إنما يملك هذا خالق الكون وخالق البشر ومدبر أمره وأمرهم وفق الناموس الذي اختاره وارتضاه، لذا يصبح العمل بشريعة الله واجباً لتحقيق ذلك التناسق وذلك فوق وجوبه لتحقيق الإسلام اعتقاداً (6).

والعقائد الموجودة في عالمنا المعاصر اليوم ثلاث عقائد تشكل ثلاثة مبادئ (7)، والمبدأ لغة هي المصدر الميمي من الفعل بدأ وهو الفكر الأساسي الذي لا يسبقه فكر، وهو عبارة عن عقيدة عقلية "يستطيع العقل أن يبحث فيها" ينبثق عنها نظام حياة.

1. العقيدة الأولى فهي العقيدة الاشتراكية ومنها المبدأ الاشتراكي وهي حسب زعمهم: " لا إله والحياة مادة " وهي عقيدة باطلة بدون شك لأنها لا تقنع العقل ولا توافق الفطرة وانهار مبدؤها بحمد الله ومنته لبطلانه، وبالتالي كل النظم الاشتراكية من

<sup>1</sup> . الروم: الآيات من 28 إلى 30

<sup>2</sup> . فاطر: الآيات من 40 إلى 41

<sup>3</sup> . سورة الذاريات: الآية 21

<sup>4</sup> . سيد قطب (2004): معالم في الطريق، الطبعة الأولى، فلسطين، ص 100

<sup>5</sup> . سورة النحل: الآية 40

<sup>6</sup> . سيد قطب (2004): معالم في الطريق، الطبعة الأولى، فلسطين، ص 101

<sup>7</sup> . احمد عيد عطيات (1986): الطريق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، الصفحات 75 - 120

سياسية واجتماعية واقتصادية فاسدة لأنها منبثقة عن أساس باطل، ورغم التقدم الذي كان به هذا المبدأ في جميع المجالات المادية إلا أن هذا التقدم كان أيضاً على أساس باطل، فأصحاب المبدأ الاشتراكي أرادوا النهوض والارتفاع على أساس مبدأهم ونهضوا ولكن نهضة غير صحيحة لأن مبدأهم غير صحيح لقيامه على أساس باطل، ولقد انهار المبدأ ودولته لا لسوء تطبيق المبدأ ولكنهم كانوا كلما ازدادوا تطبيقاً له كانت نهايتهم تقترب لأنه مبدأ يخالف فطرة الإنسان كإنسان كما يخالف الواقع.

2. العقيدة الثانية فهي العقيدة الرأسمالية أو العلمانية وهي " فصل الدين عن الحياة " وهي عقيدة باطلة أيضاً لأنها غير صحيحة، لا تقنع العقل ولا توافق الفطرة والمبدأ في طريقه للانهايار والاندثار إن شاء الله فقد ظهر للجميع فساد حضارته، وأصحاب المبدأ الرأسمالي أرادوا النهوض والارتفاع على أساس مبدأهم وكان لهم من الأنظمة الحياتية المختلفة، ولكنهم نهضوا على أساس باطل وبالتالي تكون نهضتهم غير صحيحة برغم ما حققوه من تقدم مادي كما المبدأ الاشتراكي الذي انقرض وبقيت أسلحته التدميرية عالية على دوله.

3. العقيدة الثالثة فهي العقيدة الإسلامية ومنها المبدأ الإسلامي وهي تقوم على أساس أنه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وقد أعطت فكراً كلياً أساسياً شاملاً عن كل الأشياء المدركة المحسوسة وتمثل في الكون والإنسان والحياة بأنها محدودة ومحتاجة أي أنها مخلوقة لخالق خلقها جميعها وهو الله سبحانه وتعالى وأنه وراء الكون والإنسان والحياة وأن الحياة الدنيا مخلوقة، وأن بعدها الموت والحساب على إتباع هدي الخالق أو مخالفته وحمل رسالة الإسلام العظيم، وأن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بهذا الهدى وأن سيدنا محمد ﷺ وعلى آله قد أرسله الله خاتماً للرسل برسالة الإسلام بشيراً ونذيراً للعالمين وأن الله سبحانه وتعالى محاسب على أساس هذه الرسالة العظيمة.

وهي عقيدة صحيحة تقنع العقل وتوافق فطرة الإنسان فهي من خالق الكون والإنسان والحياة، ولذلك نهض المسلمون نهضة صحيحة على أساس المبدأ الإسلامي لا على أي أساس آخر ثم تقدموا في العلوم العسكرية والمادية فكانت كل علومهم التجريبية وقوتهم مبنية على أساس مبدأ صحيح يحقق الخير في الدنيا ويحقق الخير في الآخرة، فأجداننا لم يبدعوا بصناعة الأسلحة ولا باستيراد القوانين والمقاييس من الفرس أو من الروم ولا بتجميل المباني وإنما بدعوا من الأساس وهو العقيدة أي النظرة للكون والإنسان والحياة حسب ما يذكرها القرآن الكريم وفق ما عرض سابقاً.

فالنهضة إذن تكون على أساس مبدأ، والنهضة الصحيحة تكون على أساس المبدأ الإسلامي، أي أن النهضة تكون الارتفاع الفكري ولكي تكون نهضة صحيحة يجب أن يكون هذا الارتفاع الفكري على أساس روعي، أي أن تكون هذه العقيدة وما ينبثق عنها أي هذا المبدأ مصدره الوحي. ولذلك إذا أراد المسلمون النهوض مرة أخرى بعد انهيار الدولة الإسلامية التي كانت تحمل وترعى المبدأ الذي ما يزال حياً في نفوس المسلمين المخلصين، فعليهم أن ينهضوا على أساس المبدأ الإسلامي لا كما يظن البعض<sup>(1)</sup>، أما الارتفاع الأخلاقي فإن الأخلاق ما هي إلا مجموعة أفكار (أحكام شرعية) وسجايا يجب ضبطها بمفاهيم الشرع (الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع)، وهي قسم من أوامر الله ونواهيه، فيجب على المسلم الحق أن يتحلى بالأخلاق والصفات الحميدة كالصدق والحلم والحياء والرفق وطلاقة الوجه وطيب الكلام والأمانة... الخ، لأنها أوامر من الله، ويتجنب الأخلاق والصفات الذميمة كالكذب والفحش وإخلاف الوعد وبذاءة اللسان والعدو والحسد والغش... الخ، لأنها نواه من الله، فالأخلاق منبثقة من العقيدة، والعقيدة من المبدأ فالالتزام بالمبدأ يجعلك تلتزم الأخلاق الحميدة وتتجنب الأخلاق الذميمة، وبالتالي الارتفاع الأخلاقي - حيث أن الأخلاق كما قلنا مجموعة من الأفكار - يكون ضمن الارتفاع الفكري على أساس روعي.

**فلسفة النهضة<sup>(2)</sup>** : انشغل المؤرخون والفلاسفة في محاولات جمة لتفسير حركة النهضة والانحطاط منذ التاريخ القديم وحتى التاريخ المعاصر، وقد تتبعت هؤلاء المؤرخون ذلك على النحو التالي :

- قديماً: شهد العهد القديم بزوغ مجموعة من الحضارات ثم بدأت هذه الحضارات بالانحطار والانحطاط حتى زالت أي أنها سادت ثم بادت ومن أمثلتها الحضارات المصرية والسومرية والبابلية والفارسية واليونانية وانتهاء بالحضارة الرومانية.
- العصور المتوسطة : شهدت هذه العصور انهيار الحضارة الرومانية تماماً وحلت محلها حضارة العصور الوسطى التي اجتاحت الغرب (أوروبا) قروناً متعددة وقد تميزت هذه الحضارة بالانحطاط والتخلف حتى أطلق على عصورها عصر الظلمات، وبالمقابل بزغ نور الإسلام لينشر ضياءه في أوائل القرن السابع الميلادي

<sup>1</sup> . هيثم بكر: مقال بعنوان: على المتعلمين وأصحاب المعارف ليست النهضة بالعلوم والمعارف إنما بالفكر

الحي، مجلة الوعي، العدد الثامن، كانون الثاني، 1988

<sup>2</sup> . أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى،

لينشئ حضارة عظيمة امتدت من المحيط الأطلسي غرباً حتى الصين شرقاً، حتى أن العالم الإسلامي أصبح منارة الشرق وقبلة العلماء.

- العصور الحديثة : لأسف الشديد كانت هذه العصور بداية لانحسار الحضارة الإسلامية وللمسلمين حتى وصل العالم الإسلامي الدرك الأسفل من الانحطاط وأواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن، من جهة أخرى ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر بوادر نهضة أوروبية امتدت حتى وقتنا الحالي.

وبناء على ما سبق عرضه فقد قسم المؤرخون حركة النهضة والانحطاط بعدة تفسيرات سنعرضها فقط لمجرد العرض لأنها ليست السائدة في عالمنا المعاصر، ولا سبيل مناقشتها في هذا البحث، فمنهم من قال أن هذه شان الحضارة مثل شأن الإنسان يبدأ حياته وليداً ضعيفاً ثم يمر المراحل المعروفة حتى يصبح كهلاً عجوزاً عاجزاً حتى ينتهي أجله، ومنهم من قال أن الحضارة تنتج من استجابة تلة من الواعين في المجتمع، للتحديات التي تواجه مجتمعهم فيدب فيهم النشاط والحيوية مما يؤدي إلى نشوء نهضة، ومنهم من أرجع سبب نهضة الأمم والشعوب إلى السعي الحثيث نحو النهضة والتقدم، وما الانحطاط إلا انتكاسات تمر بها الأمة في مرحلة ما ثم تعاود بعد ذلك سعيها نحو التقدم والنهضة.

#### الغرب وفلسفة النهضة:

يرى أغلب المفكرين الغرب في التاريخ المعاصر أن سيطرة التفكير الديني على أذهان الشعوب النزعة الروحية على حياتها ومجتمعها ودولها فإنها تبتعد عن التعاطي مع الواقع المشاهد وتبقى متعلقة بما وراء المادة والحياة والكون وتبقى كذلك أسيرة للمفاهيم الدينية التي تحول بينها وبين حرية الحركة والإنتاج والإبداع مما يؤدي إلى إهمال الواقع وبالتالي على انحطاطها، واستشهدوا بالتاريخ الأوروبي عن رأيهم هذا حيث كان الأوروبي المتدين يرى أن هناك تعارض بين التدين والنهضة، وقد قاس هؤلاء قياساً شمولياً كأن تاريخ أوروبا هو تاريخ العالم كله، إن النظرة المبينة على الفلسفة القائلة "أن الإنسان مكون من مادة وروح " متمكنة عند الأوربيين في العصور الوسطى، بحيث أنه لا يمكن إشباع ناحية إلا على حساب الناحية الأخرى فإذا أراد أن يسمو ويرتفع إلى درجات الملائكة فإن عليه أن يغلب الروح على الجسد فيزهد في الدنيا ومتاعها وينصرف إلى العبادة والتشف والنزوع إلى الروحانيات أما إذا أراد العكس فإنه حينئذ يغلب المادة (الجسد) على الروح مما يؤدي إلى البعد عن الطهر والنقاء وصفات الملائكة وبالتالي هو انحدر وتدهور.

وفي العصور التي تلت ذلك، حينما انحسر نفوذ الكنيسة في المجتمع وبالتالي انحسار وتقهقر الدين والتدين عن الحياة العامة في أوروبا، وقضى على التقويض الإلهي وأطلقت الحريات العامة في المجتمع، وبزغت شمس النهضة وبدأت توتّي أكلها وتثمر ثمارها التي يعتز ويتباهى بها الأوروبيون إلى اليوم.

إن هذه النظرية التاريخية لدى مفكري الغرب هي التي أدت إلى ظهور عقيدة " فصل الدين عن الحياة" ونظامها الذي انبثق عنها "فصل الدين عن الدولة التي اعتنقها الغرب بداية التاريخ المعاصر وجعلها مرتكزا لأفكاره وقاعدته الفكرية لمجتمعه، وكذلك اعتبرها أساساً ومنطلقاً لنهضته، أي أن نهضة المجتمع الأوروبي لن تتم إلا بعد ابتعاد هذا المجتمع عن الدين.

إن شأن فلسفة النهضة (تعريف النهضة) إن كان صحيحاً أن ينطبق على كل نهضة فيكون التعريف جامعاً مانعاً، لذلك تعجز هذه الفلسفة أو هذا التعريف عن تفسير سر النهضة الإسلامية، فعصور النهضة الإسلامية التي شهدت أعظم نهضة عرفها التاريخ كانت عصور تدين وحضارة، بل كانت الحضارة الإسلامية تقوم على أساس عقيدة روحية تربط الإنسان بما قبل الحياة الدنيا وما بعدها.

يكفي هذا المثال على أن يكون دليلاً قاطعاً على فساد النظرية الغربية في تفسير حركتي النهضة والانحطاط، وفلسفة النهضة هي مسألة غاية في الخطورة بحيث أنه لا يجوز أن تكون نظرية ظنية بل يجب أن تكون فكراً يقينياً جازماً منطبقاً على واقع محسوس، قادراً على تفسير كل نهضة وكل انحطاط للحضارات التفسير الصحيح.

#### ثانياً: الإسلام كمبدأ :

بعد أن أوضحنا بطلان تفسير الغربيين لحركتي النهضة والانحطاط لأي مجتمع أو دولة نقول أنه إذا أراد الإنسان الحصول على النهضة الصحيحة وبالتالي على السعادة والهناء والطمأنينة عليه الحصول على السلوك السوي، فسلوك الإنسان هو السبب الذي يؤدي إلى النهضة أو الانحطاط.

فالسلوك هو مجموع ما يقوم به الإنسان من أعمال مختلفة في حياته، والذي يدفع به للقيام بهذه الأعمال هو الطاقة الحيوية الكامنة لديه، وهذه الطاقة هي مجموع ما لديه من حاجات عضوية وغرائز والتي تدفعه إلى إشباعها، فالإنسان يريد أن يأكل ويشرب ويريد أن يلبس ويريد أن ينام وأن يمتلك ويدافع عن نفسه ويريد أن يقدر ويشعر بالخوف..... الخ. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ



النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ  
وَالْحَرِثَ ذَلِكَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ<sup>(1)</sup>.

إن وجود الحاجات العضوية والغرائز ليست عملية تلقائية عشوائية كما هو شأن الحيوان، وإنما كُرِّمَ الإنسان بذهن يضع أمامه الكثير من الخيارات والسبل لإشباع تلك الحاجات والغرائز؛ فالكيفية المعينة التي اختارها الإنسان هي التي تجعله يختار سلوكا معيناً، وهذا السلوك إما يكون سوياً يؤدي إلى النهضة والسعادة وإما يكون غير ذلك فيؤدي إلى الانحطاط والشقاء.

لا يتأتى السلوك السوي إلا من خلال فكر صحيح، لأن سلوك الإنسان مرتبط بالمفاهيم التي يحملها، فهو يواءم سلوكه حسب مفاهيمه، فمثلاً مفاهيم الإنسان عن شخص ما يحبه تكيف سلوكه نحوه على العكس تماماً من سلوكه مع شخص يكرهه، لذا إذا أردنا أن ترتقي بسلوك الإنسان لابد أن توجد لديه المفاهيم الصحيحة أولاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>.

نقول: إن مفاهيم الإنسان يجب أن تسبق سلوكه، لأنه يجب أن يسير سلوكه حسب المفاهيم التي يحملها وعليه إذا حدد الإنسان معنى وجوده في الحياة الدنيا، والغرض من وجوده، وما هي المهمة التي يفرضها عليه غرض وجوده في هذه الدنيا، حينئذ فإنه سيكون لديه الفكر عن الحياة الدنيا والتالي المفاهيم التي سيكيف سلوكه بحسبها.

والفكر عن الحياة الدنيا لا يركز تركزا منتجا إلا بعد أن يوجد الفكر عن الكون والإنسان والحياة الدنيا وما بعدها وعن علاقتها بما قبلها وما بعدها، ولا يكون ذلك إلا بإعطاء الفكرة الكلية عما وراء الكون والحياة والإنسان (الوجود)، وذلك بأن الإنسان يشعر أن الحياة هي سلسلة متصلة الحلقات وبالتالي فهي جزء من كل<sup>(3)</sup>، لذلك كان إعطاء الفكرة الكلية عن هذه الأشياء هو حل العقدة الكبرى عند الإنسان، لأنه بحل العقدة الكبرى يستقر الإنسان ويبتعد عنه القلق والتوتر ويصبح يعي معنى وجوده في هذه الحياة الدنيا، والغاية من وجوده، وإلى ماذا سيؤول وماذا وراء هذا الوجود... إلخ.

<sup>1</sup> . سورة آل عمران: الآية 14

<sup>2</sup> . سورة الرعد: من الآية 11

<sup>3</sup> . أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى،

ومتى حصل الإنسان على الحل (حل العقدة الكبرى) فإنه يكون قد حصل على العقيدة التي يبنى عليها كل فكر فرعي عن السلوك في الحياة وأنظمتها المختلفة أي أنه يكون قد حصل على المبدأ.

والمبدأ هو الفكر الأساسي الذي لم يسبقه فكر مطلقاً، وهذا الفكر الأساسي محصور في الفكرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة، ولا يوجد أبداً غيرها فكر أساسي.

والمبدأ لا بد أن ينشأ في ذهن شخص ما، إما بوحى من الله وأمره بتبليغه وإما بعقريّة تنبثق عن هذا الشخص؛ أما المبدأ الذي ينشأ في ذهن إنسان بوحى من الله فهو المبدأ الصحيح، لأنه من خالق هذا الكون والإنسان والحياة وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مبدأ قطعي الصحة لا محالة ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(1)</sup>، أما المبدأ الذي ينشأ عن تفتق في ذهن الإنسان بعقريّة، فإنه مبدأ باطل؛ لأنه نتج عن عقل محدود يجز عن الإحاطة بهذا الوجود، لذا كان هذا المبدأ باطلاً في عقيدته ونظامه، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق أن الإسلام هو المبدأ الصحيح في الدنيا فهو وحى من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ، وكان خاتم الرسالات، وأن المبدأ الإسلامي قد عمد إلى العقدة الكبرى فحلها للإنسان حلاً يوافق الفطرة يملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة<sup>(3)</sup> وقد أوضح الإسلام أن وراء هذا الوجود خالقاً خلقه هو الله سبحانه وتعالى، والإيمان بالله يجب أن يقترن به الإيمان بنبوّة محمد ﷺ ورسالته، وبأن القرآن الكريم كلام الله فيجب الإيمان بكل ما جاء به هذا الكتاب، ولهذا كانت العقيدة الإسلامية تقضي بأنه يوجد قبل الحياة ما يجب الإيمان به وهو الله سبحانه وتعالى وتقضي بما هو بعد هذه الحياة وهو يوم القيامة وبأن الإنسان في هذه الحياة الدنيا مقيد بأوامر الله ونواهيه وهذه هي صلة الحياة الدنيا بما قبل هو مقيد بالمحاسبة على إتباع هذه الأوامر واجتناب هذه النواهي وهذه هي صلة الحياة الدنيا بما بعدها، ولذلك كان حتماً على المسلم أن يدرك صلته بالله تعالى حين القيام بالأعمال (السلوك) فيسير أعماله حسب أوامر الله ونواهيه.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> . سورة الملك: آية 14

<sup>2</sup> . سورة الأعراف: آية 3

<sup>3</sup> . تقي الدين النبهاني (2001): نظام الإسلام، الطبعة السادسة، ص 5

<sup>4</sup> .. أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى،

وحتى تكون العقيدة الإسلامية قاعدة فكرية لمفاهيم الإنسان وحتى يسير سلوكه حسب أوامر الله ونواهيه، جعل سبحانه الشريعة الإسلامية شريعة شاملة لكل نواحي الحياة، تنظم سلوك الإنسان كله، وتعالج ما يعرض له من مشاكل وتنظم جميع أفعاله، فأعطت حكماً شرعياً لكل فعلٍ من أفعال العباد من حيث الوجوب والتحريم والندب والكرهية والإباحة، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(1)</sup>، ومن كل هذه الأحكام الشرعية تكونت أنظمة الحياة، فإضافةً لأحكام العبادات والأخلاق والمطعمات والملبوسات شرع الإسلام لنا أنظمة للحياة والمجتمع والدولة بما فيها سياسة الدولة الداخلية من نظام للحكم والاقتصاد والاجتماع والتعليم، وكذلك سياستها الخارجية من أحكام الجهاد والمعاهدات والحروب والسلم وغيرها حيث قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(2)</sup>.

وتركيزاً لما سبق فإن الإنسان ينهض بما لديه من فكر عن الحياة والكون والإنسان، وعن علاقتها جميعها بما قبل الحياة الدنيا وبما بعدها؛ فكان لا بد من تغيير فكر الإنسان الحاضر تغييراً أساسياً وشاملاً، وإيجاد فكر آخر بديل حتى ينهض؛ لأن الفكر هو الذي يوجد المفاهيم عن الأشياء ويركز هذه المفاهيم، فالإنسان وكيف سلوكه في الحياة حسب مفاهيمه عنها، فالسلوك الإنساني مرتبط بهذه المفاهيم، وعند إرادتنا أن نغير سلوك الإنسان المنخفض ونجعله سلوكاً راقياً لا بد من أن نغير مفاهيمه أولاً.<sup>(3)</sup>

### ثالثاً: نظرات وشدرات:

إن المتأمل في تاريخ الإسلام يرى أولئك الصحابة الذين حملوا الإسلام في صدر هذا التاريخ، كانوا في جاهليتهم يحملون عقائد الكفر، ويعبدون الأصنام والأزلام، ويفتخرون الفواحش ويقتلون بناتهم، ويحيون حياة السكر والعريضة والتخلف والانحطاط، هؤلاء هم أنفسهم تحولوا إلى أشخاص آخرين بمجرد أن أصبحت العقيدة الإسلامية قاعدةً لتفكيرهم، وكأن نفوساً أخرى قد احتوتها أجسادهم غير نفوسهم الأولى، لقد كانت القيادة الفكرية (العقيدة الإسلامية) تضيء لهم طريق الهدى والرشاد، وتبهر عقولهم بثقافة مميزة

<sup>1</sup> سورة النحل: آية 89.

<sup>2</sup> سورة المائدة: من الآية 3.

<sup>3</sup> تقي الدين النبهاني (2001): نظام الإسلام، الطبعة السادسة، ص 4.

فهي بمثابة الصرح العظيم الذي أصله ثابت حتى أصبح كل منهم كأنه قرآن يمشي على الأرض.

لقد استطاع المسلمون الأوائل أن يحدثوا الانقلاب الجذري الشامل في الجزيرة العربية لتتحول من حال إلى حال؛ لتتحول من الوثنية والكفر إلى الدين الصافي، ولتتحول من ديار كفر إلى ديار إسلام، وبهذه العقيدة (القاعدة الفكرية) فتحوا العالم ليواجهوا الحضارات العريقة المزدهرة حتى أن أصحاب هذه الحضارات هجروا قواعدهم الفكرية وأدبروا عنها مقبلين على عقيدة الإسلام التي لم يقوَ على مواجهتها أي فكر أو دين، ولكن ما سر ذلك؟!!!!!!

إن نفس القواعد الفكرية للثقافات والحضارات التي واجهت المسلمين في انطلاقتهم من أساسها ورميهم من وراء ظهورهم كل ما يتعارض مع قاعدتهم الفكرية كان مافعلوه بل ما حرصوا على فعله، وأما ما اتفق مع القاعدة الفكرية أخذوه واستفادوا منه وأسهموا في إنمائه وإثرائه، فأخذوا العلوم التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك... إلخ واستثمروها وجعلوها من أسباب قوتهم ومنعتهم لأنها لا تتعارض مع عقيدتهم، ولم يخطر ببالهم أبداً اقتباس أي من العقائد والأديان والأنظمة المتواجدة آنذاك؛ لأنهم يعلمون تمام العلم أن عقيدتهم من رب العالمين اللطيف الخبير العالم بأحوال عباده. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(1)</sup>.

ولكن حين انحط المسلمون وحلت عصور انحطاطهم بدأوا يتقبلون أفكاراً وأراءً ومذاهب تتعارض مع قاعدتهم الفكرية بل وتتأفیه، فتهافتوا على الفلسفة وجروا وراءها، وتغنوا بالآداب الجاهلية ودرسوا علوماً إنسانية على الرغم مما فيها من أفكار فاسدة باطلة، وعلى ذلك فقس كثيراً من الأمور التي حدثت وانجر وراءها المسلمون في عصور الانحطاط حتى أنهم أصبحوا يتحاكمون إلى القوانين الوضعية التي لم تتبثق أو تبنى على العقيدة الإسلامية، فضلوا الطريق وانهاروا رويداً رويداً إلى أن وصل بهم الحال إلى هذا الحال الذي هم عليه الآن؛ ففقدوا الهوية والشخصية المميزة والحضارة وانهاروا إلى جرف الانحطاط والتخلف حتى أصبحت أمتهم وللأسف الشديد في ذيل الأمم تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

<sup>1</sup> . سورة الملك: آية 14

فلا سبيل للمسلمين اليوم - إن أرادوا النهضة والقيام من جديد - إلا باعتماد العقيدة الإسلامية كقاعدة فكرية ينشئون عليها صرحهم الفكري الحضاري النهضوي من جديد.

#### رابعاً: الإسلام نظام شامل متكامل :

لا يستطيع الإنسان بأي حال من الأحوال أن يعيش بمفرده، فهو محتاج لأن يعيش ضمن جماعة بشرية تشترك معه المشاعر والأحاسيس، وتسعى جاهدة لتحقيق الأهداف والغايات نفسها التي يسعى إليها، فهذا المخلوق (الإنسان) لديه من الحاجات والرغبات ما لا يستطيع إشباعها وحده، ولكنه يجدها موجودة لدى الآخرين، وفي ذات الوقت فهو يملك من القدرات والإمكانات والطاقات ما يحتاج إليه الآخرون، هذان الأمران هما اللذان جعلتا الإنسان لا يستطيع إلا أن يعيش في جماعة بشرية، وسواءً أكانت هذه الجماعة صغيرة أو كبيرة فإنه يرتبط أفرادها بعلاقات دائمية يطلق عليها المجتمع.

وفي هذا المجتمع يتم تبادل المصالح وإشباع الحاجات والرغبات بين الناس مما يجعل أن تنشأ بين الناس العلاقات الدائمة التي تلعب دوراً فعالاً في المحافظة على استمرارية تبادل المنافع والمصالح، ولكي تتحقق هذه المصالح والمنافع لابد من وجود الحرفيين وأصحاب المهن المختلفة كالنجار والحداد والتاجر والطبيب والمهندس وغيرهم وغيرهم، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَبَيْتِهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾<sup>(1)</sup>.

ولكي تستمر هذه العلاقات بين أفراد المجتمع وتدوم لابد من وجود قواعد أساسية يتقيد بها أفرادها لتنظم هذه العلاقات وتعالج ما ينشأ من مشكلات سميت هذه القواعد الأساسية بالنظام، وفي ذات الوقت لابد من سلطة تقوم على حفظ هذا النظام وآليات تطبيقه وتمنع مخالفته.

لذا وجد بين الناس منذ تجمعهم نظام محدد يعملون على تطبيقه ويرضخون للسلطة التي ترعى شؤونهم به، وتفرض عليهم الالتزام به، وقد عرفت هذه السلطة بالدولة.

<sup>1</sup> . سورة الزخرف: من الآية 32

لكن!!!! من أين يأتي هذا النظام؟ فالأنظمة كثيرة متعددة قد نعجز عن حصرها، مما وضع الإنسان أمام تحدٍ كبير، وهي كيفية اختيار النظام الصالح الملائم الذي يؤدي تطبيقه إلى إنعاش المجتمع إنعاشاً صحيحاً يريح أفراد المجتمع مما يترتب عليه سعادة المجتمع ورفقيه.

وبناء على ما سبق فإن النظام إما أن يكون من عند الله خالق هذا الوجود " كوناً وحياءً وإنساناً" وإما أن يكون من عند الإنسان، وبمعنى آخر إما أن يكون مصدره الوحي وإما عقل إنسان. (1)

إن عقل الإنسان -حسب الواقع المحسوس- قاصر وعاجز عن إنتاج التشريع الصحيح الصالح لأن يكون نظام الحياة لماذا؟؟ لأن النظام المطلوب هو ذلك النظام الذي يعالج مشاكل الإنسان الذي لديه حاجة عضوية وغرائز تحتاج إلى إشباع والعقل البشري لا يستطيع أن يدرك بأي الأحوال من الأحوال - ما يصلح لها من نظام أو تشريع. إضافة إلى ذلك فإن العقل البشري عرضة للتفاوت والتناقض والاختلاف؛ لذا ترى المشرعين دائماً يعدلون ويغيرون تشريعاتهم من حين لآخر حيث أن ما يتوقعه الشخص نفسه اليوم صالحاً قد يراه في الغد طالحاً لا يصلح وصدق الله جل علاه حين يقول: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (2)

إما الله سبحانه وتعالى الخالق اللطيف الخبير الذي خلق الإنسان وما به من غرائز وحاجات فهو الذي يعلم ما يصلح لها من تشريع ونظام، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (3)، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (4)، فهذا التشريع صالح لكل زمان ومكان؛ لأن الإنسان هو هو لا يتغير مهما تبدلت الأوقات والعصور حيث إن التشريع المُتَلَقَّى من الله سبحانه عن طريق الوحي فهو تشريع ثابت دائم لا يتعدل ولا يتبدل وطبيعياً تكون الإجابة على السؤال

<sup>1</sup> أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى، الصفحات 88 - 95

<sup>2</sup> سورة المؤمنين: آية 71

<sup>3</sup> . سورة الملك: آية 14

<sup>4</sup> . سورة ق: آية 16

المهم الجوهرية: من أين نأخذ نظام حياتنا من الإنسان أم من خالق الإنسان؟ ولندع القرآن الكريم " كلام الله" يتساءل ويعطينا الإجابة القاطعة.

ويترتب على ما سبق القول إن الإسلام ليس مجرد دين روعي ينظم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه فقط كما يظن بعض الناس أو كما يريد البعض الآخر بل هو دين شامل متكامل؛ فالعقيدة الإسلامية هي عقيدة روحية وهي أيضاً عقيدة سياسية انبثق عنها نظام يسير حياة الإنسان ومجتمعه ودولته. حيث فرض الله على المسلمين أن تكون لهم دولة ترعى شؤونهم وتحكمهم بما أنزل الخبير اللطيف وحرّم عليهم أخذ الأنظمة الوضعية التي من صنع البشر حيث اعتبر الله سبحانه وتعالى كل تشريع سوى تشريعه طاغوتاً حيث أنزل الله في معرض الحديث عن وجوب الالتزام بشريعة الله والابتعاد عن تشريع البشر آيات بينات، ومن هذه الآيات:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾<sup>(1)</sup>، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً﴾<sup>(3)</sup>.

لذا فإن الإنسان بقدر التزامه بشرع الله وانضباط سلوكه بالنظام الرباني يحقق لنفسه السعادة ومن هنا ندرك أن المفهوم الصحيح للسعادة هو نيل رضوان الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه وأن التعاسة كل التعاسة هي في البعد عن التشريع الألهي إذ أن نفس الإنسان لن تستقر وقلبه لن يطمئن دون استشعار رضوان الله<sup>(4)</sup>، في معرض ذلك

<sup>1</sup> سورة النساء آية 105

<sup>2</sup> سورة المائدة آية 44

<sup>3</sup> سورة النساء آية 60

<sup>4</sup> أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى،

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(1)</sup> ويقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>، كما يقول أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(3)</sup> وكذلك يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(4)</sup> ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(5)</sup> وكما يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(6)</sup> ويقول سبحانه وتعالى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(7)</sup>.

إن الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول، لا من ناحية التصور ولا من ناحية الأوضاع المنبثقة عن هذا التصور، فإما إسلام وإما جاهلية، وليس هناك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جاهلية يقبله الإسلام ويرضاه، فهما أمران لا ثالث لهما: إما الاستجابة لله وللرسول، وإما إتباع الهوى، وإما الحكم بما أنزل الله وإما الفتنة عما أنزل الله، إذا لم يجيء الإسلام ليربب على شهوات الناس المتمثلة في تصوراتهم وأنظمتهم وأوضاعهم وعاداتهم وتقاليدهم سواء ما عاصر الإسلام أو ما تخوض فيه البشرية الآن، إنما جاء ليغي هذا كله إلغاءً، ويقيم الحياة البشرية على أسسه الخاصة جاء لينشئ الحياة إنشاءً.<sup>(8)</sup>

حين ندرك حقيقة الإسلام، فإن هذا الإدراك سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام في ثقة وقوة وفي عطف ورحمة، ثقة الذي يستيقن أن ما معه هو الحق وأن

<sup>1</sup> سورة المائدة: آية 15

<sup>2</sup> سورة النحل: آية 97

<sup>3</sup> سورة الأحقاف: آية 13

<sup>4</sup> سورة البقرة: من الآية 38

<sup>5</sup> سورة طه: من الآية 123

<sup>6</sup> سورة التوبة: آية 72

<sup>7</sup> سورة البينة: آية 8

<sup>8</sup> سيد قطب (2004): معالم في الطريق، الطبعة الأولى، فلسطين، ص 154



ما عليه الناس هو الباطل، وعطف الذي يرى شقوة البشر، وهو يعرف كيف يسعدهم، ورحمة الذي يرى ضلال الناس وهو يعرف أين الهدى الذي ليس بعده هدى. (1)

#### خامساً: القرآن الكريم ونهضة الأمة :

يعتبر القرآن الكريم أحد أركان الإيمان بالله عز وجل، وإيماننا بالقرآن الكريم أنه من عند الله أي كلام الله يدفعنا دفعا للقيام بكل ما جاء فيه جملة وتفصيلاً، ومن المنطلقات المهمة التي تؤدي إلى نهضة الأمة والتي عمل القرآن على إرسائها تتمركز في النقاط التالية:

1. تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى على جميع البشر لأن رسالة محمد ﷺ التي جاءت بهذا الشرع رسالة عالمية، ورحمة للناس ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (2) وحتى يستقيم أمر الناس على النهج الذي أراده الله سبحانه وتعالى، وكذلك لأن الحكم بغير ما أنزل الله يجب سخطه وعدم رضاه حيث يقول سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (3) وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (4) وكذلك قوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (5) كما نفى الله سبحانه وتعالى صفة الإيمان عن الذين لا يحكمون شرع الله بينهم فقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (6) وتطبيق حكم الله في الأرض يسود الخير والرخاء والأمن والاستقرار.

<sup>1</sup> . سيد قطب (2004): معالم في الطريق، الطبعة الأولى، فلسطين، ص 156

<sup>2</sup> . سورة الانبياء: الآية 107

<sup>3</sup> . سورة المائدة: الآية 48

<sup>4</sup> . سورة المائدة: من الآية 45

<sup>5</sup> . سورة المائدة: من الآية 47

<sup>6</sup> . سورة النساء: الآية 65

2. حمل الدعوة الإسلامية فرض على كل مسلم، فالإسلام هي الرسالة التي كلف الله سبحانه وتعالى بتبليغها ونشرها بين الناس، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(1)</sup>، وكذلك يقول: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(2)</sup>، ويقول أيضاً: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(3)</sup> كما يقول النبي ﷺ: (لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم)<sup>(4)</sup>، وحمل الدعوة الإسلامية يجب أن يكون من أجل غاية واضحة محددة وهي بناء الأمة وإنهاضها<sup>(5)</sup> وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

3. إبطال العقائد الباطلة المتواجدة في المجتمع، والإتيان بالبدل عنها من المبدأ الإسلامي، وبمنظرة متفحصة للقرآن الكريم نراه تعامل مع فئات الكفر الموجودة جملة وتفصيلاً، فتعامل مع كل فئة بما تدعي، وبما تؤمن وتعتقد، فكانت تنتزل الآيات الكريمة لتثبت بطلان معتقدات الكافرين بالدليل والبرهان، فخاطبت مشركي العرب فهاجمت عبادة الأصنام والأوثان هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه، فبينت قفاهتهم وعدم استخدامهم لعقولهم ليروا أن أصنامهم ما هي إلا حجارة لا تضر ولا تنفع ولا تسمن ولا تغني من جوع، حتى أن الآيات وصفت الكفار بالأنعام حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾<sup>(6)</sup>، ثم تذكر الآيات أسماء الأصنام منذ سالف العصور لتتفي صحة معتقداتهم ولتبين لهم أن هذه الأسماء ما هي إلا أسماء سموها هم، فهي عاجزة قاصرة على أن تتفهم بشيء ولا تزيدهم إلا خبالاً، حيث قال الله سبحانه وتعالى في

<sup>1</sup> . سورة يوسف: آية 108

<sup>2</sup> . سورة النحل: آية 125

<sup>3</sup> . سورة فصلت: آية 33

<sup>4</sup> . في البخاري (10 / 198) وفي مسلم (12 / 132) وفي أبو داود (10 / 77)

<sup>5</sup> . حافظ صالح (1994): النهضة، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص 146

<sup>6</sup> . سورة الأعراف: آية 179

معرض الحديث عن أسماء أصنامهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾<sup>(1)</sup> وكقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾<sup>(2)</sup>.

4. إزالة كل الأفعال والتصرفات البالية التي ينظم الناس بها علاقتهم، فما هو القرآن الكريم يهاجم الأفعال السيئة القبيحة السائدة فيقول الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوا يُخْسِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات التي تتعرض للأفعال والتصرفات التي تسود في مجتمع يجب التطرق لها وكشف فسادها وعدم المداهنة في وصفها، وإبراز سوتها دون خوف أو وجل، بل يكون لا يخاف في الله لومة لائم.

5. يؤكد القرآن الكريم على أن القوة والشدة وعجائب الأحوال المادية المدنية لا تجدي نفعاً إن لم تكن تحقق الغاية من خلق الإنسان وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وتطبيق شرائعه في الأرض، فيقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(4)</sup> كما يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(5)</sup>، ويقول أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(6)</sup> وكذلك يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَقَرَعُونَ ذِي الْأُوتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾<sup>(7)</sup>، تصف هذه الآيات

1. سورة نوح: آية 23

2. سورة النجم: آية 19

3. سورة المطففين: من الآية 1 - 3

4. سورة الحجر: الآيات 80 - 84

5. سورة الروم: الآيات 9، 10

6. سورة غافر: الآية 82

7. سورة الفجر: الآيات 6 - 14

حال جملة من القوم الغابرين، وجمع بينهم قاسمك مشترك وهو القوة والشدة والمنعة؛ فمنهم من تميز بنحت البيوت في الجبال، ومنهم من تميز بالأوتاد وهي البناءات الشاهقة، وعبر القرآن تعبيراً جامعاً لهذه الميزات بقوله سبحانه: ﴿وَأَتَّارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾<sup>(1)</sup> ومعنى عمارة الأرض هي جعلها عامرة غير خلاء وذلك بالبناء والغرس والزرع<sup>(2)</sup>

من هنا يتأكد أنه لا مجال للشك أن النهضة الصحيحة ليست الرقي المادي من بنايات وعمارات وأبراج ولا بالرقي العلمي والإلكتروني إلى غير ذلك من أنواع المظاهر، ولكنه الرقي الفكري على أساسي روعي، أي يجب أن تكون النهضة أساسها مبدأ يكون من عالم خبير بأحوال العباد ألا وهو الله جل وعلا الذي أنزل المبدأ الملائم لعباده والذي أصلحهم وأنهضهم في بداية الدعوة وعلى مدى ثلاثة عشر قرناً ولن ينهضهم ويصلحهم سواه في هذا الزمان ألا وهو المبدأ الإسلامي.

---

<sup>1</sup>. سورة الروم: من الآية 9

<sup>2</sup>. ياسين بن علي: الارتفاع بالإنسان أم الارتفاع بالبنیان، <http://www.azeytouna.net> بتاريخ 24 ذو

القعدة 1428هـ

## التوصيات:

في ضوء ما توصل إليه البحث؛ فإنه لكي تنهض الأمة الإسلامية لابد لها من تجعل:

1. التفكير المستنير سلاحها؛ به تنهض وتزدهر وتنشط وبدونه تتخلف وتتحط وتخبو، وإنما بقاء الأمم بدوام شعلة الفكر فيها.
2. المبدأ الإسلامي هو ينبوع الصافي والمبدأ الوحيد الصحيح الذي يجب أن تسقي وتشرب منه، والقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول وكذلك السنة النبوية حيث يقول المصطفى ﷺ " وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبداً أمراً بينا من كتاب الله وسنة نبيه"<sup>(1)</sup>، فلتعضض عليهما بالنواجذ، ولا تحيد عنهما قيد أنملة مهما كانت الأسباب لأن فيهما حياتها.
3. العودة إلى حكم الإسلام وجعله أساساً فكرياً للنهضة، فيه نهض العرب في الماضي، وبدونه تخلف المسلمون في الحاضر.
4. استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة الدولة الإسلامية وهي الكيان التنفيذي الذي يجعل الإسلام منهاج حياة، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
5. كل الأفكار والمعتقدات والقوانين التي توجد في المجتمع والتي تتناقض مع المبدأ الإسلامي كفكرة وطريقة منبوذة وفاسدة وباطلة و يجب العمل على اجتثاثها من جذورها.
6. الوعد الرباني وبشرى الرسول الكريم ﷺ بالتمكين في الأرض والنهوض والرقى لمن يعبد الله حق عبادته ويطبق شرعه، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>. رواه البيهقي في السنن الكبرى (10 / 114)، والحاكم في المستدرک (1 / 306)

<sup>2</sup>. سورة النور: الآية 55

## المراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- في البخاري
- 3- مسلم
- 4- سنن أبي داود
- 5- المستدرک على الصحيحين للإمام الحاكم
- 6- السنن الكبرى الامام البيهقي
- 7- حافظ صالح (1994): النهضة، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الثانية، ص 146
- 8- حافظ صالح (1994): النهضة، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الثانية
- 9- ياسين بن علي: الارتفاع بالإنسان أم الارتفاع بالبنیان، <http://www.azeytouna.net> بتاريخ 24 ذو القعدة 1428هـ، الساعة التاسعة والنصف مساء.
- 10- محمود عبد اللطيف عويضة (1996): حمل الدعوة الإسلامية واجبات وصفات، دار الأمة، الطبعة الأولى، ص 26
- 11- سيد قطب (2004): معالم في الطريق، الطبعة الأولى، فلسطين،
- 12- احمد عيد عطيات (1986): الطريق، دار الكتاب الإسلامي
- 13- هيثم بكر: مقال بعنوان: على المتعلمين وأصحاب المعارف ليست النهضة بالعلوم والمعارف إنما بالفكر الحي، مجلة الوعي، العدد الثامن، كانون الثاني، 1988
- 14- أحمد القصص (1995): أسس النهضة الراشدة، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، الطبعة الأولى
- 15- تقي الدين النبهاني (2001): نظام الإسلام، الطبعة السادسة

# جغرافيا النص القرآني لدى المتلقي

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول:

"القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة"

الذي ينظمه

مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية

كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

تأليف:

أ. مها علي الطويل

د. محمود حسن الأستاذ

كلية التربية - الجامعة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الأقصى

18، 19 ذي الحجة 1429 هـ - 16، 17 ديسمبر 2008

## ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع جغرافيا النص القرآني في ضوء رؤية المتلقي وذلك من خلال تحديد المقصود بالجغرافيا النصية للقرآن الكريم وأبعادها ومستوياتها ودلالاتها.

فاقتصرت الدراسة على سورة يوسف عليه السلام، فتم إتباع المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المضمون الكيفي الذي يعتمد على الدراسة الناقدة التحليلية.

وتم التوصل إلى أن النص القرآني يتمتع بجغرافيا نصية واضحة، ذلك أنه نص مبني وفق نظام خاص يقدم نفسه بوصفه نصوصاً متداخلة في إطار السورة الواحدة، ونص واحداً في إطار السورة المتعددة، وأن المعنى ليتعدد في بنائه بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة، كما أنه يترد إلى بؤرة دلالية واحدة في إطار السور المتعددة هي بؤرة التوحيد، وبذلك فهو يجمع بين جغرافية المكان وجغرافية الدلالة.

## Study summery

The study aimed to recognize the reality of holy Quran text geography in term Of recipient vision by determining the meaning of textual geography of holy Quran and its dimensions, levels, and indications.

The study has limited youssef soura peace be upon him, where it was being followed up the descriptive curricula in qualitative system which depends on the analytical critical study.

We reach that the Quran text has a clear text geography as it was built according to special system presenting itself as it is described an interfered texts in the one soura frame and one text in multi-souras frame, and the meaning differs in its construction in term of interfered texts in the one soura frame, and it backs to one indicative focus which is monotheism focus, and thus it combines between the place geography and the indication geography.

## المقدمة

ما من شك أن الحضارة العربية الإسلامية تفردت بنص خاص بها، به تميزت عن سواها من الحضارات، إنه النص القرآني الذي يعد تأسيساً معرفياً أصيلاً لنظرية أصيلة في التلقي، فخصوصيته تعد سمة من سمات الفكر الحضاري الشمولي متعدد الأبعاد، بها تصبح الدلالة النصية دالاً رمزياً يتجاوز الأزمنة، يسكن في الآتي على الدوام، وهي ذات بعد أني تتعين فيه الدلالة زمنياً في كل عصر، تقوم على الاختلاف بين العصور والمتلقين في كل تعنياتها (جاك بيرك، 1996:24).



ولا خلاف بين أهل العلم على أن النص القرآني نصٌ فريدٌ في علوه وسموه، لا يستطيع أحد مدانته أو الإتيان بمثله، حيث ذكر الزركشي أن سهلاً بن عبد الله كان يقول: "لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لانهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلُّ بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم" (بدر الدين الزركشي، د.ت: 9).

وفي هذا الإطار يؤكد عباس الأمير (1996: 13) على ديمومة الحضور القرآني بوصفه نصاً، ونسقاً، ومنتجاً ثقافياً، ما يجعله على الدوام للتاريخ مجاوزاً، وعلى الزمان متقدماً، وأمام الظروف الذاتية والإنسانية لا خلفها، إنه يجمع بين الشكل والمضمون، والسطح والعمق، والحسن والبيان، الجمع الذي يحقق له التعامل مع الكلمة القرآنية تعامل عالم الفيزياء مع المظاهر الكونية، وتعامل عالم الكيمياء مع التركيبة الداخلية لتلك المظاهر، وتعامل عالم البيولوجيا مع الدفق الحيوي للتراكيب ومظاهرها، وتعامل عالم الرياضيات مع المنطق الرياضي الذي يحكم التراكيب ومظاهرها وحيويتها، ومن قبل، فإنه يتعامل مع الكلمة تعامل الطفل المدهش بالأشياء من حوله، ويحلّق في آفاقها تحليق الباحث الجمالي في عوالم من الخيال الخلاق أمام منظر من مناظر الطبيعة، يجذب إليها انجذاب الفراش إلى سراج مشتعل في ليلة مظلمة .

ومن منطلق ذلك، فإن التعامل مع النص القرآني وفق هذه النظرة الجغرافية يستهدف استتطاق ما وراء خريطته من جبال ووديان وأنهار، ذلك أنه نص يحمل في سياقه ميزة جلال المحتوى شكلاً ومضموناً، ويعبر عن منظومة إعجاز في كافة الأبعاد والمستويات، فهو كفيلاً بأن يستثير تفكير الإنسان ويحثه على التأمل والتدبر والتفكير كمتلقي، ومن ثمّ تحقيق الرجاحة التي نريد أن تكون للنموذج المعرفي بوصفنا مسلمين، ذلك أنه نص " يبحث عن المعنى في الآن وفي استشراف المستقبل، وفي الحضور الزمني لوجوده الشخصي، وفي التحول الذي ينجزه على نفسه من خلال هذه المعايضة " (جارك بيرك، 1996: 19)

وهذا ما يمكن تسميته بجغرافية النص القرآني التي تتعدد وتتغير، ووفقاً لها يتشكل نمط الخطاب، والشكل والرؤية من ناحية ثانية، أي أن رؤية النص القرآني تتغير بتغير المحتوى النصي، وهذا ما نجده في كل السياقات النصية، إذ حينما يستخدم النص القرآني نمطاً سردياً معيناً، فإن هذا النمط يحمل مضموناً معيناً، وعندما يتغير نمط هذا

السرد حينئذ يتغير نمط المضمون، وهذا يستتبع بالضرورة تغير الأدوات التعبيرية، أي تغير آليات التشكيل السردية في النص.

لذا فقد جاءت هذه الدراسة لتبحث في هذه الجوانب التي تعبر عن تضاريس نصية بمعنى الكلمة في القرآن الكريم، وهو ما يشير إليه الجرجاني بقوله: عندما نعقل في لفظ القرآن معنى، يفضى بنا ذلك المعنى إلى معنى آخر. ولقد تعددت الدراسات التي تناولت القرآن الكريم بالتحليل والتفسير من حيث مفرداته وتراكيبه ولغته وبناءه الداخلي وأسلوبه وجوانب إعجازه، بهدف قراءته وتدبره، إلا أنه لم يعثر الباحثان على دراسات تتعلق بجغرافيته، الأمر الذي جاءت في ضوئه هذه الدراسة.

#### مشكلة الدراسة وأسئلتها :

تحددت مشكله الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

#### ما طبيعة جغرافيا النص القرآني لدى المتلقي؟

ويتفرع السؤال الرئيس إلى الأسئلة الفرعية التالية :

1. ما المقصود بالجغرافيا النصية بشكل عام وجغرافيا النص القرآني بشكل خاص ؟
2. ما أبعاد جغرافيا النص القرآني ؟
3. ما أهم المستويات المتعلقة بأبعاد جغرافية النص القرآني ؟
4. ما الأبعاد الدلالية لجغرافيا النص القرآني لدى المتلقي ؟

#### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى التعرف على طبيعة جغرافية النص القرآني وعلاقتها بالرؤى الفكرية لدى المتلقي وذلك من خلال:

1. توضيح المقصود بالجغرافيا بشكل عام والجغرافيا النصية للقرآن الكريم بشكل خاص.
2. تحديد أبعاد وفضاءات جغرافيا (تضاريس) النص القرآني.
3. استكشاف أهم المستويات المتعلقة بكل بعد من هذه الأبعاد.
4. الوقوف على علاقة جغرافية النص القرآني بالرؤى الفكرية لدى المتلقي.

#### أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها:

1. تتحدث عن موضوع جليل، إنه النص القرآني الذي يصعد إلينا مثل أعمده من الأصوات الموجهة بشعاع الإيمان والسلوك والمعتقدات بالنسبة إلى ملايين البشر فهو يضم كل النصوص المؤسسة لروح العالم.
2. لفت الانتباه إلى ذلك العمق الدلالي في النص القرآني، الذي يعيد تركيب الإنسان بمقدار ما يحاول أن يحيط به وأن يوضحه، وهذا ما يدهشه في إعادة قراءة القرآن في سر الخشوع والتأمل، حيث تختلط كلمة الله عز وجل برسوخ الكائن والجوهر والحضور والدوام والمستقبل.
3. حث الباحثين والمهتمين على تناول قضايا تتصل بالنص القرآني، من خلال التأمل والتحليل لاستنطاق الفكر الإنساني.
4. تعتبر الدراسة فاتحة خير في مجال خدمة النص القرآني عبر المستجدات الأسلوبية والمعطيات الزمنية، والرؤى البنيوية.
5. دعوة رواد البنية وعلماء الزمن، والجادين في ابتغاء المعيار إلى التواصل مع نص يميز حضارة أمة من سواها من الحضارات.
6. إستثارة عقل المتلقي لاستلام لواء الاقتدار لملامسة النص القرآني الذي لم تعهد البشرية له نظيراً في مستوى التوثيق نسبة للخالق، والتحقيق شمولاً نوعياً لمساحة الإنسان في كل تضاريسها (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل).
7. لفت الأنظار إلى ضرورة التعمق في الفهم للنص القرآني للانفتاح على المستقبل لكي يحتوي كل المستجدات العلمية على كافة اختصاصاتها، فعظمة هذا النص القرآني المعجز الذي تحدث لعرب الجاهلية فأعجزهم، يقف اليوم للتحدث لعصر العقول الإلكترونية والثقافة والعلوم والاكتشافات.

#### حدود الدراسة:

في إطار أهداف الدراسة ومنهجيتها، فإن الدراسة تقتصر على سورة يوسف على سبيل المثال لا الحصر، وذلك لتوضيح جغرافيا النص القرآني.

#### منهج البحث المتبع:

لما كانت الدراسة تبحث في جغرافيا النص القرآني، فكان المنهج الوصفي بإتباع أسلوب تحليل المضمون الكيفي هو المنهج المناسب لتحقيق هذا الهدف؛ ذلك

المنهج الذي يعتمد على القراءة الناقدية التحليلية الاستدلالية، وبالتالي فقد تم استبعاد تحليل المضمون الكمي الذي يستلزمه أداة تحليل لا بد من التأكد من صدقها وثباتها.

#### مصطلحات الدراسة:

تتبنى الدراسة المصطلحات التالية :

#### مفهوم الجغرافيا:

يشير مفهوم الجغرافيا في الدراسات الإغريقية القديمة إلى علم المكان أو وصف الأرض، من حيث المكونات والتضاريس المختلفة كالجبال والسهول والهضاب والوديان والأنهار، وفي الدراسات الحديثة اتسع مفهومها ليشمل الجوانب المناخية والبشرية والسياسية والاقتصادية.

وفي هذه الدراسة فإنه يعني حدود التضاريس المكانية للنص القرآني، والذي يمثل نموذجاً للقصة من حيث حيز المكان الجغرافي في النص، وحيز التابع المكاني له، وفقاً للرؤية المطروحة وعلاقة كل منهما بالشخصية، والحدث، واللغة، أي ما يعني فضاء هذا النص ودلالته.

#### النص :

يشير روبرت شولز (1994:252) إلى مجموعة من العلاقات التي تنتقل في وسط معين من مرسل إلى متلق، بإتباع شفرة أو مجموعة من الشفرات، ومتلقى هذه المجموعات من العلاقات وهو يتلقاها نصاً، يباشر تأويلها على وفق ما يتوفر له من شفرة أو شفرات مناسبة، فالاقتراب من قول أدبي بوصفه نصاً يعني اعتباره بهذه الطريقة مفتحاً للتأويل برغم ارتباطه بمعايير نوعية معينة، ومن ثم يفتح النص إلى أشكال تضاريسية مختلفة.

#### مفهوم النص القرآني :

تستخدم اللسانيات مصطلح النص للدلالة على مقطع مكتوب أو شفوي بغض النظر عن طوله، ولكنه يشكل كلاً متماسكاً نسميه سياق المعنى، والنص القرآني يمتاز عن بقية النصوص بفرادة تماسكه، فهو نص مبني وفق نظام خاص يقدم نفسه بوصفه نصوصاً متداخلة في إطار السورة الواحدة، كما يقدم نفسه بوصفه نصاً واحداً في إطار السور المتعددة، وإن المعنى ليتعدد في بنائه بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة (قصة الخلق، قصص الأنبياء، أفعال الرسول، أفعال الصحابة، أخبار القرون الماضية والشعوب البائدة،... الخ) وكما أنه يرتد إلى بؤرة دلالية واحدة في إطار السور المتعددة هي بؤرة التوحيد، كما هو واضح في سورة يوسف عليه السلام، فالقصة فيها

تتجاوز الشخصيات، والأحداث، لترسم ظلال الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث القصة، وتتحرك فيها شخصياتها الكثيرة، وتسجل سماتها العامة، فترسم مسرح الأحداث بأبعاده العالمية لتلك الفترة التاريخية. (سيد قطب، 1971:677). لذا فالنص القرآني يعد بنية وكياناً مستقلاً من العلاقات التي ترتد داخلياً على نفسها ونظامها لتدل عليه، وتقوم هرمياً لتدل على تماسكه. ويعرف إجرائياً في هذه الدراسة بأنه عملية الكلام في الخطاب القرآني التي تحتوي على عناصر التواصل الثلاثة المتكلم والخطاب والمستمع، ويتضمن دلالات ثلاث هي دلالة الكلام على منشئه، ودلالة الكلام على ذاته، ودلالة الكلام على متلقيه، ويكون المعنى مطلقاً عند المتكلم، وناقصاً عند المتلقي، متجاوزاً عند المرسل، وثابتاً بالشرط الزمني الإنساني عند المرسل إليه.

#### جغرافيا النص القرآني:

ويقصد بها فرز التداخل في النص القرآني الواحد للوقوف فيه على نصوص تكاد تكون مستقلة، كما أمكن فرز آيات داخل كل نص تكاد هي الأخرى أن تكون مستقلة، وإنه لمن الممكن كذلك فرز جمل داخل هذه الآيات تكاد أيضاً أن تكون مستقلة. ثم إن الأمر بعد هذا لا يقتصر على ذلك، فالنص إذ ينحل في لغته رسماً لنظامه، فإن هذه لتتحل بدورها في نظامها رسماً لتراتبها، وإذ تتفك الكلمات عن جملها، وتتفك الأصوات عن كلماتها، ليبقى التمايز في كل عنصر هو شرعة العلاقة التي تربطه بالعناصر الأخرى، إذ تدور اللغة على نفسها لتعيد تركيب ما تفكك، وإنشاء ما دل في انفصاله أنه مختص بوظيفة في اتصاله، وتوليد معنى يرقى به التركيب من أصغر وحده لغوية إلى جامع النص نفسه أي القرآن.

#### الجغرافيا المكانية للنص القرآني :

ويقصد بها حدود التضاريس المكانية من حيث حيز المكان الجغرافي في النص، وحيز التتابع المكاني له، وفقاً للرؤية المطروحة، وعلاقة كلاً منهما بالحدث واللغة.

#### جغرافيا الفضاء الدلالي:

ويقصد بها الانتقال من الحيز المكاني المحدود بحدود جغرافية معينة إلى حيز أكثر اتساعاً هو الحيز المجازي والدلالي والرمزي والإيحائي الذي تصوره الأمكنة المختلفة في قصة يوسف عليه السلام، كما تعني والنقل الانتقال من الحيز ذات البعد الواحد إلى الحيز ذات الأبعاد المتعددة، فهي لا تقف عند الحدود الجغرافية الطبيعية للمكان التقليدي، لكنها تتجاوز ذلك إلى الأبعاد الإيحائية التي تطرحها الأمكنة المختلفة في النص.

## نتائج الدراسة:

أولاً: الأبعاد الدلالية لجغرافية النص القرآني:

إن القرآن في أدائه لمعناه يدور على محورين: الأول رأسي والثاني أفقي:

فأما المحور الرأسي:

فإننا نجد فيه كل العناصر الدالة (نصوص، آيات، جمل) والقادرة على الإضطلاع بوظيفة واحدة والقابلة ضمن هذا المحور أن تتبادل فيما بينها، ومن هنا فقد نشأت في التراث العربي والإسلامي للتفسير والتأويل فكرة أن القرآن يعاضد بعضه بعضاً تفسيراً وتأويلاً، ولكن بروز معنى ما، وتغليب على الآخر واختيار عنصر دال وتفضيله على سواه فهو أمر يختلف من عصر إلى عصر، لا بحسب التاريخ بوصفه مفهوماً تعاقبياً للأحداث، ولكن بحسب الزمن بوصفه مفهوماً أنياً ملازماً للأحداث، وإنه ل يختلف أيضاً من قارئ إلى قارئ بسبب الظروف المحيطة والقضايا المثارة والاهتمامات الذاتية.

ولكن على الرغم من كل هذا فإن اختيار عنصر من العناصر الدالة على وجه من وجوه المعنى والتركيز عليه، إنما يتم في إطار النظام القرآني ونسقه، ألا وإن النظام قائم على الوعي الباطني للكائن النص المتحول به.

وإنه بسبب هذه الإمكانيات في بروز المعنى على اختلاف العصور والأشخاص فإن بعض العناصر (نصوص، آيات، جمل) يمكن أن نسميها وحدات قرآنية لتدخل في نموذجين أو أكثر من نماذج العلاقة ضمن ظروف معينة، وإنها لتستطيع أن تبرز في سياق واحد فتقيم بهذا علاقة تبادلية مع بقية الوحدات.

لذا فإن أي وحدة قرآنية إذ تبرز وحيدة في المحور الأفقي، فإنها تجعل بقية الوحدات التي كانت تقيم معها علاقة تبادلية في المحور الرأسي، سياقاً لها وهكذا فإن قراءة القرآن من هذا المنظور تقوم على تعددية الوحدات القرآنية من جهة، وعلى نوعية العلاقات النموذجية الاستبدالية التي تجمع بينها من جهة أخرى.

ونلاحظ أن مثل هذه القراءة لا تسقط كل العناصر غير اللغوية (التاريخ، أسباب النزول) ولكنها تحولها إلى عناصر لغوية بحيث تبدو منتجاً دلالياً من منتجات النص القرآني، وذلك لأن اللغة عندما تغادر نظامها لتدخل في نظام النص، فإنها لا تبقى أداة ناقلة، ولكنها تصبح ذاتاً مبدعة لما تقول أو تصبح هي حقيقة ما يقول.

وهكذا يبدو النص ليس بوصفه معطى تاريخياً أو ناتجاً ثقافياً ينتمي إلى الماضي ولكن بوصفه فاعلاً أنياً يؤسس التاريخ ويؤثر فيه، ويصنع الثقافة ويتجاوزها دائماً إلى أصل قائم فيه، غائب عن الثقافة أي لم نقله الثقافة ولم تفكر فيه (جاك بيرك، 2002: 17).

## وأما المحور الأفقي :

ف نجد أن القرآن يبدو فيه كلاماً واحداً لأن كل الوحدات القرآنية تتراكم فيه وتتألف فالجمل تدخل في الآيات والآيات في النصوص، والنصوص في السور، والسور في القرآن، ولعل هذا ما يفسر أيضاً تسمية القرآن نفسه "أم الكتاب"، غير أن ذلك كله ما كان يمكن أن يكون لو لم يكن هنالك عقد دلالي ناظم لكل هذه الوحدات والممثلة في المحور الأفقي وهذا العقد الدلالي هو التوحيد وهو المعيار الوحيد للتألف الدلالي الحاصل فيه.

ويمكن القول أن هناك دلالة يقف فيها النص على الطرف الآخر من زمن حدوثه وهي ما نسميها الدلالة الأنبية، فهي النص في زمن تلقيه لا في زمن نزوله وإذا كانت هي كذلك فلأن النص القرآني يشكل النسيج الفكري والذهني للكائن المتحول به، ولأنه يشكل أيضاً المكون العقلي الذي يجعل المتلقي به حاضراً عصره وفاعلاً فيه.

وإذا كانت الدلالة القرآنية تستجيب لحضور القارئ في زمنه الخاص فلأنها دلالة صائرة وليست منتهية ومهاجرة في الزمن وليست ثابتة فيه، روحية متحركة وليست ساكنة، ولما كان هذا هو حالها فقد أمكن وصفها

### 1- دلالة معلقة ومرجأه : بأنها هي تقول نفسها على نموذج من المعنى، ثم لا تلبث

أن تلغيه، لتصير بعده نموذجاً آخر لمعنى ثان يتولد من الأول، وما كان ذلك أن يكون لها إلا لأن اللغة هي أدائها في حصولها، ولذا فهي ما ندركه أنياً وهو المعنى المرجأ لما يدركه الخلف الآتي منها أفقياً، وإنما إذا جاز أن تتكرر في عصرين مختلفين فلن يكون ذلك في إطار نموذج تمثيلي ورمزي وإشاري واحد، وهذا ما يجعلها قائمة هي وجديدها غير المنتاهي في الوقت نفسه.

### 2- دلالة مباشرة : وليست دلالة استدعاء عبر الذاكرة، ولذا فهي تحمل خصائص التجربة

الذاتية، وتنعكس حضوراً وفهماً في ذهن المتلقي على مقدار مكابته لها وإحساسه بزمنه الذي يعيش فيه، وقد تكون اقتناصاً عابراً، كما قد تكون تأسيساً لمشروع فكري إزاء مشاريع أخرى، غير أن ما يميزها في كل أحوالها هو الإحساس بالنص إحساساً أنياً وكأنه ينتزل للحظة، وإن عقلنة هذه الدلالة، يعنى إخضاعها للدراسة الموضوعية، لتكون هي الأخرى دالة، ذلك أنه من دلالتها إتصالها بالأدوات المفهومية لزمن التلقي وليس للزمن اللحظي المتعاقب، ولذا فهي تبدو وكأنها قفز فوق التاريخ، وما يدل على وجود هذا وجود قراءة لكل عصر بالإضافة إلى وجود قراءات فردية في كل عصر (جاك بيرك، 2002: 19).

### ثانياً: السارد (القرآن الكريم) والتضاريس النصية:

ونعني بالسارد القرآن الكريم الذي يسرد أحداث سورة يوسف ووقائعها، حيث ينقسم السارد إلى ثلاثة أنماط هي:

- 1- السارد الغائب الذي يسرد الأحداث الماضية دون التداخل في سياقها.
- 2- السارد الحاضر الذي يسرد الأحداث الآتية والمستقبلية ويكون مشاركاً في سياقها.
- 3- السارد الحاضر الغائب الذي يكون حاضراً وغائباً في السياق الواحد.

هذا ويتغير نمط السارد وفق تغير الرؤية من ناحية، ومن ثم وفق تغير الشكل أو إزاحته من ناحية ثانية، أي أن رؤية القرآن الكريم عندما تتغير في النص، فيتغير تبعاً لذلك المحتوى النصي، إذ حينما يستخدم نمطاً سردياً معيناً، فإن هذا النمط يحمل مضموناً معيناً، وعندما يتغير نمط هذا السرد حينئذٍ يتغير نمط المضمون، وهذا يستتبع بالضرورة تغير الأدوات التعبيرية، أي تغير آليات التشكيل السردية في النص، ومن ثم تستطيع القول إن هناك علاقة وثيقة بين نمط السارد والتشكيل السردية للنص، فالسارد الغائب يتوافق وتشكيل سردي معين للنص، والسارد الحاضر يتوافق وتشكيل سردي آخر للنص، والسارد الغائب الحاضر يتوافق وتشكيل سردي ثالث للنص.

ومن خلال تناولنا لسورة "يوسف" نجد أن نمط السارد الغالب على بنية النص هو نمط السارد الغائب، إذ أنه يشكل محوراً جوهرياً في كل سورة.

وعلى الرغم من ذلك إلا أن التشكيل السردية للنص قد طرأ عليه تغير من آية لأخرى، ففي الآيات التي اعتمدت على السرد الحكائي نجد شيوع ضمير الغائب وسيطرة الأفعال الماضية، بينما ينزوي السارد الغائب نسبياً ويفهم من السياق الوارد في التشكيل النصي المعتمد على السرد العادي.

حيث تتألف سورة يوسف عليه السلام من مقدمة وقصة وخاتمة، والقصة نفسها تتألف من مشاهد، والمقدمة تتكون من ثلاث آيات حيث تبدأ بافتتاحية (ألر) لتشير إلى أن القرآن من عند الله لكي تفهموا معانيه وتعقلوه، وقد وصف القرآن في هذه المقدمة بالبيان، فالسورة تعالج موضوع الريب والشك بشكل يختلف عما عالجه سور أخرى، ثم تنتقل المقدمة إلى عرض مشاهد قصة يوسف عليه السلام لنجد تغيراً في تضاريس التشكيل النصي لي طرح النص القرآني تشكيلاً نصياً يقوم على سرد الأحداث والشخصيات وتتابعها، وتظل تضاريس النص القرآني في حالة تتابع منتظمة ما بين تضاريس التشكيل السردية الحكائي وتضاريس التشكيل السردية العادي، ويتضافر التشكيلان ليشكلان في



النهاية التشكيل الكلي للنص القرآني الكريم. ويتضح هذا التتابع المنتظم للتشكيل النصي وتغير أنماطه وفق تغير رؤاه ومحتواه في الجدول (1).

الجدول (1) السارد وجغرافية التتابع في سورة يوسف

| البيان        | نمط السارد    | نمط التتابع | رقم الآيات | المحتوى النصي   |
|---------------|---------------|-------------|------------|---|
| المقدمة       | السارد الحاضر | سرد عادي    | (3-1)      | المقدمة بدأت بافتتاحية تذكر أن هذا القرآن من خصائصه أنه واضح جلي، وأن الله عز وجل يقص في هذا القرآن أحسن القصص، وكيف أن محمداً كان قبل الوحي غافلاً، ووصف القرآن في هذه المقدمة بالبيان، وأنه يختار القصة الهادفة ليعالج كثيراً من القضايا مثل موضوع الريب والشك. |
| المشهد الأول  | السارد الغائب | سرد حكائي   | (6-4)      | يعرض رؤيا يوسف عليه السلام، وفهم يعقوب للرؤيا وخشيته على ابنه من اخوته فيحتالوا عليه فيهلكونه، وتحذيره من كيد الشيطان، وكيف أن الله يختاره ويصطفيه لنبوته، وأن الله يعلم من يحق له الاجتباء ويضع الأشياء مواضعها.   |
| المشهد الثاني | السارد الغائب | سرد حكائي   | (20 - 7)   | يعرض حيلة أخوة يوسف وإلقاءه في غيابة الجب، وكيف جاءوا أباهم ببيكون وصبر يعقوب على ذلك، وبيعه بثمن بخس.  |
| المشهد الثالث | السارد الغائب | سرد حكائي   | (35-21)    | يوسف في بيت امرأة العزيز وتعرضه للفتنة.   |
| المشهد الرابع | السارد الغائب | سرد حكائي   | (42-36)    | دخول يوسف السجن وتعرضه للابتلاء   |

|               |                |           |           |   |
|---------------|----------------|-----------|-----------|---|
| المشهد الخامس | اليسارد الغائب | سرد حكائي | (43-57)   | تأويل رؤيا صاحب السجن وفتنة يوسف مع امرأة العزيز.                         |
| المشهد السادس | اليسارد الغائب | سرد حكائي | (58-101)  | لقاء يوسف بإخوته وعفوه عنهم ولقائه بأبيه، وتأويل الرؤيا بالحق.            |
| الخاتمة       | اليسارد الحاضر | سرد عادي  | (102-111) | الحكمة من إيراد هذه القصص فيما يحقق هدف السورة ضمن محورها الأمر بالعبادة. |

يتضح من الجدول رقم (1) أن السارد الغائب يتوافق وسرد الأحداث التاريخية الماضية لأنه يتيح حرية تتبع الأحداث ورصدها وتسجيلها كما هي في التاريخ أو الواقع دون ثمة قيود، وهذا ما نجده في قصة يوسف عليه السلام، حيث عني اليسارد بالرصد التسجيلي للأخبار عن الشخصية الرئيسية في القصة وهي شخصية يوسف عليه السلام في كل مجالات حياتها، وبكل استجابات هذه الشخصية، والابتلاءات المتنوعة التي تعرض لها إلى جانب ذلك عرض الشخصيات المحيطة بدرجات متفاوتة من التركيز، وفي مساحات متناسبة من رقعة العرض، ومن أبعاد متفاوتة من مركز الرؤية.

وتوافق هذا النمط السرد من حرية الانتقال من موضع مكاني معين إلى آخر أو موضع زمني آخر لذلك اعتمد النص القرآني على الزمن التصاعدي الطولي، وظل يتتبع كل الأحداث التي مرت بها الشخصيات طوال هذه المرحلة الزمنية وتوافق التتابع المكاني مع التتابع الزمني، لذا فقد انتقل السارد من موضع مكاني معين إلى آخر وفقاً للتحويلات التي مرت بها شخصيات القصة.

كذلك توافق السارد الغائب مع سرد الماضي البسيط المستغرق في الطول المنطقي، وهو الطول الزمني الذي يسير سيراً منطقياً من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، ويسير تبعاً له المكان المنطقي وهو المكان الطبيعي الذي تنتقل فيه الشخصية من موضع لآخر، ويتمثل الانتقال المكاني في القصة، انتقال يوسف من غيابات الجب إلى منزل عزيز مصر ودخوله السجن، ومن ثم نجد توافق هذا النمط السرد مع السردية المكانية.

ونستطيع القول إن كل تغيير طراً في البنية المكانية سبقه بالضرورة تغيير في البنية الفكرية، وقد توافق هذا التغيير مع السارد الغائب الذي طغى على النص القرآني،

يضاف إلى ذلك أن التتابع النصي خضع للتتابع السردي من ناحية، وتتابع الرؤية الفكرية من ناحية ثانية، وقد تمثل هذا التتابع النصي في التواتر المنظم للسرد الحكائي من ناحية، والسرد العادي من ناحية ثانية.

### ثالثاً : كيف تتمثل جغرافية التضاريس المكانية في النص القرآني؟

إن مفهوم الجغرافيا المكانية للنص نعني بها حدود التضاريس المكانية من حيث حيز المكان الجغرافي في النص، وحيز التتابع المكاني له، وفقاً للرؤية المطروحة، وعلاقة كلاً منهما بالحدث واللغة. وبالتالي تنقسم التضاريس المكانية للنص إلى قسمين:

1- حيز التضاريس المكانية.

2- حيز التتابع المكاني.

#### 1- حيز التضاريس المكانية :

هناك بعض وجهات النظر المتعددة حول مفهوم الحيز أو المكان أو الفضاء عند بعض الدارسين، ذلك أن البعض يحاول أن توسع من مفهوم الحيز ليشمل مفهوماً أوسع وأشمل من الفضاء والمكان والجغرافيا. فيرى بعضهم أنه إذا كان للمكان حدود تحده ونهاية ينتهي إليه فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل (عبد الملك مرتاض، 1998: 146)

ويذهب آخرون لأكثر من ذلك فيرون أن الحيز أكبر من الجغرافيا مساحة وأشسع بعداً، وأنه امتداد وارتفاع وطيران وتحليق ونجوم وبحار وانطلاق نحو المجهول وعوالم لا حدود لها(عبد الملك مرتاض، 1998: 144). وعلى الرغم من وجود وجهات النظر المتباينة حول هذا المفهوم، إلا أننا نعني به التضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي، سواء كانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية وسواء كانت واقعية أو فنية، وتتمثل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص القرآني، والعلاقات بينها هي التي تكون الانتظام في نسق النص، وعلى حد تعبير تودوروف، فإن هذا المكان يجب بطبيعة الحال أن يستعمل في معناه الضيق وأن يعين مفهوماً نابحاً من النص (تترفان تودوروف، 1999: 64).

والحيز بهذا المفهوم نجده في كل النصوص القرآنية، وله مستويات عديدة ونقف عند حيز المكان الجغرافي في الأمكنة المختلفة الواردة في النص القرآني والعلاقات بينها هي التي تكون الانتظام في نسق النص، سواء كانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية، وسواء كانت واقعية أو فنية.

ونقف على سبيل المثال عند حيز المكان الجغرافي في سورة يوسف عليه السلام ويتضح هذا الحيز في صورته التفصيلية في الجدول (2):

الجدول (2) التضاريس المكانية النصية في سورة يوسف

| التتابع السردى                          | التتابع المكاني                                     | رقم الآية         | حيز التضاريس المكانية   |
|---|---|-------------------|---|
| سرد<br>حكائي                            | - العوالم البيئية الأولية التي عاشها يوسف مع إخوته. | 12                | - أماكن اللعب (غيابة الجب - أماكن الرعي - منزل يوسف - الطريق - الدلو - المتاع.                            |
|   | - العوالم البيئية التي انتقل إليها يوسف في مصر .    | 30                | - منزل يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر .   |
|   | - تعرض يوسف للفتنة .                                | 31                | - حديث جماعة من النساء في المدينة في القصور والصالونات .<br>- منزل امرأة العزيز<br>إعداد الفرش والنمارق . |
|   | - كيد امرأة العزيز .                                | 35                | - المكان الذي سجن فيه يوسف عليه السلام السجن وظلماته .  |
|   | - تفسير يوسف لرؤيا الملك وانتقاله إلى قصر الملك .   | 46                | - تولية يوسف على خزائن أرض مصر وتمكينه في أرضها .   |
|   | سرد<br>عادي   | - جزاء المحسنين . | 103   |
| - عرض للآيات على الدالة على قدرة الله . |   |                   | - السموات والأرض .<br>- الدار الآخرة .  |

يتضح من الجدول (2) أنه من خلال تتابع الحيز الجغرافي في النص أن التضاريس

المكانية في النص القرآني تمثلت في عدة مستويات منها:

- أ- العوالم البيئية الأولية التي عاش فيها يوسف (منزل يوسف عليه السلام).
- ب- أماكن اللعب والعدو والجري والسباق (الأماكن الترفيهية).
- ج- أماكن الرعي.

د - البئر (المكان الذي تعرض فيه للابتلاء).

هـ - الأماكن السياسية والعسكرية والسلطوية (قصر الملك-السجن).

كما يتضح من خلال هذه التضاريس المكانية الطولية أو المتتابعة تتابعاً طويلاً، إن المكان ينتقل من موضع لآخر وفق الرؤية الفكرية التي يبغى السارد طرحها في السياق. فيستمر التتابع المكاني في البداية على وتيرة واحدة بصور نمط الحياة الأولية التي يعيشها يوسف عليه السلام، ثم يتغير نمط المكان والسرد فنجد الأماكن تتلاحق بشكل سريع ومتواتر.

وهكذا يمكن القول إن النص تتغير، عندما ينتقل النص من مستوى سردي إلى آخر، والتتابع المكاني في هذه التضاريس النصية جاء متواتراً تواتراً سريعاً، وقد يرجع ذلك إلى أن طبيعة الأمكنة الواردة في هذا التتابع تتغير تغييراً سريعاً ومتلاحقاً، كذلك فإن الانتقال من مستوى مكاني لآخر ومن مستوى سردي لآخر، استتبع بالضرورة تغييراً في تضاريس النص القرآني، فكان ينتقل من مستوى سردي لآخر وفق اختلاف الرؤية الفكرية للسارد.

#### رابعاً: تضاريس الفضاء الدلالي:

إن تضاريس الفضاء الدلالي تعني الانتقال من الحيز المكاني المحدود بحدود جغرافية معينة إلى حيز أكثر اتساعاً هو الحيز المجازي والدلالي والرمزي والإيحائي الذي تصوره الأمكنة المختلفة في قصة يوسف عليه السلام، كما تعني والنقل الانتقال من الحيز ذات البعد الواحد إلى الحيز ذات الأبعاد المتعددة، فهي لا تقف عند الحدود الجغرافية الطبيعية للمكان التقليدي، لكنها تتجاوز ذلك إلى الأبعاد الإيحائية التي تطرحها الأمكنة المختلفة في النص.

وحيث إن لغة الأدب بشكل عام لا تؤدي غرضها بأسلوب بسيط إلا قليلاً، لأن التعبير اللغوي لا يحمل معنى واحداً، بل إنه لا ينفك عن أن يتضاعف ويتعدد، فالكلمة الواحدة مثلاً قد تحمل معنيين أو تعبيرين، حيث تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي، وعن الآخر بأنه مجازي، هناك إذن فضاء دلالي (**Espace semantique**) يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي وهذا الفضاء من شأنه أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب.

إن التضاريس وفق هذا المفهوم لا تقف عند الحدود الجغرافية الطبيعية للمكان التقليدي في النص القرآني لكنها لا تتجاوز ذلك إلى الأبعاد الإيحائية التي تطرحها الأمكنة المختلفة في النص. فالفضاء الدلالي هو فضاء تؤسسه الأحداث والمشاعر والشخصيات

والمواقف والمشاهد في تضاريس النص القرآني. وفي سورة (يوسف) نجد تضاريس الفضاء الدلالي تشكل ملمحاً بارزاً في سياقها سواء على مستوى السرد العادي أو السرد الحكائي.

وتتمثل تضاريس الفضاء الدلالي على سبيل المثال لا الحصر في سورة يوسف

كما يوضحها الجدول (3)، والجدول (4) :

**الجدول (3) تضاريس الفضاء الدلالي في سورة يوسف**

| نمط التتابع السردى | رقم الآية | الفضاء الدلالي  |
|--------------------|-----------|---|
| سردى حكاىي         | (4)       | -تتعامل الآيات مع النفس الإنسانية في واقعيتها الكاملة متمثلة في نماذج تتنوع فيها الشخصيات، وتتنوع المواقف.  |
|                    | (5)       | -يعقوب الوالد المحب الملهوف والنبى المطمئن.   |
|                    | (9)       | -إخوة يوسف وهواتف الغيرة والحسد والحقد والمناورة.   |
|                    | (23)      | -إمرأة العزيز بكل غرائزها واندفاعاتها الأنثوية، كما تصفها وتوجهها البيئة المصرية الجاهلية.  |
|                    | (26)      | -العزيز وشخصيته وبطبيعة سمت الإمارة، ثم بضعف النخوة وغلبة الرياء الاجتماعى وستر الظواهر وإنقاذها وفيه تتم كل خصائص بيئته.                                 |
|                    | (30)      | -نسوة المجتمع بكل ملامحه، اللغظ بسيرة امرأة العزيز وأثر البيئة الجغرافية في توجيههم.  |
|                    |           | شخصية يوسف وهي تواجه ألواناً أخرى من الابتلاءات تختلف في طبيعتها عن الألوان الأولى وتواجهها بذلك الاحتمال الناضج الواعى، وبتلك الطمأنينة الساكنة الواثقة. |
|                    | (89)      | -كيف يكشف يوسف عن نفسه لإخوته في عتاب رقيق و في عفو كريم يجئ في أوانه.  |
|                    | (90)      | -فضل التقوى والصبر وما لهما من حسن العاقبة.   |
|                    | (91)      | -تقرير مبدأ أن المعاصي لن تكون إلا نتيجة للجهل بالله تعالى وجلاله وشرائعه ووعده ووعيده.   |
|                    | (92)      | فضل العفو والصفح وترك عتاب القريب إذا أساء.   |
|                    | (94)      | حمل إخوة يوسف ضمن القافلة المتجهة إلى أرض كنعان وإبتعاد العير من عريش مصر.  |

|   |              |  |
|---|--------------|--|
| <p>كرم نفس يوسف وسمو آدابه لم يذكر إخوته بما ألمهم فقال من السجن ولم يقل من الجب ونسب الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان تلطيفاً للجو ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته.</p> | <p>(100)</p> |  |
|---|--------------|--|

ويتضح من خلال الجدول (3) أن التضاريس الفضاءية الدلالية في الآيات لم تقف عند حد المكان الطبيعي بل تجاوزته إلى أبعاد دلالية، أي إلى تضاريس المدلول وليس الدال، ونعني بالدال المكان الجغرافي المحدد بحيز معين بالآيات، والمدلول ما يرمز إليه هذا المكان من أبعاد إيحائية دلالية ورمزية تتجاوز البعد الجغرافي إلى بعد خيالي أو مجازي يتضافر فيه البعدان الجغرافي والرمزي، وهذا ما نجد في معظم تضاريس الآيات، ونقف عند عرض النماذج على سبيل التمثيل وليس الحصر، فمن خلال تناولنا لسورة يوسف عليه السلام والتي تتألف من مقدمة وقصه وخاتمه والقصة نفسها تتألف من مشاهد حيث نجد أن:

الرؤية الفكرية المطروحة في افتتاحية السورة والتي اعتمدت على السارد الحاضر تطرح تشكيلاً نصياً معيناً، بينما المشهد الأول من قصة يوسف عليه السلام يطرح تشكيلاً نصياً آخرًا يقوم على الأحداث والشخصيات، وكذا بقية المشاهد التي تشكل النص القرآني الذي يعتمد على السرد الحكائي إلى أن ينتهي السياق إلى الآية (103) فيتغير التشكيل النصي حينئذ.

أي أن هذه الرؤية الفكرية عندما تغيرت تغير تبعاً لذلك تضاريس الشكل النصي. ومثالاً لذلك:

- تقرير إعجاز القرآن الذي لم يستطع العرب أن يأتوا بسورة مثله، وأنه اشتمل على أحسن القصص فلا معنى لسماح قصص غيره، وتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأقوى برهان عقلي وأعظم دليل نقلي.

- مشاهد الكون التي تدلل على قدرة الخالق عز وجل في السماوات والأرض، مثل هذه المشاهد تفتح الآفاق للتفكير والتأمل في عظمة الخالق عز وجل ومن ثم الاهتمام إلى وجوده وهذا سر شعور الإنسان بالسعادة والاستقرار الفكري والنفسي بدلاً من الضياع وعدم الشعور بالذات.

- مواقف في شأن يوسف وإخوته، وما جرى لهم، وما تم من أحداث جسام، عبر وعظات مثل ائتمار إخوته وإتفاقهم السري عليه، والإخبار عما عزم عليه إخوته أن يفعلوا، وما

تحتمل هذه المواقف من لطف الله تعالى بيوسف وإكرامه له وتبشيره إياه بسلامة الحال وحسن المآل.

الجدول (4) الفضاء الدلالي في سورة يوسف

| نمط التتابع السردى | رقم الآية | الفضاء الدلالي   |
|--------------------|-----------|--|
| سرد عادي           | (103)     | -المضمون بكل سعته يتنظم تبعاً لسلسلة البعد الدائم وهو الدوام الذي يتعلّق بمجموع العقائد والحساب أي بما هو جوهري، وإنه لداوم يتصل بالتناغم الكوني ويعين على إثبات وجود الله طبيعياً.  |
|                    | (104)     | -حيث بين ربنا عز وجل الحكمة من إيراد القصة ضمن المحور العام لها "وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا" بما يقوم به الجحّة علي الخلق، وفي هذا المعني نستشعر في السورة وحدة السورة مع وحدة الربط بينها وبين السياق العام للنص القرآني.<br>-لفت الأبصار والبصائر في الآيات الدالة علي وحدانية الله وقدرته، وهي كثيرة ومتنوعة في تضاعيف الكون.<br>-الدعوة إلي التميز عن المجتمع الجاهلي وإعلان أصحاب الدعوة إلي الإسلام عن عنوانهم الخاص وطريقهم الخاص وإنجاح الرسل في تحقيق أهدافهم.<br>-لفت الأنظار إلي سنن الله في الكون للتأمل والتدبر في الماضين.<br>-تحطيم سورة يوسف الريب في سياقها العام وإعطائها دروساً لاتنتهي. |
|                    | (108)     | -تعيين الدعوة إلي الله تعالى علي كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لا بد أن يكون علي علم يقيني بما يدعو إليه.  |

يتضح من خلال الجدول (4): إن السياق النصي ما زال في الدعوة إلى الإيمان بالوحي الإلهي والتوحيد والبعث والجزاء، وهي أركان الدين العظمى حيث تقرر عقيدة



البعث الآخر، ووجوب توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتبين ثمرات التوحيد والتقوى في الدنيا والآخرة وتبين فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة لمن طلب ذلك منه، وأكد أن المؤمنون باعتبارهم أحياء هم الذين ينتفعون بهداية القرآن ورحمته.

فهذه تضاريس دلالية في النص السردي العادي تختلف عن التضاريس الدلالية التي يطرحها النص القرآني الحكائي، بعد ما قص الله تعالى على رسوله بواسطة الوحي قصة يوسف

وإخوته وهي من الغيب المحض، إذ لم يكن رسول الله ﷺ ولا قومه من العرب يعرفون هذه الأحداث التاريخية شيئاً، لا سيما وأن بعض هذه الأنبياء تم في ظلام الليل وبعضها في ظلام البئر وبعضها وراء الستور، وبعضها في طبقات السجون، وبعضها في قصور الملوك، وبعضها في الحضر، وبعضها في البدو، وبعد تطاول الزمن، وتقادم العصور (أبو بكر الجزائري، 1992: 649).

وهنا نلاحظ الانتقال من تضاريس دلالية في النص السردي العادي إلى تضاريس دلالية في النص الحكائي طوال الآيات، وهذا يشكل بعداً جيولوجياً في النص القرآني حيث تتغير تضاريس الفضاء الدلالي من موضع لآخر تبعاً لتغير الرؤية والفكرة التي يطرحها القرآن الكريم.

## المراجع

1. القرآن الكريم.
2. أبو بكر الجزائري (1992) أيسر التفاسير. جدة : راسم.
3. بدر الدين الزركشي (د.ت) البرهان في علوم القرآن. ج1. بيروت : دار المعرفة.
4. تزفتان تودورف (1999) الشعرية. (ترجمة شكري المبخوت). الدار البيضاء: دار تويقال للنشر.
5. جاك بيرك (1996) القرآن علم القراءة. بيروت : مركز الإنماء الحضاري.
6. روبرت شولز (1994) السيمياء والتأويل. (ترجمة سعيد الغانمي) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
7. سعيد حوى (1985) الأساس في التفسير. الأردن : دار السلام..
8. سيد قطب (1971) في ظلال القرآن. ج10 بيروت: لبنان.
9. عباس أمير (1991) الإعجاز القرآني. الأردن : دار السلام.
10. عبد الملك مرتاض (1998) في نظرية الرواية : بحث في تقنيات السرد. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون.
11. مراد مبروك (2002) جيوبوليتيكا النص الأدبي. الإسكندرية : دار الوفاء.